893.791 G345z
v.9

Columbia University
in the City of New York
Library

BOUGHT FROM

Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

H. C. STECHERT & Co.
Agents Leipzig
New York

﴿ الجزء التاسع ﴾

من كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء
علوم الدين تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوى
الفضائل من المدققين العلامة السيد محمد
ابن محمد الحسينى الزبيدى الشهير
بمرتضى رحمه الله وأثابه
من فيض فضله
جزيل الرضا
آمين

﴿ تنبيه ﴾

حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الاحياء فى بعض
مواضع من شرحه فتتميما للفائدة وضعنا الاحيا المذكور فى
هامش هذا الشرح

81

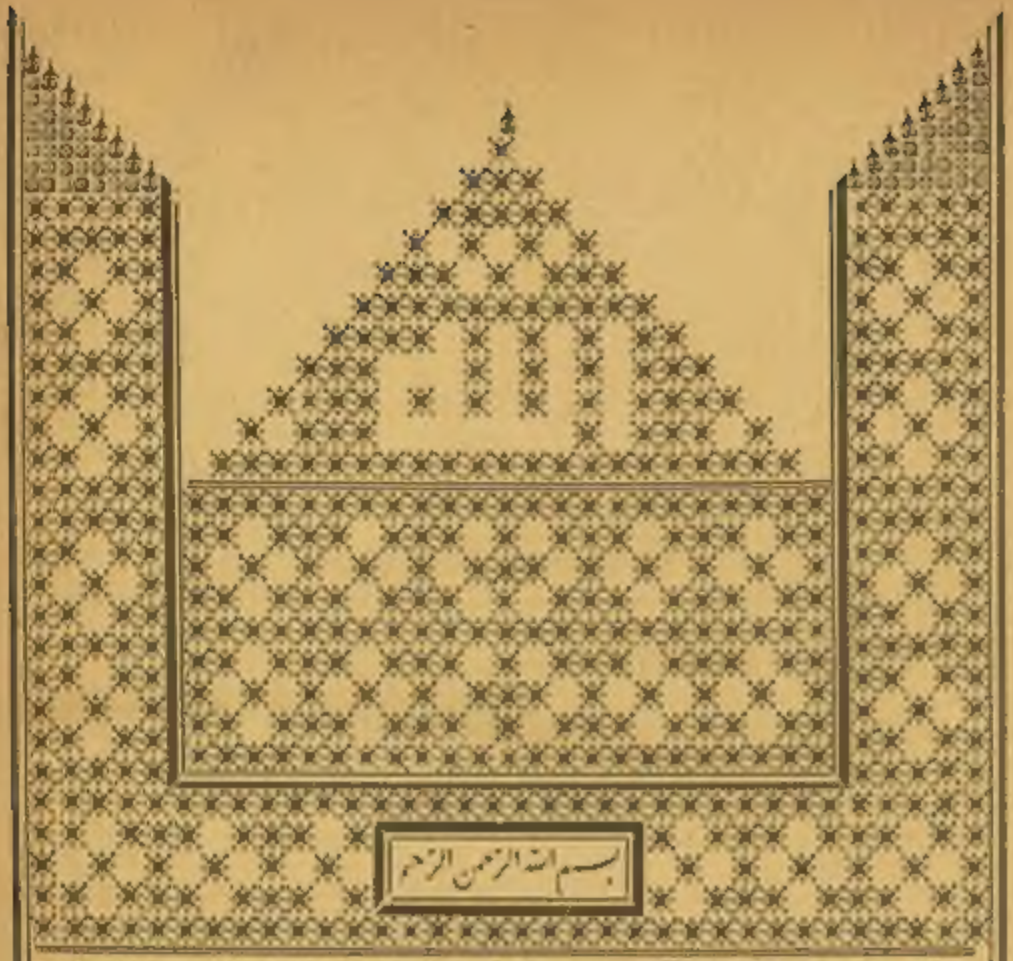

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله نام كل صابر الحمد لله الذى جعل الحمد مفتاحا لذكره * ومصباحا يهتدى به من وفق لشكره * وسببا للمزيد من فضله ونعمته * ودليلا على آلائه وعظمته * أحمده على ما أخذ وأعطى * وعلى ما أبلى وابتلى * الباطن لكل خفية * الحاضر لكل سريرة * العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون * وتخفى الظنون * وأسأله الصبر على بلوائه والشكر على نعمائه * وأشهد أن لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكول فيه ولا مكفور دينه * ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته * وصفت دخلته * وخلص يقينه * وثقلت موازينه * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله ونجيه وحبيبه * وبعثه ونجيبه المختار من خلائقه * والمفتاح لشرح حقائقه * والمختص بفضائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته شهادة يوافق فيها السر الاعلان * والقلب اللسان * صلى الله عليه وعلى آله الانجم الهداة * وأصحابه السادة الكرام الثقات * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * فهذا شرح (كتاب الصبر والشكر) وهو الثانى من الربع الرابع والثانى والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام علم الائمة الاعلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى قدس الله سره وضاعف بره * ونفع بأسرار علومه ومتع أبصار العارفين فى رياض معارفه وفهومه سلكت فيه منهاج الايضاح والبيان * والافصاح والتبيان لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان * وضبط قواعد فوائده المهذبة المؤسسة الاركان * مع كشف العويصات * وتنبيه الى الاشارات * ورمز الاخبار الى الرواة * والآثار الى الوعاة وتوجيه الاقوال عن الثقات * منجيا عن الاعتساف والتطويل * مائلا عن تكثر القال والقيل * متوكلا على المولى المنعم الجليل فى التيسير والتسهيل * سائلا منه ان ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه * وان يبلغنا من فضله واحسانه

* (كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثانى من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين) *

ماتؤمله وترتجيه * انه ولى ذلك والقادر عليه لااله الاهو عليه توكلت واليه أنيب * قال رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء) أصل الثناء من الثنى وهو العطف ومنه الاثنان لعطف أحدهما على الآخر والثناء لعطف المناقب فى المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة بينهما فى أول كتاب العلم ومعنى كونه أهلا لهما أى مستحقا لهما لكماله فى ذاته وصفاته فلا يليق بهما ولا يستحقهما الاهو جل ذكره وتناؤه (المنفرد) وفى نسخة المتفرد (برداء الكبرياء) أى العظمة والجلال وفيه تلميح الى الحديث القدسى قال الله تعالى الكبرياء ردائى وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب ذم الكبر والعجب وسبق الكلام على الانفراد والتفرد فى كتاب قواعد العقائد (المتوحد بصفات المجد والعلاء) المجد السعة فى الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أى هو تعالى مختص بتلك الصفات فلا يشاركه فيها أحد (المؤيد بصفوة الاولياء) أى خاصتهم (بقوة الصبر على البراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء) والبراء والضراء سألنا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان والاختبار الله تعالى لعباده تارة بالسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فمار المنحة والمحنة بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين (والصلاة على) سيدنا (محمد سيد الانبياء) أى رئيسهم وزعيمهم وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالاخبار الصحيحة (وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء) أى تدوم أبد الآباد فلا تفنى (ومصونة) أى محفوظة (بالتعاقب) أى التوالى والتكرار (عن التصرم والانقضاء) أى الانقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام تقدم البحث فيه فى أول كتاب العلم (أما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف اه قلت وكذلك رواه البيهقى فى الشعب ولكن بلفظ نصف فى الصبر ونصف فى الشكر (وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى والايمان من أسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا) فالصبور هو الذى لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل أوانه بل ينزل الامور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها لتأخير متكاسل ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل بل يودع كل شئ فى أوانه على الوجه الذى يجب أن يكون وكما ينبغى وكل ذلك فى غير مقاساة داع على مشاقة الارادة والشكور هو الذى يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل فى أيام معدودة نعيما فى الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة باضعافها يقال انه شكور بتلك الحسنة ومن اثنى على المحسن أيضا فيقال انه شكور فان تقارنت الى معنى الزيادة فى المجازاة لم يكن الشكور المطلق الاهو سبحانه لان زيادته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة وان تقارنت الى معنى الثناء فالثناء كل من على فعل غيره والرب تعالى اذا اثنى على أعمال عباده فقد اثنى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه وان كان الذى أعطى فاثنى شكورا فالذى أعطى واثنى على المعطى أحق بان يكون شكورا لثناء الله على عباده عطية منه (فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الايمان ثم هو غفلة عن) معرفة (وصفين من أوصاف الرحمن) جل وعز (ولا سبيل الى القرب من الله تعالى الا بالايمان) به (وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان) وهو الصبر والشكر (ومن به الايمان) وهو الصبور الشكور (والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فأحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن) بحمد الله تعالى (نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد) أى فلم يفرد لكل واحد منهما كتابا كما فعله غيره من المتكلمين على مقامات اليقين

(الشطر الاول فى الصبر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد بصفوة الاولياء بقوة الصبر على البراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء (أما بعد) فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى والايمان من أسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فأحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى

*(الشطر الاول) فى الصبر

على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فمن قربة الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه الى نفسه من بين سائر العبادات و وعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول

وهو المقام الثاني من مقامات اليقين (وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أسامية باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى)

(بيان فضيلة الصبر)

من الكتاب والسنة اعلم انه (قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف) جليلة (وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا) وعن الامام أحمد انه ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعا بتقديم الثاء على السين نقله صاحب القاموس في البصائر وهو مقام شريف اثنى الله عليه في كتابه (وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها) أي تلك الدرجات والخيرات (ثمرة له) ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعا * الاول انه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين وان بالصبر واليقين ينال الامامة في الدين (فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا) وكانوا بآياتنا يوقنون قال ابن عيينة في هذه الآية أخذوا برأس الامر فملهم الله رؤساء * النوع الثاني انه تم عليهم كلمة الحسنى في الدين (و) منه (تمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) * النوع الثالث ايجابه الجزاء لهم باحسن أعمالهم (و) منه (قال) تعالى (ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) * النوع الرابع مضاعفة أجرهم على كل عمل (و) منه (قال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) * النوع الخامس رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله لا نهاية ولا حد (و) منه (قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فمن قربة الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر) فقد أوجب الجزاء للمتصف به بغير حساب ومقدور دل ذلك على انه من أفضل المقامات (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به) رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به الحديث وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لي الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم (فاضافه الى نفسه) لتشريفه (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعد الصابرين بانه معهم) أي أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ليست معية علمة أعني معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار منه تعالى انه معهم ومن كان معه الله غلب فمن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعلون والله معكم (و) * النوع السابع (علق النصرة) والمدد بجنده (على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فاشترط الصبر والتقوى لامداده بجنده ونصره وتأييده وفي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور) ثلاثة (لم يجمعها لغيرهم) وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التدلي (واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الانواع التي سبق الوعد بها * فمن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثاله في سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبروا وصابروا وقوله واصبر وما صبرك الا بالله * النوع العاشر النهي عن ضده كقوله

تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله لاولوهم لادبار فان توبة لادبر ترك
الصبر وصابرة * النوع الحادى عشر الشهادة على أهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين
صدقوا وأولئك هم المتقون وعشائره كثيرة * النوع الثانى عشر الحاقهم بالنبيين كقوله تعالى والله يحب
الصابرين * النوع الثالث عشر اخباره بان الصبر خير لهم كقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
وكقوله وان تصبروا فهو خيرا لكم * النوع الرابع عشر اطلاق البشرى لاهل الصبر كقوله تعالى وبشر
الصابرين * النوع الخامس عشر الاخبار بان أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور * النوع السادس عشر الاخبار بانه مايوفى الاعمال الصالحة وجزاءها الا أهل
الصبر كقوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون وقوله ومايلقاها الا الذين صبروا * النوع السابع عشر الاخبار
بان الفوز والفلاح والنجاة من المرهوب والحصول على المأمول بالصبر كقوله تعالى سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار (وأما الاخبار) الواردة فى فضله الصبر (فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر
نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقى فى شعب من حديث ابن مسعود زيادة والاقين
الايمان كله وقد تقدم (على ما بينا فى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل ما أوتيتم) كذا
فى النسخ وفى القوت ان أقل ما أوتيتم (يقين وعزيمة الصبر ومن) أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من
قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما تكرهون خير لكم من أن تواتونى كل امرئ منكم كما
على جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح الدنيا عليكم بعدى فيكثر بعضكم بعضا ويكثركم أهل الشرك بعددكم
ذلك فاصبروا واحتسبوا ظفر بكمال نواله ثم قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الله
الذين صبروا الآية) تقدم هذا الحديث فى كتاب العلم مختصرا وذكر العراقى انه بهذه هكذا بطوله
وهو هكذا فى القوت وعزاه الى أبى امامة الباهلى من رواية شهر بن حوشب عنه وسيأتى بتمامه فى آخر
كتاب الزهد فى الفصول التى نقلها (وروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (انه سئل النبى
صلى الله عليه وسلم عن الايمان) ما هو (فقال) هو (الصبر والسماحة) قال صاحب القاموس وقد
من أجمع الكلام وأحسنه وهو ما كان لايمان من أوله الى آخره كقوله لعمرك ما الرزايا الا آخر هذا لفظ
شيئا بذل ما أمرت به واعطاؤه فاحمل عليه سمحة وترك ما نهيت عنه وابعد عنه فالصبر من هذا
الصبر اه وقد سبقه البيهقى بهذا فقال يعنى بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمح بأداء
ما افترض عليه انتهى وتبعهما ابن الاثير فقال حسن بصبرى فقال هى الصبر عن المعصية والسماحة
على داء الفقر ثم قال الامر فى رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الصفات وفيه يوسف بن
محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبد الله بن عمير عن أبيه عن جده
اه قلت وذكر صاحب القوت انه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وفيه يوسف
به ضعيف هو وشيخ البيهقى وروى الدارقطنى عنه قال وبالله متوكل ثم ساق به ثم أنكر عليه هذا الخبر
وأما حديث عبد الله بن عمير عن أبيه وهو عمير بن وقد الليثى صحبة فاخرجه البخارى فى تاريخ الصغير
أفضل الايمان الصبر والسماحة ورواه الديلمى هكذا فى مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار
وعزاه صاحب القاموس فى كتاب الادب المفرد للبخارى بهذا اللفظ (وقال) صلى الله عليه وسلم
(الصبر كنز من كنوز الجنة) قال بعض فى عربيته أحد قصب وعليه شهد له مرفوعا بعدة أسانيد منكورة
وألفاظ من حديث على رضى الله عنه أربعة من كنز الجنة أحدها الصبر وكلمات الفرج وهى لا حول ولا قوة
الا بالله وهذا لا يدل كلمات الصبر فيحتمل أن يكون من كنوز الجنة بدل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصرى الصبر كنز من كنوز الجنة فلا يعرف

وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما بينا فى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما تكرهون خير لكم من ان تواتونى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فيكثر بعضكم بعضا ويكثركم أهل الشرك بعددكم ذلك فاصبروا واحتسبوا ظفر بكمال نواله ثم قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم الآية روى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال صبر وسماحة وقال أبو بكر كنز من كنوز الجنة

الاعمال ذكر بعده (وسئل) صلى الله عليه وسلم (مرة ما الايمان فقال الصبر) أى بجميع أنواعه لا تقيد ذكرها هنا ثم مرات الايمان وقد أحاله العراقى على حديث على الآتى ذكره المصنف فى الآثار ولفظه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا يخفى انهما حديثان متغايران فتأمل (وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة) وقد تقدم فى كتاب التوبة وفى كتاب الحج أى معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الايمان (وقال أيضا) صلى الله عليه وسلم (أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس) هكذا هو فى القوت وستعاود ذكره فى كتاب التوبة فقال ثم معنى ذلك أن يعمل فى قطع معتاد ان كان ثم ليصبر على مجاهدة النفس فى الهوى الذى به ثم قال فهذه الخصال من أفضل أعمال المريدين وأركانها مع معانيها تلهم النفس الاستعانة بذكرها وتقواه وهو يخرج من وصف الامارة بالسوء الى وصف المطمئنة الى الخلق الايمان وهذا أحد المعانى فى الصبر أو المراد بأفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس لان النفس تنكره خلاف الهوى والهوى صد الحق وبه تحب الخلق فصار حمل النفس على خلاف الهوى على وفق الحق لان محبة الحق من أفضل الاعمال اه وقال العراقى لأصل له مرفوعا وانما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب مجالسة النفس (وقيل لأحمد بن حنبل بم نلت ما نلت) بالزاى (فقال بالصبر) وفى نسخة بالخلاق (وقيل لأبى أيوب السختيانى بم سدت أهل البصرة) فقال (بالصبر) على الخلاق الله تعالى وتخلق بمعانى صفاته وأسمائه وما يحب منها وما يكره وفى حقيقة الصبر ذلك وما ذكره المصنف هو أحد معانيه الآتية وسيأتى الكلام على ذلك (وفى حديث عمر) بن أبى رباح التابعى المشهور (عن ابن عباس) رضى الله عنهم قال (لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (وكان مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يحب قربهم ودنوهم (نعم رسول الله ان شأنهم ما رأيت فما بالكم قالوا نشكر عند الرخاء) أى الرخص (ونصبر عند البلاء) أى الاختبار والشدة (ونرضى بالقضاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه البيهقى فى الزهد من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر عن عمر به (وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تنكره خير كثير) وفى نسخة على ما تكرهه خير كثير (وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون) وقد تقدم (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عائشة وفيه صبيح بن دينار ضعفه العقيلى اه قلت ورواه كذلك أبو نعيم فى الحلية من طريق صبيح بن دينار المذكور عن المعافى بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعافى (ولا خير فى هذا) الباب (مما لا يحصى) لكثرتها ومن ذلك ما رواه الديلمى بلا سند من حديث الحسين بن على رضى الله عنهما الصبر مفتاح الفرج والزهد فى الدنيا وروى الديلمى من حديث ابن عمر وابن عباس انتظار الفرج بالصبر عبادة وروى الطبرانى فى الكبير من حديث الحكم بن عمير الثمالى الصبر والاحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب (وأما الآثار) فى الصبر (فقد ورد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى) رضى الله عنه أرسلها اليه بمصر حين كان واليا بالبصرة (عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران صبر عند هجوم المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى أفضل من الصبر والتقوى بالصبر) رواه ابراهيم بن بشار الرمادى عن سفيان عن والد عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه وكان أبو موسى قد

أوصى الى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها اليه (وقال علي رضي الله عنه بني الاسلام على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل) ولفظ القوت وقد جعل علي رضي الله عنه الصبر ركنا من أركان الايمان وقرنه بالجهاد والعدل والايقان فقال بني الايمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل اه قلت وقد روى ذلك من حديث علي مرفوعا قال أبو نعيم في حليته حدثنا أحمد بن السندي حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا اسمعيل بن عيسى العطار وأحمد بن الحق بن بشر حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاس بن عمرو قال كنا جلوسا عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل من خزاعة فقال يا أمير المؤمنين هل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الاسلام قال نعم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاسلام على أربعة أركان على الصبر واليقين والجهد والعدل الحديث وهو صريح فيما تقدم نعته في كتاب الايمان ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاس عن عمرو ورواه نصر بن علقمة عن علي فقال الاسلام وزاد في آخره والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ورواه الحرث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قتيبة بن سعيد عن علي من قوله ورواه علباء بن أحمر عن عبد الرحمن عن علي من قوله هذا لفظه وبعضه الايمان موقوفا ورواه صاحب مسند الفردوس (وقال) علي رضي الله عنه (الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في ايمان لا صبر له) كذا في القوت ولفظه والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في ايمان لا صبر معه انتهى وقد روى قوله مرفوعا من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عمر بن راشد عن أنس وبريد ضعيف (وكان عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه يقول نعم العدلان) أي العدل (نعم العدلان) بكسرا من والد لل المهملتين وهو الحمل نفسه ومعنى كل منهما عدلان للآخر فهما كالزوجين فارس العدل يعادل الفارس والراجل يعادل الراجل وعدله بالكسر مثله من حيث معناه ومقداره (ونعمت العلاوة العلاوتين) يعني ما عدتين الصلاة والرحمة وما علاوة الهدى والعلاوة بالكسر (ما تحمل فوق العدلين على البعير) ويكون كعدل ثالث وفي مصباح متعلق على البعير بعد حمله من الاداوة والسطيحة والجمع علاوى (أشار الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) كذا في القوت وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه وبيقي في السنن وابن أبي الدنيا في الهراء عن عمر بن الخطاب قال نعم العدلان ونعم العلاوة الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون نعم العلاوة (وكان حبيب بن أبي حبيب) الحبلي أبو محمد المصري قرين ابن لهيعة صدوق يخطئ روى له الترمذي (قرأ هذه الآية ما وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) يعني داود عليه السلام (يكثر ويقل وعطاء أعطى وأتى أي هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه) ولفظ القوت وأثنى على أعمال عبده فقد أثنى على من عمل أعمالهم من خلقه (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (درجة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو ربيع وداود بن رشيد قالا حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان حدثني بريد بن رشيد الهمداني عن أبي عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول درجة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فلنأس

وقال عمر نعم العدلان ونعم العلاوة الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول ما أعطي أحد عطاء خيرا من الصبر وما أعطي أحد عطاء شرا من الجزع وقال علي رضي الله عنه الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب فمن صبر على ما تكره جزع ومن صبر عما تحب سلا وقال أبو الدرداء درجة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فلنأس

حيث لم يعرف نفس الاعتبار ولا تفهمه لا عندهم حقيقة الصبر ومعناه ولا معرفة مصبره ورتبته معرفة صحيحة فلا يخلص قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه ورتبته توفيق

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الصبر مقام) شريف (من مقامات الدين) وهو اى مقام من مقامات السالكين (ومنزل) منيف (من منازل السالكين) فى طريق الحق لا يستغنى عنه سالك البتة الا رجل انسلخ من عقله اى حصرة ربه فان هذا امر لا يعرفه ولا يدرى وجوبه الى ان يرجع الى بشريته و بدايته (و جميع مقامات الدين لا تنتظم من ثلاثة أمور معارف و أحوال و أعمال) وذلك لان المقامات كلها من الايمان بالله وبالله كما دل عليه قوله تعالى فى حم عسق و يؤمنون والايمان بالله وبالله عقود كثيرة لا نهاية لها هى ما اشرنا اليه فى أول كتاب التوبة وكل عقد من هذه العقود أصل ولذلك الاصل فرع فالفرع ثمرة (فالمعارف هى الاصول) الثابتة فى القلوب التى ثمرتها تنتهى الصبر والاعتبار (وهى تورث الاحوال) التى هى الاصول وربما تثمر تلك الاحوال أحوالا لها بسبب ما جبلها عليه من محبة معادتها وكمالها (والاحوال تثمر الاعمال) التى هى سلوك لاحوال سارا هى الاعمال الناشئة عن أحوال القلوب وهى اعنى الكمال المطلوب هو الاصل الذى هو عقد من عقود الايمان بالله وبالله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشأ عنه المواجيد على نعت الدوام من الاعمال (فالمعارف كالاشجار) فانها ثابتة فى القلوب كثبوت الاشجار فى الارض (و الاحوال كالاغصان) فانها تنشأ من تلك الاشجار (والاعمال كالثمار) فانها تنشأ من الاغصان وقد بين ذلك قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية وتقدمت الاشارة اليه فى أول كتاب التوبة (وهذا مما يرد فى جميع منازل السالكين الى الله تعالى و جميع الايمان بالله وبالله (فانها تختص بالمعارف) فقط لانها هى الاصول (و بالله تعالى هى تنشأ) أى عنها مع ما ينشأ عنها ويثمر منها (كما ذكرناه فى اختلاف اسم الايمان والاسلام فى كتاب قواعد العقائد وكما ذكرناه فى كتاب الصبر) من ان عقود الايمان بالله وبالله (لا يتم الا بمعرفة ثلاثة أمور) تنشأ عن تلك المعرفة هى كالثمرة لها (فالصبر الحقيقى عند علمائه) عن تلك المعرفة (و عنده هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين) الموجودات (و الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاص بنوع الانس بل تركيبه من طرفى مشابهة الملائكة و البهائم (فلا يتصور ذلك فى البهائم و الملائكة أما) عدم تصوره (فى البهائم فلنقصانها) وتسفل درجتها فى بعض الجزئيات عن البهائم فان الحى هو الذى له فعال وفى ذوات البهيمة نقص وفى فعلها نقص أما ذواتها فلنقصانها به مقصور على الحواس وادراك الحس قاصر لانه لا يدرك الاشياء الا بمماسة أو بقرب منه فحس معزول عن الادراك ان لم يكن بمماسة ولا قرب فان اللمس و الذوق يختصان بالمماسة والسمع و البصر والشم يختصون بالقرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب فالحس معزول عن ادراكه فى هذه الحالة وأما فعلها فسيأتى فى سياق الوصف قريبا (وأما) عدم تصوره (فى الملائكة فلكمالها) وعلو درجتها (و بيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مقهورة) أى مقادة (لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ذلك قوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا) وهو اشارة الى نقصانها فى فعلها (وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية و لانتهاج سبيل القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة وقاطعة عنها حتى تحتاج الى مصادمتها بالصبر فيها عن) مطالعة (حضرة الجلال بعد

آخر

آخر يعتب الصوارف وأما الانسان فهو خلق فى تشد ما تحته تفاصيل لهيمة يخلق فيه الاشهوة بعد ما لدى ويحتاج فيه ثم تظهر فيه شهوة المعاش ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر عنه دائما بل يصبر عنه وقتا ثم يحدث حرقة فتقال بينهما تصادم تقتضيانهما ومعالجهما وليس فى بهيمة الاحد الهوى فى البهائم ولكن لله تعالى عصمة وسعة جوده أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن رتبة البهائم فوكل به عسكرين أحدهما يهديه والآخر (٦) ... طوع ملكين أحدهما يهديه والآخر

حوى يعتب الصوارف) وتقدسه عن الشهوة كالبهائم (للقرب الى الله تعالى (وأما الانسان) فهو خلقه متوسطة بين الدرجتين فكانه مركب من بهيمة وملكية (فهو خلق فى ابتداء امره يشابه البهيمة) أى فى الادراك فليس له منه الا الحواس التى يحتاج فى ادراكها الى علف يتقرب فى محسوس كالبهيمة والحركة الى ان يشرق عليه نور العقل المتصرف فى ملكوت السموات والارض من غير حاجة فى حركة بابدان وعلف يقرب أو مما يسمع يدرك به من مدركات الامور البعيدة عن درجة العقل والقرب وبعد ما يكمل (بحيث فيه الاشهوة بقاء الذى هو محتاج اليه) فهى مستودعة فيه (ثم يظهر فيه شهوة المعاش فى الثانية) فى انتهاء دلك يظهر فيه شهوة الغضب بحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون ابتداؤه (ثم شهوة النكاح على الترتيب) فى أن يظهر فيه الرغبة فى طلب الاكل والمعاش لنفسه وغضب مقتضى تلك الشهوات (وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات حدث معارضه حدث آخر قوى فقال بينهما تصادم مقتضياتهما ومطالبهما وليس فى بهيمة الا حد الهوى فى البهائم) يدعو الى فعل ملائمه الشهوية (ولكن لله تعالى بفضله وسعة جوده) وكرمه (أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم) ادور حصهم بالكمال فى الادراك وهو العقل (فوكل به) أى بكل واحد منهم (عند كمال فطرته بلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فيهديه الملكى عن البهائم واختص احدهما بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله و) الثانية (بمعرفة مصالح المعاش وكل ذلك حاصل من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة بعوض بل فى مقتضى شهوتها فى الحال وقد يطلب لا للدين بل للدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال ولا تعرفه فيطلب الانسان مسورا بهذه يعرف أن اتباع الشهوات له معاب مكروهة فى المعاد) واكن لم يكن هذه الهداية كافية مالم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر كمن مضر بعرفه الانسان كالمريض الذى يعرف له مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه وقهره فتقدر له قدرة وقوة يدفع بها شر تلك الشهوات فجاهده حتى قطع عدوه) من أصله (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بحنوده) ناصة (لم تروها وشرهد احد قتال الشهوات قتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما نورا هدى به) وانعم (كما يختلف فى الخلق الخلقة لا يحصر قسمها هذه الصفة التى ذكرت للانسان فهو فى قمع الشهوات وقهرها على هذا الترتيب) يكون تلك القوة تبعث الى أمور لدين (وقسم مطاعة الشهوات بتقضياتها تبعث الهوى) فكون تبعث الهوى النفس (وايهما غلب قام به باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال) أى متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أى ميدانه ومحله (قلب عبد وباعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الايمان بالله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عدو النفس والشيطان والشهوات للعبد وتعريفه والملك الهام للخير وان الشهوات والنفس من حزب الشيطان ومعرفة هذا العدو ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى

يقويه فتميز بهويه الملكى عن البهائم واختص احدهما بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصلاح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة بعوض بل فى مقتضى شهوتها فى الحال فقط وقد يطلب لا للدين بل للدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال ولا تعرفه فيطلب الانسان مسورا بهذه يعرف أن اتباع الشهوات له معاب مكروهة فى المعاد واكن لم يكن هذه الهداية كافية مالم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر كمن مضر بعرفه الانسان كالمريض الذى يعرف له مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه وقهره فتقدر له قدرة وقوة يدفع بها شر تلك الشهوات فجاهدها حتى قطع عدوه من أصله فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بحنوده لم تروها وشرهد احد قتال جند الشهوة قتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما نورا هدى به أيضا يختلف فى الخلق الخلقة لا يحصر قسمها هذه الصفة التى ذكرت للانسان فهو فى قمع الشهوات وقهرها على هذا الترتيب يكون تلك القوة تبعث الى أمور لدين وقسم مطاعة الشهوات بتقضياتها تبعث الهوى فكون تبعث الهوى النفس وايهما غلب قام به باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى

وحرمه وهذا لانسان واجب لانه يعني عنه سالك لطريق الله تعالى (قال صاحب عمارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث شهوة فان ثبت) هذا الباعث (حتى قهره) أي باعث الشهوة (واستمر على مخالفة الشهوة حتى قصر حرب بعضها بعضا وصار) ترويضه لها في حواره ومنعه بعضها عن بعض (وان تعاند وتمنع حتى غلبه شهوة ثم استمر في دفعها حتى ذهب باتباع الشياطين) وسمي عليه بسبب الابعاد عن حضرة رب العالمين (فدائرة الافعال الشهوية تحمل ثمرة حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حتى تثمرها معرفة بعدوة الشهوات ومضادتها لاسباب سعادات الدين والآخرة قوي يقينه أي معرفته التي تسمى علما وهو اليقين يكون الشهوة عدوا قاهرا بطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين وادا قوي ثباته ثبت الافعال على خلاف ما تقتضيه الشهوة ولا يثمر ثبات الشهوة لا قوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة ولا يثمر تقهقر الشهوات وضعفها الا كان هذا الكلام بين الحسنين بدأ الله تعالى وتصويرها ما هما وهما من يكرم الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين وقد عرفت ثبات ذلك الهادي أعني من رتبة الثبات القوي لم يخف عليك أن صاحب اليمين الذي هو أشرف الحسنين من حيث الدست ينبغي أن يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في أفعاله والمكر وفي الاسترسال والمعاندة فهو بالفعلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه عنه (سيئة واحدة بالمكر مقبل عليه بالتسديد فهو بالفعلة الهداية فهو به محسن فيكتب له بقابلته حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار بترك الاستمداد منه فهو به مسيء فيه فيثبت عليه سيئة وبالفعلة المعاندة مستمد من جنوده فيثبت له بها حسنة) وفي نسخة ثبت (هذه الحسنات والسيئات ما تتم عند ذلك بما كرام الكاتبين أما كرامهم وارتفاع العبد بكرمهم ولان الملائكة كلهم كرام بررة)

وحرمه وهذا لانسان واجب لانه يعني عنه سالك لطريق الله تعالى (قال صاحب عمارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث شهوة فان ثبت) هذا الباعث (حتى قهره) أي باعث الشهوة (واستمر على مخالفة الشهوة حتى قصر حرب بعضها بعضا وصار) ترويضه لها في حواره ومنعه بعضها عن بعض (وان تعاند وتمنع حتى غلبه شهوة ثم استمر في دفعها حتى ذهب باتباع الشياطين) وسمي عليه بسبب الابعاد عن حضرة رب العالمين (فدائرة الافعال الشهوية تحمل ثمرة حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حتى تثمرها معرفة بعدوة الشهوات ومضادتها لاسباب سعادات الدين والآخرة قوي يقينه أي معرفته التي تسمى علما وهو اليقين يكون الشهوة عدوا قاهرا بطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين وادا قوي ثباته ثبت الافعال (على خلاف ما تقتضيه الشهوة ولا يثمر ثبات الشهوة لا قوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة ولا يثمر تقهقر الشهوات وضعفها الا كان هذا الكلام بين الحسنين بدأ الله تعالى وتصويرها ما هما وهما من يكرم الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين وقد عرفت ثبات ذلك الهادي أعني من رتبة الثبات القوي لم يخف عليك أن صاحب اليمين الذي هو أشرف الحسنين من حيث الدست ينبغي أن يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في أفعاله والمكر وفي الاسترسال والمعاندة فهو بالفعلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه عنه سيئة وبالمكر مقبل عليه بالتسديد فهو بالفعلة الهداية فهو به محسن فيكتب له بقابلته حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار بترك الاستمداد منه فهو به مسيء فيه فيثبت عليه سيئة وبالفعلة المعاندة مستمد من جنوده فيثبت له بها حسنة) وفي نسخة ثبت (هذه الحسنات والسيئات ما تتم عند ذلك بما كرام الكاتبين أما كرامهم وارتفاع العبد بكرمهم ولان الملائكة كلهم كرام بررة)

كما وصفهم الله تعالى بذلك وهم كما وصفوا (وأما الكتابان فلا شك أنهما حسنات وسيئات) في صحائف أعمال العباد (والكتابان في صحائف مطوية في سراقات) أي مدة (ومطويتان عن سر الخلق حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فاتحهما وكاتبهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من جملة ما غيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عند من مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي القيامة الكبرى حالة الخلائق فلا يكون وحده بل يكون بحاسب على ما لا من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى وجميع أهوال القيامة الكبرى تقطير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض هي الاهوال أعني الخاصة بتلك زلزال الساعة شيء عظيم ألا ترى أن زلزلة الارض اذا وقعت بمدينة صغيرة فيقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل بلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه بها ينصرم عمره وزلزلة جميع الارض زلزلة مسكنه لا زلزلة مسكن غيره فخصصت من زلزلته وعرفت من غير نقصان واعلم أن أرضي محفوف من التراب وحفظ الخاص من التراب بدنك فقط فما دام غير زلزل فليس بخسف والارض التي أنت متمكن عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان) لحلولك فيه (وانما تخسف من تربته ان تزلزل بدنك بتسويته ولا فهو وأنت لا تشعر به) ولا تعني به (اذ ليس يتزلزل بدنك بخصوصه زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وتراب الخاص بدنك وحفظ من حال أرضك) أي غيرها فصلا تنهار بالاضافة في حقك (وأطراف الجبال أرضك) لارتفاعها كارتفاع الانجم (ورأس السماء أرضك) عبارة عن العلو كعلو السماء (وقعر البحر أرضك) أي عمرانها في البعد في تحويرها (وجميع ما يمرك ويمر حواسك من ظاهره يحوم

(فاذا انفطرت) أي انشقت (ومحض العرق من بدن) أي عرقه في سبعة أهوال (وشعورك) منبتة في الجلد (بمثابة أرصاف) أي شيء لها في النمو (وهكذا باقي جميع أجزائك) وقد أشار إليه بنصف في كتيبة السعادة فقال إن بعض أن آدم مختصرة من العالم وهو من كل صورة في العالم أترصه لان هذه العظام كالجبال وجمعه كالتراب وشعره كالنبات وروحه مثل النسيم وحواسه مثل الكواكب (فاذا هدمت بيوت أركان بدنك وفقدت قدرات الأرض وزلزلتها) أي اضطرابها المقدرة (فاذا فصل لعظام واللحوم) من بعضها (وقد حملت الأرض وحملت قد كنا كه واحدة فاذا أرمت العظام) أي بليت وتفتت (وقد سمعت الجبال دكا دكا) يشير بذلك الى قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وفي سعة وقد سيرت الجبال سيرا (فاذا أعدم وقد عدوت وقد كورت الشمس تكويرا) أي ذهبت من كورت العمامة اذا لففتها سميت بذلك لان الرأس اذا أدير عليه ملف أو غيره ذهب (وشققت السماء وزالت زرقتها) (وفاعلل جعلك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا) أي أظلت وانقضت (فاذا تشققت وماعت فقد انشقت السماء انشقاقا) أي صارت شققا شققا (وشققت السماء (فاذا انفطرت من هول اليوم عرقك حينئذ) وذلك عند ما يوضع الحساب لا عرق لا عند معاينة الهول ولا هول أعظم من اليوم (فقد حرت بحر تفجيرا فاذا النبت احدى سابقتك بالاخرى وهما معطيات فقد عطلت العشار) أي تركت مهملة والعشار هي النوق اللاتي أتى عليهن عشرة أشهر جمع عشراء (فاذا وقعت الروح الجسد فقد حملت الارض حملها) أي سمعت بان تراب جسدها وأكلها (حتى ألقت ما فيها) أي في جوفها (وتخلت) أي تكلفت في الخلو فصار جسدها حتى عريق شيء في جوفها (وسمعت أطول جميع مدارة الاحوال والاهوال وانكسى أقول لمعرد اليوم تقوم عليك هذه القيامة الصغرى) وتعبر هو هذا (ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما تحصل لك ما يخص عبرتك) أي (فانه الكواكب في حق عبرة ما ابتعلت وقد انكدرت حواسك التي بها تتشعشع بالنور الى الكواكب والاعمى) الذي ذهب بصره (يسوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس واختلاؤها لانهم قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالاختلاء به دذلك حصة غيره) من براه (ومن انشق رأسه فقد انشقت سمائه فاذا انشقت سمائه عبرة تمت على جهة الرأس) لسموه أي علوه وارتفاعه ولذا سمي الحجاب سمكا وهذا لا عتبار (فان الرأس له الاسم به فمن يبقه فقد أبقى سمائه لعبرته فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أصل ذهول عند موتحر ودلك اذا جاءت القيامة الكبرى وارتفع الخصوص وعمت الاهوال وعم

وغيرها

أن هذه الصغرى وان هو في وصفها اتم بذكر عشر عشير وضابطها وهي ما نسبته الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الرحم فهو في قرار مكين الى قدر معلوم والثانية خروجه من بطن أمه الى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم (وسعته) وسعة (قيامه الكبرى في خصوص القيامة الصغرى كسبعة أيام في سعة فضاء الرحم وسبعة أيام الذي يقدم عليه بعد ما يموت الى سعة فضاء الدنيا كسبعة أيام في سعة فضاء الرحم بل أوسع وأعظم نفس الآخرة بالاولى) قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما نشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل أضعاف مضاعفة لكن النشأتين محصورتان في النشأتين) فالاولى والثانية (وبينه الاشارة بقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فالقرآن بالقيامتين) الصغرى والكبرى (مؤمن بهما معرب بالشهادة وموقن بهما ومقر بالكون والبعث وبالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين) عالم الملك فقط (وذلك هو الجهل والضلال والاقتصار على العور والخيال) وهو مسوح العين اليمنى كما ورد ذلك في الاخبار (فأما عالم الملك والملكوت وكذا ذلك المكلف) فبصرت العقل على صائر بالعين (وكبد تعالى وبين بديك هذه الاهوال) والمخاوف (فلا كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى وهي الجهل والضلال) والغوغاء عند الخيال (فلا كفضل دلالة الآية على القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كفى بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وبن ابي الدنيا من حديث ابن عمر وهو ضعيف ورواه ابن عساكر من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في سبعة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في الامالي من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كفى بالموت واعظا وكفى بالدنيا شغلا ولفظ البيهقي بعبادة شغلا ولفظ القضاعي وحده واعظا كفى بالموت واعظا وكفى بالدنيا شغلا ورواه ابن عساكر في الامالي من طريق عيسى بن ابراهيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كفى بالموت واعظا وكفى بالدنيا شغلا وعند البيهقي في الزهد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى بالدنيا شغلا ورواه ابن ابي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلا كفى بالموت مرهبا وفي لفظ واعظا وكفى بالدنيا مشغلا ورواه ابن ابي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلا كفى بالموت مرهبا ورواه ابن ابي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلا كفى بالموت مرهبا وفي لفظ واعظا (وما سمعت بكرته صلى الله عليه وسلم عند الموت وقوله ان للموت سكرات وما الموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون علي محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه في ليومه والليلة وابن سعد من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت (وما سمعت عن ساعة كثرة هموم الموت) وساعة (عند وقوع البصر على الذين لا يبصرون) ولفظ اشتد بلال ما يبطرون أي لا ينتظرون (لا صيحة واحدة) هي صيحة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يخطر ببالهم شر يقوم عليهم أو خصم يخاصمهم (وهم لا يستطيعون توصية) من شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) ويرادفهم (ولا يستطيعون حيث تبغتهم (فيأتيهم الموت بدراس الموت) أي محوه ومنه (ولا يرجعون) ولا يعطون (ويأتيهم الشاب رسولا منه) بنزع أرواحهم (فلا يصدقون) ولا يستهون (فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) قال مستهزئ ما صح فيخلص الموت بعضهم خير الدارين فحق ان يحسر ويتحسر عليه (أفيشاهدون أنهم في الدنيا خالدون ألم يروا) أي ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة هلاك الناس قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (ثم

بل أوسع وأعظم نفس الآخرة بالاولى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما نشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل أعداد النشأتين محصورة في النشأتين فالاولى والثانية محصورة في نفس واحد الاشارة قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فالقرآن بالقيامتين مؤمن بهما معرب بالشهادة وموقن بالكون والبعث ومقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتصار على العور والخيال في أعظم عالمي الملك والملكوت وبين يديك هذه الاهوال والمخاوف كيف لا تؤمن بالقيامة الكبرى والجهل والضلال فلا كفضل دلالة الآية على القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا وما سمعت بكرته صلى الله عليه وسلم عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون علي محمد سكرات الموت وما استحى من استطالة هموم الموت عند وقوع البصر على الذين لا يبصرون بصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ولا يستطيعون توصية ولا

الى أهلهم يرجعون فيأتيهم الموت بدراس الموت ولا يرجعون ويأتيهم الشاب رسولا منه فلا يصدقون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فيطلبون أنهم في الدنيا خالدون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون ثم

محصورون ان الوفى ـ فرد من عندهم فهم معدودون كلا (كل لدينا جميع لدينا محصرون) يوم القيمة للحساب (ولكن ماتيتهم من آية من آياتربهم الا كانوا عنها معرضين) لاعتقادهم على العناد وتمرنهم عليه (وذلك لانا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى قد أحطنا بهم سدا (فأغشيناهم) أى غطينا على أبصارهم (فهم لا يبصرون) قدامهم ووراءهم فهم محسوسون فى مطموزة الجهالة ممنوعون عن البصر فى الآيات والدلائل (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولما رجع الى تعريض من تعريض فى تلويحات تشير الى أمور وهى أعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكون شئ على البهائم والمجانين وقد ذكرنا ان حسنة لا تدل على الاستفادة مهما والسيئة فى الاعراض عنهما ومالا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمرى انه قد تظهر مبادى اشراق نور الهداية عند تمرس التمييز وتتمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى أن يطلع وقرص الشمس وانكشافه هذا يشير الى مصارالآخرة الى الصبر على ترك الصلوات تأديبا وتعزيرا ولا يعاقب على تركها فى الآخرة ولا يكتب عليه من عجائب مايبشرى الآخرة فى على القسم العدل والولى البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الاخيار أن يكتب على الصبى سيئته وحسنته على نحو ما يكتب عليه فيكتبه عليه ملخصا ثم يشيره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب (كما يضمون الخراساق (فكل ولى عند الله فى حق الصبى فتقدورت خلاق الملائكة واستعملها فى حق الصبى فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين) من عباده الصالحين (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار الى أصبعيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم) رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن حبان من حديث سهل بن سعد ملتقا أنا وكافل اليتيم فى الجنة وأشار بالسبابة والوسطى وقد تقدم ورواه أيضا الطبرانى فى الكبير من حديث أبى امامة وروى أبو يعلى من حديث عائشة أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى الحديث وفيه بشر بن نمير متروك فيه وروى عبد الرزاق والحكيم والعقيلى والبيهقى وغيرهم فى مكارم الاخلاق وذكر عبد الكريم وزيد بن منيعة البهزية عن أبيها أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين فى الجنة وأشار بأصبعه المسبحة والوسطى

(باب كون الصبر نصف الايمان)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الايمان نوره يختص فى اطلاقه بالتصديقات باصول الدين) وهى

بالضرب وحكم له هذا منه فى حق الصبى فتقدورت خلاق الملائكة واستعملها فى حق الصبى فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين والبه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار الى أصبعيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم *(باب كون الصبر نصف الايمان)* اعلم ان الايمان نوره يختص فى اطلاقه بالتصديقات باصول الدين

المعارف (وتارة) يختص بالاعمال الصالحة الصادرة عن (بالاعمال الصالحة الصادرة عن) أي عن تلك الصديقية (وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف والاعمال أثواب) كثيرة (وللاعمال الصالحة الايمان على جميعها) بالاعتبار الثاني (كان الايمان بضعا وسبعين بابا والحياء شعبة من كل منها كما ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ويكون نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) أن يطلق على التصديق بالقلب والاعمال جميعا (١٥) ويكون الايمان كما أحد شطريه باليقين

والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عند اقبال المحبوب الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين الذي هو أقوى المعارف المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والشهوة فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره

(الاعتبار الثاني) أن يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يتقرب به العبد الى الله تعالى في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهو معنى قول ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) كذا في الحلية وغيرها البيهقي نحوه (وقد يرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم (وقد كان الصبر صبرا عن الوقوع في باعث الهوى فمن باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة تطلب المليذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم هذا الاعتبار (الصوم نصف الصبر) كما ورد في حديث أبي هريرة وتقدم (لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم صبرا

المعارف (وتارة) يختص في اطلاقه (بالاعمال الصالحة الصادرة عنه) أي عن تلك الصديقية (وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف والاعمال أثواب) كثيرة (وللاعمال الصالحة الايمان على جميعها) بالاعتبار الثاني (كان الايمان بضعا وسبعين بابا والحياء شعبة من كل منها كما ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ويكون نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) أن يطلق على التصديق بالقلب والاعمال جميعا فيكون الايمان كما أحد شطريه باليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عند اقبال المحبوب الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين الذي هو أقوى المعارف المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والشهوة فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره

(الاعتبار الثاني) أن يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يتقرب به العبد الى الله تعالى في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهو معنى قول ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبت باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة تطلب المليذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم هذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم صبرا

الاعتبار رفع لايمان فهكذا ينبغي أن يفهم تقدير الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة * (بيان الاسامي التي تتعدد للصبر بالاضافة الى ماعنه يصبر) *

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الصبر) في اللغة الحبس والكف في ضيق ومنه قتل فلان صبرا اذا حبس وحبس للقتل فهو صابر وصبر بمعنى واحد مع بعض خصوصيات وهم الآية أي احبس نفسك معهم وهو (صبر ان صبرت سمي) ويقال له الحمي أيضا ودلك (كتحمل المشقة والمذلة ونحوهما عليه) على قدر قوة الدين وشهامته معاونة أكثره النوى الجسوم الخشنة ولبس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال بعض الحكماء

وصبر بالارواح يعرف فضله * صبر البرايا وبس بالاجسام

(وهو ما فيه كلفة على الاعمال الشاقة مامن العبادات) كالصوم حتى ترم وحده لاء أو يصوم مواصلا حتى تضعفه فوقه (أومن غيرها) كالشي الكثير ورفع الحجر الثقيل (وما بالاحتمال) وهو لاتعلقه (كالصبر على مصيبات الدنيا) بأنواعه (والصبر على الطاعات) ودلك (يكون محمودا اذا وافق الشرع) وامتثل أوامره (وليكن المحمود) تاما (هو الصبر الآخر وهو الصبر عن) مشتهيات (النفس) وشهواتها (ثم هذا الصبر) ان (كان عن) تناول (شهوة البطن والفرج سمي عفة) فالعفة لاتتعلق الا بقوى الشهوة ولا تتعلق من قوى الشهوة الا بالذائقين اللذين هما البطن والفرج دون ذلوات الخمسة والالحان الطيبة والاشكال المتقنة والروائح الطيبة التي تتعلق بها القوة المسماة بالشم فهو لاء مقربون ومن اتفق لهم ما يكون حاصلا لهم ويعدون وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح (وان كان عن احتمال مكروه) وهو الصبر الشديد وهذا قد (اختلفت أسماؤه عند الناس باختلاف المكروه الذي عنه يصبر فان كان) في مصيبة فالصبر على اسم الصبر وقد يخصه العامة بسمي الجزع والهلع وهو اضطراب قوى النفس لاستيلاء قوى الهوى (وان كان) دلك (في حرب) ومقاتلة (سمي الجزع والهلع) والحرب (هو اضطراب قوى النفس لاستيلاء قوى الهوى بسبب وقوع الصوت وضرب الحدود) وشق الجيوب وغيرها (وان كان) دلك (في احتمال سمي) فقد (سمي ضبطا نفس وعبارة عنه سمي صبرا) وقال بعضهم صبر نفس في تسميتها الصبر يقال في الاسيرة صبرته وقال بعضهم ليس هذا في الاسماء المترادفة على معنى واحد (وان كان) دلك (في حرب ومقاتلة سمي نجدة وبصادة فان كان في كلام و) هو امساك النفس عن قضاء وطر (الغضب سمي حلما وبصادة الحصر) بالحاء المهملة (وان كان في بذل لسان والطعمة سمي سخاء وبصادة التقتير وان كان) دلك (في ناشئة من نوائب الزمان سمي سعة صدر وبصادة ضجر وانقباض وضيق الصدر وان كان في الخفة والكلام) وامساكه في الصمت (سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما) وبضده الافشاء (وان كان من فضول العيش سمي زهدا وبصادة الحرص وان كان صبرا

اعلم ان الصبر ضربان أحدهما صبر على ما يحمل المشقة والالم عليها وهو اما بالفعل كالصبر على الاعمال الشاقة مما من تعبد ت أو من غيره واما بالاحتمال كالصبر على المصيبة الشديدة والمرض العضيم واخراج المال والولد وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو صبر النفس عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم ان الصبر ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان عن احتمال مكروه اختلفت اسماؤه عند الناس باختلاف المكروه الذي عنه يصبر فان كان في مصيبة فالصبر على اسم الصبر وقد يخصه العامة بسمي الجزع والهلع وهو اضطراب قوى النفس لاستيلاء قوى الهوى بسبب وقوع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوها وان كان في حرب ومقاتلة سمي ضبطا للنفس وتشدده العامة بسمي الضطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي نجدة وبصادته الخور وان كان في كلام سمي كتمانا للسر والغضب سمي حلما وبصادته التهور وان كان في ناشئة من نوائب الزمان سمي سعة صدر وبصادته الضجر وانقباض وضيق الصدر وان كان في الخفة والكلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان من فضول العيش سمي زهدا وبصادته الحرص وان كان صبرا

على قدر يسير من الخطوط سمي قاعقو بصاده مشربة كثيرة الاعمال داخل في الصعر وبه سمي علي عليه السلام صعرة عن الاعجاب قال هو الصعر له أكثر أعماله وأعراضه كما قال جمع عرضه وقد جمع الله تعالى أقسام الصعر في آية واحدة أي المصابة بالصعر أي الكبر بأن صدقوا أولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصعر باختلاف متعلقاتها ومن تأمل المعاني من الاساسي يظن أن هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها حتى رأى الاساسي مختلفة فوائد طريق

(١٧) الاساسي

(على قدر يسير من الخطوط سمي قاعقو بصاده مشربة كثيرة) محركة (الاعمال داخل في الصعر وبه) أي بالصاد (سمي علي) رضي الله عنه (عليه السلام صعرة عن الاعجاب قال هو الصعر له) أكثر أعماله وأعراضه (كما قال جمع عرضه وقد جمع الله تعالى) (في آية واحدة) (فقال وتصعر خدك للناس) أي لا تعرض عنهم تكبرا (ولا تصعر) أي لا تمل (خدك للناس أي لا تتكبر عليهم) (ولا تمش في الارض مرحا) أي متكبرا (ان الله لا يحب كل مختال فخور) (فقد جمع الله تعالى أقسام الصعر باختلاف متعلقاتها) (ومن تأمل المعاني من الاساسي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها حتى رأى الاساسي مختلفة) (وهذا الصعر قاصر) (والذي يسلك طريق الاستقامة ويصير سيرته) كما قيض له على الصعر به (فلا يلتفت ولا يلتوي في حقائقها) الاصلية (ثم يلاحظ ما يتعلق بها من المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد وأن يزل والى هذا الصعر تشير الاشارة بقوله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم فاذا كان لم يعلم ما يتوجه اليه فكيف يعلم ما يتوجه اليه فلا كانت هذه الاحوال كلها كانت سائل الله حسن التوفيق بكرمه وفضله آمين)

(بيان أقسام الصعر بحسب اختلاف القوة والضعف)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احداها ان يقهر داعي الهوى) ويقمعه مرة (ولا يبقي للهوى منازعة) مع باعث الدين أصلا (ويتوصل به الى دوام الصعر في أحواله كلها) (وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاولون) لانهم هم الصديقون (والمقربون الذين) وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين (قالوا ربنا الله) ثم استقاموا على هذا الامر وانتزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف) بمقتضى باعث الدين (ويتبرأ نفس الامارة بالسوء) وهي التي (فيها بقية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتستظهر بالكلية منازعة باعث الدين الى حد ما) (فيستولي عليها) (ولا يجاهد لله حق جهاده وهؤلاء هم المغلوبون) (الا نفسهم (وهم لا يكثرون وهم الذين اسرفوا على أنفسهم) أي غلبتهم وجعلتهم كالاسراء (وعلت عليهم شقوتهم) وسوء حظهم (فكلموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والراد بها القلب لرقيقة اللطيفة المعنوية بدليل قوله (وأمر من أوامره وانبهم لاشارة بقوله تعالى ولو شاء الله لاتبعوه

(٢ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) (وتستووا على الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف) بمقتضى باعث الدين وايأهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية *(الحالة الثانية)* (ان تغلب دواعي الهوى وتستظهر بالكلية منازعة باعث الدين نفسه الى حد ما الشيطان ولا جاهد لله حق جهاده وهؤلاء هم المغلوبون وهم الذين اسرفوا على أنفسهم شهواتهم وعلت عليهم شقوتهم فكلموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أوامره وانبهم لاشارة بقوله تعالى ولو شاء الله لاتبعوه

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وضل عنهم ما كانوا يفترون عمي قلوبهم عن ذكره فلم يرد لإحياء الدين ذلك سبيلهم من نعم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية ما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أمشي إلى التوبة وكم تعذرت علي قلت أطمع فيها ولم يكن مشى قط إلى التوبة ولكن قال إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة إلى التوبة وهذا الكيس قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كالمسلم أسير في يدي الكفار وهم يستخدمونه في رعاية الحمار وربطه بالجدار وحفظ العدو وحملهم على عبادة الله تعالى محال من يقهر مسلما ويسبيه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لأنه يعلم حقيقة أنه محروم ما كان حقه أن لا يستحق ويسلط عليه ما حقه أن يتسلط عليه وكذلك لا يستحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أرجح من حق غيره عليه فهما محرم المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وحده الأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وقد كمل لما لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم) وبارت تجارتهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بنسيان لوحي (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية ما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه) أي حاسبها (وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور (وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أمشي إلى التوبة وكم تعذرت علي قلت أطمع فيها ولم يكن مشى قط إلى التوبة ولكن قال إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة إلى التوبة وهذا الكيس قد صار عقله رقيقا) أي مملوكا (لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كالمسلم أسير في يدي الكفار يستخدمونه) أي يستعملونه (في رعاية الحمار وربطه بالجدار وحفظها) من موضع إلى موضع (وحمله عبادة الله تعالى محال من يقهر مسلما ويسبيه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لأنه يعلم حقيقة أنه محروم ما كان حقه أن لا يستحق وسلط من كان حقه أن يتسلط عليه وكذلك لا يستحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أرجح من حق غيره عليه فهما محرم المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وحده الأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وقد كمل كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم) وبارت تجارتهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بنسيان لوحي (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية ما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه) أي حاسبها (وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور (وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أمشي إلى التوبة وكم تعذرت علي قلت أطمع فيها ولم يكن مشى قط إلى التوبة ولكن قال إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة إلى التوبة وهذا الكيس قد صار عقله رقيقا) أي مملوكا (لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كالمسلم أسير في يدي الكفار يستخدمونه) أي يستعملونه (في رعاية الحمار وربطه بالجدار وحفظها) من موضع إلى موضع (وحمله عبادة الله تعالى محال من يقهر مسلما ويسبيه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لأنه يعلم حقيقة أنه محروم ما كان حقه أن لا يستحق وسلط من كان حقه أن يتسلط عليه وكذلك لا يستحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أرجح من حق غيره عليه فهما محرم المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وحده الأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكذلك قوله تعالى

غفور رحيم (على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى) من تحريمه على الجملة الناشئة (وتتركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشهوب بالانعام بل هم أضل اذ البهيمة مخلى بها المعرفة وقدرة التي هم بمجاهدة مقتضى الشهوت وهذا قد خلق له وعطله) أي أهمله (فهو الناقص حقا القادر يقينا والدلالة قيل

(ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام)

وفي نسخة بقصائد شيأ فيه فمع بذي العقل ان يكون بهيمة وقد أمكنه ان يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه ان يكون ملكا وان يرضى بقيمة معرة وجيفة مستردة وله ان يحدث بقية بحارة وجيفة مؤبدة (ويقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر فما شق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بالاجتهاد جهيد وتعب شديد يسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بأدنى حيلة على أدنى وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اياه (اعياء ولا عوب) أي تعب (ولا تضرب في نفسه ولا يبهر) أي لا ينقطع نفسه من الضعف (ولا يقوى على ان يصرع شديدا الا تعب ومرض جهد وعرق حمى) وهو كناية عن الشدة (فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشيطان ومهما ما قمعت الشهوات وقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر لطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا والرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند الله عز وجل الرضا مقام لم يطلع في الصبر حبر كثير) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أدناها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالقدر وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه الدرجات كلها هي مراتب من يتحقق بالصبر يجمع بأن لوصول الى التائب بالتوى وهذه حالة التائبين ثم الى مقام الرضا ثم الى مقام المحبة (وسيأتي في كتاب المحبة ان شاء الله تعالى (ان مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) اعلم ان متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها وانما تختلف الأحوال فانها قد تكون أعمالا فاعلى ولا يصح ان تتصل فيها الا الاسم وأحوالها التي هي لا تحدث على الاعمال فانها قد تتصل بالاسم كما يقال ان لسالك يدعى باسم عمله فيدعى باسم حاله فيقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لان حال الصبر أصدر عنه الطاعة بعد ألم ومد فيه الصدر الداعي الى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة بانشراح وانقياد وادعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

الفقس فما لا يمكن الدوام عليه لا بجهد جهيد وتعب شديد يسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا عوب ولا تضارب فيه نفسه ولا يبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد الا تعب ومرض جهد وعرق حمى فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما ما قمعت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر لطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا والرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند الله عز وجل الرضا مقام لم يطلع في الصبر حبر كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات * أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين * والثانية الرضا بالقدر وهذه درجة الزاهدين * والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر

وكان هذا الاقسام تجري في الصبر من وجوه صبر على المصائب ... * واعلم ان الصبر ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم * فالصبر الفرض (٢٠) وهو الصبر على الاذى المحظور والمحذور الذي تقطع به أو بعضه وهو صبر على ما كان من المصائب محذورة يجب عبره فيه الصبر عن طلب الغير والشكوى وما جرى على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محل الصبر فيكون الصبر نصف الايمان لا يبقى أن يحمل الذي تجب عبره محذور بل المراد به نوع من الصبر مخصوصة * (بيان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال) * اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه ويكرهه وهو يحتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو الذي لا يستغني قط عن الصبر (النوع الاول) ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال وبلوغ الوطر وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها استدرجته الى ما يطغيه قال الله تعالى (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أي رأى نفسه واسعي مقدوره وذلك لانه يعمى عن العواقب ويحب العاجلة ويذر الآخرة وقال تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي لتكبروا وتجبروا وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف في دين المؤمن وقال بعض العارفين ما ابتلي عبد بشيء أشد من ترك الصبر على الرخاء وقال سهل الصبر على الرخاء أشد من الصبر على البلاء وقال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر والصديق ولا يصبر عليه الا صديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء

البلاء (و) كذلك (من فتنة أموالكم) من سائر البلاد (عن الحسين رضي الله عنهم) وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فقالوا من العيش واتسعوا (فقالوا ابتلينا عقبه بضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر) فعسوا الاختبار بالسراء وهو ما يسر على الاختبار بالضراء وهو ما يضر قال الطيبي حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الصائغ حدثنا سريج بن شيبان بن فروخ عن أبي يحيى بن زكريا عن زكريا بن إسحاق عن يحيى بن عبد الرحمن بن عوف قال قال عبد الرحمن بن عوف لما ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر (وكذلك يحسد الله عباده من فتنة المال) لروح وأولاده قال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لأن فيهما سرا فيشغل عن ذكر الله تعالى (وقال عز وجل إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) لأن في الأزواج والأولاد من يحرج به ضيق فيهم بهوى ويخالف بوهم إلى ضرار وأعداء في العقبى لما يؤل إليه من شأنهم (وقال صلى الله عليه وسلم الولد محبنة مجبنة) رواه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ الولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مجهلة محزنة ورواه أحمد وابن سعد والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري الولد مجبنة مجهلة محزنة آخره ثم ذكر ثم يقدم (و) قال صلى الله عليه وسلم (ولده الحسن) رضي الله عنه (يعني في قميصه) (من السراء حتى يخلصه) وقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة في سورة التغابن) هذا (يتعثر) في قميصه (ثم قال صدق الله ورسوله) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وهو الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب انتهى قلت ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه قال صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما وروى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهما صغيران والولد محبنة مجهلة ومحزنة وروى العسكري في الأمثال والحاكم في صحيحه من طريق معمر عن ابن جريج عن مجاهد لا يعرف لأسود بن خلف عن أبيه قال النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال إن الولد محبنة مجهلة وأحبه قال فحمله وروى العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة محبنة حكيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهو بين حسن وحسين وهو يقول لكم حسنون وبهجون وإنكم لمن بخل لأبيه (وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار وقد جمع الله تعالى ما ذكر (وصبر) وبعضهم من وصف المتقين ومدحهم بالإحسان معهم فقال تعالى أعد للمتقين الذين يبعد قوتهم في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (قال رجل كل الرجل من يصبر على العائلة ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ولا يعتمد عليها وفي ذلك كل ذلك مستودع عنده أي عند الله الوديعة وعسى أن يسترجع على القرب) إلى المودع (وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا يتهلل في السعي والجد والهوى لنفسه وأن يؤدي حقوق الله تعالى في ماله ولا يمنع الفقراء منه) في المواضع اللائقة (وفي بدنه بدل المعونة للخلق) على قدر استطاعته (وفي نفسه بدل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه) وهذا الصبر متصل بالشكر فلا تتم الأعمال بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر وصبر على جمعه وبعضهم أولاه عيال أيسر من صبر على صدك نفسك وجمعك من نفسك والجامع عند عصمة

طعام قدر على الصبر عنه بالحصر به لا طعمه بطبيعة الدنيا وقدر عليها وقهر نفسه عن الشهوة (وقدر عليها) من غير مانع حقيقي أو حكمي (فلهذا عظمت فتنة السراء * النوع الثاني مالا يوافق الهوى ويطبع) ولا يلائمه (وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختياره بعد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أولا يرتبط أولا (باختياره ولكن له اختيار في اراته كالشيء من اوذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام (القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الاول طاعة يعظم الحاجة الى الصبر عليها لما فيه من شدة (لان النفس تسمح بها تطوعا) دل (العبودية وتشتهي) عمر (الربوبية وذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مصورة ما ظهره فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكن فرعون وحده اظهره ولا ظهر) ما كان مضمرا في نفسه (اذا استحق ذمه) أي وحدهم انتهى بمعقول (فاظاعوه) واستولوا له (ومامن أحد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخدمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان يمتنعها من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستيفاء ذلك منهم يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فالعبودية شدة على النفس مطلقا ثم من العبد ما يكره نفسه لكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب الفضل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة احوال الاولى قبل الطاعة) أي قبل الشروع فيه (وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الاخلاص وذلك من اصعب شديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص) على ما سيأتي بيانه في كتاب الاخلاص (وآفات الرياء ومكايد النفس) على ما تقدم في كتاب ذم الرياء (وقد سئل عليه صلى الله عليه وسلم فقال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين والاخلاص هو قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال) حين ذكره (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أشار اليه صاحب القوت فقال (ويسمى الصبر تحمله (الحالة التي يتحملها العمل كيلا يعمل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور والى الفراغ) منه وهو الى ويترك التحمل حتى يقضي صحيح الاركان كامل الحس والهيئات (وهذا أيضا من شدائد الصبر ويعلم المراد بقوله تعالى ثم آخر العاملين الذين صبروا أي صبروا الى تمام العمل) وهذا يسمى الصبر مع الله (وهذه الحالة اشد من الصبر بعد الفراغ من العمل اذ تحتاج الى الصبر عن افشائه وتظاهره به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أجره كما قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال

الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص ومكايد النفس وغوائلها
تعالى
صبروا لله عليه الى قوله الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وبهذا قدم الله تعالى
الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات * الحالة الثانية العمل كيلا يعمل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق
آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور والى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ويعلم
المراد بقوله تعالى ثم آخر العاملين الذين صبروا أي صبروا الى تمام العمل * الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ تحتاج الى الصبر عن افشائه
وتظاهره به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أجره كما قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال

تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصر بعد الصدقة على المن والاذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج في
الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل
وايتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثاني) المعاصي في أخوج العبد في

تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة على المن والاذى فقد أبطل عمله) وأحسن ما قيل في هذا الحرف وهو بعض سبعة لا يتم المعروف الا بالثلاث تحريه وتصغيره وتكثيره وكذلك الصبر يقترن التكثير به على أحد من العباد والدلالة عليه قول الله تعالى ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فجمع بين هذه الأربعة بلام كي وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال صلى الله عليه وسلم اثنان من كانا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر في دينه فرأى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر في دنياه فرأى من هو تحته فحمد الله مما فضله عليه

ومن لم يملك نفسه في الخواطر التي لا يقدر على الصبر على ذلك يجب عنه لغربة والانفراد ولا يجب غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة ويختلف شدة (٢١) الصبر في آحاد الناس باختلاف دواعي تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسوس فلا حرج بقي حديث النفس في الغيرة ولا يمكن الصبر عنه أصلا

(ومن لم يملك لسانه) وفي نسخة نفسه (في الخواطر والم يقدر على الصبر يجب عليه الغيرة لا الطلاق) على الناس (والتجسس) من ذلك (وغيره فالصبر على انفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة) معهم (وتختلف شدة الصبر في آحاد الناس باختلاف دواعي تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر) من الناس (باختلاج الوسوس فلا حرج بقي حديث النفس في الغيرة ولا يمكن الصبر عنه أصلا لان يغلب على بعض الناس بحيث لا يقدرون على دفعه كما يغلب على بعضهم أصل الشهوة) أي جنس الشهوة في هم واحد وهموم هم واحد (والغضب) أي جنسهما في هم واحد وهموم هم واحد (وهو لم يستعمل لفظ الغضب في شيء معين يتصور تكرره كالوسواس عند) أي (القسم الذي مالا يرتبط بعضه باختياره وهو خواطر دفعه كهو وحي يعمل أو قول وحي عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكاشفة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كانت غيرة الرجل إيمانا إذا دام يصبر على الأذى) والقائل القوت قال بعض العلماء ما كانت غيرة الرجل إيمانا إذا دام يصبر على الأذى فيحتمل الأذى ويصبر عليه إيمانا وقد يعفى الله ذلك وما اختاره أو خيار ذلك من هذه الغيرة وهو ما يعتري كثيرا من الناس فيما ذكرناه من شدة غيرتهم بسبب ابتلاء بعضهم بصفار رعونة الموسوسين وجهالهم في قوله أو فعله من غير تأمل ولا تثبت وقد أدى في بعضهم هذا الوسواس إلى كذا وكذا أي من ذلك عدا ما لا يحصى هو رعونة باطنة كقوله تعالى وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا أي لم أهنه فمقتضى كلام أكرم الأخيار بالنعيم إكراما على هذا الخاطب به محمدا صلى الله عليه وسلم ما صبر الذي أمره به فقال فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فسلامه عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكاشفة على الأذى توكلا على الله (قال) الله (عز وجل وما صبرك إلا بالله ما آذوه على ما آذوه إلا على الله فليتوكل المتوكلون) وهذا صبر أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت بعد مقام التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد ذكره الله تعالى في قوله واصبروا على ما آذوا الآية (وصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا) فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمر وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى واقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وكذلك المكاشفة دالة على ذلك مدح الله تعالى من عفى عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولمن انتصر بعد

ظلمه
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وكذلك المكاشفة دالة على ذلك مدح الله تعالى من عفى عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

عليه فاوشك ما عليهم من سخين لا يبه ثم قال وفى صبر وعشرات ذلك من عزم الامور فالاول عنى به المكافأة والانتصار بالحق من عدل و بعدل حسن والثانى هو الصبر وهو العفو عن الاحسن و لفضل وهو أحسن ومن ذلك قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الاية فاستمع القول هو العدل والتباع الاحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية و بعقل بعد ذلك مقام المحسنين قبل هم الذين لا يظلمون فاذا ظلموا يتصرون فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو بالاخبات وهو الخشوع و بعضهم يسمه الى الجزاء من الله فى الاخرة لقرب للقاء وسرعة فيه الدين (وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك) رواه ابن النجار من حديث على بلفظ صل من قطعك واحسن الى من أساء اليك وقل الحق ولو على نفسك وقد تقدم (ورأيت فى الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم) يعنى فى التوراة وغيرها من كتب السماء (من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضربك خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فاعطه ازاره ومن سخرك تسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعا (القسم الثالث) مالا يدخل تحت حصر لاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء او بالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضى الله عنهما الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة

كان باقتران النهي مسدود و باب الامر مفتوحا بالمستطاع ومن ثم كانت عامة العقوبات على المعاصي و أما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حدا معينا و أعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا وبهذا السبيان سر الترتيب الواقع في حديث علي رضي الله عنه وأما ترتيب الواقع في حديث ابن عباس على ما ذكره المصنف تبعا لصاحب القوت فلم أر من وجه وقد أشار بقوله المصنف بقوله (وانما فضلت هذه الرتبة مع اشتراكها مع ما قبلها في الفضل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الصديقين فان ذلك شديد على النفس) وقد ذكر صاحب القوت عقب قول ابن عباس سابق ما نصه وهذا يحتاج الى تفسير لم يقصد ابن عباس ان الصبر على مصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على اداء الفرائض لان الصبر في ذلك من مزيد أحوال المقربين والصبر على المصيبة من مقتضى اليقين فان فضل المقدم في اليقين على المقدم في الاسلام (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي وقد تقدم في كتاب الدعوات (فهذا صبر مستند حسن اليقين) وأحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس جزعا وسخطا في المصائب أقلهم يقينا وقد روى أكثرهم حديث اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وجميع تحول عافيتك وسخط سائر غضبك وقد روى أنس رفعه من ترك المراء وهو محق بني الله له في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له في وسط الجنة ومن ترك الكذب وهو لاعب بني له في ربض الجنة فقد جعل ترك الكذب والمراء معادلا لفرض وواجب وهي أن يكون الفضل الذي فيه أن الكذب يفضل يتركه للعيوب والمراء والحسد يحق صادق ثم لا يماري وهذا في الصغير وزعة في الجمعة والجماعة فلا يصبر على هذا الا المتقوب وهم خصوص المؤمنين فقد صح ان الفقر والزهد وايثار الصمت والعزلة على الكلام والشهرة أفضل فهو اليقين فصار هذا وان كان من فضل من عموم المؤمنين يتركون الكذب والمراء وان كان أفرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه ويقال من علامة التسليم القلبي حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فاما اشتراط الصبر في الحسبة عند الصدمة الاولى فكأنه قال كل شيء يبتدئ صغيرا ثم يكبر لا الصبر فانه يبتدئ كبيرة ثم يصغر فاشترط عدم الفتور فيه عند أول كبره قبل أن يصغره وفي صدمة القلب أول صدمته التي يصار الى عزائمه عزوجل فيحسن فيحسن صبره كما قال تعالى في ثناء يعقوب فصبر جميل والله المستعان والمعول على الله تعالى في كل هذا بسياق في كتاب التوبة وقد بعض من اختصر الاحياء وزاد عليه ما نصه اما آداب الصبر فقد تقدم ان حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مجاهدة هوى ومقابلته فلينظر في ذلك بالاهم فالاهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فالبداية بترك المحظور ان كان هو واجب ثم المكروهات وهو مستحب ثم فضول المباحات التي تشغله عن رب الارض والسموات وهي قريبة من التي قبلها فرقت بين المستحب والقربة وهما واحد فأقول بينهما عند التحقيق فرق وذلك ان الله تعالى جعل وعده ان يثاب على كل حسنة ثوابا عاجلا وثوابا آجلا ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على ثلاث خمسة حسنة تباشرها ثانيها في الدرجة فاذا تركت مكروها لله ابدلك الله عليه بترك مكروه في مرتبة وان تركت مستحبا عاد ترك المباح عليه بالمباح حقيقة بقربة تجعل من محاب الرحمة تكشف بقلب العبد وجوده الله وحبه وترك فضول المباحات لسد ذلك وتعرف هذا من يعرف بين حق النفس وحظوظها كمن أهل الدنيا والا فيتصدق به وجب تعميده ثم بداءة بالواجب من الطاعات ويقدم الاوجب على الواجب ومما يطلب في مال يطلب وهذا واجب ثم يقدم أفضل الفضائل وفضلها يترتب اما فضل الا فضل اذا لم يمكن الجمع بينهما والدعاء لعظم المشقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين ثم الصبر على المصائب ما دامت

واعلم ان فضلت هذه الرتبة مع اشتراكها مع ما قبلها في الفضل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستند حسن اليقين

عدا الصدمة الاولى لان كل شئ يوجد صعبا ثم يحد فى نفسه وأوله الا مصيبة فانها تبدو عظيمة ثم تصغر وتحد فى النقصان وهذا وجد فاعتدل وخرج ثم رجع عن عمله وندم واسترجع كان بسببه واسترجاعه توبته وقد فقد ان التوبة تعصم من كل ذنب فيدخل فى هذا النوع الصبر على الدين ومكابدة الحق بباطن ومعصية حرام ومكابدته عاص ومباح مكروه مندوب اذ لا كفة وعدم الاثم عنه وان تألم فى باطنه ولكن ترك المكابدة عليه فى الصابر فهو أحسن حالا من الاول ولا يدخل فى نهى الصبر عن الالم لان الالم يدخل تحت اختيار العبد ولو ترك تعالى لا يكلف العباد ولا يؤخذهم الا بما هو من تحت اختيارهم ويستصعب علاج الالم وتكلفه الى أن يستوى عند نقله وجود الادى وعدمه كما تكلف الغالب مواصلة وتجنب المعاصى فان فرح بالمصيبة ودع للحال فهذه هى نقرة الصديقة ولا تحصل هذه الا بعد قمع نور التوحيد قلبه فارتفعت عن قلبه رؤية البواعث وشاهد التوحيد بالافعال وعرفه بصفة ان سيده انما أراده ذلك ليبركى قلبه ويسمو به الى هذه الكلامه (وقال أبو سليمان) الدارى رحمه الله تعالى (يقول الله ما اصبر على ما تحب وكيف اصبر على ما تكره) فقيه صاحب الرسالة قال سمعت ابا شيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عبد الله بن يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال هو ذكره (وقد صح أن الله عليه وسلم قال الله عز وجل ما أخذت من عبدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا) قال العراقى رواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اهـ قلت وكذلك رواه الحكيم فى نوادر الاصول والديلمى فى مسند الفردوس (وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة) رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر وكذا رواه أبو سعيد النقاش فى مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة والترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم فى الدعوات النهى فلينظر من رواه دون قوله بالصبر من حديث ابن عمرو غريب من حديث أنس بسند ضعيف ورواه الترمذى وحسنه من حديث ابن مسعود فى أثناء حديث وقد روى من حديث على بلفظ انتظار الفرج عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل (وقال صلى الله عليه وسلم من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واعقبنى خيرا منها لا فعل الله به ذلك) قال العراقى رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى قلت لفظ مسلم ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أحمد عن أم سلمة قالت لما توفى أبو سلمة قلت أى أبو سلمة قولا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سرنى قال لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا فعل ذلك به قالت أم سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منه ثم رجعت الى نفسى وقلت من أين لى خير من أبى سلمة فأبدلنى الله به أى سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية لفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتى فآجرنى فيها واعقبنى منها خيرا الا أعطاه الله ذلك وروى ابن سعد فى طبقاته من حديث أم سلمة ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرح الى ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره

وقال أبو سليمان والله ما اصبر على ما تحب وكيف اصبر على ما تكره وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ما أخذت من عبدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك

الله فى مصيبته وكان صائب يعوضه الله منها خيرا منها وروى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن على مامن مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وان طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا الا جدد الله له عند ذلك فاعطاه مثل أجرها يوم أصيب (وقال أنس) رضى الله عنه (حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه) أى عينيه ويقال للعين كريمة لكونها مكرمة عند صاحبها (قال) جبريل (ما جزاء له الا ما علمتنا قال) الله عز وجل (جزؤه الجلوس فى دارى والنظر الى وجهى) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من رواية أبى هلال لقيطى وابى هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة ورواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمتى عبد لم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يارسول الله وان كانت واحدة قال وان كانت واحدة وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف انتهى قلت وروى الترمذى من حديث أبى وقال حسن غريب بلفظ ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة ورواه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح بلفظ يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ورواه هناد كذلك وروى الطبرانى فى الكبير ومن النسائى فى عمل يوم وليلة وابن عساكر من حديث أبى أمامة ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان أخذت منك كريمتيك فصبرت واحتسبت عندهما لقيتنى لم أرض لك ثوابا دون الجنة ورواه أحمد وابن ماجه مثله بلفظ يقول الله تعالى يا ابن آدم وروى عبد بن حميد وابن عساكر من حديث أنس قال الله عز وجل وعزتى لا أنتزع كريمتى عبد فيصبر لحكمى ويرضى بقضائى فارضى له بثواب دون الجنة وحديث أنس عند البخارى ورواه أيضا أحمد ورواه ابن أبى عاصم والبيهقى وروه كذلك الطبرانى فى الكبير من حديث جرير وروى لعبد الله من حديثه قال الله عز وجل من سلبت كريمتيه عوضته منهما الجنة وروى ابن حبان والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر من حديث العرباض بن سارية قال الله عز وجل ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة ورواه الطبرانى وحده من حديث أبى أمامة نحوه بلفظ قال ربكم وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس قال ربكم ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب كان ثوابه الجنة وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس بلفظ يقول الله لا أذهب صفيى عبد فارضى له ثوابا دون الجنة (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدى بلا فصبر ولم يشكنى الى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته توفيته وان رحمته) قال العراقى رواه مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار مرسلا وفيه ان عند بن فى التمهيد رواه عبادى كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد انتهى وعبادى كثير ضعيف ورواه البيهقى موقوفا على أبى هريرة انتهى قلت وقد رواه الحاكم مرفوعا من حديث أبى هريرة بلفظ قال الله تعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده أطلقته من اسارى ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل وقد رواه البيهقى كذلك ورواه الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس بلفظ ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدى بلا فصبر ولم يشكنى الى عواده ثم توفيته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وان توفيته توفيته الى رحمتى (وقال داود عليه السلام) فى بعض مخاطباته مع الله عز وجل (ما جزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزعه عنه أبدا) رواه الديلمى وابن عساكر من حديث ابن مسعود وفيه حصين بن مرقد ضعيف وبقيته قال داود عليه السلام ما جزاء من شيع ميتا الى قبره ابتغاء مرضاتك قال جزؤه أن تشيعه ملائكتى فتصلى على

وقال أنس حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الجلوس فى دارى والنظر الى وجهى وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدى بلا فصبر ولم يشكنى الى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته توفيته الى رحمتى وقال داود عليه السلام يارب ما جزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزعه عنه أبدا

روحه في الارواح قال اللهم عاجزاء من يعزي حزينا ابتغاء مرضاتك قال ان أنسه لمن يتقوى واستوجبه من النار فأدخله الجنة الحديث (وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر لكان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) أخرجه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الحميد حدثنا محمد بن عاصم عن محمد بن عمرو قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب قال ما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقد نقله كذلك صاحب العوارف (وسئل فضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (عن الصبر فقال هو الرضا فقيل فكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحدثك سؤالنا زرين فأخذ يرميهم بالحجارة) فتفرقوا عنه فجاء آخرون فقال لهم (من أنتم فقالوا نحن زوارك فأخذ يرميهم بالحجارة) فتفرقوا عنه فجاء آخرون فقال لهم (من أنتم فقالوا نحن أصدقاؤك فقال لهم (لو كنتم أصدقائي) صادقين (لصبرتم على بلائي) وتفرقوا عنه فجاء واحد فقال له من أنت فقال أنا أيوب فقال له الشبلي (وكان بعض العارفين في جبته رقعة تحرجها كل ساعة ويطرحها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وأنت تطرحها في الرمال وقال بعضهم كنت كلما رأيت فقيرا طرب باسيت وأخرج من جيبه رقعة وطرحها ومر وكان بعد فعل مثل ذلك فرأيته أياما وهو يفعل مثل ذلك يوما من الايام طرب ومر في الرقعة وتأملها قليلا وقطعها ثم أخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا (وقيل ان امرأة قطع) بن تصرف (الموصلي) وكانت من تعارف (عنزب) أي وقعت رحلها (فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها ما تحدين ثم لو جمع فقالت ان الله توبه أزالت عن قلبي مرارة وجعه) ورد أصل هذه القصة هنا استدلالا بها على تصبر على بلاء ومعلوم ان مثله لا يعد صبرا لحقيقة ولذلك لم يوصف نبينا أيوب عليه السلام بالصبر فقال تعالى انا وجدناه صابرا ولم يقل صبار لكونه كان يستلذ ما نزل به في بعض أحيانه (وقال داود لسليمان عليهما السلام) يحذره مما يستدل على تقوى المؤمن فقال (يستدل على تقوى المؤمن بثلاث) خصال الاولى (حسن التوكل فيما لم ينل و) الثانية (حسن الرضا فيما نال و) الثالثة (حسن الصبر فيما فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك) قال العراقي لم أجده مرفوعا وتمام رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك انتهى قلت وقال صاحب القوت وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر في ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا فقد أخبره الله بخيره وشره (وروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما) الى السوق فساوم شيئا من الطعام (و) كانت (في كمه صرة) فيها دراهم فأراد ان يدفع لصاحب الطعام منها فصرت يده عليها (فافتقدها فاذا هي قد أخذت من كمه) أي اختلست أو انحلت الصرة فوقعت الدراهم (فقال مارب انه فيما فعلته أخرج البهمي) فهذا من الصبر على المصيبة وعدم اظهار الجزع وقد وقع مثل هذا لابن مسعود رضي الله عنه (وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة) بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أحد السابقين الاولين وكان من أكثرهم قرآنا (في القتلى) وكان معظم الهاجرين روى ان المارستان في كتاب الجهاد له انه قال حينئذ يشبه حمل القرآن ان يعني ان قرئت

وقرأته يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحدثك سؤالنا زرين فأخذ يرميهم بالحجارة فتفرقوا عنه فجاء آخرون فقال لهم من أنتم فقالوا نحن أصدقاؤك فقال لهم لو كنتم أصدقائي لصبرتم على بلائي وتفرقوا عنه فجاء واحد فقال من أنت فقال أنا أيوب فقال الشبلي في جبته رقعة تحرجها كل ساعة ويطرحها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وأنت تطرحها في الرمال فقال ان امرأة نحن الموصلي عنزب فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها ما تحدين ثم لو جمع فقالت ان الله توبه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر فيما فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد أخذت من كمه فقال مارب انه فيما فعلته أخرج البهمي وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى

فقصت بعينه فاحتضنه بيساره واعتنقه الى ان صرع فقال لاصحابه ما فعل أبو حديبة يعني مولاه فين قال
هو صحيح بحسه (ويرمق) أي يشير بروح (فقلت أستقبلك ماه فقال حربي قاتلا لال) جهة (العدو
واجعل الماء في الترس فاني صائم فلما عشت الى الليل شربته) ومات على حالته ولم يشرب الماء فارس
عجز بعبارته الى مولاته ثبيتة (فهكذا كان صبر السالكين طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فقد
نال درجة الصديقية الصابر فلم لا يختار هو المصيبة ثم أي فان كان مراده ان لا تكون
في نفسه كراهية المصيبة فذلك عبد داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود (والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة) أي الحزن
(وتغيير العادة في اللبس والفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها
فانه يعد واجبا عليه ويحظر عليه في أمر المصيبة ان يتم على فعله (و) عليه (ان يظهر الرضا بقضاء
الله تعالى ويبقى مسترجعا على عادته) في سائر أحواله ومن فعل شيئا مما تقدم ذكره فلا ثواب له على مصيبة
لان نفس المصيبة لا ثواب فيها لان الله لا يثيب العباد الا على ما يدخل تحت اختيارهم وانما الثواب على
الصبر لا على المصيبة (هو آثم في تسخطه على مصابه به (و) عليه ان (يعتقد ان ذلك كان وديعة) عنده
(فاسترجعت كما روى عن الربيعاء أم سليم رضي الله عنها) هي ابنة ملحان بن خالد بن زيد حرام بن
جندب الانصارية وهي أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها
على أقوال سهلة أو رميلة أو مليكة أو الربيعاء والصحيح وهو ما قاله لها (ام سليم ماقالت قوفي
ابن مالك وروي عن أبي طلحة) زيد بن سهل (عائب) وكانت قد أسلمت مع بعلها في الاسلام من الانصار
فحضر وجهاز ذلك من سفر وخرج في شام فمرضا فتوجت بعده أبا طلحة وكان صداقها الاسلام
(فقمت فهيأت) أي عطيته (في ناحية البيت فقدم أبو طلحة) من غيبته (فقمت فهيأت له اعطاره
فعمل بأكل فقال كيف الصبي) وكان مريضا (فقلت بأحسن حال تحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى أسكن
منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته) يعني جماعها (فقلت
الا تعجب من جيرانك قال مالهم قلت أعيرهم واعاريه فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس
ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله تعالى قبضه فحمد الله واسترجع ثم غدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فقد رأيت لهما بعد
ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير ومن طريقه أبو نعيم
في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف انتهى قلت قصتها في صحيح البخاري ومسلم
من أبي طلحة فقالت لما دخل لا يذكر أحد ذلك لابي طلحة فلم يزل يطأ معها ورأى منها ما يحب فلما
ما كان فظن انه عروس وقام وأكل ثم تزينت له وتطيبت فلم معها وأصاب معها فلما صنعت قال له احتسب
ابنك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بارك الله لكما في ليلتكما فحملت بولد وهو عبد الله بن أبي
طلحة فاتحف وروي أنه قرأ القرآن منهم عشرة كلا (وروى جابر) بن عبد الله الانصاري رضي
الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال رأيتني دخلت الجنة فاذا بالربيعاء امرأة أبي طلحة) قال العراقي رواه
النسائي في الكبرى باسناد صحيح انتهى قلت ومن طريق عبد العزيز بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر
عن جابر وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا حميد عن أنس قال قال نبي
الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فاذا أنا بالغميصاء بنت ملحان ومن طريق
حماد عن ثابت عن أنس نحوه لكن قال الربيعاء أوردهما في ترجمة أم سليم وقد روى أيضا أحمد ومسلم

مضطر شاء أم أبى فان كان
المراد به ان لا تكون في
نفسه كراهية المصيبة فذلك
عبد داخل في الاختيار فاعلم
انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغيير
العادة في اللبس والفرش
والمطعم وهذه الامور داخلة
تحت اختياره فينبغي أن
يجتنب جميعها ويظهر الرضا
بقضاء الله تعالى ويبقى
مسترجعا على عادته ويعتقد
أن ذلك كان وديعة
فاسترجعت كما روى عن
الربيعاء أم سليم رحمها الله
انها قالت توفي ابني وزوجي
أبو طلحة غائب فقمت
فهيأت في ناحية البيت
فقدم أبو طلحة فقمت
فهيأت له اعطاره فعمل
يأكل فقال كيف الصبي
فقلت بأحسن حال تحمد
الله ومنه فانه لم يكن منذ
اشتكى بأسكن منه الليلة ثم
تصنعت له أحسن ما كنت
اتصنع له قبل ذلك حتى أصاب
مني حاجته ثم قلت ألا تعجب
من جيرانك قال مالهم قلت
اعير واعاريه فلما طلبت
منهم واسترجعت جزعوا
فقال بئس ما صنعوا فقلت
هذا ابنك كان عارية من
الله تعالى وان الله قد قبضه
اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فقد رأيت لهما بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالربيعاء امرأة أبي طلحة

و لسانق و أبو يعلى و ابن حبان كلهم من حديث أنس بالرواية (وقد قيل) في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا (الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة بشكاية غيره) ولعله القشيري في الرسالة هو أن يكون صاحب المصيبة في قوم لا يدري ما هو (ولا يخرجه من حد الصابرين توجع القلب) ودمعته (ولا جريان الدمع بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت وبذلك سمعنا ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم) من مارية القبطية (فاضت عيناه) بالدموع (فقيل له أتأتي هذا يا نبي الله فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس باختلاف (بل ذلك أي لا يخرج عن مقام الرضا المقدم على الخمسة والصبر الذي هو مأمور به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه) بالدمع (اذ عدم ألمه وسيأتي في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى) ويما لا يخرجه من حد الصابرين أيضا حكاية الصبية للتدوي والاعلام بتعريفه الصبر والرضا والصديق أعرف الحال لا على صدقك شكوى لان هذا مما تعم به البلوى (وكتمان أبي يعجج) هكذا هو في النسخ أبو يعلى ولعله الثقفي مولاهم وأبو يعجج كمعظم اسمه يسار روى له الجماعة وفي نسخة القوصاني أبي يحيى وهو عبد الله بن محرز أبي يحيى لا سمي لقيه بحمص وقد يسند الى جده روى له أبو داود (يعرى بعض خلقه فيكتب من أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من علم حق الله تعالى عنده فيما يجب أبقاؤه واعلم أن الماضي منه هو ما فاق لك ولا في بعدك هو الأجور ولك وعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من نعمة عليهم فيما يعافون فيه) وحديث ابن عباس كذا له صاحب القوت (فاذا دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ثم من كمال الصبر كتمان المرض وستر المصيبات وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة) فهي هذا الصبر مقوت للأجر وكتمان مرض أيضا وقد شكا لاحف بن قيس ابن عمه وجع ضرسه وكدره وقال ما قد دهمت عيني منذ أربعين سنة فما كتمتهما هؤلاء الثلاثة كثير بن صحمة اليوم فاقتد به واطلع على نواله ولا يدع أن يتصبر الله من بقي أعماله وأحزانه فصله لبقي له كنزه وذلك اذا كان صبره لله ورضاه بربه وحمده بحيث لو شكوى يستعين بأحد من خلقه وهذا قد روى مرفوعا وما تقدم الصفح فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه فذكره أبو نعيم في حليته وذكر البيهقي من حديث زاذان عن سليمان عن عمر بن الخطاب رواه عن نافع عن ابن عمر رفعه ثم قال أبو نعيم غريب تفرد به زاذان عن عبد العزيز بن سليمان قال ابن عدي لا يتابع على حديثه وعبد العزيز بن أبي رواد يروي عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى البيهقي من حديث أنس ثلاث من كنوز البر كتمان المصيبة وكتمان الصدقة ورواه الطبراني بلفظ ان عبدي من حديثه ثلاث من كنوز البر حفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى ما ابتليت عبدي ببلاء فصبر الحديث وقد تقدم قريبا وبهذا ظهر ان الحديث له أصل وايراد ابن الجوزي اياه في الموضوعات فيه نظر (فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال) لا يخص بعض حال دون حال ولا فعل دون فعل (فان بدى كل الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة ولا عن اضمار الصبر على وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يمكن) أبدا (و) كثير جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان) هذا

يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أتأتي هذا يا نبي الله فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا المقدم على الخمسة والصبر الذي هو مأمور به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذ عدم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتمان ابن أبي يعجج يعرى بعض الخلق من أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من علم حق الله تعالى عنده فيما يجب أبقاؤه واعلم أن الماضي منه هو ما فاق لك ولا في بعدك هو الأجور وذلك واعلم ان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من نعمة عليهم فيما يعافون فيه وحديث ابن عباس كذا له صاحب القوت فاذا دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ثم من كمال الصبر كتمان المرض وستر المصيبات وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال لا يخص بعض حال دون حال ولا فعل دون فعل فان بدى كل الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة ولا عن اضمار الصبر على وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يمكن أبدا وكثير جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان

وآفة العبد قلبه وعلامته عجزه وقد عقل بقلبه في نفس واحد عن ذكر يستفيده انسانا لله تعالى أو عن فكر يستفيده معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو معدود هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك عاملا ينتظم في وجوه الحيل لقضاء الشهوات ولا يزال يسارع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه يسارعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه لا يقدر المخلوق من الخلاص الا عن

فهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فذلك الشيطان جندان جند يسير وجند يسير ولوسواس عبارة عن حركة جنده بالسيارة وشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار مع نار طبعها واحد لكن صفة السكون غالبة عليها وحركة النار مشتعلة لا تتحرك ولا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف المعدوم المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين وامر بالتكبر والاستعصاء وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فكيف يسجد الشريف للمشروف (وهذا حيث لم يسجد المعدوم لابينا آدم عليه السلام فلا يبعد ان يطمع في سجوده لاولاده) وقد وقع ذلك في مراجعته بعض الانبياء حين قال له الا تطلب من الله ان يتوب على فعسى ان يرفع عنه وسوسته ذلك وراجعه في قبول توبة ابليس بهذا الخطاب ثم ان سجد بغير آدم عليه السلام فقال له ذلك لبي فقال أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه في حقه (وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود) ومعناه في اللغة (وضع الجبهة على الارض علامة استخذاء بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكباح بين يدي) الرجل (المعظم المحترم يرى سجدة بالعادة ولا ينبغي ان يدهش صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب والملكوت (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين وقد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا أن تصمد وهمومك كلها هم واحد لا تتشعب لك في الاودية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد المعدوم مجالا لك وعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين (الداخلين في الاستثناء عن سلطانه

هذا
و عباده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود ومعناه في اللغة وضع الجبهة على الارض علامة استخذاء بالاصطلاح
ولو حصل وضع الجبهة على الارض علامة استخذاء بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكباح بين يدي المعظم المحترم يرى سجدة بالعادة فلا
ينبغي ان يدهش صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم
الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا أن تصمد وهمومك هم واحد فتشغل قلبك
بالله وحده فلا يجد المعدوم مجالا لك وعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطانه

هذا اللعين ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل سيلان الهواء في القدح فلذلك أردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد خلقت في غير مطمع بل قدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة وكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن حولان الشيطان والا من غفل (٣٢) عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك

هذا اللعين) كما في الكتاب العزيز (ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم) كما في الخبر الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه أحمد والشيخان من حديث أنس وقد تقدم ذكره وتقدم أيضا الاختلاف في انه هل هو على حقيقته بان جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الانسان في مجاري دمه أو على الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته وانه لا يفارق الانسان كما لا يفارقه دمه (وسيلانه مثل الهواء في القدح فلذلك أردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله بالماء أو بغيره فقد خلقت في غير مطمع بل قدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن حولان الشيطان فيه (والا من غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى) الله (تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعمى عنه ولم يهتد الى طريقه (نقيض له شيطانا فهو له قرين) أي مقارن له لا يفارقه في جميع أحواله (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ) قال العراقي غريب بهذا اللفظ وروى صاحب الحلية في ترجمة ابن مسعود انه قال اني لاكره ان أرى الرجل فارغا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وفي رواية له لا مقت الرجل ان أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه فارغ يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يروج فراخه أيضا ويبيض مرة أخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الخلفاء الباسة كثر توالده ولا يزال يتوالد الا من النار ولا تنقطع منه نسل تسري شيأ فشيأ على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالخلفاء الباسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان محل اذا لم تكن شهوة فاذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن

(٥ — (اتحاف السادة المتقين) — تاسع) الصوف ما هو فعال هي غفلة لم تشغلها بشغل فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهو اصعب وأشد ثم لا ينقطعه الا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه * (بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه) *

(علم) هداك الله تعالى (ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء) روى أبو نعيم في الطب من حديث أبي هريرة ان الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء ورواه ابن السني وابن حبان بلفظ ان الذي أنزل الداء أنزل الشفاء (فالصبر وان كان شاقا) على النفس (ومعرفة تحصيله ممكن معلوم) مركب من

(النعم والعسل فالنعم يعمل هذه الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض تقبل كلها وليس يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر
وبيان أقسام الصبر لما فيه من تعلقه بأقسام العلل لما اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيعاب عدد
ما يطول ولكن نعرف الطريق في بعض (٣٤) لامثاله فمقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس

(النعم والعسل فالنعم يعمل هذه الاخلاط التي منها تركب الادوية) النافعة (لامراض القلوب
كلها وليس يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكذلك أقسام الصبر بحسب أقسام العلل المتعلقة
به فمحاسنه واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها) لان النفس ان كانت
راكبة صفة مهلكة فعلاجها ان يبغي لضدها وحسم مادتها بمواظبة الاعمال الضدية لتلك الصفة
فان كانت بحيث تقتضي بطبعها الكمال والصبر حسن بعلاج اصدائه كالطمع والهافيه من مرض الجهل بنعم
ومرض البخل بعسل ومعلوم مرض الكبر والعجب ومرض اسرة الكف عن الشهوة كما (واستيفاء عدد ذلك
مما يطول ولكن نعرف الطريق في بعض الامثلة فمقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت
عليه الشهوة بحيث لا يصبر عنها فرجه) في حال تقطعه وتوبته (وأزالك فرجه وليس ليس يزالك عنه) بالتطلع
(أو زالت عنه وليس ليس يزالك عنه وهذه دلائل تحدثه) في سره (تقتضيك شهوة ويصرفه ذلك
عن مواصلته على الذكر والفكر) وغيرهما (والاعمال الصالحة فمقول) في علاجه (فقد عرفت ان الصبر
عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل منصارعين أردت ان يغلب أحدهما
الآخر فلا طريق له الا
الاتقوية من أردت ان
تكون له اليد العليا
وتضعيف الآخر فلما
ههنا تقوية باعث الدين
وتضعيف باعث الشهوة فسبيل
تضعيفه ثلاثة أمور أحدها
أن تقطر الى مادته وهي الاغذية المحركة
للشهوة من حيث نوعها
ومن حيث كثرتها وملازمة
من فيها بالصوم الدائم
مع الاقتصاد عند الافطار
على طعام قليل في نفسه
ضعيف في جنسه فيحترز عن
اللحم والاجتماع فانها مهيجة
للشهوة التي تطمع شبهة
المهيجة له في الجماع فانه انما
يهيج بالنظر الى معدن
الشهوة اذ النظر يحرك

الشهوة وقد تحصل بالنظر وبالاخبار عن معدن وقوع البصر على الصور المشتهاة وبالنظر اليها
بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يصيده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تعميض الاجفان
أو الهرب من صوب رميه فاذا رمى هذا السهم عن قوس الصورة فاذا غفلت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح
من جنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه طبع ذي الشهوة من جنسه مما يغني عن المحظور منه وهذا هو العلاج الانفع

لا كبر (فى حق الاكثر فان قطع العدة) معلق (بضعف عن مرة واحدة على) الصحيح التى تستدعى القوة (ثم قد لا تقمع الشهوة فى حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) يا معشر الشباب (عليكم بالباءة) أى النكاح (فان لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) رواه البخارى فى الاوسط والضياء من حديث أنس وقد تقدم فى كتاب النكاح (فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهى قطع العلف عن البهيمة الموجوع) أى المعدة عن التأديب (وعن الكلب الضارى) أى اللجوج فى أكل لحم الصيد (بضعف فتفقد قوته و) العلاج (الثانى يضاهى تعذيب اللحم عن الكلب وتعذيب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها لضعف مشاهدتها و) العلاج (الثالث يضاهى تسليتها بشئ قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب و) ما تقوى به على (أداء ما تكون بطاعته أحق طماعة فى قوائم المجاهدة وعبراتها فى الدين و) فى (مساورة الشيطان بكفرها) أى الاخبار التى وردت فى فضل الصبر وفى حسن عواقبه فى الدنيا والآخرة وفى الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما كان وانه بسبب ذلك معجوز بالمصيبة ادق منه مالا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر وروى أنه حبسا فى حبس فلا يبقى أن يحزن لفوات الحبس فى الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهو تهيج شديد اذا ضعف ضعفه وعلامة قوة الايمان تعبر عنها بالتيقين وهو المعرفة تعبر عنها بالصبر وأقل ما أوتى الناس الصبر وعبر عنه باليقين والثانى ان يعود هذا الباعث مصارعة

باعث الهوى تثبيطا فيبلغ حتى يدرك لذة الصبر فيستجرى عليه وتقوى مسببه فى مصارعتها فان ادعاء والمصارعة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التى تصدر منها تلك الاعمال وذلك تزيد قوة الحائن والفلاحين والمقاتلين وما جرى مجراهم فقوة المصارعة للاعمال الشاقة تزيد على قوة الحياطين والعطارين والفقهاء وما شاكلهم وذلك لان مواظبتهم لا تؤكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهى اطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اعترافهم بايام موسى) عليه السلام

(حيث قال واعلم ان القرب الخ) العلاج (أيضا بمعنى تعويد نفسه على ما يراد منه
فالمصرعة واحدة تلك العشرة أسباب ذلك) منها من العجب (حتى يأنس به و يستحيى عليه وتقوى فيه
منه فى قربه بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف به باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان صعبت ومن عوده نفسه مخالفة
الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج فى جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه واعلم انما اشتد
ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة وتذكر وانه تذكر وان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب
وهذا الاعلاج له البتة لانقطع العلائق كلها صغيرها وكبيرها بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء
والمعارف و لاقارب (ثم الاعتزال) عنهم (الى زاوية) من زوايا البلاد (بعد احراز
قدر يسير من القوت) يقيم به صلبه (و بعد انقطاعه به) وانقطاع رجاء صالح يعينه على أحواله (ثم
ترك ذلك كله لا يكفى مالم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى) فلا يكون له هم الا هو ولا شغل الا به
(ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك مالم يكن له محال فى التفكر وسير باطن فى ملكوت السموات
والارض وعجائب صنع الله تعالى وآثار قدرته فهو حاجز قوى بينه وبين
وغلبه (دفع اشتغاله بذلك بمجاهدة الشيطان ووساوسه) ومايعمر قلبه من همراته (وان لم يكن له سير
باطن فلا يحبسه الا الاوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة) أوفى كل وقت نحو (من القراءة
والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان التفكر بالباطن
هو الذى يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) اذ القراءة الاذكار من غير حضور
القلب لا تحدى نفعا (فان التفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) اذ هى جارية
على اللسان فى معزله عن حديث النفس (ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الا بعضها) أى بالشرط
المذكور (فلا تخلو فى جميع أوقاته من حوادث تتعدد فتشغله عن التفكر والذكر من مرض وخوف
وابتداء من وسواس وطغيان من مخالط اذلا يستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض أسباب المعيشة) كالعجب
الضرورة فانه (فهذا أحد الانواع الشاغلة) عن الذكر والتفكر (وأما النوع الثانى فهو ضرورى
وغير ضرورى فالضرورى من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيئة ذلك أيضا يخرج الى
شغل ان تولاه بنفسه) يشغله عن هو بصدده (وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه) فى بعض
الاحوال و لاحيان ضرورة (ويمكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به مهمة
وواقعة) من مهمات الدهر وقوائعه (وفى تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (و يتيسر التفكر)
فيتوجه على نفسه بتفكره وهو ذاكر و يراقب عليه (و يتكشف فيه من أسرار الله تعالى فى ملكوت
السموات و الارض مالا يقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق) وذلك
الانكشاف لا حد له فنقف عليه (و ننتهى الى هذا) المقام (هو أقصى المقامات التى يمكن أن تنال

بالاكتساب
الشاغلة ◆ وأما النوع الثانى فهو ضرورى وغير ضرورى فالضرورى من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيئة ذلك أيضا يخرج الى
شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ويمكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به مهمة
وواقعة من مهمات الدهر وقوائعه وفى تلك الاوقات يصفو القلب و يتيسر له التفكر و يتكشف فيه من أسرار الله تعالى فى ملكوت السموات والارض مالا يقدر
على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو أقصى المقامات التى يمكن أن تنال

بالاكتساب والجهد) بقدر الطاقة البشرية (فما مقدار ما يكشف ومنابع ما يرد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك مجرى الصيد وهو يحسب ما يرد فقد يقل جهد ويحل صيد وقد يطول الجهد ويقل الصيد والمعوّل وبعد الاجتهاد على جملة من حديث الرجل فانه توري أعمال الاقدمين وليس ذلك باختيار بعد تيسير حيز العمل فيتعرض بذلك

الحديث بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان الجاذب الى أسفل سافلين لا يجتذب الى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو مجتذب اليها فتقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لان بين نفحات واخرى فترات وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من أعلى أنواع الرزق والامور المتعلقة به لا يدري من يسر الله له أسباب الرزق فما عليه الا تهييء المحل والانتظار بنزول الرحمة نوع بكاء أجله كالذي يصلح الارض ويهيئها للبذر وهو كل ذلك لا يدفعه الاعمار ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر الا أنه في فضل الله تعالى ورحمته ان لا يخلي سنة عن مطر كما ورد في الحديث ان لا يخلي سنة وشهر ويوم عن حديث من الحديث ومنعه من الحديث ويمنع أن يكون بعد ظهور القلب عن حشيش الشهوات وبذرها بذر الارادة والاخلاص

وعرضه لهبات رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور نجم يقوى انتظار نفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان لهمم الاغنياء أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدرها الامطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرار أمطار المكاشفات وطائف المعارف من خزائن الملكوت عند مناسبة

ومنسيا بالشغل عنه سبحانه وتعالى جميع معارف الايمان ذكرا (وتذكرا) وتذكرة وذكرى (فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال تعالى وتذكروا يوم لا يغني والد عن ولده وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصدإ عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات

وليس القلب مدموما على الاطلاق وكيف وهو ممدوح مدموم على غلط وقع به بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر حسده على كونه من عالم الامر وأصله وأغواه وكيف يكون

مذموما عليه وهو بطلب سعادة الآخرة ليس بطلب الا فاعلا مذموما عليه وغير الاول فيه مذموم والاخرى ممدوح لا مقترنة وغير لا الا عند
وهذه كلها من أوصاف الزبرجد يتوبيس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخره وطالب ذلك طالب للعلو
والعز والتمكين لا محالة ولكن الملك مدكان ملك مشوب بأنواع الآلام والهموم (٣٩) سرعة الانصراف ولكنه عاجل وهو

مذموما عليه وهو بطلب سعادة الآخرة) وهو أعلى السعي الموهوبة وأشرفه (وليس بطلب سعادة
الآخرة ليس بطلب لا فاعلا فاعليه وغير لا اول فيه ومذموما فيه وغير لا يقترن به كما لا يخفى (وهذه)
أو قدرة لا غير فيها وعلما لا جهل فيها والاشارة بقوله تعالى وما الحياة الدنيا سعد وفي الجنة لا آفة ولا نكد
الوصول للذات الا باكتساب الفضائل لمعيشة واستعمالها (وهذه كلها من أوصاف الزبرجد يتوبيس مذموما
على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لآخرة وطالب ذلك طالب للعلو والعز والتمكين
لا محالة ولكن الملك مدكان ملك مشوب بأنواع الآلام (والهموم) والاكدار (ومقرون بسرعة الانصرام)
والانقطاع (ولكنه عاجل وهو الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم) أي لا يتعاطاه (ولا يقطعه
قاطع ولكنه آجل) أي متأخر (وقد خلق الانسان عجولا بل تعاجله) كما نص عليه (في القرآن
الشيطان وتوصل به بواسطة العجلة التي في طبعه فاستحواذ ما يعجله وزين له الحاضر بتوسيط
بواسطة الحق) وهو فساد جوهره المعد (توعده ما يعرو في الآخرة ومنعه من الدنيا وما في الآخرة)
قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحق) وفي رواية وعاجز (من أتبع
نفسه هواها وتمنى على الله) ما تمنى رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم
(فاخدع المخدول بغروره فعل ذلك مكره) ومكيدته (فعرض عن العاجلة) وعبر عن المخدولين
بقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة) أي هؤلاء يحبون لعاجلة (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أي
لا يعبأون به (وما استطاع مكره ذلك في كافة الخلق) وما سرحه عنه (أرسل الله الملائكة الى الرسل) عليهم
السلام (وأوحى) وفي نسخة فأوحوا (اليهم ما أنزل الحق من الحق) ذلك بقوله (وأوحينا) (فاستعلوا
دعوة الحق الى ذلك الحقيق عن) الجري (الذي هو أصل له ان سلم) من كيد (دواعيه أصلا فسدوها) بمكر الله
دواعيهم في كافة البرية (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) أي في جهاد أعداء الله (اثاقلتم الى الارض) وتسمعتم من الخروج (أرضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة في الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) وزوالها لا يحيل دائر يورد تقرب وتعجب
موسى) عليه السلام (وكل كتاب منزل ما أنزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم الخالد) روى عبد بن حميد
وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر من حديث أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال
مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى
موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله فما كانت
صحف ابراهيم قال أمثال كلها عبر فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت فيها أنزل الله على
شيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة
الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا في الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى (أي أرادهم أن يكونوا ملوكا
في الدنيا ملوكا في الآخرة اما لك الدنيا فلا زهد فيها وقناعة بالبسير منها) فقدموا ما علموه أن الآخرة

على الخلق من هلاك لعدو واعوانه فاستعجل بدعوة الحق في حياته في عين الحق الذي لا أصل له ان سلم ولا دواعيه أصلا فسدوا
فيهم يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع
الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وابراهيم وكل كتاب نزل ما نزل الا لدعوة الحق الى ذلك الملك الدائم فعبر
والمراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة أما ملك الدنيا فلا زهد فيها وقناعة بالبسير منها فقدموا ما علموه أن الآخرة

(وأما ملك الآخرة فما قرب من الله تعالى يدرك بقاءه لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين لا خفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من نفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا ولعلها ملك الآخرة هو يدعوه إلى الدنيا لا الآخرة صرف ولعله ملك الدنيا لا تسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يحلو عن المنازعات وطول الهموم في التدبير ان وكذلك سائر أسباب الجاه ثم مهما تسلم وتم الأسباب يقضي العمر حتى قد تخذت الأرض رحرحها وارتبوطن أهلها أنهم قادرون عليها أيها أمر بالليل أو نهارا فجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نضرب الله تعالى به مثلا فقال تعالى وصرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه

(١٠) الرياح والله على كل شيء مقتدرا (والزهد في الدنيا لمن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فحسده ومعنى

الزهد أن يغلب بعد شهوته وغضبه فيقاد ان لباعث الدين ولإشارة العقل فلا يتحقق هذا إلا بالاستيلاء على الشهوة حتى يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا بل لو ترك شهوة واحدة كحب الرياسة وحب المال وسائر أنواعه لصار حرا ولكن يبقى مقيدا بسائر الشهوات ويكون مثله كمثل الطير المقيد برجله في يد صبي فإنه يصير حرا من الطيران في الهواء بقطع رجله ولكن يبقى مقيدا بالرجل الأخرى ومثل هذا الطير لا يكون إلا مملوكا في الدنيا ومملوكا في الآخرة وهذا قال بعض السلوك لبعض الزهاد وقد قال من حسده كيف أطلب مملكة حسنة وملكي أعظم من ملكك قال فكيف ذلك قال من أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وعصبك وفرحك وحزنك وقد ملكتك هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالمحدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على الصراط المستقيم) فلم يفرطوا ولم يفرطوا (فازوا بالدنيا والآخرة جميعا وقد عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط والاشتباه (في ذلك وكيف تغلب الشيطان وتلبيسه) وخدعه ومكره (وسهل عليك النزوع من الملك والجاه والاعراض عنهما وأما تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الحمد وأنس به ورسخت فيه مائة سنة وباشره أسبابه فلا يكفيه في علاج تجرد العزم والكشف بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع

كلهم فهم عبيدي فهذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالمحدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا وقد عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط والاشتباه في ذلك وكيف تغلب الشيطان وتلبيسه فسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والتصير عبدا بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الحمد وأنس به ورسخت فيه مائة سنة وباشره أسبابه فلا يكفيه في علاج تجرد العزم والكشف بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع

الجاه حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يعسر بعض علته الشهوة عن مشاهدة صور المحرمات فمن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها * الثاني ان يكلف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبدل وهو خلاف التصوف (وري الخشمة وري التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومأكل ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وهو يقتضي جاهه فيسعى ان يبدلها بما يضادها) وفي نسخة بقتضيها (حتى يترجح باعتياد ذلك ضد ما تدرج فيه من قبل ما اعتاد ضده فلا معنى للمعالجة لا بالمضادة * الثالث ان يرى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبدل) وترك التكلف (فان الطبع هو ولا يمكن نقله عن أخلاقه الا بالتدريج) ويترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ ترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقنع تلك الصفات التي رمت فيه وفي هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين) أي صلب شديد (فأوغل فيه برفق) أي سر فيه سير محكم ما لا تطلق ولا تفعل السير الشديد ولا تعول للدخول في شيء (ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت) وهو من انقطع به في السفر وعطبت راحلته (لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) أي فلا هو قطع لارض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره يتقطع به رواه أحمد والبزار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر بضعف وذكره رزين محتصرا من حديث أنس بلفظ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق رواه هكذا أحمد والبزار وزاد ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تكرهوا عباد الله الى عبادة الله فان المنبت لا يقطع مفازا ولا يبقي ظهرا رواه البيهقي من حديث عائشة وروى أيضا في سياق المصنف ان الله قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى عباد الله فان المنبت لا مضى قطع ولا ظهرا أي فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا وحذر حذر من يخشى أن يموت غدا وفي رواية ان لن يموت الا هرما رواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر وقال البيهقي روي هذا الحديث من طرق موصولا ومرسلا وموقوفا وفيه ضعف ورواه البخاري في تاريخه كما سيأتي وبعد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (وقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فان من يشاد هذا الدين) رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وقد تقدم بيانه في كتاب ترتيب الاوراد (وقد ذكرنا في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أصنافه الى ما ذكرناه من فوائد طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات وتحذيره ليتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل

(٦ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) (الآخر بقوله ومن رأى التدريج يرى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده مقوتا وما كان مكروها عنده مشتهى هيهات لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العلم ان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض

العارفين انه سأل (أبابكر الشبلي) قدس سره (في الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله) وهو الصبر على تغيير الاخلاق المذمومة والاتصاف بالمحمودة والاشتغال بانواع الطاعات (فقال لا فقال الصبر لله) تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في حل ما يرد عليه من غير اعتراض بذلك (قال لا فقال الصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك مع استعراء من الحول والقوة (فقال لا فقال فايش) أي أي شيء هو (قال الصبر عن الله) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تعرضه اليه فيلازم الباب ويتمرغ في التراب (نصر الشبلي صرخة كادت روحه) ان (تتلف) لان قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره فهذا الصبر مذموم وهذا قد أورده القشيري في رسالته جميعا عن محمد بن الحسن قال سمعت علي بن عبد الله البصري يقول وقف رجل على الشبلي فقال أي صبر أشد على الصابرين فذكره وقال بعضهم الصبر لله ما كان في أول العبادات والصبر مع الله ما كان في أثنائها والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها (وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا أي اصبروا لله) تعالى أي في طاعته (وصابروا بالله) تعالى أي بعونه (ورابطوا مع الله) تعالى أي بالادب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري وقيل الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة وقيل اصبروا بطوسكم على طاعة الله وصابروا نفوسكم على البلوى في الله ورابطوا سركم على الشوق الى الله وقيل حالك التي أنت فيها ربطك ومادون الله تعالى اعداؤك فاحبس المرابطة في رباط حالك وقيل المصابرة هي الصبر على الصبر حتى تستغرق الصبر في الصبر فيهجر الصبر على الصبر كما قيل

صابر الصبر فما تحت به ... لصبر صاح الحب بالصبر صبر

كل ذلك نقله القشيري (وقيل اصبروا لله عباد) أي مشقة وكلفة (وابصروا بالله بقاء) أي عون منه (واصبروا مع الله وفاء) لما امضى به (واصبروا عن الله حظوظ) أي بعدوا عن التعرض عنه نقله القشيري وزاد بعد قوله فاء والصبر لله بلاء أي اختبار وامتحان كما يجري من القضاء (وقد قيل في ذلك) شعر

(واصبر على المكروه عواقبه ... واصبر على سائر الاشياء محمود)

نقله القشيري وأورد أيضا

وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمال

اذا لعب الرجال بكل شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجال

(وقيل أيضا) (والصبر محمود في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يحمد)

أورده القشيري بعد قوله وقال يحيى بن معاذ الرازي صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين وأعجب كيف يصبرون وأشد من هذا كله قول الشيخ عبد الله الانصاري ومن ضعف صبر الصبر لله وهو صبر العامة ووقوفه الصبر بالله وهو صبر المريدين ووقوفه الصبر على أحكام الله وهو صبر المتمكنين ومعنى كلامه ان صبر العامة لله أي رجاء ثوابه وخوف عقابه وصبر المريدين بالله أي قوة الله ومعونته هم لا يرون لانفسهم صبرا ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بلا حول ولا قوة الا بالله علما ومعرفة وحالا ووقوفهم الصبر على الله أي على أحكامه هذا تقرير كلامه قال صاحب القوت والصواب ان الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل شانا فان الصبر لله متعلق بالالهية والصبر به متعلق بربوبيته وما تعلق بالالهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته ولان الصبر لله عبادة والصبر به استعانة والاستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها ولان الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به وأما الصبر به فخاصة الانبياء والرسل والصديقين ولان الصبر لله صبر فيما هو حق له محبوب مرضي لديه والصبر به قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح فاين هذا من هذا وأما تسمية الصبر على أحكامه صبرا عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم (هذا آخر ما أردنا شرحه في علوم الصبر واسراره) وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر اليها المصنف

العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال فايش قال الصبر عن الله نصر الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله بقاء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله حظوظ وقد قيل في معناه

والصبر محمود في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يحمد

والصبر صبر قد مذموم عواقبه ... والصبر في سائر الاشياء محمود

وقيل أيضا

الصبر يحمد في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يحمد

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره

تمامه وفي كتاب الشيوخ قال القشيري في الرسالة قال أبو تميم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله وما صبرك الا بالله عبودية فمن ترقى من درجة قال لي درجة لك فقد انتقل من درجة العبادة الى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم لك أحيا ولك أموت وقال ذو النون المصري الصبر مشاهدة عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر مساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقيل هو الصبر في البلوى بلا شكوى وقال أبو عثمان الصبر الذي عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل الصبر القيام مع البلاء بحسن الطمأنينة كالقيام مع العافية وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستعانة بالله وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنشدني أبو بكر الزرجي قال انشدني ابن عطاء لنفسه

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول الصبر كاسمه وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وقال أبو محمد الجريري الصبر لا تفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الظاهر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان ثقل المحنة واشد نعتهم

صبرت ولم اطلع هواك على صبري * وأخفيت عما بي مخافة عن موضع الصبر

مخافة ان يشكوى صبري صبابتي * الى دمعتي سرا فتجري ولا أدري

وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيدا وان أحياك أحياك عزيزا وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج وفي بعض الاخبار يعني ما يتحمل المحملون لاجلي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت وكان ابن شبرمة اذا ورد عليه بلاء قال بطانة ثم تفشع وسئل انسري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدب على رجله عقرب وهي تصربه بأبرتها صربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لم لم تخبر فقال استحييت من الله تعالى ان أتكلم في الصبر ولا الى صبر وفي بعض الاخبار لفقراء الصابرين يحاسبهم الله يوم القيامة وأوحى الله الى بعض أنبيائه أوحلت بعبدي بلائي فدعاني فعاملته بالاساءة فشكاني فقلت عبدي كيف أوحلت من نبيه أوحلت وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول ان الصبر حده ان لا تعترض على انتقد برفما ظهر البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب مع ما أخبر عنه انه قال مسني الضر وسمعته يقول استخرج منه هذه المقالة يعني قوله مسني الضر ليكون مفتاح الضعفاء هذه الامة وسمعته يقول حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه مسني الضر الآية فقط ولم يقل في الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرحم الراحمين ولم يصرح بقوله ارحمني * واعلم ان الصبر على صبرين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضا وفي معناه أنشد

تبين يوم البين ان اعتزامه * على صبر من احدى نطوف الكوادب

وفي هذا المعنى سمعت الاستاذ أبا علي يقول أصعب على العقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أي فشأني صبر جميل ثم لم يمس حتى قال يا أسفا على يوسف لم هذا كله كلام القشيري وقال صاحب العوارف لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر وعرك النفس والعرك تلين والصبر حر في الصابر يجري الانعاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سياسته في الظاهر والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما دون الآخر ومصدرهما العبرة العقلية وهما متقارنان لاتحاد مصدرهما

و بالصبر تحامل على النفس و بالعلم ترقى الى الروح وهما النور و العرفان من الروح و خلق ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبالفضل أحدهما عن الآخر أعني النور والصبر فضل أحدهما على الآخر أعني النفس والروح وبيان ذلك يبدي وباهيك بشرف الصبر قوله تعالى يسمعه الله عليه وسلم واصبر وما صبرك الا بالله أضاف الصبر الى نفسه شريف مكانه وتكميل معلمه ثم يقل مراجعة الرحل مع الشلى في شدة الصبر تقدم ذكره ثم قال وعدى في معنى الصبر عن الله وحده وسكونه من شدة الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون في أخص معاملة مشاهده ثم يرجع بعد عن مولاه استحياء و خلالا وتعطف تصبره حملا ودرباوا يتصبر في مقاومة استكانته وتخفيه لاحساسه بعظم أمر الجبي وهذا من شدة الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تأديه لحق الجلال والروح تود أن تفعل تصبرها ما شعه نورا لجمال وكأن النفس سارعة لعموم حال الصبر والروح في هذا الصبر مسرعة فشدة الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى أمر الله تعالى بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث حض عليه بالله لا بنفسه فقال واصبر لك الا بالله الى هنا كلام صاحب العوارف وقال صاحب القوت في شرح مقام الصبر قال بعض العلماء ما داحض الله من شيء فعلى في التقوى وا صبر فلك وهذا تعريف من صاحب القوت وهي الكتاب شاهد على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد العرمي قال اخبرنا هوس قول النبي صلى الله عليه وسلم مداق لامرين من الشدة الالتجاء والصبر فبي بالثقة حسن الرشاد و الصبر هو المر ثم قال صاحب القوت وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق و أفضل منازل العبودية الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وكان يقول الصالحون في المؤمنين كالصابرين في الصالحين فلما جعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقدما على الصدق في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية فمن الواو للجمع و الصبر ينقسم الى عملين أحدهما الاصلاح للدين لانه والذي هو أصل و اد الدين ثم يتفرع الصبر فيكون صابرا على الذي فيه صلاح الدين فيكمل به بدنه و يكون صابرا عن الذي فيه فساد الدين فيحبس به نفسه وكان ميمون بن مهران يقول الايمان و التصديق والمعرفة و الصبر شيء واحد ثم قال فمن صبر عن الطمع في الخلق خرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في التصديق الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين وقدر و يمايؤتى به شكر أهل الارض صبر به جزاء الشاكرين و يؤتى بالصبر أهل الارض فيقال توفى الصابرين كم جزيناهم الشاكرين فيقول نعم بارب فيقول الله كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وجاء في الجنان لابواب الجنة مصراعين يأتي عليهما زمان لاباب الصبر فيه مصراع واحد لايدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد والصبر صبران أحدهما مقصور بالآخر لايتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصبره أفضل لاحول من حيث كان التقوى أفضل المقامات اذ الاتقى هو الاكرم عند الله ولا كرم عند الله هو الافضل وقيل لسفيان الثوري ما أفضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء لا تصحب صديقا في مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبره ولا تطمع أحدا في حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثني عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ويثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك من أخلاق الله تعالى انه اذا أحب عبدا أو رضي عمله مدحه ووصفه في البلاء بكراهة ومشقة أو

هوى أو شهوة فصبر عن ذلك لله تعالى يمدحه و يثني عليه بكرمه وجوده فمدخل هذا العبد
في أسماء الموصوفين بصبر واحد من محمد وحين بعده بيت قدمه من الرمل و تحمله ما سبق له من
صالح العمل و أصل الصبر الصبر على لله تعالى بالمحافظة و لاصغاء اليه وعكوف لهمم عليه وحقوه الوجه
به وهو الخصوص المقربين أو جميعهم أو حاله أو تسليما له أو تفويضا به وهو سكون تحت جريان
الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقسام وشهود المشقة فله والحكمة فيها وهو بعض الابتلاء
بها وهو داخل في قوله تعالى ولنبلونكم فالصبر وفي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سهل في
تأويل قول علي رضي الله عنه ما ساء الله تحت كل عبد يؤمنه فان هو لم يكن تحت جريان الاحكام عن
كراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز ما أحببت ومالي سرور الا في موضع قدر ويقال من
علامات البقين لتسليم للقضاء تحسن الصبر والرضا وهو مقام بعد بين والصبر أيضا على اظهار
الكرامات وهي الاخبار بكشف القدرة و لآيات دخل في جنس الادب من المعاملات وهذا في معنى
الحياء من الله تعالى وهذا طريق لمحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس
عن حب الجاه والمدح والرياسة وقد رويناه في خبر مقطوع الصبر في ثلاث الصبر عن تزكية النفس
و لصبر عن شكوى مصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خيره وشره * واعلم ان أكثر معاصي
خلق في سخط لله الصبر عما يكرهون وقد قرن الله الكراهة بالخير و محبة
بالشر في قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وهو الصبر
وهو أول درجة مثل أول الاخلاص والصبر أصعب من الاخلاص لانه لا يكاد يصبر الا من لا يخلص
يكن لك لا لصبر عليه ولان الشيء اذا كان لا يؤتيك الا قليلا قليلا وأنت تجتمع اليه لم يكن لك الا الصبر
عليه والا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لانه لو قوي قلبه كان
الآجل من الوعد عاجلا اذا كان الواعد صادقا فحسن صبره لقوة يقينه بالاعطاء ولا يصبر العبد الا
لاحد معنيين مشاهدة معوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام المحبين أيضا والصبر لى
المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين من شهد المعوض علي بالصبر ومن صبر لى المعوض جره الصبر
والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو لتحمل بالصبر بمنزلة الزهد
وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد وازهدوا اصبروا تحقق بالوصف وذلك هو لمقام الى
هنا كلام صاحب القوت وقال صاحب المنازل سئل بعض لمشايخ كان صبر يوسف عليه السلام
عن طلعة امرأة العزيز أكمل من صبره على بقاء اخوته اباه في الجب و بعدهم وتفريقهم بينه و بين
أبيه فان هذه أمور حرب عليه بغير اختياره لا كسب له فيها بخلاف المعصية فيها عن الصبر وأما صبره
عن المعصية فصبر اختيار و رضا وتجارة لنفس ولاجلها مع أسباب تقوى معها داعية لموافقة فانه كان
شابا وداعية الشاب الهوى قوية وكان غريبا ليس له ما يعوقه و يرد شهوته وغريب العزيب لا يستحي في
بلد غربته مما يستحي منه بين أصحابه وأهله و يحتشمونه فهو كان لمعوقة ليس وازعه كوزع الحر وامرأة
جميلة وقد تعرضت وقدمت الرغبة وهي الداعية له الى نفسها والحريصة على ذلك شدة الحرص ومع
ذلك توعدته بالسجن ان لم يفعل فمع هذه الدواعي كلها صبر اختيارا وايثارا لما عند الله فأين هذا من صبره
في الحب على ما ليس من كسبه و صبر على داء العذاب أكمل من صبر على اجتناب المحرمات فان
مفسدة فعل طاعته أحب الى الشارع من مفسدة ترك المعصية ومفسدة عدم اطاعة أبغض اليه وأكره
من مفسدة وجود المعصية * واعلم ان الشكوى الى الله عز وجل لا تنافي الصبر فان يعقوب عليه السلام
وعد بالصبر الجميل و لنبي اذا وعد لا يخلف ثم قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذلك أيوب عليه السلام
أخبر الله عنه انه وجده صابرا مع قوله مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وانما ينافي الصبر شكوى الله لا

(الثانى) فى حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة

(ثالث) فى بيان الاصل من الشكر والصبر

(الركن الاول فى نفس الشكر)

(بيان فضيلة الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال واذكروا الله أكبر فقال تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضى بالشكر محاذاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكرونى أذكركم وشكروا لى جرى فى بعض المحاورة تحقق الامر وتعميم الشكر لان فيه للشرط وجزاءه والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى فاذكرونى متصل فقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى واشكروا لى والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكرونى وهم يكفرون عن مثل هذا الكاف كما يكفرون عن سوف تأتينى وهذا تعليل للشكر عظيم لاجله لا علماء بالله تعالى (وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجودهما العذاب (وقال تعالى وسنجزى الشاكرين) وقال أيضا وسنجزى الله الشاكرين (وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم) طريق (الشكر) هذا أحد الوجوه فى الآية نقله صاحب الفوت وقال فلولا أن الشكر طريق قريب توصل الى الله تعالى لما جعل سعادتى تقطع (ولعلو رتبة الشكر جعل اللعين فى الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين) فلولا أن الشاكر حبيب رب العزة ما قال ذلك (و) كذلك (قال تعالى وقليل من عبادى الشكور) كما قال تعالى وبقد صدق عليهم ابليس لعنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وفى الآية تنبيه على أن قوة شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أولى نائه الاعلى النبى قال فى وصف ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه وقال فى نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا (وقد جمع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن) فيه (فقال) واذ تأذن ربكم (لئن شكرتم لازيدنكم) ولئن كفرتم ان عذابى لشديد (واستثنى فى جملة أشياء فى الاعطاء والاماته والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يعيدكم الله من فضله ان شاء وقال) تعالى (ويكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال) تعالى (ويرزق من يشاء بغير حساب وقال) تعالى (ويتوب الله على من يشاء) وقال أيضا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فالشاكر على مزيد والشكور فى نهاية المزيد وهو الذى يكثر شكره على قليل من العطاء ويشكر منه الشكر والثناء على الشئ انما يحسن النعم (وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم) لانه يعطى ما يعلم من أعماله والمزيد هو الذى النعم بحمله ما شاء فاصل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الصفات وأول المزيد شهود النعمة انها من المنعم جاءت على غير حول ولا قوة الا بالله وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد اخلاصا وقد يكون علوما وقد يكون فى الآخرة تثبيتا عند قرن الذنب وقال صاحب الذخائر واذا وصف الله بالشكر فى قوله انه شكور حليم فانما يعنى به انعامه على عباده وجزاءه عن أقامه من العبادة (وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة) وختام تسبيحهم (فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) ثم بوأنا من الجنة حيث نشاء (وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فلولا انه أحب الاعمال اليه ما نقاهم عليه لديه وما يدل على فضيلة الشكر

وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة

من

فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

من الآيات قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا و اختلف فيه فقيل هو منصوب على التمييز والمعنى اعملوا ما تعملونه شكرا لله وقيل هو مفعول به لقوله اعملوا ولم يقل اشكروا ليعم جميع انواع الاعمال الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقال الله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وقال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وقال تعالى وان تشكروا يرضه لكم فجعل رضاه عن عباده مشروطا بالشكر وهي مسألة عظيمة (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلدي جلده ثم قال ذريني أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك وأحب ما يسرك فقام الى قربة ماء فتوضأ ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى ثم لم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله علي الليلة وويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها والفظ لابن حبان في صحيحه وفي آخره ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ولفظ الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا قال ابن حجر في شرح الشمائل وقد ظن من سأله صلى الله عليه وسلم في سبب تحمله المشقة في العبادة ان سببه ما خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفهمهم بها سببا آخر أعلى وأكمل هو الشكر على التأهل لهم مع غفرة وازال

(وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلدي جلده ثم قال ذريني أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك وأحب ما يسرك فقام الى قربة ماء فتوضأ ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى ثم لم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله علي الليلة وويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها

النعمة وهو اعم الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام فى الخدمة بحق المعبود فمن أدام ذلك كان شكورا وقليل ماهم ومن يقرأ أحد يكن هذه المرتبة غير نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الانبياء عليهم السلام وقد أمروا بذلك فى الجملة وعظيم الخشية لعظيم نعمه وربهم عليهم ابتداء بها فصلاوسة من غير مسابقة توجب استحقاقها وأما البعض الشكر والاخقوفه تعالى أعظم من يقوم بها أحد من خلقه (وهذا يدل على ان البكاء ينبغى ان لا يقطع أمدا وفى هذا السر بشير ماروى انه مر بعض الانبياء) من بنى اسرائيل (بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه) لما عنه العادة (فاطلعه الله تعالى) على سره فسأله عن سبب ذلك (فقال سبب سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأله أن يجيره من نار حجارة ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى لانى (فقال ذلك البكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فيمضى بهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى حديث آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم اذا رد الله تعالى الى أيوب عليه السلام ما ذهب له وضيت بالشكر مكافا من أوليائى فى كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالطراز أزيدهم ولما نزل فى الشكور ما نزل قال عمر رضى الله عنه فأى المال نجمع فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا) وزاد ه مالا فى الآخرة (لا على المال) فى الدنيا وشكر القلب هو مشاهدة المنعم فى النعمة وشهود المعطى عند العطاء حتى ترى النعمة عين منه واعطاءه منه لان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان كذا فى القوت وقد مر الى ثوبان وعمر رضى الله عنهما قاله رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وأبو نعيم فى الحلية من حديث ثوبان ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعين على أمر الآخرة وقد تقدم فى كتاب النكاح (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (شكر نصف الايمان) وقد روى من حديث أنس مرفوعا الايمان نصفان نصف فى الصبر ونصف فى الشكر رواه الديلمى والبيهقى وقد تقدم قريبا من الاخبار واردة فى الشكر انه صلى الله عليه وسلم قال للعداى أحبك فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفى الترمذى من بعض دعائه المشهور

وهذا يدل على ان البكاء ينبغى أن لا ينقطع أمدا وفى هذا السر بشير ماروى انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فاطلعه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأله أن يجيره من نار حجارة ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى لانى فقال ذلك البكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فيمضى بهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى حديث آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم اذا رد الله تعالى الى أيوب عليه السلام ما ذهب له وضيت بالشكر مكافا من أوليائى فى كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالطراز أزيدهم ولما نزل فى الشكور ما نزل قال عمر رضى الله عنه أى المال نجمع فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وقلبا شاكرا لا على أمر الآخرة وقد تقدم فى كتاب النكاح (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (شكر نصف الايمان)

(بيان حد الشكر وحقيقته) اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فالعلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع (٤٩) ذلك ليحصل مجموعه الاحاطة

وب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطواعا لك مخباتا إليك أواها منيبا وفي حديث عمر اجعلني أعظم الناس في عين نفسي وأصغرهم في أعين الناس ولا تهاد في حديث ابن عمر واحذروا من شكر ما شكر منه عبد لا يحمده

(بيان حد الشكر وحقيقته)

(اعلم) أنهم قد اختلفوا في الفرق بين حد الشكر وبين الشكر أيهما أصل وفي الحديث المتقدم احذروا من لم يحمد الله لم يشكره ويفرق بينهما بأن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة وباللسان ثناء واعترافا وبالجوارح طاعة وانقيادا ومتعلقه المشكور الأوصاف التي تليق بالمنعم دون الأوصاف الذاتية فلا يقال شكرت الله على حياته وعلمه وبصره وعلمه وهو المحمود به فهو محمود على إحسانه وعدله والشكر يكون على الإحسان والنعم فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس فقد يشكر بقلبه بالجوارح وأحمد باللسان فقد عرفت بذلك أن العلم (أن الشكر من جملة مقامات السالكين) وهو الثالث من مقامات النفس (وهو أيضا) كما تقدم (ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل) وبه صرح بعض من تكلم في المقامات وأحسن وقد تقدم الكلام عليه في شرح كتاب التوبة (أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم وأما الحال فهو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان ذلك ليحصل مجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر) على ما سيأتي بيانه (قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالأصل الأول العلم وهو علم ثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه فأصل النعمة من المنعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم الايمان بمعرفة ثلاثة منها كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس فتدخل التقديس تدخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الايمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط) وانه هو الذي أفاض الوجود عليه (بل الكل نعمته فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة) من رتب الايمان (الذي ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله وله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله وله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله وله ثلاثون حسنة) تقدم في كتاب الأذكار والدعوات قال صاحب القوت ليس لأحد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولأن الله تعالى فتح به كلامه في كتابه (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر بنحوه قلت ورواه كذلك الحاكم وعبد الرزاق والبيهقي وابن النجار وأفضل الدعاء لا إله إلا الله وأفضل الذكر الحمد لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ليس شيء من الأذكار بعد لا إله إلا الله) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي قال يقال ان أحد أكثر ذكرا كلام تصعيدا (ولا شك ان هذه الحسنات بارا تحريك اللسان بهذه

بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه (فالأصل الأول) العلم وهو علم ثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه فأصل النعمة من المنعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم الايمان بمعرفة ثلاثة منها كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس تدخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الايمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمته فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة من رتب الايمان الذي ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد

بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله وله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله وله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله وله ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الأذكار بعد لا إله إلا الله أفضل من الحمد لله ولا نظن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من المنعم الحق والحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أنوار الإيمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة يتم الشركة في الأفعال بمعنى أن تعلم أن ما سوى الملك من الملوك شيء كالحمار الذي لو ركبه أو وكيله دخلا في تسيير ذلك الحمار إليه فهو أشركه في النعمة ولا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه لوجه ومن غيره لوجه وتزع درجة عليهما ما لم يكونا موحدين في حق الملك نعم لا بأس من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوفيقه الذي كتبه على عبده لا يفرح بالقلم والكاغد الذي كتبه عليه ولا يشكرهما لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما (٥٠) بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعبر أن الوكيل الواصل والحمار أيضا مضطران من جهة الملك في الإيصال وإنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر لحرم بحماره غايته من سم إليه شيأ وقد اعرف ذلك إذا كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله

اعلم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرون في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو الذي سلط الداعي عليها فتفعل ما شاء ثم أنت كالحمار الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لعطلك درة ثمينة في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يديه فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الداعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وإن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به وإن هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذا إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرض نفسك ولو لم يكن غرضه في إعطائك لم يعطك ولو لم يعلم أن نفسه في نفسك لم يعطك فلم يعطك إذا لنفسك بل لنفسه فلا شكر لك عليه وإنما الشكر لله تعالى الذي سخره لك وألقى في نفسه الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال بك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت مشاهدا لمعرفة متعددة شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته إلهي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وجعلت الملائكة سجودا له فكيف شكر إحسانك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس) فالمسبح هو التقديس والتنزيه يقال سبحت الله أي نزهته عما يقوله الملحدون (ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد) فمعناها لا معبود حق إلا الله (والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الموحد الحق) لا غير وهو المنعم المطلق (والحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أنوار الإيمان واليقين) ومعنى الحمل بينهما (واعلم أن تمام هذه المعرفة نفي الشركة في الأفعال بمعنى أن تعلم أن ما سوى الملك من الملوك شيء كالحمار الذي لو ركبه أو وكيله دخلا في تسيير ذلك الحمار إليه فهو أشركه في النعمة ولا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه لوجه ومن غيره لوجه (ويوزع) أي يقسم (درجة عليهما ما لم يكونا موحدين في حق الملك) في الحقيقة (نعم لا بأس من توحيده في حق الملك ويكمل شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوفيقه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فلا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعبر أن الوكيل الواصل والحمار أيضا مضطران من جهة الملك في الإيصال فإنه لو ورد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر لحرم بحماره (لما سلم شيأ) من ذلك النعمة (فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله اعلم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرون في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو الذي سلط الداعي عليها فتفعل ما شاء ثم أنت كالحمار الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لعطلك درة ثمينة في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يديه فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الداعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وإن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به وإن هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذا إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرض نفسك ولو لم يكن غرضه في إعطائك لم يعطك ولو لم يعلم أن نفسه في نفسك لم يعطك فلم يعطك إذا لنفسك بل لنفسه فلا شكر لك عليه وإنما الشكر لله تعالى الذي سخره لك وألقى في نفسه الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال بك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت مشاهدا لمعرفة متعددة شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته إلهي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وجعلت الملائكة سجودا له فكيف شكر إحسانك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا

شكر لذ قال عم ب ذلك مي فكان ذلك شكره (وقد لا تشكر الا بان تعرف ان بكل منهما قاب ه لجسك ريب) أي دخل ذلك شك (في هذا لم تكن عرفا لا بنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده ل بغيره فنقص معرفتك بنقص حالك في الفرح و نقصان فرحك بنقص بحسب فهذا ب هذا الاصل * الاصل الثاني لحاله المستفادة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع والخشوع) وفي نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع (وهو أيضا في نفسه شكر عن مجرده) أي بمجرده (كان المعرفة شكر) بمجردها (وقد تكون) تلك الحالة (شكرا اذا كان حامله شروطه) أي الشكر (وشروطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالا علم وبعل هذا مما ينعدر عليك فهمه فضرب لذلك مثلا) ليتضح لك به فهم المقصود (فقول الملك الذي يريد الخروج الى سفره نعم فرسي) من افراسه الثلاثة (على حساب يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس) المذكور (من ثلاثة أوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس) الكر والفر (وهذا فرح من لاحظ له في ذلك الى غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بمصالحه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل) أي المراد (في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به لبركته فيفرح في خدمته الملك و يحتمل مشقة السفر ليال بخدمته ورتبة القرب منه وعما يرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تلي درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع الملك بان يكون محله في قلب الملك أو بعنايته فرسا يعتني به لهذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا يسع الملك شيئ من ماله على أحد الا واسعده) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة فصل الوزارة أصابل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحيانه (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة و بين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان صاحبها مقصور على الفرس فيفرحه الفرس لا يعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) بمراتب (وأما الرتبة الثانية) وهي نسخة الثالثة (فهي داخلة في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث انه بل من حيث معرفة عنايته التي استدل عليها وهذا حال بعض الذين يعبدون الله و يشكرونه حوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى و التنعم في جواره والتطرق الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا

شكر لذ قال عم ب ذلك مي فكان ذلك شكره (وقد لا تشكر الا بان تعرف ان بكل منهما قاب ه لجسك ريب) أي دخل ذلك شك (في هذا لم تكن عرفا لا بنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده ل بغيره فنقص معرفتك بنقص حالك في الفرح و نقصان فرحك بنقص بحسب فهذا ب هذا الاصل * الاصل الثاني لحاله المستفادة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع والخشوع) وفي نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع (وهو أيضا في نفسه شكر عن مجرده) أي بمجرده (كان المعرفة شكر) بمجردها (وقد تكون) تلك الحالة (شكرا اذا كان حامله شروطه) أي الشكر (وشروطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالا علم وبعل هذا مما ينعدر عليك فهمه فضرب لذلك مثلا) ليتضح لك به فهم المقصود (فقول الملك الذي يريد الخروج الى سفره نعم فرسي) من افراسه الثلاثة (على حساب يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس) المذكور (من ثلاثة أوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس) الكر والفر (وهذا فرح من لاحظ له في ذلك الى غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بمصالحه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل) أي المراد (في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به لبركته فيفرح في خدمته الملك و يحتمل مشقة السفر ليال بخدمته ورتبة القرب منه وعما يرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تلي درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع الملك بان يكون محله في قلب الملك أو بعنايته فرسا يعتني به لهذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا يسع الملك شيئ من ماله على أحد الا واسعده) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة فصل الوزارة أصابل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحيانه (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة و بين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان صاحبها مقصور على الفرس فيفرحه الفرس لا يعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) بمراتب (وأما الرتبة الثانية) وهي نسخة الثالثة (فهي داخلة في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث انه بل من حيث معرفة عنايته التي استدل عليها وهذا حال بعض الذين يعبدون الله و يشكرونه حوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى و التنعم في جواره والتطرق الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا

حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في ذلك الى غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بمصالحه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به لبركته فيفرح في خدمته الملك و يحتمل مشقة السفر ليال بخدمته ورتبة القرب منه وعما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع الملك أن يكون محله في قلب الملك أن يعنايته فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب

انتهى اليها تنتهي الآمال والامانى (وامره ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه) أى تشغله (عن ذكر الله تعالى وتصده) أى تمنعه (عن سبيله فانه ليس يريد النعمة لاجل الدنيا) وهو الغفلة بقلبه (كجار صاحب الفرس انما يريد الفرس لاجل الجواد) وتأمل (وهو مثل) أى سريع (سيرى لم يخف (بل من حيث انه يحمله فى صحة الدين حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه) وكلامه لديه (ولذلك قال شاذلى رحمه الله تعالى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) وقد نقشيرى فى الرسالة أى ان يكون لسابق منهم فى القلب رؤية المنعم وحده كما قال بعضهم ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله أى غالب على القلب رؤيته بحيث لو عرض له شئ حجب فيه لا يكون معه ذكر له ورؤية لله به ذاكر غير غافل عنه (وقال خواص) هو أبو سعيد أو هشام أحد من قرأ ان الجنيد (شكر النعمة) يكون (على المطعم والملبس والمشرب) ونحوها من النعم الظاهرة (وشكر الخاصة) يكون (على واردات القلوب) مما يرد عليها من المعانى التى يعرفها الاولياء تصرف الحقائق على القلوب بالوارد والوجد وغيرهما وهذا قول سهل نقشيرى فى الرسالة أى عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى نجيد أى حصن الجند دولابه وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى (وهذه الرتبة لا يدركها كل من انحصرت همته فى المطعم والمشرب ومدركات الحواس) الظاهرة (من الالوان والاصوات وخلاصة ذلك انه ما انحصت همة العبد فى المطعم والمشرب وكل ما يتعلق بالمادة لا يتأتى له شكر الله تعالى ومعرفته وانما يتأتى بقدر ما خرج عن هذه العادات كما يتأتى لبعض الناس ما لا يتأتى لبعض وكما يستشفع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستعفى الاشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن هى (فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية) بان يفرح بالنعمة لا من حيث هى نعمة بل من حيث انه يستعين بها على عبادة المنعم به (أما) الدرجة (الاولى فخارجة عن كل حساب) وذلك بان يفرح بالنعمة من حيث انها نعمة فقط ويكون نظره مقصورا عليها (فكم من فرق بين من يريد الفرس للعلف وبين من يريد الفرس للعلف وكم من فرق بين من يريد الله فيتم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه) والاصل الثالث العمل الموجب للفرح الخاص من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح أما بالقلب فقصد الخير والصلاح (واضماره كافة الخلق) أى عمومهم (وأما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه) بأى صيغة كانت (وأما الجوارح فاستعمال نعم الله فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته) قال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الاستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدى السرى يوما وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال وما علامة الشكر فقلت ان لا تعصى الله تعالى بنعمه فقال لوشك ان يكون حداثتك الا لسانك فان الجنيد فلا أزال أتكلم على هذه الكلمة التى قالها السرى (حتى ان شكر العيون ان تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه) وفى الرسالة وقيل شكر العينين ان تستر عيبا تراه لصاحبك وشكر الاذنين ان تستر عيبا تسمعه فيه (فيدخل هذا فى جملة شكر نعمة هذه الاعضاء) وهو بيان لشكر هذه الاعضاء لا فعل وقال صاحب القوت وأما شكر الجوارح للمنعم

فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميد الذى الله عليه وأما الجوارح فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب ترى لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء

و شكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال أصبحت أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك وكان السلف يتعلمون السؤال حتى قال في بنا التقدير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك وكان السلف يتعلمون

الافضل فهو واجب لا يعصيه بنعمة من نعمه وان يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بشيء منها على معصيته فيكون قد كفرها كما قال تعالى بدلوا نعمة الله كفرا أي استعانوا بنعمه على معاصيه فيكون قد كفرها فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله وكفرانها وانما يقدرون على الاستعانة بها على معاصيه فهو المراد بالآية عليه لانه أمرهم بالطاعة بالشكر فصرفوها بالكفران فكان ذلك تبديلهم لأمر (والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال أحمد الله وأشكره (السؤال) ثانية كيف أنت فقال أحمد (حتى قال) الرجل (ذلك) ثلاثة (ثم قال) ثالثة (أحمد الله وأشكره فقال) صلى الله عليه وسلم (هذا الذي أردت منك) يعني اظهار الحمد والشكر وانما قال العراقي رواه الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا معضل ورواه في معجمه الكبير من حديث عبد الله بن عمر وليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله ابيك وفيه رشدين ابن سعد ضعيف جدا ورواه ابن السني في الرياض والحاكم في الأربعين موقوفا على عمر باسناد صحيح (وكان السلف يتعلمون السؤال) أي يتفقهون (على أحوالهم ويتعلمون اصطلاح شكر الله تعالى ليكون شكرهم شاكرا مطيعا) باستغراقه جميع أجزاء عمله فيكون شريكا في ذلك لانه سبب ذكره تعالى (وما كان قصدهم ارياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو فان سكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فمنعه من أهل الدين) ان علت انه يشكو مولاه ويذكر عدله فعساه ادا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سببا لشكواه فتكون شريكا في معصيته وما أقبح بالعبد ان يشكو مولاه (وكيف لا يتعلم الشكوى من ملك ملوك الدنيا) الذي ليس كمثله شيء (وبيده) ملكوت (كل شيء والعبد مملوك لا يقدر على شيء) ومثله كل شيء (ولا جرى بالعبد دائم يحسن الصبر على القضاء والبلاء وأفضى به الضعف الى الشكوى (لا بد) أي ضعف لا بقين (ان الشكوى) ولا بد (ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبتلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح فان الله تعالى ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب يتكلم فقال يا أمير المؤمنين ليتكلم الكبير الكبير فقال يا أمير المؤمنين

وبيتهم استفراغ الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستطلق له به مطيعا وما كان قصدهم لرياء باظهار شوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو فان سكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فمنعه من أهل الدين وكيف لا يتعلم الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء والعبد مملوك لا يقدر على شيء ولا جرى بالعبد دائم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى لا بد ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبتلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح فان الله تعالى ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب يتكلم فقال يا أمير المؤمنين ليتكلم الكبير الكبير فقال يا أمير المؤمنين

لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال ما وفد الرغبة ولا وفد الرهبة وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان ونصرف

لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال ما وفد الرغبة ولا وفد الرهبة وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان ونصرف

على ما نص عليه من فضل واصل غيره، فقشيري في الرسالة وبعضهم قدم وقدمي عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب واحد يحصب فقال عمر لكم فقال أنت يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لقد كان فيهم من هو أسن منك فدل الأكيد في باب تتبع الشكر من يستحقه وإذا كان نعم الله تعالى لا تحصر والنعم متوالية والقلب اللين صمت عن شكر كان من أعظم البلاء عند الله وشرعا (فهذه هي حقيقة معنى الشكر لغة) وعرفا (وقد جمع صاحب هذا القول بين هذين المعنيين فقال الشكر هو الاعتراف بالنعمة للمنعم على وجه الخضوع) فقد نقله القشيري في رسالته وبعضهم حقيقة الشكر عند أهل اللغة في قدر (فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب) فقد تقدم من حال أحوال القلب الخضوع فهو راجع على اللسان وهو أيضا سبب للشكر كما تقدم وقد ذكر القشيري أن أصل الشكر يقسم إلى ثلاثة أقسام شكر باللسان فهو الاعتراف بالنعمة مع الاستكانة وشكر بالبدن والأركان وهو القيام بالوفاء والخدمة وسيأتي ذكر القسم الثالث (وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه) وبعضهم الرسالة ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه وشكرا حق صحابه لعبده يثني عليه بذكر إحسانه له (نظر إلى مجرد عمل اللسان) لأن الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة (وقول بقائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط المشهود) أي حضور القلب في ورده (بدامة محط الحرمة) وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كما في الرسالة وحقيقة الشكر إنما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع إمكان ذلك (وهو جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان) الذي هو الاعتراف بالنعمة مع الخضوع (وقد يعبر عنه بقول أن تكون أوراق شكر النعمة مشاهدة المنعم ومحط الحرمة) وهكذا في الرسالة للشكر (وليس بجامع كما تقول سابقا) (وقول جدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري صاحب الإشارة مذهب الإمامية وصحب أبا تراب النخشبي وصحب الجنيد وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين (شكر النعمة أن ترى نفسك في شكرها عليها) فقد نقله القشيري أي لأن تضيف النعمة إلى واهبها وتعترف بأنها منه وهو (إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط) كأنه يرجح في الاعتراف بالنعمة وصفتها للمنعم ويقرر بعضهم قول بعضهم الشكر إضافة النعم إلى موليها مع الاستكانة وهذا يعود يرجع إلى معنى الاعتراف وليس بجامع لحقيقة الشكر (وقول الجنيد) قدس سره (أن شكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة) نقله القشيري أي لأن من لم ير ذلك ورأى النعمة حاصلة من الله تعالى استحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليه لأنه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر وهو تسلسل فلا بد أن تكون شاكرا أبدا وهو (إشارة إلى حال من أحوال القلب في الخصوص) ويقرب بعضهم قول يحيى بن معاذ ستة شاكر مادمت تشكر وبه الشكر تحير (وهؤلاء) السادة (أقوالهم تعرب) أي تفصح (عن أحوالهم) التي هي تعرب عنهم (وقد ذلك تختلف أحوالهم ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالين) مختلفين (لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة) أي الثابتة في الحال (الغالبة عليهم) في الوقت (فتختلف عباراتهم عند ذلك لا تختلف أحوالهم ويتكلمون على قدر لا تقاضي حال السائل اقتصارا منهم (على ذكر القدر الذي يحتاج إليه واعراضا عما لا يحتاج إليه) من ذلك قول بعضهم حقيقة الشكر منطق القلب واقراره بانعام الرب وقيل هو الاستقامة في عموم الأحوال وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال رويم الشكر استعراض الطاعة وقيل الشكر التعدد بشائه على مام بستوجبه من عطائه وقيل هو قيد الموجود وصيد المفقود وقيل هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم (ولا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه بعض عنهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها لا يظن ذلك بعاقل أصلا لأن تعرض منزعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع معاني الذي هو الكشف وإظهار (هل يشمل جميع المعاني) المذكورة (أو يتناول بعضها مقصودا) بالذات (وبقية المعاني تكون

من توابعه ولوازمه وبسائطه قصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات طبقا دنيا من علم هو بين الآخرة فى شئ والله الموفق برحمته (بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى) علم أن خطر بالك ما الشكر الذى يعقل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر) ينتفع به (فما شكر المنعم اما ما شاهده بيديه يعلمهم فى الحلو ويظهر كرمهم عند الناس فيريد به عطاءهم وبالخدمة التى هى اعانتهم على بعض أغراضهم أو بالقول من أدبهم فى صورة الحمد ودلالة تكثير سوادهم وبسلوك طريق محاسنهم فلا يكون شاكرين لهم الا شئ من ذلك وهذا محال فى حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر خاطر لشهوة والاغراض) فى الحمد (وعن تكثير سواد الخدم بالقول من يديه ركوع وسجود فشكر ما يعد شكرا بما يعم عليه بالنعم فى موارد أو سجود أو ركوع لا يحسن اليه وهو غنى عنه ولا حاجة له تعالى فى أفعالنا كلها الوجه الثانى أن كل ما يعد نعمة وانعاما فهو بخلق الله تعالى وتقديره وايجاده وتسخيره وتيسيره وتوفيقه وتحريكه وتسكينه وارادته وداعيته وسائر الامور التى هى أسباب حركاته وتسكيناته من حيث الله تعالى ونعمته فكيف تشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول بل كان الذى يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر لانه نعمة أخرى تؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من وجهين لو جهين) أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر خاطر لشهوة والاغراض) فى الحمد (وعن تكثير سواد الخدم بالقول من يديه ركوع وسجود فشكر ما يعد شكرا بما يعم عليه بالنعم فى موارد أو سجود أو ركوع لا يحسن اليه وهو غنى عنه ولا حاجة له تعالى فى أفعالنا كلها الوجه الثانى أن كل ما يعد نعمة وانعاما فهو بخلق الله تعالى وتقديره وايجاده وتسخيره وتيسيره وتوفيقه وتحريكه وتسكينه وارادته وداعيته وسائر الامور التى هى أسباب حركاته وتسكيناته من حيث الله تعالى ونعمته فكيف تشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول بل كان الذى يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر لانه نعمة أخرى تؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من وجهين لو جهين)

من توابعه ولوازمه وبسائطه قصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات طبقا دنيا من علم هو بين الآخرة فى شئ والله الموفق برحمته

(بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى)

اعلم انه (علك يخطر ببالك) ويسبق الى ذهنك (ما الشكر الذى يعقل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر) ينتفع به (فما شكر المنعم اما ما شاهده بيديه يعلمهم فى الحلو ويظهر كرمهم عند الناس فيريد به عطاءهم وبالخدمة التى هى اعانتهم على بعض أغراضهم أو بالقول من أدبهم فى صورة الحمد ودلالة تكثير سوادهم) أى حمدهم (وبسلوك طريقة محاسنهم فلا يكون شاكرين لهم الا شئ من ذلك وهذا محال فى حق الله تعالى من وجهين أحدهما أنه تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر خاطر لشهوة والاغراض) فى الحمد (وعن تكثير سواد الخدم بالقول من يديه ركوع وسجود فشكر ما يعد شكرا بما يعم عليه بالنعم فى موارد أو سجود أو ركوع لا يحسن اليه وهو غنى عنه ولا حاجة له تعالى فى أفعالنا كلها الوجه الثانى أن كل ما يعد نعمة وانعاما فهو بخلق الله تعالى وتقديره وايجاده وتسخيره وتيسيره وتوفيقه وتحريكه وتسكينه وارادته وداعيته وسائر الامور التى هى أسباب حركاته وتسكيناته من حيث الله تعالى ونعمته فكيف تشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول بل كان الذى يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر لانه نعمة أخرى تؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من وجهين لو جهين)

أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر خاطر لشهوة والاغراض) فى الحمد (وعن تكثير سواد الخدم بالقول من يديه ركوع وسجود فشكر ما يعد شكرا بما يعم عليه بالنعم فى موارد أو سجود أو ركوع لا يحسن اليه وهو غنى عنه ولا حاجة له تعالى فى أفعالنا كلها الوجه الثانى أن كل ما يعد نعمة وانعاما فهو بخلق الله تعالى وتقديره وايجاده وتسخيره وتيسيره وتوفيقه وتحريكه وتسكينه وارادته وداعيته وسائر الامور التى هى أسباب حركاته وتسكيناته من حيث الله تعالى ونعمته فكيف تشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول بل كان الذى يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر لانه نعمة أخرى تؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من وجهين لو جهين

وبسائطه فى لامرين جميعا وشرع فى وروده فكيف لبسه الى أو جمع فاعلم أن هذا الخطر قد خطر لك ودعاك الى السؤال عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة من نعمك وفى لفظ آخر وشكرك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك ووحى الله تعالى اليه الآن شكرتنى وفى لفظ آخر اذا عرفت أن النعم منى) فقد (حصل مقصودك وكان شكرا) هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فقال يا داود الآن شكرتنى (فان دقت فقد فهمت السؤال) أى سؤال موسى عليه السلام (وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى) اليهم حتى السؤال لهم (فى أى علم استحالة أن شكر الله تعالى ما كون علما باستحالة الشكر شكرا فلا أفهم من هذا العلم أيضا نعمة منه وكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر) وشوهد صغر (وان قبول الجهل نعمة أخرى

وبسائطه فى لامرين جميعا وشرع فى وروده فكيف لبسه الى أو جمع فاعلم أن هذا الخطر قد خطر لك ودعاك السلام عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على شكرا لك ووحى الله تعالى اليه الآن شكرتنى وفى لفظ آخر اذا عرفت أن النعم منى فقد شكرتنى وفى لفظ آخر اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر عرفت أن نعمة منى وصلت اليك فقد شكرتنى شكرا لك فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم وفى أى علم استحالة الشكر شكرا ولا أفهم من هذا العلم أيضا نعمة منه وكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الجهل نعمة

من المالك شكر للجمعة الاولى والعهم قاصر عن درك السرمدية) لنقصه وخصوصه (فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا فرع باب من) أبواب (المعارف) الدينية (وهي أعلى) من (علوم المعاملة) لتعلقها بعلام الغيوب ولا يليق بكشف أسرارها (ولكنا نشير لى ملامح) و شارات (ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شئ هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا (وهذا النظر لن ترقى من حضيض الحيرة الى ذروة حقيقته واستكمل معراجه فرأى بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود الا الله وان كل شئ هالك الا وجهه لا بد بصيرة هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وأبدا لا يتصور الا كذلك (لان الغير هو الذي يتصور أن يكون له نفسه قوام ومثل هذا الغير) ان اعتبر في ذاته من حيث ذاته (فلا وجود له بل هو) عدم محض و (محال ان يوجد) واذا اعتبر من الوجه الذي يسري اليه الوجود من الاول رؤي موجودا الا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجوده فيكون الموجود وجه الله فقط وكل شئ وجهان وجه الى نفسه و وجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم و باعتبار وجه الله موجود فاذا لا موجود الا الله ووجهه فاذا كل شئ هالك الا وجهه ازلا وابدا وهذا اشارة الى معنى قوله (لا موجود لحقيقي هو القائم بنفسه) أي بذاته (وما ليس له نفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود اصلا واعلم الموجود هو القائم بنفسه وما ليس له نفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود اصلا واعلم الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم) وبيان ذلك ان الاشياء تنقسم الى ما لا يقوم بنفسه و يفتقر الى محل كالاعراض والاوصاف وقد قيل فيهما ما ليست قائمة بانفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال قائم بنفسه كالجواهر الا ان الجوهر وان استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لا بد منها لوجوده و يكون شرطا في وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه يحتاج في قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج مع ذلك الى محل فان كان موجودا يكون بذاته ولا قوام له بغيره ولا اشترط في قوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للاشياء وجود ولا دوام وجودا لا به فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به (ولا قيوم الا واحد ولا يتصور أن يكون غيره ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد) المفرد الاحد الحق شأنه (فان نظرت من هذا المقام عرفت ان الكل منه مصدره وانيه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب) فالمراد ان نظرت الى معنى الاشياء فشاهد كل من على فعل غيره والله تعالى اذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان الذي أعطى فاثنى شكورا فالذي أعطى واثنى على المعطى أحق أن يكون شكورا (ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب) النعالي البصري أبو عمر نزيل الكوفة تقدم ذكره (حيث قرأ) قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقال واعجبا أعطى واثنى) فهذا ثناء الله على عباده وهو (اشارة الى أنه اذا أثنى على اعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد) الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الخير (الميهني) صاحب كرامات حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري بلدة بخراسان وهي بكسر الميم وسكون النون وفتح الهاء مقتوحة ونون قرية بحاورن من سرخس

وأيورد مسئلة ٣٣٠ (حيث قرن بين يديه) قوله تعالى (يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم ودعهم يحبونه فحق يحبهم لانه عن حب نفسه) فهو ود (أشار به الى أنه الحب بالله المحبوب) وفي تقديم يحبهم اشارة الى به لولا سبق محبته لما أحبه (وهذه رتبة يحبهم لا تعقل في حد عقلك فلا يحبني عاقل ان أحب نفسه فقد أحب نفسه وكل من أحب نفسه فقد أحب صفته فقد أحب نفسه ولو لا ذا أحب ولاه من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصفته) بيد قدرته وبديع حكمته (فمن أحب شيئا أحب الاعتناء) بهذا الاعتبار (فلا يحب الانسان فحق أحب ما أحب) وهو مضطر فيما يحب من علم بمكاشفة (وهذا كله عبارة عن التوحيد) المحض وهو الذي أشار به حبيب بن أبي حبيب وأبو سعيد البرذعي (وغير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي في عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى فلم يهتم بهم ولم يذكرهم عليهم بل يقول كيف في وصول طاقة أرزاقهم وهم كل في كل يوم أرزاقا لا تحصى فهذا محال فلم يهتم بهم لعلمه بالمحال لجهلهم بعلم كلامهم وصيرورته حالا) ويجوز أن يكون بحكمة الله تعالى وبيده لا لحيرة قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فالمؤمنون يحبون ويودون ويحبهم الله ويودهم (ولا يهتم بهم هذا) ولا يودهم (ذكر عليهم) بمحمود فعله (ويقول كيف في وصول طاقة أرزاقهم وهم كل في كل يوم أرزاقا لا تحصى من الخير) ويشرب كذا وكذا من الماء (فيجعل عنهم الجهل بأفعالهم عن كلامهم) وعقائدهم عن أحوالهم (وصيرورة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمحال أن يكون بحيث عليهم) (والآية الاشارة قوله تعالى ان الذين آمنوا كانوا من الذين آمنوا يحبهم ويحبونه) أي يمدحونه (ويذمرونهم) أي يعيرونهم (ويذمرونهم) أي يعيرونهم ويشيرون عليهم (وذهبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أي ملتذين بالسخرية (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) أي ضلالهم (وما أرسلوا عليهم) أي على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم الا يعلمون في النار وهم يطمعون في الجنة وقد رفعوا أعناقهم وأبصارهم يطمعون أن يؤذن لهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) (وكذلك أمة نوح عليه السلام) لما أراد الله اهلاكهم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة (كانوا يضحكون عليه كلما عمل شيئا منها) ويستهزئون به (قال) عليه السلام (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) ذكر الزمخشري (ويحل عليه عذاب مقيم) فجعل الضمير عن نفسه وهؤلاء فصيحان قسموا وانكروا الا الوجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المحكوم) المحجوبون بمحض الظلمة (وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو ثابت تحقيقه وهو الفيوم) المطلق (الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم هو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا علموا أنهم من حيث هم شئونهم) ولا دوام لوجودهم له (ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث وجوده) من وجه بدي بي الوجود (لا من حيث وجود وفرق بين الموجود) بنفسه (وبين الموجد) باتحاد غيره (وليس في الوجود الا موجود واحد وهو وجود الحق والموجد هو من حيث هو هو لا وجود له وهو وجود

(٨ - (تحف سادة المتقين) - تاسع) يكون لهم رب يعبدونه وعماهم عميان محكومون وعماهم في كلتا العينين لانهم نفوا ما هو ثابت تحقيقه وهو الفيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم هو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا علموا أنهم من حيث هم شئونه ولا دوام لوجودهم له ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث وجوده من وجه بدي بي الوجود لا من حيث وجود وفرق بين الموجود

أنواره فيقل عشه ويقدر ما يريد في بصره فلا يرى الا الله ويضمحل ما سوى الله تعالى فلا يزال يقضي به النقصان الى المحو ويمحى عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد حيث أدرك النقصان في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي به تحصل أنوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه أن لا يرى لا الواحد الحق والواصلون في كمال التوحيد هم لا يرون واحدا ويشركون أيضا فيه يرون وهم على العارف الاقصى المقابل لعارف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولا صحيحا والموحدون هم لا يكمرون وفيهم من يصح صبره في بعض الاحوال ويروح له حقائق التوحيد ولكن كثيرون ما يخلف فيهم من يتفطن لخطئه ويتنبه لدقائق التوحيد ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل

(الكل قالوا ثم ولكن عز من ... في فعله فالحمد لله الذي)

وبأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقال له) كلا لا تطعه و(اسجد واقترب) أي دم على السجود وتقرب من ربك وفي السجود أقرب ما يكون العبد من ربه وهو واحد لا تسجدون يقول اسجد واقترب أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه (قال في سجودي أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وفي مسلم من حديث عائشة (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك وأثنى عليك ما وجد تقدم (فقوله أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط كأنه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ به من فعله) وهذا قسم من العبد الحق وهو أن يتخلى الحق عن عبده طريق الافعال ويستعمله بحقيقة

وارد به فلا يرى بعينه ولا بغيره وهو الحق (ثم ترقى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصدر الافعال وهى الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهو) أى ترقيه وصعوده (عقلك) من صفات الله تعالى (ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فارتقى عن مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه ببقى غير رؤية فعل وصفة ولكن رأى نفسه فار منها ومستعيذا ومنها وفنى عن مشاهدة نفسه ورأى ذلك نقصانا وترقى فقال لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) أى لا أطيق تحصيل ثنائك وصفاتك بل وعلى أنت تحيط بها وبكل شئ علما (وقوله لا أحصى خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثنيت على نفسك بيان انه المثنى وهو المثنى عليه وهو الذى أثنى به على نفسه وهو الله عند من قال الخير عن دون الادراك ادراك (وان الكل منه وابه هو ودوان كل شئ هالك الا وجهه) وبقاء الوجه يتخيل من الاحمقة حتى فسره لا بخيره والاهشة (فكان أول مقامه) صلى الله عليه وسلم (ثم به مقام الموحدين وهو أن لا يرى) فى الوجود (الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فار فى ما ثبت هو الا واحد حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الله الحق) وهذا مقام يرى فيه مقام نفسه الخلق (وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى أخرى الا ورى) من الله تعالى (ما يعده فى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من دوام رؤية ذلك فقصر فى حقه وتقصير فى مقامه) وهو بالنسبة الى مقام الابرار سيئات المقربين (وفيه الاشارة قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث الاغر المزنى وفى رواية لمسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقد تقدم فى كتاب التوبة والدعوات (وكان ذلك ترقيه فى سبعين مقاما منها فوق بعض وأنهاها وكان كل ما رقى الى مقام رأى ما فوقه نقصانا بالاضافة الى ما رقى اليه) وقد تقدم الكلام عليه (وقد قالت عائشة رضى الله عنها) لما نزل قوله صلى الله عليه وسلم (قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ضحكا فى السجود وهذا الجهد الشديد (فلا أكون عبدا شكورا) رواه أبو يعلى بسند صحيح كما أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن عائشة بلفظ أفلا أكون عبدا شكورا وهو فى الصحيحين عن المغيرة بلفظ حتى تورمت قدماه وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وهو كذلك فى صحيح ابن خزيمة من حديث المغيرة بلفظ أفلا أكون عبدا شكورا (بمعنى محذوف أى أفترك العبادة التى هى الشكر فلا أكون عبدا شكورا لان العبودية لزمها وان غفر لى لا أكون عبدا شكورا فالمعنى ان المغفرة سبب ذلك لكن شكرا فكيف أتركه لى أجعله لا أكون صالحا فى شئ حسب الامكان شرعى ومن ثم قيل لعمر بن عبد العزيز لم تجهد نفسك وقد أمنك الله فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقد كرهت فى غير مقام وفعل الاحوال وهى مقتضى النفس الى الراحة للقيام بما على الخدمة وهو الذكر بعبد الاحد كونه عبدا ولم يكن ذلك أتم عبودية عالم يكن فى حد ذاته أتم وجوب شكره وبعبوديته له أى (بمعنى ولا أكون صابرا للمزيد الى المقام الذى قام فيه عبدى فلان فقال ان شكرتم لازيدنكم) وقد تقدم تقريره وتقدير الكلام دائم على الدوام لواسع ولا أكون عبدا شكورا أى أصير شديدا لا يعدم جهدا لخروجه عن دائرة المباحين فى الشكر والاستهلام لانكاره بعض هذه الامام فقدم كونه عبدا شكورا ولا يخفى تكلفه ويحتمل أن يكون التقدير يغفر لى ما تقدم وما تأخر علما منى أكون معه فى عبادته فلا أكون عبدا شكورا

التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وامر شرع كما تقدم من طريق سهل ثلاث المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون بمرأى من مشاهدة أخرى ومقام آخر وتصير في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة شاكرا والمشكور ولا يعرف ذلك الا من ذاق وكشف بنفسه ثم اذا كان بينه وبين أرسل او عبد قد عبد مسافة مركوبة او قد لا جل زاده في الطريق حتى يقطع تلك المسافة ثم يكون بينه وبين حضرته أحد هذين أن يكون قد مر من وصول العبد الى حضرته أن يقوم بعض مهماته ويكون (٦٠) [illegible] أن لا يكون لذلك الملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا قوى عن القيام بخدمته تعالى فيه وعبده وغناه لا ينقص من ملكه فيكون قصد من الانعام عليه بالقرب منه ونيل سعادة حضرته ليتنفع هو في نفسه لا ينفع الملك به فذلك نزل العباد من الله تعالى في [illegible] لاولى ان لا يزول محل عن الله تعالى وهذا غير محال ثم اذا تم العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى حتى يكون له حضرته والوصول الى حضرته مالم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه وأما في الحالة [illegible] أصلا ومع ذلك تصور أن يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره [illegible] يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيما أحبه لاجله

ولا أن يكون كذلك وهذا قريب من الاول (واما) قد (استعانا على سفر) يقوم (الكثافة فتقبض العين ويرجع لحاما في ما يرى عليها فيقول يا بناء) يقوم سلام (هو الدعوة الحق الى كمال التوحيد الذي وصفناه) آه (ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وامر شرع كما تقدم من أوله الى آخره (تعريف طريق توصل اليه مسافة وقطع تلك بعقبات وعند ذلك يكون الطارق في مشاهدة أخرى ومقام آخر وتصير في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة شاكرا والمشكور ولا تعرف ذلك الا من ذاق (وقول يمكن ان يقوم بعض مهماته ويكون له حاجة في العبد فقد يبعثه مركوبا أو مزودا وقد) من المال (لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به تلك المسافة ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احداهما أن يكون قصد من وصول العبد الى حضرته ان يقوم) ذلك العبد (ببعض مهماته ويكون له عنده في خدمته شيء لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره وعدمه بالنسبة اليه سواء لانه لا قوى عن القيام بخدمته تعالى وعبده وغناه لا ينقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالقرب منه ونيل سعادة حضرته ليتنفع هو في نفسه لا ينتفع الملك به فذلك نزل العباد من الله تعالى في [illegible] الاولى ان لا يزول محل عن الله تعالى وهذا غير محال ثم اذا تم العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى حتى يكون له حضرته والوصول الى حضرته مالم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه وأما في الحالة [illegible] أصلا ومع ذلك تصور أن يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره [illegible] يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيما أحبه لاجله (وان يستعمله) أي يستعمله (فيما يريد في عبده منه فهو شاكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه وان ركب العرس ولم يركب لاني طارق) وقد ذكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه وان ركب العرس ولم يركب لاني طارق ولاني صاحب القرب وقد ذكر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ نعمه عليه وعلمها ان كان هذا دون ما لو بعد منه وكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء أمرهم يحتاجون الى استعمال شهوتهم لاكمل ما [illegible] أي ستعمله (لاكمل ما [illegible] فيما يعبدون بهم عن حضرته وان سعادتهم في القرب منه وعدهم من اسمه مقدرون على ستعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وفرارهم عنه وقال عند خلق الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا الآية وقد علم الله تعالى الآن يترقى الى ان يشهد سافلين خلقه الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بهم سعادة القرب

الامر والله تعالى على عباده بالشكر أم بعدم الكفر ومن يستعمل نعمة الله في معصيته ولا يشكر نعمة ربه ولا يرضى بقضاء الله لا يرضى بالكفر والمعصية ويكره ذلك منهم ويستعمل نعمه في معصيته فقد كفر لاستعماله ما كره مولاه ولا يرضاه فالله لا يرضى بالكفر والمعصية ويكره ذلك منهم ويستعمل نعمه في معصيته فهو أيضا كفران النعمة فالنعمة اسم جنس وكل ما خلق في الدنيا فهو خلق لبني آدم ليتوصل به إلى سعادة الآخرة فبين الله تعالى أن كل مبيع فهو قدر صاحبه الله في الاسباب التي يستعملها في طاعته وكل كسلان ترك الاعمال التي خلق لاستعمالها في طاعته وكل من استعمل شيئا من نعم الله في معصيته فهو كافر في طريق البعد وهو كافر حارق في غير محبة الله تعالى والطاعة وإنما عنى بهم المشيئة ولكن لا يشملهما لم تقو بكره ورب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حد فكيف يكون شكر وهذا إنما يحل من قام بمعنى يضاف الشكر لاضراف نعمة الله في جهة نعمة الله فصرف النعمة في جهة لمحبة فعل الله فقد حصل المراد وهذا عبارة من الله تعالى ومن حيث يشعر له فقد أتى على الجواب فإن نعمة أحوى منه الملك فهو الذي أعطى وهو الذي أتى وصار أحد فعلي الاضراف فعله تعالى الى جهة نعمة فهو شكر على كل حال وأنت موصوف بالملك شاكر بمعنى أن محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أن الملك موجود له كما أن الموصوف بالعلم عارف وعالم بمعنى أن العلم له وقد وجد فيه قدرة وبمعنى أن الموصوف بالملك شاكر إثبات شيئة الملك وأنت شيئ فقد حصل الاشياء بالشيئ إذ كنت أنت شيئا فالملك شيئ وما يضاف إليك شيئ والذي يجعل الاشياء أشياء فاشتراك الاشياء في الشيئية يقتضي اشتراكها في الشيئ إذ كنت لا شيئ تحقيقا وإذا كان الشيئ موجودا في الاعيان فالشيئ إذا جعلت شيئا فقد جعلته مقدورا عليه إذ كنت لا شيئ تحقيقا وإذا كان مقدورا عليه فقد جعلته مخلوقا لله تعالى إذ لا خالق إلا الله ولا مخلوق إلا وهو مقدور لله تعالى فقد ظهر أن قولنا الملك شيئ يقتضي أن يكون مقدورا عليه ومخلوقا لله تعالى وهو المطلوب وإذا كان مقدورا عليه ومخلوقا لله تعالى فقد ظهر أن الملك لا يتم إلا بالقدرة على الشيئ وبالخلق له وهو المطلوب وإذا ظهر أن الملك لا يتم إلا بالقدرة على الشيئ وبالخلق له فقد ظهر أن الملك لا يتم إلا بالعلم بالشيئ وبالارادة له وبالقدرة عليه وبالخلق له وهو المطلوب وإذا ظهر أن الملك لا يتم إلا بالعلم بالشيئ وبالارادة له وبالقدرة عليه

من لاستحيل احكم سعيهم عن الامكان وتزلزل عقولهم وأمرهم بالمسارعة بالتوبة عن هذا وغيره من امثال أمره ونهيه وعبوديته محلا وعوضا لامر به آجلا يعني أنهم عبيد ولابد لهم من عبودية فعليكم بما أمرتم به وايا كم والتصرف في الامور الالهية لا آية وما خلق الله في الانس الا ليعبدون وبعبادتهم تحصل العارفون تركيبا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هو أمارات وعلامات ولابد في الارتحال من لطف الله وخذلانه وهذا القول (وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العلم نافع وعدمهم فعل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي الحركة الاختيارية سبب لحركة الالجاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى وكل بعض أفعاله سبب للبعض أي الاول شرط للثاني ثم كان خلق جوهر الجسم سبب لخلق العرض) لان من شأنه به (لا لخلق العرض له) بعدم استقراره بانفسهم (و) ثم كان (خلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة وكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هي شرط ومعنى كونه شرطا له لا يستند اليه فعل الحياة لا الجوهر ولا يستند اليه قول) صفة (العلم لا الجوهر ولا الحياة ولا القول ارادة الا وهم ويكون بعض أفعاله موجودا لغيره) كما يقوله من قال بالتولد و يرد عليهم قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك فانه دليل على ان لا يصدر من فعل من أفعاله الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته عليه (من غير شرط الحصول لغيره وهذا اذا لخلق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرته) وهو توحيد الافعال (فان قلت فما قال الله تعالى) على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (انهم والافعالهم مخلوقون ومدفوعون على العصيان وما ليس بشيء فكيف يتم والله تعالى يقول) من انه سبب لحصول اعتقاد فيها والاعتقاد سبب لوجدان الخوف ووجدان الخوف سبب لترك الشهوات والخلق) أي انه سبب (عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله) تعالى في دار كرامته (وانه تعالى مسبب الاسباب ومسبباتها) على أبدع نظام (فمن سبق له في لازل السعادة) وعودة (سهل له هذه الاسباب حتى تقوده سلسلة الى الجنة) وفي نسخة الى الخير (ويعسر عن سبقه ما يكون سببا لحرمانه ومن لم تسبق له من الله الحسنى يعسر عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فلم يسمع ولم يعلم ولم يعلم ولم يحضر ولم يحضر لم يترك ليكون الى الدنيا ما في حزب الشيطان) هذا صريح في ذلك الحزب شمله قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجمعين وما عرفت هذا نجيت من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة يعجب ربك من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وعند البخاري يضحك الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وعند أبي نعيم في الحلية تضحك الله من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وهم كارهون وروى ابن مردويه من حديث أبي أمامة يعجب الله من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل) بشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة يضحك الله

ليث الجبار واد الكشف الغطاء عن عين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء من تحت أيوم لله الواحد القهار واقد كان الله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم هو يوم الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون شيئا ولا يبصرون شيئا ولا يدركون ان ذلك اليوم هو يوم تجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فعوذ بالله الحليم الشكور من الجهل والعمى وبه أصل (باب تمييز ما يحمده الله تعالى عما يكرهه)

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحمده الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر

(٦٣) الله تعالى عما يكرهه

استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما ترك الاستعمال أو استعمالها في مكارهه وتمييز ما يحمده الله تعالى عما يكرهه مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بنور الابصار وهو لاجل ذلك عزيز

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحمده) الله (تعالى مما يكرهه اذ معنى الشكر استعماله نعمه في محابه) ومراضيه قال الامام القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول كان سري اذا رأى انسانا يقول له اشكر الله فان لم يقبل قال له اذا استعان بنعمة من نعم الله تعالى على معاصيه فقد استدعى زوالها فكيف يشكر (ومعنى كفر نقيض ذلك) وهو ترك النعمة بترك استعمالها (أما ترك الاستعمال) فيدعو اليه جهله (أو استعماله) اما (في مكارهه) ومساخطه (وتمييز ما يحمده) الله (تعالى مما يكرهه مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار) من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (والثاني بصيرة القلب وهو النظر بنور الابصار وهو الاخير عسير) صعب المنال (وهو لاجل ذلك عزيز) الوجود (فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق الى الحق ومعرفته ذلك) أي على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد حسن الاتباع على أحكام الشرع في جميع أفعاله تكفيه القيام بحق الشكر أصلا) عدم الوقوف على جميع الاحكام (وأما النظر وهو المعبر عنه بالاعتبار وهو المقصود) بالذات من الحكمة ومحب الحكمة مقصود (ولله الحكمة البالغة في كل موجود خلقه وقدره لا عبثا ولا سدى) بل لحكمة عظيمة (أما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها التفرق بين الليل والنهار ويكون سببا لمعاشنا) أي ظرفا للحركة في المعاش أي وقت معاش يمكننا تحصيل معيشة وحياة يعيش بها في اليوم (والليل للسكن) أي عند انبساط الشمس أراد الاستقصاء (فتتيسر حركة عند الانتشار) بسواد الليل (والسكون عند الاستتار) بطلوع النهار (فهذه من جملة حكمة الشمس لا كل الحكم وبالجملة فهي حكم أخرى كثيرة دقيقة) يطلع عليها الأهل البصيرة (وكذلك معرفة الحكمة في تعريم) وهو انسحاب الضوء عن الأرض (وورود الاظلام) عليها (كالشفقة على الارض بانواع النبات ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي يحتاجها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه افعال تعالى) في تعداد النعم الخمس الجلية فليس بمقصور الانتساب الى صانعه (ماء صبا الماء صبا) أي من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) أي بالنبات وبالكرب وأسند الشق الى نفسه وهو اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلا الآية) وتمامها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل ساكنا بتيسير حركة عند الانتشار وسكون عند الاستتار وهذه من جملة حكم الشمس لا كل حكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في التعريم وورود الاظلام لا شفاق الارض بانواع النبات ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي يحتاجها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه افعال تعالى) في تعداد النعم الخمس الجلية فليس بمقصور الانتساب الى صانعه (ماء صبا الماء صبا) أي من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) أي بالنبات وبالكرب وأسند الشق الى نفسه وهو اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلا الآية) وتمامها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

ما لم يكونوا يعلمون في سائر الانواع التي لا تدركها حواسهم وعقولهم (وأما حكمته في سائر الكواكب السيارة) وهي التسعة التي يقطع السائل (والثوابت) التي لا تسير (فهي مما لا يطلع عليها كافة الخلق ولا يقدر على تحصيله فهم الخلق انما هو للسماء التي تسير لهذا عرفنا بالنظر بها وأشار اليه بقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) أي بنجوم (وجعلناها رجوما للشياطين) أي يقذف بها الشياطين (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي نار جهنم (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) أي بنجوم السماء (وحفظا) أي من استراق السمع (ذلك تقدير العزيز العليم) أي بتدبير خلقه (فهم الخلق أشار اليه بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا) أي بقدرتنا (بزينة الكواكب) أي بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان أي بزينة هي الكواكب (وحفظا من كل شيطان مارد) أي من كل شيطان مريد (لا يسمعون الى الملأ الاعلى) أي لا يصغون الى الملائكة (ويقذفون من كل جانب) أي يرمون بالشهب (دحورا) أي طردا (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) أي مضيء (فاسألهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا) أي أهم أقوى خلقا أم من خلقنا من السماوات والارض وما بينهما (انا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق (بل عجبت) أي من انكارهم البعث (ويسخرون) أي من قدرة الله تعالى على البعث (وإذا ذكروا لا يذكرون) أي لا يتعظون (وإذا رأوا آية يستسخرون) أي يستهزئون (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أي ظاهر (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي لمحشورون (أو آباؤنا الأولون) أي وآباؤنا الأولون (قل نعم وأنتم داخرون) أي صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أي نفخة واحدة (فاذا هم ينظرون) أي ينظر بعضهم الى بعض (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) أي يوم الجزاء (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) أي طريق النار (وقفوهم انهم مسئولون) أي عن أعمالهم (ما لكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضكم بعضا (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون لا يمتنعون (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي عن الدين أو عن القوة (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) أي بالله (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي على اغوائكم (بل كنتم قوما طاغين) أي ضالين (فحق علينا قول ربنا) أي وجب علينا قوله (انا لذائقون) أي العذاب (فأغويناكم انا كنا غاوين) أي ضالين (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي في العذاب (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أي بالكافرين (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أي عن قولها (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) أي يقولون ذلك استهزاء (بل جاء بالحق) أي بالقرآن (وصدق المرسلين) أي في التوحيد (انكم لذائقو العذاب الأليم) أي الموجع (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أي من الكفر والمعاصي (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (أولئك لهم رزق معلوم) أي معين (فواكه) أي من الفواكه (وهم مكرمون) أي بالجنة (في جنات النعيم) أي ذات النعيم (على سرر متقابلين) أي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض (يطاف عليهم بكأس من معين) أي خمر من عين جارية (بيضاء لذة للشاربين) أي تلذ لهم (لا فيها غول) أي لا يصدع شاربها (ولا هم عنها ينزفون) أي لا تذهب عقولهم (وعندهم قاصرات الطرف) أي نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن (عين) أي حسان العيون (كأنهن بيض مكنون) أي مصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم انى كان لي قرين) أي صاحب (يقول أئنك لمن المصدقين) أي بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أي لمجزيون (قال هل أنتم مطلعون) أي الى أهل النار (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) أي وسط النار (قال تالله ان كدت لتردين) أي لتهلكني (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) أي في النار (أفما نحن بميتين) أي بعد الموتة الأولى (الا موتتنا الأولى) أي التي كانت في الدنيا (وما نحن بمعذبين) أي بعد اليوم (ان هذا لهو الفوز العظيم) أي النجاة العظيمة (لمثل هذا فليعمل العاملون) أي لمثل هذا النعيم فليعمل العاملون (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) أي أذلك النعيم خير نزلا أم شجرة الزقوم (انا جعلناها فتنة للظالمين) أي عذابا لهم (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي قعر النار (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) أي في القبح (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) أي بطون الكفار (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم) أي خلطا من ماء حار (ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم) أي الى النار (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أي عن الهدى (فهم على آثارهم يهرعون) أي يسرعون (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أي من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي رسلا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي كيف كان عاقبة أمرهم (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) أي لنعم المجيبون نحن (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أي الذين بقوا بعد الغرق (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا عليه الثناء الحسن (سلام على نوح في العالمين) أي سلمنا عليه من الآفات (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكافرين (وان من شيعته لإبراهيم) أي من أهل دينه لإبراهيم (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي من الشرك والشك (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أي أي شيء تعبدون (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي أتريدون بالكذب آلهة دون الله (فما ظنكم برب العالمين) أي ما ظنكم به أن يفعل بكم (فنظر نظرة في النجوم) أي تأمل فيها (فقال اني سقيم) أي مطعون (فتولوا عنه مدبرين) أي ذاهبين (فراغ الى آلهتهم) أي مال اليها (فقال ألا تأكلون) أي الطعام الذي وضعتموه عندها (ما لكم لا تنطقون) أي لا تجيبون (فراغ عليهم ضربا باليمين) أي بالقوة (فأقبلوا اليه يزفون) أي يسرعون (قال أتعبدون ما تنحتون) أي تنحتونه بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) أي وخلق أعمالكم (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) أي في النار (فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) أي المقهورين (وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين) أي الى حيث أمرني ربي (رب هب لي من الصالحين) أي ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) أي بولد ذكر (فلما بلغ معه السعي) أي العمل (قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك) أي بأمر الله تعالى (فانظر ماذا ترى) أي ما رأيك (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي بأمر الله تعالى (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) أي على الذبح (فلما أسلما) أي استسلما لأمر الله تعالى (وتله للجبين) أي صرعه على جبينه (وناديناه أن يا ابراهيم) أي بأن يا ابراهيم (قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما رأيت في المنام (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر (وفديناه بذبح عظيم) أي بكبش عظيم (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا عليه الثناء الحسن (سلام على ابراهيم) أي سلمنا عليه من الآفات (كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) أي بولد ذكر (وباركنا عليه وعلى اسحاق) أي بالخير والبركة (ومن ذريتهما محسن) أي مطيع لله تعالى (وظالم لنفسه مبين) أي كافر بالله تعالى (ولقد مننا على موسى وهارون) أي بالنبوة (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) أي من الغرق (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب المستبين) أي التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) أي طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أي أبقينا عليهما الثناء الحسن (سلام على موسى وهارون) أي سلمنا عليهما من الآفات (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انهما من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (وان ايليا لمن المرسلين) أي من أهل دينه (اذ قال لقومه ألا تتقون) أي ألا تخافون الله تعالى (أتدعون بعلا) أي أتعبدون بعلا (وتذرون أحسن الخالقين) أي أفضل الصانعين (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) أي أجدادكم الأقدمين (فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا عليه الثناء الحسن (سلام على ال ياسين) أي على ايليا (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (وان لوطا لمن المرسلين) أي من أهل دينه (اذ نجيناه وأهله أجمعين) أي من العذاب (الا عجوزا في الغابرين) أي الباقين (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكنا الكافرين (وانكم لتمرون عليهم مصبحين) أي داخلين في الصباح (وبالليل أفلا تعقلون) أي أفلا تتفكرون (وان يونس لمن المرسلين) أي من أهل دينه (اذ أبق الى الفلك المشحون) أي السفينة المملوءة (فساهم فكان من المدحضين) أي المغلوبين (فالتقمه الحوت وهو مليم) أي آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أي المصلين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) أي يوم القيامة (فنبذناه بالعراء) أي بالأرض الخالية (وهو سقيم) أي ضعيف (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أي من دباء (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) أي الى أهل نينوى (فآمنوا فمتعناهم الى حين) أي الى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) أي استفتهم يا محمد أي استخبرهم (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا (ألا انهم من افكهم ليقولون) أي من كذبهم (ولد الله وانهم لكاذبون) أي في قولهم (أصطفى البنات على البنين) أي اختار البنات على البنين (مالكم كيف تحكمون) أي في قسمتكم (أفلا تذكرون) أي أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أي حجة ظاهرة (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) أي في دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) أي قالوا الملائكة بنات الله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي في النار (سبحان الله عما يصفون) أي من الكذب (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (فانكم وما تعبدون) أي الأصنام (ما أنتم عليه بفاتنين) أي بمضلين (الا من هو صال الجحيم) أي داخل النار (وما منا الا له مقام معلوم) أي في الجنة (وانا لنحن الصافون) أي في الصلاة (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون (وان كانوا ليقولون) أي كفار مكة (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) أي كتابا من كتبهم (لكنا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (فكفروا به) أي بالقرآن (فسوف يعلمون) أي عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي بالنصر (انهم لهم المنصورون) أي على أعدائهم (وان جندنا لهم الغالبون) أي على أعدائهم (فتول عنهم حتى حين) أي الى وقت فتح مكة (وأبصرهم فسوف يبصرون) أي عاقبة أمرهم (أفبعذابنا يستعجلون) أي في الدنيا (فاذا نزل بساحتهم) أي بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي بئس صباح الكافرين (وتول عنهم حتى حين) أي الى وقت فتح مكة (وأبصر فسوف يبصرون) أي عاقبة أمرهم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) أي من الكذب (وسلام على المرسلين) أي سلمنا عليهم من الآفات (والحمد لله رب العالمين) أي على نعمه

وما لم يكونوا يعلمون في سائر الانواع التي لا تدركها حواسهم وعقولهم (وأما حكمته في سائر الكواكب السيارة) وهي التسعة التي يقطع السائل (والثوابت) التي لا تسير (فهي مما لا يطلع عليها كافة الخلق ولا يقدر على تحصيله فهم الخلق انما هو للسماء التي تسير لهذا عرفنا بالنظر بها وأشار اليه بقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) أي بنجوم (وجعلناها رجوما للشياطين) أي يقذف بها الشياطين (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي نار جهنم (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) أي بنجوم السماء (وحفظا) أي من استراق السمع (ذلك تقدير العزيز العليم) أي بتدبير خلقه (فهم الخلق أشار اليه بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا) أي بقدرتنا (بزينة الكواكب) أي بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان أي بزينة هي الكواكب (وحفظا من كل شيطان مارد) أي من كل شيطان مريد (لا يسمعون الى الملأ الاعلى) أي لا يصغون الى الملائكة (ويقذفون من كل جانب) أي يرمون بالشهب (دحورا) أي طردا (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) أي مضيء (فاسألهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا) أي أهم أقوى خلقا أم من خلقنا من السماوات والارض وما بينهما (انا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق (بل عجبت) أي من انكارهم البعث (ويسخرون) أي من قدرة الله تعالى على البعث (وإذا ذكروا لا يذكرون) أي لا يتعظون (وإذا رأوا آية يستسخرون) أي يستهزئون (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أي ظاهر (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي لمحشورون (أو آباؤنا الأولون) أي وآباؤنا الأولون (قل نعم وأنتم داخرون) أي صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أي نفخة واحدة (فاذا هم ينظرون) أي ينظر بعضهم الى بعض (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) أي يوم الجزاء (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) أي طريق النار (وقفوهم انهم مسئولون) أي عن أعمالهم (ما لكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضكم بعضا (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون لا يمتنعون (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي عن الدين أو عن القوة (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) أي بالله (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي على اغوائكم (بل كنتم قوما طاغين) أي ضالين (فحق علينا قول ربنا) أي وجب علينا قوله (انا لذائقون) أي العذاب (فأغويناكم انا كنا غاوين) أي ضالين (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي في العذاب (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أي بالكافرين (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أي عن قولها (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) أي يقولون ذلك استهزاء (بل جاء بالحق) أي بالقرآن (وصدق المرسلين) أي في التوحيد (انكم لذائقو العذاب الأليم) أي الموجع (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أي من الكفر والمعاصي (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (أولئك لهم رزق معلوم) أي معين (فواكه) أي من الفواكه (وهم مكرمون) أي بالجنة (في جنات النعيم) أي ذات النعيم (على سرر متقابلين) أي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض (يطاف عليهم بكأس من معين) أي خمر من عين جارية (بيضاء لذة للشاربين) أي تلذ لهم (لا فيها غول) أي لا يصدع شاربها (ولا هم عنها ينزفون) أي لا تذهب عقولهم (وعندهم قاصرات الطرف) أي نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن (عين) أي حسان العيون (كأنهن بيض مكنون) أي مصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم انى كان لي قرين) أي صاحب (يقول أئنك لمن المصدقين) أي بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أي لمجزيون (قال هل أنتم مطلعون) أي الى أهل النار (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) أي وسط النار (قال تالله ان كدت لتردين) أي لتهلكني (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) أي في النار (أفما نحن بميتين) أي بعد الموتة الأولى (الا موتتنا الأولى) أي التي كانت في الدنيا (وما نحن بمعذبين) أي بعد اليوم (ان هذا لهو الفوز العظيم) أي النجاة العظيمة (لمثل هذا فليعمل العاملون) أي لمثل هذا النعيم فليعمل العاملون (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) أي أذلك النعيم خير نزلا أم شجرة الزقوم (انا جعلناها فتنة للظالمين) أي عذابا لهم (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي قعر النار (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) أي في القبح (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) أي بطون الكفار (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم) أي خلطا من ماء حار (ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم) أي الى النار (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أي عن الهدى (فهم على آثارهم يهرعون) أي يسرعون (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أي من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي رسلا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي كيف كان عاقبة أمرهم (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) أي لنعم المجيبون نحن (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أي الذين بقوا بعد الغرق (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا عليه الثناء الحسن (سلام على نوح في العالمين) أي سلمنا عليه من الآفات (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكافرين (وان من شيعته لإبراهيم) أي من أهل دينه لإبراهيم (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي من الشرك والشك (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أي أي شيء تعبدون (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي أتريدون بالكذب آلهة دون الله (فما ظنكم برب العالمين) أي ما ظنكم به أن يفعل بكم (فنظر نظرة في النجوم) أي تأمل فيها (فقال اني سقيم) أي مطعون (فتولوا عنه مدبرين) أي ذاهبين (فراغ الى آلهتهم) أي مال اليها (فقال ألا تأكلون) أي الطعام الذي وضعتموه عندها (ما لكم لا تنطقون) أي لا تجيبون (فراغ عليهم ضربا باليمين) أي بالقوة (فأقبلوا اليه يزفون) أي يسرعون (قال أتعبدون ما تنحتون) أي تنحتونه بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) أي وخلق أعمالكم (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) أي في النار (فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) أي المقهورين (وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين) أي الى حيث أمرني ربي (رب هب لي من الصالحين) أي ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) أي بولد ذكر (فلما بلغ معه السعي) أي العمل (قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك) أي بأمر الله تعالى (فانظر ماذا ترى) أي ما رأيك (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي بأمر الله تعالى (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) أي على الذبح (فلما أسلما) أي استسلما لأمر الله تعالى (وتله للجبين) أي صرعه على جبينه (وناديناه أن يا ابراهيم) أي بأن يا ابراهيم (قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما رأيت في المنام (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر (وفديناه بذبح عظيم) أي بكبش عظيم (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا عليه الثناء الحسن (سلام على ابراهيم) أي سلمنا عليه من الآفات (كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) أي بولد ذكر (وباركنا عليه وعلى اسحاق) أي بالخير والبركة (ومن ذريتهما محسن) أي مطيع لله تعالى (وظالم لنفسه مبين) أي كافر بالله تعالى (ولقد مننا على موسى وهارون) أي بالنبوة (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) أي من الغرق (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب المستبين) أي التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) أي طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أي أبقينا عليهما الثناء الحسن (سلام على موسى وهارون) أي سلمنا عليهما من الآفات (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انهما من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (وان ايليا لمن المرسلين) أي من أهل دينه (اذ قال لقومه ألا تتقون) أي ألا تخافون الله تعالى (أتدعون بعلا) أي أتعبدون بعلا (وتذرون أحسن الخالقين) أي أفضل الصانعين (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) أي أجدادكم الأقدمين (فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا عليه الثناء الحسن (سلام على ال ياسين) أي على ايليا (انا كذلك نجزي المحسنين) أي نثيبهم على طاعتنا (انه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين بالله ورسله (وان لوطا لمن المرسلين) أي من أهل دينه (اذ نجيناه وأهله أجمعين) أي من العذاب (الا عجوزا في الغابرين) أي الباقين (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكنا الكافرين (وانكم لتمرون عليهم مصبحين) أي داخلين في الصباح (وبالليل أفلا تعقلون) أي أفلا تتفكرون (وان يونس لمن المرسلين) أي من أهل دينه (اذ أبق الى الفلك المشحون) أي السفينة المملوءة (فساهم فكان من المدحضين) أي المغلوبين (فالتقمه الحوت وهو مليم) أي آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أي المصلين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) أي يوم القيامة (فنبذناه بالعراء) أي بالأرض الخالية (وهو سقيم) أي ضعيف (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أي من دباء (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) أي الى أهل نينوى (فآمنوا فمتعناهم الى حين) أي الى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) أي استفتهم يا محمد أي استخبرهم (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا (ألا انهم من افكهم ليقولون) أي من كذبهم (ولد الله وانهم لكاذبون) أي في قولهم (أصطفى البنات على البنين) أي اختار البنات على البنين (مالكم كيف تحكمون) أي في قسمتكم (أفلا تذكرون) أي أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أي حجة ظاهرة (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) أي في دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) أي قالوا الملائكة بنات الله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي في النار (سبحان الله عما يصفون) أي من الكذب (الا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (فانكم وما تعبدون) أي الأصنام (ما أنتم عليه بفاتنين) أي بمضلين (الا من هو صال الجحيم) أي داخل النار (وما منا الا له مقام معلوم) أي في الجنة (وانا لنحن الصافون) أي في الصلاة (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون (وان كانوا ليقولون) أي كفار مكة (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) أي كتابا من كتبهم (لكنا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته (فكفروا به) أي بالقرآن (فسوف يعلمون) أي عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي بالنصر (انهم لهم المنصورون) أي على أعدائهم (وان جندنا لهم الغالبون) أي على أعدائهم (فتول عنهم حتى حين) أي الى وقت فتح مكة (وأبصرهم فسوف يبصرون) أي عاقبة أمرهم (أفبعذابنا يستعجلون) أي في الدنيا (فاذا نزل بساحتهم) أي بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي بئس صباح الكافرين (وتول عنهم حتى حين) أي الى وقت فتح مكة (وأبصر فسوف يبصرون) أي عاقبة أمرهم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) أي من الكذب (وسلام على المرسلين) أي سلمنا عليهم من الآفات (والحمد لله رب العالمين) أي على نعمه

فالمقول من نعم الله تعالى خلق لهم والدنانير وهما قوام الدين وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن يعظم خطرهما لكونهما مخلوقين لهم من حيث ان كل انسان محتاج في أغراض كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته الازمة وقد يحتاج فيما يحتاج اليه وفيما يستغني عنه الى حمل متاعه فيحتاج الى الجمال ويستغني عنه فيحتاج الى الزعفران مثلا وهو محتاج الى حمل بركبه ومن يمشي عنه ولا يدري مقدار ما يحتاج اليه من الزعفران ولا مقدار ما يحمله الجمل من الزعفران ولا مقدار ما يحمله من الثياب وعسى يحتاج الى بيع متاعه في الطريق ولا يدري ان ثمن كم يبيع من الزعفران ليشتري به الثياب وعسى يخاف عدوا فيفتقر الى بذل شيء من الزعفران ولا يدري ان كم يبذل فهذه الاعيان النادرة المتباعدة في متوسط بينهم يحكم فيها بحكم عدل يعرف من كل (٢٥) وجه منه ومنه حتى اذا تقومت

فمقول من نعم الله تعالى خلق لهم الدراهم والدنانير وهما قوام الدين) وعمادها (وهما حجران) كسائر احواله (لا منفعة في اعيانهما ولكن يعظم خطرهما لكونهما مخلوقين لهم من حيث ان كل انسان محتاج في اغراض كثيرة في مطعمه وملبسه) ومسكنه (وسائر حاجاته) اللازمة (وقد يحتاج فيما يحتاج اليه وفيما يستغني عنه الى حمل متاعه فيحتاج الى الجمال ويستغني عنه فيحتاج الى الزعفران مثلا وهو محتاج الى حمل يركبه ومن يمشي عنه) في بعض الاحيان (ويحتاج الى الزعفران) لحاجته هو اليه (ولا يدري مقدار ما يحتاج اليه من الزعفران ولا مقدار ما يحمله الجمل من الزعفران) يرجع فيه (ولا يدري مقدار ما يحمله من الثياب) وعسى يحتاج الى بيع متاعه في الطريق ولا يدري بكم يبيع من الزعفران ليشتري به الثياب (وعسى يخاف عدوا فيفتقر الى بذل شيء من الزعفران ولا يدري ان كم يبذل) وعسى يحتاج الى شيء لا يناسبه فيها ولا يدري بكم يشتريه من الزعفران (فهذه الاعيان النادرة المتباعدة في متوسط بينهم يحكم فيها بحكم عدل) وسط (يعرف من كل وجه ومن كل وجه حتى اذا تقومت الدنانير والدراهم حكم بين سائر الاموال بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين متوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يساوي مائتي دينار وهذا القدر من الزعفران يساوي مائة فهما من حيث انهما متساويان بشيء واحد اذا متساويان وانما أمكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض لاقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم ينتظم ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر وقد خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي وتكون حاكمين بين الاموال بالعدل والتسوية (وله حكمة أخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في

(٩ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) اعيانهما حتى يتداولهما سائر الناس فيتوصل بهما الى سائر الاشياء فكانهما ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام وكان صاحب الطعام في ثوب لا غرض له في ثوبه مثلا فاحتاج الى شيء هو في صورته كأنه ليس شيئا وهو في معناه كأنه كل الاشياء) والشيء كما تستوي نسبته الى الحاجات كذلك تكون له صورة خاصة يتميز بها عن غيره فتكون له خصوصية كالمرآة للالوان فانها تحكي كل لون وكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف (الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة) (لا معنى له في نفسه ويظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكمة) خفية (يطول ذكرها كل من عمل شيئا عملا لا يليق بالحكام بل بحكم الغرض المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كل حاكم المسلمين في سخط يتبع عليه الحكم لانه

ذكر فقد ضيع الحكم ولا تحصل الغرض المقصود به وبالحلف للدراهم والدنانير لزيادة حاجة ولا لعمرو لحاجة إذ لا غرض للآحاد في أعيانها فهم متجران ومعاملتهما التبادل وهما لا يبقيان حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقومة للمتلفات فاحتاج الله تعالى الذين يحترزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بحسب ما هي لا حرف فيها ولا صوت الذي لا يدرك بغير البصر بل بعين البصيرة حسبما هؤلاء المحاجرين كلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يحترزون عن إدراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب (٦٦) والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من المحدثين الدراهم والدنانير

آية ن ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استحضر حاكم البلد في الحيا كتو المكس والاعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الحرف والحديد والرصاص و النحاس تشوب مصالح الذهب والفضة في حفظ المالية عن أن تتبدد وانما الاولى لحفظ المالية ولا يكفي الحرف والحديد في المقصود الذي أريد به التقويم فلم يكشف هذا الكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجر حرفي بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا يقدر على أن يشتري به طعاما وهو يتضور جوعا ومعه درهم

بدا بيد وهو بالاتفاق لا يبيع الذهب بالذهب متفرد و لو رق ناورق متفردا أو تبرهما وصرد هما وحليهما الا مثلا بمثل و ربا نورن بدا بيد (ولو باع درهم الدرهم ثمنه ودينار أحد النقدين بخالف الآخر في مقصود التوسل ان قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم وتعرف في الخاص قليلا قليلا في بيع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو سر توصل به الى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم يمثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به ما حرمه عن يجري مجرى وضع الدرهم على الارض وأخذه عينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصيروا أوقاتهم في وضع الدرهم على الارض وأخذه عينه بعد ما يشوش نفوسهم اليه الا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور حربه الخ صاحب الحد لا يرضى بمثله من اردى ولا (٦٧) تعلم المقدرون طلب زيادة في ردى

فذلك مما قد يقصده فلا حرم منعه منه ونحكم بان جيدها ورديئها سواء لان الجودة والرداءة يبقى أن يسير اليهما فيما يقصد في عينه وما لا عرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر الى صفات دقيقة في صفاته وانما الذي نظم هو الذي ضربا نقود مخلصة في الجودة وارداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما يحرم ذلك من طريق الزيادة وهذا جميعا (لانه لا يقدم على هذا الا مع قصد الاحسان في القرض وهو مكروه) فمنعت منه الشارع وورد في فعله وزجر (عن بيع (التي صورة المعاوضة فيكون له حد وأخر) معا (والمعاوضة لا حد فيها ولا أجر فهو) أي بيعه (لا يصادم لانه اضاعه محض عن المسامحة والمعاوضة في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت لاحدى ثلاث أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها) أي (فان فضل الطعام فيها يوجب تقييدها في الابدي و بأخرجها لا كل

لدى أريد له في حق نفسه الطعام الا ليؤكل و الحاجة الى لا صعمة شديدة فينبغي أن يخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يعامل على لا طعمة الا مستغنى عنها اذ من معه طعام فلا يأكله و كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة و ن جعله بضاعة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور ولد أحدهما لا يبدا مسدا لآخر في العرض و بائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عاص ولا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند الغبون في الجودة

ومقابله الجيد بمثله من الردىء لا يرضى به صاحب الجيد وما يجوز بيعه متفاضلا فقد يقصد وليس بمكيل ولا موزون كالحفنة من الصبرة والثوب من الثوب والحيوان من الحيوان فهذا يساوي الردىء في أصل الغاية (٦٨) ويخالفه في وجوه لا يسقط الشرع بها عرض شرعي فيه هو انتظام مهده حكمة شرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن هذه التفاصيل فلنحقق هذا بمقدمة هي أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات ادلو دخل الجص فيه لكانت التراب والدواب أولى بالدخول ولولا المح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى رعاه الشرع وقد يأتي تعذر وتعديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا توفي حاجاته لها لمعنى الرباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولم يحد لتحر الحق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فيعنى بكل قوته تخلف بتخلف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان أصول هذه المعنى لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد كما تحد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وتحد شرعنا بكونه من جنس المسكرات فيدخل كثير مما لا يدخل في الحد داخل في التحريم بحكم الجنس) وفي نسخة بحكمة جنسها (كما دخل أصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد

شرع عيسى بن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وتحد شرعنا بكونه من جنس المسكرات فيدخل كثير مما لا يدخل في الحد داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد

الحكمة لخصيص حكم المقدين ويبقى أن يقال شكر نعمة وكفرها هو أن يعرف عين المنعم ويعرف النعمة من غيرها ويعرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب وذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تنظروا إلى صوم أحدكم ولا صلاته ولكن انظروا إلى عقله إن المؤمن بعقله يرتفع درجات عند الله تعالى يوم القيامة وإن الأحمق يهدم بفجوره بيت عمله وإن أول ما خلق الله تعالى العقل وأول ما خلق الله تعالى الجهل ملكوت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى فمن عرف نفسه عرف ربه ومن جهل نفسه جهل ربه وما كفر نعمة الله تعالى من عرفها ولا شكر نعمة الله تعالى من جهلها ولا يعرف النعمة إلا العاقل ولا يعرف العاقل إلا العالم ولا يعرف العالم إلا الحكيم ولا يعرف الحكيم إلا الذي يعرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب وذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تنظروا إلى صوم أحدكم ولا صلاته ولكن انظروا إلى عقله إن المؤمن بعقله يرتفع درجات عند الله تعالى يوم القيامة وإن الأحمق يهدم بفجوره بيت عمله وإن أول ما خلق الله تعالى العقل وأول ما خلق الله تعالى الجهل ملكوت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى فمن عرف نفسه عرف ربه ومن جهل نفسه جهل ربه وما كفر نعمة الله تعالى من عرفها ولا شكر نعمة الله تعالى من جهلها ولا يعرف النعمة إلا العاقل ولا يعرف العاقل إلا العالم ولا يعرف العالم إلا الحكيم ولا يعرف الحكيم إلا الذي يعرف الحكمة

حكمة خصيص حكم المقدين ويبقى أن يقال شكر نعمة وكفرها هو أن يعرف عين المنعم ويعرف النعمة من غيرها ويعرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) يشير إلى قوله تعالى ومن يؤت حكمة فقد أوتي خيرا كثيرا (ولكن لا يعلمون) جوهر الحكم في قوله (وهي من أشراط الساعة) ومقارها (وملاعب الشياطين) ومحال وساوسها (بل لا يذكر إلا أولو الألباب) أشار به إلى تمام الآية المذكورة (وقال صلى الله عليه وسلم لا تنظروا إلى صوم أحدكم ولا صلاته ولكن انظروا إلى عقله إن المؤمن بعقله يرتفع درجات عند الله تعالى يوم القيامة وإن الأحمق يهدم بفجوره بيت عمله وإن أول ما خلق الله تعالى العقل وأول ما خلق الله تعالى الجهل ملكوت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى) روى أبو حامد من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم في كتاب أسرار الصوم (وإذا عرفت هذا فاعلم أن بعض عين حركات وسكونات ونقش وسكونات وكل فعل صادر منك فإنه) لا محالة (ما شكر ما كفرا لا يتصور أن يعلمه أحد وبعض ذلك يعلمه بعض الناس فإنه هي التي تتعلق بها مدح الناس وهم المشتغلون بعلم الظاهر (وذم الناس بالكفران والشكر) وهم المشتغلون بعلم الآخرة (موصوف بالحصر وكل ذلك عند أرباب القلوب

نعم (من قال لك ما رحل اليسرى جهوا) من غير جبر (وزيدت كفره بالسدة) واعلم وجد لحفظه غيرة ذلك اخذ بالتصدق بما أولكوهما نفع بها أكثر من غيرها (نعم انه لا يقدر على تفهيم الامر في هذه الامور لانه مسكين لي) أي امتحن (بالصلاح لعوام الذين قرب درجتهم من درجة الانعام) في عرفهم وخصوصهم (وهم معصومون) وفي نسخة معصومون (في ظلمات) وهمية (أوهم وأعلم من ان تقهر أمثال هذه الاسئلة لهم فتفهم أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ قداح قمار فقد تعدى) الحد الشرعي (من وجهين أحدهما شرب والآخر لاحد بالقمار ومن باع خمرا) وفي نسخة خمرا (في وقت النداء) وهو الاذان الثاني (يوم الجمعة فصح أن يقال عاص من وجهين أحدهما بيع الخمر) وفي نسخة بخمر (والآخر لبيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فصح أن يذكر تركه الادب في قضاء الحاجة من حيث هو بجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض) في نسخ (فصحق بعضها) وبجعل (في حب البعض فالسيد قد يستعمل عبده الذي استعمل مكيسه بغير ذنبه ولكن لو قال مثلث مكيس أعز أولاده لم يبق (لاستعمال مكيس بغير ذنبه حكم وحكاية في نفسه حكل ما رأعاه الانبياء والاولياء من الآداب) الظاهرة (وتساهلنا فيه في الفقه مع العوام فسمه هذه صغيرة والا فكل هذه انكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة العليا التي هي درجات القرب فهو معصية يؤثر في البعد بنقصان القرب وتحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين كما) ان عالم القرب هو مستقر الملائكة (وكذلك من كسر عصا من شجرة من غير حاجة بأخرى مهمة من غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الشجر وخلق اليد أما اليد فانها لم تخلق للعبث) بها (بل للطاعة والاعمال الجميلة على الطاعة وأما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وسقى بها) أي الى عروقها (الماء) من باطن الارض (وخلق فيه قوة لاعتذاء وانماء ليبلغ منتهى نشوه وينتفع به عباده) فالذي كسره قبل منتهى نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح كما في الاعراض الانسانية فلم ما جميعا بان هما سكان واحد الاحس) وتنة (في بقاء الاشرف مدة ما أقرب الى العدل من تضييعهما جميعا والية الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظلم أيما كان (لان كل شجرة تعينها) فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد منها من غير سخاب واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل الجذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد (فهو أولى به من غيره فترجحا بيته بذلك فان ثبت ذلك في سوان الارض) فلا يبقى آدمي

الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاعتذاء والانماء ليبلغ منتهى نشوه فيه عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح كما في الاعراض الانسانية فلم ما جميعا بان هما سكان واحد الاحس في بقاء الاشرف مدة ما أقرب الى العدل من تضييعهما جميعا والية الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظلم أيما كان (لان كل شجرة تعينها فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد منها من غير سخاب واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل الجذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فترجحا بيته بذلك فان ثبت ذلك في سوان الارض لا يبقى آدمي

(الخاص بمعرسه) أي مستنده بالملكية (أو بمعرسه) بأن وضع يده في بيت الإبرة ونحوه بالسبق (والعدل في طلب اختصاص آخر وهو سبق إلى أحد طرفي حاجته للسبق فالعدل أن يكون هو أولى به) وهو ترجيح في حقه (وغير بعضهم عن هذا الترجيح بالتحري وهو تحريف) في الحقيقة (محض) أي خاص لا شوب للحقيقة فيه (فلا مال) حقيقة (يحوز) حسبما تقدم (بل هو مباح) مدخر (في عينه ما في السموات والأرض) وما في يد العباد فهو مستعار مردود (وكيف يكون لعبد ما كان) هو (في عينه ليس مالا بعينه بل هو مال غيره) لأن وجوده مستعار من وجود غيره وماله الموجود من غيره موجود مستعار لأنه إنما اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وإنما وجوده من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي ونسبه لمستعار إلى مستعير محض (نعم الحق عباد الله والأرض ماؤه الله) الخ رواه (وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كانت بعض مائدة عبيده) فهم شركاؤهم (فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوى عليها بيده) أي حصل أضابعه (فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يكن له لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن يده وضعت أيدي متعاونين ولكل إذا كانت اللقمة تعبيها لا في حاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص بتفرد به العبد فيمنع من لا يدلي) أي لا تقرب (بذلك الاختصاص عن مزاحمته) وانتزاع اللقمة منه (فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده وذلك يحول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه) ولم ينفقه (وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم) ولو أدى زكاتها كثيرة وهو أحد الوجوه في الآية (وهو من الذين) قال الله تعالى في حقهم ويذمهم (يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) فبشرهم بعذاب أليم (وأما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموره التي إذا فعلها دفع ضرورتهم ورفع حاجتهم لم يدخل هذا في حد فتاوى الفقهاء لأن مقادير الحاجات حقيقة وسكوس في تشعير العقيق الاستغال بحفيره وحمل عليه مؤونة وتكليف لعموم ذلك تحري تكليف يصيب لوقار والتؤدة وسكوت عن كل كلام غيرهم وهو تحكم بقصدهم لا يعتقونه فتركا لاعتراض عليهم في اللعب واللهو وبالجملة ذلك أنهم لا يدلون على أن اللهو واللعب حق وكذلك إباحتها للعوام حط الأموال والاقتصار في الانتفاع على قدر الزكاة ضرر وحاجة عليه من العدل لا يدل على أنه عباية الحق وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه العدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله لا قدر رداء الراكب فكل عباد الله ركاب فلله الإذاب إلى حضرته بما أدخر زيادة على ما به قوام راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله تعالى

(الخاص بمعرسه) أي مستنده بالملكية (أو بمعرسه) بأن وضع يده في بيت الإبرة ونحوه بالسبق (والعدل في طلب اختصاص آخر وهو سبق إلى أحد طرفي حاجته للسبق فالعدل أن يكون هو أولى به) وهو ترجيح في حقه (وغير بعضهم عن هذا الترجيح بالتحري وهو تحريف) في الحقيقة (محض) أي خاص لا شوب للحقيقة فيه (فلا مال) حقيقة (يحوز) حسبما تقدم (بل هو مباح) مدخر (في عينه ما في السموات والأرض) وما في يد العباد فهو مستعار مردود (وكيف يكون لعبد ما كان) هو (في عينه ليس مالا بعينه بل هو مال غيره) لأن وجوده مستعار من وجود غيره وماله الموجود من غيره موجود مستعار لأنه إنما اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وإنما وجوده من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي ونسبه لمستعار إلى مستعير محض (نعم الحق عباد الله والأرض ماؤه الله) الخبر رواه (وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كانت بعض مائدة عبيده) فهم شركاؤهم (فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوى عليها بيده) أي حصل أضابعه (فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يكن له لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن يده وضعت أيدي متعاونين ولكل إذا كانت اللقمة تعبيها لا في حاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص بتفرد به العبد فيمنع من لا يدلي) أي لا تقرب (بذلك الاختصاص عن مزاحمته) وانتزاع اللقمة منه (فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده وذلك يحول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه) ولم ينفقه (وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم) ولو أدى زكاتها كثيرة وهو أحد الوجوه في الآية (وهو من الذين) قال الله تعالى في حقهم ويذمهم (يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) فبشرهم بعذاب أليم (وأما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموره التي إذا فعلها دفع ضرورتهم ورفع حاجتهم لم يدخل هذا في حد فتاوى الفقهاء لأن مقادير الحاجات حقيقة وسكوس في تشعير العقيق الاستغال بحفيره وحمل عليه مؤونة وتكليف لعموم ذلك تحري تكليف يصيب لوقار والتؤدة وسكوت عن كل كلام غيرهم وهو تحكم بقصدهم لا يعتقونه فتركا لاعتراض عليهم في اللعب واللهو وبالجملة ذلك أنهم لا يدلون على أن اللهو واللعب حق وكذلك إباحتها للعوام حط الأموال والاقتصار في الانتفاع على قدر الزكاة ضرر وحاجة عليه من العدل لا يدل على أنه عباية الحق وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه العدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله لا قدر رداء الراكب فكل عباد الله ركاب فلله الإذاب إلى حضرته بما أدخر زيادة على ما به قوام راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله تعالى

عليه صرت و برسول و بعقل و بسائر ما شرف به العارفون سواه و ادرك و نال عليه في الدنيا و الآخرة من فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر و استقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم في الاشارة اليه كفاية و ايراد هذا القدر ليعلم به قصد في قوله تعالى و قليل من عبادي الشكور و شرح الامر فيه بقوله و لا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا الكلام و لا يعرف معنى هذا الكلام الا من عرف حكمة الله تعالى في كل شيء و به تعلق بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة (٧٢) و بالوجه الذي به المراد منها و جعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل

و في مقتضى الحكمة من انسافت الحكمة الى غايتها فهو شكر و كل ما خالف و صار بالعصيان من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران و هذا كله مفهوم و لكن الاشكال باق و هو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة و الى ما يزيلها هو أيضا من فعل الله تعالى فكيف يكون العبد شاكرا مرة و كافرا أخرى فاعلم أن هذا يستمد من آخر علم من علوم المكاشفة و قد مر رمز منه فيما سبق في قوله تعالى و قليل من عبادي الشكور و نحن لا نعيد ما ذكرناه و نحيل الطالب عليه و نقول في هذا الموضع انه لا يمكن أن يعرف معنى الشكر و الكفر من كل وجه الا من عرف معنى فعل العبد و معنى فعل الله تعالى و معنى كسب العبد و معنى خلق الله تعالى و الفرق بين الفعل و الكسب و بين الخلق و الايجاد و لا سبيل الى معرفة هذه الامور الا بمعرفة أن في الوجود موجودا سواه و أن له أفعالا و أن للعباد أفعالا و أن الكل بقضاء الله و قدره و أن قضاءه و قدره جاريان على قانون الحكمة و مقتضى العلم و أن العلم محيط بجميع المعلومات و أن الكل مسطور في اللوح المحفوظ و أن اللوح المحفوظ لا سبيل الى الاطلاع عليه الا للملائكة المقربين و أن الانبياء عليهم السلام اطلعوا على بعض ما في اللوح المحفوظ بالوحي و أن الوحي كلام الله تعالى و أن كلام الله تعالى ليس بحرف و لا صوت و أن الحرف و الصوت من فعل العبد و أن فعل العبد ينقسم الى ما يتم الحكمة و الى ما يزيلها و أن ما يتم الحكمة هو أيضا من فعل الله تعالى و أن الله تعالى قد يسخر عبدا من عباده حتى يكون شاكرا مرة و كافرا أخرى فاعلم أن تحقيق

لازاله وقد يستعمل كل منهما مع الآخر (فهي توهم أمرا مجملا عند المتشابهات هي حروف وأصوات المتشابهين وهو قصور عقول البشرية عن الدلالة على كنه ذلك الشيء وحقيقتها كقصور بعض القدرة عن بعض الأمور التي هي من مقدوراتها وما يليق بحكمته تعالى وما يليق دون بعض (وكان لكل واحد منهم صفة ما لكل حزبها والاختصاص ثم هم تتم القسمة والاختلاف في صفة بشيئة وكان لكل واحد خاصية أخرى في السنة وهم الذين يحصون أمر مجملا عند المتشابهات ثم قسم عندهم بين هم يصدر من خلقه وحكمه تعالى من سبقت له العناية الأزلية أن يستعملها لاستيفاء حكمته دون غايتها ويكون ذلك ظهرا في حقهم بسيطا عليهم وواقعا عليهم ومن سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الظهور فيه نسبة إلى المشيئة خاصة خاصية أخرى في سنة يوم) وفي سنة يوم (عند الله والكراهة منها أمرا مجملا عند طالبي الفهم من خلقه والعلم ثم يقسم عندهم بين هم يصدر من خلقه وأحداثه ومن

الأول الى الآخر (وهذا تقدير العزيز العليم التفصيل المشار اليه في قوله تعالى (وقد جعل الله لكل شيء قدرا) فقضاه خص من القدر (وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر خطر لبعض العباد أن القسمة فاسدة فتصت هذا التفصيل وكيف ينتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم قصوره لا يتسع لملاحظة كنه هذا الامر ولا يحتوي على جماعه فالجواب عليهم بما يقتضي خوض غمرته بالكلام المبهم وقيل لهم اسكتوا فيما جهلتم فلا تعلمون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا من قبس من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زيتهم أولا صافيا كاد يضيء ولو لم تمسسه نار فاستنارت فاشتعل نورا على نور وأشرقت أقطار الكون بين أيديهم ونور ربهم فأداروا كؤس الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله تعالى واسكتوا وادادكروا القدر فاسكتوا وكان للجهلة آداب وحوبيكم صعقة لا تبصروا صعقة لكم ولا تكشفوا ما حجب الشمس لابصار الخفافيش وكون ذلك سببا لهلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى ونزلوا بساحة الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من قبس نوركم المشرق من وراء حجبكم كما تقتبس الخفافيش من ضياء نور الشمس والكواكب في جنح الليل) وهو ظلامه واختلاطه (فيحياه حيث يحتمله شخصه وحاله وان كان لا يحياه حياة المتردد في كمال نور الشمس وكونوا كما قيل لهم

(شمسا نهارا وقمرا عند طيب * كذا تشرب لا يبلى ولا يطيب)

(* شمسا نهارا وقمرا على الارض قصلة *) أي مكتسبة ما فصل منها

(* والارض من كأس الكرام نصيب * فهكذا كان أول الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهلا له واد اكنت أهلا له فيحث (عين وأصرت) طريق (فلا تحتاج الى قائد يقودك)

شمسا نهارا وقمرا عند طيب * كذا تشرب لا يبلى ولا يطيب
* شمسا نهارا وقمرا على الارض قصلة * والارض من كأس الكرام نصيب * فهكذا كان أول الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهلا له واد اكنت أهلا له فيحث عين وأصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك

وهو الرشد (ولا عمى يمكن أن يقدر يمكن الى حد تعدد صاحبه عن الطريق وصم وحدس نسيص وذى من شعر قدرا على أن يطير عليه) ممكن لم يقدر على أن يسخر وراءه أعمى يصير الطريق (وذى الجمال واطف لطف الماء ملاوم ممكن العبور لا بالسباحة فقد يقدر الماشى على قدر اصبعه السباحة أن يعبر نصف النهر وربما لم يقدر على أن يسخر وراءه آخر وهذه أمور نسبة السير عليها الى سير على مهد يحال

وهو الرشد (ولا عمى يمكن أن يقدر يمكن الى حد تعدد صاحبه عن الطريق وصم وحدس نسيص وذى من شعر قدرا على أن يطير عليه) ممكن لم يقدر على أن يسخر وراءه أعمى يصير الطريق (وذى الجمال واطف لطف الماء ملاوم ممكن العبور لا بالسباحة فقد يقدر الماشى على قدر اصبعه السباحة أن يعبر نصفه وربما لم يقدر على أن يسخر وراءه آخر وهذه أمور نسبة السير عليها الى سير على مهد يحال (ص) عدم قوته وحوله من يحالان (فهذه أمور نسبة السير عليها الى السير على ما هو محال جعلها الخالق كنسبة المشى على الماء الى المشى على الارض والسباحة) على الماء (يمكن أن تتعلم وأما مشى على الماء ولا يكتسب ولا تعلم لى يال بقوة بيقين وبذلك قيل النبى صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام قيل له مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء) قال العراقى هذا حديث منكر لا يعرف هكذا وبمعروف مرفوعا من أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزنى قال فقد الحواريون عيسى فقال لهم لو جعلوا يعبره لمشوا يطلبونه فلما انتهوا الى البحر اذا هو قد أقبل يمشى على الماء وذكر حديثا فيه ان عيسى قال لو كان لأحدكم من اليقين قدر شعيرة لمشى على الماء وروى الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ من حمل وعرفه الله حق معرفته لمشى على العبور ورب ذلك كجبل سهى قلت روى ابن أبى الدنيا أيضا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم أى شئ تمشى على الماء قال بالايمان واليقين قالوا ونحن كذلك قد آمنا كما آمنت واليقين كما أيقنت قال فامشوا فمشوا معه فجاء موج فغرقهم فقال لهم عيسى مالكم فقالوا جعنا الموج قال لا خذتم رب الموج فرحمهم ثم ضرب بيده الى الارض فقبض منها قبضة فى احدى يديه ذهب وفى الاخرى مدر فقال أيهما أحبى فى يوم كم قالوا الذهب قال قائم ما عندى سوء (فهذه أمور واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بهم اعلامه أكثر من هذا وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى أفهام الخلق اذ عرف) على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه) وذلك فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وكانت عبادتهم غاية الحكمة فى خلقهم ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسم جبريل وروح القدس والامين) وقد ذكر هذه الاسماء فى القرآن فجبريل سمى بذلك لانه عبد الله وسمى روح القدس لان الروح مادة حياة الانفس وأضيف الى القدس لتطهيره وصفاء اثيريته وسمى الامين لامانته فى تبليغ وحى الله تعالى الى رسله (وهو عبد محبوب مطاع ثم أمين مكين) قال تعالى مطاع ثم أمين (ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم أحال الارشاد الى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى يلقى الروح الامين وأيده بروح القدس (وأحال الاعواد الى ابليس فقال بعضهم عن سبيله والاعواد هو اسم قاف لعبد دون هو وعى عليه الحكمة فانظر كيف سبه الى العبد الذى أبغضه) وفى نسخة غضب عليه (والارشاد) هو (سبيله هم ان العناية فانظر كيف سبه الى العبد الذى أحبه وعدله فى العادة مثال ذلك اذا كان محتاجا الى من يسقيه الشراب الى من يجمعه وينظف فناءه ونزله عن القادورات وكان له عبدان ولا يعين للجماعة والنظف لا أحسنهما وأحسنهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى أحسنهما وأكملهما

ى المشى على الارض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشى على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل النبى صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال له مشى عيسى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى لكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا لين لهم اعلامه أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى أفهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة فى خلقهم ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسم جبريل وروح القدس والامين وهو عبد محبوب مطاع أمين مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم أحال الارشاد الى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وأحال

الاعواد على ابليس فقال بعضهم عن سبيله والاعواد هو اسم قاف لعبد دون هو وعى عليه الحكمة فانظر كيف سبه الى العبد الذى غضب عليه والارشاد صيانة لهم الى العناية فانظر كيف نسبه الى العبد الذى أحبه وعدله فى العادة مثال ذلك اذا كان محتاجا الى من يسقيه الشراب والى من يجمعه وينظف فناءه ونزله عن القاذورات وكان له عبدان ولا يعين للجماعة والنظف لا أحسنهما وأحسنهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى أحسنهما وأكملهما

عقلا (وأحسبهما كذلك ولا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولم يكن فعله دون فعلي فإنك أحسنت ذلك إلى نفسك) حهلا منك (بل هو الذي صرف داعيك لتخصيص فعل بوقت دون وقت) بشخص لمكروه بفعل المحبوب بشخص محبوب لما لا حصر له (وهو الذي يتم بقدرته ما تريد) من فعلك (أيها الفاعل) لكل ما في يدك من حركة (فهو الذي قدرك وعملك وجعلك) وسائر حركاتك في التعيين هو الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة) ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أردهم بذلك فاحفظ عليه ما ذكرناه لك وتدبره في نفسك فإنك تجد فيه مستفرغ التأمل فيهتدي بذلك لأحكام (لأنك لا ترى الافعال تقع إلا بسبب وقد يتبين لك ما يظهر عليك في علم الشهادة من له سبب من علم الغيب وإلا كان ذلك تحكما في السبب) وهي ترتيب الأسباب وجوهها الأول (وهذا مثل الصبي الذي يحرك صورا على لعب المشعبذ) والمثال المشعوذ من المشعبذ وهو الذي يحرك صورة بما يريد (وهذه الصورة) المحركة (تحرك يديها ورجليها وتلتفت وتقوم وتقعد) وتنحني وتضع (وهي مؤلفة من صور متحركة بحركة خيوط شعر بها دقيقة لا تبصر في ظلام الليل ورؤسها في المشعبذ وهو يحتجب عن أبصار الصبيان فيظن الصبي أن الصور تتحرك بأنفسها وإنما تتحرك كما تحب) وتريد (بحركة خيوط شعر بها دقيقة لا تبصر في ظلام الليل ورؤسها في المشعبذ وهو يحتجب عن أبصار الصبيان فيظن الصبي أن الصور تتحرك بأنفسها وإنما تتحرك كما تحب وتريد

(ويعلم أولياء الله وأعداءه وأحبابه وأضدادهم) تعليم تمييز لهم وتعريف لأمورهم لا يتغير ولا يتبدل (وورد في حديث آخر) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) (في اختصاص الرجل في الدنيا) مما لا يعلم لأحد فيه مدخل (فلا يتحملن أحدهم) أي فليحذر (حتى في قوله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين) أي للمتفكرين المعتبرين (ومن معنى هذه الآية وما في معناها من الآيات الواردة في هذا المعنى) (قوله تعالى إنه لا يفلح الكافرون) (ولذلك لا يفهمه) (ولا يعرفه إلا المؤمنون) (ولا يعلمه إلا المتقون) (ولا يدركه إلا المحسنون) (ولا يحيط به إلا الصديقون) (ولا يحفظه إلا النبيون) (ولا يحرسه إلا الملائكة المقربون) (ولا يسكن فيه إلا الصالحون) (ولا يخلد فيه إلا الأبرار) (ولا يجاور فيه إلا المرسلون) (ولا يسكن أعلاه إلا الأنبياء) (ولا يسكن أعلى منه إلا الصديقون) (ولا يسكن أعلى منه إلا الشهداء) (ولا يسكن أعلى منه إلا الصالحون) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأولياء) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأصفياء) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأتقياء) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأخيار) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأبدال) (ولا يسكن أعلى منه إلا النجباء) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأوتاد) (ولا يسكن أعلى منه إلا الأقطاب) (ولا يسكن أعلى منه إلا الغوث) (ولا يسكن أعلى منه إلا الإمام) (ولا يسكن أعلى منه إلا الخليفة) (ولا يسكن أعلى منه إلا الرسول) (ولا يسكن أعلى منه إلا الله) (ولا يسكن أعلى منه إلا الله) (ولا يسكن أعلى منه إلا الله

وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون ومايصلح الله بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من أنكر امامة السلطان فقد وقع في البدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كان يرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى يدفع بالسلطان كل يوم أكثر من عشرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم ويطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الحشيشات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين فاصيا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) * وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده مما يخرج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب

* (بيان حقيقة النعمة وأقسامها) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان كل خير ولذة وسعادة فهي من كل مطلوب ومؤثر) أي مختار (فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية) وبهذا الاشارة بقوله تعالى والذين سعدوا ففي الجنة الآية

وتسميتها سوها بنعمة وسعادة انحط واما مجاز كتسمية سعادة الدنيا بها التي لا تعين على الآخرة بعد ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اضافته الى سعادة الآخرة بها أصدق وكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة وهي على طبقات واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لاجل ما يفضي الى نعمة حقيقية ولاسباب النعمة المسماة نعمة شرحها

منقضيات * (القسمة الاولى) * (الامور كلها بالاضافة الى السعادة الباقية في الآخرة

وذلك هو خير المحض والنعيم الصدق وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وعز بلا ذل (وتسمية ما سواها نعمة وسعادة ما على الاستجاز) اما كونه معدودا في النوع دنيا أو فانيا (كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض) (وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا) في حد ذاته (ولكن يكون اضافته الى السعادة الاخروية أصدق وكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليه اما بواسطة واحدة أو بوسائط) متعددة (فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل ما يفضي الى النعمة الحقيقية) وكل ما يفضي الى نعمة نعمة كما ان كل ما يدل على خير وسعادة فهو خير وسعادة (والاسباب المعينة) على الخير (والمقربة الى السعادة تسمى بالنعمة) * (القسمة الاولى) * (الامور) التي هي معينة وباعثة على الوصول الى السعادة الاخروية (كلها بالاضافة الى السعادة منقسمة الى الاحوال وهي (ستة اقسام ما هو نعيم) في جميع الاحوال على كل وجه (في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو صارف بهما جميعا) في سائر الاحوال وعلى كل وجه (كالجهل وسوء الخلق والى ما هو صارف بهما جميعا) لكن (يصرف المآل) فهو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وذلك (كالتمادي في اتباع الشهوات) والاخلاد الى الراحة (وهو صارف في الحال ونافع في المآل) فهو مضر في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وذلك (كالمبادرة الى قمع الشهوات ومخالفة النفس والطبع) في الحال (والمآل هو النعمة المحققة كالعلم وحسن الخلق والصارف بهما هو الشقاء المحقق وهو نافع في الحال مضر في المآل بلا محض عند ذوي البصائر وقد يجتمع فيه الامران ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم قاتل بعده نعمة ان كان جاهلا وان علم أن ذلك لا يسيغ اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب لا عند الجهال ومثاله المداواة بالحجامة) أي الفصد (والاستفراغ) أي بالمسهل (والصوم من الامراض والاسقام وسائر الصحة والسلامة فانها وان كانت شرا عند الجهال) حيث لا يعرفون (لا يعقلون) كمال (نعمة ويتقلد المنة من يهديه اليه ويقربه منه وذلك نافع لامه والدها من الحجامة) في أوقات الحاج (بسوداء مرة من والام شديدة من الصوم فيجب اعدادها (ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل) فان عقل العدو وفطنته عن كثير مما يعتدي به (وكل انسان فانه صديق نفسه وكل صديق جاهل فذلك يضر به ما لا يعلم به العدو) فعلى العاقل أن يعرف تلك الامور حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره ويضيع على الرفيع وتصديقه الخسيس على النفيس والدنس في متجر يربحه الخير وهرب من شر كما قال الشاعر

اذا محض الدين بين تكشفت * لك عن عدو في ثياب صديق

(لان سمها اباه) أي والدها (من الحجامة) في اوقات الحاج (بسوداء مرة من والام شديدة من الصوم فيجب اعدادها (ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل) فان عقل العدو وفطنته عن كثير مما يعتدي به (وكل انسان فانه صديق نفسه وكل صديق جاهل فذلك يضر به ما لا يعلم به العدو) فعلى العاقل أن يعرف تلك الامور حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره ويضيع على الرفيع وتصديقه الخسيس على النفيس والدنس في متجر يربحه الخير وهرب من شر كما قال الشاعر

كالعلم وحسن الخلق والى ما هو صارف بهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتمادي في اتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس والطبع في الحال والمآل هو النعمة المحققة كالعلم وحسن الخلق والصارف بهما هو الشقاء المحقق وهو نافع في الحال مضر في المآل بلا محض عند ذوي البصائر وقد يجتمع فيه الامران ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم قاتل بعده نعمة ان كان جاهلا وان علم أن ذلك لا يسيغ اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب لا عند الجهال ومثاله المداواة بالحجامة والاستفراغ والصوم من الامراض والاسقام وسائر الصحة والسلامة فانها وان كانت شرا عند الجهال حيث لا يعرفون كمال نعمة ويتقلد المنة من يهديه اليه ويقربه منه

كل محبوب له رجوعها * دفع ضره وجلب نفعه
والمرء يعلم في تصرف حاله * فيرى مصالح نفعه في نفعه

(فصل) * (في بيان الاسباب المكتسبة التي يتعلق بها نفع الغير وضره وهي خمسة أقسام) * (القسم الاول

لذاته ولغيره أيضا وهو نعمة ولكن دون الاول وهو ما لا يؤثر لا لغيره كالتقدس فلا يوصف فى أنفسهما من حيث انهما جوهران قائمان بانفسهما نعمة بل من حيث هما موجودان فيكونان نعمة فى حق من يقصد أمرا ليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده النعيم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما كان شغله بوجودهما عن التفكر والعبادة فيكونان بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة (قسمة رابعة) اعلم أن (٨١) خيرا باعتبار آخر ينقسم الى نافع ولذيذ وجميل فالذيذ هو الذى تدرك راحته فى الحال والنافع هو الذى يفيد فى المآل والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار ونافع ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد والمطلق هو الذى حتم فيه الاوصاف الثلاثة أعنى الخير فالنعيم حكمة فيه نافعة وجميلة وعند أهل الحكمة والعلم والشر فى الجهل فانه ضار ونافع ومؤلم وانما يخص الجاهل بالجهل اذا عرف انه جاهل وذلك أن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك نقصا فتنبعث منه شهوة العلم للذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر وايثار الراحة والدعة وغيرها من (شهوات الدنيا من التعلم فيجتمع فيه مبدءان متضادان فيعلم أنه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر ودل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لاجتماع الضربين الثانى المقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أى شئ من أوصاف الخيرات وشئ من أوصاف الشرور (ضرب نافع) مؤد (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفى سجعة المتكلمة (والسلعة الخارجة من البدن) كمدع تصيب أنه قاله وان معه فى درك الثار فقد أداه (وضرب نافع قبيح كالحق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استرح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترسل فى الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جد قبيح (وضرب نافع من وجه ضار من وجه آخر كاتلاف المال فى الحج عند خوف العرى) أى كمن فى سفينة خوف العرق فالقى متاعه فى البحر فخلصت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس فى تحاتها) ولو جهات مختلفان وكل ما نفعه وحاله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو فضل وان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار لاجله وهو الذى يشتهيه كل عاقل من حيث هو عاقل لا شهوة دنيوية وبعده الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار لغيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الخاتمة فى الآخرة وهى الارباح التى تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الارباح سعادة وبضادها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على غيره بأن يتوصل به الى السعادة وبضادها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) قد علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضرورى) وهو ما لا يمكن الوصول أى المطلوب الا به (كالايمان وحسن الخلق فى الايصال الى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما

بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع الزائدة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استرح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترسل فى الحال الى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كاتلاف المال فى بحر عند خوف العرى فانه ضار للمال نافع للنفس فى تحاتها وللنافع قسمان ضرورى كالايمان وحسن الخلق فى الايصال الى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما

أستثنى غيرها مما لا يكون ضروريا كالتكحل مثلا فإن تمكن استفراغه فذاك وإلا تكحل تكحيلا يضر ما يقوم مقامه (فصل خامس)
اعلم أن لنعمة يعبر بها عن كل مديد للذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته
مع بعض الحيوانات فيه (٨٢) مشتركة جميع الحيوانات أما عقلية كالمعرفة بالحكمة التي يستدل بها على

والبصر والشم والذوق ولا
البيان ولا الفرح وما
يستلذها بالقلب لاختصاصه
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه
أقل اللذات وجودا وهي
أشرفها باعتبارين لان العلم
لا يستلذه الا عالم والحكمة
لا يستلذها الا حكيم وما قل
أهل العلم والحكمة وما
أكثر المتسمين باسمهم
والمترسمين برسومهم وأما
شرفها بالاعتبار الآخر فلان
أبدا الآباد دائمة لا تفنى بالطعام
الشبع من فعل وشهوة
لوقاع ويعبر عنها بالنفس
والعلم والحكمة فلا تصور
أن تفنى وتستفنى ومن دون
على الشريف الباقي أبد
الآباد دار هي بالحيوان
الحسي في أقرب الآماد وهو
مصاب في عقله محروم
لشقاوته وادباره وأقل
أمرهم أن نعم ما عقل
لا يحتاج إلى عوان وحدة
تخالف المال والعلم
يحرسان وأنت تحرس
المال والعلم يريد لا يفنى
والمال يفنى بالنفقة
والمال يسرق والولاية
تعزل عنها والعلم لا تمتد إليه
أيدي السراق بالاختلاس ولا
أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح لا من أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف

أستثنى غيرها مما لا يكون ضروريا كالتكحل مثلا فإن تمكن استفراغه فذاك وإلا تكحل تكحيلا يضر ما يقوم مقامه (فصل خامس)
اعلم أن لنعمة يعبر بها عن كل مديد للذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته
مع بعض الحيوانات فيه مشتركة جميع الحيوانات أما عقلية كالمعرفة بالحكمة التي يستدل بها على

(فصل خامس)*

(اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل مديد للذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته
فيه فالمشتركة (كالمعرفة) للذة (بالحكمة) وهي على قسمين أما (مشتركة مع بعض الحيوانات
كالتكحل) ما (يفيد مشتركة) مع جميع الحيوانات (أما) اللذة (بالعقل كالعلم والحكمة فليس
يستلذها بالسمع ولا بالبصر ولا بالشم ولا بالذوق ولا بالفرج وما يستلذها بالقلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها
بالعقل وهذه أقل اللذات وجودا وهي أشرفها أما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها
الا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم وأما شرفها فلان
لذتها لازمة لا تزول أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وذلك لان العالم يشبع من فعل وشهوة الوقاع يقرع
من فعله (ولان العالم لا يمل من علمه) ولان العلم والحكمة فعلا لا تصور أن تفنى وتستفنى) فحق من يعمل أن
يرغب أولا في أن يطلب ما هو مصلحة بحيث لا يمل منه ولا يكسبه ولا يبذل جهده مستعينا بالله
في اكتساب ماله كسبه وليقنع لا على ما على منه على مراتب ذلك يشرف (ومن قدر على الشريف الباقي أبد
الآباد دار هي بالحيوان الحسي الذي في أقرب الآماد وهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وادباره) وأقل
ما في الشريف أن نعم ما عقل (لا يحتاج إلى عوان وحدة تخالف المال والعلم يحرسان وأنت تحرس
المال والعلم يريد لا يفنى والمال يفنى بالنفقة والمال يسرق والولاية تعزل عنها والعلم لا تمتد إليه
أيدي السراق بالاختلاس ولا أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح لا من أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدا) وتتمة
الكلام على هذه الجملة تحتمل تفصيلا في كتاب العلم (ثم العلم نافع ولذيذ وحسن) عاجلا وآجلا ومطلقا (في
كل حال أبدا) أي في كل زمان وفي كل مكان ولذا كان أفضل المسائل المسئول (والمال) وكذا الجاه
وهما من الخيرات المتوسطة (قد يتحول إلى ضده) أي المال (إذا كان مع الجهل) والجاه (قد يجلب الى الجهة
إذا كان مع العلم (ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع) كثيرة ونبه على كونه سببا للشر
فقال إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى لا تلهكم أموالهم ولا أولادهم الآية ولذلك قيل سعيد
هو الخير العادل عما كان فقيرا قويا كان أو ضعيفا (وان سمي خيرا في مواضع) كقوله تعالى إن
ترك خيرا الوصية فقد يكون خيرا بعض الناس وشرا لبعضهم فلو لم يكن شرا لبعض ما قال تعالى فيه الذي
جمع الا وعدده يحسب ان ماله أخلده (وأما تصور أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم) والحكمة (فلما
عرض لهم) وهو قول شيخنا لهم لا لذة لهم بالعلم هذا هو الاصل (ومن لم يذق لم يعرف ولم يشتاق اذ
الشوق تبع الذوق) والى الاشارة بقول القائل

ولو دون عادل صدتني * صدامي بكم عن عاداتها

(وانما تفسد امر جهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات) فان شهوة أثيراته هرا في تغيير المزاج

أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح لا من أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف (كما عرض)
أبدا ثم العلم نافع ولذيذ وحسن) عاجلا وآجلا ومطلقا (في كل حال أبدا) أي في كل زمان وفي كل مكان ولذا كان أفضل المسائل المسئول (والمال) وكذا الجاه وهما من الخيرات المتوسطة (قد يتحول إلى ضده) أي المال (إذا كان مع الجهل) والجاه (قد يجلب الى الجهة إذا كان مع العلم (ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع) كثيرة ونبه على كونه سببا للشر فقال إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى لا تلهكم أموالهم ولا أولادهم الآية ولذلك قيل سعيد هو الخير العادل عما كان فقيرا قويا كان أو ضعيفا (وان سمي خيرا في مواضع) كقوله تعالى إن ترك خيرا الوصية فقد يكون خيرا بعض الناس وشرا لبعضهم فلو لم يكن شرا لبعض ما قال تعالى فيه الذي جمع الا وعدده يحسب ان ماله أخلده (وأما تصور أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم) والحكمة (فلما عرض لهم) وهو قول شيخنا لهم لا لذة لهم بالعلم هذا هو الاصل (ومن لم يذق لم يعرف ولم يشتاق اذ الشوق تبع الذوق) والى الاشارة بقول القائل

ولو دون عادل صدتني * صدامي بكم عن عاداتها

(وانما تفسد امر جهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات)

(كالمريض الذى لايدرك حلاوة العسل ومرارة الصبر ونحوهم ممن تخلق بهم بعد الصحة التى هم عليها كالمعتل والصبيع الذى لايدرك لذة العسل وطعم الصبر ونحوهما ولا يستدل بالذى لايدرك على من يدرك ولا يستدل بقوله تعالى على أنه لا شىء عاصر يدرك عن درك لذة العلم والحكمة لأنا نعلم أن من لم يحى بأصله كالطفل ومن مات بعد الحياة وانقطع شهواته ومن مات مرض سبب انقطاع الشهوات وقوله تعالى فى قلوبهم مرض إشارة إلى مرض العقوب وقوله عز وجل يبعثهم الله ثم إليه يرجعون إشارة إلى من لم يحى حياة طيبة فكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من موتى ان كان عند نفسه من الأحياء وعند الله كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالانسان * النسبة لذة تدرك لانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والعلة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات * لذة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن حاز هذه الرتبة تشبثت به لذة لعلمه وهو أسدها نفعا وأشدها تمكنا فى المتعلقين ومن حاز ذلك ارتقى الى لذة قهر أعجب الاذناب عاسه لذة علمه والحكمة لاعجب لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولايمان التى منها لاتخرج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وأما شره الطعام والفرج وكسره مما تقوى عليه الحيوانات وشهوة الرياسة لا يقوى على كسرها الا الصديقون فما قعيد بحيث لا يقع به الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال فينبغى أن يكون حد حاجى مقدور البشر يعلم تعلقه بالمعرفة الله تعالى فى أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والعلة وكل ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة وكل مكون مقهور فلا يقوى على حمل النفوس على العدول عن) مقتضى (العدل) مأثوره (وعند هذا انقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يحب الله ولا يستحى الا ويكره ويحب لا يدرى مالذة معرفة وما معنى الانس بالله والحاجة اليه بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات بديهة وقلب أحب أحوله الانس بالله سبحانه وتعالى

(كالمريض الذى لايدرك حلاوة العسل ومرارة الصبر ونحوهما ممن تخلق بهم بعد الصحة التى هم عليها كالمعتل والصبيع الذى لايدرك لذة العسل وطعم الصبر ونحوهما ولا يستدل بالذى لايدرك على من يدرك ولا يستدل بقوله تعالى على أنه لا شىء عاصر يدرك عن درك لذة العلم والحكمة لأنا نعلم أن من لم يحى بأصله كالطفل ومن مات بعد الحياة وانقطع شهواته ومن مات مرض سبب انقطاع الشهوات وقوله تعالى فى قلوبهم مرض إشارة إلى مرض العقوب وقوله عز وجل يبعثهم الله ثم إليه يرجعون إشارة إلى من لم يحى حياة طيبة فكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من موتى ان كان عند نفسه من الأحياء وعند الله كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالانسان * النسبة لذة تدرك لانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والعلة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات * لذة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن حاز هذه الرتبة تشبثت به لذة لعلمه وهو أسدها نفعا وأشدها تمكنا فى المتعلقين ومن حاز ذلك ارتقى الى لذة قهر أعجب الاذناب عاسه لذة علمه والحكمة لاعجب لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولايمان التى منها لاتخرج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وأما شره الطعام والفرج وكسره مما تقوى عليه الحيوانات وشهوة الرياسة لا يقوى على كسرها الا الصديقون فما قعيد بحيث لا يقع به الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال فينبغى أن يكون حد حاجى مقدور البشر يعلم تعلقه بالمعرفة الله تعالى فى أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والعلة وكل ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة وكل مكون مقهور فلا يقوى على حمل النفوس على العدول عن) مقتضى (العدل) مأثوره (وعند هذا انقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يحب الله ولا يستحى الا ويكره ويحب لا يدرى مالذة معرفة وما معنى الانس بالله والحاجة اليه بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات بديهة وقلب أحب أحوله الانس بالله سبحانه وتعالى

معرفته وانكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى أوصاف بشريته وقلب أعلى أحواله المتلدد بصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال تلدد ما مع المعرفة أما الاول وان كان ممكنا في الوجود) لا يستحيله العقل (فهو في غاية البعد وأما الثاني فالذي يدل عليه قسمته) أي ممكنة (وأما الثالث وهو واسع في الوجود ولكن على غاية الندور ولا تصور أن يكون ذلك لا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من أعصار الانبياء عليهم السلام) لكثرة الاولياء فيها (ولا زال يرد بعهد طولا وتزداد مثل هذه الاقوال وله الى ان تقرب الساعة ويقضي الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبدأ ملك الآخرة والملك عرضي والاصول لا يكثرون فكما لا يكون الثاني في ملك وجمال الا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب) لمختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الشاخص في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيته فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة ولا تعرف هم الصورتان التي هي فائقة لك تابعة على سبيل المحاكاة فالقلب المتأخر عنه مقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والاستكاس صرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة تحكيه لعالم الغيب والملكوت فمن ليس له بصر الاعتبار ولا يعترف شيئا من عالم الملك لا يعتبره في عالم الملكوت فيسمى تصويره وقلب أمر الحق به تعالى فقال وعتروا يا أولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسقط الى حسه أنواعهم وهذا الحس مثلي مرا) وقد نبه الله تعالى (شأنها ان تطلع على الافئدة) أي تعلو وتشرف عليها (الآن يبصرون بين ادراك الملهج بها فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك) الالم (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة والجماعة

معرفته وانكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى أوصاف بشريته وقلب أعلى أحواله المتلدد بصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال تلدد ما مع المعرفة أما الاول وان كان ممكنا في الوجود) لا يستحيله العقل (فهو في غاية البعد وأما الثاني فالذي يدل عليه قسمته) أي ممكنة (وأما الثالث وهو واسع في الوجود ولكن على غاية الندور ولا تصور أن يكون ذلك لا نادرا شاذا) قليل الوجود (وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من أعصار الانبياء عليهم السلام) لكثرة الاولياء فيها (ولا زال يرد بعهد طولا وتزداد مثل هذه الاقوال وله الى ان تقرب الساعة ويقضي الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبدأ ملك الآخرة والملك عرضي والاصول لا يكثرون فكذا لا يكون الثاني في ملك وجمال الا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب لمختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الشاخص في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيته فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة ولا تعرف هم الصورتان التي هي فائقة لك تابعة على سبيل المحاكاة فالقلب المتأخر عنه مقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والاستكاس صرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة تحكيه لعالم الغيب والملكوت فمن ليس له بصر الاعتبار ولا يعترف شيئا من عالم الملك لا يعتبره في عالم الملكوت فيسمى تصويره وقلب أمر الحق به تعالى فقال وعتروا يا أولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسقط الى حسه أنواعهم وهذا الحس مثلي مرا) وقد نبه الله تعالى (شأنها ان تطلع على الافئدة) أي تعلو وتشرف عليها (الآن يبصرون بين ادراك الملهج بها فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك) الالم (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة والجماعة

و لجماعه (استطقهم بالحق تقالوا بلى وربنا شهدنا) وهما موجودان الآن فالجنة فوق السموات والنار تحت الارض (ولكن الجحيم تترك مرة بادراك الآخرة يسمى علم اليقين) وهو ما عنده الدليل مقصور الامر على ما هو عليه (ومرة بادراك الآخرة يسمى عين اليقين) وهو ما عنده المشاهدة والكشف (وحق اليقين لا يكون الا في الآخرة) لانها محل الشهود والكشف (وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للدين قد وفوا حظهم من نور اليقين) وهو مشاهدة القلوب اصحاب البصيرة ملاحظة الاسرار بعد صفة الاذكار (فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فعند ذلك يعرف القلب الصالح لملك الآخرة فيكون الامر له كالشخص الصالح لملك الدنيا)

(خصلة سادسة وهي الجمع بين النعم)

الموهوبة والمكتسبة (اعلم ان النعم) وان كانت لا تحصى مفصلة فهي بقول اجمالي خمسة أنواع وبيان ذلك انها (تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل غاية أخرى هي سعادة الآخرة) وهي علاها وأشرفها وانما قدمه قوله تعالى وأما الذين سعدوا في الجنة الآية (وترجع حاصلها الى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية وبذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك مرتين في شدة تنبيه للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الصر) وهذا قد رواه الطبراني وأحمد وشعبان والثلاثة من حديث أنس ورواه أيضا أحمد والشيخان من حديث سهل بن سعد وفي لفظ اللهم لا خير الا خير الآخرة وروى الحاكم من حديث أنس اللهم لا خير الا خير الآخرة فصار في الانصار والمهاجرة (وقال ذلك مرتين) قال (لسرورهما النفس من الركون الى السرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع) يروى ذلك مرسلا ورواه الحاكم متصلا وصححه وتقدم في كتاب الحج وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس بينك اللهم بين عن الخير خير الآخرة (وقال رجل اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة) قال لا قال (فان دخول الجنة) قال العراقي رواه الترمذي من حديث معاذ بسند حسن انتهى قلت ورواه البصري باسقط أدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (وأما الوسائل) التي يتوصل بها الى السعادة (فتنقسم الى ما قرب الاخص كفضائل النفس) وهو الاول (والى ما يليه في القرب كفضائل البدن) وهو الثاني (والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب الخارجة عن البدن من مال والاهل والعشيرة) وهو الثالث (والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس والبدن الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية) وهو الرابع (فهي اذا أربعة أنواع) النفسية والبدنية والخارجية والتوفيقية وهي مع السعادة الاخروية خمسة أنواع (النوع الاول وهو الاخص الاقرب (الفضائل النفسية) ولا يمكن الوصول الى السعادة الاخروية الا باكتسابها واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الانصاف وقد فصله بقوله (وترجع حاصلها مع اشعاب أطرافها الى) أصلين عظيمين (الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله والى علم المعاملة) وهو مجاهدة البدن في الطاعات (وحسن الخلق ينقسم

المضيفة بالبدن من مال وأهل وعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس والبدن حاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا أربعة أنواع *(النوع الاول وهو الاخص) الفضائل النفسية وترجع حاصلها مع اشعاب أطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم

الى ميزان ترك مقتضى الشهوة بعض وجه بعضه ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يتبع شهوة ولا يقدم كيف شاء بل يكون قد جعل خادمه الميزان العدل الذي أنزله الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فمن خصي نفسه بترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع قدرته ولا من من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة وتذكر وتفكر فقد أخسر الميزان ومن أسرف في شهوة الطعام فقد طغى في الميزان والمراد بالعدل أن يحاسب نفسه ويقدره عن مطالبة والخسران فتعدل به كفة الميزان فان الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم بمكاشفة وعلم بمعاملة وعفة وعدله ولا يتم هذا في عالم الامر الا بالنوع الثاني وهو فضائل البدنية وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المتعلقة بالبدن وهي أربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحد من الاربعة الى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية أو زيادة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الاعتقاد وحسن الخلق والى الوصول الى سعادة الآخرة ليس الا العلم والعمل ليس للانسان الا ما سعى وان لسعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وليس لاحد في الآخرة الا ما رزق في الدنيا وبذلك قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية فحسب ان لا مطمع لمن أراد الوصول بها الا بالسعي (فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكتسب العلوم) الباطنة (وتهذيب الاخلاق) وتصفيتها من الرذائل (الى نعمة البدن وقوته ضرورية) لانه لا سبيل الى تحصيلها الا بها (وأما حاجة سائر النعم الى الجاه فكحاجة هذه النعم) والفضائل (النفسية والبدنية الى النعم الخارجة) المتعلقة بالانسان (مثل المال والعز والاهل) وكرم العشيرة بها لا تعني عنها (فان ذلك لو عدم) وأمكن ان تصور حصولها من ليس له ذلك (ربما تطرق خلل الى بعض النعم الداخلة فان فقد المال وجه الحاجة تطرق خلل الى سعادتها (التي النعم الخارجة) المتعلقة بالبدن (من المال والاهل

(الى ميزان) أحدثه شرع مقتضى الشهوة وبعض واحده (بعضه) الباقي (مراعاة العدل في الكف عن مقتضى شهوات والاقدام حتى لا يتبع شهوة ولا يقدم كيف شاء بل يكون قد جعل خادمه الميزان العدل الذي أنزل الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى) وسمى الله عز وجل ووضع ميزان (ألا تطغوا في الميزان) أي لا تعتدوا ولا تجوروا الاعتدال (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه (فمن خصى نفسه بترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع قدرته ولا من من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة وتذكر وتفكر فقد أخسر الميزان) فان كل ذلك عبر به عن العدل (ومن تمم شهوة الطعام فقد طغى في الميزان) وتعدى (فالعدل) الحقيقي الذي به قامت السموات والارض (أن يحاسب نفسه ويقدره عن المطالبة والخسران فتعدل به كفة الميزان) أي سواء (وهذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم بمكاشفة وعلم بمعاملة وعفة وعدله) فكمال علم المكاشفة العلم وكمال علم المعاملة تحديد قبول النعمة لوضع وقبول النعمة الاضافة وهي تعريفها بالدين (ولا تتم هذه في عالم الامر الا بالنوع الثاني وهو فضائل البدنية) أي بسببه (الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المتعلقة بالبدن وهي أربعة) أشياء (المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة) أشياء (هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحد من الاربعة الى أربعة) ويجمع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضربا من الاسباب مدخل في كسبها لا فيما هو سبب فقد تم ما أردنا ذكره (فان حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض قليل (وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض) (اما حاجة ضرورية) بحيث لولم يوجد لاختل حال الآخر (أو) حاجة (زيادة) بحيث لولم يوجد لاختل حال الآخر (أما حاجة ضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الاعتقاد وحسن الخلق) وهي الفضائل النفسية (الى الوصول الى سعادة الآخرة) الحقيقية (أعني لقاء الله تعالى) أي (ليس للانسان الا ما سعى) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى (وليس لاحد في الآخرة الا ما رزق في الدنيا) وبذلك قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية فحسب ان لا مطمع لمن أراد الوصول بها الا بالسعي (فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكتسب العلوم) الباطنة (وتهذيب الاخلاق) وتصفيتها من الرذائل (الى نعمة البدن وقوته ضرورية) لانه لا سبيل الى تحصيلها الا بها (وأما حاجة سائر النعم فكحاجة هذه النعم) والفضائل (النفسية والبدنية الى النعم الخارجة) المتعلقة بالانسان (مثل المال والعز والاهل) وكرم العشيرة بها لا تعني عنها (فان ذلك لو عدم) وأمكن ان تصور حصولها من ليس له ذلك (ربما تطرق خلل الى بعض النعم الداخلة فان فقد المال وجه الحاجة تطرق خلل الى سعادتها (التي النعم الخارجة) المتعلقة بالبدن (من المال والاهل

وجاه
الى الوصول الى سعادة الآخرة الا بما رزق في الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكتسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري وأما حاجة سائر النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق خلل الى بعض النعم الداخلة (فان قلت) فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل

والحمد والعشرة مع أن هذه الأسباب ضرورية لصحة المتبع والآلة السهلة المقصود

واجده والعشيرة وما معهن في معناهن (فاعلم أن هذه الأسباب ضرورية لصحة) نظر (نتبع) لحاجته (و) ضرورية (الآلة السهلة للمقصود) وإن لم تكن الحاجة إليها في بعض ذلك ضرورية (فقد المال فقر) عدم (في حق بعض الكمال) وتحري المكارم (وليس له كفاية) هو (كساع إلى بعض بلا سلاح) والمجتاز ميدان حرب في سعي إليه بغير سلاح فأحرى به أن يتحقق عجزه وهو مصراع بيت (وكاد يروم صيد الاصطياد) فكيف بصيد موصوف معطي كل صيد أرض وبر كما قيل في بحر وما أصدق ما قال الشاعر

واعسر من يرجى يسار بعسره ✻ وأفقر منفوض وذل

وقال آخر

فلا تحقرن الدهر إن قل ماله ✻ ولا المال في الدنيا لئن قل بجده

(ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (نعم العون على تقوى الله مال) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن سكدر عن جابر ورواه أبو الشيخ بمعناه من رواية ابن لسكدر مرسلا ومن طريق رواه القضاعي في مسند الشهاب هكذا مرسلا انتهى قلت ورواه أبو نعيم في المكارم فاخرجه من حديث جابر (كيف ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب القوت وفي تهيئة الملابس والمسكن وضروريات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر) والمراد به (ولا تندفع الا بإصلاح المال ومع ذلك) بفقدان المال يشكل بأنواع النقص التي ذكرها إلا (محروم عن فضيلة الحج وأركانه والصدقات وفضائل الجهاد) وكثير من الفقراء (وقال بعض الحكماء) قد (قيل لقمان ما الذي يعيبك) أي يعد (رأيت فقيرا لا عيش له ومن رذائل الفقر لا عيش له وفي رأيت المريض لا عيش له قيل رذائل الشباب فما رأيت غريم لا عيش له) فإنه صاحب القوت لا يتهيأ له الفراغ لعبادة ربه (قال لا أحد مريضا ثم قال لا أحد مريضا ثم قال لا أحد مريضا) فقيل له ما رأيت خائف لا عيش له وفي رأيت الشباب فقيل له ما رأيت غريم لا عيش له قيل له ما رأيت العافية فقال في رأيت المريض لا عيش له قيل له ما رأيت الشباب فقال في رأيت غريم لا عيش له وكان مادكره إشارة إلى نعيم يتبعه ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) فكأنه أورد هذا بعض الحكماء وقد رواه البيهقي في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السياق وله شاهد عند ابن ماجه وغيره بلفظ من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وفي آخر بلفظ وعوفي في الأدب المفرد والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني من رواية سالم بن عبد الله بن محيريز الجمحي عن أبيه رفعه من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش (وأما الأهل) كالزوجة والأقارب (والولد الصالح) وتقييده بالصالح مراعاة لما في الحديث (فلا يخفى وجه الحاجة إليهما) فإنه من رحمة الرحمن بخلقه أنه لم يرفع فيهما رغبته كما قال تعالى بعضكم من بعض حرث لكم (وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقي لم أجد له أصلا وسلم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة دلت ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي ورواه أبو يعلى وابن حبان من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى والحارث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (في الولد) أي في نفعه (دعاء بن آدم ينقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم في كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب

أما المال فالفقير في طلبه نعم

ادقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وفي رواية لمسلم في الولد إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد تقدم ذكر فوائد الأهل والولد في كتاب

النكاح) فلتراجع هناك (وأما الاقارب) فمع العون على نوع سعادة (فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه) وخالصوه (كانوا له من الاعين) والايدى فيتيسر له بهم من الامور الدنيوية المهمة فى دينه مالو انفرد به لطال شغله) وقد قال تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد وقال الشاعر

ألم تر أن جمع القوم يغشى * وان حريم واحدهم مباح

(وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم) ويأبى عن تحملهما من لا عز له لا يمكنه أن يذود عن حريمه (ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك) فى دهره (عن عدو يؤذيه و) ان لم يكن له عدو فلا يخلو عن (ضد) يشوش (عليه علومعمله ومراعاته و يشغل قلبه و) من المعلوم ان (قلبه رأس ماله) الذى يتجر به (وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه وذلك فى الدين والسلطان) اخوان (توأمان) وقرينان مؤتلفان ومؤديان فى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل أبو الدين أس والسلطان حارس ومالا أس له فمهدوم ومالا حارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها أولى البصائر (قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للعمارة الا صلاح القلوب) كما تقدم فى كتاب ذم الجاه (كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب الحاجات لدفع الاذى عنه) فهذا الجاه تدفع للمال (فكما يحتاج الانسان فى تعيشه (الى سقف) يظله من حر الشمس و (يدفع عنه المطر و) الى (حنطة) هى لقطعة من الصوف (تدفع عنه البرد) اذ لا يسعه (وكلب يدفع الذئب) العادى (عن ماشيته) ان كان من أصحاب المواشى (فيحتاج أيضا الى من يدفع الشر عنه عن نفسه) و يحكى ان الشافعى رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها واجعل عملك لله تعالى الا ارادل (وعلى هذا القصد كان الانبياء) عليهم السلام (الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين و يطلبون عندهم الجاه) لتشيية أمورهم الدينية (وكذلك علماء الدين) سلفا وخلفا (لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستثثار والاستكثار فى الدنيا بمتاعتهم) حاشاهم الله من ذلك (ولا تظن ان نعمة الله) تعالى (على رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث نصره وأكمل دينه) وأتم عليه نعمته (وأظهره على جميع اعدائه ومكن له فى القلوب حتى انتشر به عزه وجاهه كانت تلك (أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى و يضرب حتى اضطر الى الهرب والهجرة) من محل مولده قال العراقى رواه الشيخان من حديث عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة وعرضت نفسى على ابن عبد ياليل الحديث والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شىء يوارى ابط بلال قال الترمذى يعنى هذا الحين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه بلال والبخارى عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبزار وأبى يعلى من حديث أنس قال لقد صبروا وعلم الله صلى الله عليه وسلم حتى عشى عليه فقام أبو بكر ينادى و يلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله واسناده صحيح على شرط مسلم (فان قلت فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا فاقول نعم) والمراد بكرم العشيرة حسب الشرف و الشرف أحصرها آباء و عشيرة ولذلك قيل للعلوية اشراف (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش) قال العراقى رواه النسائى والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح اه

فى دينه مالو انفرد به لطال شغله وكل مايفرغ قلبك عن ضرورات الدين فهو معين لك على الدين فهو اذا نعمة وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه و ظالم يشوش عليه علومه وعمله ومراعاته و يشغل قلبه وقلب رأس ماله والما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه وذلك فى الدين والسلطان توأمان قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للعمارة الا صلاح القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب الحاجات لدفع الاذى عنه كما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وحنطة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا الى من يدفع الشر عنه عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين و يطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستثثار والاستكثار فى الدنيا بمتاعتهم ولا تظن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه و أظهره على جميع أعدائه ومكن فى القلوب حتى نشر به عزه وجاهه كانت قلت

تلك أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى و يضرب حتى اضطر الى الهرب والهجرة (فان قلت) كرم العشيرة وشرف الآباء هو من النعم أم لا (فاقول) نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش

وذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أصلا ومنشأ في نسب آدم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم الأكفاء وقال صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النسب ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار الموصوفين بالعلم والعمل

قلت وروى كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي وروياه أيضا من حديث علي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي برزة بزيادة في آخره ورواه الطيالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء من حديث أنس بزيادة في آخره ورواه الحاكم من حديث علي بزيادة في آخره (وذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم) الأرومة بالهمز الأصل قال العراقي وهذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي رواية للترمذي إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والطالبي في ودعة وحسنه إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث بن عساكر إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم فجعلني في خيرهم وللترمذي من حديث ابن عباس أنا وأهل بيتي طهرنا الله فلا يصيبهم شيء من الذنوب إلا ابتلاهم في الدنيا صغارا وكبارا وله من حديث أبي سعيد ما بعث الله نبيا إلا في ثروة من قومه وله من حديث عائشة ما بعث الله نبيا إلا في عقر قومه وقد تقدم في كتاب النكاح (وكان صلى الله عليه وسلم يختار لنطفه) ويضعها (الأكفاء) ويكره (لا كفاءه) ويكره بهم وروى ابن ماجه من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب النكاح في آداب الجماع وانظروا أين تضعون مياهكم فإن الرجل يشبه أخواله (وقال) صلى الله عليه وسلم (إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء) رواه ابن عدي في الكامل والديلمي من حديث أبي سعيد وابن مردويه والعسكري في الأمثال وابن عدي والقضاعي والخطيب في تاريخه للناس والديلمي من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضا في كتاب النكاح (فهذا أيضا من النسب ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار الموصوفين بالعلم والعمل) ومن الناس من لا يعد شرف الأصل فضيلة وقال كما أن المصنف يعد ذلك فضيلة ويستدل بقول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقول الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ✽ يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنذا ✽ ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر

يجدك كل جد لا يجد ✽ وهل جد بلا جد يجد

وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كل الناس لآدم وحواء تخيبة الكرم الفرع ومحله فالأصل وإن كان قد يفضل أحيانا بعلو أصله يورثه فضيلة ويزيد له وإنه لا يكون من الخجل الخنظل ولا من الحنظل العسل ولذلك قال الشاعر

وما لك من خير أتوه فانما ✽ توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ✽ وتغرس إلا في منابتها النخل

وقيل

إن السري إذا سرى فبنفسه ✽ وابن السري إذا سرى أمراهما

وما ذكره من نحو قول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه حث للناس على اقتباس العلم ونهي عن الاقتصار على مآثر الآباء قال ابن أبي الدنيا الصانع يصانع ويسأل لا نفس الصنعة لنفس لأن ذلك إنما يحمد لمن يوجد فرع ذلك ومتى خالف الفرع وخلف ما هو خير منه أحد شيئين إما أن كذب من يدعي الشرف بمصيره أو تكذيبه في نسبه إلى ذلك الأصل بمصيره وما هو حد لمختبره المحمود أن يكون الأصل في الفضل والفرع به شبيها كما قال الشاعر

وإذا قدتهم تحسن حد بهم ✽ وكريم الخلق وحسن الخصال

ومن لم يجتمع له الأمران فلأن يكون المرء شريف نفس في الأصل أولى من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل قال الشاعر

ما اشرف المسروق لادر دره * بجنب الا باخر مكتسب
افاللعين لم يثمروا ان كان نعمة * من المثمرات اعتده الناس فى الخطب

ومتى كان عمره فى حقيقة سببا وهو فى نفسه دنيا وذلك ان اماس اعماله نفسه وشؤمها وما يعوده عدان وصحة الشرور وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس بسبب الرذيلة شيئا واحدا (فان قلت فما معنى قول بعضهم الخ) وهى الصحة والقوة والجمال وطول العمر وقد ذكرت له (السبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الا بها والامر الاخروى عكس ذلك) (وقوله لاحداها شدة الحاجة الى الصحة والى القوة وقوله طول العمر لا يتم علم ولا عمل الا به) أى بمرور ثلاثة قرون فما الحاجة الى الاربعة فواضح وأما طول العمر فلان عمر الانسان من السعادات الدنيوية التى ولا هى لم تكن سعادات الاخروية (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول عمر فى طاعة الله) وفى بعض نسخ أفضل السعادة طول العمر فى عبادة الله قال العراقى غريب هذا لفظا والترمذى من حديث أبى بكرة رفعه قال قال رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح اه فات ورواه كذلك أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى وفى آخره زيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله وقوله لاولا وقد رواه أيضا عبد الله بن بسر مرفوعا أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وقال حسن غريب والنسائى والبيهقى وابن حبان والحاكم وقد سبقهم الى ذلك وقالوا كفى بمرء أن يكون صحيح البدن بريئا من الامراض الشاغلة عن تحرى الفضائل العقلية وهى كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الآلة فالصحيح والسليم من الامراض هو الذى يمكن صاحبه من

وقيل ما في الارض قبيح الا وجهه أحسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستقبحه فقال اهذا ومثله لكن فاسقط احمد من الديوان وقال ابن روح اذا أشرفت على الظاهر فصباحة أو على الباطن فقباحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند صباح الوجوه وقال عمر رضي الله تعالى عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم

الناس (وقيل ما في الارض قبيح الا وجهه أحسن ما فيه) فخرجه (أو عرض المأمون) هو عبد الله بن هرون العباسي (جيشا فعرض على رجل قبيح) الوجه (فاستقبحه فقال اهذا ومثله لكن فاسقط احمد) أي أمر باسقاطه (من الديوان) أي من جريدة الخراج (وقال ابن روح اذا أشرفت على الظاهر فصباحة أو على الباطن فقباحة وهذا) أي (ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند صباح الوجوه) قال العراقي في تخريجه أبو يعلى من رواية جميل بن عياش عن جبرة بنت محمد ابن سباع عن أمها عن عائشة وجبرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء من حديث أبي هريرة والطبراني وابن عدي وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة اهـ قلت وحديث ابن عمر الذي أشار إليه هو ما رواه ابن عساكر في هذا الكتاب ما عدا جبرة بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبي وقال ابن حجر وهي من النوع الشاذ من الحديث وقد ذكر أخرجه أبو يعلى والدارقطني في الأفراد في ترجمة جبرة في حرف الجيم من طريق اسمعيل بن عياش عنها عن أبيها محمد بن ثابت وليس لأمها في هذا الحديث رواية وكذا وقع في النسخة التي نقل منها شيخنا تحريف أيضا فصار عن أمها وأمها غير معروفة كما قال شيخنا وقول الذهبي ان جبرة مشهورة يريد وروايته الحديث لا تعرف معروفة بالتوثيق اهـ قلت ورواه الخطيب في التاريخ فقال حدثني ابراهيم هو ابن محمد وحدثنا عبد الرحمن ابن أبي بكر المليكي عن امرأته جبرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة والمليكي صدوق يكفيه رد من لا يتابع عليما لا يحتمل حتى قال ابن عدي متروك وكذبه لم يتهم بالكذب بل توبع فرواه أبو علي في مسنده فقال حدثنا محمد بن رشيد حدثنا اسمعيل عن جبرة به ومن طريق هذا الحديث مع رواه تمام والعراقي والبيهقي والخطيب من طريق ابن أبي ورد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رفعه اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وعند عكسوا وضعفه متن ولفظ الحديث الا بهم كذب وقيل عنه عن عطاء عن أبي هريرة بدل ابن عباس لابن دقاق في وأخرج الطبراني في حديث ابن عباس من طريق يحيى بن عقبة عنه وقال لم يرفعه ورجاله موثقون وعند ابن عدي من حديث ابن عباس أن ابن حبان وثقه ولكنه رجح أخطأ وضعفه غيره وبما ذكر صهر أنه لا شيء لحكم على ابن لهيعة كما أشرنا إليه الحافظ ابن حجر ومن طريق هذا الحديث رواه الديلمي من طريق يزيد بن خصيفة عن أبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وكذا هو عند ابن عدي وله طرق عن أنس وعمرو بن عمرو بن عوف وأبي بكرة وأبي هريرة وعدة أكثرهم ضعيف اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وعند السمحاء تنجح الحوائج اطلبوها إلى حسان الوجوه حديث أنس أخرجه ابن عساكر وحديث عمرو أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر وحديث ابن عمر رواه ابن عدي وحديث أبي بكرة رواه تمام والخطيب ورواه تمام وفي سنده اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمرو ورواه الخرائطي في اعتلال القلوب وتمام عن عمرو ورواه العراقي في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه الخرائطي من حديث عائشة وروي من رواية علي بن عقبة بن رباح وتسموا بحسانكم وذكائكم كريم قوم أكرموه رواه ابن عساكر من حديث عائشة وهو ضعيف وعند ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن عمرو بن دينار مرسلا اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه فان قضى حاجتك فقد أوجب شكرك وان رد ذلك رد بوجه طليق خير من حسن الوجه ذميم عند طلب الحاجة وربما ذميم الوجه حسنه عند حسن الحاجة ونحوه قال ابن عباس كم من رجل قبيح الوجه قضاء الحوائج قال الله تعالى حسن الوجه عند الله (وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم) وقد روي معنى ذلك مرفوعا عن عمر رواه ابن عدي من حديث قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه اذا أردتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لا نعلم رواه بهذا الاسناد الا صدقة وله

يه من حديث عمر بن أبي جنيح عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه « تعتم الى
رجلا فعلوه حسن لوجه حسن لاسم وهي الاشعار غير بعيدة في معنى الحديث لسابق ما يروى عن
ابن عباس انه أنشد قول الشاعر

ان شرخ الشباب اذ قال يوما * هل لي طب الخواتم راحه
ولا ضر واحة وحسن بشره * هكذا في الأمثال

وقد سمعنا بما قال قولا * هو لي طب الخواتم راحه
اعتدوا واصلحوا الخوانين * زين الله وجهه وصباحه

وأنشد ابن عائشة أبياتا منها

وفي معروفه وجهه * يدل هداهيا من دليل

وفيه يدعى معروفه حسن وجهه * ومال لحسن لوجه احدى شواهد

(وقال الفقيه ابو الليث رحمه الله) في الامر والانعام والاصلح (فحسنهم وجها أولاهم بالامامة)
فكل من كان أكمل فهو أفضل لان المقصود كثرة الجمعة وزعة الناس وبها أكثروا جتماعهم ويروى
في بعض كتب الفقه الاحق بالامامة الاعلم بالسنة ثم الاورع ثم الاسن فان استووا في الاسن
فحسنهم خلقا فان استووا فحسنهم وجها (وقال تعالى عز وجل) ان الله اصطفاه عليكم (وزاده
بسطة في العلم والجسم) وقال زاده في الخلق بسطة فكذلك هذا من يبتغي في فضل كمال الجسم (وبسط
لي في المال) فهو (ما يحرك الشهوة) أي ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء (فان ذلك قوة) ولي
بعض نسخ القدوري (وفيه يتفاوت) بين الخلق (ارتفاع القامة) وامتدادها (على
الاستقامة) اذ كون من خرج رأسه قد تجاوز رؤس الخلق وقعت أجزاء الجسم الى أعلاه
كالسنام فاعلم ذلك كان أهيب للعدو وأبعد من طمعه في حسه ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله

كان ذرى رأسه الغطارية علقت * على أفوه مستلئم مقوم

وقول الآخر انعم طويل السعدين كأنما * يبدو بمحمد سيفه لواه

و (ينبغي أن يكون معتدلا في اللحم طويل الاطراف عريض المنكبين رحب (مع اعتدال في اللحم)
واشحم بان يكون ملاحما ومولاوعا عليه (وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو
الطباع عن النظر اليه) كما قال الشاعر

فتى قد فقد السيف لامتضائل * ولا دهل لبانه وعبادله

(وان كان قد دخلت السن واختلط سوادهم ببياض الشيب فهو أولى في حقهم) وحقهم أن يقدموا
(وقد قدم الله تعالى الشيب والحلم وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال صلى الله عليه وسلم
« ان من أعظم الناس أجرا في عمر يعمله من حرص المرء على مال وشرف لدينه رواه أحمد والترمذي
وقال حسن صحيح ولذا روى والطبراني من حديث كعب بن مالك وقد تقدم في كتاب ذم الحسد والبخل
(وقال علي رضي الله عنه في ذم الناس ماء ما يحسنون و) قال أيضا (قيمة كل امرئ ما يحسنه)
رواهما الشريف المرتضى في نهج البلاغة وهما من جوامع الكلم (وفضل امرء نفسه لا يأتيه) ومثله قول
الآخر شرف ما يهم ما عدية لا يلزم * ينبيه ومثله من المجتمع خير * تعلم تخبر (مع
معنى كونها معمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من يأخذ العلوم من لا تقف
المعقولة المؤولة والعمومات
المخصصة كان الضلال عليه
أغلب فلم يهتد بنور الله
تعالى الى ادراك العلوم على
ما هي عليه ثم ينزل النقل
على وفق ما ظهر له منها
بالتأويل مرة وبالتخصيص
أخرى فهذه نعم معينة على
أمر

الآخرة لا سبيل الى حدها) ولا انكارها (الا من فيها ذلك محروف فذلك المال) الذي يعرف فيه (وطريق فيها طريق واضح) ودلالك في الجهاد عدا أسبوعها (وسهم نافع) وذلك في اطرافها (فان أصابها المغرم) أي صاحب بعزيمة (لدى يعرف وجه الاختيار عن سهم) ويتقيه (و) يعرف (طريق استخراج ترابها نافع) بان يمسكها من محل رمته فتجمع بعد ذلك في جهاد بعضها بعضا بمسكين حاذق في صنعته واحدة ثم يستقطر ما في من جهاد هذا هو لدى يدخل في تجارتي (كانت عمة) في حقيقة لانه يقرم المسمومات كلها (وان أصابهم) أي (واي العز) بكسر العين المجمعة أي اعني الحاذق بعرفي عن جهاد ومساكها (فهي على انه لا) فانه لا أمن أن تتقوى عليه فتهشه (وهو) أيضا (من تجار لدى تحته أصناف الجواهر والآلآلي من صنوفها معروف كذلك عما سبق ساحة وطريق تعوض) فيه (وطريق الاختر وعن سهم كان تجار) من حيوان وغيره (فقد صغر عنه) وهي حور جواهر والآلآلي (وان أصابه ما لا سبيل فقد هيئ) أي رضي عنه للهلال (فذلك مدح الله تعالى المال) في مواضع من كتابه العزيز (وسماه خيرا) ودلالك قوله تعالى ان ترك خيرا وقد ذكر المفسرون ان المراد به المال (ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال) وقد تقدم ذكرنا (وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان أظهره على الدين كله وجعله في قلوب الخلق) أجمعين (و) هذا (هو المعنى) أي المقصود (بالجاه وكل المقول) المذكور (في ذم الجاه والمال فقول) أي المقصود (في ذم الرياء والجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه والمال الرياء مقصود الاختلاف القلوب ومعنى الجاه منك القلوب) والاختلاف وابتاعهم (و) كثرهذا (هذا المعنى) يعني ذم المال والجاه (وقال ذلك) يعني مدح المعز وذمه (لان الناس أكثرهم جهال بطريق الرقبة المالية وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ثمراته ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كان في أصابهم هامنه من صاحبه على أحد الى ثمرات يصاب الى ثمرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يضاف

الهما يعني كما كان سليمان عليه السلام قادرا على كثيرهم صيانة والاموال حيات الا يعرفون معروفا عند صرا لصي ملا صرا لمغرم المغرم لو كان له ولد يربيه وصلاحه وقد وجد حيه وعلم انه لو أخذها الاحل تربية لاولده ولده وأخذ الحية دراها يلعب بها ولده عرض في التراب وله عرض في سقط لولد فواجب عليه أن يربي عرضه في سقط ولده فان يقدر على تصريف الربح ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبي ويعظم ضررهم فلا كه فواجب عليه أن يهرب من الحية ادا رآها

للصبي (ويشير على الصبي بالهرب ويضع صوره في عينيه وفمه) ان خاف عليه منهما (ولا يحوجه أحد ولا يحوجه) أي يضطره (أحد من عبيده) أي يوقعه في الحرج (ولا يحدثه) أي يخبره (صلاة الصبي مع القرباق فان ذلك يزعجه) أي يوقعه في الحرج (ويقدم عليه من غير تمام معرفة وكذلك الغواص اذا علم به لو خاص في البحر أجر أي من ولده لانه) وفي نسخة طرقه (وجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر وبعرفه ان السلامة في الساحل (فان كان لا يبرح الصبي يحوم أجر حوم صبر أي والده يحوم حول الساحل وجب عليه أن يبعد عن الساحل مع الصبي ولا يقربه منه بيده) صلاة كوسير حرمه كما (وكذلك السلامة في بحر الانبياء عليهم السلام كالصبيان والانبياء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد لولده) أي في الشفقة ورحمه وزاد الحبر رواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم (وقد قال صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بعد مثلي ومثل الناس ولمسلم ومثلي كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها (وجعلهم الاوفر في حقه أولادهم من الهالك فلم يعفو الا لذلك وليس لهم في المال حق الا قدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل لم يسكنوه بل أطعموه فان الاطعام فيه الثواب وفي الامساك الاثم ولوضع للناس باب كسب المال وعموا فيه لمالوا الى جميع الامساك وزعموا عن ثواب الانفاق فلذلك وضعت الاموال والمعنى به تقمع امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في تعميمها بما يوجب الزكوة الى الدنيا وتهافتهم فاما أخذهم) قدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل الا قدر زاده في اسفاره اذا صح العزم على أن يختص به يحمله وما زاد صحت نسبته باطعامه

معاويه

اطعامهم وتوسيع زاد على ارفقه ولا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام لكن لاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب

معاوية وغيره عن الاعمش عن أبي سفيان عن شيخه حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد حدثنا عبد الله بن شبيرمة حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن شيخه ان سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سعد فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال ما أبكى حرصا على الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا يبلغ بكم بعد أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وهذه الاساود حولى واعلاجه ملطخة أوطابه ونحوه فقال له سعد اعهد عليك عهدا أخذ به بعدك فقال له أذكرك الله عند همك اذا هممت وعند حكمك اذا حكمت وعند قسمك اذا قسمت رواه مورق العجلى والحسن البصرى وسعيد بن أبي الحسن وعاصم بن عبد الله عن سلمان حدثنا أبي حدثنا أبو كريب حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب عن الحسن وحميد عن مورق العجلى ان سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وحدثنا سعيد بن أبي سعيد حدثنا أبي قال حدثنا أبو كريب حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ان سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا ما يبكيك يا أبا عبد الله فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ بصبية أحدنا قال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب وحدثنا عامر بن عبد الله حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن علي بن يحيى حدثنا جرير وهشام أبو الوليد عن أبي حيان التيمي عن عامر بن عبد الله عن سلمان الخير به حتى حضره الموت عرضاه بعض الخير فقال ما يحزنك يا عبد الله فقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغزى حسنة وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال يكف المؤمن كزاد الراكب وهذا الذي أخرى بي فجمع ما كان عنده فكان فيه نحو عشرة دراهم قال عامر بن عبد الله فبارك فيها واتفق ماتوا على نحو عشرة دراهم ورواه أنس بن مالك عن سلمان حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن عمرو بن خالد حدثنا الحسن بن علي بن راشد حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال دخلت على سلمان نعشناه فبكى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا أن يكون زادنا في الدنيا كزاد الراكب حدثنا أحمد بن محمد حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثني محمد بن عبيد بن ميمون الحذاء حدثنا عبد الله بن نمير عن علي بن بذيمة قال توفي سلمان فبلغ أربعة عشر درهما (معناه لا يمسكن حاجة ولا فقد كان دين يروى هذا الحديث ويعمل به يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة) وكأنه بشير الذي مر رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا هشام حدثنا الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أمير اعلى رهط لانه ألفا من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة قد رش بعضها وبالناس بعضها وإذا خرج عطاؤه أمسكه ولم يأكل من سفيف يده ويأكل من خوص يده قال كان سلمان يعمل بيديه فاذا أصاب شيئا اشترى به لحما أو سمكا ثم يدعو نحو من ثمانية كانوا معه (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء

معناه لا يمسكن حاجة ولا فقد كان دين يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة

يدخلون الجنة بشفاعة أسعد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فدل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث ذكره الديبع في مشوبة ومنتزح دوائها ومرجوحها ومعها يضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها ما تقتضيه أدواؤها ومستخرجاتها ومن لا يثق بها فليعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الامن عصمه الله تعالى وهداه لسريرته * قال وقد سبق معنى اسم التوفيق وحقيقته الى آخره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن خص هنا السعادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولاخفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل

ان لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان عامة الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن ان لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يطلب بقصد صحيح لا يمكن بمجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة ولا سبيل الى السعادة الا بعد الهداية فهي عمدة الخيرات ومنتهاها كما قال (تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى) مخاطبا للناس (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى أي بهدايته (قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا) تنبيها على انه لو توهمت رحمته بغير واسطة الهداية ما كان لاحد سبيل الى ذلك قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخل عمله الجنة

يدخلون الجنة بشفاعة أسعد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) وكان من أغنياء الصحابة (في أن يخرج من جميع ما يملكه فدل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث) قال العراقي رواه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد وليست كما قال فيه عبد الله بن مالك ضعفه جدا اهـ قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن عوف انك من الاغنياء وانك تدخل الجنة زحفا فاقرض الله يطلق لك قدميك قال ابن عوف وما يقرض الله قال تتصدق بمالك قال فتصدقت بكل مالي قال فما أجمع يا رسول الله قال نعم فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأتاه جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وداعلى ذلك كتب كما وقفت عليه (هذا ومما يدل على ما ذكرناه من ان التوفيق يشمل الخير والشر ما رواه الديبع في مشوبة ومنتزح دوائها ومرجوحها ومعها يضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها ما تقتضيه أدواؤها ومستخرجاتها ومن لا يثق بها فليعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الامن عصمه الله تعالى وهداه لسريرته) التي لا تفصل الفضائل الا بنوره (وهي الرحمة التي) أرجعت اليه (الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه أحد وهو عزة عن مخالفة ومعونة على موافقة وهو الذي يقال فيه وفق ووفقه الله ووفق (و) لكن (هذا يشمل الخير والشر) جميعا (وما هو سعادة وما هو شقاوة) فخصل بمن جرد الله له توفيقه فاردى به وفق وبكل في الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله فيهما جميعا (ولكن خص هنا السعادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة) فقد (من جملة قضاء الله وقدره كما أن الالحاد) في الاصل (عبارة عن الميل) ومنه للعدول أي القصر (فخصص بمن مال عن الحق وكذا الارتداد) وأشباههما (ولاخفاء بالحاجة الى التوفيق) كما قال الحكيم الذي لا يستغني الانسان عنه في كل حال توفيق (ولذلك قيل)

(ان لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجني عليه اجتهاده)

وأما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة) ولا الى شيء من فضائل (الا بها) أي بهداية الله ورحمته ويحتمل كل انسان ان يعلم ذلك (لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يطلب بقصد صحيح لا يمكن بمجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة ولا سبيل الى السعادة الا بعد الهداية) فهي عمدة الخيرات ومنتهاها كما (قال) الله (تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى) مخاطبا للناس (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى أي بهدايته (قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا) تنبيها على انه لو توهمت رحمته بغير واسطة الهداية ما كان لاحد سبيل الى ذلك قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخل عمله الجنة

الحديث

الحديث وتقف عليه من حديث عائشة وعروة مسلم من حديث جابر وقد تقدم ما هو في قلت وتمام حديث أبي هريرة عند الشيخين سددوا وقاربوا ولا يدخل أحدكم الجنة عمله ردادجيرا واما مسي عمله بمنتقب وفي رواية لهما لن يدخل أحدكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ولكن سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وروى ابن ماجه والطبراني واصبغ من حديث شريك بن طريف بمعنى حديث أحدكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله منه وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد لن يدخل أحدا عمله الا رحمة الله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله (وللهداية ثلاث منازل) في نسخ (ومعرفة طريق الخير والشر لسان الرسل) هذا هو المشهور في التعبير وقيل طريق النواهي والعقاب وقيل طريق العقل والشرع وقال بعض المحققين وكذلك قوله تعالى وهديناه النجدين وقوله تعالى وهدى بمعنى دل (وقد أنعم الله به على كافة عباده) المكلفين (بعد العقل) والعصمة والمعرف الضروري يتعلم به كل مكلف بل كل حي حسب احتماله قال تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذا هو القسم الأول من أقسام الهداية المشار إليها بقوله (وهي على لسان الرسل) أي الهداية التي جعلت للرسل سفارة بينه وبين عباده في تعليمهم ما ينفعهم وما يضرهم (ولذلك قال الله تعالى) وجعلهم الله يهدون بأمره لما كانت الهداية بمعنى التعليم تعدت تارة بنفسها وتارة بحرف الجر (وأما ثمود فهديناهم) أي عرفناهم طريق الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الضلالة على الهدى (هي الكتب والرسل والمعجزات) أي هي مجموع الأمور الثلاثة (وهي مبذولة) لهم (ويمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب) أي تعمي عن إبصارها (وان كانت لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) وفي حديث أبي سعيد عند أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بسند حسن ما يشهد لهذه الآية وهو قوله (وحب استحبابهما وعمى بمعنى قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقوله على أبصارهم غشاوة وقوله صلى الله عليه وسلم حسب المرء الشيء يعمي ويصم (وعن الكبر والحسد بعبارة قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد تقدم الكلام عليه (وقوله تعالى سراعا وحداننعه) اما الأول فلا شعار وسعره وكل ذلك من شؤم الكبر على المؤمن والحسد على ما أنعم الله به عليهم (فهذه هي العمى بعينها) مع الاهتداء (وأشد هو حب الدنيا فانه رأس كل خطيئة) (والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة) التي هي الأولى (وهي التي يهدي الله تعالى بها العبد حالا بعد حال بحسب مجاهدته) من تعلم وعمل بالعلم وهو التوفيق الذي يختص به من اهتدى (وهي ثمرة الهدى قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو مراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه (والهداية الثالثة وراءها الثانية وهو نور الذي يشرق في عالم النبوة لولاية بعد كمال المجاهدة فيهدي بها الى ما لا يهتدي اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف ومكان نعم المعلوم به) وغير هذين من هذه الهداية نور الولاية التي هي في أدنى نور النبوة وهذا التعبير أوفق للمقام من تعبير المصنف (وهو الهدى المطلق وما عداه مقيد له ومقدمات وهو الذي شرحه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان كل

كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأضاف الهدى الى الكتب والرسل والمعجزات لأنها المعرفة الموصلة الى الهدى وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن جعله يعمى بمعنى لا يهتدي فانه لا يعلم ما عند الله ولا يجد حلاوة معرفته ولا يذوق طعمها وعبر عنه بعبارة قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وقوله على أبصارهم غشاوة والعمى هو المعنى الذي ذكرناه وهو الذي يعبر عنه بالبصيرة والبصر والرؤية والنظر وهذه الهداية العامة وهي التي يعد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال بحسب مجاهدته وهي ثمرة لهذه الهداية الثانية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو مراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وهذه الهداية الثالثة هي ثمرة الهداية الثانية وهو نور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية

من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو اسمى حياة فى قوله تعالى أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس والمعنى بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وأما الرشد فتعنى به العناية الالهية التى تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقوه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكانه عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة له فى امور المعاش والمعاد مع اعتبار حصر محصل الامر ومعرفة الاستعانة ولكنه مع ذلك سدد ولا يريد الاستشهاد بالآية على رشيد الا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته لحكم شخص قدم على ما يعلم انه بصره وقد أعطى الهداية وميزها من الجاهل الذى لا يدرى أنه بصره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد هذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهى نعمة عظيمة وأما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد فى صوب الصواب فى أسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفى بل لا بد من هداية محركة للداعية وهى الرشد ولرشد لا يكفى بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد فمعنى بعثت الداعية انما هو هداية محض

التعريف

التعريف والدلالة والمعاف (والرشد هو بسببه للداعية للثبات والتشديد والتقوية والنصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد وتعالى يده كأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقويته أمره بالتصرف من داخل وهو العقل ومسدده لا يسلك من خارج وهو ما يرد بقوله عز وجل وأيدته بروح القدس وتقريبه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يصفي الباطن قوى الانسان على تحري الخير ويحبب الشر حتى يصير كالمانع من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فهذه مجامع النعم ولن تثبت الا بخلوه النفس الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقدر القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر أسبابا وتستدعي تلك الاسباب أسبابا الى أن تنتهي بالآخرة الى دليل المتحيرين ومعلم المتصورين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبالله التوفيق

(بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء)

(اعلم) هداك الله تعالى (ياأخي) فيما تقدم (سمع) ابن هو به والمكتسبة (في ستة عشر صنفا) من صنوف أربعة في أربعة فالاربعة أصول وكل أصل أربعة (وحصلناها بحصر الحدين) وسلامته من الاسقام (نعمتين نعم توافقا في الرتبة الثانية) لانهما من جملة الحاجات الضرورية المكملة للفضائل النفسية (فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الاسباب التي بها تمت هذه النعمة) أي نطلب نهايتها (لم نقدر عليها ولكن لا كل أحد أسباب نعمة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل

عن الحصر والاحصاء)* اعلم أيها السمع في ستة عشر صنفا وجعلناها بحصر الحدين نعمتين اسمع لو وقعنا في أربعة فالاربعة أصول وكل أصل أربعة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل

ولا يخفى أن الآكل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد للآكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه تحصل وجوده (ولا بد له من صانع يصلحه فلما كان أسباب الإدراك ثم أسباب القدرة ثم أسباب الإرادات ثم أسباب المأكول على سبيل التنويع لا على سبيل الاستقصاء (اعرف

(ولا يخفى أن الآكل وكل فعل) لأنه هيئة تحصل بالآكل بسبب كونه آكلا (وكل فعل من هذا النوع فهو حركة) لأنه خروج من الفعل إلى القوة بالتدريج (وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك) وتكون تلك الحركة بمارسة بدنه وجسمه مآله طوعا وعرضا وهو (هو) أي ذلك الجسم (آلتها ولا بد لها) أي لتلك الحركة (من قدرة على الحركة ولا بد له من إرادة للحركة ولا) مع ذلك (من علم بالمراد) ودرك له ولا بد للآكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه تحصل وجوده (ولا بد له من صانع يصلحه) وبهيئه للآكل (فلما ذكر أسباب الإدراك أولا ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التنويع) والإشارة (لا على سبيل الاستقصاء) والإحاطة

(اعرف الأول) (في) بيان (العلم الذي تعلق في خلق أسباب الإدراك) اعلم أن الله تعالى خلق في حق كل حيوان من جهة رأسه وعروقه التي في الأرض وهي آلات العلم تحتدد بعداه وهي أعروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تتصل أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية دقيقة في أجزاء الورقة بحيث تعجز عن تصورها فضلا عن الإحاطة بها مع هذا الكمال (بالإضافة إلى الجواهر المذكورة (بالأرض وما فوقها) أي أعني جوهره (عند استدقاق أعلاه وتشعب أصله خف ويبس) وذهبت رطوبته (وبرد مكنه عداه من موضع آخر فإن الطالب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه وبالآلات عاجز عن ذلك) أي عن معرفة الله تعالى على الوجه اللائق (فسبحان من خلق لكل آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب غذائه وما يصلحه على الترتيب الذي اقتضته حكمة الله) تعالى (في خلق الحواس الخمس الظاهرة (التي هي آلة الإدراك) وتحقيق القول في أن الإدراك لا يصدر عن القوى إلا عن الجسم أن الجسم لا يفعل من حيث الجسمية إلا بالقوة التي فيه أو بقوة فيه تستعمله فالقوة مبدأ الفعل وكل ما عدا القوة أدوات تفعل بالقوة والعامل هو القوة والجسم آلة في الأفعال المستعملة على الوجه اللائق بالكمال وإذا عرفت هذا فاعلم أن الحس الذي نعرف بتجريده وكونه في أول الأمر أنه بداية تحتاج إلى الكمال لا يحصل ولا يكمل معرفة الجسم وما فيه من الغير آلة جزئية لحق يأتي من خلاله حواس ظاهرة تدرك بواسطتها الأجسام وعوارضها المكتسبة من بعض بعض بحسب استعدادها من الألوان والأشكال والطعوم والروائح وغير ذلك وحواس باطنة تدرك هي أو أخرى من معارف وهذه الحواس آلات للحس تستخدمه في مهماتها ومقاصدها وتحصل لها بالشعور بالمحسوسات بواسطتها الحواس الظاهرة خمسة (وهي بالمماسة اللمس) وهي التي توجد منه في جميع البدن كدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند لاقاته له (وإنما خلقت لك) هذه القوة (حتى إذا مسك نار عرفت أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان لا يكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان) ولذلك فاقد هذه الحواس جميعا يسمى مشلولا (وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه) ويتصل به (فإن الإحساس بما بعد منه حساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا عرضت لها نار قصدت الهرب لا كالنبات فإن

(اعرف الأول في علم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك) اعلم أن الله تعالى خلق في الإنسان وهو آكل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تأكل ولا تتغذى فإن الإنسان خلق فيه قوة هي التي تحتذي أعضاءه وهي التي تنمي جسمه من جهة رأسه وعروقه التي في الأرض وهي آلات العلم تحتدد بعداه وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تتصل أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية دقيقة في أجزاء الورقة بحيث تعجز عن تصورها فضلا عن الإحاطة بها مع هذا الكمال بالإضافة إلى الجواهر المذكورة بالأرض وما فوقها أي أعني جوهره عند استدقاق أعلاه وتشعب أصله خف ويبس وذهبت رطوبته وبرد مكنه عداه من موضع آخر فإن الطالب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه وبالآلات عاجز عن ذلك أي عن معرفة الله تعالى على الوجه اللائق فسبحان من خلق لكل آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب غذائه وما يصلحه على الترتيب الذي اقتضته حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك وأولها حاسة اللمس وإنما خلقت

لك حتى إذا مسك نار عرفت أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان لا يكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان ولذلك فاقد هذه الحواس جميعا يسمى مشلولا وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه ويتصل به فإن الإحساس بما بعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا عرضت لها نار قصدت الهرب لا كالنبات فإن

الميت يقطع فلا ينقض ادلا يحس ما يقطع الا ميت ولم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا ولا تقدر على ما يعد عن حس) آخر (تدرك به ما بعد عنك فخولك الشم) وهي قوة مودعة في زائدتين ناتئتين في مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي ثدي المرأة تدركان لورود الهواء المتكيف بكيفية ذي رائحة الى الخيشوم (الا ترى به الرائحة ولا تدري انها جسم من أي ناحية تفتاح بالتصوف كثيرا من الحيوانات فتقتفي بحاسة الشم ذلك الجسم من حيث يبعد عنك ما لا تبصره وربما تعثر فتكون في غاية النقصان ولم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك لا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غداء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب وهو غير مشف فلا تبصره وقد لا يمكنك لحجاب لا بعد مفرط بعدك وتحجز عن الهرب فخولك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك بالبصر الا شيأ حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخولك ذلك ومير بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يعيش يوم يكن لك حس البدن ولا تدرك به موخولك أو مخالف فتأكله فهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مانع ولا ذوق لها فتحذيه وربما يكون ذلك سبب جفافها

الميت يقطع فلا ينقض ادلا يحس ما يقطع الا ميت ولم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا ولا تقدر على ما يعد عن حس) آخر (تدرك به ما بعد عنك فخولك الشم) وهي قوة مودعة في زائدتين ناتئتين في مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي ثدي المرأة تدركان لورود الهواء المتكيف بكيفية ذي رائحة الى الخيشوم (الا ترى به الرائحة ولا تدري انها جسم من أي ناحية تفتاح بالتصوف كثيرا من الحيوانات فتقتفي بحاسة الشم ذلك الجسم من حيث يبعد عنك ما لا تبصره وربما تعثر فتكون في غاية النقصان ولم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غداء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب وهو غير مشف فلا تبصره وقد لا يمكنك لحجاب لا بعد مفرط بعدك وتحجز عن الهرب فخولك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك بالبصر الا شيأ حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخولك ذلك ومير بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يعيش يوم يكن لك حس البدن ولا تدرك به موخولك أو مخالف فتأكله فهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مانع ولا ذوق لها فتحذيه وربما يكون ذلك سبب جفافها

(ثم قال ذلك لا يكفيك ولم يحقق في مقدمة دماغك دراك آخر يسمى حساسا مشتركا تتأدى اليه هذه المحسوسات كلها ويجتمع فيه) وهذا على رأي المشائين فانهم يزعمون ان الحواس الخاصة أيضا حسه وهو الحس المشترك وهو الذي تجتمع عنده مثل جميع المحسوسات الصغيرة فيدركها مثلا هذه الصورة التي يراها الساذج والمحرور ويحكم فيه بحكم على رأيهم ومحله مقدم من الدماغ وتاليه الخيال وهي خزانة الحس المشترك ومحله وسط المقدم أيضا لكنه يميل الى اليسار قليلا والثالثة الوهم ومحلها الجوفان الاوسطان من الدماغ والرابعة الحافظة وهي خزانة الوهم ومحلها في وسط المؤخر منه والخامسة المدركة ومحلها الجوف الاوسط منه أيضا والاشراقيون ولا يثبتون دراكا غير هذه الخمسة فقط وقد تقدم الكلام عليه (ولولا لعال لامر علينا قائلا أنا لم نجد شيئا أصفر ولا وجدنا مرارا فلذلك فتركنا ذلك ورأيته مرة أخرى فلا نعرف انه مرارا فلذلك فتركنا ذلك ولولا الحس المشترك لاذا العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة وكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصورة والمرارة جميعا حتى يدرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع من تناوله ثانيا) وكل ذلك على رأي المشائين وأكثر الجمهور وجماعة من الاقدمين فقد أقاموا دلائل اعتمادها على الخيال والاشياع الاشياع في التعبير وهي بعينها تبطل الحس المشترك أيضا وكل صورة في الدماغ فلا تنفي لا تخيله وهي بعينها المتوهمة التي حكمها الايخالف حكم المتوهمة (وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ لا شك ان هذه الحواس كلها ولم يكن لك الا هذا لكنت كالبهيمة تحتال عليها فتوجد ولا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تخاص اذا قيدت وقد تأتي نفسها في شر ولا تدري ان ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال وتضرها في مآل فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فقط (فما ادرك هذه الحواس وغيرها الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل) وهو لا يدرك المحض لا درك المعقول وهو قوة بحضتها لية عن الفعل كما في الاطفال ويقال له العقل الهيولاني لان النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الاولى التي لا صورة فيها من الصور كلها (فتدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضرها في المآل وبه تدرك كيفية حيل الاطعمة وتأدية واعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى) بطريق أسمائه وصفاته (و) معرفة (أفعاله ومعرفة الحكمة في خلقه الحسي (وعند ذلك تنعلم فائدة هذه الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها) أي من تلك الحواس (بأمر يختص بها) دون غيرها (فواحدة منها) موكلة (باخبار الالوان) والاشكال والمقادير وغيرها وهي حاسة البصر فان البصر شعر عماد كرادا وقعت العين في مقابلة الشيء (والاخرى باخبار الاصوات) الثقيلة والخفيفة وما يحاكيها عن تصادم الاجسام وهي حاسة السمع (والاخرى باخبار الروائح) الطيبة والكريهة بتوسطة استنشاق الهواء الواصل الى باطن من الخيشوم الذي في منخره وهي حاسة الشم (والاخرى باخبار الطعوم) من الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والقبض والحرافة والملوحة والدسومة وهي حاسة الذوق (والاخرى باخبار الحر والبرد) والرطوبة واليبوسة وغيرها من كيفيات الاربع (والحشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس وهي أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بامر تختص به فواحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروائح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والحشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها

(وهذه البرد) جمع بريد رسول (والجواسيس يقتصون الاخبار) أى يتتبعونها (من أقطار المملكة) واطرافها (ويسلمونها الى الحس المشترك) وما بعدى (الحس المشترك وما بعدى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب) الواردة (على باب ملك يجمع اقصص و يكتب) واردة من نواحى مملكته (فجميع ما يدركه الحواسيس (وهى مختومة ويسلمها) الى الملك (اذا ليس له الا أحدها وجمعها وحفظها) الى وقت حاجته (و) أما معرفة حقائق ما فيها فلا و لكن اذا صادف القلب العاقل الذى هو الامير والمتسلم لانه يدرك فيها دائما واجبى اليه كذا وكذا (البه مختومة ويفضها) وفى نسخة ويفتشها (ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤه) فى هذا المقام (وقد يقبض صاحب الاخبار عن تلك القصص فيسقط منها ما يراه حشوا ويرفع الى صاحب الحضرة الملك جميعه و يرفعه و يعرف مضاره ومنافعه ويسلمه الى خزانته وهى القوة الحافظة الى وقت حاجته ثم تقدم باخراجه (و بحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الاعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى اتمام تدبيران تعن له) أى تعرض (فهذه سياقة نعمة الله) تعالى (عند فى الادراكات ولا تقلق ما ستودعها من الحواس الظاهرة) الحس (هى بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آله واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات بعضها طوبات و بعضها عنكبوتية الاعشية كالمشيمة و بعضها كالمشيمة و بعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض و بعضها كانه الحدقة وكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وقد ركب لواحدة من جملة العشر وصفة واحدة من صفات كل طبقة لاجل البصر وعجز عنه الاصحاء المكحولون كلهم) و بيان ذلك ان كلا من العين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات وهى العنصب والعنبل والعروق وقد سمى المصنف كلا طبقات وهو مسامحة وكيفية تركيبها ان العصبة الجوفاء التى هى أول عضو الخارج من الدماغ تخرج من قعر العين وعند ما تصل الى عظم العين تنعطف راجعة على العين وصارت فى جوفة عظم العين فوقها العشاء الملتحم وتحت العشاء الملتحم عظم العين ويسمى هذا العشاء الطبقة الصلبية ثم يفارقها العشاء الرقيق و يصير عشاء و يباشر بعد الصلبية وتسمى العشاء المشيمية لانها تشبه المشيمة التى تكون على الولد فى البطن وتسمى ايضا العشاء العنكبوتى لانها تشبه بيت العنكبوت فى الرقة والصفاء ثم تصير هذه العصبة بعد الى الجوفة عريضة و يخرج منها عند الاوبين و يسمى هذا العشاء الشبكية ثم يتكون فى وسط هذا العشاء جسم رطب لين فى لون الزجاج الذائب وقوامه وتسمى الرطوبة الزجاجية و يتكون فى وسط هذا الجسم جسم آخر مثل الثقب فى جامه الخارجى الذى تخرج منه اشباح المرئيات وفى جانب الداخل منه يتوصل ما عصبة الجوفة و هو وتسمى الرطوبة الجليدية تشبيها بالجليد فى صفائه و يسمى ايضا البرادية تشبيها بالبردة فى شكلها وصفتها وشفيفها و يحفظ هذه الجليدية مقدارا نصف و يعوا نصف الآخر جسم شبيه بجسم العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعود هذه الصفة جسم سائل فى لون الماء الابيض وقوامه يسمى الرطوبة البيضية و يعود البيضية جسم رقيق يحيل الداخل أمس الخارج و يحدث لونه فى الابدان ربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك فى وسطه حيث يحادى الجليدية ثقب يسمى و يضيق فى حال دون حال بمقدار الجليدية الى النمو فيضيق عند نضوه الشديد و يتسع فى ضعه و يسمى هذا الثقب الحدقة وهذه العشاء الطبقة العنبية فى حلى ما فيها وملاءة صورها والثقب يسمى فى وسطها و بعضهم يقول ان لون هذه الطبقة هو الاصل فيها لكون نور البصرة فيها معتدلا لا ظلالون أشد سوادا وفق النور لبصرة من هذا لان لون السواد يقبض النور المذكور و بياض يعرفه وهذا اللون متوسط بين السواد و البياض ولا يحدث الالوان ما هو فى حد الوسط بينهما مثل هذا اللون و بعد هذه الطبقة جسم كثيف صلب صافى شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض و يسمى الطبقة الثقبية غير

وقد ركب لواحدة طبقة واحدة من جملة العشر وصفة واحدة من صفات كل طبقة لاجل البصر وعجز عنه الاصحاء المكحولون كلهم

اشترك الحس المشترك فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص و يكتب لوارد من نواحى مملكته فجميع ما يدركه من الحواسيس (وهى مختومة ويسلمها) الى الملك (اذا ليس له الا أحدها وجمعها وحفظها) الى وقت حاجته (و) أما معرفة حقائق ما فيها فلا و لكن اذا صادف القلب العاقل الذى هو الامير والمتسلم لانه يدرك فيها دائما واجبى اليه كذا وكذا (البه مختومة ويفضها) وفى نسخة ويفتشها (ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤه فى هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الاعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى اتمام تدبير ان تعن له) أى تعرض (فهذه سياقة نعمة الله) تعالى (عند فى الادراكات ولا تقلق ما ستودعها من الحواس الظاهرة) الحس (هى بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آله واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات بعضها طوبات و بعضها عنكبوتية الاعشية كالمشيمة و بعضها كالمشيمة و بعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض و بعضها كانه الحدقة وكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وقد ركب لواحدة من جملة العشر وصفة واحدة من صفات كل طبقة لاجل البصر وعجز عنه الاصحاء المكحولون كلهم

فهذا في حس واحد نقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في حسم البصر وطبقاته في محدات

تعالى بخلق الادراكات

(التعريف الثاني في أصناف النعم في خلق الادراك)

اعلم انه لو خلق الله البصر حتى تدرك به الاجسام من بعد ولم يخلق للانسان ميل إلى المطعم وشوق إليه وشهوة له تستحثه على الحركة لكان البصر معطلا وكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فبقي البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت إلى أن يكون للانسان ميل يواظب بسببي شهوة ومرة عما يخاف منه تسمى كراهة لتعالب بالشهوة وتضرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وساطها على لسانك وكهاب كالقصبي الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالاغذاء وهذا مما يشارك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أشرفت وأهلكت فسبحان خالق الملك، كرهك عند الشبع تترك الاكل مع الاكتراع عليه لا يزال يجتذب الماء إذا قصد في أسفله حتى يفسد فيجتزع إلى أن يقذر عند مقدار الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه أخرى وكم خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك وخلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك

عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض) في الرحم الذي هو من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل (وكيفية خلق الانثيين) وهما كالمن لحم أبيض غدوي قسم ومن عروق وشرايين وهما آلة المني ومعدناه اذا المني يترشح من جميع الاعضاء من كل عضو جزء (والعروق التي هي السكة اليها من العقار الذي هو مستقر النطفة) وهي تقرب السرة (وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب) وهي ضلوع صدرها أو ماوى الترقوتين أو ما بين الثديين وارتفاعه من عمة الصدر وأربع من يسرته (بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث) وهو مربوط برباطات مسلسلة متصلة بحر الظهر وبحاذاة السرة والمثانة تحتمله على وضعه وهو الى الاناث يميل قريبا الرحم وخلف هاتين الرئتين يضاف المرء فيصب منهما ماء الرجل الى تجويف الرحم (وكيفية ادارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما وكيفية قسمة أجزائها من رأس ويدين وظهر وبطن وسائر الاعضاء فتصير من أنواع من الله عجيبة في مدة خلقك كل العجب فصلا عما يراه الآن ويكابد من أعراض الاسم الله تعالى في الاكل وحده كما لا يسوغ الكلام) ويتسع الخرق على الراقع فيخرج عن مقصود الكتاب (وقد شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا كفيل فانه تأتيك المهالك من جوانب) لان الجوع (ولزوم تحلق ويسمى العصب الذي به تندفع كل ما يضادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك ادا الشهوة والعصب لا يدعوان الا الى ما يضرك ويمنعك في الحال والمآل ولا يكفي وجود هذه الارادة لخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مستحرة) أي مقدرة (تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والعصب مستحرين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بهما الشفاء لك ما العقل مجردا مجردة عن هذه الشهوة لا تصرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وجود هذه الشهوة والعصب مستحرين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بهما الشفاء لك ما العقل مجردا مجردة عن هذه الشهوة لا تصرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وجود هذه

(تحف سنية بنقض) — تاسع) لارادة أخرى مستحرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والعصب مستحرين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بهما الشفاء لك ما العقل مجردا مجردة عن هذه الشهوة لا تصرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وجود هذه الارادة عندنا بيانا وصفة في كل العصر تفصيلا أولى من هذا * (الطرف الثالث) (في بيان (نعم الله تعالى في حق قدرة الآلات الحركة لهم) وقد تقدم ان كل صفة لها أثر خاص (والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او) الى (الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن له آلة يتحرك بها الهارب كما لم يكن) وهو المريض الذي يعوله به مرض رمد طويلا (مشتاقا الى شيء يعلم ضرره ولكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لعدم رجله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو قطع وحدوهما) حاصل مع صحة الجسم (ولا يمس الآلات الحركة وقدرة في الآلات الا لتكون حركتها مقتضى الشهوة وما تقتضي تكرارها هذا ما

فلذلك خلق الله تعالى تلك الاعضاء التي تتصرف في ظاهره ولا تعرف أسراره) وما خلقت له (فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للانسان والجناح للطير وقوائم للدواب ومنها ما هي للدفع) عنه (كالاسنة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد عداؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة) فتحصيل غذائه وتتلايدركه الطلب (ومنها ما خلق له أربع قوائم) ولا زيادة عليها، وما وجد في بعضها من زيادات الارجل فهي تتمة لثلاثة أو سبعة (ومنها ما له رجلان) كبني آدم والطيور (ومنها ما يدب) على بطنه كالحيات وما أشبهه (وذكر ذلك بطول) ولم يخلق للحيات ما تكون به آلة السلاح لها فعوّض عنها بالهيئة فلا تخرج على جماعة لا يتعرفون من هيئتها (فلذكر الاعضاء التي منها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فيقول وزيّنك الطعام من بعد وحركتك اليه لانك كنت عالما تتمكن من أخذه (وافتقرت إلى آلة فاهتديت فتم الله على عالي بخلق اليدين وهما طويلتان تمتدان إلى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة تتحرك في الجهات فتمتد وتثني اليك) بسهولة (فلا تكون كخشبة مصمتة) تمتد ولا تثني (ثم جعل رأس اليد عريضا يصحق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب واليدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو مترتبة لم يحصل بها تمام الغرض الذي وضعها الحكيم تعالى شأنه (وضعا ان تسطتها كانت للكف محرفة وان جمعتها كانت للكف معرفة وان جمعتها كانت آلة الضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت آلة في القبض) وبيان ذلك ان للانسان عضدين وأربعة عظام لكل انسان هما الزندان وهما من المرفق إلى الرسغ أحدهما كبير موضوع في الاسفل يلي الخنصر ويقال له الزند الاسفل ويسمى باسم جزء من عظام الساعد وهو الكعبرة وهو صغير موضوع فوق ما يلي الابهام ويقال له الزند الاعلى والذي حكمت الحكمة الالهية بأن يكون الحامل يجب أن يكون أقوى من المحمول وأعلى من الذي تحته فهو بحيث ما يكون أبعد منه وأبعد عن الكف على البدن وانما ألف الساعد من عظمين لاحتياجه في مفصلي يبسط ويقبض أحدهما وهو المفصل الذي بين الزند الاسفل والزند الذي يلي الاسفل له في أعلاه رأس تعلوه حزة مستديرة وباسفل هكذا (<) فيسمى الساعدة أيضا وهذا صغير حتى بيد محدودة وتنقبض بحيث يمكن أن يكتنف هذا الزند الساعدة رأس الزند الاسفل الذي هو من خلف في مقره وهو في طرف الخنصر من عضد من خلف واستقر فيه فجميع ساعد الذي يلي الخلف واد الزند القبض دخل رأس الزند الاسفل من قدام في حفرة أخرى في طرف ذلك الخنصر من قدام فاستقر فيه فلانقبض اليد ولا يثني أكثر من ذلك ويمكن الاصبع الآخر على وجهه ويقف على نهاية وهو المفصل الثالث بين الزند الاسفل والعضد في طرف الوحشي من طرف العضد مما يلي الساعد يدخل في حفرة فيها طرف الزند الاعلى فيدور الزند عليه وأما عظام رسغ اليدين فهي ستة عشر بكل غالبة وهي عظام صلبة صغيرة عددها مع سعتها صارت صفين فالصف الاعلى من ثلاثة والاسفل من أربعة وذلك لان الرسغ موصول بعضو ضيق طرفه ليس من عظامه في هذا الجانب رخوة أعني ساعد وأصله نصف وعريض أعني متصل الكف وما اتصل من ذلك بخط عصبية هناك تثني الكف لان الرسغ صفة والرسغ مفصلان أحدهما كبير يلتئم بدخول الثلاثة بعليا في حفرة في طرف الساعد مخطوطة في رأس الزندين جميعا وهذا المفصل يكون بقباض الرسغ وانساطه والى صغير يلتئم بدخول زنده في طرف الزند الاسفل مما يلي الخنصر في قعرة بعظم الذي في هذا الموضع من عظام الرسغ ويدور الرسغ على ثبات الزند وهذا المفصل يسمى الرسغ ويقلب وأما عظام الكف فهي ثمانية لكل أربعة وهي كالمتوسطين أربعة للرسغ والاصابع لا رسغ سوى الابهام وطرفها الذي يلي الرسغ متصل به اتصالا محكما يمارطته وتوتيد بحيث لا تتصور فيه حركة ورؤس العظام في هذا الطرف متصل بعضها

كانت للكف محرفة وان جمعتها كانت للكف معرفة وان نشرتها ثم قبضتها كانت آلة في القبض بعض

بعض أصابعه اتصالا شديدا بعظام ارسغ حتى لو كشط جلدة الكف وجدت هذه العظام متصلة بعضها وصولها عن الحس وأما رؤس التي في طرف الآخر فبها فرع ما عدا الاصابع مفرجة وهي تنضم بانضمام الاصابع وأما عظام أصابع اليدين فهي ثلاثون لكل خمسة عشر ولكل أصبع مؤلف من ثلاثة عظام تسمى الانامل والسلاميات تتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة جدا وكذا الابهام الا ان العظم الاول منه مربوط بارسغ ربطا مشدا كالارسغ لا حروفيل هو متصل بطرف زند لا على مفصل واسع سلس لانه يحتاج الى حركة واسعة يلتوي به الاصابع الاربع (ثم خلق له أصغرا) وهي العظام واهية أجسام عصبية موصولة بالسلاميات الاخيرة من الاصابع مربوطة بعظم واحد بربا طات من جنس الاوتار وقد يصير اليها عصب وورید وشرايين يؤدي اليها الحياة والغذاء (وأسند بها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت) ولا تهن عند الشد على الشيء هذا أحد منافع الاظفار (و) الثاني من منافعها (حتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة) اصغيرة (التي لا تحويها الا الاصابع فتأخذها برؤس أظفارك) ولمطبعة الانسان تتمكن من الحك والحكة وبرابعة ان تكون سلاحا له في بعض الاوقات واليه يشير ما ورد في الخبر وأما الامر بقدي الحشفة والثالثة الاولى فوق منبع الانسان والرابعة عن الحيوان والاوردت السنة في تقليمها متى طالت وخلقت مستديرة الاطراف من عظام ليست فتتقدم من تحت مايحكها فلا تصدع وخلقت بنية دقيقة وفي كل ذلك حكم جمة لا يعلمها الا الراسخون في العلم (ثم هداك أخذت الطعام باليدين أي بكفيك هذا مام يصل الى المعدة وهي في الباطن فلابد وان يكون من ظاهر هذه البهائم حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذ الطعام الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذ الطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا تيسر ابتلاعه فتحتاج الى ما يحوله قطعا قطعا فلذلك للطعين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى ليطحن بهما الطعام فيصير ثم الطعام تارة يحتاج الى التكسير وتارة الى القطع ثم يحتاج الى طحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس وانيابا حادة وطواحين كالارباعيات وانيابا يصلح للتكسير كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متحركا لا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دورانا رحويا ولولا ذلك لتيسر الاضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

ثم خلق لها أظفارا وأسند اليها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقطها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتأخذها برؤس أظفارك ثم هديتك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا مما لم يصل الى المعدة وهي في البطن فلابد وان يكون من ظاهر هذه البهائم حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذ الطعام الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذ الطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا تيسر ابتلاعه فتحتاج الى ما يحوله قطعا قطعا فلذلك للطعين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى ليطحن بهما الطعام فيصير ثم الطعام تارة يحتاج الى التكسير وتارة الى القطع ثم يحتاج الى طحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس وانيابا حادة وطواحين كالارباعيات وانيابا يصلح للتكسير كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متحركا لا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دورانا رحويا ولولا ذلك لتيسر الاضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

لا يتم الطعن فعل يحيى الاسفل محركا حركة دورية والعلى الاعلى لا يتحرك ... ى يحب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخالق ... ينبت منه محرك الاسفل ويدور ... الاعلى لا تعد الرحى التى صنعه الله تعالى ديدورمنه الاسفل على الاعلى فسخانه

ما أعظم شانه وأغزر علمه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب بان وضعت طعام فى فمها فكيف تحرك الدماغ فى ما تحت الاسنان أو كيف تسحره الاسنان الى نفسها أو كيف يصرف باليد فى داخل الفم فانظر كيف ألهم الله عليك بحلق اللسان فانه يطوف فى جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة ولحركته التى ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وبحث قوة الحلق والحكم التى لست بصدد ذكرها ثم هب ان الطعام وصلحته وهو يابس فلا تقدر على الاندلاع الا بان يراق الى الحلق بقوة الطبيعة أو تدركيف يحلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها ويصب بقدر الحاجة حتى يمجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد ما يدور تحت كان للعدة ويصب اللعاب حتى تحلب أشد ذلك وطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام المطحون المجن من وصوله الى المعدة وهو فى فمك ولا تقدر على أن تدفعه بيدك ولا فى المعدة حتى تتحدث طعاما فانظر كيف هيأ الله تعالى لك الحجرة فانك ترى هو ومعد طعاما والشراب منصل بالحلقوم الذى يجرى فيه الطعام والشراب وهو مؤلف من لحم وأعصاب والحجرة مؤلفة من عضلة رقيقة ثلاثة (وجعل على رأسها غشاء) مع داخله وهى شبيهة بالاعصاب وهى حساسة وهى أكثر حيلة (تفتح لاستقبال الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يقذف الطعام بضغطته فتهوى فى المعدة فى دهليز المرىء) وعلم فى الحجرة وهو بوابة دقيقة كالثقبة فى تضييق عصاريف الحجرة لئلا يكون نضوب صاعد فاذا عرض لاحد حتى يحرك فتحترق بين رطوبته فلا يقدر على اخراج نضوب وكذا من تكلم كثيرا أو سافر فى هواء حار يابس فانهما لا يقدران على التكلم الا اذا لحافهما بالماء أو بشئ آخر رطب (فاذا) ورد (طعام على المعدة وهو حار يابس فانها تبرده وتهضمه فلا يصح لان يصير لحما وعضلا وما على هذه الهيئة قبل

على رأسها طبقتان تفتح لاستقبال الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوى فى المعدة فى دهليز المرىء ورد الطعام على المعدة وهو حار يابس فانها تبرده وتهضمه فلا يصح لان يصير لحما وعضلا وما على هذه الهيئة قبل

لابد وأن يطبخ طبخا ما تشتهيه الحرارة الخلقية الله تعالى المعدة على هيئة قدر يقع فيها الطعام فيحتوى عليه وتحدق عليه الاوردة بلا زيل لا تنفصل حتى يتم الهضم (وهو نضج) اعلم ان المعدة جسم مستدير يشبه مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين وعشاءين وهي مؤلفة من طبقتين واطبقته شديدة لحمية وكلما اشتد المعدة على الرياضة اتسعت وصار لها كالحوصلة وهي أعلى قعب أضيق من اسفله يسمى البوّاب وعند اشتمال المعدة على الطعام وتضامه يغلق البوّاب بحيث لا يخرج عنه أصلا حتى يتم الهضم ثم يفتح ليصير ما في المعدة الى الامعاء الدقيقة وهي اثنى عشر وبقي ممتدة الى أن تنتهي الى المستقيم وعند الانتفاخ يسمى قم المعدة وهو عند قطاع عظم القص وهو عارض اللحم وفيه هو فصوصي يسمى بالمعدة ووضعه فوق السرة وهي مربوطة مع عقدة ومع عبر من الحشاء بأربعة وثيقة عكمه وكذ جميع الاحشاء قد أحكم ربطها ودعائمها بقدر شدة الحاجة اليه وخوف عليها فاذا ورد الطعام في المعدة بهضمه الطبيعة هضوما أربعة أي تعده لان يصير جزء من الكبد وغذاء بهضم الاول عند اضم بسبب ان جميع الفم متصل بسطح المعدة الى الاسفل بسطح واحد وفيه مسعورة هناك عدة في المصوص أعلاه قدر بعين على ذلك لريق مستعد بسبب الوضع وبحرارة غريزية تزداد وترد على المعدة بهضم الهضم التام الاول لا بحرارة المعدة وحدها. قال (وبالحرارة التي تحوط بالمعدة من الاعضاء المجاورة) أيضا (وهي به الايمن الكبد ومن الايسر الطحال) قال فعال قد يعين به الكبد هو ان يشرب الماء والاوردة الكثيرة التي فيه (ومن قدام القرب) المتصل بفعل الحرارة وقد بها الى المعدة (ومن خلف لحم الصلب) أي العرق العظيم الممتد على الصلب من خلف المعدة ومن فوق القلب وسط تحيته للجهات لانه حاجز بين القلب والمعدة وهو يمنع الحار ثم يمنع عن المعدة ومن تحت الحرارة عادتها من الصفراء (فتتعدى الحرارة بهامن تحفين هذه الاعضاء من الجوانب حتى يتم الطبخ والهضم) وبعد ما تنتهي الحرارة الى الامعاء وتصير ما فيها من الطعام وتحتوى عليه وتحدق عليه الاوردة بلا زيل لا تنفصل حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من هذه الاعضاء المجاورة من فوق الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام القرب ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تحفين هذه الاعضاء عن الجوانب حتى يتم الطبخ والهضم

خلق الله على بهو ن الكبد محورى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى تمتص الطعام فيها فيتهيأ فى الكبد (ثم يشير الى ان ذلك الكيموس بعد ذلك يجذب اليه بواسطة حادة الكبد ودفعا بعد دفع لامعاء من أو حر المعدة ومن الامعاء فيدفع من طريق العروق المسماة مساريقا وهى عروق دقاق صلاب متصعدة بالامعاء كلها ويأخذ بعدة الى العرق المسمى باب الكبد ويطفى الكبد فى احر عودرج لذلك الدم متصعدة متصلة كشعر ملاقية لفوهات اجزاء أصل العرق اطالع من هذه الكبد (و الكبد جسم) مركب من اللحم والعروق والشرايين والاعصاب يستمد ويجذبه على وضعه وليس له فى عسه حس لكن عشه حس كثير (محبوب من طيبة الدم) أى يوبه وجذبه بالدم حامد (حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة فى اجزاء الكبد) وبانتهاء موشكله هلالى وموضعه الحسان بين تحت الضلوع يغايبة من ضلوع الخلف وصفره لاصق بالضلوع فى بعض الناس دون بعض وبعضه ملاصق بعدة علاقة بينهما من عشاء لصدر وأسفله سهى الى الخاصرة من اليمين بأرباطة تتصل باعشاء الذى على بوله تغيير فى الجانب الذى يلى المعدة وله قوة ماسكة وله قوة جاذبة للكيموس من المعدة وآلته التى بها يعمل العروق المسماة بالمساريقا وفيها القوة الجاذبة كما فى الكبد (ويمتص الطعام الرقيق الذى هو دسم فى احرائها) أى يتفرق فى اجزاء هذه العروق ويصير الكبد كأنها بكليتها ملاقية لكيموس هذا الكيموس (حتى تستوى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر) وهذا هو النضج الثانى (ويحصل له هيئة الدم الصالح لتغذية الاعضاء لان حرارة الكبد هى التى تنضج هذا الدم فأول ما يحدث هذا الدم فصب كما قلنا فى جميع ما ينضج بح

خلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحد منهما عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطابقة من حديده الكبد حتى يجذب ما تنتهي اليه الطوابع من العروق بدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لعاظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه لم يتقدر الدم صافيا من الانفصالات لتشلث بعضها من كل ما يفسد بعد ما ينتهي اليه الطوابع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطوابع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فجرى الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة لم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية

عليه بواسطة الحدة وأما الطحال فهو عضو مستطيل الشكل كاللسان خسيف اللحم كبد اللون وهو وعاء السوداء والوعاء وموضعه في الجانب الايسر من ضلوع الخلف وعدة ويلزم لعدة من جانب وضلوع الخلف من آخر وكثيرة تحت المعدة وقدر قطر متصله بالعشاء الذي عليه وجعل ليخلص الدم السوداء المجذب اليه في تجويفه وجعل فيها شرايين كثيرة ويتصل عنه قناتان احداهما على طرفه وتتصل بالكبد عند تقعيره وتأتيه من دخله وتتصل بالمعدة وهي يدفع شيئا من السوداء التي بعده الشبيه شهوة الطعام ثم ان الدم بعد ما دام في الكبد يكون رقيقا يسعى بعض سائره فتخرج بها الترقيق بكيلوس وتغيذه في الثلاث بصفة وتنفصل عنها كما تنفصل عن الكبد فيجذب عنصه في عرق يدخل الى الكليتين وإليه أشار المصنف بقوله (خلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة) منهما (عنقا طويلا الى الكبد) وكل منهما مركب من لحم مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشرايين وهما موضوعتان عن يمين وشمال فقرات الصلب بما قرب من الكبد الجزء الذي من كل منهما كنصف دائرة ويحدهما عن يمين وشمال عرض محزز اطهر يمكن الانسان من الاتكاء عليه وجوهرهما مدمج صلب بالا يفد فيهما لا الدم الرقيق ومزاجهما يميل الى البرودة والرطوبة لكثرة الاوردة والشرايين فيهما وتنكسر بذلك حدة الصفراء الممازجة لهما مع الماء فلا تحرق المائية دون يبسهما ولا حس لهما لئلا يحس حدة الصفراء الممزوجة بالماء الذي لهما فحفظ الماء وهي يبسهما قدر من الدم المحتاط بذلك أن يحبس ضرورة لان يكون غذاء لهما (ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطابقة من حديده الكبد) وهو عرق عظيم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره (حتى يجذب ما تنتهي اليه الطوابع من العروق الدقيقة) الشعرية (التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لعاظ ولم يخرج من العروق) ويعدي الكليتين للدسومة والدموية من ثلث اثنانية وتدفع باقيها الى اثنانية والاحشاء (فاذا انفصلت منه المائية) فضلية عن الدم عند خروجه من الكبد (تقدر الدم صافيا من انفصالات الثلاث بقيام كل ما يفسد الغذاء) وصارت المائية الى هذين العضوين فحجم ما الكليتين ويكون بعضه لواصل الى الاعضاء لانها فضلية والثاني من كل منهما عرق متصلا حتى يصل بالمثانة ويسميان حالبين وهما مجريا البول واما حجم الكليتين فلتكاثر عروقهما الاوردة والشرايين فكان امتلاء ما كان في الحقيقة وجعل الكليتين ليعمل كل منهما على حياله ولم كان انقلاب أشرف الاعضاء وكد الرئة لانها بدء القلب وجب أن يكون غذاؤهما أصفى وأصح من غذاء جميع الاعضاء فهيأ قدر الخالق تعالى شأنه لهما العرق الذي يوصل غذاء هذين العضوين بهما بدل من الكبد بالكليتين وهذا يخرج منهما ثم خرج منهما ورجع الى دون يجذب الكليتان قوتهما الصافية المائية المصفية للدم الذي فيهما العذائية هذين العضوين الشريفين وليصفو الدم المذكور في هذه المسافة الطويلة وينفصل عنه وهما بهما صافيا يتغذى (ثم ان الله تعالى طبخ من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطوابع أقساما وشعب كل قسم شعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فجرى الدم الصافي فيها) بعد ابداعه في عرق يعظم الطابع من حديده الكبد اسمي بالاجوف فيسري في الاوردة المتشعبة منه ثم في حدا ول الاوردة ثم في سوق الحدا ول ثم في روضع السواقي ثم في العروق الشعرية الكثيفة ويعمم بالقسم الثالث (ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المقسمة شعرية) أي كهيئة الشعر في الدقة (كعروق الاوراق) الظاهرة فيها (والاشجار) المستطيلة في الارض (بحيث لا تدرك بالابصار) لدقتها وخفائها (فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء) فتحصل لصاحب كل عضو عضده هضم واسع (ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية) وذلك بان يتقي قصور في هضم الصفراء من الكبد فيدم الكبد

يرتفع بصراءه في لكبد حدث الحيات الحادة وان اتفق دفعها الى اعضاء البول قبل الوقت اللائق بذلك حدث قرحة شائنة وخرقها وان تفرقت في جميع البدن حدث أمراض (كالبرقان) وهو تحركه نعيره حس في الثوب ذي صفرة أو سواد أو هما معا تحدث الخلط الى الجلد (والثاور) وهي من جنس الادرام وهي أنواع وهم صفراوية كالمرة (والجرثومة) واسارا الصفراوية وان برئت الى الامعاء تولد سحج والامعاء الصفراوي (وان حلت بالمعدة آدفعهم يحدث الخلط السوداوي) الحامض بعض بعضه (حدث الامراض السوداوية) في البدن (كالبهق) الاسود (والجذام والبواسير الحوايا وغيرها) كالقولنج والدوالي وداء الفيل وان تصرفي الحدث فيم يستوفي ما ينبغي حدثه تولد ورم يكثر وسقوط شهوة الطعام وان اندفع الى المعدة أكثر مما ينبغي تولد شهوة الكلبية وان كان فيها يجذب الى المعدة خوصه من غير عضوصه تولد الغثيان كان كثيرا تولد التي وان زال ذلك أي الحامض من المعدة الى الامعاء تولد السحج السوداوي الهضم (وان تندفع الى نهاية تحول الكلى حدث معه الاستسقاء وغيره) من الامراض اذ لم يلا يضع للعدة بل هو مركب الصفراء أعني الدم اذا انفصل عن الدم رث الجوهر به وكل ما رث الجوهر ليسه دائق في البدن يتولد منه مرض (ثم اعلم ان حكمة القدماء الحكيم) حل شأنه (كيف رتب اندفاع هذه الاخلاط الثلاث الخسيسة) وهي الصفراوية والسوداوية والبلغمية (والمرة) التي هي وعاء الصفراء (فانهم اتجذب باحد عنقيها وتقذف العنق الاخر (الامعاء) فتقدم ان المرارة عضو عصبي دريقة واحدة وله منفذان أحدهما هو الجاذب للصفراء والثاني ينفذ فيه الصفراء ثم يصير الى الامعاء الاثني عشر ثم الى الامعاء الاخر (فيحصل له في اول الطعام رطوبة مرة تحدث في الامعاء تدفع بحركة الدفع فتضعف حتى يندفع الى ورق) ويضعف الامعاء من الرطوبات العليظة بواسطة الحدة (وتكون صفراوية بذلك) وقد حكى انصف هذين منفذين وهما عند الاطباء منفذان قالوا وفي بعض الناس توجد منفذ آخر صغير منها الى قعر المعدة يندفع بعض من الصفراء فيدخل المعدة وتكون هذا السبب في بعض الناس كثيرا حتى يكون أكثر من المعتاد فاذا حدث هذا السبب يحصل في المعدة صفراء كثيرة وصاحبه يكون دائما يشتهي مرارة الفم وسوء الهضم وفساد الاغذية في المعدة والقراقر وحموضة الطعم والقيء (وأما الطحال فانه يجذب تلك الفضلة الحاصلة بواسطة حموضة وبعض ثم يرسل منها كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك شهوة بحموضة فيها ويثيره) أي يحركه (ويحرج الباقي مع النفل وأما كيفية قسم المتقدمي هذا القسم فانهم قسموا الثلاثة الى ثلاثة أقسام وترسل الباقي الى الثالثة) من الحابس وجعلوا الاعضاء الرئيسة اربعة ثم في كل واحد منهم جوهر لا يتشبه بالمعتدي وجوهر عرضي له وهو الفضلة في كل قسم يحصل فضلة فضلة القسم الاول تندفع الى طريق الامعاء وهي مرة وفضلة القسم الثاني يندفع أكثرها الى البول وباقيها من الطحال والمرارة وفضلة القسمين الآخرين يندفع بالعلل التي لا تحس بالعرق والموضع الخارج من عند طبيعة محسوسة كالانف والاذن وغير محسوسة كالمعدة أو خروجه عن جسم كالاورام الصعبة والجرب والجدري وما شابهت من رذائل البدن كالشعر وغيره (وقد قصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي تحدث الاكل ووجود كيفية حتاج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية تشعب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية تشعب العروق الساكن من الدماغ الى سائر البدن وبواسطته يصل الحس الى جميع اعضاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعدد عضلاتها وعصبها وغيرها وأوتارها وباطنها وعصبها وغيرها وما تحتاج اليه الكلام وكل ذلك مما يحتاج اليه الاكل والامور أخر سواه) ومحل القول في عروق ان الكبد مقعر يتحدر من تحدب ظاهر ويتلاقى من تحدبه عرق عظيم يسمى الاجوف لسعة تجويفه بالنسبة الى تجويف ما يتفاوت ذلك

الكبد الى سائر البدن وبواسطته يصل الحس الى جميع اعضاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعدد عضلاتها وعصبها وغيرها وأوتارها وباطنها وعصبها وغيرها وما تحتاج اليه الكلام وكل ذلك مما يحتاج اليه الاكل والامور أخر سواه

يسهل

يسهل عود الدم فيه وأصل التشعب شعب كثيرة دقيقة جدا كالشعر مستقرة داخل ليس بالكثير حتى
حتى ينقسم قسمين الاول وهو الاعظم يأخذ نحو أعالى البدن يسمى لاعصاء العالية فيمر حتى يلاصق
الحجاب وينقسم منه هذا الشعر قسمان يتفرقان ثم ينفذ الحجاب فأحد قسمى منه يعرف بالدقيقة ويتصل
بالعشاء الذى ينقسم الصدر قسمين ويتعلق بالقلب وبالقوة المسماه بالعونة وتعرف بها ثم يتشعب
منها شعبة عظيمة تتصل بالاذن اليمنى من اذن الجانب وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام واذا جاوز القلب
مر على استقامته الى ان يجاوز الترقوتين وينقسم حينئذ فى مساكنه هذا شعب صغار فى كل واحد من
الجانبين يسقى ما يحاذيها ويخرج منها شعب الى خارج يسقى العضل وعند محاذاته للابط يخرج منه الى
خارج شعبة عظيمة يأتى اليد من ناحية الابط وهو المسمى بالسليق فاذا حاذى الترقوتين لوسط منهما
موضع البلعوم انقسم قسمين قسم آخذ الى ناحية اليمين وقسم آخذ الى ناحية اليسار وينقسم كل منهما
الى قسمين أحدهما يركب الكتف ويعلو الى باطن الجانب الوحشى وهو العرق المسمى بالقيفال والثانى
ينقسم الى قسمين فى كل جانب وهما الوداج الظاهر والوداج الغائر ولا يمر بالحبون لانقطاع هذين
وينشعب من العرق الساكن فى مروره ما هو شعب صغار يسقى ظاهر العضد ومن الاعلى شعب صغار
يسقى باطنه فاذا قارب المفصل المرفقى انقسم فيكون منهما العرق المسمى بالاكحل ومن الاعلى العرق
الذى بين الباسليق والاكحل المسمى بالاسيلم وينقسم قسمين من الاعلى يأخذ نحو أعالى البدن ويركب
حرز الصهر آخذ الى الاعلى وينشعب منه شعب تأتى العضل والعشيها ثم تغوص لتصير الى
الاثيين فاذا بلغ آخر الحرز انقسم قسمين أحدهما يأخذ نحو الرجل اليمنى وينشأ نحو اليسرى حتى اذا
حاذى مشاش الركبة انقسم ثلاثة أقسام منها الماضى والصافن وعرق الساق وينشعب من كل منها شعب
كثيرة فهذا معرفة العروق التى تركب المساعد الاوردة وأما سواقى المساعد الشرايين فمنها نحو
الايسر من القلب ويخرج من هذا نحو ثلاثين شريانا أحدهما صغير غير متصاعد يسمى الشريان
الوريدى وباقى كبير جدا ويسمى الابهر وفى العرق متصاعد يسمى الوريد الشريانى وهو
شعبة من الجوف متصلة بالاذن اليمنى من قلب كما تقدم ذكرها وهى أعظم عروق القلب لان
مادة عروقه توصل اليه نسيم الهواء وهذا يوصل اليه الغذاء والابهر عند صدره يتشعب منه شعبتان
احداهما تأخذ نحو أعالى البدن ويتشعب منها شعب صغار فى العضد وانشاية تصعد الى ظاهر الوجه
والرأس وتتعرف بها هذه الثلاث من الاعضاء الظاهرة وقد يظهر بعض هذا القسم خلف الاذن من الجانب
وأما الاعصاب فهى أجسام كثيفة متكونة من الرطوبات المجمودة وهى اما مفردة أو مركبة فالمفردة هى
التى أى جزء محسوس أخذ منها كان مشاركا لما كل فى الاسم والرائحة ولذلك يسمى متشابه الاعضاء
وهى العظم ثم الغضروف ثم الوتر ثم العصب ثم الوريد ثم الشريان ثم الاوردة وهى العروق السواكن ثم الاعضية
ثم اللحم ثم الشحم ثم الملح ثم الجلد ثم الشعر والمركبة هى التى تكون منها أجزاء محسوسة مختلفة بالطبع
والمزاج وتركيبها اما ان يكون أوليا كالعضل لانه مركب من الاعضاء المفردة التى هى العصب والشريان
واللحم والغشاء أو ثانيا كاليد لانها مركبة من الاعضاء المركبة التى هى العضلات أو ثالثا كالوجه لانه
مركب من الانف والخد وغيرهما وكل واحد منهما مركب ثانيا أو رابعا كالرأس فانه مركب من
الدماغ والوجه والاذن ومن الاعضاء المركبة الاعضاء الرئيسة وهى القلب والدماغ والكبد والاثياب
وأما العظام فعظامها مائتان وثمانية وأربعون سوى السمسمانيات وسوى العظم شبيه باللام وسوى
العظم الذى فى القلب فانهما عند بعض الناس من جنس الغضروف (بل فى الآدمى آلاف من العضلات
والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة واللطفة وكثرة الانقسام وقلته) على ما هو مودع فى
كتب التشريح (ولا شئ منها الا وفيه حكمة) واحدة (أو اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشرة وزيادة)

بل فى الآدمى آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة واللطافة وكثرة الانقسام وقلته ولا شئ منها الا وفيه حكمة اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشرة وزيادة

وكل ذلك نعم من الله تعالى على العبد فالواجب على كل من جاء عن مخرجه أو تحرك عرق من عروقه أو خطر بباله شيء أن يشكر الله تعالى على ذلك أولا لتقوى بعد على شكره فلا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا القليل وهو أخسها ثم لا تعرف منه إلا أنك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل وينعب فيلام ويشتهي فيجامع ويستريح فيستريح ويرتوح فيأشر فأنت من يعلم الأمر فكيف تقوم بشكر نعمة الله على هذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز فطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط نقس على الأحوال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من الإطناب وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر لا شيء من عشر شيء من هذا أدرك شمة من معاني قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وأدرا كاتها وقواها بمجار لطائف تصعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج البدن من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى وختراعه ولكنه جعل السراج مبدأ بحكمته وهذا مجاز لأن المسمى هو الذي يسمى نار الروح والقلب هو السراج له كالمسرجة للدهن الأسود الذي في بعض القناديل كالذبالة والفتيلة كالزيت والحياة تشرق في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكأن سراج الروح أيضا يطفأ زيته فيطفأ مهما قطع عنه فإن كان الذبالة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فيطفأ

على ذلك (وكل ذلك نعم من الله تعالى على العبد فالواجب على كل من جاء عن مخرجه أو تحرك عرق من عروقه أو خطر بباله شيء أن يشكر الله تعالى على ذلك أولا لتقوى بعد على شكره فلا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا القليل وهو أخسها) أي أقلها مقدارا (ثم لا تعرف منه إلا أنك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل وينعب فيلام ويشتهي فيجامع ويستريح فيستريح ويرتوح فيأشر فأنت من يعلم الأمر فكيف تقوم بشكر نعمة الله على هذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز) أي الاختصار (فطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط نقس على الأحوال ما أهملناه) أي تركناه ذكره (من جملة ما عرفناه حذرا من الإطناب) الذي يمل الخواطر (وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر لا شيء من عشر شيء من هذا أدرك شمة من معاني قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وأدراكاتها وقواها بمجار لطائف تصعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج البدن من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها) أي كالقوى (كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج مبدأ بحكمته وهذا مجاز لأن المسمى هو الذي يسمى نار الروح والقلب هو السراج له كالمسرجة للدهن الأسود الذي في بعض القناديل كالذبالة والفتيلة كالزيت والحياة تشرق في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكأن سراج الروح أيضا يطفأ زيته فيطفأ مهما قطع عنه فإن كان الذبالة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فيطفأ

السراج مع كثرة الزيت وكذلك الجسم الذي مات عنه شدة الحر في الصيف وحرارة الغليان مع وجود بعض الاعضاء التي بقي فيها الروح كما تقدم وما ذلك الا لان الروح هو الذي يقبل الحياة والحس والحركة بالارادة بسبب من خارج وهو الهواء الذي يتكيف بكيفية السراج بمنزلة الزيت أو بمنزلة الفتيلة بسبب من داخل وهو الحرارة الغريزية التي في القلب وما يتصل به من العروق وكذلك الروح بمنزلة الزيت بسبب من خارج وهو الهواء الذي يتكيف بكيفية السراج بمنزلة الفتيلة بسبب من داخل وهو الحرارة الغريزية التي في القلب وما يتصل به من العروق وكذلك انطفاء السراج بمنزلة انطفاء الروح وكما أن انطفاء السراج هو عدم ما يقبل الاشتعال من الزيت والفتيلة فكذلك انطفاء الروح هو عدم ما يقبل الحياة والحس والحركة بالارادة من البدن وكما أن السراج اذا انطفأ أظلم البيت كله فكذلك الروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستنيرها من الروح وهي أنوار الاحساس والحركة بالارادة والادراك وسائر ما يتبعها من الخيرات وكما أن السراج قد يعود ايضا بعد انطفائه بالنار التي هي آخر ما يعدم من العالم بأمر الله تعالى وبعجائب صنعه وحكمته بما هو كائن بعد الحشر من الاحوال والكائنات التي لا نهاية لها بعد الحشر فكذلك الروح قد يعود ايضا بعد انطفائه بالنار التي هي آخر ما يعدم من العالم بأمر الله تعالى وبعجائب صنعه وحكمته بما هو كائن بعد الحشر من الاحوال والكائنات التي لا نهاية لها بعد الحشر فقد ثبت أن الروح بعد مفارقته البدن باق

أكثر الخلق وأما الاوهام والخيالات فقاصرة عنه بالضرورة قصورا بصر عن ادراك الاصوات وتنزل في ذكر مبادي وصفها فعاقد تعقول الجسد بالجوهر والعرض المحسوسة في مضيقهما فلا يدرك ما يعقل شيء من وصفه بل سورا آخر أعلى وأشرف من العقل يشرف ذلك السور في عالم النبوة والولاية تسمى بالعقل اسمة العقل في الاوهام والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا فكما يدرك الحسي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد وكذلك يدرك العقل المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وله لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يخط جناب الحق سور (١١٦) لايأس واليقين وذلك المشرب أعرض أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد وجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وهي أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحظ عتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح العلوي فقد أدرك الامر الرباني كما أن من رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فقد رأى الملك ولا يشك في أنه خطأ فاحش وهذا لحظا أفحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر له أنه أسأله عنه في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وهو ولم يذكر له أنه أسأله عنه في قوله تعالى) قل الروح (من أمر ربي وأما فقد ذكره في قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وارجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل) وبالله التوفيق

* (اعلم أن الروح) * (في) بيان (نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد ذلك لصنعته) ومعالجته (نعم) وخلق الله تعالى (من الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه) أي متتابعة (لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول) بيانه (فان الاطعمة) لا تخلو (ما أدوية واما أغذية واما فواكه واما أغذية فتتخذ الاغذية فانها الاصل)

أكثر الخلق وأما الاوهام والخيالات فقاصرة عنه بالضرورة قصورا بصر عن ادراك الاصوات فانه من ادرا كانت السمع والبصر قصر عنه (وتنزل في ذكر مبادي وصفها فعاقد تعقول المقيدة بالجوهر والعرض المحسوسة في مضيقهما فلا يدرك ما يعقل شيء من وصفه بل سورا آخر أعلى وأشرف من العقل يشرف ذلك السور في عالم النبوة والولاية) يسمى العقل اسمة العقل في الاوهام والخيال (وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا) مختلفة (فكما يدرك الحسي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد وكذلك يدرك العقل المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وله لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يخط جناب الحق) تعالى (سور الايمان واليقين) ثم يختلف ادراك ذلك بحسب قوة الايمان وضعفها (وذلك المشرب أعرض أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد) وفي نسخة الا واحد بعد واحد (وجناب الحق) تعالى (صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب) أي واسع (وهي أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحظ عتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان) وأن يكون من رجاله (فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه) معرفة كاملة (لم يعرف ربه) وهو المفهوم من قولهم من عرف نفسه عرف ربه (وأنى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح العلوي فقد أدرك الامر الرباني كما أن من رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فقد رأى الملك ولا يشك في أنه خطأ فاحش وهذا لحظا أفحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر له أنه أسأله عنه في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وهو ولم يذكر له أنه أسأله عنه في قوله تعالى) قل الروح (من أمر ربي وأما فقد ذكره في قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وارجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل * (اعلم أن الروح) * (في) بيان (نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد ذلك لصنعته) ومعالجته (نعم) وخلق الله تعالى (من الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه) أي متتابعة (لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول) بيانه (فان الاطعمة) لا تخلو (ما أدوية واما أغذية واما فواكه واما أغذية فتتخذ الاغذية فانها الاصل)

في قوام الابدان (ونتخذ من جملتها حبة من بر) وهو أشرف الحبوب (ولنذع سائر الاعذية فنقول قد وجدت حبة أو حيوان هو أكثرها ثبوتا وبقيت جائعة فما أوجد الى أن تنمو الحية في نصف نهار تريد وتنتصف حتى تبقى بتمامها خلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تعتدي كخلق وإلى) من تلك القوى (هي التي لا يفترق في الحس والحركة ولا يحتاج في الاعتداء لانه يعتدي بالماء ويجتذب الى باطنه بوساطة العروق كما تعتدي أشجار وتجتذب وسيأتي ذكر آلات الحيوان في اجتذاب الغذاء الى بدنه ويمكن تشبيه الى عدة تقول كان الحشب والتراب لا يعدلك لن تحتاج الى طعام مخصوص وكذلك الحنطة لا تعتدي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت ثم تردد لو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تردد) أيضا (بل لا بد من أرض وماء فما خرج منها فالارض تمسكه والماء يربيه) وإليه الاشارة بقوله تعالى ظاهر الاسناد الى معلومه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ثم لا يكفي الماء والتراب لو تركت في أرض ندية صلبة مثلا لم تنبت لفقد الهواء فتحتاج الى تركها في أرض رخوة (وإليه الاشارة بقوله تعالى) في جملة تعداد النعم (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا) أي من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) ونسبة الشق اليه مجاز (فانبتنا فيها حبا وعنبا) وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا (ثم لا يكفي الماء والتراب لو تركت في أرض ندية) ماساء مكانها (صلبة مثلا لم تنبت لفقد الهواء فتحتاج الى تركها في أرض رخوة فحينئذ يتولد الهواء فيها ثم الهواء لا يحركها بل يحركه الماء فتحتاج الى تحريك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى يعمد فيها وإليه الاشارة بقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) أي تلقح السحاب وقد ألقحت الريح السحاب (وتحتاج في إلقاح الرياح بالماء الى الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغني لو كان في برد مفرط أو شتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان حتاجه عند الله في هذه الاربعة فانظر الى ما تحتاج كل واحد لتحتاج الماء ليس الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار والعيون وأجرى منها الانهار ثم الارض وما تكون من زعة والماء لا ترتفع لها) بعور العيون والانهار في الارض (فانظر كيف خلق الله تعالى العيون وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه الى أقطار الارض وهي سحب تقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة) إليه (وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها العيون تدخر بها ولو خرجت دفعة واحدة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فهي لا تحصل من الماء والارض وكلاهما باردان) فانظر (كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض) فهي في السماء كالربيع (مسخنة للارض في وقت دون وقت بتحصيل البرد عند الحاجة) تحصل (الحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم الماء اذا ارتفع عن الارض كان في الهواء كما تعتاد وصلابه

وحده لا يحتاج لماء يسقيه في أرض بل زراعة من بحار وعيون وانهار وسوق فانظر كيف خلق الله تعالى البحار والعيون وأجرى منها الانهار ثم الارض وما تكون مرتفعة عنها والماء لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله تعالى العيون وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه الى أقطار الارض وهي سحب تقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها العيون تدخر بها ولو خرجت دفعة واحدة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فهي لا تحصل من الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت بتحصيل البرد عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم الماء اذا ارتفع عن الارض كان في الهواء كما تعتاد وصلابه

وقوله (وتعرف رطب تمر بكسر التاء) أي بأن يجعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصلحها بقدر ما يعرض لها الكمون لما لو كان الاعتبار في مثل منع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها الكمون لما كان لها خاصية بل كان يجب أن تكون كل فاكهة تنضج بالليل دون النهار وهو باطل بالمشاهدة (قوله

قوله (وكذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب واسطة فان الشمس قد طلعت وحمي سخونها وهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحواسك حتى اذا هواء الشمس واد ثت عن تغيير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك ونفس هذا سائر الآثار الا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى بعضه معلوم للناس كافة كحلول الضياء والحرارة في جسم الشمس

ولا تتم حركاتها الا بملائكة موكلة بها وبتحريكها وكذلك يتمادى ذلك الى أسباب بعيدة تركنا ذكرها لتنبيهك باذكرناه على ما أهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات (الطرف الخامس فى علم الله تعالى فى الاسباب الموصلة للاطعمة ليلك) اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد فى كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد فى بعض الاماكن دون بعض وأناس منتشرون على وجه الارض وقد تتعذر عنهم الاطعمة تحول بينهم وبينها بحار والبرارى فانظر كيف سخر الله تعالى البحار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يعيشهم فى غالب الامر شئ الا يجمعون وما (١٢٠) أن تعرى بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتون فى بعض البلاد بأحدها لسلامتى

ولا تتم حركاتها الا ملائكة موكلة بها وبتحريكها) بأمر الله سبحانه (وكذلك يتمادى ذلك الى أسباب) أخر (بعيدة) توقف عليها (تركنا ذكرها لتنبيهك على ما أهملناه) أى تركناه (ولنقتصر على هذا القدر (من ذكر أسباب غذاء النبات) وبالله التوفيق

(الطرف الخامس) (فى) بيان (علم الله تعالى فى الاسباب الموصلة للاطعمة ليلك علم) أرشدك الله تعالى (ان هذه الاطعمة كلها لا توجد فى كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد فى بعض الاماكن دون بعض وأناس منتشرون على وجه الارض) تشرفهم وعمرها وتنعمهم بوجودها (وقد تتعذر عنهم الاطعمة) ولا يكنهم تحصيلها (وتحول بينهم وبينها بحار والبرارى فانظر كيف سخر الله البحار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يعيشهم فى غالب الامر شئ الا يجمعون وما (أن تعرى بها السفن) ان كانوا فى البحر (أو تنهبها قطاع الطريق) ان كانوا فى البر (أو يموتون فى بعض البلاد بأحدها لسلامتى) منها وعدوانا (وأحسن أحوالهم أن أحدها وارثهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا) انهم يموتون هو به لاجل المال (فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد فى طلب الربح ويتركوا الاخطار يعرضوا بها وارثهم فى ركوب البحر يجمعون الاطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن) وهى علم مستقل (وكيفية تركيبها) وتشييتها فوق الماء بالمجاديف (وانظر كيف خلق الحيوان) بأنواعه (وبحرها للركوب والحمل فى البرارى) كما أشار اليه قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أعدت لسرعة الحركة) فى الركض (والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمل كيف تقطع البرارى وتطوى المراحل تحت الاعباء) أى الاحمال (المثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات فى البر والبحر يحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج) ولولا ذلك وكلفت أنت ذلك لتعبت تعبا شديدا (وتحمل ما تحتاج اليه الحيوانات من أسنامها وادويتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة ودون الحاجة واحصاء ذلك عسير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نتركها) الآن (طلبا للاختصار) وبالله التوفيق

(الطرف السادس) (فى) بيان (اصلاح الاطعمة اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذى نبت فى الارض من الاناس وما يتحلق من الحيوانات لا يمكن ان يقصد به كل وهو كذلك بل لا بد فى كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتطييف بانتقاء البعض واتقاء البعض وانقاء بعض الى أمور أخر لا تحصى واستقصاء ذلك فى كل طعام يطول فنقتصر على واحد ولنطر الى ما يحتاج اليه الزرع الواحد حتى يستديره ويصلح للاكل من بعد انتقاء البذر فى الارض فاول ما يحتاج اليه الحرث ثم البذر الذى به يثير الارض والغذاء) وهو

من أسنامها وادويتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة ودون الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نتركها طلبا للاختصار *(الطرف السادس فى اصلاح الاطعمة) اعلم ان الذى ينبت فى الارض من الناس وما يتحلق من الحيوانات لا يمكن ان يقصد به كل وهو كذلك بل لا بد فى كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتطييف بانتقاء البعض واتقاء البعض الى أمور أخر لا تحصى واستقصاء ذلك فى كل طعام يطول فنقتصر على واحد ولنطر الى ما يحتاج اليه الزرع الواحد حتى يستديره ويصلح للاكل من بعد انتقاء البذر فى الارض فاول ما يحتاج اليه الحرث ثم البذر الذى به يثير الارض والغذاء

وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الدرس والتنقية ثم الطحن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى أعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفات فشاء أن زرعها واحدا لا يستدير بحيث يصح لا كل ما يمكن مما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فاشدني من الملك الذي يرى السحاب يرسل اليه في آخر الاعمال من جهة الملائكة حيث تنتهي اليه أعمال الانسان فاذا استدار عليه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي هي تتمة الخلق) وكمل به علم وقد تقدم ان أصول الصناعات اثنا عشر لان الاقوات أربعة وهي الحنطة والشعير والتمر والذرة وما هي مرتبطة لكل واحد وخادمة له كالحداد الذي يعمل الفأس والمنجل للحراث والحاصد وكذلك النجار والبناء وسائر

الواحد منا عن رفوح وأوتى الكمل عقول قصر عمرو عن استعماد طريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيره فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان وسبحان من منع انتشار هذا البيان مع ظهور الآيات لولا حلا دلك عن الطعان مثلا وعن الحداد والحجام الذى هو أخس الاعمال وعن الحائك وعن واحد من جملة الصناع ما فيه سبيل من الادى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى تمت ذلك مشيئته ونفذ به حكمته ولنوجز القول فى هذه المسئلة أصف عرض نتمه على السمع دون الاستقصاء

(لطائف اسماء ع فى اصلاح الصحن) (١٢٢) اعلم أن هؤلاء الصناع الصحن للاطعمة وغيرها هم وعرفت آراؤهم وتنافرت

الواحد منا عن رفوح وأوتى الكمل عقول قصر عمرو عن استعماد طريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيره فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان وسبحان من منع انتشار هذا البيان مع ظهور الآيات لولا حلا دلك عن الطعان مثلا وعن الحداد والحجام الذى هو أخس الاعمال وعن الحائك وعن واحد من جملة الصناع ما فيه سبيل من الادى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى تمت ذلك مشيئته ونفذ به حكمته ولنوجز القول فى هذه المسئلة أصف عرض نتمه على السمع دون الاستقصاء

(لطائف اسماء ع فى اصلاح الصحن) (١٢٢) اعلم أن هؤلاء الصناع الصحن للاطعمة وغيرها هم وعرفت آراؤهم وتنافرت

الواحد منا) دهر طويلا مثل (عن رفوح) عليه السلام (وأوتى الكمل عقول قصر عمرو من استعماد الطريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيره) ويقال ان الحكيم الذى استنبط طريق عمل القراض سماه رفوحا (فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان وسبحان من منع انتشار هذا البيان مع ظهور الآيات لولا حلا دلك عن الطعان مثلا وعن الحداد والحجام الذى هو أخس الاعمال وعن الحائك وعن واحد من جملة الصناع ما فيه سبيل من الادى) والتعب (وكيف تضطرب عليك أمورك كلها) ولا تنتظم حالك (فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى تمت به مشيئته ونفذ به حكمته ونوجز القول فى هذه المسئلة أصف عرض نتمه على السمع دون الاستقصاء) وبالله التوفيق

(لطائف الصناع) (ق) ب (صلاح لصحن اعلم) هداك الله تعالى (ان هؤلاء الصناع الصحن للاطعمة) خصوصا (وغيرها) عموما (لو عرفت آراؤهم وتنافرت طباعهم تدرى طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يجمعهم مكان واحد ولا يجمعهم عرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فلا يجعل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة مجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر أصناف الابتياع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتراجعون عليها ويتنافسون فيها وهى حمله الانسان على الحسد والعيب والحسد والمباغضة وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتدابر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والاسباب وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد

والسلامة

حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على عرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن والزعماء لاسواق وصاروا لخلق الى الدلوك بعدل وألزموهم انصافهم وتعاونوا حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار لحجام ينتفع بالحراث والحرث بالحجام وينتفع كل واحد كل واحد بسبب ترتيبهم وجمعهم وتصاطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما ينتظم جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء) وترسل عليهم سلام (حتى أصلحوا السلاطين لصحبة الرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وهو من السياسة فى صميمها) وترتيبهم (وكشفوا من أحكام الامامة

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا وعلماء أمتهم ليس من اصلاح الدين والدنيا كيف أصلح الله الانبياء بالملائكة) عليهم السلام (وكيف أصلح الملائكة نفوسهم بعضهم الى أن ينتهي الى الملك المقرب لدى لا واسطة بينه وبين الله تعالى) وهو اسرافيل عليه السلام (والحبر يحبر بحبر والطعان يصلح بالطعن والحرث يصلحها الحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والحصاد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاجسام والسلطان يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء بدينهم ودنياهم (١٢٢) والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة

والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم) لما ورد العلماء ورثة الانبياء (والانبياء يصلحون السلاطين) كما قال القائل

الناس للملوك محكومون على الورى * وعلى الملوك تحكم العلماء

ويجمل القول فيه ان لسياسة أربعة ضروب الاول سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثاني سياسة الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والثالث الحكم وحكمهم على باطن الخواص والرابع الفقهاء الوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (والملائكة يصلحون الانبياء) عليهم السلام وهكذا الامر (الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل تمام ومطلع كل حسن وجمال وهي منشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب (ولولا فضله وكرمه ما قال تعالى ولدينا مزيد وما هدينا الى معرفة هذه السلسلة اليسيرة من نعمة الله تعالى ولولا عرفانه ايانا عن أن نسمع من لم يطمع ان الاحاطة بكنه نعمته تشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء والله تعالى عز وجل بحكم القهر والقدرة قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلما بقدرته استطاعا وان سكتا بقهره انقبضا ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى ولا غالب على ما قضى ولا مفر لاحد من حتوف الموت سمع سمع قهقرى بيد ملك الملوك الجبار لمن يبق يوم لله الواحد القهار والحمد لله الذي هدانا عن الكفار وأرشدنا هذا لنهتدي لولا ان هدانا الله) قبل انقضاء الاعمار

*(الطرف الثامن في بيان

نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام)* ليس يخفى على عديل ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا نقص انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر من طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تحصر باجمالها في ثلاث طبقات ملائكة ارضية وسماوية وحملة العرش فالنظر كيف وكلهم الله تعالى لما يحب يرجع الى الاكل والاعداء

يصلحون الانبياء الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل تمام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه ما قال تعالى ولدينا مزيد وما هدينا بالهداية لهذه السلسلة اليسيرة من نعمة الله تعالى ولولا عرفانه ايانا عن أن نسمع من لم يطمع ان الاحاطة بكنه نعمته تشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء والله تعالى عز وجل بحكم القهر والقدرة قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلما بقدرته استطاعا وان سكتا بقهره انقبضا ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى ولا غالب على ما قضى ولا مفر لاحد من حتوف الموت سمع سمع قهقرى بيد ملك الملوك الجبار لمن يبق يوم لله الواحد القهار والحمد لله الذي هدانا عن الكفار وأرشدنا هذا لنهتدي لولا ان هدانا الله قبل انقضاء الاعمار

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام) ليس يخفى على عديل ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا نقص انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر من طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تحصر باجمالها في ثلاث طبقات ملائكة ارضية وسماوية وحملة العرش فالنظر كيف وكلهم الله تعالى لما يحب يرجع الى الاكل والاعداء

الذي ذكره دون ما يحاوره من الهدية والارتداد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء الحيوان بل من أجزاء النبات لا يغتذي الا بان وكل به سبعة من الملائكة هو أولها عشرة في ماله الى مائة ألف وبإزائه سبعة من العدد فأي يقوم جزء من أجزاء العدد مقام جزء قد تلف وذلك العدد يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعصبا وعظما وجلدا وشعرا وعصبا ثم عدد أولئك الدم واللحم لحم الانسان لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير عما هو مرسوم لها وهو أن الدم مفسد لا يصير صحيحا ثم يحيى ثم يخمر ثم يصير مسكرا وكذلك اللحم مفسد لا يصير لحما وعصبا وعظما وشعرا وعصبا الا بتصوير الملائكة كما ان الصانع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة (١٢٤) وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة فقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار

الذي ذكره دون ما يحاوره من الهدية والارتداد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء الحيوان بل من أجزاء النبات لا يغتذي الا بان وكل به سبعة من الملائكة هو أولها عشرة في ماله الى مائة ألف وبإزائه سبعة من العدد فأي يقوم جزء من أجزاء العدد مقام جزء قد تلف وذلك العدد يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعصبا وعظما وجلدا وشعرا وعصبا ثم عدد أولئك الدم واللحم لحم الانسان لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير عما هو مرسوم لها وهو أن الدم مفسد لا يصير صحيحا ثم يحيى ثم يخمر ثم يصير مسكرا وكذلك اللحم مفسد لا يصير لحما وعصبا وعظما وشعرا وعصبا الا بتصوير الملائكة كما ان الصانع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة فقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يعمل العداء في جوار ولا بد من أن يجمع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكون مصورا للحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى يكون ملصقا ولا بد من سابع يربي المقدر في الاصلاح ويحق بالمقدر ما يبطل استدارته وبالعريض ما لا يرى عرضه ويحوف ما لا يتبين تحويفه ويحسن على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع ملايين من العداء على ألف بصبي ما اجتمع عن هذه الكثرة ما يتبين تحويفه وتشوهت صورته وخلقته بل يحتاج أن يسوي الى الاحتمال مع رفقها الى الحد فقد جمع صفتين واي الاحتمال مع عدم تبين العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منهما من حيث القدر والشكل والاستدارة صورة (والعضلة) المعروفة (وما) أي كبر وعظم (بعض المواضع وصغر بعض المواضع ل ولم يراع هذا العدل في القسمة والتقسيط) لم يكن (يصلح) ان يعطى كل جزء قسطه الحقيق به (فسبحان الذي خلق) وسائر ما يسمونه الاحدى (رجلين مثلا بقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في قامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل عيسى ولا يستطيع به الا قراءة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة لا تغلبه النوم فيعمل هذه الاشكال (فهذه الاشكال) فيذهب به المتعوذون (فاذا تحيل هذه الامور على الصانع طاهر لا يدري ما يقول) فالقول به ناقص كقول من يقول ما ولد (فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم

اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يعمل العداء في جواره ولا بد من أن يجمع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكون مصورا للحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى يكون ملصقا ولا بد من سابع يربي المقدر في الاصلاح ويحق بالمقدر ما يبطل استدارته وبالعريض ما لا يرى عرضه ويحوف ما لا يتبين تحويفه ويحسن على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع ملايين من العداء على ألف بصبي ما اجتمع عن هذه الكثرة ما يتبين تحويفه وتشوهت صورته وخلقته بل يحتاج أن يسوي الى الاحتمال مع رفقها الى الحد فقد جمع صفتين واي الاحتمال مع عدم تبين العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منهما من حيث القدر والشكل والاستدارة صورة والعضلة المعروفة وما بعض المواضع وصغر بعض المواضع ل ولم يراع هذا العدل في القسمة والتقسيط لم يكن يصلح ان يعطى كل جزء قسطه الحقيق به فسبحان الذي خلق وسائر ما يسمونه الاحدى رجلين مثلا بقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في قامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل عيسى ولا يستطيع به الا قراءة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة لا تغلبه النوم فيعمل هذه الاشكال فيذهب به المتعوذون فاذا تحيل هذه الامور على الصانع طاهر لا يدري ما يقول فالقول به ناقص كقول من يقول ما ولد فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم

تستريح وفي العبارة تردد وهم يعبرون اعداء في ما صلن ولا خرلت منهم وذلك في كل جزء من أجزائك التي لا تحصر حتى يستقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركا تفصيل ذلك فلا يحصرون ملائكة السماوية الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش) فانهم اقرب قربهم من النور الاقصى وهم على ترتيب كذلك (والمنعم على جلهم بالتأييد والهداية والمسددة منهم بالتسديد) ملك (لهم القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام) جل شأنه (والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل ملك يحصى من جانب أكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به) فان العراقي في المغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار قال جبريل لخازن الجنان ويحك افتح وفيه حتى أتى على آخره ثم قال افتح الحديث ولهما من حديث أبي هريرة ان لله ملائكة يطوفون في الطرق وللنسائي من حديث ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضها على ابن عبد ياليل فناداني ملك الجبال ان شئت أطبق عليهم الاخشبين الحديث ولهما من حديث أنس ان لله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى البزار في مسند الفردوس من حديث بريدة الاسلمي ما من بيت الا وبحضرته ملك موكل به حتى يخرج منه وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو الحسن الكرابي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف والديلمي من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف ان لله ملائكة يدورون في كل يوم بالعباد زيادة الاسم في عنقها حرس والترمذي وحسنه من حديث بن عباس قالت اليهود بأن نقاتل حربا على الرحى فقال ما لك موكل به أصحاب وأحمد من حديث أبي هريرة يتعاقبون ملائكة في الارض جميع من عند آخرهم حديقة فلان يحفظ ذلك بحفظ وأفرع ماله في حرة حديث ابن مسعود رواه كذلك عبد الرزاق وأحمد وابن حبان والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي وحديث بريدة الاسلمي كما أشار اليه المصنف رمز لذلك بقوله دلائل وحديث بن عباس في الرعد عند الترمذي الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله والصوت الذي تسمعون رجره بالسحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث أمره وحديث أبي هريرة عند مسلم لفظه عند وعند أحمد ما رجل فلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة فلان فحتى ذلك السحاب وفرغ ماءه في حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له عبد الله لم سألتني عن اسمي قال اني سمعت صوتا في السحابة التي هذا ماؤها يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال أما وقلت هذا فاني أنظر الى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثا وأرد فيها ثلثه (فان قلت فهلا وقعت هذه الافعال) كلها (لي ملك واحد ولم افتقر الى سبعة أملاك واحدة) بأن تحتاج الى من يسعر أولا ثم الى من يثير سحابه ويدفع اتصاله بأيهما ثم الى من يصب الماء على ثم الى من يجمعه ثم الى من يفرقه كرات مسدورة ثم الى من يرفقها عما عن يصفها ثم الى من يلصقها بالثور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنة كذلك لا يطلع عليها أحد فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو حد في نفسه ليس فيه تعدد وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد وأيضا لا شركة قوله تعالى) حكاية عنهم

على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جلهم بالتأييد والهداية والمسددة منهم بالتسديد الملك القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل ملك يحصى من جانب أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به فان قلت فهلا وقعت هذه الافعال لي ملك واحد ولم افتقر الى سبعة أملاك واحدة أما تحتاج الى من يسعر أولا ثم الى من يثير سحابه ويدفع اتصاله بأيهما ثم الى من يصب الماء على ثم الى من يجمعه ثم الى من يفرقه كرات مسدورة ثم الى من يرفقها عما عن يصفها ثم الى من يلصقها بالثور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنة كذلك لا يطلع عليها أحد فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو حد في نفسه ليس فيه تعدد وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد وأيضا لا شركة فيه قوله تعالى حكاية عنهم

دوصفه وآياته أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (وما منا إلا له مقام معلوم) أي ذو مقام معلوم لا يتعداه (فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل على منازلهم في تعيين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمهما بل كل واحد منها يدرك ما خص به (وليس شيء منها يدرك ما عداه فتتعطش بالصدع الرجل عطشا صعبا فتزاحم به الشم وقد تضرب عيناه رأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كذلك الإنسان لو حدا له الذي يتولى نفسه الطعم والشم والبصر والسمع) فهو نوع من الموجود (لا نوع من الموجود) أي ذو نوع (عن) طريق (العدل فيه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه فإنه ليس واحد إلى صفة

ولم يكن واحد في العدل

ولذلك ترى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة فإنهم محمولون على عصمة لا يجاز للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يركع منهم ولا يسجد منهم ساجد إلا وهو قائم في أثره لا خلاف في فعلهم ولا فتور وكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا يحال للعصمة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطراف الملك فإنه مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن الجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك وهو يمتثل ويطبق متصلا ما ترتئ فهذا يشبهه من وجه لكن يخالفه من وجه (آخر فإن الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فجعل أعضاءها والملائكة أحياء عالمون بما يفعلون) ولا يلزم من التشبيه بشيء كون المشبه به من سائر الوجوه كما هو المقرر (فإذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة لأنفسهم وسعادتهم وسعادتك الهم فإنك في غرض الأكل فقط دون ما عدا هذه من الحركات والحاجات كلها فإنا لم نطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات الخلق لا يمكن إحصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت تجامع الطبقات وقد سمع الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال) تعالى (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) ففيه تنبيه لأولي الألباب الذين وصل لهم القول لينتبذكروا أن

والملائكة أحياء عالمون بما يفعلون فإذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة لأنفسهم وسعادتهم وسعادتك الهم فإنك في غرض الأكل فقط دون ما عدا هذه من الحركات والحاجات كلها فإنا لم نطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات الخلق لا يمكن إحصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت تجامع الطبقات فقد سمع الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الإثم وباطنه

ترك باطن الاثم كما لا يعرفه الخلق من حسد وسوء الظن وابتدعة واصحاب الشر للناس الى غير ذلك من آثامهم بقلوبهم هو شكر النعم باطنا
وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة قال كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة عين وفى تطريفة عين فتح عينه مثلا حيث تحب غض
بصره فقد كفر كل نعمة تعالى عليه فى السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى

شكر الباطن النعم (وترك الاثم الظاهر الجوارح شكر للنعمة الظاهرة قال كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة عين وفى تطريفة عين فتح عينه مثلا حيث تحب غض بصره فقد كفر كل نعمة تعالى عليه فى السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى

الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات تحمله نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره
به تضاعف نعمة الله تعالى فى كل تطريفة بالحس نعمتين فى عين الحس الذى خلق تحت كل حفن عضلات وهو
وتر وروباط متصل بالعضل الداماغ يتم تحاص الحفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل
اعلم ان منفعة العضل ان الانسان اذا أراد ان يقرب عضو من آخر حرك العضل فتشنجت وزادت فى عرضه
ونقص من طوله وقد أراد ان يبعد حركه فاسترخت وزادت فى طولها ونقص فى عرضها فعضل المقصود
والعضو الذى يحرك عضوا كبيرا يكون كبيرا كالذى فى الفخذ والذى يحرك عضوا صغيرا يكون صغيرا
كالعضلات المحركة للاصبع فانها صغار جدا ويبلغ عددها وعشرون عضلا ثلاثة تحرك الجفن الاعلى
الذى يكون معه الحفن ويتصل بوسط الحفن وهو فقحه والثانية والثالثة موضوعتان فى موق العين
مدوبتان فى صفرتهما وترا هما يتبدان حدقة الحفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما
الحفن وذلك اذا فعل كل منهما فعلها فان بال احدهما آفة انطبق بعض الجفن وبقى باقيه مفتوحا وحدة
وقيل ثنتان وقيل ثلاثة قدام العضل المحرقة التى يكون بها البصر وتشتم حتى لان بهما سبب بهما عند
الحذق الشديد ان تقطع وست عضلات تحرك العين أربعة منها للاستقامة لوحدة قبلها الى دون والاثنتان
حصلها الى أسفل والاثنتان تحركها يمنة ويسرة والاثنتان على الاستدارة لهوه عشرة واحدى
عشرة أو ثنتا عشرة لعين وللاخرى مثلها (وعلى كل جفن شعور سود وهى نعمة تنبت سودها) أى شعر
الاسود (تجمع صوء العين اذا بياض يغرى ضوءه وسواده يجمعه) ولون السود وفق لنور بصره
من السواد (وهى نعمة الله فى ترتيبها وحدها أن يكون ماء الهوام من الذبيب الى باطن العين ومنشئه
للاهداب التى تنابت فى الهواء) فتتعلق به ولا تصل الى الداخل (وله فى كل شعرة منها نعمتان من حيث ان
أصلها ومع اللين قوام نصبها) وله فى مسافات الشعر نعمة أخرى وهو ان بين كل شعرة فاصلا لا تلتزق
مع بعضها (وله فى تنابت الاهداب نعمة أعظم من الكل وهو ان بصر لهوه قد يجمع من فتح العين ولو طبق
لم يبصر فجمع الاجفان مقدار ما تنابت من الاهداب فيعترض دون وراء تنابت الشعر فيكون تنابت الشعر مانعا من
وصول ما قدى من جارح وغيره مما من اعتداد البصر من دخل ثم ان أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف
الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقهما مرة ومرتين وقد تصقلت الحدقة عن الغبار
وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان) وبقيت الحدقة صافية (وانبات الهام كن لحدقته حفن
حلق له بدين) زائدتين (فتراه على اللوام تجمع بهما حدقته ليصقلها عن بصر) وهذا أحسن الوجوه
وقيل انما يفعل ذلك سكونه لم يقع على حديث صلى الله عليه وسلم فهو أعلم بسلم وجهه وبه نصر (وقد

تركا لاستقصاء شاصبر الجم لافتقاره الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب وبعد ما نستأنفه كتابا مقصودا فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق بسميه بحائث صنع الله تعالى فهو جمع أعرض فيه بقول من نظر في غير محرم فذكر بعض النعم التي في الاجسام ولا تقوم الاجسام الا بها وهي اما رأس ولا رأس لا جسم جميع الحيوان ولا حيوان لا بعدها الا الماء والارض والهواء والنار والنعم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك لا ما سموات ولا السموات الا بالملائكة فان كل كائن واحد يرتبط بعضه ببعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد ذكر كل نعمة تعم في الوجود من منتهى الثرى الى منتهى السرى فلم يبق في الملك ولا الملك ولا الحيوان ولا النبات ولا الجماد الا وهو مسوق اليه ورد في الاخبار أن بقعة التي يجتمع فيها بعض ما من تعمهم اذا تفرقوا وتستغفر لهم وكذا ورد ان ما بين العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة بعضهم لبعض لحافظة كثيرة لا يمكن حصرها وكل ذلك اشارة الى أن الله تعالى بنظرة واحدة يحيي على جميع ما في الملك والملكوت ودخول بعضه الآن تبع السيئة الحسنة تمحوها فيستدل للعين بالاستغفار يعني انه أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين لا ومعما كان قد اشكرني على نعمائي قال الملك اللهم زده نعما على نعمائي فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين فريدا فكوني ما شاكرين عن رتبة عبدي الى شكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والشفاع تحميهم والآثار تبكي عليهم وكم لك من أيوب شاكرا ولا تذكرين حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك ما أردى وأني لصباد عمال وشكرهم على وفقهم واتقنهم شكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتعبت بقليل وجازيت عليه بالجزيل وشر لعبيد عبدي من لم يشكرني الا وقت محنته ومن يتقرع بين يدي الا في وقت عقوبته كذا أورده بكماله صاحب القوت (وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج بهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد منفسه لاحترق فلما انقطاع روح الهواء وورده عنه وهلك في اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فكل نفس منهم ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بين في كل جزء من أجزاء العالم فاطرهل يتصور احصاء ذلك أم لا) ولعل القوت يقال ان تحت كل شعرة في جسم الانسان ثلاثمائة وستون

تركا لاستقصاء شاصبر الجم لافتقاره الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب وبعد ما نستأنفه كتابا مقصودا فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق بسميه بحائث صنع الله تعالى) وقد حقق الله تعالى مأموله وبشره بتمامه وقد عده ان سلكي في جملة مؤلفاته كما تقدم ذلك في مقدمة كتاب العلم (فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر في غير محرم وذكر بعض النعم) في حيث لا يحل (نعمة الله تعالى في الاجسام ولا تقوم الاجسام لا بعض ولا بعض الا برأس ولا رأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والنار والنعم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك لا ما سموات ولا السموات الا بالملائكة فان كل كائن واحد يرتبط بعضه ببعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد ذكر كل نعمة تعم في الوجود من منتهى الثرى الى منتهى السرى فلم يبق في الملك ولا الملك ولا الحيوان ولا النبات ولا الجماد الا وهو مسوق اليه ورد في الاخبار أن بقعة التي يجتمع فيها بعض ما من تعمهم اذا تفرقوا وتستغفر لهم) وكذا ورد ان ما بين العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) تقدم في كتاب العلم (وان الملائكة بعضهم لبعض لحافظة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ان الملائكة تتلقى أحدكم اذا أشار لأخيه بحديدة وان كان أخاه لابيه وأمه اهـ وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية (في أوساط كثيرة لا يمكن حصرها وكل ذلك اشارة الى أن الله تعالى بنظرة واحدة يحيي على جميع ما في الملك والملكوت ودخول بعضه الآن تبع السيئة الحسنة تمحوها) كما ورد ذلك في حديث أبي ذر واتبع السيئة الحسنة تمحها (فيستدل للعين بالاستغفار يعني الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه) فعله بكرمه وورد في بعض الاخبار (أوحى الله الى أيوب عليه السلام يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين الا ومعما كان قد اشكرني على نعمائي قال الملك اللهم زده نعما على نعمائي فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين فريدا) وردهم شكرا وردهم من نعمه (فكوني ما شاكرين يا أيوب (على رتبة عبدي الى أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والشفاع تحميهم والآثار تبكي عليهم) وكم لي من أيوب شاكرا ولا تذكرين ولا تشكرني حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك ما أردى وأني لصباد عمال وشكرهم على وفقهم واتقنهم شكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتعبت بقليل وجازيت عليه بالجزيل وشر لعبيد عبدي من لم يشكرني الا وقت محنته ومن يتقرع بين يدي الا في وقت عقوبته كذا أورده بكماله صاحب القوت (وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج بهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد منفسه لاحترق فلما انقطاع روح الهواء وورده عنه وهلك في اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فكل نفس منهم ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بين في كل جزء من أجزاء العالم فاطرهل يتصور احصاء ذلك أم لا

ولما كشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال يا رب كيف أشكرك وذلك في كل شعرة من جسدي نعمتان لي لبتت أصلها وان حمست رأسها وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعمة الله إلى مطعمه ومشربه تقلق عليه وحصر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب وما عدا ما هو من النعم به فان بصيرة لا تقع عليه في العالم عن شيء ولا يلم خاطره بوجود لا

وستون مفصلا وكذلك بعظام وفي كل طرفة نعمتان وفي كل نفس نعمتان وفي كل دقيقة تأتي عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثنى عشر جزأ من شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزأ من حبة الاهليلج أو بضعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة (ولما كشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال يا رب كيف أشكرك وذلك في كل شعرة من جسدي نعمتان لو نبتت أصلها وان حمست رأسها) قاله صاحب القوت (وكذلك ورد في الأثر من لم يعرف نعم الله) عليه (الا في مطعمه ومشربه تقلق عليه وحصر عذابه) قاله صاحب القوت وهو في خلاصة من قول أبي الدرداء رواه من طريق أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال قال أبو الدرداء من لم يعرف نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشربه تقلق عليه وحصر عذابه ومن لم يكن عيشه الذي يأكل منه الا بالله قال صاحب القوت ويقال ان في بطن الجسم من اسم جسمه أضعاف النعم التي في ظهره وان في القلب من النعم أضعاف ما في الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله والعمل بما يقرب أضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم متتابعة على نعم مترادفة لا تحصيها لأنس تعرفها ولا يحيط لأنس بحقيقتها ويعلم من حقق وهو الغائب الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والناس يذكرون دخول ذلك وخروجه وكثرة تكريره وتردده بأن أدخل مهنأه وأخرج داءه وبقي في الجسم قوته ويسر مدخله ويسر مخرجه وفي منفعته وما حال من صورته وغير من صفته لتعديد والنعم والاعتبار والتذكرة وتبقى أن النعم (وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب وما عدا ما هو من النعم به فان بصيرة لا تقع عليه في شيء ولا يلم خاطره بوجود الا ولا يتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلتركه الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع) والله التوفيق

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

(اعلم) هداك الله تعالى (انه لم يقصر الخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة لا بعد معرفتها) فمن لم يعرفها كيف يقوم بشكرها والشكر فرع المعرفة فالجاهل بالنعمة من لم يعرفها والذاهل بالشكر عنها هو الذي لم يشكر فالقاصر عن المزيد هو الذي لم يعرف والمحروم الذي عرف ولم يشكر فقصارى ما ادعى وصاحب لم يشكر النعم لجهله بها أكثر ممن كثرها أو تركه العذاب الشديد الا بترك نعمة من ربه (ثم انهم ان عرفوا نعمة صاروا الى شكر عليها) بمجرد (أن يقول بلسانه الحمد لله شكرته) من غير فهم معنى ما يقول (ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يتم الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا بغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم يعدون ما بهم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به ولا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أنحبس عنهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا وحسوا في بيت حام فيه هواء حار) ولا سقاه له (أو في تركيبه هو منقل برطوبة الماء ماتوا عطاشا فلا يرى واحد منهم شيئا من ذلك ثم يحار عما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أنحبس عنهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا وحسوا في بيت حام فيه هواء حار أو في تركيبه هو منقل برطوبة الماء ماتوا عطاشا فلا يرى واحد منهم شيئا من ذلك ثم يحار عما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال واسعة في جميع الاحوال أولى بان تشكر في بعضها فلا ترى الصبر يشكر بحمده بصره لا أن تعمى عينه فعدد ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده نعمة وان كانت رحمة الله واسعة تعم الخلق وبدل لهم في جميع الاحوال فلم يعدها الجاهل نعمة وهذا الحاهل مثل لعبد سوء لحفه ب بصر ند فحتى د ترك صربه ساعة تقلديه منقال ترك صربه على له وام عليه سطار وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا بدل الذي نظرن لاختصاص ابيه من حيث الكثرة والقلة و بسوس جميع نعم الله تعالى عليهم كاشكا بعضهم فقره في بعض ذوب (١٣٠) وظهر شدة عند معه فقال له أبسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال

أبسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أبسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا فقال أبسرك انك مجذوم ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك ستمائة ألف درهم وتشكو خمسين ألفا وشكر بعض الفقراء عند بعض الاغنياء حتى تصدق به عليه درهما فسرأى في المنام كان قائلا يقول له ورد ذكر أبيك من القرآن سورة لا نعلمها فقال لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سورا ثم قال فعندك خمسمائة ألف دينار قال لا قال فما تبقى قال أعطيت ولدي وزوجتي وأخي وأختي وأمي وأبي وبقي لي ثلاثة دراهم فقال لا تفرح بذلك لا يساوي

(نعمه) وشكر (ثم ترد عليهم في بعض الاحوال واسعة في جميع الاحوال أولى بان تشكر من نعمة في بعضها فلا ترى الصبر يشكر بحمده بصره لي ان تعمى عينه فعدد ذلك لو أعيد عليه) ثوبه (أحس به وشكره وعده نعمة وان كانت رحمة الله واسعة تعم الخلق) وتدل من اسعة وتعموم من مقتضيات هذه الصفة (وبدل لهم في جميع الاحوال فلم يعدها الجاهل مثل لعبد السوء (لحفه بصر ند فحتى) فحاسه سره في أمره ونهيه (حتى د ترك صربه ساعة تقلديه منقال ترك صربه على له وام عليه سطار وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا بدل الذي نظرن الاختصاص ابيه من حيث الكثرة والقلة وبسوس جميع نعم الله تعالى عليهم كاشكا بعضهم فقره الى بعض ذوب فظهر شدة عند معه) وتعالى الله عن ذلك (فقال له أبسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أبسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أبسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا فقال أبسرك انك مجذوم ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك ستمائة ألف درهم وتشكو خمسين ألفا) قال صاحب القوت وهذا كما قال لان في كل نعمة من هذه الاشياء من الجوارح وغيرها من الاعضاء والاعراض جوارح لو فقدت (وحكى ان بعض الفقراء) أي علمائهم واعلمهم (وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض الفقراء مر بين (الشدة به فقر حتى) أحرجه و (صدق به درهما) قال (فرأى في المنام كان قائلا يقول له ورد ذكر أبيك من القرآن سورة لا نعلمها فقال لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سورا ثم قال فعندك ستمائة ألف درهم قال لا قال فما تبقى قال أعطيت ولدي وزوجتي وأخي وأختي وأمي وأبي وبقي لي ثلاثة دراهم فقال لا تفرح بذلك لا يساوي

شربه ماء وجد تبين ان نعمة الله به علي اعدد على شربه عند بعض الناس من مثل ه رض كهذا وان كانت نصب عينيه اذا عدد النعمة الخاصة بعمه دون العامة وقد ذكر النعم العامة) المعدودة للخلق كلهم (فعد كرامة وخيرة والنعم الخاصة فتقول ما من عبد الا ولو أمعن النظر في أحواله) وتأمل صفي صبره (رأى من الله له نعمة ونعما كثيرة تخصه لا يشركه فيها الناس كافة بل يشركه عدد يسير من الناس ورعا) يتفق به (لا يشركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم من عقل ما من عبد الله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله بعقداده عقل الناس و) ذا (ما يسئل الله عقل) وما اعلم (أن من شرف العقل أن يستحي صاحبه أن يشكره لانه

ادا

ن كان كذلك فانه يشكر واجب عليه وان لم يكن واجبا عليه فانه يشكره بعضهم في حقه من وضع كبر تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان أحدا لا يكره من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره له في حقه كما بقي وأما الخلق فما من عبد الا وهو يرى من غيره عيوبا يكرهها ويكون خلافا لما يحبها وما يذمها من حيث يرى نفسه يريد أن يشكره على ذلك وهو لا يشعر بذم الغير فيبقى أن يشتغل بشكر الله تعالى اذ حس بخير فيه واتى غيره بالخلق سيئ وأما بقية من أحد لا يعرف من خواص أمور نفسه وخصائص فكاره (٣١) ما هو مستردية ولو كشف الغطاء حتى

اطلع عليه أحد من الخلق لاستحيا وكيف لو اطلع الناس كافة فان أكثر عبد عيبا من خواص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه ساويه الظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص عيبه حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلنزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى ثم منها قليلا فقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو تخصيصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو جاهه أو في سائر محابه أمورا لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيوانا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها

ده كان كذلك) في حقيقة الامر (فانه يشكر واجب عليه وان لم يكن) كذلك (ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كبر تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان أحدا لا يكره من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره له في حقه كما بقي) وكذلك العاقل فانه يعرف الامور على ما هي عليه (وأما الخلق فما من عبد الا وهو يرى من غيره عيوبا يكرهها ويكون خلافا لما يحبها ويذمها من حيث يرى نفسه يريد أن يشكره على ذلك وهو لا يشعر بذم الغير فيبقى أن يشتغل بشكر الله تعالى اذا حس بخير في حقه وفي غيره بخلق سيئ) فانه يعلم أن كل ما وجد في العالم نعما عليك مثل ما وجد في الناس لان الناس كنفس واحدة وشخص واحد فقد رحمت بأن من أحسن الخلق فذلك من فضل الله عليك (وأما ما يعرف من أحد من خواص أموره ونفسه وحده وأفكاره ما هو مستردية ولو كشف الغطاء) بل الخلق (حتى اطلع عليه أحد من الخلق لاستحيا) حاله عبده (فكيف لو اطلع الناس كافة فما من عبد الا وله عيب خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه ساويه الظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص عيبه حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلنزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى ثم منها قليلا فقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو تخصيصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو جاهه أو في سائر محابه أمورا (لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيوانا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها

عموم أصناف هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها له في أمور لا يبدلها بهذه الاحوال الا قليل أو يصور ذلك ما أن يكون بحيث لا يبدل بما خص به أحد من الخلق ولا يبدله بما خص به لا كثيرا ما كان لا يبدل حال عيبه وما به أحس من حال غيره وما كان لا يعرف شخص يرتضي بحاله بدلا عن حال نفسه اما في حاله واما في أمر خاص وما شاء الله تعالى نعم يشتهي له على أحد من عباده سواء وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليتصور الى عدد معدود طين عنده فانه لا يحتاج بما هم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه وما بالله يعطر الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا يعطر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما بالله لا يسوى

(دنياه عند الله أليس اذا لامنه نفسه) هو (اذا لامته نفسه) وعاتبته (على حسنة يعرفها يعتذر اليها بان فى نفسه كثرة فينظر أحدا فى الدين الى من دونه) لا الى من فوقه فلا يكون نظره فى الدنيا كذلك فقد كان حال أكثر الخلق فى الدين خيرا من حال أكثر الخلق فى الدنيا خير منه وحاله فى الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق وكيف لا يلزمه الشكر) وفى القوت وفى الشكر مقامان عن مشاهدين أحدهما الذى يشكر على انكاره والثانى ان ينظر الى من هو دونه من فضل هو عليه فى أمور الدنيا وفى حوال الدين فيعلم نعمة الله عليه بسلامة قلبه وعافيته مما ابتلى الآخرين ويعلم نعمة الدنيا على ما أعطاه الله وكفاه مما أطوح اليه وألحاه فيشكر على ذلك ثم ينظر الى من هو فوقه فى الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان ويحسن اليقين فيحقر نفسه ويرى عجزه وتقصيره فى منازل من هو فوقه فيرغب فيما هناك فكان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم الممدوحين (وإذا كان صلى الله عليه وسلم ينظر الى من هو دونه وفى الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر فى الدين الى من هو دونه وفى الدين الى من هو فوقه لم يكتبه الله لا صابرا ولا شاكرا) قال العراقى رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه المثنى ابن الصباح ضعيف انتهى قلت ورواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث أنس الكن قال عقيبه لا يروى عن أنس الا بهذا الاسناد تفرد به المثنى وهو ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى هريرة بلفظ انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم أما الحارث فرواه من طريق الاعرج والقوت من طريق همام وأبى صالح كلهم عن أبى هريرة وفى بعضها ما يدل على أن الحديث قدسى ولفظه عن أبى هريرة قال قال الله تعالى اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه ولا أحد وان حسن فى عينه حديث عن أبى ذر أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم ان أنظر الى من هو دونى ولا أنظر الى من هو فوقى وعند ذلك قال وفى اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو دونه فى المال والخلق (فقد نال من اعتبر حال نفسه ونفس عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك والدليل قيل

من شاء عيشا رحيبا يستطيبه ✽ فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ورعا ✽ وليعترن الى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بما آتاه الله فلا أعطاه الله وهذا وعيد لمن لم يستغن بالله وقال عليه الصلاة والسلام ان القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال عليه السلام كفى بالمرء

وقال القرآن هو حق اليقين (وقال بعض السلف يقول الله تعالى لي عبدا أنعمت عليه فلم يعرفني أنعمت عليه نعمتي عن ملذات دنياه وعمائي بدنجيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا ما الغانيات برزن يوما * كفى الاعمى ولام الخرق أن يرق

عبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما أغفل الناس كلهم وجدتهم (١٣٣) يشكون يتألمون من أمور وراء هذه الثلاثة مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمه الله عليهم في الاعمال الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم فبصير ينبغي أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان لان نعيم علمائه من لو سلم جميع ما دخل تحت قدرة مسئول الارض من المشرق الى المغرب من أموال واتباع وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك (لن عن عشر عشر علمك لم يرضه) ولم يقبله (وذلك لان بقاء نعمة العلم يقضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة) وما ذكر في عوضه فجاز ولا قرب له الى جوار الله تعالى (لن لو دل له الذي في الآخرة ما ترجوه بكله هذه الدنيا لم يرضه) الذي دلت عليه الدنيا وفرحت به لكان لا يحسبه شيئا يعم دائما لا تنقطع ونعيم لا تنفد ولا تعصب ولا يشوبها ما يكدرها ولا آفة تعرضها ولا ألم يعتريها ولا فرح تعقبها ولا حزن تتبعها ولا كدورة تمازجها ولا نقصة تكدرها ولا مشوشة لا يبقى مرجوها ولا مخوفها ولا ألمها يعتريها ولا فرحها تعقبها) فيها ان حزت وحلت وحلت أو حلت أو كنت أو كنت (هكذا روى) من أول برهة (الى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان) ودار الدنيا (اذا حققت الدنيا لاطلب من العقول ما يقصه وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بما أنت عليها) واستعبدت (فهي) كالمرأة الجميلة ظاهرها تزين للشاب الشبق) الكثير الشهوة (الغبي) الغافل عن العواقب (حتى اذا تقيدها قلبه) وعلق بها باطنه (استعبدت عليه) وتحكمت (واختصت عقله) ولم تو صله (فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك لاغترار لذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وعض بصره واستبان بذلك لذة سلم جميع عمره) في عمله وعرضه وجسده (فهكذا وقعة أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها) وخدعها (ولا ينبغي ان تقول ان المعرض عن الدنيا مستو هو والمصر عليها فان قيل عليها أيضا مستو هو والمصر عليها) في (تحصيلها وتحصينها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض عنها وتألمه (يفضي الى لذة في الآخرة) وهي الفرق من حور الله تعالى (وتألم المقبل عليها (يفضي الى ألم في

هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان وما حققت الدنيا لاحد من العقول ما يقصه وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها أنت عليها واستعبدت كالمرأة الجميلة ظاهرها تزين للشاب الشبق يعني حتى اذا قيدتها قلبه استعبدت عليه واختصت عقله ولا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك لاغترار لذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وعض بصره واستبان بذلك لذة سلم جميع عمره فهكذا وقعة أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن تقول ان المعرض عن الدنيا مستو هو والمصر عليها فان قيل عليها أيضا مستو هو والمصر عليها وتحصيلها وحفظها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يفضي الى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي الى الام في

الآخرة) وهو البعد عن حوار الله تعالى (فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا) أى لا تضعفوا (فى اتباع القوم) أى طلبهم ومقاتلتهم لا علاء كلمة الحق (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) وهو شارة الآية الثالثة للمدة (وقد جعلها الله طريقا لشكر على خلق خيلهم نصروا لنصر الظاهرة والباطنة الحاصة والعامة) وبالجملة فهذا طريق لشكر جزموا طريق لم يريدوا وزنهم ذلك انتقاصا أبدا (فان عالجت فعلاج هذه القلوب العاقة حتى تشعر نعم الله تعالى فعساها تشكر فأقول أما القلوب الصغيرة فعلاجها أن تأمل فيما ربما به من أصناف نعم الله تعالى عليه) لتدوله على الحق (وأما القلوب) الجامدة (البليدة التى لا تعد النعمة نعمة الا عند خصوصية) أو تعرية بلاء فعلاجها أن ينظر الى من هو دونه) فى أمور الدنيا (و يتفكر فيما كان يفعله بعض السادة (الصوفية اذا كان يحصر كل يوم دار المرضى) وهى المارستان (و بقية المواضع التى تقام فيها الحدود) الشرعية (وكان يحصر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل فى صحته وسلامته) من تلك البلايا (و يشعر قلبه نعمة الصحة عند شعوره بلاء الامراض و) كان يحصر المواضع التى تقام فيها الحدود (يشاهد الجناة) هم يجنون على أنفسهم (الذين يقطعون) فصاصا (وتقطع أطرافهم) فى السرقة (و يعذبون بأنواع العذاب) فى الحد خمر والقذف وغير ذلك (ومن طريق السياسة (اشكر الله تعالى على صحته) وحفظه (من الجنايات) الشرعية (ومن تلك العقوبات و يشكر الله تعالى على نعمة الامن) حيث لا بطالته أحد منهم (ودمة أو غير ذلك (و) كان (يحضر المقابر فيعلم ان أحب شىء فى الموتى ان يردوا الى الدنيا يوما واحدا) كما ورد ذلك فى الاخبار (أما من عصى الله فليتدارك ما فرط فى عمره قبل ان يرد الى الله فيرد فى عذابه ويوم فيه هو (يوم تنعدم) كما سماه الله تعالى فى كتابه ذلك يوم تنعدم (فالمطيع محبوب ذرى جزاء طاعته ويقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعلم عسى) وحسرتى (اذ ضيعت بعض الاوقات فى المباحات وأما العاصى فخيبته ظاهر) يرى غيره يحسن الجزاء على أعماله وهذا قد ضيع عمره فى البطالة والعصيان فلا أعس منه (فاذا شاهد المقابر وعلم ان أحب الاشياء اليهم ان يكون لهم من العمر ما يتزودون به لمعادهم (أى الى أصحاب المقابر (ما يكون قد بقى لهم من العمر ما يتزود له فيصرف بقية العمر الى ما ينبغى أهل القبور) الى القبور (لاجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى فى بقية العمر ان فى أى مهال فى نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما يحق لاجله وهو التزود لدار الآخرة) كما هو حقيقة الشكر عند العارفين (فهذا علاج هذه القلوب العاقة لتشعر نعم الله تعالى فعساها تشكر وكان ابو يعقوب النهرجورى الكوفى الصوفى رحمه الله (مع تمام علمه واستغنائه بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة) الحاصلة له (فكان قد حفر فى داره قبرا وكان يضع علاقى عنقه و ينام فى لحده ثم يقول) هذه الآية (ربنا ارجعون لعلى أعمل صالحا ثم يقوم و يقول) يا أبا يعقوب قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وعن يسعى أن تعالج به

القلوب

العود لاجله ليكون ذلك معرفة نعم الله تعالى فى بقية العمر بل الانفاس فى كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر الى ما يحق لاجله وهو التزود لدار الآخرة فهذا علاج هذه القلوب العاقة لتشعر نعم الله تعالى فعساها تشكر وقد كان ابو يعقوب النهرجورى مع تمام استغنائه بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة فكان قد حفر فى داره قبرا وكان يضع علاقى عنقه و ينام فى لحده ثم يقول ربنا ارجعون لعلى أعمل صالحا ثم يقوم و يقول يا أبا يعقوب قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وعن يسعى أن تعالج به

القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف النعمة ادام تشكر والشؤم تعدولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول عليكم بلازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض اسلف البصرة وجدت بقية وهي الشكر وفي الخبر ما عمت نعمة الله على عبد فلم يعرف حق الله فيها الا كثرت حوائج الناس اليه فمن لم يقم لها عرضها للزوال وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ثم هذا الركن

(الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما اشتركا فيه الصبر (١٣٥) والشكر وارتباط أحدهما بالآخر)

القلوب بعيدة عن الشكر ان عرف ان النعمة اذا لم يشكر والشؤم تعدو لذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عليكم بلازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم) قلت حسب (وقال بعض اسلاف البصرة وجدت بقيدوها بالشكر) قلت حسب (وفي الخبر ما عمت نعمة الله على عبد فلم يعرف حق الله فيها الا كثرت حوائج الناس اليه فمن لم يقم لها عرضها للزوال) قال العراقي رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ دون قوله فمن لم يقم لها الخ وروى الطبراني في مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس وقد تقدم موضوع على شرح لا عور انتهى قلت حديث معاذ رواه أيضا أبو سعيد الحسن في مشيخته وأبو اسحق المستملي في معجمه والبيهقي وضعفوا الحديث وان الحمل فيه أحد رواة معاذ دون قوله فمن لم يقم الخ وحديث الذين يقومون رواه الشيرازي في الالقاب عن عمر بن الخطاب موقوفا ورواه ابن أبي الدنيا في شكر الحوائج من حديث عائشة بنحوه الا انه دون عليه موقوفا ورواه الديلمي وقد تقدم في كلام المصنف عند قوله وتقدم الكلام عليه هناك فراجعه (وقال الله سبحانه وتعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروا هم بتبديل الشكر فيها بضده وقيل لا يغير ما بهم من عافية حتى يغيروا ما بانفسهم بالتوبة فذكر ذلك السبب الاول من حكمه ثم ذكر سببا ثانيا من حكمته وهو مسبب الاسباب بمشيئته وحكمته (فهذا تمام هذا الركن) الثاني وهو بديع

(الركن الثاني) (من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر وارتباط أحدهما بالآخر)

(بيان حقيقة اجتماع الصبر والشكر على شئ واحد)

(اعلم) أيها السائل (ان قولنا في معنى الصبر كما ذكرناه في اسم اشارة الى ان الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر على ما لا وجود له وان كان البلاء موجودا فكيف يدعى ان الشكر عن البلاء وكيف تتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه وما الصبر عليه وما الشكر يدعى انهما واجبان فما وجههما يتضادان) وكيف يجتمعان (فما معنى ما ذكرتموه من ان الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده وعلم ان البلاء موجود فكيف النعمة موجودة والقول بإثبات النعمة يوجب القول بان البلاء عدم والقول بإثبات البلاء يوجب القول بان البلاء عدم متضادان فكيف يقعد البلاء نعمة وقد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة وكسعادة من سعد بالجنة (والقرب من الله تعالى وأما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق ومايعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه) آخر وقد عدمن الخير والتوسعة (وكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فبعد من الله تعالى دائمة) من النار (وأما المقيد في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق وأما) البلاء (المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا شكر أعلى النعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤمر بالصبر عليه فان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذلك المعصية بل حق الكافر

بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق ومايعين عليهما وهي نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فبعد من الله تعالى دائمة وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا شكر أعلى النعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤمر بالصبر عليه فان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر

أن يترك كفره وكذا حتى انه صبي تعلم الكفر فمادام لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتم بها فلا صبر عليه والعاصي يعرف به عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه ولا يؤمر بالصبر عليه ولو ترك الانسان المأمور به مع طول العطش حتى عظم ألمه ولا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بدفع الالم وانما الصبر على أمر ليس للعبد أن يتركه فاذا رجع الصبر الى ما ليس ببلاء مطلق فلا يجوز أن يكون الصبر على بلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فاذا كان كذلك يصح أن يجتمع عليه وصفه بالصبر وبالشكر فان العبد لا يجوز أن يكون سبب هلاك نفسه حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده (والصحة يصح كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية لا يجوز أن تصير بلاء لكن لا على وجه يلزم منه كفر العبد (فلا يجوز أن يكون بلاء مطلقا بل يكون نعمة من وجه بلاء من وجه فيكون مأمورا بالصبر عليه وبالشكر عليه وكذلك ما من بلاء الا ويصح أن يكون سببا لنعمة في الآخرة وكذلك ما من نعمة الا ويصح أن يكون سببا لبلاء في الآخرة لكن لا على وجه يلزم منه كفر العبد (فلا يجوز أن يصير نعمة محضة لا يصح عليه الصبر ولا بلاء محضا لا يصح عليه الشكر (ولا يجوز أن يكون سبب هلاك العبد حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده) والصحة يصح كذلك (فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية لا يجوز أن تصير بلاء لكن لا على وجه يلزم منه كفر العبد (فلا يجوز أن يكون بلاء محضا لا يصح عليه الشكر (من البلاء التي تقصد العبد (فلا يجوز أن يكون بلاء محضا لا يصح عليه الشكر بحال من الاحوال (كالمرض الذي يقصد به العبد ليكون سببا لاجره في الآخرة ولو صح بدنه وكثر ماله لصار طاغيا (ويجوز أن يكون بلاء من وجه نعمة من وجه (قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) ولكن يترك بقدر ما يشاء (وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فمن بطنه ان يجوع لاستغناه (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه) الطعام والشراب خوفا عليه رواه أحمد وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد وقد يكون الحمى مرض يصيب البطن من كثرة الطعام والشراب خوفا عليه رواه كذلك الحاكم من حديث أنس وروى البيهقي من حديث أنس ان الله يحمي المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه فقد اتفق على صحة هذا الحديث وقد تقدم (وكذلك ابن حبان من حديث أبي هريرة وروى الترمذي وابن ماجه في الشواب والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن عساكر من حديث جابر ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحميه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام وقد تقدم (وكذلك ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي سعيد وابن عساكر من حديث أبي أمامة وابن عساكر من حديث أبي الدرداء ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحب

ومنها إلهام الله تعالى أمر القيامة وإلهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإلهامه بعض الكائنات فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعينا على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فتكليف في العلم وحيث عدت الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حسن وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن الا الآلام التي يحاقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها صرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بسرور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى الزينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون

بقدرته وعزته عن الأبصار ولو ظهر للعباد لعيان لاحترقت معاصيهم كما تحترق السيئات بالحسنات فلم يكونوا يتعاصون من المعاصي لمكان هيبته عليهم حياء بحضرته ولأنه تعالى كما يظهر بوصف لا يشاهدون معه من المعاصي وقوله هذا سائر بعيوب الآدميين أنهم كانوا يكفرون بالمواجهة لاشتمال حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم في الإيمان من عظيم درجات مالهم الآن لأنهم حينئذ يؤمنون بالمشاهدة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت بهم الدرجات بحق اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم والنعمة الثانية إخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لأنهم لو رأوا عجب وصلاح العبيد واستقامة العباد لدين ولو صورت لهم لكانت حجابهم الصغائر كالكبائر مع معاينة الآيات والمواعيد لهم على أعمالهم الحسان كما صارت الآن الإيمان بالغيب والنعمة الثالثة تغييب الآجال عنهم إذ لو علموا أنهم إنما كانوا يرددون ولا يستوفون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان ذلك مع علمهم بالآجال أشد مطالبة لهم ورفع للحجة عليهم وأخفى ذلك عنهم رحمة بهم من حيث لا يعلمون وستر عيوبهم ونظرا إليهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من لطائف النعم تحويل ستره بهم حتى بعضهم عن بعض وستره عند ملائكته والصالحين ولولا ذلك لما تسروا إليهم ثم تحت الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه بفعل ثواب المحسنين إليهم ولحرم قبول حسناتهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين بهم في بحبذلك وستر ما عمل العاملون لهم في حيرة الشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب وراء حجاب الغيب وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجلين قدرهم في سترهم ذلك نعمة على الصالحين في عمومهم من ملامة ذميهم وقلة فتنتهم وتعجيل إلى انتهاكهم لحرمتهم الصغائر لأن الله تعالى أجلهم إذا كانوا سادرا إليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من ألطف النعم الذي لو هتك لحجبه الحجاب يقول الله تعالى من آذى وليا فقد بارزني بالمحاربة فإن الله تعالى لولي يكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته فيبين أن يحجره الله ورسوله والله تعالى لا يكون وزره وزر من انتهك حرمتي فذكان أعلمه به نبي الله لعظيم حرمة أوليائه وروينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف في معنى هذه النعم التي أوجبت الشكر في الخواتم قال إن الله تعالى خاطلا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا لعل رضاه فيه وستر سخطه في معصيته فلا تحقروا منها شيئا لعل سخطه فيه وستر رضاه في عباده المؤمنين فلا تحقروا منهم أحدا لعل الله عز وجل اه (ومنها إلهام الله تعالى أمر القيامة) متى تقوم (وإلهامه ليلة القدر) في أي ليلة من ليالي شهر رمضان (وإلهامه ساعة الجمعة) التي لا يوافقها عبد مسلم ودعا الله شيئا إلا استجيب له (وإلهامه بعض الكائنات) كما تقدم ذلك في كتاب التوبة (فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعينا على الطلب والاجتهاد) ويشير بهذا إلى ما ذكره الصلاة الوسطى فإن الله تعالى أخفاها كذلك لطاعاته ونعمة لتوفير الدواعي على الاجتهاد (فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فتكليف في العلم وحيث عدت الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حسن) لا محالة فيه (وذلك مطرد في حق كل أحد) أطرادا شائعا (ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يحاقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته) بالنار وأسيلج (فإنه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد) وهو نصف مصراع بيت (ولولا أن الله خلق العذاب وعذب به طائفة) من العباد (لما عرف المنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها صرح أهل الجنة عما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار) وسمعوا تصاعيهم فيها فيحمدون الله تعالى على ما هم فيه من النعيم ويشتد فرحهم (أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بسرور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبذولة) ولا يصور تقعر كذلك (ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى الزينة السماء) الدنيا (وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون

في عمارته ولكن زينة السماء لما عمتهم بشعورهم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيأ الا وفيه حكمة ولا خلق شيأ الا وفيه نعمة اما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى بلاء نعمة أيضا اما على المبتلى أو على غيره استحال فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فتجتمع فيها على العبد طريقتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح قلت (نعم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها * أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها اذ مقدور الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها اذا كان برده ويحمزه فليشكر اذ لم تكن أعظم منها اذ الذي به كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه دخل اللص بيتي وأخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن أعظم منه واذ لم أحرم الرضا به واذ أرجو الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان وأرسل اليه يعلمه ويشكو اليه فقال له اشكر الله تعالى فصبر فأرسل اليه يعلمه ويشكو اليه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي فحبس عنده وكان معاونا فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسي وأرسل اليه وقال اشكر الله فكان المجوسي يحتاج الى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله وقال الى متى هذا أي بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطك على وسطك

(في عمارته) وترتيبه (ولكن زينة السماء لما عمت) على الخلق (لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيأ الا وفيه حكمة) اما ظاهرة واما باطنة (ولا خلق شيأ الا وفيه نعمة اما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى بلاء نعمة أيضا اما على المبتلى) به (أو على غير المبتلى فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فتجتمع فيها على العبد طريقتان الصبر والشكر جميعا فهذا وجه اجتماعهما في محل واحد (فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح قلت نعم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور) ولفظ القوت ويقال ما من مصيبة الا ولله تعالى فيها حسن نعم اه (ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها أحدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها اذ مقدور الله لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها اذا كان برده ويحمزه) عن ذلك (فليشكر اذ لم تكن أعظم منها اذ الذي به كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه) حكى انه (قال رجل لسهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى (دخل اللص بيتي وأخذ متاعي) فقال له على وجه التذكير لما دون ذلك من البلايا (اشكر الله لو دخل) اللص الذي هو (الشيطان فسلب توحيدك) عليك (بتوحيدك اذا كنت تصنع) عرفه بذلك رعاية الله عليه فيما عرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه فان بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا أورده القشيري في الرسالة (ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني) أي لانها أعظم من مصيبة الدنيا (وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا وكان لله تعالى علي فيه أربع نعم) أولها (اذ) لم يكن ذلك البلاء (في ديني و) الثانية (اذ لم يكن أعظم منه و) ثالثة (اذ أحرم الرضا به و) رابعة (اذ أرجو الثواب عليه و) قيل (كان لبعض أرباب القلوب صديق) له تعلق بكتب عليه أو غيره (فحبسه السلطان فأرسل اليه) أي الى صاحبه بذلك (فقال) له صاحبه أي كتب اليه (اشكر الله تعالى وصبر به) السلطان (فكتب اليه يعلمه) (فقال) أي فكتب اليه (اشكر الله تعالى على) (فجيء بالمجوسي فحبس عنده وكان معاونا فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل هذا) (فجاء رجل المجوسي) بحيث لا يمشي أحدهما الا يمشي الآخر (فأرسل اليه) يعلمه (فقال) أي فكتب اليه في الجواب (اشكر الله تعالى فكان المجوسي يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته) لبيت الخلاء (مرات) عديدة بالليل (وهو) أي هذا الصديق (يحتاج ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته) ثم يرجعا مكانهما (فكتب اليه بذلك فقال) أي فكتب اليه في الجواب (اشكر الله تعالى فكتب اليه) الى متى (تقول (هذا) يعني قولك اشكر الله (أي بلاء أعظم من هذا) فقال) أي فكتب اليه يقول (لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك) كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك وانما ذكر الزنار علامة للشرك (فاذا كنت تصنع) بهذا ذلك يعني انه ما من بلاء الا وفوقه ما هو أعظم منه من بلايا الدين والدنيا وعلى ان كل ذلك قصاصه وقدره وقد سلمك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك أورده القشيري في الرسالة وفي القوت

و ـــ ذلك

فاذا مامن انسان قد أصيب ببلاء الاولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا وباطنا فى حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك أن يصبر لك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فقرنت احداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ فى شارع فصب على رأسه مشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أنتظر ان تصب على السطوح فاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم لاتخرج فى الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الخير * قال قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفر فاعلم ان الكافر قد نجى له ماهو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وأما المعاصى فان أين تعلم ان فى العالم من هو أعصى منه ورب ظاهر اسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته أعظم وأظلم من شرب الخمر والربا وسائر المعاصى بالجوارح وذلك قول تعالى فى مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم ان عبدا أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لاتشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث فى الشكر وهو انه مامن عقوبة الا

وكذلك اذا رأيت مبتلى فى دينه نصحت له فقلبى أوجب نفسه بأخلاق المتكبرين أو مهمكا فيما عليه من فعل الفاحشين عددت ذلك جميع ذلك معاصى من الله تعالى اذ لم يجعلك كذلك لانك قد كنت أشد حالا لولا فضل الله عليك ورحمته فتصب كل ماوجه الى غيرك من الشر وتصرف عنه من الخير وجه عليك بمثل ماوجه به من الخير اليك وصرف من الشر عنك لان النفوس كلها واحدة فى الامر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقد رحمك بما صرف من السوء عنك فذلك من نعم الله عليك (هذا مامن انسان قد أصيب ببلاء الاولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا وباطنا فى حق مولاه لكان يرى به يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يصبر لك مائة سوط فاقتصر على عشرة) مثلا (فهو مستحق للشكر) كذا (من استحق عليك أن يقطع يديك) جميعا (فقرنت احداهما فهو مستحق للشكر) وذلك من بعض الشيوخ فى شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر) ولم يغير حاله الذى كان عليه (فقيل له) أى قال له بعض الذين شاهدوا ذلك منه (ماهذه السجدة) فى هذه الحالة (فقال كنت أنتظر ان تصب على السطوح فالاقتصار على الرمادة) هذا من اعترافه بنعم الله حيث جعل مصابه دعليه مصائب الذى كان يستحقها (وقيل لبعضهم لاتخرج للاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الخير * قال قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفر فاعلم ان الكافر قد نجى له ماهو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما) وقال تعالى وأملى لهم ان كيدى متين (وأما المعاصى فمن أين تعلم ان فى العالم من هو أعصى منه ورب ظاهر) تحقير (اسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته أعظم وأظلم من شرب الخمر والربا وسائر المعاصى بالجوارح وذلك قول تعالى فى مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم ان عبدا أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لاتشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث فى الشكر وهو انه مامن عقوبة الا

وكان يتصور ان تؤخر لى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب أخر من المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة ندوم ولم ندم فلا سبيل الى تحملها، التسلى اذ أسباب تتسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أسىء اليه فصبر ثم عفا كان الله أكرم من أن يعذبه ثانيا

* رابع ن هذه الصيغ وابلة كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا سبيل من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة * الخامس ان نوائم أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب فكان يخسر جميع عمره وكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه بالمحنة

قد رفعه وقال حسن غريب ورواه كذلك ابن أبي الدنيا حسن لغيره والحاكم والبيهقي وقد روى ذلك بعضهم من حديث جرير بن عبد الله من أصاب بمصيبة في ماله أو نفسه فكتمها ولم يشكها فكان حقا على الله أن يغفر له رواه الطبراني في الكبير بسند حسن ورواه ابن حبان والبيهقي في شعب الايمان وأبو نعيم وفي لفظه من أصابته مصيبة فاقيم عليه حمد ذلك الذنب فهو كفارته رواه أحمد والدارمي وابن جرير وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وأبو عبيد وزاد ابن النجار بعضا من آخر مسنده ورواه أحمد وابن جرير وصححه من حديث علي بلفظ من أذنب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده الحديث (نوائم ن هذه الصيغ وابلة كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب) لاستحالة (وكان لا سبيل من وصولها وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة) ان تمت (هو (الخامس ان نوائمها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة) يقله صاحب القوت وذلك (من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب) أي عن تحصيلهما (فكان يخسر جميع عمره) ويندم على ضياعه (وكذلك المال والأهل والأقارب) فهي الحرية في زمان يكون هلاك أحدكم على يدي زوجته وولده (والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الأحوال) فالمنع بعضها عن الحرام (بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه بالمحنة) فاحرموا عن عقاب الآخرة (عما يتبين لو كانوا بحيث أوصيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله) عز وجل قال الذي أنامهم من ريح عقلهم كما هو من بعد بهم جهة العقل عن السقم (فما من شئ من هذه الأسباب يوجد من العبد لا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو عالم بعباده علام بما يصلح العباد وعباده يشكره العباد على البلايا (اذا رأوا ثواب البلاء) مصاعفا (كما يشكر الصبي بعد (زمان (العقل والبلوغ) الى مراتب الرجال (أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب) والضرب وهو العلم والمعرفة (والبلاء من الله تعالى) على عباده (تأديب) لهم (وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد فقد روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تتهم الله في شئ قضاه عليك) قال العراقي رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة زيادة في أوله وفي اسناده ابن لهيعة (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اسماء فصعد فسئل) عن ضحكه (فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له) قال العراقي رواه مسلم من حديث صهيب دون طرفه الى اسماء وضحكه عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر وكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له والنسائي في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجبت من قضاء الله للمؤمن ان أصابه خير حمد ربه وشكر الحديث انتهى قلت حديث صهيب رواه كذلك أحمد والدارمي وابن حبان وعند الطبراني عجبت من قضاء الله للمسلم كله خير ان أصابته سراء فشكر آجره الله عز وجل وان أصابته ضراء صبر آجره الله عز وجل فكل قضاء قضاه الله للمسلم خير وأما حديث سعد بن أبي وقاص فتمامه وان أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى فيه وروا كذلك أحمد وعبد بن حميد والبيهقي في الضياء وفي بعض الطرق التي عجبت للمسلم اذا أصابته مصيبة احتسب وصبر واذا أصابه خير حمد الله وشكر ان المسلم يؤجر في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى فيه ورواه كذلك عبد بن حميد

والبيهقي

قال لا تتهم الله في شئ قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى اسماء فصعد فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له

* الوجه الثاني ان رأس الخطايا محبة الدنيا ورأس أسباب السعادة تحقق بانقلب عن دار الغرور وموانع التسليم على وفق المراد من غير امتزاج بملاءة ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسهما حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم الالم عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب ارتفع قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم تصر معه وصارت محبتها عليه وكانت محنته منها غاية المنة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من (١٤١) أعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة

الدنيا ورضي بها وهو معنى أن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب بسري فيه شعرة الخفي بل الوجه المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق وهذا في ابتداء التعرض لهذا الوجه فيحب الفرح به وأما الدوام فهو مصروري وذلك يتناهى فرحك عند الحاجة الى لحمة من يتولى حجامتك لحاجتك اليها أو يسقيك دواء نافعا شفاءك فانك تتألم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح وكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للمضارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج منه من الدار كان ذلك بلاء وبلاء عليه لانه يورث الانس بمحل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فاصبه ما يكدره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه) يجب مقابلتها بالشكر (والدنيا بمحل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمحل فهو بلاء عليهم وكل ما يرجح قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر على المصيبة) وبه اتضح معنى الوجه الخامس (وحكي أن اعرابيا مر بابن عباس على أتانه) رضي الله عنهما (وقال) ولفظ القوت وحدث ابن العباس بن توفي بعد عبد الله للتعزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابي فانشأ يقول

(اصبر يكن بك صابرون فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

وأبيهقي وفي اسباب من أنس بحبها للمؤمن ان الله لا يقضي له قضاء الا كان خيرا له رواه كذلك بن أبي شيبة وأبو يعلى وبن منيع وأما التبسم واستطراف الحسناء فقد روى من وجه آخر عن حديث بن مسعود قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم فقلت يا رسول الله ما تبسمك قال عجبت للمؤمن وجزعه من السقم لو كان يعلم ما له من السقم لاحب أن يكون سقيما حتى يلقى ربه عز وجل ثم تبسم الثانية فرفع رأسه الى السماء فقلت يا نبي الله ما تبسمك قال عجبت من الكبير ولا كبير ولا مس الصحة فلم يسأل مؤمنا في مصلاه الحديث (الوجه الثاني ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا) كما مر معنى ذلك في الخبر (ورأس أسباب السعادة انخناق بانقلب عن دار الغرور) بان يبعد عنها وعن الاسباب التي تقربه اليها (وموانع التسليم على وفق المراد من غير امتزاج بملاءة ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسهم بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته) بالتعلق قلبهم (واذا كثرت عليه المصائب ارتفع قلبه من الدنيا ولم يسكن اليها ولم تمر معه وصارت محبتها عليه وكانت محنته منها غاية المنة كالخلاص من السجن) فيفرح كما يفرح الذي خرج من سجن (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (و) ليس المراد بالكافر هنا المشرك بالله في توحيده ولم يصدق رسوله بل (الكافر كل من أعرض عن الله تعالى) قلبه (ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن اليها) وهذا المعنى يتصور في بعض من يحلي بصالح الاعمال (والمؤمن) هنا (كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب) وتمكنه منه (بسري فيه الشرك الخفي) أخفى من دبيب النمل (بل الوجه المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق) ولا يريد سواه (وهذا في ابتداء التعرض لهذا الوجه فيحب الفرح به وأما الدوام فهو صروري وذلك يتناهى فرحك عند الحاجة الى لحمة من يتولى حجامتك لحاجتك اليها أو يسقيك دواء نافعا شفاءك فانك تتألم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح وكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل) فالصبر يتعلق بالاول والشكر يتعلق بالثاني (بل من دخل دار ملك للمضارة) أي التضرر (وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج منه من الدار كان ذلك بلاء وبلاء عليه لانه يورث الانس بمحل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فاصبه ما يكدره حتى ينفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه) يجب مقابلتها بالشكر (والدنيا بمحل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمحل فهو بلاء عليهم وكل ما يرجح قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر على المصيبة) وبه اتضح معنى الوجه الخامس (وحكي أن اعرابيا مر بابن عباس على أتانه) رضي الله عنهما (وقال) ولفظ القوت وحدث ابن العباس بن توفي بعد عبد الله للتعزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابي فانشأ يقول

(اصبر يكن بك صابرون فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العبد من أجرك بعده

خير من العبد من أجرك بعده * وبه خير مسئل للعباس

فقال ابن عباس) رضي الله عنه (ما عراني أحد أحسن من تعزيته) وستحسن ذلك ثم قال صاحب القوت وعندنا في قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود وهو الذي يشكو المصائب وينسى النعم ولو علم ان مع كل مصيبة عشر نعم بحذائها وزيادة قلت شكواه وبدلها شكرا ثم ان المصائب لا تعدو من الله تعالى اما أن تكون درجة وهذا المخصوص أصحاب اليمين والابرار أو تكون عقوبة وهذا للمكاثرين من سابقي تحمل العقوبة في الدار الآخرة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق الشاكرين (والانحدار لو ردد في الصبر على المصائب كثيرة) منها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه) أي ينل منه بالمصائب ويبتليه بها قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا) رواه الحكيم في النوادر والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وقد أعله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله له ذلك) رواه الطبراني وأحمد وأبو يعلى في الحلية من رواية أم سلمة بلفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فاجرني فيها وأعقبني منها خيرا لا أعقبه الله ذلك ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع الى ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي هذه وعقبني خيرا منها لا آجره الله في مصيبته وكان عند ان يعوضه الله خيرا منها وقد أعله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فصبر فلم أرض له ثوابا دون الجنة) رواه البخاري في الكبير والاوسط من حديث جرير بلفظ ما من عبد أعوضه عنهما الجنة ورواه أبو يعلى وابن حبان والضياء من حديث ابن عباس قال الله تعالى اذا أخذت كريمتي عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة وقد تقدم الكلام عليه وأعله العراقي (وروي أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري باسناد فيه لين انتهى قلت أصله الاولى قد رويت من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي باسناد لا بأس به لا خير في مال لا يرزأ وجسد لا يبتلى منه وأصله الثانية روى نحوها من حديث أبي عنبة الخولاني باسناد ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا ابتلاه فان صبر قالوا يا رسول الله وما الصبر قال لم يترك له مالا ولا ولدا رواه الطبراني وابن عساكر وروى البيهقي من حديث أبي هريرة ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه يسمع صوته وعند هند ليسمع تضرعه وعن الحسن مرسلا ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم رواه البيهقي وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد ان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع (وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون له المنزلة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك) قال العراقي رواه أبو داود في رواية ابن داسة وابن أبي الدنيا من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في رواية اللؤلؤي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه الا أبو بشر الحسن بن عمر بن فرقد وكذلك لم يرو عن خالد الا ابنه محمد وذكر أبو نعيم ان اسم جده الصلاح بن حكيم فالله أعلم وعلى هذا فابنه خالد بن الصلاح هو غير خالد بن الصلاح العامري ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في

وعن خباب بن الارت قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله ألا تستنصر الله لنا ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون (وعن علي كرم الله وجهه قال اتى رجل حسنا سلطان فقال فهو شهيد فقال ضربه فمات فهو شهيد) هذا أيضا مرّ ذكره في حلال الاخبار (وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك) تقدم الكلام عليه وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال ثلاث من ملاك أمر من آدم لا تشك مصيبتك ولا تحدث بوجعك ولا تزك نفسك بلسانك (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتتركون ما بقي ألا أحدثكم بالملكر وهاذم اللذات تعيرون بالفقر والمرض والموت) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قرة قال قال أبو

بعضها من رواية عبد الله بن أبي أمامة بن سهل سمعه عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية ابراهيم السلمي عن أبيه عن جده فالله أعلم ثم هي رواية كذلك عباد بن البري عن حميد بن ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وتعقب وقال الحافظ في الاصابة روى ابن شاهين من طريق الوليد بن صالح عن أبي المليح الرقي حدثني محمد بن سالم بن عبد الله بن حكيم عن أبيه عن جده سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما كان لعبد عند الله درجة فنزل به ابتلاء في بدنه ثم صبره على البلاء لينيله تلك الدرجة قال وقد رواه ابن منده في ترجمة الضحاك بن حكيم السلمي ورعم أنه أخو الجعد بن حكيم وأنه في أهل الجزيرة وصنع حديثه من طريق أبي المليح أيضا لكنه لم يسم والد خالد بن قال عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكذا أورده البخاري في ترجمة محمد بن خالد وأخرجه أبو داود من رواية ابن داسة عنه في سننه ولم يزد على السلمي لا في رواية ابن شاهين وقال البغوي في معجمه كنى أبو خالد السلمي جد محمد بن خالد ثم أورد له هذا الحديث من طريق أبي المليح عن محمد بن خالد السلمي عن جده وكانت له صحبة وأما حديث أبي فاطمة فقال الحافظ في الاصابة في ترجمة أبي فاطمة الصغير قال البخاري قال ابن أبي أويس حدثني أخي عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى ثور قيس دخلت على عبد الله بن أبي أمامة بن أبي فاطمة الصغير فقال يا عقيل حدثني أبي عن جدي قال قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب أن يصح فلا يسقم الحديث وفيه أن الله يبتلي المؤمن وما له عليه لا كرامته عليه وما له عند الله من منزلة عنده ولا يبلغها بالدنيا الا بالابتلاء هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل المذكور ووقع لي بعلو في المعرفة لابن منده من طريق أبي عامر العقدي عن محمد بن أبي حميد وهو حماد عن مسلم بن عقيل عن عبد الله بن أبي امامة عن أبيه عن جده قال ابن منده ورواه عبد بن سعد عن زهرة بن معبد عن عبد الله قال الحافظ الا أنه سمى أباه أسامة بدل امامة كذا قال وقد ساقه الحاكم أبو أحمد من طريق رشدين قال امامة بدل لوهم من النسخة (وعن خباب بن الارت) تقدم بيانه وأنه ابن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي ويقال الخزاعي أبو عبد الله أسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهد بدرا وما بعدها وبقي الى الكوفة فمات بها سنة سبع وثلاثين مصرف عن ستين عن ثلاث وستين سنة (قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله ألا تستنصر الله لنا ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر الوجه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه) قال العراقي رواه البخاري في تاريخه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن الحسن بن اسحق الموصلي حدثنا محمد بن أحمد بن مثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبي خالد عن قيس عن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردته في ظل الكعبة فقلنا ألا تدعو الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله لمن كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شق أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون (وعن علي كرم الله وجهه قال اتى رجل حسنا سلطان فقال فهو شهيد فقال ضربه فمات فهو شهيد) هذا أيضا مرّ ذكره في حلال الاخبار (وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك) تقدم الكلام عليه وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال ثلاث من ملاك أمر من آدم لا تشك مصيبتك ولا تحدث بوجعك ولا تزك نفسك بلسانك (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتتركون ما بقي ألا أحدثكم بالملكر وهاذم اللذات تعيرون بالفقر والمرض والموت) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قرة قال قال أبو

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا ونعه عليه نعا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه بايد قال رب قال الله تعالى يسألني عبدي وسعديك لاتسألني شيأ الا أعطيتك أودفعت عنك ما هو خير واذا حزن لك عبدي ما هو أقض مضجعه اذا كان يوم القيامة جيء بما هل العافية حين ما هل البلاء فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة بصيامهم والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض مما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال شكا نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه بلاءه وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العبادلي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي ويكون المؤمن عليه من الذنوب فاروى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسطه في الرزق وزوى عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني في الآخرة فاجزيه بسيئاته وهذا أيضا يرد به على حلال الاحبار (وروى انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك (من المرض والاذى والحزن (يكون كفارة لذنوبك) قال العراقي رواه أحمد من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له اسناد صحيح وقال الدارقطني وروى

لدرداء ثلاث أحبهن ويكرههن الناس أحب الفقر والمرض والموت ومن طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن شقيق عن أبي الدرداء قال أحب الموت اشتياقا الى ربي وأحب الفقر تواضعا لربي وأحب المرض تكفيرا لذنبي ومن طريق سعيد بن أبي هلال ان أبا الدرداء كان يقول يامعشر أهل دمشق ألا تستحيون تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تسكنون وتأملون مالا تبلغون الحديث (وعن أنس) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا ونعه عليه نعا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه بايد قال رب قال الله تعالى ليسألني عبدي وسعديك لا تسألني شيأ الا أعطيتك أودفعت عنك ما هو خير أواذخرت لك عندي ما هو أفضل منه واذا كان يوم القيامة جيء بما هل العافية حين ما هل البلاء فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كانوا يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض مما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال العراقي في رواية ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس اختصر منه دون قوله واذا كان يوم القيامة الخ وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر بن خنيس والرقاشي صدقة بن عبد الله السمين وهو أيضا ضعيف اه قلت وروى البزار في الكبير من حديث أنس قد أحب الله عبدا أصاب عليه البلاء صبا ونعه نعا وروى البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا اذا أحب الله عبدا أصابه البلاء فان الله يريد أن يصافيه وروى الديلمي من حديث علي اذا رأيتم العبد ألم به الفقر والمرض فان الله يريد أن يصافيه وروى ابن عساكر في تاريخه من حديث عمر بن الخطاب اذا كان يوم القيامة جيء بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان ولا يوضع لهم صراط وينصب عليهم الاجر صبا وروى الطبراني من حديث ابن عباس يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فينصب عليهم الاجر صبا حتى ان أهل العافية في الدنيا يتمنون في الموقف ان أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (قال شكا نبي من الانبياء) يعني من بني اسرائيل (الى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا) أي تصرفها عنه (وتعرض له البلاء) من الفقر والمرض (ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء) أي تصرفه عنه (وتبسط له الدنيا فاوحى الله اليه ان العبادلي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي) كما قال تعالى في كتابه العزيز وان من شيء الا يسبح بحمده (فيكون المؤمن عليه من الذنوب فاروى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون) ذلك (كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسطه في الرزق وزوى عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني) في الآخرة (فاجزيه بسيئاته) وهذا أيضا يرد به على حلال الاحبار (وروى انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك

قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك أيضا

أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير قال ليس فيها شيء ثبت (وعن عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج وقرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني لما تركوا ما أمروا به (فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أوتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة) أي فجأة قال العراقي رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (وعن الحسن) بن يسار (البصري رحمه الله تعالى) أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فشرق وجهه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا) قال العراقي رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل مرفوعا متصلا ورواه الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اهـ قلت ورواه هشيم بن بشير السلمي من مرسل الحسن إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا وإذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة حتى يجزيه به كذا رواه عبد الرزاق في مصنفه عن هشيم وهو أحكم من حديث أنس وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وحديث الحسن عن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضا الحاكم والبيهقي (وقال علي كرم الله وجهه لأحدثكم بأرجى آية في القرآن فقرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم) قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقد أصابتكم مصائب في الدنيا بكسب الأوزار (فما عاقبه الله به في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه ومن رواية ابن ماجه إلا قال من أصاب حدا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه ومن رواية ابن ماجه إلا قال من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا فالله أعدل الحديث وقد رواه أيضا ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي (وعن أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها) من (جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله وما تجرع عبد جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها) من (جرعة إلى صلة الرحم) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرات وفيه مجدي صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ما قطرت على الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه مجدي صدقة وهو عندكي منكر الحديث اهـ قلت وروى ابن أبي الدنيا في دم الغضب من حديث ابن عباس ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها عبد ما كظمها عبد إلا ملأ الله جوفه إيمانا وروى حديث ابن عمر ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في الغضب والطبراني والبيهقي وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر ما من خطوة أعظم أجرا من خطوة

دم هريق في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلة الرحم

أشاهد رجل إلى صف بسنده وتمام حديث أبي مسعدة عبد الله يعني بعد قوله سوادا الليل من حشيه الله لا يراه أحد إلا الله عز وجل (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه) قال نوفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجاءا بين يديه في زي الخصوم فقال أحدهما بدرت بدرا فلما استحصد مر به هذا فأفسده فقال للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فأثبت على زرع فخرب يمينا وشمالا وهذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام وهدرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعي إليه ابنة له فاسترجع وقال عورة ستروها الله تعالى ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه الله ثم ربح فصلى وكفنها ثم قال قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه محمد بن يوسف فقال له يعني لا ينبغي أن يفعل اليوم ما نفعله لأحدنا بعد خمسة أيام فقال ابن المبارك لا تكتبوا عنه هذا فقال بعض العلماء إن الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب وقال العصفري إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنبياء على أربعة أجناس على الأعمى سليمان وعلى المقعد المسيح وعلى الغني يوسف وعلى المرضى أيوب صلوات الله عليهم وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل والتجأ في الشجرة فعروا ذلك فجيء بالمنشار وفرق الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا إن شئت صعدت بملك أنه فأسفلك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع شطرين

بحلقه حتى تشرق وسموا هذا الذكر ذكر المشار وهو من أذكار اتباع القطب يا يا أحد الميسوى قدس سره

(وقال أبو مسعود البلخي) رحمه الله تعالى (من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أحدث ومحا ويدان يقاتل به ربه عز وجل) هكذا في النسخ و أبو مسعود هذا لم أعرف من حاله شيأ وفي بعض النسخ ابن مسعود فليحرر (وقال لقمان) رحمه الله تعالى (لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) يشهد لهذا الشطر الاول ما رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي امامة ان الله يجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز فذلك الذي حماه الله من الشبهات ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الاسود فذلك الذي قد افتتن قال الحاكم صحيح وقد تعقب بتعبير سعدان وهو ضعيف وأما الشطر الثاني فقد رواه الطبراني في الاوسط والبيهقي وبعضه من حديث أنس اذا أحب الله قوما ابتلاهم ورواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه مرسلا وروى أحمد والبيهقي من حديث محمود بن لبيد اذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع (وقال) أبو بحر (الاحنف بن قيس) بن معاوية بن حصين التميمي السعدي البصري وكان احنف لرجلين جميعا واسمه صخر بن قيس مأمون قليل الحديث (اصحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعبي) صعصعة بن معاوية بن حصين التميمي له صحبة (ماتت امرأة من وجع الضرس حتى تلتها الاخرى فقال) أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد) قال الزبير بن بكار حدثني محمد بن سلام عن الاحنف بن قيس انه قال لاصحابه تخصون من حلمي وحلقي وتعدونه شيأ انما عدته من عمى صعصعة بن معاوية ليكون اليسه وجعا في عيني فاسكتني ضربني ثم قال لي يا بني لا تشكن الذي نزل بك الى أحد فان الناس رجلان اما صديق يسوءه ما يسوءك ولكن اشك الذي نزل بك الى الذي انزلك ولا تشكه فما الى نفسي ملك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ما نزل بك يا بني أخي ان لي عشرين سنة لا أرى بعيني هذه سهلا ولا جبلا ولا شاشكون ذلك روحي ولا يسرها ذهابه وروى المزي في تهذيب الكمال عن الاحنف قال ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكوتها لاحد (وأوحى الله الى عزير عليه السلام) يا عزير (اذا نزلت بك مصيبة فلا تشكني كما لا أشكوك الى ملائكتي اذا صعدت عساويك وفضائحك) رواه الديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ أوحى الله تعالى الى أخي عزير ان أصابتك مصيبة فلا تشكني الى خلقي فقد أصابني مثل مصائب كثيرة ولم أشكك الى ملائكتي يا عزير اعصني بمقدار طاقتك على عذابي وسلني حوائجك على مقدار عزتي ولا يأس مكري حتى يدخل حتى يا عزير لا تشكني فاوحى الله تعالى اليه لانك يا عزير بكاء عصيني بجهلك عرفت لك حلمي لاني كريم لا أعجل بالعقوبة على عبادي وأنا أرحم الراحمين

(بيان فضل النعمة على البلاء)

(لعلك تقول) ان (هذه الاخبار) التي سقتها تمامها (تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعيم) لما يترتب عليه من الثواب الجزيل (فهل لك ان تسأل الله البلاء) لجود ذلك الثواب الموعود (فاقول لا وجه لذلك ساروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة) قال العراقي رواه احمد من حديث يسير بن أبي ارطاة بلفظ اللهم اجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة واسناده جيد ولابي داود من حديث عائشة اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وهو عند ابن ماجة وعند ابن السني ورواه بالنعمة اه قلت حديث يسير بن أبي ارطاة رواه أيضا ابن حبان والسلمي وابن قانع وابن أبي عاصم والطبراني والحاكم وابو نعيم اللهم أحسن عاقبتي في الامور كلها واجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وفي لفظ للطبراني اللهم أحسن عاقبتي في الامور كلها واجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

وقال أبو مسعود البلخي من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أحدث ومحا ويدان يقاتل به ربه عز وجل وقال لقمان رحمه الله لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعبي ماتت امرأة من وجع ضرس حتى تلتها الاخرى فقال لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد وأوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك مصيبة فلا تشكني الى خلقي واشكني الى كما لا أشكوك الى ملائكتي اذا صعدت عساويك وفضائحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة

(بيان فضل النعمة على البلاء)

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعيم فهل لك ان تسأل الله البلاء فاقول لا وجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة

من كان ذلك دعاء ما قبل أن يصيبه البلاء ورى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث بن عمر اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك (وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) قال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم آتنا الحديث ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتنا الحديث ه قلت وعند الشيخين ربنا آتنا في الدنيا الخ وكذلك رواه أحمد وأبو داود وأما دعوة الأنبياء عليهم السلام كذلك فقد تقدم في كتاب الحج (وكانوا يستعيذون من ثمانية الأعداء وغيره) رواه أحمد والنسائي والبيهقي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أعوذ بك من علة الدين وعلة الدنيا وشماتة الأعداء وقد تقدم في كتاب الدعوات (وقال علي كرم الله وجهه) في مرضه (اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم قد سألت الله البلاء فاسأله المعافية) قال العراقي رواه الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عبيدا وقال سمع رجلا وله والنسائي في اليوم والليلة من حديث علي كنت شاكيا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه وكان بلاء فصبرني فصبرت به برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن صحيح (وروى) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية ورواه ابن أبي شيبة وأحمد بلفظ سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين في الدنيا والآخرة شيئا هو خير من العافية ورواه البيهقي في الشعب بلفظ سلوا الله اليقين والعافية (وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك وهذه العافية أعلى من عافية البدن) ولهذا تكرر في الحديث ثم يكرر رضي الله عنه فعليكم بالعافية فإن العافية على كل عبد ورفع اليقين هو العافية لأن صاحبه يتم نعيم الدنيا والدين معه وجود نعيم الآخرة فاليقين هو على العافية كما أن الدوم هو على الأنف والعافية سلامة الإنسان من العمى والإسقام والبقاء سلامة الأبدان من الريح والأسقام فهو كما يستعان بهما يستعان بهما على الشكر من أحد كما استوعب القلب والجسم بالنعمة من الدين وهي قوى الله تعالى في قوله عز وجل الأمن أتى الله بقلب سليم أي سلم من الشك والشرك وأسلم الصحيح بمعنى وبوجود عافية القلب في القلوب عدم الشك والشرك وهي أمراض القلوب كما أن في قلوبهم مرضا قيل شك ونفاق وعافية القلب أجمع لكثير كما أن عافة البدن أجمع لذي فيه مرض يعني لربا (وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى لخير الدنيا والآخرة فيه العافية مع الشكر) والصبر عند المصيبة (فكم من مبتلى عليه عبر شاكر) وكم من معافى غير صابر فقد صاحب القوت وروى نحوه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه كان يقول لمطرف ما خير لأشر فيه ولا آفة ولكل شيء آفة فما وجدته لا آفة فيه فإنه العافية عند الشكر (وقال مطرف بن عبد الله) بن الشخير البصري رحمه الله تعالى من ثقات التابعين قدمت ترجمته (لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر) أي لأن مقام العافي أقرب إلى السلامة فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لأن الصبر حال أهل البلاء كذا في القوت وهذا القول رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن داود قال قال مطرف لأن أعافى فأشكر (و) معنى ذلك فيما (قال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك أحب إلي) كذا في القوت قال العراقي رواه ابن خزيمة في السيرة في دعائه يوم خرج إلى الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا ورواه أبو عبد الله بن منده من

وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من ثمانية الأعداء وغيره وقال علي كرم الله وجهه اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم قد سألت الله البلاء فاسأله المعافية وروى الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر وكم من مبتلى عليه عبر شاكر وقال مطرف بن عبد الله لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك أحب إلي

حديث عبد الله بن جعفر مسند وفيه من تحمل (وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستشهد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه أما في الدنيا وفي الدين والاعتبار (الآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب) وقد يترفق وقد يجتمعان (فينبغي أن يسأل الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمه) وروى الطبراني من حديث بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم إني سألك النعمة وتمامها فقال أتدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (فإنه) تعالى (وعد عباده الشاكرين بالمزيد على ما أعطاه على الصبر فإنه قد قال تعالى) وقليل من عبادي الشكور فجعل الشكر جسرا على الدار يعبر على الخلق كلهم فمنهم من يعبر وهو مكبوب على وجهه في النار ومنهم من يعبر وهو يزحف ومنهم من يعبر وهو يمشي ومنهم من يعبر وهو يسعى ومنهم من يعبر وهو يركض ومنهم من يعبر وهو يطير كالبرق ومنهم من يعبر وهو يعدو عدوا ومنهم من يعبر وهو يرمل رملا ومنهم من يعبر وهو يحبو حبوا ومنهم من يعبر وهو يزحف زحفا ومنهم من يعبر وهو يتعلق تعلقا ومنهم من تأخذ النار منه شيئا ومنهم من تأخذ منه أكثر من ذلك ومنهم من تأخذ منه أكثر من ذلك ومنهم من تأخذ منه أكثر من ذلك

فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو أردت أطلب ذلك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر أريد وصاله ويريد هجري * فاترك ما أريد لما يريد وهو أيضا محال ومعناه أن أريد مالا يريد (١٥٠) لان من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا

للسعد (فتمنعه) منه (فقال) له (ما يمنعك عني ولو أردت أطلب ذلك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام) لانه كان قد أوتي منطق الطير (فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال) ومن هذا القبيل كلام الليل بعينه النهار (وقول الشاعر)

(أريد وصاله ويريد هجري * فاترك ما أريد لما يريد)

(وهو أيضا محال ومعناه أن أريد مالا يريد لان من أراد الوصال ما أراد الهجر الذي لم يرده) ولا يبعد أن يراد أن تكون له إرادة بدون إرادة متعلقة وأن تكون إرادته متعلقة لإرادته وصلا أو هجرا فرارا أو بعدا وبهذا قال أبو يزيد قدس سره لما قيل له ما تريد فقال لا أريد * وأشعر صاحب منازل السائرين فقال هذه غاية الوقوف مع الإرادة معلولة وباهدائها في قوله لا أريد * والخاص أنه من باب كمال الرضا (لا يصدق في هذا الكلام لأنه لا يتأتى أن يكون أحدهما بأن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجر إذن وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى الوصال إلى المحبوب والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون منه مثل من يحب المال لأنه أسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين ليترك الدرهم في الحال الذي ان يصير رضاه عنده مطلوبا بأمن حيث انه رضاه فقط وتكون له لذة في استشعاره ورضاه محبوبا منه يريد تلك اللذة على بدنه في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور أن يريد ما يرضاه فلذلك هذا انتهى حال بعض المحبين أن صارت لذتهم في استشعار رضا الله تعالى عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في علو الحب وكمال الانس وان لم تكن مثلاثهن هي حالة محققة ثم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب غالبة به عن الاعتدال هذا وجه الصبر) ومحل تأمل والذي يظهر الحق أن هذه حالة أخرى وردت على القلب غالبة به عن الاعتدال بظهور الحق تعالى بصفة الجلال والاكرام وأما التي هي عن حالة أخرى ترد على القلب (وذكر تحقيقه) بالتفصيل (لا ينبغي أن يخفى فيه) لانه من علوم المكاشفة (وقد ظهر مما سبق أن العافية خير من البلاء فسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين)

* (بيان الافضل من الصبر والشكر) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر) وهم الاكثرون وظاهر الكتاب والسنة يدلان عليه (وقال آخرون الشكر أفضل) من الصبر وقد ذهب اليه بعض المعتزلة ورجحوا بوجوه سيتم ذكرها في آخر الباب (وقال آخرون هما سيان) أي مستويان في الدرجة والمقام (لا فضيلة لاحدهما على الآخر) اذ كل منهما مقام وليس يمكن الترجيح بين مقامين لان في كل مقام حالة يتعذر وجود امثالها في المقام الآخر وهذا مذهب أقدماء من علماء اذ سئل بعضهم عن عبدين ابتلي أحدهما بالصبر وأنعم على الآخر بالشكر فقال كلاهما سواء لان الله تعالى أثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر فساواهما وأحمد قال في وصف أيوب عليه السلام نعم العبد انه أواب وقال في وصف سليمان عليه السلام نعم العبد انه أواب وهذا المذهب مرجوح كما سيأتي بيانه (وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال) وهذا مذهب المحققين من أهل المعرفة يقولون به لا يجتمع عبدان في مقام بالسواء بل لا بد أن يكون أحدهما على وجد أو وجد أو مشاهدة أتم وأعلى وان كان الصواب يقصد واحدا وقال

وردت على القلب غالبة به عن الاعتدال هذا وجه الصبر وذكر تحقيقه لا ينبغي أن يخفى فيه وقد ظهر مما سبق أن العافية خير من البلاء فسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين * (بيان الافضل من الصبر والشكر) * اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال

واستدل كل طريق كلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل إلى المبادرة إلى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان * (المقام الاول) * ليس على سبيل التسهل وهو أن يقتصر إلى ظاهر الامر ولا يتشبث بما وراءه بل على سبيل التحقيق وهو البيان الذي ينبغي أن يحاضر به عوام الخلق لقصورأفهامهم عن درك الحقائق بعامتها وهذا لان من (151) الكلام الذي ينبغي أن يعتقده الوعاظ

الله تعالى وكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فبين ان القصد وأقرب طريقا (و ستدل كل طريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة إلى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول ليس على سبيل التسهل وهو أن يقتصر إلى ظاهر الامر ولا يتشبث بما وراءه بل (التحقيق) وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق بعامتها (وهذا النوع) أي الخطبة (هو الذي) أي النوع من الكلام (هو الذي ينبغي ان يعتقده الوعاظ) في وعظهم (اذ) هم حكام عامة و (مقصود كلامهم من مخاطبة العوام صلاحهم) بحسب حالهم (و بطائر المشفقة) وهي بالكسر وسكون الهمزة ا رأة تحضن ولد غيرها (لا ينبغي ان تصلح الصبي الطفل) الرضيع (بالطبور السمان وضروب الحلاوات) فانها تضر بمعدته (بل بالخبز الفاطير وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة) ولذائذ الاغذية (الى ان يصير محتملا لها بقوته) التي تهيأ فيه على التدريج (و يفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فيقول هذا المقام في الدين يبنى بحث و لتحصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع) من الكتاب و السنة (وذلك يقتضي تفضيل الصبر على الشكر (فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله) كما تقدم نقلها (فقد أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر فان فيه الفاظ صريحة في التفضيل) فان الكتاب فيه كقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فاشار الى أن مرة واحدة شبه مقام الصبر مقام الخوف واشبه مقام الشكر مقام الرجاء وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفقوا على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل فالصبر من مقامه الخوف وورد في فضل الصبر من مقامه والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك نقرر حال الشاكر من قوله ومن اسمه (كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم يقين وعزيمة الصبر) ومن أوتي حصله مهما لم يمنعه به من دوام قيام الليل وصيام النهار وقد تقدم الكلام عليه في محث الصبر فقرب الصبر باليقين الذي لا يتبين أمره ولا أصل له وترتفع الاعمال وعلو الاعلوم به (وفي الخبر يؤتى بشكر أهل الارض فيحرر به مائة جزء من الشاكرين و يؤتى بالصبر أهل الارض فيقال له ما نوصي ان نحرر بك كما حرر بهذا الشاكر فيقول نعم رب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر و ابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والشاكر يؤتى أجره بحسب لانه انما هو بتحقيق الوصف وبقي ما عداه و يدرج على رضي الله عنه الصبر على أربع مقامات اليقين فقال في حد اليقين الطويل الذي يوصف فيه شعب الايمان و الصبر على أربع دعائم على الشوق والاشفاق و الزهد والتقريب من انشق من انوار سبع عن المحرمات ومن انشاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانه توحد عنده و يحتاج اليه في جميعها وجعل بعد أحد أركانه (و ما قوله) صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فهو دليل على افضلية الصبر وقد ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان لحق الشكر به مبالغة

ان مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والنظر الشفقة لا ينبغي ان تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل بالخبز الفاطير وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فيقول هذا المقام في الدين يبنى على البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر على الشكر فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله فاذا أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر فان فيه الفاظ صريحة في التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى بشكر أهل الارض فيحرر به مائة جزء من الشاكرين و يؤتى بالصبر أهل الارض فيقال له ما نوصي ان نحرر بك كما حرر بهذا الشاكر فيقول نعم رب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر و ابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب و أما قوله عليه الصائم الصابر كالطاعم الشاكر فهو دليل على افضلية الصبر ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان لحق الشكر به مبالغة

في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل) قال العراقي رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق من حديث أبي موسى بسند ضعيف والطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضا ولفظه قالت كنت لله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من جماعة قال جماعة أزواجهن وفي رواية ما جزاء عروة المرأة قال طاعة الزوج الحديث اهـ قلت وروى الشطر الأول أيضا البزار نحو به في ترغيبه والقضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر وفي معجم الآجري الطبراني بدل المساكين وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وجهاد الضعفاء الحج (وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة لفظه مدمن خمر ورواه بلفظه سواء الخرائطي من حديث أبي أمامة من حديث عبد الله بن عمرو وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي في حديث أبي هريرة تفرد به محمد بن سليمان بن الأصبهاني اهـ قلت ورواه بلفظ مدمن الخمر من حديث عبد الله بن عمرو وفي سنده مطر بن خليفة صدوق وثقه أحمد وابن معين ورواه بلفظ مدمن البخاري في تاريخه وابن حبان من حديث أبي هريرة ومن رواية محمد بن عبد الله عن أبيه (وأبدا الشبه به أعني رتبة) من الشبه والا لما حسن وجه التشبيه (فكذلك قوله) صلى الله عليه وسلم (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم وحسن البيهقي من حديث ابن مسعود وقد تقدم (لا يدل على أن الشكر له وهو كقوله) صلى الله عليه وسلم (الصوم نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فان كل ما ينقسم بنصفين يسمى أحدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت) في الدرجات (كما يقال الايمان هو العمل) ورويا ابن النجار من حديث عبد الله بن أبي أوفى الايمان قول وعمل وروى ابن ماجه والطبراني وهناد والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث علي الايمان عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان (فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم) وقد اتفق أهل المعرفة على أن العلم أفضل من العمل ثم أشار المصنف الى نوع آخر من الاستدلال على تفضيل الصبر بحال سيدنا سليمان عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وفي أثناء ذلك ما يشعر بالرد على من يقول بهما سيان وبيان ذلك انه قد تقدم قول من قال ان الصبر والشكر سيان لا ترجيح لاحدهما على الآخر وانه استدل بحال أيوب وسليمان عليهما السلام حيث أثنى عليهما بشيء واحد وفي هذا غفلة عن لطائف الافهام ودقائق عن حقيقة تفاوت الكلام اذ من ثناء الله تعالى على أيوب عليه السلام في الفضل على ثناء الله على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر معنى وشرك سليمان عليه السلام بعد ذلك في وصفين آخرين وانفرد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر أول ذلك قوله تعالى في مدحه واذكر عبدنا أيوب الآية وهي ما هي بالنسبة الى ثناء الله عز وجل ثم ثناء رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه وفضله بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد الآية والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد والابتلاء منهم أيوب عليه السلام فرضوا بالمقاربة ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأقاصيهم كقوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم وكقوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والابصار يعني أصحاب القوة والتمكين وأهل البصائر والدين ثم رفع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوته صلى الله عليه وسلم ثم ذكره باسمه واذكر به ثم قال عبدنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه الا تعريف فيقول عبدنا الذي حققه بنظره لمن أهل البلاء في قوله واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل البلاء الذين هي ما هي بالنسبة الى ثناء الله عز وجل ثم ثناء رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه وفضله بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد الآية وجعل من ذريتهم الأصفياء فاصاف أيوب اليهم في حسن الثناء وفي لفظ التذكرة به في الثناء ثم قرن به ذي النون بفضله وانفرد له في خطاب يوصف به وقال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فوصفه بوجهة يخلق له ولطيف المباينة فطهره بوصف الرحمة ثم شرح له بنداءه

في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وأبدا الشبه به أعني في أن يكون غير رتبته وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم

فشكا اليه و استعان به فأشبه مقامه مقام موسى و يونس عليهما السلام فى قولهما انت اليك وفى قول لا تخزنا الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهذا خطاب الشاهد فى الحاضر والواحد ثم وصفه بالاستجابة له وأهله بكشف الضر عنه وجعل كلامه سببا لتمجيد قدرته ومكانا لجريان حكمته ومعنا لطف احاطته ثم قال بعد ذلك كله و وهبنا له أهله يريد أهل سليمان عليه السلام فى الوصف اذ كان نبيا من وهب لا هله نبى من وهب له أهله فضل فى المدح لانه قال فى وصف سليمان و وهبنا لداود سليمان فاشبه فضل أيوب فى ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون عليهم السلام لانه قال فى فضل موسى عليه السلام وتفضيله على هرون عليه السلام و وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال فى مدح داود و وهبنا لداود سليمان فوهبنا لموسى أخاه كما وهبنا لداود ابنه ثم أشبه مقام أيوب فى الشدائد والتذكرة به مقام داود عليه السلام لانه قال أيضا فى وصفه لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال فى هذا أيوب واذكر عبدنا أيوب فقد شبه أيوب بداود و موسى عليهما السلام فى المعنى و وصفهما فى بقاء وهما فى الموت أفضل من سليمان عليه السلام فاشبه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان عليهما السلام والله أعلم المقدم ولكن هذا أتى فى فواتح سورة والله أعلم ثم قال بعد ذلك واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق تشريفا له وتعظيما ثم قال واذكر لاولى الالباب فجعلها اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للاصفياء ثم قال عز وجل انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه ذكرا بانيا لعبده ووصل اسمه باسمه جل جلاله وقرن اسمه بالاسم المكنون والالف فى وجدناه اسم الله تعالى والهاء اسم عبده أيوب ثم قال صابرا فوصفه بالصبر وظهر مكانه فى القوة ثم قال فى آخر أوصافه نعم العبد انه أواب فهذا أول وصف سليمان وآخره فهو اشركه فى اسمه وزاد أيوب تماما تقدم من المدح والوصف الذى لا يقوم له شئ ودلك من قوله تعالى واذكر عبدنا أيوب الى قوله انه أواب وجعل فى أول وصف سليمان نبيه وهبنا لداود فصار حسنة من حسنات داود وأشفى قوله نعم العبد انه أواب على أول وصفه وآخر وصفه وآخر وصف أيوب عليهم السلام أجمعين (و) فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم) انه قال (آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان ابن داود) عليهما السلام (فانه آخر من يدخل الجنة عبد الرحمن بن عوف فانه) هكذا أورده صاحب القوت وفى الشطر الاول حديث عبد الرحمن الآتى ذكره بعد حديث وردى بمعناه من حديث أنس آخر من يدخل الجنة من أمتى عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن تميم ضعيف قاله العراقى (وفى خبر آخر) ولفظ القوت وفى لفظ آخر (يدخل سليمان) بن داود الجنة (بعد الانبياء بأربعين خريفا) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشى أحد اسكدر بن على أنس والحديث منكر وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاما وذلك لم يروه الا شعيب بن خالد وهو كوفى ثقة (وفى الخبر أبواب الجنة كلها مصراعان الا الباب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى لم أجد له أصلا ولا فى الاحاديث الواردة فى مصاريع أبواب الجنة مفرقة ثم قال صاحب القوت وقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه الآثار لانه سيد أهل البلاء وقد ذكره وعمره الاولون والمتأخرون وامام أهل الصبر والابتلاء ثم شارع المصنف الى تفصيل آخر فى تفضيل الصبر فقال (وكل ما ورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى) فجعل الشكر على الصبر فى المعنى كالغنى على الفقر وليس هذا مذهب أحد من المتقدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وصرفوا الخلق الى هواهم من ذلك لان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرعية على الراعى والعبد على المولى والشكر على التواضع وفى هذا تفضيل الزاعين والاعتداء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفضيل أمة الدنيا على أمناء

وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لكان ملكه ملكا وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لكان غناء وفى خبر آخر يدخل سليمان بعد الانبياء بأربعين خريفا وفى الخبر أبواب الجنة كلها مصراعان الا الباب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام وكل ما ورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى

فهذا هو المقام الذي يقنع العوام وتكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم * (المقام الثاني) * هو البيان الذي يقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل أمرين مهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الاهمام بالكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا يمكن الموازنة بين جملة منها وجملة من بعض الوجوه حتى يتبين الرجحان والصغر والشكر أقسامها وشعبها كثيرة ولا تتبين حكمها في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تشتمل من أمور ثلاثة علوم وأحوال (١٥٤) وأعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك وهذا مما لا ارتياب فيه وبعض منها بالبعض لائح للناظرين في الجواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الاصل وأما أرباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أربع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة لانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل والعلم الفاصل بالمعاملة على العمل اذا كان علما مما ينفع ينفع ويكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والعلم القاصر بالعمل أيضا أفضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان يتكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فاذن فرع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله (وهي السعادة التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها) وهي القرب من جوار الله تعالى (بل هي عين السعادة وربما قد لا يشعر القلب في الدنيا بلذتها عند السعادة وعلى يشعر بها في الآخرة) عند معاينة الحقائق (فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها ولا تتقيد بغيرها) وجعلها حرة نظرا الى انها كالحاصل لا تبعة عليها (وكل ما عدا هذه من المعارف) مثل (عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما ترد لاجلها) لانها (ولما كانت مرادة لاجلها كانت تسمى بحسب قربها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض

الآخرة (فهذا هو المقام الذي يقنع العوام وتكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم) دليل فيه صرف عن ظواهر الكتاب والسنة (المقام الثاني وهو البيان الذي يقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح) والتبيين والايضاح (فنقول فيه كل أمرين مهمين) أي غير معلومي الحقائق (لا يمكن الموازنة بينهما مع) وجود (الاهمام) بهما (عالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما) فيرتفع الاهمام (وكل مكشوف) معلوم الحقيقة (يشتمل على أقسام) متنوعة (لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة الا بحساب تعرف الآحاد بالموازنة حتى تتبين الرجحان) وبه توصل الموازنة بين الجملة والجملة (والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة) كما تقدم ذكرها (فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا) في كتاب التوبة (ان هذه المقامات) التسعة من مقامات يقين (تنتظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال) فالعلوم هي الاصول والاحوال ما نالت بعض الواحد والاعمال ما نالته الجوارح على الترتيب والجوارح من الاعمال (والشكر والصبر وسائر المقامات) كما ذكرنا وكما سيذكر (هي كذلك) لا بد من الانتهاء الى الامور المذكورة (وهذه الثلاثة قد تتساوى وقد تتفاوت وربما بعض منها بعض لائح للناظرين في الجواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الاصل) فهذا هو أرباب الجواهر (وأما أرباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال) عندهم (انما تراد للاحوال والاحوال) انما (تراد للعلوم فالافضل هو العلوم) وهي المعارف في كل مقام (ثم الاحوال) الناشئة عن مواجيد تلك المعارف (ثم الاعمال) على هذا الترتيب (لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة والاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال وآحاد المعارف) أي اذا أضيف بعضها الى بعض (وأفضل المعارف علم المكاشفة وهي اربع) وتلك (من علوم المعاملة لا علوم المعاملة دون المعاملة) بعينها (فانها) أي تلك العلوم (ترد للمعاملة فعائدتها اصلاح العمل والعلم الفاصل بالمعاملة على العمل اذا كان علما مما ينفع) ينفع (ويكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والعلم القاصر بالعمل أيضا أفضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان يتكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فاذن فرع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله (وهي السعادة التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها) وهي القرب من جوار الله تعالى (بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بلذتها عند السعادة وانما يشعر بها في الآخرة) عند معاينة الحقائق (فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها ولا تتقيد بغيرها) وجعلها حرة نظرا الى انها كالحاصل لا تبعة عليها ولا تتقيد بالغير (وكل ما عدا هذه من المعارف) مثل (عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما ترد لاجلها) لانها (ولما كانت مرادة لاجلها كانت تسمى بحسب قربها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض

اما الواسطة) واحدة (أو وسائط كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أفضى) فهى معرفة (وأزيد فى العلوم والمعارف (وأما الاحوال فمعنى بها أحوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشوائل الخلق حتى اذا ظهر وصف بصفة حقيقة حق هذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها فى صلاح القلب وتطهيره واحد فلا يحصل له علوم المكاشفة وكان تصفيل المرآة يحتاج الى ما يتقدم على تلك من أحوال للمرآة بعضها أقرب الى الصفة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة والمقربة من صفاء القلب هى أفضل لما ذكرنا من سبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فى تأثيرها فى تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال الى الموكل

(٥٥)

عمل ما يحب به حالة مانعة من المكاشفة وجهه عطلة القلب عادة الى زخرف الدنيا واما ان يحب اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول معصية واسم الثانى لطاعة والمعاصى من حيث التأثير فى تعطيل القلب وتسويته متفاوتة وكذا الطاعات فى تنوير القلب وتصفيته قد رجحتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا نقول المطلق ما نقول الصلاة أفضل من كل عبادة بدنية والحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من صيام النهار لكن التحقيق فيه ان الغنى الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على أمساكه فاخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام لان الصيام يليق من عادته شهوة بطالة او ذكرها أو معه شبع من صنعة

اما الواسطة) واحدة (أو وسائط كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أفضى) فهى معرفة (وأزيد فى العلوم والمعارف (وأما الاحوال فمعنى بها أحوال القلب فى تصفيته وتطهيره من شوائب الدنيا وشوائل الخلق حتى اذا ظهر وصف بصفة حقيقة حق هذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها فى صلاح القلب وتطهيره واحد فلا يحصل له علوم المكاشفة وكان تصفيل المرآة يحتاج الى ما يتقدم على تلك من أحوال للمرآة بعضها أقرب الى الصفة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة والمقربة من صفاء القلب هى أفضل لما ذكرنا من سبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فى تأثيرها فى تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال الى الموكل

لانه من علوم المكاشفة فاذا تصدى القلب للخروج فاما هذا الحد اذا لم تكن حاله هذا الحد فليس يستضر بشهوة تصدر منه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه لشبع معه اشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذى يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء المصدع لم ينتفع به بل حقه أن يعرق فى الهند الذى استولى عليه واشتغال المطبخ من جهله بها كان وتريد صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة معذرة لى لا يرى له لاخراج المال فعليه ان يتصدى لما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه فى ربع المكاسب فيرجع به هذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق والمنطلق لقول السائل الحج أفضل أم الصوم لم يكن جوابا حقا لأن الحر المجتمع أفضل والصوم للعطشان أفضل فان اجتمعا فبالنظر الى الاغلب فان كان العطش

(هو لاعلاج فالماء أفضل وان كان الجوع غلبه لحر فحص فان تساويهما متساويان) لاتفضيله لاحدهما على الآخر (وكذا اذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب البنفسج) وفي نسخة البنفسج (فلم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا لم لو قيل السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء فيقول عدم الصفراء) أفضل (لان السكنجبين مراده ومايراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لاحالة فاذا دار الامر بين عمل وهو الاسقاء ويحصل به حال وهو زوال المحل وخروج حب الدنيا من القلب وبين ترك عمل وهو عدم الاسقاء ويحصل به حال وهو بقاء المحل وعدم خروج حب الدنيا من القلب وبين سبب خروج حب الدنيا منه) أي من القلب (معرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة وعدم الحال وهو العمل) على هذا الترتيب (فلذا قدمت الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله (١٥٦) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقال تعالى ويضاعفه اضعافا فكيف لايكون العمل

والانفاق هو الافضل فاعلم ان طبيب اذا أتى عن الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الحمية والاشفاء الحاصل به ويمكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لايشعر به غالبا فهو كمرض على وجهين لامرأة معه ولد لايشعر به ولود كره لايصدق به ولسيل معه الدم لعين الشفاء على غسل الوجه بماء الورد فان كان ماء الورد يزيل المرض حتى يستحثه فرط الشفاء على المواظبة عليه ويزول مرضه فانه لود كره ان المقصود زوال المرض عن وجهها وعلاج المرض ورعم ان وجهها لاعيب فيه ولم يصر بمثلا أضر من هذا فيقول من له ولد عليه معلم والقرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لايزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة لبقي في حفظه محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي الى التكرار ودراسة لانه يعلم ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد بتعليم عبيده وعلم على ذلك بالحيل تتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم ويرتاض في تعليم المسكين ان المقصود تعليم القرآن) فقد (وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل عبيدي أناسا أجل منهم) قدرا (وأعز عندي ولدي وعلم أني لو أردت تعليم العبيد لقدرت عليه بدون تكليفي به وعلم انه لانقصان لابي بتعليم هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما تكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغنائه عنه وعلى كرمه في العفو عنه في سعيه وتعليمه القرآن ويبقى مدبرا محجوبا ومن حيث لايدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة) من حمقى عقولهم (وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عباداتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله

(هو لاعلاج فالماء أفضل وان كان الجوع غلبه لحر فحص فان تساويهما متساويان) لاتفضيله لاحدهما على الآخر (وكذا اذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب البنفسج) وفي نسخة البنفسج (فلم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا لم لو قيل السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء فيقول عدم الصفراء) أفضل (لان السكنجبين مراده ومايراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لاحالة فاذا دار الامر بين عمل وهو الاسقاء ويحصل به حال وهو زوال المحل وخروج حب الدنيا من القلب وبين ترك عمل وهو عدم الاسقاء ويحصل به حال وهو بقاء المحل وعدم خروج حب الدنيا من القلب وبين سبب خروج حب الدنيا منه) أي من القلب (معرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة وعدم الحال وهو العمل) على هذا الترتيب (فلذا قدمت الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله (١٥٦) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) وقال تعالى (ويضاعفه اضعافا) وعبد ذلك مما ورد الحث عليه في الكتاب والسنة (وكيف لايكون العمل والانفاق هو الافضل فاعلم ان طبيب اذا أتى عن الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الحمية والاشفاء الحاصل به ويمكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لايشعر به غالبا) لخفائه عنا (فهو كمرض على وجهين من لامرأة معه ولد لايشعر به ولود كره لايصدق به ولسيل معه الدم لعين الشفاء على غسل الوجه بماء الورد فان كان ماء الورد يزيل المرض حتى يستحثه فرط الشفاء على المواظبة عليه ويزول مرضه فانه لود كره ان المقصود زوال المرض عن وجهها وعلاج المرض ورعم ان وجهها لاعيب فيه ولم يصر بمثلا أضر من هذا فيقول من له ولد عليه معلم والقرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لايزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة لبقي في حفظه (محفوظ فيقال انه محفوظ ولا حاجة بي الى التكرار ودراسة لانه يعلم ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد بتعليم عبيده وعلم على ذلك بالحيل تتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم ويرتاض في تعليم المسكين ان المقصود تعليم القرآن) فقد (وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل عبيدي أناسا أجل منهم) قدرا (وأعز عندي ولدي وعلم أني لو أردت تعليم العبيد لقدرت عليه بدون تكليفي به وعلم انه لانقصان لابي بتعليم هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما تكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغنائه عنه وعلى كرمه في العفو عنه في سعيه وتعليمه القرآن ويبقى مدبرا محجوبا ومن حيث لايدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة) من حمقى عقولهم (وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عباداتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله لاطعمهم المساكين لاطعمهم ولا حاجة به تعالى لصرف أموالهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من إذا شاء أغنى بالصدق وإذا شاء أعذب بالجهل يصل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما علموا أنهم استخدموا الأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لا حاجة لله في المساكين ولا لطعامه فسووا أموالهما سواء أهلكها أو أمسكاها هلكوا كذلك يعمى لماظن أن مقصود الولد استخدامه لأجل العبد ولم يشعر بأنه كان المقصود

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله لاطعمهم المساكين أطعمهم ولا حاجة به تعالى لصرف أموالهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) أي أنتم لا في ضلال مبين (وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من إذا شاء أغنى بالصدق وإذا شاء أعذب بالجهل يصل به كثيرا ويهدي به كثيرا) يعني القرآن (فهؤلاء لما علموا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لا حاجة لله في المساكين ولا لطعامه فسووا أموالهما سواء أهلكها أو أمسكاها هلكوا كذلك يعمى لماظن أن مقصود الولد استخدامه لأجل العبد ولم يشعر بأنه كان المقصود

صفة تعلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سببا لسعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الولد لتعلقه في استخراج ما في باطنه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فإذا المسكين الأخذ لك يستوي بواسطة المال خبث يحصل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك بخروج الدم المهلك من باطنك) حاصله من تتبع الدم (فالحجام خادم لك لأنك تستخدم الحجام ولا يخرج الحجام عن كونه حاجما) لك (بل يكون له غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للموطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام) رواه أبو داود والنسائي بلفظ ان هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد (والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف ولترجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل) اعلم أنه تقدم أن المقامات لا تنظم إلا من ثلاثة (فلا يخلو إما أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال والعمل في الآخر بل يقابل كل واحد بغيره حتى يظهر التناسب بعد التناسب يظهر الفصل) والترجيح (ومهما قلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر صار حالهما إلى معرفة واحدة ومعرفة الشاكر أن يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى) فيشكر (ومعرفة الصابر أن يرى العمى من الله) فيصبر (وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرتا في البلاء والمصائب وقد يمكن الصبر قد يكون عما عنوعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة (لأن شكر

المهلكة من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم المادة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لأنك تستخدم الحجام ولا يخرج الحجام عن كونه حاجما بل يكون له غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للموطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كالسقي في الزرع

يرجع فى معرفة نعمة الله تعالى الى ما هو مقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثلث باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى) وهو ثلثة (الصبر والشكر فيه اى فى الايمان لانهما نصفان واحد باعتبار ين مختلفين وثلث باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى) وهو يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما يحاق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث شهوة فقد صرعه فى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفصل الشئ عن نفسه وقد مجارى الصبر مثلا ما عدا المعصية والطاعة وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية وأما الابلاء فهو عدم وقد يتعذر والعبد اما أن تقع صرورية كالعينين مثلا واما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر لا عمى عنهما بان لا يستعمل الشكوى ويظهر بر صا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر الصبر عليهما من حيث العمل باحد الامرين أحدهما أن لا يستعملهما فى المعاصى والآخر أن يستعملهما فى الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن اجر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والصبر انما وقع صبره عن جمال فصبر كان شاكرا لنعمة الله سبحانه وتعالى فى ان لم يستعمل نعمة البصر فى تقدم الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعمى على الطاعة فلا بد أن يصابه من صبر على طاعة ثم قد يشكره بالصبر لى يتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان صبر راس الانبياء ورتبة موسى عليهما السلام وغيره من الانبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصر مثلا ولكان يمكن فى ان يسلب الانسان الاعراف كلها او نزلا كلهم على وصم) أى اللوح من الخشب الذى كان يوضع عليه لحم الجزور ويقسم (وذلك محال لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة فى الدين وبموت بعضها انهدام ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هى فيه آلة من الدين وذلك لا يكون الا صبرا وأما ما يقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه ان لم يؤد الا بصرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففى الصبر عنه مجاهدة) شديدة (وهو جهاد الفقراء) أى غزاة الجهاد بهم (ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا تستعمل فى المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذى هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا) والحاصل ان الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر عن ان يعصى الله سبحانه فقد شكر هو من صبر عن طاعة الله فقد شكر نعمه (وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

يرجع فى معرفة نعمة الله تعالى الى ما هو مقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثلث باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى) وهو ثلثة (الصبر والشكر فيه اى فى الايمان لانهما نصفان واحد باعتبارين مختلفين وثلث باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى) وهو يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما يحاق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث شهوة) اى يقهر ويكسر (فقد صرعه الذى هو مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفصل الشئ عن نفسه) وهذا فيه بأن يقول من دخل الجنة انهما سيان وسيأتى عليه ما فيه ان شاء الله تعالى كل من الصبر والشكر والرضا وهو متحدة بالذات فيها وقد تختلف بالاعتبار فتحصل الفضائل فلا يصح ان يقال فيها لا سيما اذا أخذ بالمعنى الذى هى حوادث عن الاعمال (وقد تجارى الصبر لانه الطاعة والمعصية والابلاء وقد ظهر حكمها فى الطاعة والمعصية وأما الابلاء فهو عدم وقد يتعذر والعبد اما أن تكون تقع صرورية كالعينين مثلا واما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر لا عمى عنهما بان لا يستعمل الشكوى ويظهر رضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى) وشكر الصبر عليهما من حيث العمل باحد الامرين أحدهما أن لا يستعملهما فى المعاصى والآخر أن يستعملهما فى الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن اجر (فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والصبر انما وقع صبره عن جمال فصبر كان شاكرا لنعمة الله سبحانه وتعالى فى ان لم يستعمل نعمة البصر فى تقدم الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعمى على الطاعة فلا بد أن يصابه من صبر على طاعة ثم قد يشكره بالصبر لى يتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان صبر راس الانبياء ورتبة موسى عليهما السلام وغيره من الانبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصر مثلا ولكان يمكن فى ان يسلب الانسان الاعراف كلها او نزلا كلهم على وصم) أى اللوح من الخشب الذى كان يوضع عليه لحم الجزور ويقسم (وذلك محال لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة فى الدين وبموت بعضها انهدام ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هى فيه آلة من الدين وذلك لا يكون الا صبرا وأما ما يقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه ان لم يؤد الا بصرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففى الصبر عنه مجاهدة) شديدة (وهو جهاد الفقراء) أى غزاة الجهاد بهم (ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا تستعمل فى المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذى هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا) والحاصل ان الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر عن ان يعصى الله سبحانه فقد شكر هو من صبر عن طاعة الله فقد شكر نعمه (وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

احتمال ألم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين أفضل من شيء واحد وان الحالة على رتبة من البعض وهذا يحتمل دلالة ضعيفة لوازنة بين الحالة وبين نقيضها وأما اذا كان شكره مما لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني المنعم الشاكر لان صرف ماله الى الخيرات للفقير قد يهد نفسه وكسرهم منها وأحسن رياضا لاخلاقه تعالى وهذه الحالة تستدعي لاحالة قوة وهي قمع مهمته وقطع شهوته ولكنه قد يقتصر على المباح ويمسك عن الحرام وذلك لا يدمن قوة في صبر عن الحرام أيضا لان القوة التي يصدر عنها صبر الفقير أعم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار على التنعم على المباح وأشرف وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لاحالة وجميع ما ورد من تفضيل آخر صبر على آخر شكر في الآيات والاخبار انما يريد به هذه رتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من لفظ الصبر والشكر في الامور التي هي مهمة والسابق الى افهام من اشتكر أن يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تهمه النعمة أفضل من الشكر الذي تهمه النعمة والى هذا المعنى عاد الخصوص شار الحمد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح المعنى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين فيما شروط ما عليهما فشرط المعنى تمحصه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتنعمها وتمددها والفقير تمحصه فيما عليه أشياء تلائم صفته وترجعها فاذا كان الانسان قائما لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وترجعها أتم حالا ممن متع صفته وتنعمها والامر في ماله وهو تخصيص من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد حاسبه في دلك وقال المعنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فرد عليه الجنيد فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده واتلاف أمواله وزوال عقله أو ضع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد ما تمت ورجع في تفضيل الفقير الصابر على المعنى الشاكر

احتمال ألم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين أفضل من شيء واحد وان الحالة على رتبة من البعض وهذا يحتمل دلالة ضعيفة لوازنة بين الحالة وبين نقيضها وأما اذا كان شكره مما لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من المعنى المنعم الشاكر لان صرف ماله الى الخيرات للفقير قد يهد نفسه وكسرهم منها وأحسن رياضا لاخلاقه تعالى وهذه الحالة تستدعي لاحالة قوة وهي قمع مهمته وقطع شهوته ولكنه قد يقتصر على المباح ويمسك عن الحرام وذلك لا يدمن قوة في صبر عن الحرام أيضا لان القوة التي يصدر عنها صبر الفقير أعم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار على التنعم على المباح وأشرف وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لاحالة وجميع ما ورد من تفضيل آخر صبر على آخر شكر في الآيات والاخبار انما يريد به هذه رتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من لفظ الصبر والشكر في الامور التي هي مهمة والسابق الى افهام من اشتكر أن يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تهمه النعمة أفضل من الشكر الذي تهمه النعمة والى هذا المعنى عاد الخصوص شار الحمد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح المعنى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين فيما شروط ما عليهما فشرط المعنى تمحصه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتنعمها وتمددها والفقير تمحصه فيما عليه أشياء تلائم صفته وترجعها فاذا كان الانسان قائما لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وترجعها أتم حالا ممن متع صفته وتنعمها والامر في ماله وهو تخصيص من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد حاسبه في دلك وقال المعنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فرد عليه الجنيد فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده واتلاف أمواله وزوال عقله أو ضع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد ما تمت ورجع في تفضيل الفقير الصابر على المعنى الشاكر

(١٥٦)

ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها فى بعض الاحوال وقرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق وقرب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو المعنى الذى يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يملك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقى يصرفه الى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله

تكلم بعض فى تفضيل الغنى على الفقير وأعطى ثلاثين ألف درهم وقال بعض المشايخ بارك الله له فى هذا المال فخرج ابن عيسى وروقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه (ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها فى بعض الاحوال وقرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق) تقريره (وقرب غنى شاكر أفضل من فقير صابر) فلصاحب القوت فى تفصيل التفضيل فى ثلاثة أوجه أحدها ان المقامات أعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو أفضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر على البلاء فحاله مزيد لمقامه فقد صار مزيد الشاكر فى مقامه والوجه الثانى من التفصيل ان المقربون أعلى مقاما من أصحاب اليمين والصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين والشاكرون والمقربون أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين فان قيل فاذا كان الشاكر والصابر من المقربين فايهما أفضل عندك فقد قلنا ان هذين لا يتحققان فى مقام من كل وجه لا نفراد الوجه بمعانى لطائف اللطائف مثل ما انفردت به وجوه ملائكة الصفة مع تشابه الصفات واشتراك الادوار وأفضلهما حينئذ اعرفهما لله أحبهما الله تعالى وأقربهما منه وأحبهما بفضل الله على ما نزل الله عز وجل ثم قال وجه آخر من بيان التفضيل (يقول ان الصبر عما يوجب الشكر أفضل وان الشكر على ما يوجب الصبر أفضل وهذا يختلف باختلاف الاحوال تفسيره ان الصبر عن حب النفس وعن التنعم وايثاره أفضل ان كان عند حاله الدعة فاما الصبر عن النعم والغنى مقام فى المعرفة وهو أفضل لان فيه ازهدا لخروج عن تفصيله ويقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمعائب أفضل ان كان عند حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له فى المعرفة فهو حينئذ أفضل لان فيه الرضا المتفق على فضله وقال فى موضع آخر من كتابه ومن الناس من يقول ان الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن بهما تفصيل عند أهل التحصيل من قبل ان الشكر مقام الله من أوقعين وانه يجمع بين جماعه على جماعه لا يصح من قبل تفاوتهم فى ذلك والمشاهدات لان بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين بتفصيل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته ولكل تفضيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات فيقول وانه أعم ان الصبر عن النعيم أفضل لان فيه ازهد والخوف وهذه أعلى المقامات وان الشكر على المكاره أفضل لان فيه البلاء والرضا وان الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل انه أشق على النفس وان الصبر مع حال الغنى والمقدرة ان يعصى الله تعالى أقرب من الشكر على النعم من قبل ان الصبر عن النعم أفضل من الطاعة لمن جاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار للبلاء عنده نعمة وهذا أفضل لانه مع شهوة المقربين واذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لانه مع حال الزاهدين وفى الخبر نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل فهى الاقرب شبها فالاقرب درج أهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان منه صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الافضل فقد كان صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة بلائه وكذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء اذ هو الامثل والاقرب الى وصف الانبياء وكل مقام من مقامات اليقين يحتاج الى صبر والى شكر وأحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما وقال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور فهذا كلام صاحب القوت وربما أفرط بعض الصوفية وقال لفقير شاكر أفضل من الغنى الشاكر (و) أما قولهم الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فان (ذلك هو الغنى الذى يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقى يصرفه الى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح) أى تعرض (حتى يصرف) ذلك (اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت) أى شهرة بين الناس (ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله

تعالى في تعقد عبده هذا أنقص من الكبير الصغير) هذا الاعتبار (هو نعت هذا) الذي ذكرته (لا يتقل على نفس و) لا (صغير يثقل عليه الفقر لأن هذا يستشعر بقدرة القدرة) و تب (وذلك يستشعر أنه قادر) على العدم (فلا كان هذا أمثل بعد أن المال و بحرد ذلك لقدرته في القدرة على الانفاق فاعلم أن الذي نراه أن من ضاق ماله عن رغبته وطيب نفس أكل طالما نفسه وهو بخيل به وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تحصيل هذا فيما سبق من كتاب سوء) فصير الجميع هنالك (فالام النفس ليس معالجة العين بل تأديبها) أي تأديب (وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد و) كلب (الماشية الذي يؤلم صغره ليكبر فيصلح للصيد و) الماشية (ولا يحتاج إليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما في حقه عديما عنده) وهو مقام الرضا و) إنما (أعني لحمة (كما يصير تعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له أولا لكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين) درجة (بداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق فانه قد تكثر لا تحصل حواس وتطلقه لارادة لا كثرة طلق القول بان الصبر أفضل من الشكر لانه صحيح بما هي عليه في الاغلب) و بيده فهما أكثرا لموجبه قدمت وحذيت و رأيت لكن لما كان تحدي حقي لموفق قد حضر في كتابه مقاصد المحبين الى سبيل الشكر عن الصبر و رجحه عليه وكلامه في ذلك عجيب فاحببت ان أورده بتمامه ولا أزيل منه شيئا لتمام فائدة ادعو من وادي كلام المصنف فقال الفرع الثاني في فضل الشكر عن الصبر حتى اختلف العلماء في ذلك بين مرجح لاحدهما وقائل بالتساوي ولا شك ان الصبر مقام محمود تعرف فضيلته بالشرع والعقل ولكن قد تقرر ان المقامات منازل و بمارتب في السلوك كثيرة وا شروطه وآدابه و المقصود من الموارد ان من السالكين من يكون الصبر في حقه أفضل لشخص وبالنسبة الى حاله ولا شك ان الصبر منزل يقطع الانسان قدمه الاول فيه وقد يطلع عقبات كثيرة من وادي السالكين وتحتاج فيه الى مدة و يمكث في الوسود فيرى نعم الله ابتداء عليه ظاهرة و باطنه و يرح نعم الله و يرى الصابر في مقام الشكر بعد ان كان ما كان الحال الصبر من سلوك تلك العقبات واختلاف الاحوال عليه و اعمل لواحد لا يحتاج عليه حالات شرعيات لان سوديا لا يكونا في محل واحد في زمن واحد والصبر والشكر في الطبع فانه يجتمع وارع شرع في زمان واحد نعم يكون أحدهما الحال والثاني فعلا حقيقة ومرتبة واسبقيته لانه وقد ترجح شكر عندي هذه المقدمة ترجح صاحب هذه المعرفة صبر صاحب المعرفة الثانية التفصيل ثم ورد فيها) وعد ثانية حقيقة التفاضل بين الاشياء المفاضلة مأخوذة من فاضل هو ايراده فيها (ادراك شيئين في أمر واحد يختص أحدهما بزيادة فضل وهو فضل عليه لا يصح التفاضل من عدمين من حيث ان أحدهما أشق على فاعله فقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة مع رسوخ علاقة لا إله الا الله وأدبه هذا ما فاضلة لادى عن العابر في وليس بقدر من الشرعي عابر يق با سهل من قول لا إله الا الله وقد أثنى الله على أهل الملائكة بعدم السآمة فيه لمثل الاقتداء وان تسبيحهم يجري مجرى النفس وذلك يدل على الملاذ ولان من حيث كثرة الثناء على أحدهما دون الآخر وقوة رسوخ حلاله في الجنة وما يهدأ كثر مما شوقنا من النظر الى وجهه تعالى ولا قائل بان لذات الجنة أفضل من لذة النظر الى وجهه تعالى فعلم هذا تعرف ان حقيقة التفاضل وزن دون اشيئين وصفا تهما بمعيار يرهن ويعيار = فهو لا فصل من ذلك الشكر أو يحمل الصبر سعة أحد هما لله تعالى وهي مع جميعا في الحديث الذي خرجه الترمذي الصبور والشكور في كتاب الله شكور وصابرين في الصبور مصبر في شكور وزاد عليه الصابر على نفسه وعلى عباده بكلامه القديم ولا نوجد مثل هذه في حق الصبور الذي يصبر ما وصبا صبر معرفة الآلاء وحسب الشكر معرفة ذي اجتمعت عرفتان بل المعرفتين الثالث النظر في حالهما فحال الصبر

قد أردف التحقيق وفصل قال للصبر درجات أعلاها الشكوى مع الشكر هو وراءه الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراء الشكر
على البلاء وهو وراء الرضا بل الرضا يمكن على الألم فيبقى الروح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح

به وكذلك الشكر درجات
كثيرة ذكرنا أصلها ويدخل
في جملتها أمور دونها قال
بعضهم العبد من تتابع نعم
الله عليه شكر ومعرفته
تقصيره عن شكر شكر
والاعتراف بأن ما له شكر
شكر والعجز عن شكر
الله وهذا أيضا من نعم
الشكر أيضا نعمة من نعم
الله وهكذا فيما لا يتناهى
وحسن التواضع للناس
والدال فيها شكر والسؤال
الإسلام من يريد شكر الناس
من شكر الله وقد ذكرنا
حقيقته في كتاب أسرار
الزكاة وقلة الاعتراض
وحسن الأدب في
المنع شكر وبقي المنع
بحسن القبول واستعظام
صغيرها شكر وما يدرج
من الأعمال والأحوال
تحت اسم الشكر وأسبابه
لا تنحصر أعدادها وهي
درجات مختلفة كيف يمكن
احتمال القول بتفضيل
أحدهما على الآخر الا على
سبيل ارادة الخصوص
بالقطع العام كما ورد في
الأخبار والآثار وقد روي
عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الأسفار سبعين كبيرا قد صعن في سن فسألته عن حاله فقال بي كنت

زيادة

في نداء عمري أهوى أنعم علي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق أنها زوجت مني فسألته تعالى حتى تحيي هذه الليلة شكرا لله
تعالى على ما جمعنا فصليا تلك الليلة ومع طرح أحدنا الى صاحبه فهل كانت الليلة الثانية كذلك مثل ذلك) مع

استعمله لكلمة واحدة بعينها وهل شكر الله تعالى مفروح به للعبد وهو عام مفروح فصل من
الشكر عند المحروم مفروح به فيه فعمل الصبر محمود والشكوى وعمل الشكر محمود مشكور عليها
عند الشاكر وترى من شهد الشكاية محمودا ثلاثة صبر عليه ومن يراه نعمة تشوقه الى جوار
الله تعالى فيشكر عليها ومن طارق علاجها وعلاج صبر وثبات بحر الطعم وعلاج الشكر روية
لم يدعه عجز الناس بعارفي استدامتها سؤاله شكر مستحب للسالك في كل مقام وحال
والاحوال وان تقامت لانه به قالت كر على ذلك لانه به والصبر ينقطع عند أول مقام من مقامات الرضا
بالبلاء ومن مات يحاسب بالصبر في الاستدامة لقد أدلوا رضا بالمرة ثم كان الموت
والشكر في الآخرة من المؤمن والكافر قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقال تعالى يوم
يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا فالمؤمن والكافر يحمده يوم ترجعون كذلك المؤمن يهكذا يبعث
ويكون ترجيح من يبقى دار أحدهما على الارتفاع به والله أعلم ثم عن كلامه (فاذا أردف
بحسن الصبر الشكر فله ثمرة أخرى مع الشكر هي وراء الرضا) يعني والله تعالى أعلم (وهو
مقام وراء الصبر وهو الشكر على البلاء وهو) مقام (وراء الرضا لأن الرضا مع الألم وارد يمكن فيه الألم
فيبقى الروح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة قد ذكرنا أصلها ويدخل
في جملتها أمور دونها) أي دون درجات الشكر (فان) يوجد ما للعبد في ثبات الشكر
وخلاص الكفرة وأنعامهم ثم ترى لا يبين وجهه ليس بشكر به النسوي والعصب فضلا منه ومنا من
جملة النعم بعد الاعتراف بأن شكر ذلك لا يقوم به الا بما وهب وألهم به من المعرفة بذلك وأمثاله و (حياء العبد
من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفة تقصيره عن الشكر شكر والاعتراف بأن ما له الشكر شكر ومعرفة
عجزه عن شكر شكر والاعتراف بأن سؤاله الشكر من نعم الله هو من نعم الله) من العبد
مضاف الى نعمه (شكر والعجز عن شكر الشكر نعمة من نعم الله وهو شكر ومن حسن التواضع
للناس شكر وشكر وشكر ونشره) بنشاطهم وحسن ادعائهم بأنهم مرفوع للعبد وأسباب
بالعطف على ما جرى قول (شكر الله لمن لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد
وأبو داود من حديث أبي سعيد وابن حبان من حديث أبي هريرة والترمذي من حديث جرير وقد تقدم
في كتاب الزكاة (وقد ذكرنا حقيقته فيما ذكر في كتاب أسرار الزكاة) فليرجع اليه (وقلة الاعتراض وحسن
الأدب في يدي المنع شكر وبقي في اسم المنع بحسن القبول واستعظام صغيرها) وتعظم حقيرها (شكر لان
ما من شيء كان يعد حقيرا واستحقر وجوده ما منع الا لحكمة الله تعالى) واستصغار النعمة وكان
ذلك كفرانا منع (وما يدرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر وأسبابه لا تحصر أعدادها وهي
درجات مختلفة كيف يمكن احتمال القول بتفضيل بعضها على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص في
الأسماء العامة كما ورد في الأخبار والآثار) مثل ما تقدم ذكرها (وقد روي) كذا في النسخ والأولى حذف
كما هو واضح (عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الأسفار سبعين كبيرا قد ضعن في السن) كنت أحدهم
وعدده مجوز (فسألته عن حاله فقال بي كنت في نداء عمري أهوى) أي أحب (ابنة عم لي وهي كذلك
تهواني) ثم تزوجتها (فاتفق أنها زوجت مني فبلغها ذلك) وفي بعض نسخ الرسالة فبلغ الى قوله الليل
(فقالت تعالى حتى تحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا) أي على جمعنا على وجه حلال (فصلينا
تلك الليلة ولم نفرغ أحدنا الى صاحبه) لانال شهوة منه (فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك) مع

زيادة أي قال كل منا لصحبه تعالى نحيي هذه الليلة بشكر الله تعالى على ما منّ علينا به من الاجتماع وما وفقنا له من الشكر (فبتنا طول ليلنا) ونحن سبعين أو ثمانين سنة (نحسن على تلك الحالة) وفي بعض نسخ الرسالة على تلك الصفة (كل منا له) ثم قال هو به (أليس) الأمر (كذلك يا فلانة) ونسمي بعضهما (قالت) له (إي والذي نفسي بيده) وهكذا يكون حال من عرف مقدار نعم ربه وتوالت عليه فيشكره على الدوام ويعقل ذلك ولذا ورد هذا القصد الفشيري في رسالته (فانظر إلى هذا الوصف على بلاغة قولهم يجمع الله بيننا وبين صبرا في شكر وبين شكرها في صبر وبين هذا الوجه) وقد ذكر النحويون وأشار إليه علماء البيان الاشتمال بنحو قولهم أعجبني زيد علمه وكرمه (فالأحق) بمثل هذا الشكر أفضل وأدوم (أن لا نفصل) ولا نرجح (بعض تلك الحالة على بعض) لأن الكل شكر (فإن الله تعالى) قد (أعلم) وفي نسخة أعلى (من غيره بحقائق الأحوال) وأسرار الأعمال (وأعرف بالأفضل منها) ومن غيرها (وأحكم) في شرعه وحكمه (فيما شرعه) من الأحكام (وبما علمه) من الأنام (ولا يعترض على حكمه) ولا يعارض (بل يتلقى بالقبول) ويعمل بما أمر به ونهى عنه (ويعلم أن الكل) من الأحوال (خير) وإن تفاوتت في الكمال (وطاعة) وإن تباينت في الجلال (وقربة) وإن تخالفت في الجمال (وأن الله تعالى يحب كل واحد منها) ويرضى به (ويثيب عليه) ويعطي لديه (ويقبل عليه) ويعفو لديه (ويرضى عنه) ويكرمه (ويقربه إليه) ويدنيه (ويدنيه منه) ويحظيه (ويحظى به) ويحميه (ويحميه) ويواليه (ويواليه) ويصافيه (ويصافيه) ويجازيه (ويجازيه) ويكافيه (ويكافيه) ويوفيه (ويوفيه) ويعطيه (ويعطيه) ويهديه (ويهديه) ويحبوه (ويحبوه) ويكرمه (ويكرمه) ويقربه (ويقربه) ويدنيه (ويدنيه) ويحظيه (ويحظي

جنته والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته (أما بعد) فان الرجاء والخوف جناحان يطير بهما المقربون الى كل مقام محمود ومعينان يقطع بهما طريق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يوصل الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح ولا يعبر الا زمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والبعد الا مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وغائب اللذات الا بسياط الخوف وسطوات العقاب وقد اشتمل حديث جابر على ذكرهما (ولابد لمن يريد التوصل الى جمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما) وليس المراد بالتضاد هنا الا ما يستحيل اجتماعهما و موضع واحد وانما يتعاقبان كالسواد والبياض فسيأتى المصنف قريبا ان الخوف ليس ضد الرجاء بل هو رديف له وانما اراد هنا معنى آخر (وان امكن الجمع بينهما) (وعن تجمع ذكرهما فى كتاب واحد) لان الانس للمؤنس من جنسه وعدم تشاكل احدهما وهذا اختلاف غير مضيف كالفقير وصاحب القوت فهما ذكرا كل واحد منهما فى باب مستقل (يشتمل) ذلك الكتاب (على شطرين الشطر الاول فى الرجاء) وما يتعلق به من الوصول به الى ذلك (والشطر الثانى فى الخوف أما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء وبيان الطريق الذى يكتسب به الرجاء) وما تقدم من شرح باب الخوف على باب الرجاء وتقديمه صحيح على تقدير ان الخوف حال أهل الابتداء كما تعترف الرجاء فانه حال أهل الانتهاء ولكل وجهة

(بيان حقيقة الرجاء)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الرجاء) كما دلت عليه اللغة (هو) ان (يكون له مقامات سالكين وأحوال طالبين) وهو المعبر لرائح من مقامات اليقين والصدق وحد الانابة خص السلوك بطريق الحق والتبتل اعم وهو واحد لانابة من عقود الايمان كالتوبة ثم اعم من هذا العلم الذى نحن بصدده يترتب على قواعد شتى يوردها المصنف فى موضع واحد لاحتمال تمام الترتيب وعسر الوقوف عليها عند الحاجة فلهذا احتاج ان يتبع فى كل كتاب قاعدة مناسبة له وسيبين عليها مما له وقد أشار فى القاعدة الماضية لهذا الباب وما يتبعه من الاحوال فى انقسام أحوال القلوب قوله (وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت وأقام) كأنه أشار به الى وجه تسميته أى يسمى لقوم مقاما لثبوته واستقراره (وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال) أى يسمى الحال حالا لتحوله وسرعة زواله (كما ان الصفرة تنقسم الى بائنة كصفرة الذهب) هذا مثل لونه الذى هو تعبيرته وقد يحمر يعترض فيثبت فيه (والى سريعة الزوال كصفرة الوجل) فان

الانسان اذا عراه خوف يعتريه فاذا زال الخوف رجع الى لونه (والى ماهو عليه كصفرة المريض) فتارة تثبت وتارة تزول (فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام والذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب) واختلفت عبارات الشيوخ فى الحال والمقام ووجد الاستناد بهما لمكان التباسهما فى أنفسهما وتداخلهما وتراءى للبعض الشئ حالا وعرى للبعض مقاما وكلا ترجيحات تصح لوجود تداخلهما وأحسن ما يعرف به بينهما ما أشار اليه المصنف على سبيل العبارة عنهما بقوله (وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما بعد الاحول يرتقى الى المقامات (وهذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب) فما يعرف وصف من أوصافه الا وقد يسمى وصفه (وعرفت الآن حقيقة قولهم فلان بحسب بصائرهم من حال وعلم وعمل) فانه ما من مقام الا وهو يتداخل من هؤلاء الثلاثة وبعض مشايخ الحال والحال ميراث العلم (فالعلم سبب يثمر حالا) أى بمنزلة الثمرة والحال ثمرتها (والحال ثمرة فى العمل) فانه بمنزلة العصير (وكان لرجاء اسم للحال من حيث الثلاثة) المذكورة (وربما كان كل ما يملأ القلب من مكروه ومحبوب ينقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى) من الزمان (والى منتظر فى الاستقبال) أى فيما سيأتى (فاذا تصور ذلك موجودا فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا) وعدما وأضيف الى المذكور وجودا شئ فى نفسه أو للسان وذلك لان الشئ له أربع درجات وجوده فى ذاته ووجوده فى حس الانسان ووجوده فى نفسه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو حصول وجوده فى حس الانسان ووجوده فى حسه هو حصول وجوده فى نفسه ووجوده فى كتابته هو حصول وجوده فى لسانه ووجوده فى كتابته هو حصول وجوده فى نفسه لان الوجود الذى هو تناول الشئ بالحس لا يسمى وجودا الا اذا كان الحس يحيط عليه كما يحيط به (وان كان قد تجاوز به ذلك ووجد شيئا فى الاستقبال وعلم ذلك على قلة سمى انتظارا له ورجاء) فالانتظار هو ان التوقع ما يكون فى الحال والرجاء يتعلق من الوقوع بمعنى الحصول أى تكاد تحصل امارته فى يده (وان كان المتصور مكروها حصل منه ألم فى القلب سمى خوفا واشفاقا) وحذارا وتحفظا وقد اختلفت عبارات الناس فى الخوف فقيل هو توقع مكروه أو وجوب محبوب قيل هو حذر يحصل من أمور ظاهرة تشير وحصل توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة وأما الاشفاق فهو يتعلق بمحذوف لان المشفق يشفق على من يخاف ما خفه فاذا عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وربما فى اضافته فيه أظهر (وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واستدرار وجوده ما يسمى لذة فى القلب وارتياح سمى ذلك لارتياح ورجاء فالارتياح هو ريح قلب لانتظار ما هو محبوب عنده) عن امارة مظنونة ومعلومة هذا هو معناه العرفى وان كان بعضهم يخص حصول ما فيه مسرة وذلك هو توقف لانتفاع بما تعدم له سبب وفصل تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا وقال القشيرى فى الرسالة هو تعليق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل وكان الخوف يقع فى مستقبل زمان وكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال (وان كان ذلك المحبوب المتوقع لابد وان يكون له سبب) تقدمه (فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع اجترام أسبابه واصطرامها فاسم الغرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب) وعند ما لا طمع فى وقوعه كتمنى الشباب يعود وقال القشيرى والفرق بين الرجاء والتمنى ان يتمنى بصاحبه الكسل وبسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب

وهذا جار فى كل وصف من

دلك منتظر مع تحرم أسبابه وتصطرم فاسم الغرور والحق عليه صدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب

(وفي كل حال) لا يتعلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه (ويكون موقع عن امارة ما مظنونة أو معلومة (أما ما يقطع به فلا يقال أرجو طلوع الشمس وقت اعتياده وأخاف عروضه وقت تعوده لذلك) أي لطلوعها وعروضه وقتهما (مقطوع به نعم قال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه) فان نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به (وقد عم أرباب القلوب) ممن نور الله بصيرته (أن الله حاضر معه في الآخرة) كما ورد ذلك في الخبر (وأن قلبه كالأرض) في قبوله لما يرد عليه (ولا يمكن كما مر فيه من حرثه بالفكر) أي وقلع بها (المستعرة منها كالأرض المسبخة التي لا ينمو فيها البذر) أي يريدونه (وهو ما غلبه حب الدنيا) فلا يريد أحد لا يزرع) فلا يرجى زرع حصد (ولا ينمو زرع لأن مراد الله تعالى منه ما ينفع الايمان مع حسن القلب وسوء الخاتمة فلا ينمو البذر في أرض سبخة وفي أن تفتش عن حرثه بعد الغرة وحرثه صاحب زرع فكل من قلب أرضه فنبذ عنها كل حجر وشوك ونحوهما مما يفسد الزرع وكل من قلب أرضه فنبذ عنها كل حجر وشوك ونحوهما مما يفسد الزرع وكل من

(وفي كل حال) لا يتعلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه (ويكون موقع عن امارة ما مظنونة أو معلومة (أما ما يقطع به فلا يقال أرجو طلوع الشمس وقت اعتياده وأخاف عروضه وقت تعوده لذلك) أي لطلوعها وعروضها وقتهما (مقطوع به نعم قال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه) فان نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به (وقد عم أرباب القلوب) ممن نور الله بصيرته (أن الله حاضر معه في الآخرة) كما ورد ذلك في الخبر (وأن قلبه كالأرض) في قبوله لما يرد عليه (ولا يمكن كما مر فيه من حرثه بالفكر) أي وقلع بها (المستعرة منها كالأرض المسبخة التي لا ينمو فيها البذر) أي يريدونه (وهو ما غلبه حب الدنيا) فلا يريد أحد لا يزرع) فلا يرجى زرع حصد (ولا ينمو زرع لأن مراد الله تعالى منه ما ينفع الايمان مع حسن القلب وسوء الخاتمة فلا ينمو البذر في أرض سبخة وفي أن تفتش عن حرثه بعد الغرة وحرثه صاحب زرع فكل من قلب أرضه فنبذ عنها كل حجر وشوك ونحوهما مما يفسد الزرع وكل من

قلب أرضه فنبذ عنها كل حجر وشوك ونحوهما مما يفسد الزرع وكل من قلب أرضه فنبذ عنها كل حجر وشوك ونحوهما مما يفسد الزرع وكل من

قلب أرضه فنبذ عنها كل حجر وشوك ونحوهما مما يفسد الزرع وكل من

ذلك في موت وحسن الخاتمة) وعليه فالمعرفة وحدها كاملة اسلامه (كان حصوله رجاء حقيقيا) محمودا في نفسه ما دام في الدنيا وعليه فمقتضى الايمان في تمام حسن المعرفة في الموت وان قطع عن موجب الايمان تعهده بطاعات وترك القلب مشحونا بردائل الاخلاق وتهمل في طلب الدنيا ثم يطرأ المعرفة (وعند الموت) وعند الموت (الانتصار حق وعمر ور) في الحالات (قال صلى الله عليه وسلم) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت (الاحمق) وفي نسخ الفاجر (من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس وابن حبان في صحيحه من حديث شداد ابن أوس وقد تقدم (وقال تعالى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) هو اسم واد في جهنم (وقال تعالى خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

ذلك في موت وحسن الخاتمة) وعليه فالمعرفة وحدها كاملة اسلامه (كان حصوله رجاء حقيقيا) محمودا في نفسه ما دام في الدنيا وعليه فمقتضى الايمان في تمام حسن المعرفة في الموت وان قطع عن موجب الايمان تعهده بطاعات وترك القلب مشحونا بردائل الاحلاق وتهمل في طلب الدنيا ثم يطرأ المعرفة (وعند الموت) وعند الموت (الانتصار حق وعمر ور) في الحالات (قال صلى الله عليه وسلم) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت (الاحمق) وفي نسخ الفاجر (من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس وابن حبان في صحيحه من حديث شداد ابن أوس وقد تقدم (وقال تعالى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) هو اسم واد في جهنم (وقال تعالى خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

الادنى ويقولون سيغفر لعباد الله تعالى صاحب السنن تدخل جنته وقال ما أعلم أن أحدا عاش بعدنا وردت ربي لأحسن حيرا منهما فشكر الله العبد لمجتهد في نصائح المذنب للمعاصي حقيق بان يغفر من فضل الله تام بعمله وبما قدم لنفسه لا بدخول الجنة وأما العاصي فاذا تاب وندم وترك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بان يرحم وقبول توبته وأما قول توبته اذا كان كارها للمعصية تبعها استقر شره الحسنة وهو يندم يوما ويشتهي التوبة ويشتاق اه (٦٧) حقيق بان يرحم الله توفيق

الادنى ويقولون سيغفر لعباد الله تعالى صاحب السنن تدخل جنته وقال ما أعلم أن أحدا عاش بعدنا وردت ربي لأحسن حيرا منهما فشكر الله العبد المجتهد في نصائح المذنب للمعاصي حقيق بان يغفر من فضل الله تام بعمله وبما قدم لنفسه لا بدخول الجنة وأما العاصي فاذا تاب وندم وترك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بان يرحم وقبول توبته وأما قول توبته اذا كان كارها للمعصية تبعها استقر شره الحسنة وهو يندم يوما ويشتهي التوبة ويشتاق اه (٦٧) حقيق بان يرحم الله توفيق

للتوبة لان كراهيته للمعصية وحزنه على التوبة يجري مجرى الندم الذي قد يقضي الى التوبة وربما لم يوجد هذا كله لان الله تعالى قال في حق الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله فجعلهم مستحقين لرجاء الرحمة ولم يشترط فيهم أن يكونوا قد تابوا بل قد يستحقون أن يرحموا بما أتوا به من الحسنات وجود الرحمة لا يعم جميعهم بل يخص بعضهم بالرحمة ولكن كل خصص منهم بالرحمة فانما خصص لوجود سبب فيه اقتضى رحمته فلا بد من وجود سبب في كل من رحمه الله ولا يلزم من وجود السبب وجود التوبة ولا يلزم من التوبة وجود الرحمة فرحمة الله سابقة على كل توبة من عبد وقد أمر عباده أن لا يقنطوا من رحمته وحثهم على أن لا يعتمدوا على التوبة فقال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فجعل الاعتبار في الذنوب برجاء الرحمة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والنهي على الله عز وجل مع الافراط في أمل وأنشد

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

(ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس)

واذا عرف حقيقة الرجاء ومحله فقد علمت أن العمل الذي هو ثمرة الخوف أكثر لاسباب وهذا الجهد للقدم بقيه الاسباب على حسب الامكان فان من حسن ظنه بربه رجا أن يرضى عنه وعلم أن رضاه لا يحصل الا بالطاعة فلا بد من العمل ثم

الذى هو ضده (مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل) وبعد القشيرى فالرجاء محمود والنهى معلول (والخوف بين لصدر الرجاء) كما يتبادر الى الاذهان (بل هو دليله كما سيأتى بيانه بل هو) أى الخوف (باعث آخر على طريق الرهبة كما ان رجاء) (باعث على طريق الرغبة) لان السبب الموجب للخوف هو نفس سبب الرجاء لان الصفات القديمة تتعلق بكل موجود فى الوجود ومتعلقاتها لا تقتضى سرمدا فهى تارة يصدر عنها كل ما شاء وسرو ضر وضر فقد فهر وحمر وعطى ومنع كل ذلك عن أتم أنواع العلم الذى عرف ذلك من صفاته تعالى عنده ورجاء وهذا هو الرجاء المذموم الذى لا يتوقع نجحة ولا يندفع به مكروه بل من فضل الله الذى هو نبله من خصائصه فى أزله ولم يتقع بهذا الرجاء من أخرجه خوف الذنوب والعيوب التى يعلم والغيوب ويقطع بالخوف الذى يرتدعانه من أخرجه رؤيته كثرة الاعمال فى الاذلال والامن والاغترار (فاذا حال الرجاء يورث حمولا مجاهدة بالاعمال والجد فيه على ما وصفت كيفما تقلبت الاحوال) وبه يتضح قوله من لم يعمل بالرجاء فهو مغرور (و) أما علامته فهى ما تصدر (عن ثمرة) من (ثمراته مذموم لانه يدل على انه تعالى يتم عطاياه والتلطف فى التعلق به) عند الدعاء (و) ذلك حق جميل يرجى الله تعالى له عند ربه مرجو وكرمه أرجى وآمل وقد تقدم بيان ذلك مفصلا فى كتاب الدعوات فيرجع من هناك (وهذه الاحوال لا بد وان تظهر فى كل من يرجو ما كما من المحب أو شخص لا خاص فكيف يظهر فى حق الله تعالى من كان لا يظهر فاستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول فى حضيض الغرور والشقى (فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل) وقد روى عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد الزهد لابيه حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسأل عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وان فاتنى وددت انه قد جاءنى منه شئ حرصت عليه وسعيت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أراد الاخرى هيأ لها ثم لا يبالى فى أى أوديتها هلكت) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود بسند صحيح وعنه قال له أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبى حاتم سماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير سمعت أبى يقول ذلك اه قلت ورواه ابن شاهين من طريق سعيد مولى بنى هاشم عن الاعمش عن أبى وائل عن عبد الله قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فاعل رجلا حتى أناخ فقال يا رسول الله انى جئت من مسيرة تسع ليال أسألك عن خصلتين فقال ما أعمل قال أنا زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير قال سألت عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فذكر الحديث بطوله وأخرجه ابن عدى فى ترجمة سعيد وضعفه (فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فنى أن يكون مرادا بما خير من غير هذه العلامات فهو مغرور) فى وادى اللامات وبالله التوفيق

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

(اعلم) أرشدنا الله تعالى (ان الحامل على الرجاء هو علمه على الخوف لان أقرب العباد الى الله أعلمهم) أى أكثرهم علما (به) وأشدهم (ترقبا لعقابه فرجاء) انما يحمد (لما يحمد) لانه الخوف ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم الرجاء على الخوف فى الذكر (وانما يذم ذلك اذا كان يحدم أحدهما الخوف من عقابه والآخر رجاء ثوابه فالراجى ثوابه أكثر حياله من الخائف من عقابه) وهو اعتبار صحيح (بذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن)

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه) اعلم ان الحامل على الرجاء هو علمه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى أعلمهم به وأشدهم ترقبا لعقابه فرجاء انما يحمد لما يحمد والرجاء الذى يحمد أحدهما الخوف من عقابه والآخر رجاء ثوابه وبذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن

رغائب لاسيما فى وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم أصل اليأس وفى أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أما درى لم فرقت بينك وبين يوسف قال لا ان قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم يخف الذئب ولم ترجنى ولم تطرب الى عذلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال كيف تجدك فقال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وقال على رضى الله عنه لرجل أحرجه الخوف الى القنوط الكثرة ذنوبه بهذا ان الله من رحمة الله أعظم من ذنوبك وقال معاذ ان من أدب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا عفو الله عز وجل عنه قال لان الله عز وجل غير قوما فقال وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم

الله تعالى (رغائب) أى مرغبات (لاسيما فى وقت الموت) سواء عرف نفسه بالاساءة أم لا وقال القشيرى ومن عرف نفسه بالاساءة ينبغى أن يكون خوفه غالبا على رجائه لما ينبغى وهذا غير مقيد وقت الموت وفى القوت وولاك رجاء وحسن الظن من فواصل المقامات ما عليه العبد فى آخر لا وقت عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة بحول الحياة وكذلك قيل ان الخوف أفضل مادام صحيحا فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل (قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله) ان الله يغفر الذنوب جميعا (فحرم أصل اليأس) الذى هو فقد الرجاء والقنوط تعاطيه قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (وفى الخبر يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أما درى لم فرقت بينك وبين يوسف هذه المدة قال لا قال لا لان قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب) عليه (ولم ترجنى ولم تطرب الى عذلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له) بقلبه صاحب القوت وادى رواية عن الله تعالى انه أوحى اليه من سبق علمى فى خلقى لمن أن جعلت نفسى عبدك ارحم الراحمين فرجوتنى ولولا ذلك لكنت أجعل نفسى عبدك أحمق الناس (وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله) قال العراقى رواه مسلم من حديث جابر وكذلك البيهقى وأحمد وعبد ابن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وروى ابن جرير فى معجمه والخطيب وابن عساكر من حديث أنس لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن بالله ثمن الجنة كما بينه الهيثمى فيه ونوه الشاعر وسنه ساهر دس باهل أن يروى عنه (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء) قال العراقى رواه ابن حبان من حديث واثلة بن الاسقع وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة دون قوله فليظن بى ما شاء اه قلت وعند ابن ماجه والصحيحين رواه الحاكم عن أبيه عن جده وحديث وائلة رواه أيضا أبو الشيخ والحكيم وابن عدى والطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى وتمام ولفظهم قال الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدى بى ان خيرا فخير وان شرا فشر ورواه كذلك الشيرازى فى الالقاب من حديث أنس وروى أحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى ان خيرا فله وان ظن شرا فله ورواية الصحيحين من حديث أبى هريرة يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وفى حديث وفى رواية لمسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم تجد ضالته بالفلاة الحديث (ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع) أى حالة نزع الروح منه (فقال كيف تجدك فقال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف) قال العراقى رواه الترمذى وقال غريب وابن أبى الدنيا فى الشكر وابن ماجه من حديث أنس وقال البوصيرى اسناده ضعيف وروى البيهقى من مرسل سعيد بن المسيب نحوه ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا أعطاه الله الذى رجا وآمنه الذى خاف (وقال على رضى الله عنه لرجل أحرجه الخوف الى القنوط هذا بهذا أن الله من رحمة الله أعظم من ذنوبك) كذا فى القوت ورواه الشريف الموسوى فى نهج البلاغة قال صاحب القوت وعن على رضى الله عنه لا ان اليأس من روح الله الذى يستريح اليه المكروبون من الذنوب والقنوط من رحمة الله التى يرجوها المذنبون أعظم من ذنوبك وهو أشد من جميع عيوبك لانه قطع عليك طريق الرجوة وحكم على كرم الله بصفاته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكبائر وان كانت ذنوبك كثيرة (وقال سعيد) بن جبير رحمه الله تعالى (من أذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا عفو الله عز وجل عنه قال) سعيد (لان الله عز وجل عز) أى غلب (قوما فقال) تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) فاصبحتم من

الخاسرين (وقال تعالى) في مثله (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أي هالكين وفي دليل خطابه ان من ليس كذلك ليس من أهل الجنة هكذا أورده صاحب القوت ثم قال وقد جاء في الأثر أن ذنب واحد حزنه ذلك عمره ولم يستغفر فلت وقول صحابي الذي سيأتي معدود في أحاديث الرفع قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذا رأيت المنكر أن تنكره فان لقنه الله حجته قال ربي رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف (وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس) أي يعاملهم بالدين (فيسمح اذا رأى معسرا ويتجاوز عن المعسر فلقي الله) تعالى (ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منك فتجاوز عنه لحسن عبادته ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي مسعود دون آخره وسيأتي رجل ممن كان قبلكم لم يبتئ الا الله كان يداين الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر فقال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه واتفق عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة نحوه انتهت حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو مسعود راويه هو عقبة بن عمرو البدري الصحابي رضي الله عنه ورواه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث حذيفة وأبي مسعود معا بلفظ رجل ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه فقال له هل عملت من خير قال ما أعلم قال له انظر قال ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس وأتجاوز فيسر وأنظر الموسر فأدخله الله الجنة وروى البزار وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة رجل لم يعمل خيرا قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا فلما هلك قيل له هل عملت خيرا قط قال لا الا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فاذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك وفي رواية لأحمد والبخاري ومسلم ولفظ ابن حبان كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه (وقال) لهم (صلى الله عليه وسلم) لهم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلذمون) أي تضربون (صدوركم وتجأرون) أي تتضرعون (الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لم تقنط عبادي) قال (فخرج عليهم) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرحهم وشوقهم) هكذا هو في سياق القوت وهذا الحديث في الرسالة وفي بعض النسخ الصحيحة من رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب بني شيبة فرآهم يضحكون فقال لضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مر ورجع فقهقرى وقال نزل علي جبريل وذكر قوله يا محمد لي أعبادي الخ وقال العراقي رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة دون قوله متفق عليه من حديث أنس ورواه بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تجئون أولا تجئون الطبراني والحاكم وبيهقي من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة ولما ساغ لكم طعام ولا شراب بعد قوله كثيرا الحاكم من حديث أنس دون قوله ولخرجتم الخ وروى الحاكم من حديث أبي هريرة لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولم تستمتعوا بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله وروى أبو نعيم في الحلية من طريق حرام بن حكيم قال قال أبو الدرداء لو تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم

وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فان لقنه الله حجته قال ربي رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسمح اذا رأى المعسر ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منك فتجاوز عنه لحسن عبادته ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور وأما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلذمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم

وتكون على نعتكم (وفى الخبر) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى فقال يارب كيف أحبك الى خلقك قال اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل وروى أبان بن

وتكون على نعتكم (وفى الخبر) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام (أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى فقال يارب) هذا أحبك فكيف أحبك الى خلقك (قال اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل) هكذا هو فى القوت لا انه قال أوحى الله الى داود وغيره من الانبياء ثم ساقه ولم يعز فى الخبر ولا ذكره فى العراقى ولم أجد له أصلا وكأنه من الاسرائيليات (وروى أبان بن أبى عياش) البصرى أبو اسمعيل العبدى مولاهم يروى عن الحسن وطبقته وعنه شعبة وروى له أبو داود مات فى حدود الاربعين (فى اليوم) بعد موته (وكان يكثر ذكر أيوب الرعاء) والرعص فقال له أرنى ما فعل الله بك (فقال أوحى الله تعالى الى بيده فقال ما الذى حملك على ذلك) أى على أن حدثت عنى بما حدثت به من رخص فان (فقلت يارب أحببت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك) هكذا أورده صاحب القوت (وروى) بالبناء للمفعول (يحيى بن أكثم) بن محمد بن عبد الله بن التميمى المروزى أبو محمد فقيه صدوق روى له الترمذى وكان يروى الرد به بالاحاد وله فى ذلك كتاب فيه الكلام مات عن ثلاث وثمانين سنة فى أو خر سنة ثنتين وأربعين ومائتين (بعد موته فى اليوم يقول له ما فعل الله بك فقال أوحى الله تعالى الى بيده فقال ما الذى حملك على ذلك) أى على أن حدثت عنى بما حدثت به من رخص فان (فقلت يارب أحببت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك) هكذا أورده صاحب القوت (وروى) بالبناء للمفعول (يحيى بن أكثم) بن محمد بن عبد الله بن التميمى المروزى أبو محمد فقيه صدوق روى له الترمذى وكان يروى الرد به بالاحاد وله فى ذلك كتاب فيه الكلام مات عن ثلاث وثمانين سنة فى أو خر سنة ثنتين وأربعين ومائتين (بعد موته فى اليوم يقول له ما فعل الله بك فقال أوحى الله الى بيده وقال يا يحيى) بن أكثم (لولا أنك حدثت عنى بما حدثت به من رخص فان (فقلت يارب أحببت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك) هكذا أورده صاحب القوت (وروى) بالبناء للمفعول (يحيى بن أكثم) بن محمد بن عبد الله بن التميمى المروزى أبو محمد فقيه صدوق روى له الترمذى وكان يروى الرد به بالاحاد وله فى ذلك كتاب فيه الكلام مات عن ثلاث وثمانين سنة فى أو خر سنة ثنتين وأربعين ومائتين (بعد موته فى اليوم يقول له ما فعل الله بك فقال أوحى الله الى بيده فقال ما الذى حملك على ذلك فقلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك) وروى (يحيى بن أكثم بعد موته فى اليوم يقول له ما فعل الله بك فقال أوحى الله الى بيده فقال ما الذى حملك على ذلك فقلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك) وروى

وبلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى أى شئ تلتفت فيقول بقدر رجوت أن لا تعيدنى اليها بعد ما أخرجتنى منها فيقول الله تعالى ادخلوا به الجنة) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله والبيهقى فى الشعب وضعفه من حديث أنس اهـ قلت وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد معا اذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما الى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى لردوه فيردونه فيقول له لم التفت فيقول كنت أرجو ان تدخلنى الجنة وأمر به الى الجنة فيقول قد أعتقك الله عز وجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما عندى شيأ وتمام الحديث أنس عند البيهقى ان عبدا فى جهنم ينادى ألفى سنة يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل اذهب ائتنى بعبدى هذا فينطلق جبريل فيعلم أهل السرادقات يكون فيرجع الى ربه عز وجل فيخبره فيقول ائتنى به فانه فى مكان كذا وكذا فيجىء به ويوقفه على ربه فيقول له ما عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك فيقول شر مكان وشر مقيل فيقول ردوا عبدى فيقول لعبدى ما كنت أرجو اذ أخرجتنى منها أن تعيدنى فيها فيقول دعوا عبدى وامرروه كذلك أحد من خرجه (قلت هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته) من النار وهذا يعكر عليه ورد فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدى الله عز وجل فيقول له كيف وجدت مكانك الحديث ثم قال فتقدم الرجاء طريقه الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه فى الدنيا النهار وبيان الآخر سوى مسار الى النار فيردونه فقيل له فى ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتى فى الدنيا ما سمعت من عبدى فى الآخرة وقال خشيت ان أعصيه فى الآخرة كما عصيته فى الدنيا فقال اذهبوا به الى الجنة قال الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان هذا الدواء يحتاج فيه أحد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج بردهما الى الاعتدال فعلاج الماضى المغرور والمتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصى عادة الرجاء تنقلب مع دوامها ملكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل فى حقه الأدوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الامور أوساطها فاذا جاز الوسط الى أحد الطرفين عدل بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المناسب التخويف أيضا تكادا أن لا تردهم الى عادة الخلق وسنن

تعالى ادخلوا به الجنة فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق لطفه وكرمه

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج اليه أحد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج بردهما الى الاعتدال فعلاج الماضى المغرور والمتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصى عادة الرجاء تنقلب مع دوامها ملكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل فى حقه الأدوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الامور أوساطها فاذا جاز الوسط الى أحد الطرفين عدل بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المناسب التخويف أيضا تكادا أن لا تردهم الى عادة الخلق وسنن

الصواب)

الصواب وما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويوبقهم بالكلية وبكثيرها كانت أخف على القلوب وأسهل وقوعا لو وقع لا استمالة القلوب واستطاق الخلق بالشفاعة كيف كانوا مالوا الى الرجاء حتى ورد الفساد

أي طريقته (فاما ذكر أسباب الرجاء) والرخص (فتهلكهم وتوبقهم) أي توقعهم في الردى (بالكلية ولكنها لما كانت أخف) ووقعا (على القلوب وأسهل وقوعا) وأروح عند الاسماع (ولم يكن غرض الوعاظ) وأرباب الذكر هي (الا استمالة القلوب) اليهم (واستطاق الخلق بالشفاعة) عليهم كيف كانوا (مالوا الى الرجاء) والرخص حتى أورد الفساد فسادا وزاد المتهمكون في طغيان

تماديا قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ولم يدع القرآن رغبة عما فيه الى غيره ولا غيره رغبة عنه الا علم فيها ولا خير في علم لا فهم فيه ولا خير في قراءة لا تدبر فيها (ومن هذا ذكر أسباب الرجاء يستعمل في حق الآيس) من روح الله (ومن غلب عليه الخوف) وأفرط عليه حتى أخرجه الى القنوط من رحمة الله (فدواؤه بكتاب الله) عز وجل (وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لان هذا ما صنف الاسناد في حق الشفاء في حق مصنف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء) كما ورد ذلك في الخبر وذلك (بحسب الحاجة) والاضطرار (استعمال الطبيب الحاذق) الذي يضع الشيء مواضع اللقب (لا استعمال الاحمق) الجاهل (الذي يعلم ان في كل شيء من الادوية صالحا لكل مريض كيفما كان وحال الرجاء مثل شيئين أحدهما الاعتبار) وهو داخل من العبرة (والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار) أي تتبعها (أما الاعتبار فهو) استقراء أول الوجود فانك ترى الوجود من لدن العرش الى منتهى الفرش حيوانا كاملا ويكون فيه من الشر لا ما نسب الى خمس مكلفين والمكلفون في جزء يسير من الارض والارض جزء يسير من الدنيا وما الدنيا في الآخرة الا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم وهذا ظاهر في لاستقراء لان عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا بل ملائكة واحد من الملائكة تعدل الخلق أجمع فوجبان رحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب وذلك آثار كثيرة تدل على نعته فقال الرحمن الرحيم الفتاح الكريم الجواد الاكرم الوهاب الغفور الشكور الصمد المجيب الودود البر الرزاق اللطيف الرؤف المحسن المنعم المتفضل الرشيد الهادي مع ما يضاف الى هذه من الرضا والمحبة والذكر والشكر والبر وله وما تشعب هذا فانظر الى آثار هذه الافعال وما يرد من الاخبار في فضائل الاعمال شفاء للناس وتروح للخائف وترغيب للمعتدل ومن الاعتبار فيها (ان يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف البهم) ستة عشر (من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وغرائب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان) أي خلقته (حتى أعده في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقوس الحاجبين) أي كونهما على صورة القوس ثم سوادهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد (وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا يتم المقصد عرض مقصود) أي لا يتم ولا يصوت (وانما كان يفوت به مرية جمال) الصورة (فعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده

يحتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقوس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا يتم المقصد عرض مقصود وانما كان يفوت به مرية جمال فعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

اعلم ان اكثر الخلق قد هي له أسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان أخبر بانه لا يعذب بعد الموت أبدا بل لا يحشر أصلا فليست كراهتهم للعدم لان أسباب سعادة أعلى لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حال نادرة وادعاء حقيقة عريضة كما سيأتي

الخلق في الدنيا لعلم عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا ولا تعالى ان الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء ومن الاعتبار بما نعرفه في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا وجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فاكتبوه الى قوله والله بكل شيء عليم فقال ان

سعيد بن المسيب قال لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفوه وتجاوزه ما هنى أحد العيش الحديث (و) منه (في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا أرضى محمد) صلى الله عليه وسلم (وأحد من أمته في النار) هكذا أورده صاحب القوت وقال قال ابن عباس رواه الخطيب في تلخيص المتشابه بسنده عنه ورواه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس لفظ من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ورواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه قال رضاه أن لا تبقى أمته الحسنى كلهم (وكان أبو جعفر محمد بن علي) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قولنا نحن أهل البيت قول الله تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعده ربه تعالى أن يرضيه في أمته هكذا أورده صاحب القوت وروى ابن السدي وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق جرير بن عبد الحميد قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال إي والله محمدي علي محمد بن الحنفية عن علي أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول يا محمد فأقول لبيك يا رب رضيت ثم أقبل علي فقال إنكم تقولون يا معشر أهل العراق أرجى آية في كتاب الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قلت إنا نقول كذلك ولكنا أهل البيت نقول إن أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ودخلت جهنم وغيرها في توسع الرحمة من حيث كل شيء وقوله تعالى يا أيها الذين يقنطون بعضهم خصوص الرحمة وعمومها الأكيد دلالة على الرحمة لا بهاء صفة الرحم الذي لا يحدث ولا يزال لم يخرج عن رحمه كل شيء كلام يخرج من حكمته وقدرته شيء لأن جهنم وما أعد لمكري أيس كمثله ولا كما تعلمه بعض من ذلك به علم بعرفه ولا به علم ظهر من عدله مقدر وعاقبه الخلق كما به علم ظهر من ما كونه ونعمه مقدر مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون ظهر أكثر مما ظهر من النعيم والعذاب الذي لهم به علم يعرفوا من ما أعدى لأن لهم به تعذيبه وتنعيمه من لم به ملكه الذي هو له ولم يكن عليه قدرته وسلطانه ولا لهم به ذلك ولا يطيق الخلق كله ظهور ذلك أيضا عن تعالى صفاته ولهم به علم أحد لم يشاهد ولا سبيل إلى كشف ذلك من الغيوب فيعلمان من لا لهم به بقدرته ولا لحد علمه ولا أحد لم يشاهده وكذلك شهدوا ما علموا من قوله تعالى به كان حليما غفورا وكان الله عليما حليما فعلموا أن المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة علم فلما رأوا عظيم عفوه رجوا عظيم مغفرته ولما شاهدوا كثيف ستره لم يأمنوا جميل عفوه (وأما الأخبار فقد روى أبو موسى) عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه (عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة بل عذابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار) قال صاحب القوت وزيد في حديث أبي بردة عن أبي موسى وقال البغوي رواه أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وهي صحيفة من حديث أبي موسى كما يأتي في الحديث الذي يليه انتهى قلت لفظ أبي داود أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا ورواه كذلك الطبراني والحاكم وروى الحاكم في الكنى من حديث أنس أمتي أمة مرحومة معطى ربها ما تاب عليها وروى الخطيب في المتفق والمفترق وابن النجار من حديث ابن عباس أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من أمتي رجلا من الأديان فكان فداءه من النار وعنه عبد الله بن صرار عن أبيه قال

وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا أرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قولنا نحن أهل البيت قول الله تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة بل عذابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار

وفى لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار رواه مسلم من حديث أبى موسى اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفى رواية لا يموت رجل مسلم الا دخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا انتهى وفى لفظ لمسلم أعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار رواه هكذا عن أبى بردة عن أبى موسى وفى بعض طرقه للبخارى فى الكبير وفى الاوسط واحاكم فى اسكنى اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن هذا فداؤك من النار وفى لفظ لاحمد اذا كان يوم القيامة سلم كل مؤمن لا تى يهودى أو نصرانى حتى يدفع اليه فيقال له هذا فداؤك من النار وعند أبى نعيم فى الحلية اذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق فى صعيد واحد ثم يدفع لكل قوم آلهتهم الحديث وفيه فيقال لاهل التوحيد ارفعوا رؤسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهوديا أو نصرانيا فى النار وأما قوله فى الرواية الثانية لمسلم لا يموت رجل الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبرانى (وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار) قال العراقى رواه أحمد من رواية أبى صخر الاعرج عن أبى امامة وأبو صخر لا يعرف واسمه لا يعرف انتهى قلت وقال هو الاصارى روى له ابن ماجه فى كتاب التفسير له والدارقطنى والطبرانى وابن مردويه وأبو بكر الشافعى فى الغيلانيات وعدها كل الحمى كير من جهنم فما كان حظ المؤمن منها كان حظه من النار وفى الصحيحين الحمى من فيح جهنم وأوردها بلفظه وروى الطبرانى وابن منيع وابن مردويه والشيرازى فى الالقاب وابن عساكر من حديث أبى ريحانة الاصارى الحمى كير من جهنم وهى نصيب المؤمن من النار وعند ابن عساكر من حديث جهنم وهى حظ المؤمن من النار وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس الحمى حظ المؤمن من النار وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان يوم القيامة وروى البزار من حديث عائشة الحمى حظ كل مؤمن من النار ورواه كذلك القضاعى من حديث ابن مسعود بزيادة وحمى ليلة أكفر بخطيئة سنة بجرمة (وروى فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا) الآية (ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم انى أجعل حساب أمتك الى فقال لا رب أنت خير بهم منى فقال ذا لاخر يف فيهم) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود وابن عساكر من حديث حذيفة ان رجلا استشارنى فى أمتى ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت رب هم حيث جعلتنى وعبادك فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك فاستشارنى الثالثة فقلت له كذلك فقال تعالى انى لن أخزيك فى أمتك بأحد الحديث (وروى عن أنس) بن مالك رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فاوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم لغيرى لئلا تنظر الى مساويهم أنت ولا غيرك) هكذا أورده صاحب القوت عن سلمان وزاد عن أنس وقال العراقى لم أقف له على أصل (وقال صلى الله عليه وسلم حياتى) أى فى الدنيا (خير لكم وموتى خير لكم) ولفظ خير أربعته بتفصيل لا الا صلية فلا توصل عن وليست بمعنى الا فصل واعلم المقصود ان فى كل من حياته وموته خيرا لا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم (أما حياتى فانى لكم أسن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم

وفى لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار رواه مسلم وفى رواية اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفى رواية لا يموت رجل مسلم الا دخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا انتهى وفى لفظ لمسلم أعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار رواه هكذا عن أبى بردة عن أبى موسى وفى بعض طرقه للبخارى فى الكبير وفى الاوسط واحاكم فى اسكنى اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن هذا فداؤك من النار وفى لفظ لاحمد اذا كان يوم القيامة سلم كل مؤمن لا تى يهودى أو نصرانى حتى يدفع اليه فيقال له هذا فداؤك من النار وعند أبى نعيم فى الحلية اذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق فى صعيد واحد ثم يدفع لكل قوم آلهتهم الحديث وفيه فيقال لاهل التوحيد ارفعوا رؤسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهوديا أو نصرانيا فى النار وأما قوله فى الرواية الثانية لمسلم لا يموت رجل الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبرانى (وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار) قال العراقى رواه أحمد من رواية أبى صخر الاعرج عن أبى امامة وأبو صخر لا يعرف واسمه لا يعرف انتهى قلت وقال هو الاصارى روى له ابن ماجه فى كتاب التفسير له والدارقطنى والطبرانى وابن مردويه وأبو بكر الشافعى فى الغيلانيات وعدها كل الحمى كير من جهنم فما كان حظ المؤمن منها كان حظه من النار وفى الصحيحين الحمى من فيح جهنم وأوردها بلفظه وروى الطبرانى وابن منيع وابن مردويه والشيرازى فى الالقاب وابن عساكر من حديث أبى ريحانة الاصارى الحمى كير من جهنم وهى نصيب المؤمن من النار وعند ابن عساكر من حديث جهنم وهى حظ المؤمن من النار وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس الحمى حظ المؤمن من النار وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان يوم القيامة وروى البزار من حديث عائشة الحمى حظ كل مؤمن من النار ورواه كذلك القضاعى من حديث ابن مسعود بزيادة وحمى ليلة أكفر بخطيئة سنة بجرمة (وروى فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا) الآية (ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم انى أجعل حساب أمتك الى فقال لا رب أنت خير بهم منى فقال ذا لاخر يف فيهم) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود وابن عساكر من حديث حذيفة ان رجلا استشارنى فى أمتى ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت رب هم حيث جعلتنى وعبادك فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك فاستشارنى الثالثة فقلت له كذلك فقال تعالى انى لن أخزيك فى أمتك بأحد الحديث (وروى عن أنس) بن مالك رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فاوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم لغيرى لئلا تنظر الى مساويهم أنت ولا غيرك) هكذا أورده صاحب القوت عن سلمان وزاد عن أنس وقال العراقى لم أقف له على أصل (وقال صلى الله عليه وسلم حياتى) أى فى الدنيا (خير لكم وموتى خير لكم) ولفظ خير أربعته بتفصيل لا الا صلية فلا توصل عن وليست بمعنى الا فصل واعلم المقصود ان فى كل من حياته وموته خيرا لا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم (أما حياتى فانى لكم أسن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم

مسنده من حديث أنس بلفظ وإسناده ضعيف انتهى قلت بعط الحرث من حديث أسامة حياتي خير لكم يترل علي الوحي من السماء فأخبركم بما يحل لكم ويحرم عليكم ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم كل خميس فما كان من حسن حمدت الله عليه وما كان من ذنب استوهبت لكم ذنوبكم ورواه الحرث أيضا مختصرا بلفظ حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ورواه كذلك البصري اليوماني في مسنده وابن النجار وروى ابن سعد في الطبقات عن بكر بن عبد الله المزني مرسلا حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت خيرا حمدت الله وما رأيت شرا استغفرت الله لكم (وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسيرها كريم العفو هو أن تعفو عمن عفا عنك وتعطي من حرمك) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو من كلام جبريل وميكائيل عليهما السلام هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن أبي رويدة وروى البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن أبي الوليد قال حدثني بعض الزهاد قد كره (وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال وهل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة) رواه الطبراني من حديث معاذ بن رفاعة وابن عساكر من حديث أبي هريرة وقد تقدم في رواية أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب والترمذي والبيهقي في الأسماء بلفظ يا ابن آدم هل تدري ما تمام النعمة قال ما تمام النعمة قال دخول الجنة وفي لفظ للترمذي من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار ودخول الجنة وفي لفظ للترمذي (وتمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار (قال العلقمي فقد أتم نعمته برضاه الإسلام لنا دينا) وفي القوت وقد أخبرنا الله عز وجل أنه قد أتم نعمته علينا برضاه الإسلام لنا فقال لي على دخول الجنة قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) وقد ذكر كافي ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحض على الدعاء بطلب المغفرة لذنوبنا بفضله تعالى فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك (وفي الحديث إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي) كذا في القوت وقال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة إلا أن عبدا أذنب ذنبا فقال أي رب أذنبت ذنبا فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنبا وفي الحديث انتهى قلت هذا لفظ أحد الشيخين وإسناده أن عبدا أصاب ذنبا فقال رب أذنبت ذنبا فاغفره فقال ربه أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال رب أذنبت آخر فاغفره فقال ربه أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم عمل ما شاء وروى كذلك أحمد وابن حبان وروى الحاكم من حديث أنس من أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه كان حقا على الله أن يغفره وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال كلا والله كيف يكون صحيحا وفيه عمار بن مزروق وهو كذبه وروى أبو نعيم في الحلية من وجه آخر وهذا قد تقدم للمصنف وروى العابر في الصغير والأوسط بسند ضعيف جدا عن ابن مسعود من أذنب ذنبا فعلم أن له ربا غفره وإن لم يستغفره وهذا أيضا قد تقدم (وفي الخبر لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه الترمذي من حديث أنس يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن انتهى قلت بعط الترمذي قال الله عز وجل يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة وقال حسن غريب وقد رواه كذلك الضياء في المختارة ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث أبي ذر وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العسر والحكيم وابن حبان في الضعفاء من حديث

وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسيرها كريم العفو هو أن تعفو عمن عفا عنك وتعطي من حرمك

وفى الخبر لو لقينى عبدى بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة وفى الحديث ان الله ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان ندم واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفى لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى أنفى من حسناته واحدة فأضعف العشر وأزيد له تسع حسنات وتلقى عنه السيئة وروى أنس فى حديث له عليه الصلاة والسلام قال اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابى وان تاب عنه قال يمحى عنه قال فان عاد قال النبى صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابى فان تاب قال يمحى من صحيفته قال الى متى قال الى أن يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان لله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ورواها حسن عن الله عز وجل

واحد

أحد وأما حديث ابن عباس في الصحيحين فلفظه ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وروى هناد من حديث أنس اذا هم الرجل بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات واذا هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذا هم بسيئة فعملها كتبت عليه سيئة واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة تركه السيئة (وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى لأصوم الشهر) أي شهر رمضان (لا أزيد عليه ولا أصلي الا خمس لا أزيد عليهن وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوع بشيء أما ادامت فقال النبي صلى الله عليه وسلم معي في الجنة قال رسول الله معلقا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم معي ان حملت قلتين من ثنتين يعني والحسد وسبعين من ثنتين وسبعين بابا كلها يستعيذ منها ان يصطفي ماحرم الله ويرى ان حرمها سهلا دخلت معي الجنة على راحتي هاتين) كذا في القوت وتقدم في كتاب ذم الحقد والحسد (وفي حديث أنس الدكوز لابس) رضي الله عنه (ان الاعرابي قال يارسول الله صلى الله عليه وسلم) يارسول الله (من يلي حساب الخلق) يوم القيامة (فقال) صلى الله عليه وسلم (الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت ياأعرابي قال ان الكريم اذا قدر عفا) وفي نسخة صاح (واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا الا كرم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجد له أصلا (وفيه أيضا) أي في حديث أنس المذكور (ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها بالنار لم يبلغ جرم من استخف بولي من أوليائه) وتقدم انه في قلت عبدا من ماحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو قول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك لماله ودمه وان يظن به الا خيرا ولان أبي شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وان يظن به الا خيرا وعند البيهقي من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه وفيه محمد بن عبد الرحمن وهو صاحب القوت وفي الحجر الأسود هو ورد عن ابن عمر وأبي هريرة وكعب الاحبار انه صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وأعظمك والمؤمن أعظم درجة عند الله منك (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن حبيب صاحب) قال العراقي لم أجد له هذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا يخبث (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن أكرم على الله من الملائكة) قال العراقي رواه ابن ماجه من رواية أبي الزبير عن جابر بلفظ المؤمن أكرم من بعض ملائكته وأبو نعيم في ترجمة شعبة وصححه ابن معين ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف انتهى قلت وشاهد الحديث قول عمر وابن عباس ليس شيء أكرم على الله من بني آدم قلت الملائكة قال ولئن كثيرة الشمس والقمر أولئن محذورون أخرجه البيهقي وقال ان صح فمعناه بعضهم وهو ضعيف وروى ابن النجار عن حكامة حدثنا أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه المؤمن أكرم على الله من الملائكة المقربين (وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة) كذا في القوت قال العراقي لم أجد من خرجه هكذا ومعنى

ولا أصلي الا خمس لا أزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوع بشيء أما ادامت فقال النبي صلى الله عليه وسلم معي في الجنة قال رسول الله معلقا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم معي ان حملت قلتين من ثنتين الصلاة والحسد وسبعين من ثنتين وسبعين بابا كلها يستعيذ منها ان يصطفي ماحرم الله ويرى ان حرمها سهلا دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث السوبل لابس ان الاعرابي قال يارسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت ياأعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا الا كرم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه أيضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها بالنار لم يبلغ جرم من استخف بولي من أوليائه الله تعالى قال الاعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب

ظاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من ملائكته وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة

عمار وه بخاری من حدیث أبی هریرة بحشر ناس قوم بجمعهم الی الجنة بالسلاسل (وفی خبر آخر یقول الله عز وجل انما خلقت الخلق لیر بحوا علی ولم أخلقهم لارتع علیهم) کذا فی القوت وقال العراقی لم أقف له علی أصل فیما وقفت علیه الفشیری فی الرسالة وقیل وحی الله الی داود علیه السلام قل لهم انی لم أخلقهم لارتع علیهم وانما خلقتهم لیر بحوا علی انتهی فظهر انه خبر اسرائیلی (وفی حدیث أبی سعید الخدری) رضی الله عنه (عن رسول الله صلی الله علیه وسلم) انه قال (ما خلق الله شیئا الا جعل له ما یعله وجعل رحمته تغلب غضبه) أورده صاحب القوت من روایة نعیم بن حماد عن أبی سعید وقال العراقی رواه أبو الشیخ فی الثواب وفیه عبد الرحمن بن کردم جهله أبو حاتم وقال صاحب المیزان لیس بواه ولا هو بمجهول انتهی قلت لفظ أبی الشیخ ما خلق الله من شیء الا وقد جعل له ما یعله وخلق رحمته تغلب غضبه ورواه کذلک الحاکم وصححه وتعقب (وفی خبر آخر ان الله تعالی کتب علی نفسه الرحمة قبل أن یخلق الخلق ان رحمتی تغلب غضبی) رواه الشیخان من حدیث أبی هریرة وفی لفظ لابن ماجه ان الله تعالی لما خلق الخلق کتب بیده علی نفسه ان رحمتی تغلب غضبی وقد تقدم (وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالک) رضی الله عنهما (أنه صلی الله علیه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن کان آخر کلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقی الله لا یشرک به شیأ حرمت علیه النار ولا یدخلها من فی قلبه مثقال ذرة من ایمان) هذه روایة أربعة أحادیث ساقها جمله واحدة تبعا لصاحب القوت أما حدیث الاول فقال العراقی رواه الطبرانی فی الدعاء لکنه من مسند من حدیث معاذ وهو فی الیوم واللیلة للنسائی لکنه من مسند من مات یشهد من حدیث معاذ ومن حدیث أنس وقد تقدم فی الاذکار انتهی قلت ورواه الحاکم من حدیث أنس بلفظ من قال لا اله الا الله وحسبه الجنة ورواه ابن السنی والطبرانی فی الاوسط من حدیث ابن عمر بلفظ من شهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ورواه کذلک من حدیث عمر ورواه مقاتل فی نوادره من روایة جابر عن عمر ورواه أحمد وابن ماجه والنسائی وابن حبان وابن خزیمة من حدیث عثمان بلفظ من مات وهو یعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما الحدیث الثانی فقال العراقی رواه أبو داود والحاکم وصححه من حدیث معاذ بلفظ من کان آخر کلامه دخل الجنة انتهی قلت ورواه کذلک أحمد والطبرانی وابن حبان کلهم من حدیث معاذ ورواه ابن سعد فی الطبقات من حدیث أبی سعید الخدری وأما الحدیث الثالث فقال العراقی رواه الشیخان من حدیث أنس انه صلی الله علیه وسلم قال لمعاذ یا معاذ بن جبل یشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله علی النار وفی روایة من لقی الله لا یشرک به شیأ دخل الجنة ورواه أحمد من حدیث معاذ بلفظ من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شریک له فی الجنة وللشیخان من حدیث أبی هریرة الانصاری فی أثناء حدیث فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله لا یلقی الله عبد مؤمن بهما الا حجب عن النار یوم القیامة انتهی قلت حدیث أنس عند الشیخین رواه أیضا الحاکم عن معاذ وسعید بن الحرث بن عبد الله عن معاذ بلفظ من لقی الله وهو لا یشرک به شیأ دخل الجنة ورواه أیضا أحمد من حدیث معاذ بن أبی الدرداء بلفظ ومن لقی الله لا یشرک به شیأ دخل الجنة ومن لقی الله یشرک به شیأ دخل النار وأما الحدیث الرابع فقال العراقی رواه أحمد من حدیث سهل بن حنیف بلفظ من شهد أن لا اله الا الله حرمه الله علی النار وفیه انقطاع وله من حدیث عثمان بن عفان بلفظ لا یعلم کلمة لا یقولها عبد حقا من قلبه الا حرمه الله علی النار قال عمر بن الخطاب هی کلمة الاخلاص وسنده صحیح ولکن هذا ونحوه مخالف لما ثبت فی الاحادیث الصحیحة من دخول جماعة من الموحدین النار وخروجهم بالشفاعة ثم لا یبقی فی النار من فی قلبه وزن ذرة من ایمان کما هو متفق علیه من حدیث أبی سعید وقد تقدم فی قسم المثقال ذرة من ایمان فاخرجوه وقال مسلم من خیر بدل ایمان (وفی خبر آخر لو وزن ایمان الکافر بسعة رحمة الله ما رئی من رحمته أحد) ولفظ القوت من رحمته بدل من رحمته قال العراقی متفق علیه من حدیث أبی هریرة (وان للرسول الله صلی الله علیه وسلم قوله تعالی انه برئ

وفی خبر آخر یقول الله عز وجل انما خلقت الخلق لیر بحوا علی ولم أخلقهم لارتع علیهم وفی حدیث أبی سعید الخدری عن رسول الله صلی الله علیه وسلم ما خلق الله تعالی شیأ الا جعل له ما یعله وجعل رحمته تغلب غضبه وفی خبر انه هو ان الله تعالی کتب علی نفسه رحمة قبل أن یخلق الخلق ان رحمتی تغلب غضبی وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالک أنه صلی الله علیه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن کان آخر کلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقی الله لا یشرک به شیأ حرمت علیه النار ولا یدخلها من فی قلبه مثقال ذرة من ایمان وفی خبر آخر لو وزن ایمان الکافر بسعة رحمة الله ما رئی من رحمته أحد وان للرسول الله صلی الله علیه وسلم قوله تعالی انک برئ

الساعة شئ عظيم قال تدرون أي يوم هذا يوم يقال) له (لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول) آدم (كم فيقال) له (من كل ألف تسعمائة وتسعون الى النار واحدا الى الجنة قال) راوي (فأنس القوم) أي وقعوا في حيرة (وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم) ذلك (عن الأشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالكم لا تعملون) وتسعون (فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم ثم في الامم أين ناويل) بالباء الموحدة وفي بعض النسخ بالتاء الفوقية (وتاريس) بالهمزة وتاء آخره بين مهملة وتحت (ومنسك ويأجوج ومأجوج) وهؤلاء بكلهم من أولاد آدم (أمم لا يحصيها الا الله تعالى) وكل هؤلاء بقية الى يوم القيامة و (شارى الشعر كأن يأجوج ومأجوج في مغارزها (اذن الشعر في مآخر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة) هكذا هو في سبق القوت والرقمة الشية قال العراقي رواه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال حسن صحيح قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد وهو عند ابن جرير وابن مردويه من حديث عمران وله ظهم كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنادوه من أصحابه في السير فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ثم قال لا تيئسن يا أيها الناس انقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد فلما سمع ذلك أصحابه حزنوا لما سمعوا منه وعرفوا انه عند حول قوله فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم ينادي الله فيه آدم فيقول يا آدم ابعث بعث النار فيقول أي رب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فاشتد ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فأبشروا ثم قال والذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وفي رواية للترمذي قال فسرت يا أيها الناس انقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد فسرت عنه هذه وهو في سفر فقال تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فأنشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فانه لم يكن نبوة قط الا كان بين يديها وبين الساعة فترة فان كانت فترة نبوتي وبين الساعة كفترة ما بين النبوة والساعة فترة الجاهلية قال فما نجا منكم الا كالرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا وقال الا أدري قال الثلثين ثم لا أدري كذلك سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه وقد روى عن الحسن البصري أيضا مرسلا قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل من عرفة لصبيحة وقوفه مع أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم فذكر نحو حديث عمران الا انه زاد فيه لم يكن رسولان الا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وكنتم بين هذا الحي حلقتين لا يعدهما أحد من أهل الأرض لا كثر وهم يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكملة العدة من المشركين وفي حديث أبي سعيد الخدري عند الشيخين يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فاشتد ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فعند ذلك

الساعة شئ عظيم قال أتدرون أي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فأنس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالكم لا تعملون قالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا قال كم ثم في الامم أين ناويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج ثم لا يحصيها الا الله تعالى أمم أنتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة

فانظر كيف كان يسوق
خلق بسياط الخوف
ويقودهم بأزمة الرجاء الى
الله تعالى اذ سافهم بسياط
الخوف ولا قلما خرج ذلك
بهم عن حد الاعتدال الى
افراط اليأس داواهم بدواء
الرجاء وردهم الى الاعتدال
والقصد والاخير لم يكن
منافضا للاول ولكن ذكر
في الاول مارآه سببا للشفاء
واقتصر عليه فلما احتاجوا
الى المعالجة بالرجاء ذكر
تمام الامر فعلى الواعظ أن
يقتدي بسيد الوعاظ
في استعمال أخبار
الخوف والرجاء بحسب
الحاجة بعد ملاحظة العلل
الباطنة فان لم يراع ذلك
كان مايفسد بوعظه أكثر
مما يصلحه

لو حد فقال من يخرج ومأجوج أنتم ومكم واحد وهل أنتم في الامم الا كالشعرة البيضاء في ثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وفي الباب عن ابن عباس وأبي موسى أما حديث أنس فرواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والفظه ترتسيا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسيره فرفع بها صوته حتى مال بها أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول ابعث بعث النار من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وايم الله ليكاثرنكم خليقتي ما كانت في شيء قط الا أكثرته يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس وأما حديث ابن عباس فرواه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وأصحابه عنده يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة ثم قال عملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما معكم خليقتين الا كانتا مع أحد الا كثرتاه يأجوج ومأجوج وأنتم في الامم كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وأني أمتي جزء من ألف جزء ورواه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه فمطر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره في غزوة بني المصطلق اذ أنزل الله عليه يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله شديد فما أنزلت عليه وضع على ناقته ثم رفع بها صوته وتلاها على أصحابه فحث بهم فعلموا أي ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول وما بعث النار من كل كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فسكت المسلمون بكاء شديدا وأدخل عليهم أمر شديد فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم في الامم الا كالشعرة البيضاء في الشاة السوداء وفي لا رجوان تكونوا نصف أهل الجنة بل أرجو ان تكونوا ثلثي أهل الجنة وأما حديث أبي موسى فهو مختصر من حديث بن عباس أخرجه ابن مردويه في التفسير

(فانظر كيف كان) صلى الله عليه وسلم (يسوق خلقه بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء الى الله تعالى اذ سافهم بسياط الخوف ولا قلما خرج ذلك بهم عن حد (الاعتدال الى) حد (افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن منافضا للاول ولكن ذكر في الاول مارآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ (أن يقتدي بسيد الوعاظ) صلى الله عليه وسلم (في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة) اليها (بعد ملاحظة العلل الباطنة فان لم يراع ذلك كان مايفسد بوعظه أكثر مما يصلحه) قال صاحب القوت مقام الرجاء هو عند سمو الله تعالى يخرج من بعض انعاده مالا يخرج غيره لان بعض الخلق تلين وتنجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمئن معاملة البر والامتنان مالا يوجد ذلك منهم عند التخويف والترهيب بل قد يقطعهما ذلك ويوحشه ادخال الرجاء طريقه فهو حدث به فلا يهاب ومثل الرجاء في الاحوال مثل الهواء في الانسان من الناس من يقتل نفسه ويجتمع همه عند هما ولو وجد شاهد ونحس معاملته بهما كما قيل عن الله تعالى ان من عبادي مالا يصلحه الا الغنى ولو فقرته لافسده ذلك ومن عبادي مالا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك اني أدبر عبادي بعلمي اني بهم عليم خبير وكذلك من عبدي من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجود حسن

انطن به فهو طريقه ليه ومقامه منه وسعه عليه وعصمه بحد فضله معه (وفي الخبر لولم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب وأما سياق المصنف فقد رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو لابأس به قال ثم يغفر لهم (وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم) كذا في القوت قال أي ان وصفه بهذه الغفرة والرحمة ولابد ان يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في عام المغفرة سبحانه من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفي هذا سر المغفرة وسببه معرفة الخصوص قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة قريبا منه اهـ قلت ورواه أحمد والطبراني من حديث ابن عباس لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ورواه الشيرازي في الالقاب من حديث أبي هريرة ولولا انكم تذنبون لاتخذ الله عبادا يذنبون فيغفر لهم وروى ابن عساكر من حديث أنس ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكوا اليه ما يصيب من الذنوب فقال لهم لولا انكم تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم (وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب جيل وما هو قال العجب) كذا في القوت قال العراقي رواه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب اهـ قلت وفي لفظ لولم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب هكذا رواه الخرائطي في مساوئ الاخلاق والحاكم في مستدركه وأبو نعيم ورواه الديلمي من حديث أبي سعيد دخل صاحب القوت واعلم ان العجب من صفات النفس المذكورة وهو يحبط الاعمال وهو من أكبر عوامل القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية ولابد ان يبتلى العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات البهيمية من ابتلي بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والسمع والحسد وحب المدح وحب الذكر لان هذه منها ومعنى صفات الربوبية ومنها أخلاق الابليسية وهم اهبط ابليس وشهوة النفس من وصف الحقة وهم اعصى آدم ربه فاجتباه بعدها وهدى (وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها) قال العراقي متفق عليه من حديث عمر نحوه (وفي خبر يغفر الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول يرجو ان تصيبه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث حذيفة بأسانيد ضعيفة اهـ قلت ورواه الطبراني في الشعب بلفظ والذي نفسي بيده ليغفرن الله الحديث (وفي الخبر ان لله مائة رحمة أدخر منها تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فحن الوالدة على ولدها والبهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمتها طباق السموات والارض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ قلت لفظ مسلم ان لله عز وجل مائة رحمة أرسل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ورواه كذلك ابن ماجه ورواه مسلم أيضا من حديث سلمان وعند البيهقي من حديث أبي هريرة ان الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والبهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق وعند مسدد من حديث جابر ان الله تعالى مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة وعند الحاكم من حديث أبي هريرة ان الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فبها يعطف الوالد على ولده والوحوش بعضها على بعض وأخر تسعا وتسعين رحمة لاوليائه وان الله تعالى يضم تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا الى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة ويرحم بها عباده يوم القيامة (وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال

وفي الخبر لولم تذنبوا الخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وفي لفظ آخر يذهب بكم ويجيء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لرحم عبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر يغفر الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول يرجو أن تصيبه وفي خبر ان الله تعالى مائة رحمة أدخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق حتى لو لدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمتها طباق السموات والارض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال

ولا أنا الا أن يتعمدني الله برحمته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام اعملوا واشروا واعلموا ان أحدا لم يدخله عمله وقال صلى الله عليه وسلم اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي أوردوها المطيعين المتقين وهي للمذنبين المخلطين وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة

ولا أدري الا أن يتعمدني الله برحمته) متفق عليه من حديث أبي هريرة وعند ابن حبان سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا لن يدخل الجنة عمله قالوا ولا أنت الحديث وفي آخره ولكن سددوا وعند الطبراني من حديث أبي موسى سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا لن يدخل الجنة عمله قيل ولا أنت الحديث وروى كذلك ابن حبان والبغوي وابن قانع والطبراني أيضا من حديث شريك بن طارق قال البغوي ولا أعلم له غيره وهذا الحديث قد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا واشروا واعلموا أن أحدا لن يدخله عمله) قد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي) قال العراقي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة بلفظ لكل نبي دعوة وانا اختبأت دعوتي شفاعة لامتي ورواه مسلم من حديث أنس وللترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي اهـ قلت بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة بلفظ لكل نبي دعوة يدعو بها فاريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقد رواه أحمد كذلك وفي لفظ لمسلم من حديث جابر لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة بلفظ لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه وفي لفظ للشيخين من حديث أبي هريرة بلفظ لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أخبأ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي لفظ لمسلم لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فاعطيها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وأما حديث شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي فقد رواه أنس وابن عمر وابن عمرو وكعب بن عجرة وابن عباس فحديث أنس رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب وابن أبي عاصم والبزار وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان وصححاه والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وقال إنه إسناد صحيح وضياء في المختارة كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه ورواه أيضا أحمد وأبو داود وابن خزيمة والبيهقي من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي ورواه البيهقي من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ قلنا يا رسول الله من تشفع قال لاهل الكبائر من أمتي وأهل العفاف وأهل اللمم ومن طريق زياد النميري عن أنس بلفظ إن شفاعتي وثبت شفاعة لاهل الكبائر وأما حديث ابن عمر فرواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحيحهم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية والضياء كلهم من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن علي بن الحسين عن أبيه عنه وقد رواه عن زهير عمرو بن أبي سلمة ومحمد بن بكار الساني والوليد بن مسلم وأما حديث ابن عمر فرواه الخطيب في التاريخ وأما حديث كعب بن عجرة فرواه البزار وضعفه في الافراد والخطيب في تاريخه وفي سنن البيهقي من طريق الشعبي عنه قال قلت يا رسول الله الشفاعة شفاعة فقال شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني في الكبير وقد روي عن أبي الدرداء وأكثر بلفظ الذنوب بدل الكبائر رواه الخطيب في تاريخه ولفظه شفاعتي لاهل الذنوب من أمتي قال أبو الدرداء وإن زنى وإن سرق قال نعم وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء (أوردوها المطيعين المتقين وهي للمذنبين المخلطين) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي موسى وأحمد من حديث ابن عمر بخير بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاختار الشفاعة لانها أعم وأكفى أوردوها المتقين الحديث وفيه من لم يسم اهـ قلت رواه كذلك من حديث ابن عمر الحسن بن عرفة في جزئه والطبراني وابن النجار ومن حديث أبي موسى رواه أيضا الطبراني ولفظ الجميع شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وفي نصف وفي أوردوها المؤمنين المتقين لا واكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين (وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله وللطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة وفيه محمد بن اسحق رواه بالعنعنة اهـ قلت ترجم البخاري في صحيحه باب أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة وقد رواه أيضا بدون

بعط السهلة الدبلي من حديث عائشة ورواه سعيد في الصحة عن حبيب بن أبي ثابت مرسلا ورواه الخطيب وابن النجار من حديث جابر وزاد ومن خالف سنتي فليس مني وأما حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني ومن طريق داود بن الحصين عن عكرمة عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إلى الله تعالى قال الحنيفية السمحة وله طرق ورواه البزار وأبو يعلى عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن جده ورواه البزار وابنه هذا رأيت أمتي لا تقوون القيام أبت فلم تقدروا فيهم الحاكم والديلمي في الغرائب وابن عساكر وأبو موسى المديني في المعرفة من حديث سعد بن عبد الله بن مالك الخزاعي (وقال صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا مساحة) قال العراقي رواه أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد اه قلت ورواه الديلمي من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في حديث الحبشة ولعبهم ونظر عائشة إليهم قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم يهود أن في ديننا فسحة وإني بعثت بالحنيفية السمحة ورواه أحمد هكذا من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه قال قال لي عروة قالت عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لتعلم الحبشة لتعلم وذكره بلفظ إني أرسلت بدين جد حسن (ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين في قولهم) ربنا (ولا تحمل علينا اصرا) كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت (وقال) الله عز وجل ومن أحسن من الله قيلا (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) فهذه بعلام هي مساق قوة الرجاء في أولي الالباب كيف وقد صح بما يحكم الرجاء من غير اعتراض ما روى عن الله تعالى بأني لرحمته والعفو أقرب مني إلى عقوبته (وروى) أبو نعيم (في الحلية) علي بن أبي طالب الهاشمي المدني (الحلية) منسوب إلى أمه من بني حنيفة عالم مات بعد الثمانين (عن) أبيه (علي رضي الله عنه أنه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال) صلى الله عليه وسلم (يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فكرر جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال انزلا فكررا كما يقرر كما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي * والاخبار لو أوردنا في أسباب الرجاء أكثر من ان تحصى * (وأما الآثار) * فقد قال علي كرم الله وجهه من أدب دبا فستره الله عليه في الدنيا ستره الله عليه في الدنيا والآخرة ومن أدب دبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة ومن أدب دبا فعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححاه وقد تقدم (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (ما أحب أن تحمل حسناتي لأبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بهما) كذا في القوت وأخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه) فهذه صاحب القوت ويشهد له ما مر في الآثار أن العبد من ذنوبه تنسى الله ملائكته وبقاع الأرض معه ويدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شيء عليه (وكتب محمد بن مصعب) بن صدقة الفرقساني صدوق روى له الترمذي وابن ماجه مات سنة ثمان وثمانين (إلى الأسود بن سالم بخطه) هكذا في بعض نسخ الكتاب هو محمد بن مصعب

المؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا وقال تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما انه لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال عليه السلام اذا عفوت عن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا محمد ان الله تعالى أكرم من ان يعاتب من عفا عنه فكرر جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال انزلا فكررا كما يقرر كما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي * والاخبار لو أوردنا في أسباب الرجاء أكثر من ان تحصى * (وأما الآثار) * فقد قال علي كرم الله وجهه من أدب دبا فستره الله عليه في الدنيا ستره الله عليه في الدنيا والآخرة ومن أدب دبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة ومن أدب دبا فعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححاه وقد تقدم (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (ما أحب أن تحمل حسناتي لأبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بهما) كذا في القوت وأخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه) فهذه صاحب القوت ويشهد له ما مر في الآثار أن العبد من ذنوبه تنسى الله ملائكته وبقاع الأرض معه ويدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شيء عليه (وكتب محمد بن مصعب) بن صدقة الفرقساني صدوق روى له الترمذي وابن ماجه مات سنة ثمان وثمانين (إلى الأسود بن سالم بخطه) هكذا في بعض نسخ الكتاب هو محمد بن مصعب

تشهد عليه وكتب محمد بن مصعب إلى الأسود بن سالم بخطه

ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يارب حتى اذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه خلا لي الطواف ليلة ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يسألون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل وان أنظر وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قعه بالذنوب وقال الجنيد رحمه الله تعالى ان بدت عين من اكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ثابتا فقال له لي كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى اني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساء لك هذا من الفرح وفي حديث ربيع بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين

وتكلموا اليه هو الاسود بن سالم والذي في القوت وحدث عن محمد بن مصعب قال كتب الى أسود بن سالم بخطه (ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يارب) فاذا قال يارب (حجبت الملائكة صوته وكذا) اذا قال المرة (الثانية) يارب حجبت الملائكة صوته (و) كذا اذا قال المرة (الثالثة) يارب حجبت الملائكة صوته (حتى اذا قال) مرة (رابعة يارب قال) ويعني القوت يقول (الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدي عني وقد علم عبدي انه ليس لذنوب يغفر الذنوب غيري أشهدكم اني قد غفرت له) أورده صاحب القوت ويشهد له الخبر الذي تقدم قريبا ذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله للملائكة نظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم اني قد غفرت له (وقال) أبو اسحق (ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (خلا لي الطواف) ذات (ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولئن أنظر) أي ان وصفه سبحانه بالمغفرة والرحمة وبدأ بالعفو مقتضى وصفه بحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم النصرة لله سبحانه من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفي هذا سر لمعرفة ومنه معرفة الخصوص ثم هذا الذي ساقه المصنف هو بنحو ما ساق صاحب القوت وساق القشيري في رسالته ويحكى عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه انه قال كنت بمكة ليلة مطيرة فمضيت الى الطواف فلم أجد أحدا في الطواف فدخلت الطواف وكنت أقول اللهم اعصمني اللهم اعصمني فسمعت هاتفا يقول لي يا ابن أدهم أنت تسألني العصمة وكل الناس يسألوني العصمة فاذا عصمتكم فعلى من أرحم انتهى وفي ذلك دلالة على ما سبق في عبده انه لا بد من وقوع المعصية ولرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية من رحمته عصمة الانبياء وحفظ الاولياء وقد قال الله تعالى ويوشك ان يقذف الآمن في الارض كلهم جميعا وأرجو ان لا يكذب ظني ان أدهم على ان لا يسأله ما ليس له به علم كما فعله نوح عليه السلام اذ سؤال العبد العصمة عما لا علم له به قد يكون في معلومه انه معصي فسؤاله العصمة أولى به وأدب العبودية به ويجوز أن يسأل العبد ربه ان يحفظه ويصونه عن سائر ما عصي ربه العصمة من خصائص الانبياء وقد اختلف في جواز سؤالها لغيرهم فقائل مانع وقائل بالجواز كما أورده في شرح الجزء الكبير للامام الحسن الشاذلي فيراجع (وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قعه بالذنوب) نقله صاحب القوت (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (ان بدت عين من اكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين) نقله صاحب القوت (و) روى انه (لقي) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري (أبا) يحيى (الرخص المتقدم ذكره قريبا وكان أبو يحيى يحدث الناس بالرخص) فقال له (كم تحدث الناس بالرخص) ولا تخوفهم (فقال يا أبا يحيى اني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق به كساءك هذا من الفرح) نقله صاحب القوت (وفي حديث ربي) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وبعدها التحتية (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة وآخره شين معجمة هو ابن عمرو بن عبد الله بن جحادين عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي أبو مريم الكوفي (عن أخيه) مسعود بن حراش قال ابن المديني هو حراش ثلاثة ربعي وربيع ومسعود ولم يرو من مسعود شيئا لا كلامه عند الموت (وكان ربعي من خيار التابعين) قدم الشام وسمع حصة عمر بالجابية وقال يجلي ما بي نفس من خيار الناس لم يكذب كذبة قط كان له اسنان عليا فاشتكى فقيل للحجاج ان أبا هما لم يكذب كذبة قط لو أرسلت اليه فسألته عنها فان أرسل اليه فقال أبي اسألك قال هما في البيت فقال قد عفونا عنهما فقال ورويا ان ربعيا آلى ان لا يضحك حتى يعلم أبي الجنة هو أو في النار قال فبينما هو ذات يوم مشتمل على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا قال أو نعيم وغيره

وهو من تكلم بعد الموت قال لما مات أخي جعلت ثوبه على وجهه فجعل ينكشف الثوب عن وجهه وجعلت أسويه على وجهه ثم قال لي أقبل علي عز وجل فإني روح وريحان وربي غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفترون ولا تفترون بمحمد صلى الله عليه وسلم ينظر وأصحابه حتى أرجع إليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت جمعا وقعت في طست فجمدت وهذا في الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما أسرف على نفسه وكان الآخر مجتهدا وكان يبصره ويراه ذنبا (١٨٧) يقول دعني وربي أعثت على رقيبا

واحد مات في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وروى له الجماعة (وهو) أي أخوه وهو مسعود (ممن تكلم بعد الموت) على الصحيح كما تقدم عن ابن المديني ولكن روى البيهقي بإسناده في الدلائل عن ربعي بن الكلام بعد الموت أخوان ربيع (قال) ربعي (لما مات أخي مسعود أو ربيع بن خثيم ثوبه وأقبلت على نفسه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال لي حيث رأى روح وريحان وربي غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تغتروا) أي لا تكلوا وفي بعض النسخ وإني لأعذرا (ابن محمد صلى الله عليه وسلم ينظر وأصحابه حتى أرجع إليهم قال) ربعي (ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت في طست فجمدت) كذا هو في سياق يعقوب (وفي الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه) أي بالمعاصي (وكان الآخر عابدا وكان) هذا العابد (يبصره يراه) ويبصره (فكان يقول دعني وربي أعثت علي رقيبا) أي تراقب أحوالي وأعمالي (حتى رآه ذات يوم على كبيرة فعظم فقال لا يغفر الله لك فقال) ويقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد (أن يحظر) أي يمنع (رحمتي على عبادي) يقول أنستطيع أن تحظر رحمتي على عبادي (اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار وهكذا رواه أحمد أيضا (وروي أيضا) في معناه (أن لصا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فرعيسى عليه السلام رجلا عابدا من عابدي بني إسرائيل) من الحواريين فقال الخلص في نفسه هذا نبي الله يمر والي جنبه حواريه لو مرت فكنت معهما فمر (فمر فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد فمر وأوحى الحواري به فقال في نفسه هذا يمشي إلى جنبي) قال (فصم نفسه ومشى) وتقدم (إلى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فمر الخلص خلفه) قال (فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لهما استأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من عملكما أما الحواري فقد أحبطت عمله بحسبانه نفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه) فأخبرهما بذلك وصم الخلص البعد عن سياحته وجعله من حواريه وروى عن مسروق بن بياض الأنبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه معصبا

حتى رآه ذات يوم على كبيرة فعظم فقال لا يغفر الله لك فإن فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروي أيضا أن لصا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فرعيسى عليه السلام وخلفه عابد من عابدي بني إسرائيل من الحواريين فقال الخلص في نفسه هذا نبي الله يمر والي جنبه حواريه لو مرت فكنت معهما فمر قال فمر فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد فمر وأوحى الحواري به فقال في نفسه هذا يمشي إلى جنبي فصم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجنبه فمر الخلص خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما استأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من عملكما أما الحواري فقد أحبطت عمله بحسبانه نفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه فأخبرهما بذلك وصم الخلص البعد عن سياحته وجعله من حواريه وروي عن مسروق بن بياض الأنبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه معصبا

فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تتألى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويسميهم في صلاته فنزل عليه قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام وروى في الاثر أن رجلين كانا من العابدين مشاحنين في العبادة فكان لا يجتهد الجتهاد صاحبه في الدرجات العلى فيقول في نفسه ما كان هذا في الدنيا أكثر مني عبادة فرفعته علي فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان الخوف منها على الخائف فكم من فرق في المأمولين بين من يخدم اتقاء العقاب وبين من يخدم ارتجاء الثواب فعاملوا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانكم تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة وسألوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء

فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تتألى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويسميهم في صلاته فنزل عليه قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام وروى في الاثر أن رجلين كانا من العابدين مشاحنين في العبادة فكان لا يجتهد الجتهاد صاحبه في الدرجات العلى فيقول في نفسه ما كان هذا في الدنيا أكثر مني عبادة فرفعته علي فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان الخوف منها على الخائف فكم من فرق في المأمولين بين من يخدم اتقاء العقاب وبين من يخدم ارتجاء الثواب فعاملوا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانكم تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة وسألوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء

(فقال ادخل الجنة فدخلها ثم رفع أحدهما الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا أكثر مني عبادة فرفعته علي فقيل له كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله) هكذا أورده صاحب القوت وتبعه المصنف نظرا الى قوله وروى في الاثر وورده في خلال الاخبار المرفوعة على انه ليس بمرفوع ولذا لم يتعرض له العراقي وقد رواه بنحوه العقيلي والخطيب من حديث أبي هريرة بلفظ ان رجلين دخلا الجنة فرأى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدي فوق درجتي فقال له لم حرمته عمله وحرمتنيه بعملك (وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان الخوف منها على الخائف فكم من فرق في المأمولين بين من يخدم اتقاء العقاب وبين من يخدم ارتجاء الثواب فعاملوا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن) وتعلق به رجونا جامع فيه فقد قيل في قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين أي احسنوا الظن بالله وفي الخبر حسن الظن بالله من حسن عبادة الله عز وجل رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانكم تسألون كريما) قال العراقي لم أجد له سندا للعلا وللترمذي من حديث ابن مسعود سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل انتهى قلت هو بقية من الحديث الذي يأتي له كما بيان صاحب القوت على ما ذكره وحديث ابن مسعود هذا رواه أيضا الطبراني وابن عدي والبيهقي بزيادة وأفضل العبادة انتظار الفرج ورواه أيضا ابن جرير عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسم (وقال) صلى الله عليه وسلم (اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله فان أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فان الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه والبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وعبادة بن الصامت انتهى قلت ولفظ القوت ومن ارتجاء افتعال للطاعات وحسن المواقف يسوى بها ويسأل مولاه ذكرهم عظيم الرغائب وجليل المواهب لمن وهب له من حسن الظن به وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وفي حديث آخر اكثروا وسلوا الدرجات العلى فانكم تسألون جوادا كريما انه

حديث أبي هريرة عند مسلم وقد رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي سعيد وروى ابن أبي شيبة والطبراني من حديث أنس إذا دعا أحدكم فليعزم مسئلته في الدعاء ولا يقل اللهم إن شئت فاعطني فإن الله لا مستكره له وروى ابن حبان من حديث أبي هريرة إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء وروى الطبراني من حديث ابن عباس إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه سرة الجنة وروى ابن حبان من حديث عائشة وإذا سأل أحدكم فليكثر فإنه يسأل ربه وروى عبد بن حميد في مسنده والطبراني واحاكم وصححه وتعقب وابن مردويه من حديث أبي أمامة سلوا الله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة (وقال بكر بن سليم الصواف) أبو سليمان الطائفي مكثر ثقة مقبول روى له البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه (دخلت على) أبي عبد الله (مالك بن أنس) الإمام رضي الله عنه (في علته التي قبض فيها فقلت يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم إلا أني رأيت الآن من كرامة الله لي ومن صور الملائكة الذين يأخذون بروح بحيث تقرب من أعرفه لساني (لا لكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي للصفح الذنوب يطيب ورجائي إياك مع الأعمال لا في اعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وإنما بالآفة مدسوسة وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفتك فخر المجوسي فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم لم تطعمه الأربعين يوما وهو من سبعين سنة تطعمه على كفره فلو سعته ليلة ما كان عليك فراجع إبراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه فقال له المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسي أهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي الإسلام فأسلم ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعبد الله فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا

وقال بكر بن سليم الصواف دخلت على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها فقلت يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم إلا أني رأيت الآن من كرامة الله لي ومن صور الملائكة الذين يأخذون بروح بحيث تقرب من أعرفه لساني لا لكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي للصفح الذنوب يطيب ورجائي إياك مع الأعمال لا في اعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وإنما بالآفة مدسوسة وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفتك فخر المجوسي فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم لم تطعمه الأربعين يوما وهو من سبعين سنة تطعمه على كفره فلو سعته ليلة ما كان عليك فراجع إبراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه فقال له المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسي أهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي الإسلام فأسلم ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعبد الله فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا

ﷺ هنا بياض بالأصل

ورأى معصوم بن سهل الصعوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له ما أنت صرت هذا فقال بحسن طني بربي وحكي ان أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وداد الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا علمتم فيما علمتم قال فقسا لارب قصرنا وأسأنا قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت اما أنا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال ذهبوا به فقد غفرت لكم وبعد ذلك بثلاث ليال كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيأ من الفواكه للمجلس فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار وهو يسأل الله فقيرا شيأ ويقول من دفع لي أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فقال الغلام لمنصور ما الذي تريد أن أدعو لك فقال لي سيدك أريد أن تخلص منه فقال منصور وقال لآخر فقال أن تحلف لله على دراهمي فدعا ثم قال لآخر فقال أن يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الآخر فقال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ذهبت فقص عليه القصة فقال له سيده ما أحسن ما فعلت فقال ما فعلت بحسن لعتق فقال له اذهب فانت حر قال رابش فلما أن حلف الله على الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم رابش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال رابش الرابع قال أن غفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الى (ثم ان الله تعالى) في المنام كأن قائلا يقول له (أنت فعلت ما كان لك فترى) لا أفعل ما الى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين) أورده هكذا القشيري في الرسالة وفيه دلالة على أنه تعالى أكرم من رابه بجاري ما لخير الكثير على العمل اليسير وهو وضع الاستدلال على الرجاء لان سيد الغلام لما تكرم بالبسير غفر الله وللغلام ولمن كان سببا في ذلك (وروى عن) أبي محمد (عبد الوهاب بن عبد المجيد) بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبي العاص

الذكور بعلته على شرحه ويحتمل به ما عن اعتقاده قبل موته وهم يعلم الرائي حاله فجاز أن رآه في المنام وسأله عن حاله أخبره بما ذكر (ورأى معصوم بن سهل الصعوكي في المنام) وبعد أن سألته سمعت ما ذكر من تركيب يقول لي بأي بأسهل الصعوكي في المنام (على هيئة حسنة لا توصف فقال له بم نلت هذا فقال بحسن طني بربي بحسن طني بربي) مرتين هكذا أورده القشيري في كتاب الرجاء ثم أعاده في آخر الكتاب (وحكي ان أبا العباس) أحمد بن عمر (بن سريج) بسين مهملة وآخره جيم العدد أحد أئمة الشافعية (رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وداد الجبار تعالى سبحانه وتعالى يقول أين علماء فقال فجاؤا ثم قال ماذا علمتم فيما علمتم قال فقسا لارب قصرنا وأسأنا قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت اما أنا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه) وذلك قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال ذهبوا به فقد غفرت لكم وبعد ذلك بثلاث ليال) حكاه القشيري في الرسالة وفيه دلالة على جواز العزم لمن لم يشرك بالله كالآية التي أشار اليها وهي بشرى عظيمة للاسراع وهو به معذور له وقد عرف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجا المغفرة (وفيه كان رجل شريب) أي كثير الشرب للخمر (جمع قوما من ندمائه) أي جملة ممن يعادمونه في الشرب (ودفع لي غلامه) وكان صالحا ذكر عليه ذلك (أربعة دراهم وأمره ان يشتري) بها (شيأ من الفواكه للمجلس) أي لاهل مجلسه (فمر الغلام بمجلس) الشيخ أبي السري (منصور بن عمار) الواعظ أصله من مرو وأقام بالبصرة وكان من الذاكرين ترجمه القشيري في الرسالة (وهو يسأل الله فقيرا شيأ ويقول من دفع اليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع اليه الغلام الدراهم) لانه رأى ان هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الصبر على الغلام من سيده حتى لا يقع في هذا السكر الشديد وطلب منصور ما لك الدراهم (فقال) له (منصور ما الذي تريد) مني (أن أدعو لك) به (فقال لي سيدك أريد أن تخلص منه) بالعتق لا خلص مما به حتى فيه مما لا أحمله (فدعا) له (منصور) بذلك (وقال لما) الدعاء (الآخر فقال ان تحلف) الله (على دراهمي) التي دفعتها للفقير وأردها الى سيدي وأقول لا أعصي ما أمرتني به (فدعا) له بذلك (ثم قال) له (ما) الدعاء (الآخر فقال ان يتوب الله على سيدي) من توقعه للتوبة مما هو مرتكبه لاستمراره من صروره ما كابة (فدعا) بذلك (ثم قال وما الآخر فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم) أي لجلسائه (فدعا منصور) بذلك (فرجع الغلام) الى سيده (فقال له سيده لم ذهبت فقص عليه القصة) فاعتقه سيده واستحسن فعله (فقال ورد عاقال ما أنت الا مني لعتق) فدعا به (قال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى (قال رابش) فدعوته (الثاني) أي أي شيء هو (قال أن يحلف الله على الدراهم) لاردها لك (قال لك أربعة آلاف درهم قال رابش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال رابش الرابع قال ان غفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر) أي لواعظ وهو منصور (قال هذا الواحد ليس الى) من الله تعالى (فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له) (أنت فعلت ما كان لك فترى) لا أفعل ما الى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين) أورده هكذا القشيري في الرسالة وفيه دلالة على أنه تعالى أكرم من رابه بجاري ما لخير الكثير على العمل اليسير وهو وضع الاستدلال على الرجاء لان سيد الغلام لما تكرم بالبسير غفر الله وللغلام ولمن كان سببا في ذلك (وروى عن) أبي محمد (عبد الوهاب بن عبد المجيد) بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبي العاص

(النقي)

(الثقفي) البصري قدم بغداد في زمن المعتصم وحدث بها عن معين ثقة مات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة (قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة وصليا عليها ودفناها ثم انصرفت فقلت للمرأة أما كان هذا الميت منك (قالت) هو (ابني قلت ولم يكن لكم كبير ان) يحملانها (قالت بلى ولكن صغروا أمره) وحقروه (قلت وما شأن كفن هذا الميت) هو (مخيط) بالثاء المثلثة بكسر الواو وبالخاء المعجمة (قال فرجعت وذهبت بها الى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال) وعمت (فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فقلت له من أنت فقال) أنا (الميت الذي دفنتموني) اليوم (وحتى ربي باحتقار الناس اياي) وكذا ذكره في حكاية القشيري في رسالته وفيه دلالة على أنه تعالى يجازي بأخبر الكثير على أعين يسير (٤٥٠) القشيري في رسالته سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر الحربي يقول سمعت (ابراهيم الاطروش) يقول (كنا قعودا بعد دمع) أي مغموط (معروف) بن فيروز (الكرخي) قدس سره (على دجلة) وهي نهر بغداد (اذ مر بنا أحداث) أي شباب (في زورق) أي سفينة صغيرة (يضربون بالدف ويشربون) خمرا (ويلعبون) بالملاهي (فقال المعروف أما ترهم) كيف (يعصون الله مجاهرين فدع الله عليهم فرفع يديه ودعا فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فافرحهم في الآخرة فقال القوم انما سألناك أن تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم) أي وادا ما زال عنهم ما تكرهون فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة وأدبه في تغيير منكر بدي لا يمكن العدول عن ثلاثة بقوة الجاه وبسطوة حسان معروف في رتبة مسئلة السؤال وطلب الفضل من الله في تغيير أحوالهم بما هي عليه لانه تعالى هو المتصرف في كل ما شاء فقال ما قال فعلم بذلك ان التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء ممن هو بالدعاء لهم بالتوبة وبين ذلك قوله اذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم (وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب وأي أهل دهر) أي زمن (لم تعصك فيه عاصية) أي نامة (وزوت عليهم دار) أي واسعة منك (فعاملتهم بما أحللت به معاصيك وعزتك ما تعصى) بعد (الا عصمت) وقد ورد في عمل يتعلق بالرجاء من كتاب القوت والرسالة وغيرهما سألت الله تعالى وقد أحببت أن أسوقها لتمام الفائدة قال صاحب القوت عن بعض السلف كل عاص فانه يعصي بخوف كخوف الرجاء أو أقوى عليه كخوفه سترة ورتبة ومن رفع عنه كخوفه النصح والرجاء اسم لقوة الطمع في الشيء لرؤية الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء في التسمية فأقام الحذر مقام الخوف فقال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وطمعا وخوفا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من وصف المؤمن وخلق من أخلاق الايمان لا يصح الا به كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطائر لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن حتى يرجو من آمن به ويجتهد وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله الا أعطاه الله ذلك لان الخير كله بيده أي فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يناله لان الذي حسن ظنه به هو الذي أراد ان يحققه له وروى عن أسباط قال سمعت سفيان الثوري يقول في قول الله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال أي أحسنوا بالله الظن والرجاء فمقام الخوف لا يصح الا لكرام من أهل العلم والحياء وهو سائل يحول عليهم بعد مقام الخوف يرجون به الكرب ويستريحون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم في مقامات الخوف لم يرفع الى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء وروح كل عبد من حقيقة خوفه وكاشفه عن اخلاق مرجوه من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام الخوفات من الحجوبات من الذنوب والعيوب بهذه الاوصاف رفع من حيث تلك المقامات الى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وعمران الذنب وتشويق

التقي فالرأيت ثلاثة
من الرجال وامرأة يحملون
جنازة قال فاحتبست مكان
المرأة وذهبت بي المقبرة
وصليا عليها ودفناها
فقلت للمرأة من كان هذا
الميت منك قالت ابني قلت
ولم يكن لكم كبيران قالت
بلى ولكن صغروا أمره قلت
وما شأن كفن هذا قالت مخيطا
قال فرجعت وذهبت بها
الى منزلي وأعطيتها دراهم
وحنطة وثيابا قال فرأيت
تلك الليلة كأنه أتاني آت
كأنه القمر ليلة البدر وعليه
ثياب بيض فقلت من أنت فقال أنا
الميت الذي دفنتموني اليوم
وحتى ربي باحتقار الناس
اياي وقال ابراهيم الاطروش
كنا قعودا بعد دمع معروف
الكرخي على دجلة اذ مر
بنا أحداث في زورق يضربون
بالدف ويشربون ويلعبون
فقالوا المعروف أما ترا هم
يعصون الله مجاهرين ادع
الله عليهم فرفع يديه وقال
اللهم كما فرحتهم في الدنيا
فافرحهم في الآخرة فقال
القوم انما سألناك ان تدعو عليهم
فقال اذا فرحهم في الآخرة
فقد تاب عليهم وكان
بعض السلف يقول في
دعائه يارب وأي أهل دهر
لم تعصه ثم
عملت عليهم ما عملت وزويت
عليهم دارا فعاملتهم بما أحببت
وعزتك ما تعصى ثم
تسمع سمعة وتزاوى
حتى كأنك بارز لا تعصب

الجنة وما فيها من الاوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وان كان أعلى مقام مخوف الصفات
عن مشاهدة معاني ذات مثل سابق العجز وسوء الخاتمة وخفي المكر وما من الاستدراج و بطش القدرة
وحكم الكبر والخبرة ترفع من حيث هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا عن خاص معاني الاخلاق والاسماء
الكرم والاحسان والتفضل والعطف والمطعم والامتنان وليس يصح ان يخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل
الرجاء في مقامات الرجاء من قبل انه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرد به أشد فساد فليس يصلح
الا لخصوصه ولا يجدي ولا يستجيب له من المحبين ولا محبة الا بعد تصحيح القلب من المخافة فالمؤمن بين الخوف
والرجاء كالطائر بين جناحيه وكالسابح بين كفتيه وعلى قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجائه
لاعتدلا والمؤمن في اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام
مشاهدة الاحسان لمعرفة والاخلاق الروحانية والى مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الاحكام
وتعاوت الانعام من ذلك به تعالى أنعم على الخلق فضله عن كرمه اختيارا لا اضطرارا فلما أعلمهم ذلك رجوا
تمام نعمته حتى اتخذوها من هول مطلع الآخرة في الدنيا اتقوا بالايمان فقالوا انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا كأول المؤمنين أي من حيث هو أول المؤمنين من هذا المكان نرجو ان يغفر
لنا خطايانا وهو يريد ان يرجوه منه ويديم الله تعالى عندا أوجده نعمة ثم سلبها ليس من عوده عليه
فقال له لي ولي أدم لانسان صورة ثم رعاها منه به أنس كور ثم استدى عباده انصار من علمه
اصحاب له فقال له لي لا الذين صوروه بعمو الصالحات ثم ان خلق حافوا على أربع طبقات في كل طبقة
طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا وهو ارجاؤهم لانفسهم وغيرهم من المؤمنين وقد أعلمهم
فرجوا ان يتم عليهم نعمته ليدخلهم بفضل ما به منهم ومنهم من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع
خوفهم على نفسه وعلى غيرهم لكان علمهم بهذا الحكم وله تعالى في علمه السابق فيهم ومن الناس من
يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومن الناس من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذا الحكم أو حار علمهم الناس
المشرك اذا رأوه فلم يقطعوا الظاهر أيضا خوف هذا الرجاء خوف بيان يموت على ما به الحال وان كان ذلك
هو حقيقة عند الله تعالى فهم المؤمن بهذه الاحكام الاربعة ورجوه ورجاؤه معلقا على حاله ذلك لاعتدال
علمه به وحكمه على الخلق بالظاهر ووكل الى علام الغيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهر من الشر بل يرجو
له ما ليس عند الله من الخير ولم يشهد نفسه ولا غيره ظاهر الخير بل يخاف ان يكون قد استدرج عبد الله بأطن
شر الا ان حال المؤمن ان يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم مأمورون
بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه
مصير الامور ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملام عليها ولا يحتجون لها
لما على الاشقياء منهم عليهم والخوف الزكية منهم لهم فمن غلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن
ظنه بنفسه ويسيء ظنه بغيره ويكون حاشا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها لائما الناس ذاما لهم
فهذه من أخلاق الصديقين ثم ان الرجاء على الامن مقامه وللحال علامة ومن علامته الرجاء عن مشاهدة
المرجو دوام المعاملة وحسن القرب اليه وكثرة التحبب اليه مع حسن ظنه وجميل ثقته وانه يتقبل
صالح ما أمر به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا لاستحقاق مما قابه أو يكافئ سيئ
ما عمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لا خلاقه السنية والطافه الخفية لا من حيث اللزوم
بل من حيث حسن الظن به ومقام الرجاء كما ترى مقامات اليقين منها فرض ونفل فعلى العبد فرض ان يرجو
مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان
سهل يقول من سأل الله شيئا فنظر الى نفسه فقد أتهمه لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله وحده والى لطفه
وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولا يقبل الله عملا ولا رجاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر

الى الوحدانية فقد فعل به ما من العبادة ثم ينتقل الراجون في منازل الرجاء فالمقربون منهم وجوا النصيب الاعلى من القرب والعلى لمعاني الصفات بما عرفوه وهدوا من علمهم به وأصحاب اليمين في الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيده والاصل لاجل ما عندنا بقي ما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر بالاعمال مع وسعة السبق والمبادرة مع خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مع جزة السوء ومع هذا يمس رجاء التجاوز والعفو ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى واقام الصلاة التي هي خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية ولا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف المحققين من الراجين اذ يقول تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء تقلب في سبحات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافي الجنوب عن المضاجع لما وقر في الصدور وتقلب من المخاوف وكذلك وصف الله تعالى راجين بهذا في قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من لم يحذ ولم يرج عز علم معنى الآية بنفيها وهذا مما حذف خبره اكتفاء بما ذكر وصفه في الكلام دليل عليه فالرجاء هو أول مقام من يقين عند المقربين وهو من أوصاف الصديقين ولا يكمل في قلب عبد ولا تحقق به صاحبه حتى يجتمع فيه هذه الاوصاف الاربعة بالله والهاجرة اليه والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق في سبيل الله ثم السجود بالليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جمل أوصاف الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تتزايد الاعمال في ذلك ظاهرا وباطنا بالجوارح والقلوب من تزايد الانوار وعلومها وكاشفات الغيوب بالاوصاف الرجوة وصل الحاق ان الخوف والرجاء طريقان في مقتضى الخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العاملين في مقام العمل وقد وصف الله الراجين مع الاعمال الصالحة قوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتمامه بتمام العبادة فقال تعالى مخبرا عنهم في حال وفائهم وأعمالهم انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة من قبل ان الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صارعه الخوف ان يقبح به دون ما رجاه فمن أهل العربية في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بمغفرة من لا يرجو كيف يكون عفوه وفضله على من رجاه ونعتهم يقول في معنى قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون أي تخافون منه ما لا يخافون فلولا ان هما عند العلماء كشيء واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى في الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب الى الاولياء وارتفاع الوحشة عند أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على العروا قوى لوجود حلاوة الاعمال والمسارعة اليها والحث لاهلها عليها والحرص على فوتها والفرح بدركها ومن الرجاء تشديد دوام حسن الاقبال والتنعم بمعاملة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومسائلة الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وشرك النار ونور التوحيد أخرج لسان الموحدين من نار الشرك لحسنات المشرك وقد كان يحيى بن معاذ يقول في مقامات الرجاء لو كان توحيد ساعة يحيط بذنوب حسبي سنة فتوحيد حسبي سنة فما ذا يصنع بالذنوب وقد قال سهل لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة لعلماء مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء أول مقام المحبة ثم يعتوي الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وفي الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم عن يقنوطهم ويفرطهم وقال بشر الحافي لكون النفس الى المدح أصبر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين مخنثا عرض عليه دينارا فاعلنه فالتفت اليه فقال

وأنت أيضا كفيل مالك فمن ضرع من موله وقال أي شيء تعلم؟ قال لان عبدك مالك يخبرني ما عندك يوسف بذلك فتاب واستغفر وكان بعض الراحيين يقول لهم من موله تعالى اذا تلاوبه بعضهم من الله مالكم لا ترجون لله وقارا وترجون منه ذلك يوم تدنى الجود والكرم والاحسان مالم يحتسبه في الذي فقط ويقال ان حملة العرش يجهرون بصوت حسن على حملة يعدل بحسن صوت على صوت فمن ذلك يعلم حسن من العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو نظرهم عن سمو علومهم بمعاني نعته فكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته فاعلاهم شهادة الصديقين ثم شهداء ثم الصالحين ثم خصوص المؤمنين فسبحان الله وتعالى ما دل عليه وبه تعرفوا الهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل يقول المؤمن يعيش في سعة الرجاء والمؤمن يعيش في سعة الحلم فصفة الله تعالى كاملان فمن شهد ترجح بعضهم على بعض فحمل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من شهد ولاحل مة مما المراد به دون طريق الصديقين من الاقوياء فعاد ذلك على بعد صار مقامه في القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة من العزيمة في الحرب فالله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ومن أخذ بعزيمة آخر فهو من هذا وكذلك الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يكره أن ترفض معصيته وفي الخبر ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض عبدا لي عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وذلك لان المنقطعون هلك المنقطعون وفي الخبر داود عليه السلام ان الله تعالى نظر اليه منفردا وحدانيا فقال لملك الموت وحداني في الخلق فقال أوما علمت ان محمدا أن تعاطف على عبادي وتحنن عليهم بالعسل هذا أكثر من أربعين وثمانين ولا تنظر الى عبدي نظرة حتى ولا تقبض روحه ولا تفرق بينه وبين أحبائه حتى أجعل حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا بمنزلة ودين فذلك نبيه وروينا عن الفضيل ان العبد ليقوم من ربه عند العرض فيقول له عبدي أتحصي علي ما عملت فيقول الهي كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ لكل شيء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في قلبه ويقول له أجعل الذنوب في صحيفة وجهك ثم أجعل في وجهك شهودا أما أعفرها لك اليوم على ما كان منك ما لك في وتصديق المرجين ومن رجاء شدة الشوق الى ما شوق اليه الكريم وسرعة النافس في كل نفيس ندب اليه الرحيم والاحتراق حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خسارا وهو مزيد ثواب الصديقين وقرة عين للمحبين اخلاص وسرور لاهل الكرم واحياء وروح وارتياح للنوى بعصمة ولوعة يصنع به كرمهم ويشتد عنده حياؤهم وتتزاح اليه عفوهم فهؤلاء يستحرج منهم ترجمة وحسن الظن من العباد استحالا استحر حما الخوف ان الخوف تقطع من أكثر المعاملات فصار الرجاء طريقة لاهله وصار واجبا بقدر ما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أي ترك الله هي الرجاء لا للخوف فصار الرجاء طريقة هؤلاء هم الراجون بحق وهذه علامتهم وأما هؤلاء ذكرنا الاسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء معصومين من الهوى الردي وقد بقي لخمس خصال أولى فهذه حمل أحكام الرجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد تحقق درجات أهل الرجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الرجاء وعمران مقامات اليقين لا ترتقي بعضها الى بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصفت على عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل خيرا مقام منها فقام بحكم الله فيه نقل الى ما سواه وكان لمقام الاول له عما وراءه الذي أقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد صار علانيته ومقام الرجاء هو حسن من حسن الله يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان وبعض لا يلين ولا يطمئن معاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب فقد

يقطعهم ذلك ويوحشهم اذ قد جعل لرجاء طريقا فهو حدث به قوم ممن ينتهي كلام صاحب القوت وقد حدثت منها أشياء كثيرة وقال القشيري في رسالته ومما يدل على من كان يرجو لقاء الله تعالى أحمد بن المثنى قال سمعت بعلاء بن زيد قال حدثني مالك بن دينار قال رأيت عنده شهر رمضان فلما خرج من عنده مات لشهر يرحل الله رؤيتي ربه قال ثم حدثني عمرو بن المرزوع عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال الله عز وجل عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئا غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتني على الأرض خطاياك وذنوبك استقبلتك بمثلها معفرة ما عمرتك ولا أبالي وتكلموا في الرجاء فقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء هو الثقة بالجود من القديم وقيل هو انتظار لسعة رحمة الله تعالى وسئل أحمد بن عاصم الانطاكي ما علامة الرجاء في العبد قال أن يكون اذا أطاع الله بالطاعة أحسن ظنه أن الله عليه في الدنيا وتمام عفوه في الآخرة وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استشراف الوجود فضله وقيل رتاح القلوب لذكر الرجاء المحبوب وقيل هو رؤية الخلال بعين الاجلال وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل سرور الرجاء هو حسن المعاد وقال يحيى بن معاذ الهي أحلى أعمالي في عيني رجاؤك وأعذب الكلام على لساني ثنائك وأحب الساعات الى ساعة يكون فيها لقاؤك وكامل الرجاء من يصبر ويعرى للرجاء وقال لا تشعروا قلوبكم من كثرة خلاف الله تعالى معي وأسند عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله أو يضحك الرب قال والذي نفسي بيده انه ليضحك قال لا يعدم خيرا اذا صبر ورؤي مالك بن دينار في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وقفت على ربي مرات كثيرة فحاسبني فيها على حسنة واحدة تجاوز الله تعالى وقيل كان ابن المبارك اذا قيل له عظنا يقول ما ينفع وقت صلاة نقوم فنتوضأ ونصلي حتى تطلع الشمس أراد ان المداراة خير من ضربه بالسيف فسمع من الهواء قائلا يقول وفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا فسئل عما سمع الحوتي فقال لم أمسك عما سمعت به قد كرهت ما سمع فقال لموسى لم ارد بما سمعت به في عرفه وأسلم وحسن اسلامه وقيل لما أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان لا يغفر الذنوب لم يتب مسلم قط وكذلك ما قال ولا يعتبر ما دون ذلك لمن يشاء ويغفره وقيل لما هبت رياح الشتاء على بحر كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب الهي وعزتك من يعلم كذا وكذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه العشرة وانا من بين والدي وولدي من مسلمي وهم يحسن شيئا فسمع هاتفا يقول يا هذا تتشهى عيبا لا عيب لك ولا بد وان شهد شهادة الحق سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول مر أبو عمرو بسكة فرأى قوما أرادوا اخراج شاب من محلة بعشيرته وأسرته تكره فقيل انها أمه ترحمها أبو عمرو وتشفع لها فيهم وقال هيهات في هذه المرة فان عادت في فسدة فشأنكم واياه فرهبوه فعفى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء النساء من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد الى فساده في المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت ابنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله فتح عينيه ثم قال لا تحزني الجيران بموتي فلقد آذيتهم فلما مت غيبوني ولا يحضروني جنازتي فاذا دفنتموني فهذا خاتمي لي مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فادفنيه معي فاذا قبرت من دفني تشفعي لي عند ربي قالت فقطعت وصيته فلما انصرفت عن قبره سمعت صوته يقول يا أبتاه فقد قدمت على رب كريم انتهى كلام القشيري ولنعد الى شرح كلام المصنف فالمراد بقوله تعالى (فهذه هي الاسباب التي بها تجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين) وأما الحق المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئا من ذلك (بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فان أكثر الناس لا يصلح لهم الا على الخوف كالعبد السوء والصبي الغرم) أي

فهذه هي الاسباب التي بها تجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فأما الحق المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فان أكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي الغرم

لايستقيم الا بالسوط والعصا وصار الخشونة في الكلام وأمثال ذلك يفسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

(الشعار الثاني من الكتاب في الخوف) وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء صلوات الله عليهم وصالحي رعية الله عليهم ونسأل الله التوفيق

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى دعواتها والى هذا أشار الواسطي

(وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء) عليهم السلام (والصالحين) رحمهم الله تعالى

(بيان حقيقة الخوف)

(اعلم) رحمك الله تعالى (ان الخوف) هو عبارة عن مقامات ليقين وهو باب عظيم من أبواب الايمان وهو عدة من أحوال المحبين تنقسم الى مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما وهذا ما سنة في البيان وسرعة زوال وان الحالة التي وصفنا متى دامت ألحقت بالمقام ومتى زالت ألحقت بالحال وكذلك أحوال القلب وان الخوف لا يعدو القلب الا مشكولا فيه أو مصحوبا به الخوف (عبارة عن تألم القلب واحتراقه) وانزعاجه (بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء) ولا بد هنا وله لو احتج الحاوي والقبض والاشفاق والخشوع حقيقة الخوف لم نفرق بينه وبين توقع الحاصل مكروه أو على فائت محبوب فان كان المحبوب والمكروه محدودين كان له حكمهما في الوجود والتعلق وان كانا مكروهين كان له حكمهما في الحذر والكراهة وحقيقة بعضهم يعبر عنه تارة بعلم مخصوص وتارة بألم وأما ما يعلم منه حكم الخوف في الحذر وما يعلم منه فهو مفهوم من الله بسبب الاخراط في سلك ما يتأدب به المريدون الى ان تكون على اعتدال وحقيقة الاشفاق انحلال الخوف والرجاء واعتدالهما وسمي هو حكم ذلك وحقيقة الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتهما لما يأتي من عصيان أو مطمع واذا عرفت هذه الحقائق فاعلم ان (من انس بالله وبقي قلبه) بالله (لم يبق فيه سواه) (وصار ابن وقته) بل وأنا وقته (مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل) من الايام (فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء هذا) كما قال الواسطي (زمامان) مستويان (يمنعان النفس عن الخروج الى دعواتها) أي سكونها الى حاجتها واستحسانها ما هي عليه من طاعتها أو خوفها أو يأسها من فضل ربها عند مخالفتها فهما يصدانها عن ذلك لانها ان استحسنت أحوالها وركنت الى أعمالها جاز جرها الخوف وان يئست من فضل ربها وقطعت لسوء حالها جذبها الرجاء للملازمة وليس قول الواسطي زمامان على العموم بل قد تخرج الى دعواتها كما في الرسالة (والى هذا أشار) أبو الحسن سهل ابن محمد الجعلي (الواسطي) نزيل مصر والمتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة وكان كبير الشان صاحب

شعل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق في المستقبل (كان ذلك بمقتضى شهوده دوام الشهود غاية المقامات) ونهاية الفتوحات (ولكنا الآن نتكلم في أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل) لأنه من المقامات وكل مقام فهو كذلك (أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه) والمحذور أيه لأن كل ما لا ينكشف سببه لا تصح حقيقته ولا تعرف فضيلته (وذلك يكون جزئيا على ملك) من الملوك (تودع في يده) أي في حوزته (بعض أقاليمه فيخاف أن يعزله) أي الملك (أو يحوز العفو والإقلال) أي الخلاص (ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية) أي الموصلة (إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه محقودا عصوبا منتقما وكونه محفوفا من يحثه على الانتقام طالبا عن يشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف غالطا) غارا (من كل وجه وحسنة محوا وجنايته عند الملك فانعدم بتقهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب بجنايه قارفها الخائف) أي لابسها (بل من صفة الخوف كالذي وقع في محالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس وقد يكون الافتراس غالبا وإن كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة مجبية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو حوار حريق فإن ماءه يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والاعراق وكذلك النار) بجبوبة طبعها (على الاحراق فالعلم بالأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه) وبرعاجه (وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته) القديمة من العلم والقدرة والكلام فالعلم بالسعيد والشقي وأنه في ذلك على أنواع الاستكمال وأما الإرادة فبتخصيصها ما كشفه العلم من السعادة والاشقاء وأما القدرة فبتحديدها نفس السعادة والاشقاء في الوقت الذي خصصته الإرادة من غير تقدم ولا تأخر وأما الكلام فإخباره بأن الأسباب المسعدة والأسباب المشقية ولا سبب منها ما اطلع عليه العبد من أن الطاعة مسعدة وإن المعصية مشقية ومنها ما خفي فلا اطلاع لأحد عليه وذلك نحو المكر والألطاف الموجبات للتقريب

خوف من وقع في مجرى سيل أو حوار حريق فإن ماءه يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والاعراق وكذلك النار بطبعها على الاحراق فالعلم بالأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف من الله تعالى وقد يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته

والاعادة ههنا ، فان من لا يعلم يجب التصديق بها كلها (و) مما يجب علينا في معرفته في توحيد الافعال
(انه) تعالى (لو أهلك العالمين) جميعا (من أول الدهر الى آخره) لوجده انه في الحديث لما خلق الله آدم
ومسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقبض أخرى فقال
هؤلاء في النار ولا أبالي (وتارة يكون) الخوف (لكثرة الحجاب من العبد فتارة يكون لمعاصي) أي لارتكابها
وملابستها وذلك يستدعي أن يعرف أولا ان كل ما سوى الله تعالى قابل للاهلاك والاتلاف والعقاب
بالمعاصي بنقص الايمان وما حققه بعد الا بحدوس ناقص الافتقار الى الله تعالى وكما في الاوداك الانسان
من ضعف دون العالم كله بكلمة الشهادة تنمحي فسحة وفرصة الثقة ترتجع به ويبس ويجزم بالبعث فاذا عرف
العبد هذا أحس بذله وعجزه وقصوره بالنظر بالمحقرات فكيف بقهر جبار السموات ثم علم ان لسيده عليه
نعما تترى ظاهرة وباطنة عقلية وحسية ثم علم كثرة حدائقه على مهاوي سيده وشر نعته وأن انعم
عليه السلف والخلف والحادثات مرتب عليها عذاب هذه معرفته بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج
الكبر فان كل ما يعرفه تناسبه والاعتراف بالاعتراف بذل العبودية وكثرة الهم والحقارة بعقوبة
على الحسابات واجب وهو فرض عين (وتارة يكون) الخوف (من جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه
وما ذكرناه (ومعرفته بجلال الله تعالى وتقدس واستغنائه) على ما سردناه (وانه لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون تكون قوة خوفه) ومن نقصت معرفته فيهما نقص خوفه (فالخوف الناس لربهم على قدر
معرفتهم بنفسه وربه وبذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله) قال العراقي رواه البخاري من حديث
أنس وانه لاخشاكم لله وأتقاكم له والذي نفسي بيده من حديث عائشة والله لاني أعلمهم بالله وأشدهم له
خشية انتهى قلت وروى أحمد من حديث رجل من الانصار أما والله اني لاتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله
(ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهم العارفون بنفسهم وبربهم (ثم اذا كملت
المعرفة ورثت حالة الخوف واحترق القلب ثم تفيض أثار الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح
وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصفار (والعشية والرعقة والبكاء وقد تشتد به المرارة
فيؤدي الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيخبل العقل) ويصير لا يبقى (أو يقوى فيورث القنوط
واليأس وأما في الجوارح فكفها عن المعاصي وتقييدها للطاعات بالآداب (التي ذكرناها
(فرط) منه (واستعداده للاستقبال وذلك قليل بين الخائف من يبكي ويصيح عليه) ويتأسف على
حاله وما هو فيه من فساد دينه (وبين الخائف (من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه) أي لسببه ولعل
الشيري في رسالته وقال انه انما يخشى الله من عباده العلماء بقدر علمه بالله انتهى فالخوف
المحمود ما كان بعيدا عن الاحتلال بشيء من الامور أو الوقوع في شيء من المهيبات (وقال أبو القاسم
الحكيم من خاف شيأ هرب منه ومن خاف الله هرب اليه) نقله القشيري في رسالته والحكيم هذا هو أبو
القاسم اسحق بن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم السمرقندي ولي قضاء سمرقند مدة ودونت حكمته وانتشرت
فرض ذكره روى عنه أبو جعفر بن مسلم السمرقندي وغيره ومعنى قوله ان الخوف حقيقة انما يكون
من الله لانه الفاعل لكل مخوف وما خاف العبد غير الله مع علمه بان الله هرب منه واذا ذكر الله وخشي
ان يسطوه عليه هرب الى الله أي يرجع اليه فلا يهرب من مخوف الا الفاعل عن الله والا فمن علم انه مسخرة
بيد الله هرب ورجع الى الله اعتذر على خلاصه منها لا غير (وقيل لذي النون) المصري قدس سره (متى
يكون العبد خائفا) وفي الرسالة متى يستقيم على العبد سبيل الخوف (قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي
يتحامى) من كل شيء (مخافة طول السقام) أي متى أنزلها منزلته وعرف صعبها وعسرها في تحصيل
ما ينفعها وترك ما يضرها لازمته وأدام النصب في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي عمل مقتضاه وبعد عما
يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة في ارتكاب المخافة بهو ما يأمله في عقباه ولذلك شبهه بالمريض

وأما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح وتحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويصير قهر الكبر والحقد والحسد له كصبر مستوعب الهم بحرقة في حر عافته فلا يتضرع غيره ولا يكون له شغل الا المرارة والمحاهدة والمضمة بالانفاس والحطات وهو أحدة النفس بالخطرات والخطوات والسكنات ويكون حاله (١٩٩) من وقع في مخالب سبع صار لا يدري انه

الذي يحتاج الى لاذويه ويتحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه وحاصله ما يقمع الشهوات (وأما في الصفات فهو بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه) ومحله (اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف) قال القشيري سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول اذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة القلب عنها (وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويصير قهر الكبر والحقد والحسد) ونحو أوصاف الرعونة (بل يصير مستوعب الهم بحرقته والحزن في خطر عافته فلا يتضرع غيره ولا يكون له شغل الا المرارة والمجاهدة والمضمة) والمحاسبة (بالانفاس واللحظات) أي بجعل هم الانفاس في ذكر الله (وهو أحدة النفس في الخطرات) التي تمر (والخطوات التي تحطو بها الاقدام) وعلى هذه الاصول بنى السادة الصوفية قدس سرهم طريقتهم بعد نبي صلى الله عليه وسلم الاخلاص والتعلق في النفس والتضرع الدائم والتذكر والرجوع وغير ذلك مما هو مذكور في محله (ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع صار لا يدري به نفسه من عظيم ما) أي (هو فيه من الخلاص) أي (أو يهجم عليه مهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو واقف عليه مما لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال خواصه من الصحابة والتابعين وقوة المعرفة والمحاسبة تحسب قوة الخوف الذي هو ألم القلب واحتراقه وقوة الخوف تحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وعيوب النفس ومساويء ما يبديه من الاحوال والاعمال وكل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال أن يمنع عن المحظور ويحمي عن الشبهات والحاصل عن المحظور انزعاجه وقوته كف عما يتحرى فيه امكان التحريم وكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى) وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع وهي ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ويمكن تحاف أدائه الى محرم وهو ورع متقن (والتقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك مالا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للعبادة صار لا يبني مالا يسكنه ولا يجمع مالا يأكله ولا ينتعت لي دنيا يعلم انها تصرفه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا) وهو قليل من الصدق للمبالغة فيه (ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع بقيتها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتحدد له من الكف اسم يخصه وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع وهو أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا وورائه اسم الصديق والمقرب وتجري ترتيبة الآخرة مما قبلها تجري

يعقل عند ما يهجم عليه مهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو واقف عليه مما لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال خواصه من الصحابة والتابعين وقوة المعرفة والمحاسبة تحسب قوة الخوف الذي هو ألم القلب واحتراقه وقوة الخوف تحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وعيوب النفس ومساويء ما يبديه من الاحوال والاعمال وكل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال أن يمنع عن المحظورات ويحمي عن الشبهات والحاصل عن المحظور انزعاجه وقوته كف عما يتحرى فيه امكان التحريم وكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى أن يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك مالا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للعبادة صار لا يبني مالا يسكنه ولا يجمع مالا يأكله

ولا ينتعت لي دنيا يعلم انها تصرفه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع بقيتها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتحدد له من الكف اسم يخصه وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع وهو أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا وورائه اسم الصديق والمقرب وتجري ترتيبة الآخرة مما قبلها تجري

الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي أو غيره والقرشي اما هاشمي أو غيره والهاشمي اما علوي أو غيره والعلوي اما حسني أو حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه وكذلك اذا قلت صديق وقد فقت به تقي وورع وعفيف فلا ينبغي أن تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك الحفظ على من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني

لاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل) وقال صاحب القوت الخوف اسم جامع لمقامات المتقين ثم يتشعب على أهل صفاء حس في كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاول من الخوف وهو التقوى وفي هذا المقام التقوى والخوف والمقام الثاني هو الحذر وفي هذا المقام المراقبون والمراعون والمقام الثالث هو الخشية وفي هذا طبقات العابدين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع الوجل وهذا للذاكرين والمحسنين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين والشاهدين والمحبين وخصوص مقربين وحوف هؤلاء عن معرفة الصفات لاحسن الموصوف لاعن مشاهدة الاكتساب لاحل المقامات وقال في موضع آخر الخائف توصف ما غلب عليه من الحال عما روى عليه من الشهادة ويندرج الرجاء في مقامه ويكون لرجائه مشهودا و لخوفه منه وجدا و يوصف الراجي بما روى عليه من الحال عن علمه شاهدا له و يتلوى الخوف في مقامه فيصير الخوف له علما و رجاءه وجدا ولكنه للخوف تعالى فيتناهى لخوف ولام ابه للمرجوه فيقضي منه الرجاء فاما الشهيد الموقن العالم المقرب فلا خلاف بين جميعا في وصف مع اعتدالهما و بالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما يغلب عليه الوصف الاسم والحال الكامل من انفهام شهادة التوحيد والتحقق بحق المعرفة لموحد المريد فاذا عرف به فهو رجاء الوصال و يقال صديق لانه تحقق بالصدق في جميع معناه أعني من أن يقال مخلص ثم يقال عارف لانه ورع مع في العلم وروح الحسل فحكى أن يقال صديق ثم يقال مقرب لانه أشهدا قرب فاقرب ويختلف في علوم هذه أسمائه لكل وصف التمام لا عتبار الى ذكر الاول بوصف اصفه مقال كما يقال في غيره من ذكر الاحوال حتى أورح لوجودهما فيه بالكف واعتدالهما عنده بالسوء دون الخوف والرجاء فوصفه عليه ثم صاحبه اذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد وصفت وصال يحب ووصف خائف وهو مقام راح ورجاء عالم وهو مقام عامل لاصحابه (كما تقول) في تعالى الانسان وابدا جها في عرالى لاصحاب (الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي أو غيره والقرشي اما هاشمي أو غيره والهاشمي اما علوي أو غيره والعلوي اما حسني أو حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه) واعلم القوت اذا قلت فلان هاشمي استحقت ان تقول عربي أو قرشي لان كل هاشمي عربي قرشي لاصحابة ثم صفه بعد ذلك بوصف التمام والكمال أيضا كما ذكرناه في وصف العارف فتقول الانسان حسني فاكتفيت ان تقول قرشي أو هاشمي أو علوي وان كان قرشيا هاشميا علويا لان قد عرف ان كل حسني هو قرشي هاشمي علوي لاصحابة فما ان تقول فلان عربي أو قرشي أو هاشمي فهو قصور عن ما وصفته به لانه قد يكون علويا وهو العامة في حسب ثم لا يكون حسنيا فتنقص رتبة مرتبته ويكون قرشيا غير هاشمي وهما درجتان فقد يكون عربيا غير قرشي فينزل عن رتبه وبلوغه وصف ما عرفته حسب فاذا قلت حسني لاصحاب الاحساب كلها فيه وحسبت ان تصفه بما دونها (وكذلك اذا قلت صديق وقد فقت انه تقي وورع وعفيف) وحفظ القوت كذلك فوصف عارف أو موقن أو مقرب أو صديق هو اسم التمام والكمال في السمات التي عرفت بها كل مقام من تحول الاحوال والمقامات في هذه السمات فاكتفيت ان تقول هو موقن أو صال أو عابد أو زاهد أو خائف أو راج كما تقول في الاحساب من قولنا فلان حسني دخل فيه كل حسب ونسب وكفيت ان تقول عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي ان جميع ذلك داخل فيه لان العارف لا يرسم بحال دون حال اذ قد عاست فيه الاحوال ولا يرسم بمقام دون مقام وقد استوعب كل مقام بحقيقة معنى عرف بالمعروف الذي هو كل نهايته وفصل موصوف وعموض عرفته عند عبر ساء جنسه أن يسكر به فان تعرف اليهم به أو عرفوهم فليس تعارف (ولا ينبغي أن تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني

فهذه اشارة الى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا وانداما

(بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف)

اعلم ان الخوف محمود ورد به ظاهر الآيات والاخبار وكل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلبة الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل بما يوجبهما رتبة القرب من الله تعالى والاصل فى البهيمة أن لا تحلو عن سوط وكذا الصبى ولكن ذلك لا يدل على أن الطاعة فى نفسها مكروهة وكذلك الخوف له فصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط هو ما انقاصر منه فهو الذى يجرى مجرى فترة النساء (٢٠١) يحضر ما يحال عند سماع آية من القرآن

فهذه اشارة الى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا وانداما

(بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف)

(اعلم) وفقنا الله تعالى (ان الخوف محمود) ومطلوب وفرض عين (ورد به ظاهر الآيات والاخبار) وكل ما هو خوف محمود (وكلما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلبة الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل بما يوجبهما رتبة القرب من الله تعالى) قال القشيرى سمعت استاذ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على الحبرى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه (والاصل للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبى) العرم (ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة فى الضرب محمود) كما هو ظاهر (وكذلك الخوف له قصور) وهو مرتبة التفريط (وله افراط) وهو مرتبة القصور (وله اعتدال) وهو مرتبة الوسط (والمحمود) من ذلك (هو الاعتدال والوسط) فى الامور وأوسطها (وما انقاصر منه فهو الذى يجرى مجرى فترة النساء فيحضر بالبال عند سماع آية من القرآن فتورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل) عظيم مخوف (فاذا غاب ذلك السبب عن الحس) والمشاهدة (رجع القلب الى العادة فهذا خوف قاصر ذليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها أصلا فهو قاصر فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم بعد الناس عن الخوف بل أعنى العلماء بالله وبآياته وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل ابن عياض اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت) اذ ليس وصف من يخاف الله فعله صاحب الذنوب (وأشار به الى ان الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر الجوارح فهو حديث نفس وحركة طرف لا يستحق أن يسمى خوفا وأما المفرط فانه الذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل وقد يجرح الخوف أيضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل فان كل ما هو مراد من الخوف ما هو مراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولا ما كان الخوف كالالم بالحقيقة لما كان منشأ الحمى والصرع أما الجهل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن جاهلا ان الخوف هو الذى يتردد فيه وأما البحر فهو انه متعرض لخطر لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمى وانما المحمود فى نفسه ودائما هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به ومالا يجوز وصف نقيضه فليس بكمال فى ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص هو أعظم

فتورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى العادة فهذا خوف قاصر ذليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها أصلا فهو قاصر فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم بعد الناس عن الخوف بل أعنى العلماء بالله وبآياته وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل ابن عياض اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت وأشار به الى أن الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر الجوارح فهو

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لانه أهون من ألم المرض والموت فما يحرج الى السقوط فهو مذموم وقد يحرج الخوف أيضا الى المرض
والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يحرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل المصبي والسوط الذي يهلك الدابة
أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا وذكر أكثر منها بعضا بينه صدمة الخوف المفرط
المفضي الى السقوط أو أحد هذه الامور (فكل ما يراد لامر محمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما

يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) وغائلة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف شيئا من شؤمه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا أن له رتبة تسبب موته من الخوف كما لا يبعد لها ومات في ذلك الوقت لاستسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة وما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة بل للسالك الى الله تعالى طريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة من يقتل أو يموت بغتة سبع أعلى من رتبة من يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا لان فضل سعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يفعل العمر أو بعضه التي ينقطع العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالاضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة الصديقين فان الخوف دائم يؤثر في العمل فان وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يريد في حركة الدابة وان أثر له درجة بحسب ظهور أثره وان لم يحمل الاعلى البعضة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لانه أهون من ألم المرض والموت فما يحرج الى السقوط فهو مذموم) لما تقدم انه يمنع العمل (وقد يحرج الخوف أيضا الى المرض والضعف) الشديدين (و) الى (ألم الوله) والحيرة (والدهشة وزوال العقل وقد يحرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الفرس والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء فيما تقدم من الاخبار (وأكثر منها بعضا بين صدمة الخوف المفرط المفضي الى السقوط أو أحد هذه الامور) المذكورة (فكل ما يراد لامر محمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) الآن ما يفضي منه الى اليأس والسقوط فهو حرام واما لم يوجد ذلك ولكن أدى الى فساد العقل وضعف بدنه فهو مكروه فيحرم عن الاعتدال المحبوب (وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم) فاعلم ان القدر الواجب منه ما يحث على فعل الواجبات وترك المحظورات ويستغرق استيلاؤه على القلب حتى يمنع ذلك كل سبب يشغل عن الله (فان قلت من خاف فساد شيء من شؤمه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما) وقد ذكرت ان الخوف اذا تجاوز عن حد الاعتدال حتى أدى الى الموت فهو مذموم (فاعلم ان معنى كونه شهيدا أن له رتبة تسبب موته من الخوف كما لا يبعد لها ومات في ذلك الوقت لاستسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة وما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة) بل للسالك الى الله تعالى طريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء (ولولا هذا لكانت رتبة من يقتل أو يموت بغتة سبع أعلى من رتبة من يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا لان فضل سعادات طول العمر في طاعة الله) كما ورد مصداقا في الخبر (فكل ما يفعل العمر أو بعضه التي ينقطع العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالاضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة الدين والصديقين فان الخوف دائم يؤثر في العمل فان وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يريد في حركة الدابة وان أثر له درجة بحسب ظهور أثره وان لم يحمل الاعلى البعضة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

حتى لا يبقى لغير الله فيمتنع فهذا أقصى ما يحمد منه) لان غايته محمودة اذ هو لله سبحانه تعالى ولا تحصل المحبة الا بالذكر والفكر ولا تحصلان الا بفراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها ولا يكف عنها الا الخوف فاذا عرفت مقداره من الدين فلا تتعداه (وذلك مع بقاء الصحة والعقل) وجملة القول فى تفصيل هذه المخاوف ان للخوف سبعة مفاتيح يفيض اليه من القلب فاى مفتاح فاض من القلب اليه أتلف صاحبه بالاما بستثنى فقد يفيض الخوف من القلب اى امرارة فتحرقها وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشى وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من اعلى الى الدماغ فتحرق العقل فيثبه فيذهب الحس ويسقط القلم وقد يحمل الخوف لزمانها فيذهب الاكل والشرب حتى يبس الجسم ويتشف الدم وهذا لاهل الجوع والعطش والاصفرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث سكمد ويحدث تفكرا طويلا والسهر وهذا من أخص اوصافهم فى هذا الخوف لعلم والمشاهدة وهو من خوف تعبدى وقد يقدح الخوف فى غرائض وهى حركة القلب ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف حركة وقد يبدد الخوف من نفس معنى بعقل فيجعى سلطانه كقهر سلطان القدرة نحو شمس اذا ورد ضوءها بقصر سدى اله ى يبدو على البسر من حراش الملكوت فيضعف عنه بعقل و يصير بالجسم لضعفه ولا يتمكن العبد من القرار لضعف صفاته وهؤلاء أشبه بالمتصل وأدخل فى العلم وقد سلك فى هذه الطريق فاضل أهل القلوب وهم فى بعض كثير منهم الربيع بن خيثم وأويس القرنى وورازة بن أوفى وسراؤهم ولم يذكر هذا اعلاهم بحاله ممن عرفه مثل عمر وابن مسعود وحذيفة رضى الله عنهم وقد كان عمر يغشى عليه متى يقرع وبصرب كما يصرع وكان سعيد بن جبير من خيار الصحابة ومن أئمة الاجتهاد وكان يغشى عليه وقد يفيض الخوف من القلب اى النفس فتحرق الشهوة وتطفئ شعل الهوى وهذا أحد الخوف وأعلاها وهؤلاء أخص الخائفين وأردفهم مقاما وهو خوف المقربين والصديقين وخصوص الشهداء وبين دون هذا وصف به هذا عالم عارف ولا يفرح به عارف (قال جابر وهذا) من حد الاعتدال (الى ازالة عقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وغيره حتى يزول) أى ان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج عن حده وجاوز قدره بحيث يجب معالجته بما يزيله ثم ربما تعدى مجاوزة حد الخوف خرج به الى أحد ثلاثة معان غير هذا بسرى الى النفس فتحرقها فتتلف العبد وأسبابها تعلق الدماغ فتحل عقدة العقل فتدوبه فتضطرب افعاله ثم لا تحلال عقدة العقل ثم تحتط الزجاجات فيكون منه الوسواس والهذيان والولوله والحيرة وهذه مكروهة عند جميعهم وعاقبته غير محمودة وقد أصاب ذلك بعض الخائفين فى مقام المحبة فاطبق عليهم فوجموا فوجده ومنهم من فرع ذلك فى نفسه فسرى عنهم فصفوا بعلم وصفه (ولذلك كان) أبو محمد (سهل) تفسيره رحمه الله تعالى (يقول للمريدين الملازمين للجوع ايما كثيرة) من أهل عباداته (احفظوا عقولكم) بالاعتدال فى الجوع (فانه لم يكن ولى الله الا ناقص العقل) لقلة صاحب الجوع وقد ذكر فى كتاب رياضة النفس ويؤيده ما اشتهر على لسان العامة ما احد الله وباعه هلا ولواحده على قال صاحب القوت وحدثنى بعض شيوخى قال كنا حول أبى الحسن بن سالم فدخل شاب غريب فوقف على الحلقة يهذى فى حرفاء فطرده فقال له شيخ دعوه حتى يقضى ما فى نفسه قال وكان يتكلم بوساوس من معانى التوحيد وبهيئات تحدث من علوم المعرفة الى ان قال ثم انصرف فقال أبو الحسن لا ادرك الله فى العلماء اسوه ثم قال لم يكن فى أصحابنا أحسن عقلا ولا أكثر تعبدا ولا اجتهادا من هذا الشاب وكنت انهاه عن تعسف نفسه وحمل عليها وأمره باكل الدسم والحلوة فكان مستعيم الامر عارفا وذهب الى أهل عباداته فقووا له ان ان سالم قد ركن الى الدنيا وترك العبادة والاجتهاد وأمروه بالجوع الدائم والمطى وترك الدسم والحلاوة حتى أحرق دماغه وزال عقله فذهب الحال وعطلت العبادة وبقى اثامه من مذموم الخوف وشره فى المحاورة أن يعلم و يقوى فيذهب لوعاء ادم نواحه نعم الاخلاق من

حتى لا يبقى لغير الله فيمتنع فهذا أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى زوال العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع ايما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل

الجود والكرم والافضال والاحسان وحسن الاستئناس بهذه المعاني بعد تعديل مقام من فرط الاهتمام وترويح الحال من كروب الاثقال فلا يساعده القدر بذلك فيخرجه وجنده من القنوط من رحمة الله ويعطف به همته على الاياس من روح الله وتوقعه شهادته على انهر من قرب الله دخلت عليهم بشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بتعزيز العقل وتلاف الخدم عاورتهم لهم لعلم باخلاقه المرجوة من الكرم وخفي الالطاف فبعدت بهم سهم الحدود من قبل قوة نظرهم الى الاكتساب والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلامهم من غير تفويض منهم الى مشيئة ولا استسلام فحصوا بذلك على صفة ماذكرناه ان أكثر هذه كانت في المصريين والعسكريين وأهل عباد ن وكان مذهبهم القدر وهو نفوا في غاية الخطر والله الموفق

(بيان أقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منها)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الخوف المحقق لا يكون) وفي نسخة ان الخوف لا يتحقق (الا بانتظار مكروه) في الاستقبال (و) ذلك (المكروه) لا يخلو (اما أن يكون مكروها في ذاته كالنار) مثلا (واما أن يكون مكروها) لانه يفضي الى (لانه يفضي الى مكروه) فتكون كراهته عارضة (كما تكره المعاصي) لانها تفضي الى مكروه في الآخرة (ولكن (لانها تفضي الى مكروه في الآخرة) وهو العقاب والعذاب (و) هذا (كما يكره المريض الدواء كما تكره المصرة لانها تفضي الى الموت فلا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من مكروهاتهم المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم مالس مكروها في ذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة وخوف نقض التوبة وسكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال الرقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف استيلاء الاعادي على اتباع الشهوات المألوفة أو خوف ان يكله الله تعالى الى حسبانه التي يتكل عليها وتعزز بها في عباد الله أو خوف النار بكثرة نعم الله عليه وخوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر نعمه أو خوف انكشاف عوائل طاعاته حيث يبدوله من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة واضمار السوء) أو خوف ان يقع في الفتنة بسبب الخدمة بالصحبة بامرد لم يأمن فتنة لهم فارتكبهم واصطبر أو خوف البلوى بعود جرى العادة أو خوف الرجوع عن قصد الارادة أو خوف استدلال اهانة بعد الكرامة أو خوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن الحق بعد ما يقع الحكم عليه في طريق الهدى (أو خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره أو خوف تحبيل بعقوبة في الدنيا أو لافتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء) أو اطلاع الله عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح أعمالهم فيعرض عنهم ويمقتهم (أو خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين) وطرقات الطالبين وبعضها أعمى من بعض وفيها ما هو أشد من بعض (ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سؤال سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف من

يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الصلاة عن عبد ذو لدى يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس) و الخطرات (وهكذا الى بقية الاقسام) اذ الكورة (وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر) أي صعب ومخطر (وأعلى الاقسام وأدقها هو كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها تعلق أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به من القضاء في أم الكتاب) قال صاحب القوت وقد نوع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الابرار معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعري ماذا ختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ترى ماذا سبق إلينا منه وهذان المقامان عن مشاهدتين احدهما أعلى وأعظم من الاخرى لعلمين أحدهما أتم وأكمل وهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الابرار ورأى ما يرعب فيه الابرار هو عندهم بابة قد وهد فيه المقربون هو عندهم خطأ ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من سبق الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء يهوى نطقه الا آخره ولا خاتمة من عمل له سوء الخاتمة فيكون في وقت العمر ولا يدري ما آخر مراده ما في سبق العلم سواه فالخاتمة حينئذ فاضحة ولو كنت في بطون امهاتكم وحد فيطرأ عليه بعد هو برداد عماله عند ذلك انقطعت الآمال وتناهت الاعمال تناهي في الاعدام في دار بعد (والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه جائزة مثلا) أي هلاكه (ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة لهما فالمتعلق بالتوقيع بهما هو مرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عما قريب يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة وغضب وهذا التفات الى نفس وهو أعلى من الالتفات الى ما هو فرع وكذلك الالتفات في القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات الى ما هو فرع وكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ولا يعمل أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة) وهذا يكون عند وقوع الروح الحلقوم وتكون الشمس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في أعلى الحلقوم وهذا هو توبة الكافر في الرواية الاخرى وفواق الناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو ظمأ من عدو هذين سيرين (وليس من أهل الشقاوة يعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة) وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال و الشرك عند ما يدوس رؤس العين الدنيا وذهاب كل المعقول فيه وله من الله ما لم يكن يحتسب (السعيد من سعد في قضاء الله و شقي من شقي بقضاء الله و لا عمال بالخواتيم) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب اهـ قلت وروى الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر وان العبد ليلبث مؤمنا أحقابا ثم يحول الله عز وجل عليه ساخطا وان العبد ليلبث كافرا أحقابا ثم يتوب الله عز وجل عليه عمر أيام وروى الخطيب من حديث عائشة ان العبد ليعمل برهة من عمره أو كله بعمل أهل الجنة وانه لمكتوب عند الله من أهل النار وان العبد ليعمل برهة من الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار وانه لمكتوب عند الله من أهل الجنة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان العبد ليعمل ستين سنة ثم يحضر عند موته فيعدل في وصيته فيدخل الجنة وان العبد ليعمل ستين سنة ثم يحضر عند موته فيجور في وصيته فيدخل النار

أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ويعمل أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة ويعمل أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يسبق لهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة فالسعيد من سعد بقضاء الله و شقي من شقي بقضاء الله و لا عمال بالخواتيم

وهذا كالقسم الخامس من يخاف الله (م) معصيته وحبه يتعالى من يخاف الله تعالى نفسه لمعصيته وحبه لله وأوصافه التي تقتضي الهيبة

ويموت كافرا وان العبد يموت كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وان العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا وقال صلى الله عليه وسلم ان بعد بكم خوفا في الخصوص وقد جاء معنى ما ذكرناه في حديثين احدهما عام والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه في هذا الخوف ويجعل الخوف حتما واردا به لم يخف في عاقبته ولم يكن مأمنا للمتقين عند معرفته وأعني بالخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة ولا يسكن الى علم ولا عمل ولا حسنة ولا شيء من العلوم وان عظمت وان جلت بعلم تحقيق الخواتم فقد قيل ان الكتاب يسبق من الاعمال ما يختم به وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها وقد روينا في هذا المقدار من لوقت شيء من عمل الجسم يخرج الى هوس أعمال يقول مشاهدة يقول وهو شرك الموحد الذي لم يكن في الجبلة الذي يشاهد له شهرة بيان ذلك عند كشف غطاء تعب عينه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة وصفاته الخبيثة ويعلم بها أنه أو يحضر هاجده فيكون هي خاتمته التي يخرج عليها وحينه وذلك هو صفاته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى ولكن يبدو لهم من الكتاب يكون عند مفارقة الروح الجسد ما يسوءهم (وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم) وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وانما الاعمال بالخواتي

وتخصيصه تسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي أوجب اهانة الآخر وابعاده تسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير حيلة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يحوم حوله ولا يمكن توهم الخوف منه في صفاته جل جلاله الا بمثال لولا أذن الشرع لم يستجز لي على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خافني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه ووقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا الاهله والحاصل أن السبع يخاف لا لخيانة سبقت به من نفسه ولا لمعصية سبقت اليه في صفقته واطاعته وسطوته وكبريائه وجبروته من (كبره وهيبته ولانه يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهو يسأل فانت لم ترى قط نفسك ولا غيرك الا (و) ما أنس أي تركك (لم علمك شفقة على خلقك وانقاذه على يدك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حتى تكون أو يتناول اهلاك الف مثلك و هلاكه عنده على وتيرة واحدة) أي طريقة واحدة (لا يقدح ذلك في عالم سبحانه وتعالى وما هو موصوف به من قدرته وسطوته وبطشه المثل الاعلى) وكذلك من سبق له من الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أوصاه بالجهد مثل له الرجل الصالح في قوله صلح من انه كما يستحيي من الرجل الصالح فاعلم أنه يستحيي من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء ولو كان على الدوام لم يتصور منه الاستحياء لخلوه عن الصلاح وان كان ألطف وهو ما يمنع من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من الحية ويمتنع (ولكن من عرفه عرفه بالمشاهدة بباطنه التي هي أقوى وأوثق وأجلى من لمس هذه الجوارح فظاهره انه صادق في قوله) تعالى فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال (هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي) فقيل يا رسول الله على ما نعمل قال على مواقع القدر وفي حديث عمر بن الخطاب ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من لمس هذه الجوارح فظاهره انه صادق في قوله هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي

وكفيلك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة * (الطبقة الثانية من الخائفين) أن تمثل في أنفسهم ما هو المكروه، وذلك مثل سكرات الموت وشدته وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر وهول المطلع وهيبة الموقف بين يدي الله تعالى وخجلة من كشف السر والسؤال عن الحقير والقطمير والخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه والخوف من النار وأغلالها وأهوالها والخوف من الحرمان عن الجنة ودرجاتها ونعيمها وملك لا يفنى وعن نقصان الدرجات والخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة محذوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها وأشدها هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف المقربين وما دون ذلك خوف الصديقين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تتفتح بصيرته لم يشعر بهذا الوصف ولا ألم يعد ذكره فإن المعرفة لا يخاف انمحاقها ودوامها يخاف انمحاقها وحدوثها في باطنه مكروها وتحجبه عنه في نفسه وربما أكرر لذة الشعر في وجهه الذي يكرهه لولا منع الشرع إياه من إنكاره ويكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والاعتقاد صدق به لأنه لا يعرف لا لذة نفسه وشرحه وإنما يعرف الألوان والوجوه الحسان

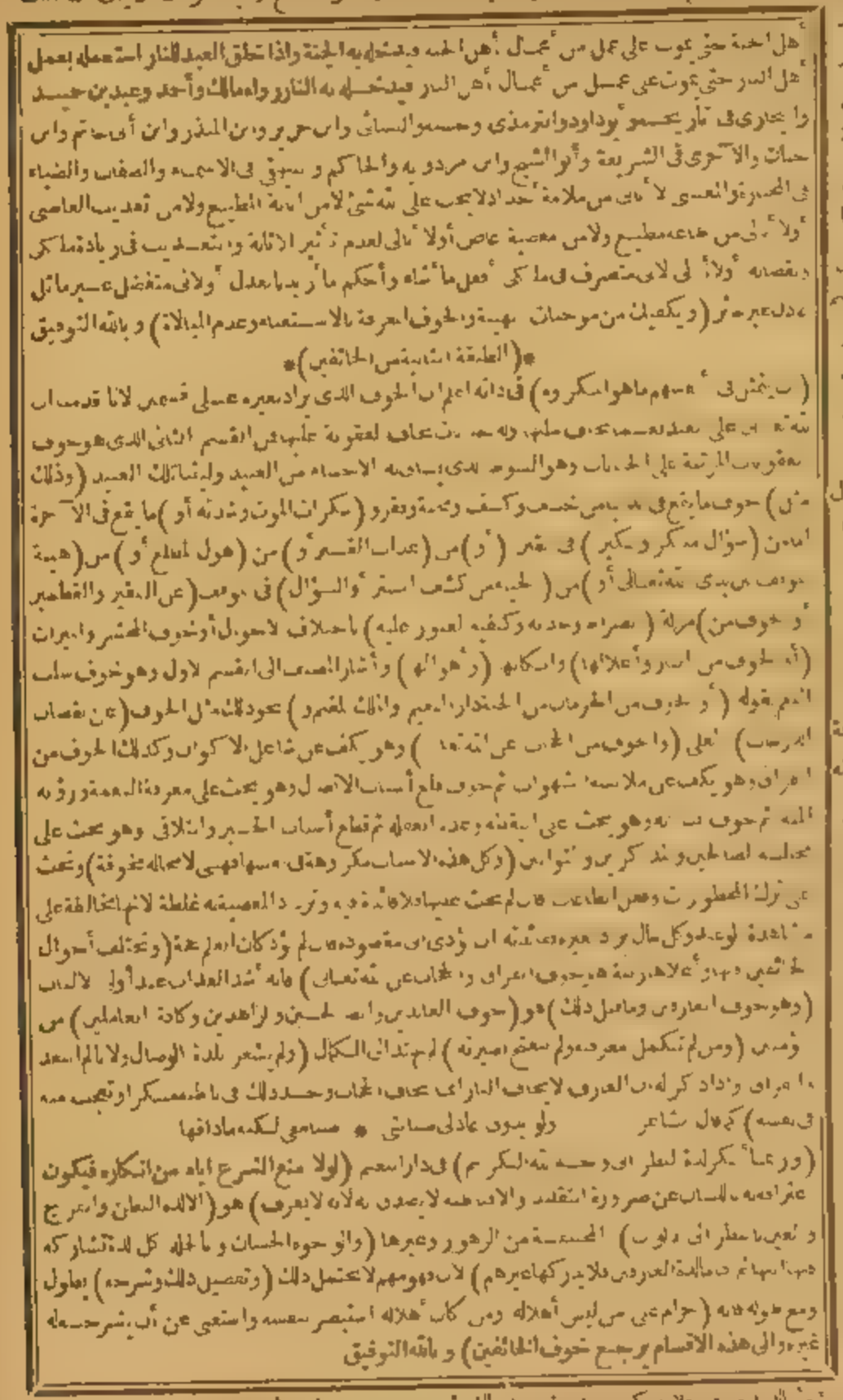

أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجري في الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة والمعنى لا أبالي من ملامة أحد إذا لا يجب على الله شيء لأمر أبيه المطيع ولا من تعذيب العاصي أولا أبالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاص أولا أبالي لعدم تأثير الإلهية وتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه أولا أبالي لأني متصرف في ملكي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد بما يعدل أولا أبالي متفضل غير مائل عادل غير جائر (ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة) وبالله التوفيق

* (الطبقة الثانية من الخائفين) *

(أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه) في ذاته اعلم أن الخوف الذي يراد تغييره على قسمين لأنا قد بينا أن كل شر يعلق العبد به خوف عليه وكل من يخاف لعقوبة عليها فالقسم الثاني الذي هو خوف العقوبات المرتبة على الجنايات وهو السوط الذي يساق به الأشقياء من العبيد وليتنائل العبد (وذلك مثل) خوف ما يقع في القبر من ضغطة وكشف وظلمة وحفرة (سكرات الموت وشدته أو) ما يقع في الآخرة من (سؤال منكر ونكير) في القبر (أو) من (عذاب القبر أو) من (هول المطلع أو) من (هيبة الوقوف بين يدي الله تعالى أو) من (خجلة من كشف السر أو السؤال) في الموقف (عن الحقير والقطمير أو خوف من) مرارة (الصراط وحدته وكيفية العبور عليه) بأحداق لا تحول أو خوف الحشر والنشر (أو الخوف من النار وأغلالها) وأنكالها (وأهوالها) وأشار المصنف إلى القسم الأول وهو خوف سلب النعم بقوله (أو الخوف من الحرمان من الجنة ودرجاتها النعيم وذلك لمفهوم) تحوذ لك من الخوف (عن نقصان الدرجات) العلى (والخوف من الحجاب عن الله تعالى) وهو كف عن شاهد الأكوان وكذلك الخوف من الفراق وهو يكف عن ملابسة الشهوات ثم خوف قاطع أسباب الاتصال وهو يبحث على معرفة العصمة ورؤيته المنة ثم خوف سلب المنة وهو يبحث على إيقاظه وحده ليعمله ثم قطع أسباب الخير والتلاقي وهو يبحث على مجالسة الصالحين ومذاكرتهم والتواضع (وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة) وتبحث على ترك المحظورات وفعل الطاعات فمن لم يبحث عنها فلا فائدة في وعظه وتذكيره لأنه مخالفة على غفلة لوعظه وكل حال يرد بعبده تحذيره أن يؤدي إلى مقصوده فمن لم يؤد كان المعرفة (وتختلف أحوال الخائفين فمنهم من تغلب عليه هيبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى) فإنه أشد العذاب عند أولي الألباب (وهو خوف العارفين وما فوق ذلك) هو (خوف العابدين والصديقين والزاهدين وكافة العاملين) من (ومنهم (ومن لم تكمل معرفته ولم تتفتح بصيرته) لم يتهذب الكمال (ولم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق وإذا كرة له ذلك العرف لا يخاف الفراق لانمحاق ذلك وحدوثه في باطنه مكروها وتحجبه عنه في نفسه) كما قال شاعر

ولو بيدي عادلي صاغني * صاغني لكنه ما دافها

(وربما أكرر لذة النظر إلى وجه الله الكريم) في دار النعيم (لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والاعتقاد صدق به لأنه لا يعرف) هو (إلا الله سبحانه وتعالى وبما يطرأ في ذلك) المحسنة من الزهور وغيرها (والوجوه الحسان وما أشبه ذلك لذة تشاركه فيها البهائم فمالذة العارفين فلا يدركها غيرهم) لأن همومهم لا تحتمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول ومع طوله لا يفيد (حرام على من ليس أهلا له ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق

* (بيان

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه) اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار * أما الاعتبار فسبيله أن فضيلة الشئ تقدر بما تناله من السعادة فما يوصل إلى السعادة المقصودة سوى سعادة العبد الآخرة هو المقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر تأثيره وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة لا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الذكر ولا يحصل الأنس الا بالمحبة (٢٠٩) ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك اتباع الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تقمع الشهوة شئ كما تقمع نار الخوف فالخوف هو نار المحرقة للشهوات فكان فضيلته بقدر ما يحرق من شهوته بقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى * وأما طريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيله جمع الله تعالى للعالمين الهدى والرحمة والنعيم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وذلك لما جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الطاعون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فاقصر كيف أفردهم عن رفقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء العاملون لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء فهو مرافقته الرفيق الاعلى للانبياء فهو من يحق هم

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

(اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار فاما الاعتبار فسبيله) أن تعرف (فضيلة الشئ بقدر غنائه في الايصال الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى سعادة) ذي هي العناية الاولى (ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا) يبوت على ذلك (ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة) لانها فرع عليها اذ لا يحب الا من عرف (ولا تحصل المعرفة الا بدوام الذكر) في مشاهدة جلاله تعالى (ولا يحصل الانس الا بالمحبة دوام الذكر) لآلاء الله تعالى (ولا يتيسر الذكر والذكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب) وفراغه عنها (ولا ينقطع ذلك الا بترك اتباع الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات) وكف النفس عنها (ولا تقمع الشهوة شئ كما تقمع نار الخوف) فاذا عرفت هذا من الدين ولاح لك (فالخوف هو نار المحرقة للشهوات) ومن لا آفة لها (فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة بقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات) وهو القدر الواجب منه وأما الزائد على القدر المستحب (ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق) قريبا ويستحب اكثاره وتذكره عند وجود أسبابه مثل قوله تعالى يوم الدين وغير المغضوب عليهم وعند تذكر ما أعده الله للعصاة وعند الكسوف والصواعق والزلازل يكون هذا بعد الله تعالى ولو كنت فيما هو أشرف منه كما تنتقل من قراءة القرآن الى حالة المؤذن من أجل انها عبادة لوقت فالعالم هو القائم بحق هو أولا بالوقت (وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى) وفي هذا القدر مقنع لاهل التأمل والاعتبار وغير الاولى الاصغر (وأما طريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر) والاحصاء (وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للعالمين) ما فرقه على الانبياء (من الهدى والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) والرهبة من لواحق الخوف ومقدم من مقاماته (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) أي حصر الخشية بمقام العلم فحققها والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم عن العقل وجعله مقاما فيه (وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) والخشية هنا ذكر من مقامات الخوف خاص الرضوان باهل الخشية (وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم) بالله تعالى (وذلك جاء في خبر موسى عليه السلام وأما الطاعون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه) كذا في القوت وهو من الاسرائيليات (فانظر كيف أفردهم) من عبد مشاركة (عن رتبة الرفيق الاعلى) كما حققهم اليوم شهادة التصديق وهذا مقدم من نبوة فهم مع الانبياء في الرتبة (وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء) كما ورد ذلك الخبر (ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم) قال الله تعالى في قوله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال في وصف

ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الأعلى فإذن
ان نظر الى ثمرته فهو العلم وان نظر الى غرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضيلتهما حتى ان العبادة صارت موسومة بالتقوى
مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف يقتضي الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل إن كنتم مؤمنين فاتقوا الخوف والخشية وشرطه في الايمان فدل انه لا يتصور ان يكون مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته بالله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين ليلقات يوم معلوم فاذا هم ينظرون ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي كما يسمع أدناهم فيقول أيها الناس الى قد أنصتكم منذ اليوم كما أعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا وجعلت نسبي وجعلتم نسبكم فكنت أكرمكم عند الله أتقاكم وأنتم تأتون فلانا وفلانا فتقولون فلان من فلان وفلان فلان من فلان فأي يوم أضع نسبكم وأرفع نسبي اليوم أتقون فيرفع للقوم لواؤهم فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم ويدخلون الجنة بغير حساب قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط والحاكم في مستدركه بسند ضعيف والبيهقي في شعب الايمان مقتصرا على آخره في حديث من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك ابن مردويه من وجه آخر ولفظ الحاكم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين أكرمكم عند الله أتقاكم فيقوم ناس وهم قليل ثم يقول أين أكرم الأكرمين فيقوم ناس وهم قليل ثم يقول أين أتقى الأتقين فيقوم ناس وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب

لقيمة
قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا وجعلت نسبي وجعلتم نسبكم فكنت أكرمكم عند الله أتقاكم وأنتم تأتون فلانا وفلانا فتقولون فلان من فلان وفلان
من فلان فأي يوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فيرفع للقوم لواؤهم فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم ويدخلون الجنة بغير حساب

القيامة وقف العباد بين يدي الله تعالى غرلا بهما يقول الله تعالى عند ذي أمرتكم فصيتم فري ورعيت أنسابكم فكيف رأيتم صنيعكم أم كنتم تخافون أني لا أقدر أن أكرمكم عند الله أكرمكم (وقال صلى الله عليه وسلم رأس الحكمة) أي أصلها وأسها (مخافة الله) وفي لفظ خشية الله قال العراقي رواه ابن لال في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في الدرة المضيئة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا اهـ قلت ورواه أيضا الحكيم في النوادر من حديث ابن مسعود (وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ان رددت أن تتقي الله حق تقاته فكن من خوف الله عز وجل على قدر قدرته عليك) قال العراقي لم أقف له على أصل (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (من خاف الله دله الخوف على كل خير) أي أرشده الى كل ما فيه خير ظاهرا وباطنا (وقال) أبو بكر (شبلي) رحمه الله تعالى (ما خفت الله يوما الا رأيت له في كل شيء خوفا) فالحكمة هي أسرار المعارف الالهية والعبرة هي من الاعتبار (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من خاف ربه عمل سيئة لا تحقق حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو وكتب علي بن أسدين) قال خاف منها بحيث له وان قدم على رحمته ورحمه (وفي خبر موسى عليه السلام والورعون عنه لا يبقى أحد الا وشئته حساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحيي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب) كذا في القوت وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موسى انه ليأتي عبدي في عاصر يقيمة الا وشئته حساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحيي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى اسمان اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم تسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخلي وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فضائل سيد الذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه

وقال عليه الصلاة والسلام رأس الحكمة مخافة الله وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود ان أردت ان تتقي الله حق تقاته فكن من الخوف على قدر قدرته عليك وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلي رحمه الله ما خفت الله يوما الا رأيت له في كل شيء خوفا والعبرة ما رأيته وقال يحيى بن معاذ من خاف ربه عمل من سيئة الا ويطفيها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو وكتب علي بن أسدين وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام والورعون عنه لا يبقى أحد الا وشئته حساب وفتشت عما في يديه الا الورعين فاني استحيي منهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب والورع والتقوى اسمان اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فضائل سيد الذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه

وسلم من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء

(وقال صلى الله عليه وسلم أعلمكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا) (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (مسكين بن آدم لو وصف له ركب الخوف لما قر دخل الجنة) قاله القشيرى فى الرسالة أى لان خوفه من الله يحمله على أن يشمر بما عليه من فرائضه وعباداته ويحذر بقيمه بكثير من الواجبات كفرض ولده وولده وحق زوجته ويقع فى كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتدليس والغش فى البيوع وتعاطى المعاملات الفاسدة وغير ذلك مما لا يخفى على من له أدنى فقه لعرفه من أسباب دخول الجنة وما يعاقب عليه النصوص (وقال ذو النون) المصرى رحمه الله تعالى (من خاف الله ذاب قلبه واشتغل لسانه بوصفه له به) وهو داخل القلب (وقال) أيضا (ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء) أى فى حال صحته وقوة شبابه (فاذا غلب الرجاء) فى القلب (تشوش القلب) أى اضطرب وآل أمره الى الفساد وقال ذو النون الدارانى اذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب (وكان أبو الحسين النصرى) رحمه الله تعالى (يقول علامة السعادة خوف الشقاوة) أى مخافة أن تدركه (لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (من أمن من الخلق عذبه الله) أى من أكثرهم مما فى يوم عذبه (وقال أشدهم خوفا اليوم) أى فى الدنيا (وقال أبو حفص) النيسابورى رحمه الله تعالى (لا يعد الخوف) أى لا تكون خائفا خوفا حقيقيا (حتى تأكل الحلال وتبيل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد) وهى كنية الحسن (كيف نصنع بمجالس أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير) أى تزول من مواضعها من شدة الخوف (قال) الحسن (والله انك لتجالس أقواما يخوفونك حتى يدركك الأمن حير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف) وفيه الحض على صحبة الخوف على ما يأتى (وقال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (ما فارق الخوف قلبا الا خرب) قال القشيرى سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت محمد بن المنيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول قال وهو يعنى أن الخوف درجة ومن انتقل من مقام شريف ان لم يحترق بعده عليه ولا يكمل ولا يرتقى الى ما هو عال منه فقد عليه ما هو به فلا بد من بقاء شىء من الخوف (و) قال القشيرى فى رسالته أخبرنا على بن أحمد الاهوازى أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عثمان حدثنا القاسم بن محمد حدثنا يحيى بن عثمان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال (قالت عائشة رضى الله عنها لرسول الله) قوله تعالى (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزنى) ويشرب الخمر (قال لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا تقبل منه) فيه دليل على أن الخوف يكون مع كمال حالة العبد بحيث لا يعرف صحة عمله ولا قبوله خلافا لما يظنه الاكثرون من الاكتفاء بالرجاء فقط (وقال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد ولكن بين مقسم وبين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال الترمذى وروى عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبى حازم عن أبى هريرة اهـ قلت لفظ الترمذى رواه كذلك غير يحيى بن أحمد وعند ابن جرير وابن أبى الدنيا وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب واللفظ الذى أشار له الترمذى رواه ابن أبى الدنيا وابن جرير وابن الانبارى فى المصاحف وابن مردويه عن أبى هريرة قالت عائشة يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يحبون ويعملون ويخافون منه صمى وفى لفظ هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو وجل منه قال لا ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وقلوبهم وجلة (والتشديدات الواردة فى الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك تنبيه على الخوف لان مدمة الشىء تنبه على ضده الذى يتقيه وضد الخوف الامن كما أن ضد الرجاء اليأس وكذلك مدمة القنوط على فضيلة الرجاء وكذلك تدل مدمة الامن على فضيلة الخوف

المضادله بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا شيئا يخاف فواته فان كان لا يخاف فواته فهو اذا لا يحبه فلا يكون باعثه رجاء والخوف والرجاء متلازمان بحيث لا يمكن أحدهما عن الآخر (وقد اتفق في حق الرجاء ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف ماثلا في رجائه لانه لا يتحقق رجاء شيء حتى يخاف فوته بحسب عظم المرجو في قلبه وشدة محبته له فهو لا ينفك في حال من الخوف لكون الرجاء (ثم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان) وهذا خلاف ما قاله بعضهم انه لا يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر لاستوائهما في التعلق بالاسباب فتأمل ذلك (ويجوز أن يشتمل القلب أحدهما ولا ينفك الآخر في الحال لعفته عنه وهذا الان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو ممكن كونه فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف) كما سبق (فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لاستحالة تقدير وجوده يرجح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يرجح القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لاستحالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه ثم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا) وهذا هو المراد بقوله ما غلب على الظن (فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وغلب الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس) فهذا معنى غلبة أحدهما على الآخر ولو استويا في التعلق بالاسباب (وعلى كل حال فهما) وصفان (متلازمان) لا ينفك أحدهما عن الآخر (وكذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا وذلك عبارة العرب عن الخوف بالرجاء) وسموه به (وقد قال تعالى) على هذه اللغة (مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون) لله عظمة وهو على هذا التفسير وهو تخريج على قولهم مالك لا ترجو كذا وهم يريدون مالك لا تخاف وهو يصلح وجها في تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه (وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف) كما في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي يخافون عقابه وبذلك فسر قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون أي تخافون منه ما لا يخافون (تلازمهما) ولزوم أحدهما للشيء وحده فسر أحدهما بالآخر (اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه) أي من مدلوله من الشيء اذا كان لازما للشيء أو وصفا له وبعبر عنه بما يعبر به عن ملزوم أحدهما من الآخر مثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لما بين أحدهما عن الآخر من أن مبدأ أحدهما يقارن انقضاء الآخر فيقال ثلاثة أيام وثلاث ليال ومنه قوله تعالى تخبرا عن قصة واحدة قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ثم قال ثلاثة أيام الا رمزا فلما لم يمكن اليوم بمفرده عن ليلته والليلة لانفكاك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشيء واحد فكما جاز أن يعبر بأحدهما عن الآخر مدرج به لا يظهر لا أحدهما لحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامهما وتراءى بعضهما دائما ظهرا عند اندراج الليل فيه قدرة الله تعالى وباطهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة قوله لا يلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق ذلك ظهور أحدهما على صاحبه وكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معنى انما يكون اذا ظهر الخوف كان بعد حائلا أو مهيبا عليه فأحكام الخوف من مشاهدة الجلال توصف الخوف فسمي الخوف بعد حائلا لهيبته عليه وبظهر الرجاء من خوفه وقد ظهر الرجاء كان الخوف بعد حائلا راجيا ومهيبا منه فأحكام الرجاء من مشاهدة الجمال توجب الرجوع توصف المرجو فوصف المخوف به لانه الاغلب عليه وبان الخوف في رجائه (بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو ظهار الفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

الخوف وذلك تلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل نقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار الفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال عز وجل أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق عيني هطلتين تشفيان اقتاب (يذرف الدمع) وفي لفظ الدموع (قبل أن تصير) وفي لفظ تكون (الدموع دما والأضراس جمرا) وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكرهم ورجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

(وليبكوا كثيرا) وفي حديث أنس لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وصدق (وقال تعالى) في وصف الملائكة في السجود ويزيدهم خشوعا وقال عز وجل في هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أي لاهون (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار) قال العراقي رواه البزار والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ قلت وروى ابن النجار من حديث أنس ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من مخافة الله إلا أمنها الله يوم يفزع الأكبر وعند الحاكم من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة (وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها) قال العراقي رواه البزار والبيهقي من حديث العباس بسند ضعيف اهـ قلت ولفظهما جلدا بعد وفيه عن الشجرة اليابسة ورقها ورواه كذلك الحكيم في النوادر وأبو بكر الشافعي وسمويه في فوائده والخطيب (وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ قلت وزاد الترمذي والنسائي ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا وقد رواه كذلك أحمد وهناد والحاكم والبيهقي وقال القشيري في الرسالة أخبرنا أبو بكر بن عبدوس الجبري أنبأنا أبو بكر بن دلويه الدقاق حدثنا محمد بن يزيد حدثنا سفيان عن أبي الزعراء حدثنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وعند البيهقي وحده لا يلج النار رجل بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو أنهم لم يذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم (وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه قلت (ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والترمذي وحسنه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وقد تقدم في كتاب الصمت ورواه أحمد من حديث أبي أمامة والطبراني من حديث ابن مسعود وابن ماجه مثل أمسك (وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى) أخرجه العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق عيني هطلتين تشفيان) اقتاب (يذرف الدمع) وفي لفظ الدموع (قبل أن تصير) وفي لفظ تكون (الدموع دما والأضراس جمرا) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن ورواه الحسين المروزي في زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلا وقد ذكر أبو الحسن الدارقطني في العلل أن من رفعه عن أبيه وهم وإنما هو عن سالم عن عبد الله مرسلا قال وسالم قد يشبه أن يكون سالم بن عبد الله الخياط البصري وليس بابن عمر اهـ وما ذكره من أن سالما الخياط هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في الكنى وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحاكم قال الزوزني له عن سالم ثمانية أشياء ذكر أبو سلمة وإنما ذكر رواية عن سالم الخياط وليس لابن عمر اهـ وقد ذكرت في تعليقي على الرسالة القشيرية أن الذي يروي عنه سالم الخياط هو سالم بن عبد الله بن عمر اهـ قلت ومن جزم بأن سالما الخياط هو ابن عمر أبو زرعة كما هو خط الحافظ ابن حجر (وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكرهم ورجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي عن أبي هريرة وعن أبي سعيد

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر رحمه الله ذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما اكوا فلم تبكوا فتباكوا فإنكم لصرح حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما قرت عين عاقل إلا بركوده في بكاء الآخرة وحزنه صاحبها فتر ولا له يوم القيامة فإن سالت دموعه صفا الله له أول قطرة منها بحار من السيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت لبكاء الأمة وقال أبو سليمان البكاء من الخوف ولو جاء والهارب من الشوق وقال كعب الأحبار رضي الله عنه والذي نفسي بيده لأن أكون من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجهي أحب إلي من أن أتصدق بمثل جبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ورد عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت مالي الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادي يا حنظلة نافقت حنظلة فمر بي أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم تنافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلا لم تنافق حنظلة يا رسول الله كما عدلت فوعظتنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا ونسيت

ورواه مسلم بمعناه وقد تقدم مرارا (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك) أي ليتكلف البكاء (وكان) أبو عبد الله (محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير التيمي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن بضع وستين سنة روى له الجماعة قال ابن حبان من سادات القراء لا بأس بك من أبكاه أدلة أحد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبكي مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما اكوا فلم تبكوا فتباكوا فإنكم لصرح حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه) رواه أحمد في الزهد حدثنا وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ولسجد حتى ينقطع صلبه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وروى من طريق ضمام بن زهير قال خطبنا أبو موسى الأشعري بالبصرة فقال أيها الناس اكوا فلم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت (وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى (ما قرت عين عاقل ولا لها لم يرهق وجهه صاحبها قتر ولا له يوم القيامة فإن سالت دموعه لطفا الله بأول قطرة منها بحار من السيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت لبكاء الأمة) قاله صاحب القوت أي إذا كان بكاؤه من خشية الله تعالى (وقال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (البكاء من خوف) أي مسبوق منه لا بد أن يخاف أن يحس به مكروه أو يفوته محبوب كما تقدم فيه تحصيل البكاء (والهارب من الشوق) لما يؤمله في الاستقبال (وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالى (والذي نفسي بيده لأن أكون على حشية الله حتى تسيل دموعي على وجهي أحب إلي من أن أتصدق بمثل جبل من ذهب) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما (لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار أخرجه أبو نعيم في الحلية (ورد عن) أبي ربيع (حنظلة) ابن الربيع بن صيفي بن رباح بن الحارث بن معاوية بن يحابش التميمي الأسيدي المعروف بالكاتب أخو رباح بن الربيع وابن أخي كثير بن صيفي حكيم العرب نزل الكوفة ثم انتقل إلى قرقيسيا ولا عقب له قال الواقدي كتب للنبي صلى الله عليه وسلم مرة كاتبا فسمي بذلك الكاتب وكان الكتابة في العرب قليلا وقال ابن سعد كان كاتبا لا نه كتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي وتوفي بعد علي وكان معتزلا الفتنة حتى مات عنه حديثان روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون) أي سالت دموعها (وعرفنا أنفسنا) أي كرهناها (فرجعت إلى أهلي فدنت مني امرأتي وجرى بيننا من حديث الدنيا شيء ما كنت عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت مالي الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادي يا حنظلة نافقت حنظلة فمر بي أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأخبرته فقال كلا لم تنافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لم تنافق حنظلة يا رسول الله كما عدلت فوعظتنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا ونسيت

ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم ياحنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة التي تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات (فهذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلق به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب

(بيان أن الافضل هو علة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

اعلم أن الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما يتظاهر البعض

يبعثر به شك فى أن الافضل أيهما وقول بقائل الخوف أفضل ثم رجاء سؤال فاسد يضاهى قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وان كان العطش أغلب فالماء أفضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لاجله مقصود فعلته يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى غير مقصوده والخوف والرجاء جريا فى القلب مجرى الدواء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجاء أفضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذى يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة الى الخبز أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار فى حق الخوف أفضل لان المعاصى والاغترار على الخلق أغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت محبته عليه أغلب وأس وراء المحبة مقام وأما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التى تقتضى العنف فالاغتراز به لمحبته ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فلا يرد ما ذكرناه يبغى أن

يبعثر به شك فى أن الافضل أيهما وقول بقائل الخوف أفضل ثم الرجاء سؤال فاسد) قال أقول المقامات اذا اتحدت فلا يصح اقتضاء فضل فيها الا بسبب أو أحوال التى هى حوالة على الاعمال (يشهد) قوله (قول القائل الخبر أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبر أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع أغلب فالخبر أفضل وان كان العطش أغلب فالماء أفضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لاجله مقصود فعلته يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى غير مقصوده والخوف والرجاء جريا فى القلب مجرى الدواء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجاء أفضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا (على التأويل الذى يقال فيه الخبر أفضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة الى الخبر أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار) فى حق الخوف أفضل لان المعاصى والاغترار على الخلق أغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء (فالرجاء أفضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت محبته عليه أغلب وأس وراء المحبة مقام) وأما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التى تقتضى العنف فالاغتراز به لمحبته ممازجتها للرجاء (وعلى الجملة فلا يرد ما ذكرناه) هو قول معترض من عند الله وراء أو نعم فى الجملة حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الصباح حدثنا سفيان قال قال مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا) هو قول مطرف بن عبد الله وراء أو نعم فى الجملة حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الصباح حدثنا سفيان قال قال مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ورويناه عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على كرم الله وجهه قال لبعض ولده (يا بنى خف الله خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يعذبك وارج الله رجاء ترى انك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفر لك) وكأن وصى لقمان ابنه فقال يا بنى خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن مكره وفى لفظ آخر وارجه رجاء أشد من خوفك فقال وكيف أستطيع ذلك وانما قلب واحد قال أما علمت أن المؤمن كذى قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وفى الثبوت وكان على رضى الله عنه يقول عليكم باسمه الاوسط ارجع اليه العالى وارفع عنه الدانى وهذا قول فصل غير شامل ولا هازل وهو طريق أهل السنة ومذهب أهل المعرفة فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله والمؤمن حقا هو المعتدل بين الرجاء والخوف (ولذلك قال عمر رضى الله عنه لو نودى ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون ذلك الرجل ولو نودى ليدخل النار كل الناس

(٢٨ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) يستعمل فيه بعد الاصلح لا لفظ الافضل فيقول أكثر خلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصى فاما التى لدى ترك ظاهر الاثم وباطنه وجميعه وجليه فالاصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه وذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ورويناه عن على كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بنى خف الله خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يعذبك وارج الله رجاء ترى انك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفر لك وذلك قال عمر رضى الله عنه لو نودى ليدخل النار كل الناس

الارحلا واحدا رجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو رأى الرجل لجنة كل الناس الارحلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع غلبة الاستيلاء لكن على سبيل التقدم والتساوي قال عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فما أعطي امرؤ شيئا من اليقين فوق ما أعطي من الرجاء قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء وإنما قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزارع والمذر ومعلوم أن من (٢١٨) بث البذر الصحيح في أرض نقية ووظف على تعهدها وشروط الزراعة جميعها على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقي فاعلم أن من يتحد المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان أوردناه مثالا فليس يخلو عن نقص ما من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة المعلوم بالتجربة صحة الارض ونقاوتها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وغلبة مثل هذه الاسباب لم تحرب حبته وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وان أدى كل ما عهود فلا يغلب رجاؤه على خوفه والصدر في مستنبط هو الايمان وشروطه وصحته دقيقة والارض القلب وخبثه وصفاؤه من الشرك الخفي والرياء وخفاياه لا خلاف فيه عامة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب بها فمن مات قبل أن سلم في الحال فذلك مما لا يحقق ولا يعرف بالتجربة وقد يعرض من الاسباب ما لا يتطرق احتماله ولم تجر مثله وصواعق هي أهوال سكرات الموت وصعوبات الاعتقاد عنده وذلك مما لم تجر مثله الحساد والادراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك مما لا يجري من عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى في أحوال الخائفين من أصحابه وتابعيهم وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بعلم المنافقين) فان العراقي روى مسلم من حديث

(لا رجلا واحدا رجوت أن أكون ذلك الرجل) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن كثير عن عمر ابن الخطاب قال لو نودي مناد من السماء أيها الناس انكم داخلون الجنة كلكم أجمعون الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا هو ولو نودي مناد أيها الناس انكم داخلون النار كلكم أجمعون الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا هو (وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع غلبة الاستيلاء ولكن على سبيل التقدم والتساوي) لانهما لا يتساويان على سائقة ولا وسيلة بل على كمال العلم والارادة نحو المكر والالطاف والشك فيما يصدر عنهما متوقف ولا يغلب أحدهما الآخر (قال عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فما أعطي امرؤ شيئا فوق ما أعطي من اليقين بشيء من الرجاء قلت مثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق أول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالمذر والزارع) ومعلوم ان من بث البذر الصحيح (في أرض نقية) صالحة (ووظف (على تعهدها) ومراعاتها (وشروط الزراعة جميعها على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان تكون أحوال المتقي فاعلم ان من يتحد المعارف من الالفاظ والامثلة لم يكثر زلله) أي خطؤه (وذلك وان أوردناه مثالا فليس يخلو عن نقص ما من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة المعلوم بالتجربة صحة الارض ونقاوتها) من الرديات (وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وغلبة مثل هذه الاسباب لم تجر حبته وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وان أدى كل ما عهود) أي خاصته (وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاؤه على خوفه والصدر في مستنبط هو الايمان وشروطه وصحته دقيقة والارض القلب وخبثه وصفاؤه من الشرك الخفي والرياء وخفاياه لا خلاف فيه عامة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب بها فمن مات قبل أن سلم في الحال فذلك مما لا يحقق ولا يعرف بالتجربة وقد يعرض من الاسباب ما لا يتطرق احتماله ولم تجر مثله وصواعق هي أهوال سكرات الموت وصعوبات الاعتقاد عنده وذلك مما لم تجر مثله الحساد والادراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك مما لا يجري من عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى في أحوال الخائفين من أصحابه وتابعيهم وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه وعلم المنافقين

حديفة في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الحديث اه
مات وهو كذلك أحد (فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من نجاسات النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد بقلبه
قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وخفاء عيبه عليه وثوق به فمن أين يوثق
بقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وقد
قرن النافلة لا يختم عملا
بالجوارح انما هو بمقدار
ما طرح في القلب عند
الموت فيقتضي حاله لسوء
تكسب يؤمن ذلك فادى
قضى غايات المؤمن ان
يعتدل خوفه ورجاؤه
وعدة ارجاء في غالب الناس
تكون مستندة الى اغترار
وقلة المعرفة وذلك جمع
الله تعالى بينهما في وصف
من أثنى عليهم فقال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا
وقال عز وجل ويدعوننا
رغبا ورهبا وبين مثل عمر
رضي الله عنه فاخلق
الموجودون في هذا الزمان
كلهم الا صلح الله منهم عصمة
خوف بشرط ان لا يحرجهم
الى لبأس وترك العمل
وطمع الطمع من المغفرة
بكون ذلك سببا للتكاسل
عن العمل وداعيا الى
ارتكاب المعاصي فان
ذلك قنوط وليس بخوف
انما الخوف هو الذي يحث
على العمل ويكدر جميع
الشهوات ويرجع القلب
عن الركون الى الدنيا
ويدعوه الى تجافي عن دار
الغرور وهو الخوف المحمود
دون حديث اليأس الذي
لا يؤثر في تكف والحث

حديفة في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الحديث اه
مات ورواه كذلك أحد (فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من نجاسات النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد بقلبه
قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وخفاء عيبه عليه وثوق به فمن أين يوثق
بقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة
حسين سنة) حتى يقال انه من أهل الجنة وفي لفظ (حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار) هكذا هو في بعض نسخ وقد سبق ذكره
قريبا وقال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة
ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ولأحمد والبزار في الأوسط والبيهقي في شعب الايمان والضياء في المختارة
من حديث ابن مسعود ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث ليس فيه ومن
يعمل بضعا وستين سنة ولا ذكر شبر ولا في رواية اه قلت وقد تقدم حديث أبي هريرة فيه من أهل
النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة فيدخلها
أهل الجنة فيدخله الجنة رواه كذلك أحد (وقد روي مرفوعا) وذكر الشعر (لا يخلص عملا) أي لا يبقى
في هذا المقدار من الوقت شيئا من عمل الجسم (بالجوارح انما هو) من أعمال القلوب كما شاهدنا بالعقول
(بمقدار ما طرح في القلب عند الموت فيقتضي حاله السوء) وذلك هو شرك التوحيد الذي لم يزل
في الحياة الدنيا شاهد له طهره له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وتمكن فيه فصار له
أعمالا سيئة فيغلب قلبه أو يعلق بها بساله أو يحضرها وحده فتكون هي حالته التي تخرج عليها
ويعود ذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك الذين حبطت أعمالهم في الكتاب ونحو
ذلوهم اصبهم غير منقوص (وكذلك يؤمن ذلك قد تقضي غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه
وأما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة وذلك جمع الله سبحانه وتعالى وصف من
أثنى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا) وانما جمع هو الرجاء (وقال عز وجل ويدعوننا رغبا
ورهبا) والرغبة من الرجاء ورهبة من الخوف (ومن مثل عمر رضي الله عنه) في قوله وذكره (فاخلق
الموجودون في هذا الزمان كلهم الا صلح الله منهم عصمة الخوف) على الرجاء (بشرط ان لا يحرجهم) الى
يأس من روح الله (وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل
وداعيا الى ارتكاب المعاصي فان ذلك قنوط) وهو كفر (وليس بخوف وانما الخوف هو الذي يحث
على العمل ويكدر جميع الشهوات) ويرجع القلب عن الركون الى الدنيا (ويرجع القلب عن الركون الى الدنيا
ويدعوه الى تجافي عن دار الغرور وهو الخوف المحمود دون حديث اليأس الذي لا يؤثر في تكف والحث

ودون يأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض خوف جرى في بحار الفكار ومن عبده بمحض الرجاء جاء في
مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء
فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق

ومن عدم الخوف والرجاء فيه فهو موحد والاولى من الجمع بين هذه الامور وعلة الخوف هو الاصلح ولكن قتل الاشراف على الموت أما عند الموت فالاصلح علة الرجاء وحسن الظن لان الخوف حينئذ يحزن المسلم عن العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على عمل ثم لا يطيق سبب الخوف فان ذلك يقطع باطن قلبه ويحب لقاء ربه الذي ابتدأه وجوده ولا ينبغي ان يتمنى أحد الدنيا لاحد الا ان يكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والرجاء مقارنة المحبة التي ذكرها هو المحبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة والصبر يهون ما تقدم بالموت على من قدم على محبوبه على سرور بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محبته وعذابه فهو كمن يقلب على الفحم حار عليه عند الموت حب الاهل والاولاد والمال والسكن والعقار وارتفاع والاحباب فهذا رجل حال بينه وبين ما يشتهيه وقد حال بينه وبين الجنة التي عرضها كعرض السموات والارض وهي معدة لجميع المحبين فهو خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يحتمل حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فان لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجن عنه لان السجن عبارة عن المنعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محبوبه وقوته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يحتمل حال من أفلت من السجن وحيل بينه وبين محبوبه بالموانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقوبته من ثواب والعقاب فصلا عما أعد الله تعالى لاعدائه الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كما في خبر أبي هريرة (وفصلا عما أعد الله للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوها واطمأنوا اليها من الاهمال والسلاسل والاغلال وصروف الحرى والسكال ونسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في جنته بهذا الدعاء دون اكتساب حب الله تعالى ولا سبيل له الا باجتناب حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فلا ينبغي ان تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك

وبعد الفوت فهو حتمي اي يتحتم عليه ما تقدم ويتحدد الحد في الاعمال (ومن عدمه بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد) شبه هذا مقامات من معاني المقالات المتقدمة من طريق المعنى لا على التحقيق أي به والمعرد يحمل منها الدواب يخرج من معيار علم أو من سنة أو معروف أو معتاد مألوف فاذا جمعها فقد استقام على الطريقة والسنة وهو وصف العالم العارف الظاهري الباطني (فلا بد من الجمع بين هذه الامور وعلة الخوف هو الاصلح ولكن) عند صحة موجبه وذلك الى (قتل الاشراف على الموت أما عند الموت) وشدة مرض (فالاصلح) في حقه تغليب جانب (الرجاء وحسن الظن) بالله تعالى (لان الخوف) يكسر (سابق) (حار محرى السوط الباعث على العمل) محذوف (وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل) ولا يتحمله (ثم) هو لا (يطيق أسباب الخوف فان ذلك يقطع بباطن قلبه) وهو بكسر الموحدة عرق معلق به القلب (ويحب لقاء ربه الذي ابتدأه وجوده ولا ينبغي ان يتمنى أحد الدنيا لاحد الا ان يكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما يرد ذلك في الخبر وتقدم (والرجاء مقارنة المحبة التي ذكرها هو المحبوب والمقصود من العلوم) والمعارف (والاعمال كلها معرفة الله تعالى) والمراد بالمعرفة سير من عباس للعلم بها (حتى تثمر) تلك المعرفة (المحبة) المحبة (هي المصير اليه والقدوم عليه) لانحو انه (من قدم على محبوبه عظم سروره) وذلك (على قدر محبته) من حل (ومن فارق محبوبه اشتدت محبته وعذابه فهو كمن يقلب على الفحم حار عليه عند الموت حب الاهل والمال والولد والسكن والعقار وارتفاع والاحباب) وما حل به (فهذا رجل حال بينه وبين ما يشتهيه) اذ (جنته) التي يتمتع بها (اذا الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فهو خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه) فانه يتكدر عيشه ولا يصفو خاطره (فما دام لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه قوته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يحتمل حال من أفلت من السجن وحيل بينه وبين محبوبه بالموانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقوبته من ثواب والعقاب فصلا عما أعد الله تعالى لاعدائه الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كما في خبر أبي هريرة (وفصلا عما أعد الله للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوها واطمأنوا اليها من الاهمال والسلاسل والاغلال وصروف الحرى والسكال ونسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في جنته بهذا الدعاء دون اكتساب حب الله تعالى ولا سبيل له الا باجتناب حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فلا ينبغي ان تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد والغرض أن عند الرجاء عند الموت أصلح لانه أحب للمحبة وعند الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا من القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص وذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحب الله تعالى الى نفسه وبذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن حبني الى عبادي فقال يا رب كيف أصنع قال بأن تذكرهم آلائي ونعمائي فان غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن بالاضافة الى المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير في الهواء فسأله فقال الآن فلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة

(بيان الدواء الذي به يستحب حال الخوف)

اعلم وفقك الله تعالى أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدين (اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى واليوم الآخر) والجنة والنار وله درجات ومراتب وقد تقدم ذكرها في كتاب العلم (وهذا اليقين بالصرورة يهيج الخوف من النار) يثير (الرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره) أي شدائد الامور مما تكرهها النفوس (فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات) أي الملاذ التي تميل كل ما تميل اليه النفوس (فلا يصبر على تركها) أي دفعها ومنعها (الا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا) وفي نسخة سلا

على حس نفسه وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحب الله تعالى الى نفسه وبذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن حببني الى عبادي فقال يا رب كيف أصنع قال بأن تذكرهم آلائي ونعمائي فان غاية السعادة أن يموت محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن بالاضافة الى المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير في الهواء فسأله فقال الآن فلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة

(بيان الدواء الذي به يستحب حال الخوف)

اعلم ان ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على تركها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا

عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف ورجاءه الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى وادامة الذكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر الى الانس ودوام التفكر الى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك المريدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف ورجاءه ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا (٢٢٣) وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة قبل قطع الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب وبالثقة بحسن اختياره وهو التوكل وقد مهدنا ذكر هذا في علاج الصبر كفاية وسكنا مجرد الخوف بكلام جملي وهو قبول الخوف بحصول طريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية وربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه أبوه وهو عالم خائف منها فاذا نظر الصبي الى أبيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب لخوف الأب عن اصبعه ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فايمان مجرد التقليد والتصديق لأبيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فاما الخوف منه فهو خوف العلماء بالله وأرباب القلوب والبصائر النافذة العارفين من صفاته تعالى ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر للمطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته وأما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه سببه الغفلة وسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة التفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم في

(عن شهوات) أي يقطع عنها (ومن أشفق من نار رجع عن المحرمات) كذا في القوت وقد روى مرفوعا من طريقه بلفظ من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن أشفق من النار لهاعن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات وما يبقى وتمام وبين عساكر وبين النار (ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف ورجاءه الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والتفكر فيه على الدوام) أي كل من يذكر ويفكر من غير انقطاع بل يكون مارتهما فاذا استمر من الذكر اشتغل بالمراقبة والتفكر ثم دار أن يغفل عنه عليه بالذكر حتى لا تخلله الدوام ولا يحال بينهما بشيطان (ويؤدي دوام الذكر الى الانس) بالله تعالى (ودوام التفكر) يؤدي (الى كمال المعرفة) بالله تعالى (ويؤدي كمال المعرفة والانس الى المحبة) وهو على اقسام (وتتبعها) أي المحبة (مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات) لا تخفى ذكرها (فهذا هو الترتيب في سلوك المريدين) السائرين (الى الله) وفي عروج المقامات للطائرين اليه (فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف ورجاءه وليس بعدهما مقام سوى الصبر به المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة من قطع الطريق) وأشار له بالدخول فيه (الا الهداية والمعرفة) لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب) كيف كان (واثقة بحسن اختياره وهو) بعينه مقام (التوكل وقد مهدنا ذكرناه في علاج الصبر كفاية وسكنا مجرد الخوف بكلام جملي) أي اجمالي (فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر) وتقريب ذلك الى الاذهان انما يكون بمثال يضرب له في الظاهر وليس يخلو عن شاهد على المشهد (ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ورعا كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه أبوه وهو عالم خائف) في الحال (من الحية) أو من السبع (وهرب منها وقد اشتد ارتعاد فرائصه وهو يحتال في الهرب فقام معه) وغلب عليه الخوف (ووافقه في الهرب لخوف الأب عن اصبعه) وعقل (ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد والتصديق (لانه يحسن الظن بأبيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف وان الحية مخوفة (ولا يعرف وجهه) لجهله (واذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فاما الخوف منه فهو خوف العلماء بالله (وأرباب القلوب) والبصائر النافذة (العارفين من صفاته) تعالى (ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر) وهي صفات الربوبية (المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وأما الاول فهو خوف عموم الخلق) أي الخوف من عذابه (وهو حاصل بأصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية) وقد يقوى ذلك وقد يضعف (وضعفه سببه الغفلة وسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة التفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم في

حركاتهم

فان فائت المشاهدة للسماع لا يحلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى فان يكون انه هو المخوف أعني ان يحاف البعد ويحاب عنه ويرجى القرب منه * قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف سقر كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعموم المؤمنين يصاحفه من هذه الخشية ولكن هو تجرد بتقليد يشاهي خوف بعض من الحية تقليدا لابيه ودلك لا يستند الى بصيرة ولا حزم يضعفه ويزول عن قرب حتى ان الصبي ربما يرى الحرم يقدم على أخذ الحية ويطرحها ويعتبره فيجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لابيه ولعقد التقليد نصيحة (٢٢٣) في القلب لا ادا قويت بمشاهدة أسبابها

حركاتهم وسكناتهم (فان فاتت المشاهدة السماع) أي ما تقف من الاذواء (لا يحلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى) مقاما (فان يكون الله) عز وجل (هو الخوف أعني ان يحاف البعد) عنه (ويحاب عنه ويرجو القرب منه) ويدل لذلك ما (قال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى (خوف النار عند خوف سقر كقطرات قطرت في بحر لجي) أي فما يكون مقدارها بالنسبة الى البحر المتلاطم الامواج (وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو مقام كمل العارفين (والعموم المؤمنين يصاحفه من هذه الخشية ولكن هو تجرد بتقليد) بعيره (يضاهي خوف الصبي من الحية) أو السبع (تقليدا لابيه) اذ رآه قد هرب منها (ودلك لا يستند الى بصيرة ولا حزم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى الحرم) وهو حي يمسك الحيات بالعرائم (يقدم ابو يعتبره فيجرأ على أخذها تقليدا له) فيكون فيه هلاكه (والعقد التقليدي نصيحة في القلب لا ادا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار) وملازمة (قد ارتقى الى ذروة المعرفة) أي صارت أعلاها (وعرف الله تعالى عبده بالضرورة فلا يحتاج في علاج جلب الخوف كما أن من عرف السبع ورآه مسه واقعا في محله لا يحتاج الى علاج جلب الخوف اذ حبسه الله بحكمه بالضرورة فلا يحتاج في ذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام خفني كما تخاف السبع الضاري) وهو من الاسود لبيان وقد تقدم الكلام عليه قريبا (ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة) في حضرته (من غير وسيلة) منهم (سابقة) تستدعي قربهم (وبعد ابليس من غير حرمة سالفة) توجب البعد (بل صفته على ما ترجم قوله تعالى) في الحديث القدسي المتقدم ذكره قبيل منتصف من بني آدم يقال (هؤلاء في الجنة ولا أبالي) وقد ضل أخرى منهم يقال (هؤلاء في النار ولا أبالي) لكن بشرط في هذه المعرفة أن يكون التفكر فيها بما يعان فانه هو المستجلب للخوف واما لفكر الخبيث لا يصح فساوة قلب أرأيت لو أوقدت نارا ثم أخذت قبل الانضاج ثم وضعت ثم أخذت ثم وضعت ثم أخذت هي الوقود وما حصل الانضج ولا نضج لاقبال نفسه بهمته على تفكر المحتاج اليه حتى ينضج العلم على الدوام ولا يلهي الزمان ولا يتحصل المقصود (وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فمن اين لك هذا فتأمل انه لم يعد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يعد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى فانه مهما خلق العقل والشهوة وأقدره على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك المعصية سابقة حتى يتسلسل بغير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد فلم يعاقبه على المعصية في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال حج آدم وموسى) رواه الخطيب من حديث أنس دون قوله عذر بهما وفي لفظ آخر

وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فمن اين لك هذا فتأمل انه لم يعد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يعد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى فانه مهما خلق العقل والشهوة وأقدره على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية فمن ذلك المعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد فلم يعاقبه على المعصية في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال حج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عذر بهما حج آدم موسى عليه السلام

قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلقنى بأربعين سنة قال (٢٢٤) صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى

من عرف السبب فى هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن جمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف ما فان كل عبد فهو وقوع فى نقصه تقديرا وقوع الصبى الصغير فى مخالب السبع وان لم يقع فقد يفعل به ما لا تعافه نفسه فيتألم به ويتوجع عليه وذلك بحسب ما يتفق وذلك لا نهاية له فى أسباب كثيرة مرتبة غير معلومة وحد ينتهى اليه (لكن اذا أضيف الى من لا يعرفه يعنى اتفاقا وان أضيف الى علم الله علم يحرك أن يسمى اتفاقا وان وقع فى مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر من الله تعالى ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه العقلة تخلى وترك فانما يخاف مخالق السبع وخالق صفته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك والمسلط السبع هو الله تعالى فهو مثل غير مطابق على الممثل به من كل وجه عند التأمل (فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان لله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتسخر عن اقتضاء الحرم الالهى الى ما خلق له خلق الجنة وخلق لها أهلا سخرهم لاسبابها شاؤا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخرهم لاسبابها شاؤا أم أبوا) وروى مسلم من حديث عائشة ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا وهذه أهلا (فلا يرى أحد نفسه فى ملتطم أمواج القدر الا عليه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين سر القدر فى تعديه القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار) والاعتبار (فمن أراد أن يعالج سمع الاخبار والآثار ويطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم) ويتحالس الصالحين والذاكرين بأيام الله ويذاكر الايام المنصوب عليهم ويتفكر فى آثار الصفات ليوجد له الخوف فقد أتى على جملة ما يحتاج اليه فى هذا المقصد (ويتسبب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين

حج آدم وموسى (فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض) واعلم أن الجماعة بعد قوله جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم (فقال آدم أنت موسى) ولفظ جماعة فقال آدم يا موسى أنت (الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم وجدت الله قد كتب التوراة قبل أن أخلق قال بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة) ولفظ الجماعة بعد قوله وكلامه وقبل أن أعمله التوراة أتلومنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى (قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى) أى غلبه فى الحجة ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه عبد ابن حميد وأبو يعلى وابن مردويه من حديث أبى سعيد ورواه أبو نعيم فى الحلية والخطيب من حديث ابن عمر وموسى ورواه النسائى وأبو يعلى والطبرانى والآجرى فى الشريعة وابن عساكر من حديث جندب البجلى (فمن عرف السبب فى هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن جمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف) ولكن يختلف فى قوته وضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب (فان كل عبد فهو وقوع فى نقصه تقديرا وقوع الصبى الصغير فى مخالب السبع قد يفعل به ما لا تعافه نفسه فيتألم به ويتوجع عليه ويفترسه وذلك بحسب ما يتفق وذلك لا نهاية له فى أسباب كثيرة (مرتبة غير معلومة) وحد ينتهى اليه (لكن اذا أضيف الى من لا يعرفه يعنى اتفاقا وان أضيف الى علم الله علم يحرك أن يسمى اتفاقا وان وقع فى مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر من الله تعالى ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه العقلة تخلى وترك فانما يخاف مخالق السبع وخالق صفته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك والمسلط السبع هو الله فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان لله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتسخر عن اقتضاء الحرم الالهى الى ما خلق له خلق الجنة وخلق لها أهلا سخرهم لاسبابها شاؤا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخرهم لاسبابها شاؤا أم أبوا) ولا يرى أحد نفسه فى ملتطم أمواج القدر الا عليه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين سر القدر فى تعديه القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار فمن أراد أن يعالج سمعه الاخبار والآثار ويطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين

المغرورين) وعقوبتهم (فلا يغتر بهم) أي لا يقتدى بهم لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء) والصالحون من عباده (وأما الآمنون فهم لغرارة الجهال الأغبياء أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين) روى أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر حديث رواه الطبراني من حديث عبد الله بن سلام (وكان أشد الناس خوفا) تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديث قوله والله إني لأخشاكم لله وقوله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية (حتى روى أنه كان يصلي على طفل) منهوس (وفي رواية أنه سمع في دعائه) له (يقول اللهم وقه عذاب القبر وعذاب النار) كذا في القوت وقال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن نبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أو صبية وقال لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في إسناده وروى الكبير من حديث أبي بكرة أن صيادا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لفظت أحدا من ضمة القبر لفظت هذا الصبي (وفي رواية ثابتة أنه سمع قائلا تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك بذلك والله إني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يصنع بي إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا أراد فيهم ولا ينقص منهم) كذا في القوت وقال العراقي رواه مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه ما عقب وقد تقدم (وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون) رضي الله عنه (وكان من المهاجرين الأولين من) شهداء وهو أول من مات بالمدينة (أم سلمة) رضي الله عنها (هنيئا لك الجنة) فقال لها صلى الله عليه وسلم ما قال (فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله ما أزكي أحدا بعد عثمان) كذا في القوت وقال العراقي رواه الحاكم من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال وما يدريك الحديث وورد أن نبي قالت ذلك أم حارثة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة إلا ما وقع الخطأ الصحيح عن أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون قلت شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله الحديث وقوله وورد أن نبي قالت ذلك أم حارثة بن زيد قلت قال ابن عبد البر في ترجمة أم العلاء الأنصارية يقال إنها والدة حارثة بن زيد بن ثابت الراوي عنها وروى حديثها شعبان من رواية الزهري عن حارثة بن زيد عن أم العلاء الأنصارية قالت طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى لما أقرعت الأنصار فذكر الحديث في فضل عثمان بن مظعون وفيه أم العلاء رأت لعثمان عينا جارية وذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك عمله وفي الحديث قولها المتقدم شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله والحديث المذكور الذي جاء فيه التصريح بأنه من قول أم حارثة بن زيد رواه أحمد وبطرق من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن أبي النضر عن حارثة بن زيد عن أمه عن عثمان بن مظعون الماضي قالت أم حارثة طلعت أبا السائب الحديث قال الحافظ وبهذا ظهر في أن أم العلاء هي والدة حارثة المذكور (و) أعجب من ذلك ما روي أنه (قال) أبو القاسم (محمد بن) علي بن أبي طالب وهو بن (حولة الحنفية) وهو بضم جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئيل بن حنيفة من بني أهل الردة (والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدني قال فثارت الشيعة عليه) حين سمعوا ذلك منه (وتحدثوا ذكر فضائل علي ومناقبه) نقله صاحب القوت (وروي في حديث آخر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم

مما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره
وفي حديث آخر انه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأته تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله تعالى فقال المريض هي أي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم مما لا يعنيه ويبخل بما لا ينفعه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت ونحوهم يتساءلون فقال العلماء انما ذلك لما في سورة هود من الانباء كقوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع أنه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة أي جف القلم بما هو كائن وقامت الساعة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة التكوير هول يوم القيامة وانكشاف الحاقة وهو قوله تعالى وبدا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت وفي نعم يتساءلون يوم يعتذر ما قدمت يداه الآية وقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا

الصدر

مما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره) كذا في القوت وفي العراقي رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ ان امرأة قالت هنيأ لك الشهادة الخ وفي حديث آخر انه دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأته تقول هنيأ لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله فقال المريض هي أي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم مما لا يعنيه ويبخل بما لا ينفعه) كذا في القوت وبنحوه للعراقي (وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود وأخواتها) رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر والترمذي في الشمائل وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي جحيفة وفي لفظ شيبتني هود (وسورة الواقعة) والمرسلات (واذا الشمس كورت ونحوهم يتساءلون) رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا عن أبي بكر وفي لفظ شيبتني هود وأخواتها لواقعة والحاقة واذا الشمس كورت رواه الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم الكلام عليه في كتاب السماع (فقال العلماء انما ذلك لما في سورة هود من الانباء كقوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لثمود كما بعدت ثمود مع أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه لو شاء الله ما أشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها ولكن حق القول مني (وفي سورة الواقعة) نحوه تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أي وقعت لا محالة من صفتها كذا وكذا (خافضة رافعة) خافضة الحاقة من حقت عليه الحاقة (أي جف القلم بما هو كائن) روى أحمد من حديث ابن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وذلك أن جف القلم بما هو كائن (وقعت الساعة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا) حين ظهرت الحقائق وكشفت عن الخلائق وفيها ما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم هو حق اليقين الحاقة ما الحاقة اذا وقعت الواقعة من حقت عليه الحاقة (وفي سورة التكوير هول يوم القيامة) وهي خواتم الصبر لمن أيقن (وانكشاف الحاقة) وهما بمعنى واحد لمن عاين آخر ذلك (وهو قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت) هذا تفصيل الخطاب أي عند تسعير النيران وقرب الجنان حينئذ تبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم وخير يصلح للنعيم ويعلم ذلك من أي أهل الدارين يكون وفي أي القريقين نحن منكم من ولوقد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة نيران انها تصليها وكم من أبصار ذليلة خاشعة شاهدة لاهوال وكم من عقول طاشت لعظيمة الزلزال (وفي عم يتساءلون يوم يعتذر ما قدمت يداه الآية وقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وهذا أيضا عزاه الصنف لبعض العلماء ساقه صاحب القوت وحمله عليه ولعل المشهور في هذا الحديث الذي صرح به العلماء ان المراد منه ان في هذه السور من هول يوم القيامة وبأس أحوال السعداء والاشقياء والامر بالاستقامة كما أمر بما يليق بتعالى مقامه الذي لا يمكن للبشر ان يفهمه ومن عرف ذلك مما لا يستوعب وصفه لا ينبغي له ان يتعاطى ما يوجب استيلاء سلطان الخوف والحزن عليه لما علم من اتباعه وأمته تعظيم ربه وخشيته لهم ودوام الفكر فيما يصيبهم وتتابع النعم عليهم وهم يزيدون عنها واشتغال القلب والبدن بأحوالهم ومصالحهم الظاهرة والباطنة وهذا كله مستوجب لضعف القوى البدنية وضعفها مستلزم لضعف الحرارة الغريزية وضعفها يسرع الشيب ويعجل الهرم والموت ولكن لما كان عمله صلى الله عليه وسلم من شرح

والقرآن من أوله الى آخره في قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فان كان قد علق المغفرة على أربعة شروط بحيث لا يحصل الا عند آحادها وأشد منه قوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقوله تعالى وما كان عطاء ربك محظورا وقوله تعالى ولا يأمن مكرنا سواك وقوله تعالى ان بطش ربك لشديد وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وقوله تعالى ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى ان مكرهم تزول منه الجبال وقوله تعالى ان مكرهم لتزول منه الجبال وقوله تعالى ان مكرهم لتزول منه الجبال وقوله تعالى ان مكرهم لت

لدعوى العصام فانه نفى وعارض بتحريل فى هو بحثى فان حنفة قال أما السلف فلا فكان ذلك وجه الحنفية قوله حسبى الله فاخبر الله تعالى عنه بقول ابراهيم الذى وفى أى بوجب قوله حسبى الله وبشر هود أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انى معكما أسمع وأرى ومعهد لما ألقى السحرة عصيهم أوجس موسى فى نفسه خيفة فلم يأمن مكر الله والناس الامر عليه حتى جدد عليه لامن وقيل له لا تخف انك أنت الاعلى ولما صفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض أحد يعبدك فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه مناشدتك ربك فانه وافى لك بما وعدك وكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام الخوف من مكر الله وهو وعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أشد لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة بسر الله تعالى وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعرض عن بعض ما يصدر عنها المكر وما لا حذر من الشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعروف وتصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وقال هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) فاثبت لهم صفة الصدق وهو مقتضى وصف الجلالة (فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبى الله) وصدق المقول بالعمل (فأخبر الله تعالى عنه بقوله وابراهيم الذى وفى أى بموجب قوله حسبى الله) ولان الله تعالى لا يدخل تحت الاحكام ولا يلزمه ما حكم به على الانام ولا تحت مرصد ته تعالى ويجوز ان يوصف بضد الصدق ان بدل الحكام هو تبديل منه لان حكمه وكلامه قائمة به فلا يتبدل منه ما شاء بل هو الصادق فى الكلامين المتعادل فى الحكمين الحاكم فى خلقه لا حاكم عليه ولا حكم لغيره ولانه قد جاوز العموم والعقول والحكمين الى ما هو أعلى وأسنى وهو الامر والنهى وهو الرسوم التى هى أواسط الاحكام والاقدار وفى مشاهدة مدبر العالم بقهر من عموم التوحيد ومقام رفع من أحوال الموحد (وبمثل هذا) المعنى (أخبر عن) كليمه (موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى) يعنى فرعون (قال لا تخافا انى معكما أسمع وأرى ومعهد لما ألقى السحرة عصيهم أوجس موسى فى نفسه خيفة فلم يأمن مكر الله والناس الامر عليه) ربما يكون قد أخبر عنه فى عينه وقد استأثر عن نفسه تعالى بما لم يطلعه له فى الغيوب لمعرفته عليه السلام بحق الحكم وباطن الوصف وعلمه انه لم يعطه الحكم الا وهو محكوم عليه مقهور فى حوزته (حتى جدد عليه الامن) بحكم ثان (وقيل له لا تخف انك أنت الاعلى) لا تخف الناس الآتين وهم تحت القهر الى القتل ولم يشكل الى الاظهار الاول بما به سعة عليه انه هو علام الغيوب التى لا سبيل لها ولان لقول حكام وحاكم لا تحكم عليه الاحكام كما لا تعود عليه الاحكام وهو تعالى لا تحكم من الحاكم السلام ثم تعود على الحكوم أبدا ولانه جلت قدرته لا يلزمه ما لزم الخلق لدخولهم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقد صحت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم) فى دعائه (اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض أحد بعدك فقال أبو بكر رضى الله عنه مناشدتك ربك فانه وافى لك بما وعدك) قال ابن بطال فى رواية البخارى من حديث ابن عباس اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث (وكان مقام الصديق) رضى الله عنه (مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله لانه لم

العارفين) وذلك لا يصلح ان يكشف حقيقة تعبيره في كتاب حشيه الاسكار (اذ العمدة الكبرى هو ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك وبأمثالك فقد أهلك امثالك من لا يحصى ولم يزل في الدنيا يهلكهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يحلد بعضهم عليهم أبد الآباد ثم يحشرهم ويقول ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا فكيف لا يحاف ماحق من القول في الازل ولا يسمع في تداركه ولو كان الامر الخ) وفي بعضها معابه (الكائنات لاطماع قد الى حد به واكمن ليس لا التسليم والاستقراء فحي أسباب الخ فقص على الاسباب الظاهرة على قلوب الجوارح من يسرت له أسباب الشر وحبس بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقة من الدنيا وكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له الشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له) كما ورد ذلك في الخبر اعملوا فكل ميسر لما خلق له (وان كانت الحيرات كلها ميسرة وكان القلب بالكلية منقطعا عن الدنيا وظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تحقيق الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يريد بيران الخوف شديد الا ولا يكاد يخلص الا العلماء وكيف يؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) روى الحاكم من حديث طاوس قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف شاء وقد تقدم في قواعد العقائد (وانه أشد تقلبا من القدر في غليانها) كما في الخبر وتقدم في عجائب القلب (وقد قال مقلب القلوب) جل جلاله (ان عذاب ربهم غير مأمون فجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الامن) فأكثرهم من خاف الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام من وهذا الخوف لا يقوم له شئ وكرب لا يوازيه مقام ولا يحمل (ولولا ان الله عاين بعباده العارفين فروح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف) ولاخرجهم الى القنوط ولولا انه روحها بروح الامن بحسن الظن لادخلهم في اليأس ولكن الذي هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء حكمة بالغة وحكم بالغة لعلم سبق وقدر جرت حقيقته ما شاء الله لا قوة الا بالله (فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى) بعباده (وأسباب الخوف رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لولا الكشف اعطاء لهلكت النفوس وتقطعت القلوب من خوف نقلب القلوب قال بعض العارفين لولا حال بيني وبين معرفته بالتوحيد حين سنة اطوانة فاسأل لم أقطع له بالتوحيد لانى لا أدري ما ظهر له من التقلب) كذا في القوت (وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاشتريت الموت على الاسلام) دون الشهادة قيل ولم قال (لانى لا أدري ما يعرض بقلبي) من المشاهدة فيما (بين باب الحجرة وباب الدار) فيحيره عن التوحيد كذا في القوت قال وروينا عن زهير بن نعيم البابي قال ما أكثر همي في نفوس قد أخاف ما هو أعلم علي من الدنيا ان أسلب التوحيد وأموت على غيره (وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه (يحلف بالله ما أحد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه) وقال مرة ما سلبه عند موحد له فقدا قال صاحب القوت فهذا على ثمرين أحدهما

(٢٢٩)

خفي السابقة من جلي الاسباب القاهرة على القلب والجوارح من سرت له أسباب الشر وحبس بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا وكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له الشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة وكان القلب بالكلية منقطعا عن الدنيا وظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تحقيق الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يريد بيران الخوف شديد الا ولا يكاد يخلص الا العلماء وكيف يؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف شاء وقد تقدم في قواعد العقائد (وانه أشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب جل وعلا ان عذاب ربهم غير مأمون فجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء

لاحترقت قلوبهم من نار الخوف وأسباب الرجاء رحمة للخواص به وأسباب الخوف رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لولا الكشف لاعطاء لهلكت النفوس وتقطعت القلوب من خوف نقلب القلوب قال بعض العارفين لولا حال بيني وبين معرفته بالتوحيد حين سنة اطوانة فاسأل لم أقطع له بالتوحيد لانى لا أدري ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاشتريت الموت على الاسلام لانى لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه

يحكى ذلك عامة فلا يعلم اسلف عباده حتى مكر الله به والذى ان يعلم قلبه يسود لطول غفلته وكثرة الرين ولا سيما لقد اردد هيا قلبه على قلة الصلاة وترك الاكثرت لذلك فيهون عليه فقد الاعمال وقد كان بعض علمائنا يقول من أعطى التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله اذ كان التوحيد فى نفسه لا يتبعض (وكان) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله (يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وهمة (وعند كل حركة) يحدثون بعد من الله تعالى (وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال (وقلوبهم وجلة) وقلوبهم وجلة) وبعد القوت وهم الذين مدح الله وجلة قلوبهم وقال أيضا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف السيئات وقال أيضا أعلى الخوف ان يخاف سبق علم الله تعالى فيه ويحذر ان يكون منه محدث خلاف السنة نحوه الى الكفر وقال أيضا خوف التعظيم ميراث خوف المهابة (واما احتضر سهل) الثورى رحمه الله تعالى (جعل يبكى ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عمو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى دونى أكنت لو علمت انى أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بامثال الجبال من الخطايا) وقال مرة دونى أموت من هذا ورفع حفنة من الارض انما أخاف ان سلب التوحيد فى آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كما سيأتى فى الحكايات (وحكى عن بعض الخائفين) وقد اشتد وجعه (انه أوصى بعض اخوانه) فقال (اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى) فاذا رأيتنى مت على التوحيد فقد جميع ما أملكه فاشتر به الور وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المخلصات وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشاودجارتى (يحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يخفى لرياء بعد الوفاة قال و) لم أعرف ذلك ذكره علامة (فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز ونثره عند موته) كما أمر قال ولم أحدث بذلك أحدا الا خصوص اخوانى من العلماء وذلك ان العبد مهما عمل فى حياته من سوء أبعد ذكره عليه عند فرق الحياة وغلب قلبه فيه وأشهد وجده اياه عند آخر ساعة من وقاته فان اعطى ذلك بسهولة وانشراح وقف معه وسكن اليه فاذا وقف معه حسب عليه وجعل عملا من أعماله الا به من أعمال لقلوب فى الوقت وقد تقدم سعيه فيه وهواه قبل الوقت وكان ذلك فاتحة سوء ان قال وكان هو الخاتمة فسحقا متبع الاسباب وحاملها أثوابا ومقبض القرباء وحاملها حطبا (وكان) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله (يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر) نقله صاحب القوت قال (و) كذلك (كان أبو يزيد) البسطامى رحمه الله تعالى قبله (يقول اذا دخلت الى المسجد كان فى وسطى زنار أخاف ان يذهب بى الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيسقط على الزنار فهد الى فى كل يوم خمس مرات) هذا لعلهم بسرعة تقلب القلوب فى قدرة الغيوب كذا فى القوت وقال القشيرى فى رسالته وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلى واعتقدنى فى نفسى عند كل صلاة أصلبها كانى محوسى أريد ان أقطع زنارى قال الشارح فسره فى موضع آخر فقال كنت ثنى عشرة سنة حداد تقسى وخمس سنين مراآة فانى وسنة نظر فيم يوم فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنى عشرة سنة ثم ضربت فاذ فى وسطى زنار باطنى فعملت فى قطعه خمس سنين فلما قطعه رأى الخلق كلهم وهو معهم موتى فكبر عليهم أربع تكبيرات وذلك لان الحداد شأنه ان يحمى الحديد ويطرقه بصفيه ويجرح ويخته فقال كنت أعمل جوارحى وخواطرى بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدت على الشريعة فرأيت فى نفسى التعالى الى الخلق لينعوا ما أنا عليه من

وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء خاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فقال عفو الله أعظم من ذنوبى فقال أوعلى دونى أكنت لو علمت انى أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى فان رأيتنى مت على التوحيد فقد جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المخلصات وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشاودجارتى يحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يخفى لرياء بعد الوفاة قال و لم أعرف ذلك ذكره علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز ونثره عند موته وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان فى وسطى زنار أخاف ان يذهب بى الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيسقط عنى الزنار فهد الى فى كل يوم خمس مرات

ابتداعة الخ صفة وشبه نفسه حيث التفت في عمره الى غير الله بعلامة الشرك وهي الزنار الظاهر فعمل في قطعه ما يجب عليه تخلص منه أعجب بنفسه وهواه وحمد نفسه على ذلك وهي مذمومة ربه عليه حيث أدرك ذلك رأى زناره باطناً حيث حمل لنفسه أثر افي قطعه مما من الله برؤيته فضله عليه وان جميع الخلق كالموتى في انهم لا يضرون ولا ينفعون كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده واستند اليه دون غيره بقوله كما أني في صلاتي محوي يعني في المدة التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر مع ما قبلها والله أعلم (و) قد (روى) معنى ذلك (عن المسيح عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انكم تحاذرون المعاصي ونحن معشر الانبياء نحاف الكفر وروى في أخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدي أما رضيت ان عصمت قلبك ان لا تكفر بي حتى تسألني الدنيا فتأخذ التراب فتضعه على رأسك وقال بلى قد رضيت يا رب ما عصمني من الكفر فما كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة وكيف لا يخافه الصفياء والاولياء لخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم اني بريء من النفاق كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس وما غربت (والايمان الذي هو ضد أصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها (من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر واذا عاهد غدر) ولعمر الله ان الموت ومن المحزون خوف النفاق فقد كان اسلاف الصحابة من الصحابة والتابعين يخافون النفاق فكان يكون فيهم شعبة منه وديعة من حيث لا يعلمون هذا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وفي حديث عبد الله بن عمرو أربع وروينا هما جميعا من ثلاثة أحاديث جمعناها فكانت خمس خصال من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها (من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر) ولعمر الله ان الموت ومن المحزون خوف النفاق فقد كان اسلاف الصحابة من الصحابة والتابعين يخافون النفاق فكان يكون فيهم شعبة منه وديعة من حيث لا يعلمون هذا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وفي حديث عبد الله بن عمرو أربع وروينا هما جميعا من ثلاثة أحاديث جمعناها فكانت خمس خصال من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وفي لفظ آخر أربع من كن فيه فقد أشرف على خصال النفاق ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر واذا عاهد غدر قال بعضهم ينبغي لي بعض تعجبا اذ لم يكن الرجل كفؤا لها فان انى كنت وعدته ان أزوجها اياه وأخاف ان ألقى الله ثالث النفاق وقد كانوا يقولون الكذب ناسمن النفاق ومن علائم لا تخطئ وشدائدها حيران وردا مارة خلاق انها لا توجد في مؤمن أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم يحمل المؤمن على كل خلق لا الخيانة والكذب يجامع الايمان وقد يدخل الكذب في الاقوال والاحوال دخوله في المقال وليس يعرى من الكذب اليوم الا الصديقون دون الصادقين والخبر الآخر قوله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وليس يعرى من البخل على مذهب أهل المعرفة في هذا الوقت الا بدال وقد سئل بعضهم عن البخل فقال هو ان تمنع الشيء فتدعي ملكه تمنع الغيران تأخذه وقال بعض العارفين البخل من لم يؤثر بالشيء مع الحاجة اليه لوجود بعض هذه الاخلاق الدنية وهي من صفات النفس وجبلة الطبع وآفات العقل موجب الخوف من النفاق فان هذه علامة نقص أو فقد اليمن ذا

وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام انه قال يا معشر الحواريين انكم تحاذرون المعاصي ونحن معشر الانبياء نحاف الكفر وروى في أخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدي أما رضيت ان عصمت قلبك ان لا تكفر بي حتى تسألني الدنيا فتأخذ التراب فتضعه على رأسك وقال بلى قد رضيت يا رب ما عصمني من الكفر فما كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة وكيف لا يخافه الصفياء والاولياء لخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم اني بريء من النفاق كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس وما غربت والايمان الذي هو ضد أصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر

العلامات قد يوجد الدلائل في الحال فقد تشهد وبتأخر حكمها ووقوع حقائقها الى المآل اهـ والحديث المذكور قد تقدم في قواعد العقائد وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو وفيه كل منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي بعضها للشيخين اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ورواه كذلك الطبراني في مسند الاحداث وابن عساكر من رواية مسروق عن ابن مسعود (وقد فسر الصحابة) رضي الله عنهم (والتابعون الخلق المسير لا يخلو عن شيء منه الا الصديق اه قول الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان من النفاق) لعلما يقولون وكان يقول كانوا يعدون (اختلاف السر والعلانية) واختلاف الظاهر والباطن (واختلاف اللسان والقلب) نفاقا (و) قال مرة كانوا يعدون (اختلاف) القول والعمل (والمدخل والمخرج) نفاقا (ومن الذي يخلو من هذه المعاني لما صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة وسبق كونهم يتكلمون بالكلمة لم يجر ذلك على قرب عهد زمن النبوة) فكيف الآن وما بنا حتى قال حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات (قال المناوي رواه البخاري من حديث أنس والترمذي من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة وصححا سنده وتقدم في التوبة قلت وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة قال المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يومئذ يسرونه وهم اليوم يعلنونه قال صاحب القوت وهذا كما قال علانية المعاصي وظهورها أعظم من النفاق وتخفي لانها اذا ستر لم تضر الا صاحبها واذا أعلنت ضرت العامة وكان في الاسلام وأوهنت سلك الدين (وقال بعضهم علامة النفاق ان يكره من الناس ما يأتي مثله) قاله صاحب القوت قال (و) روينا مسندا من النفاق (ان يحب على شيء من الجور ويبغض على شيء من الحق) وسئل وهب من المنافق قال الذي يحب المدح ويكره الذم وروى مسندا من طريق أهل البيت من علامة المنافق أن يحب أن يحمد في جميع أموره (وقيل من نفاق المرء اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك) كذا في القوت وعلامات النفاق أكثر من ان تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من بعض الاطراف ثلاث الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين صنفهم الله الى الانبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم وعدهم من الخيرة فيما روى ووهم آية الاهوال كمال ايمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم فتأمن النفاق وحبابا تشرك عن نفاق ابو حيد وضعف اليقين وترادف الشهوات وتزايد العادات عن قوة بعض وقهر صفاتها وهيبة وجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من حيث لا يشعرون (وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنهما (انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون) ونعين الله في غير ما خلاف ذلك وقال مرة ندخل عليهم فنصدقهم (فاذا خرجنا تكلمنا فيهم بمثل) ان عمر (كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

وقد فسر أصحابه والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الا الصديق اه قول الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان واختلاف المدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني لما صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة وسبق كونهم يتكلمون بالكلمة لم يجر ذلك على قرب عهد زمن النبوة فكيف الآن وما بنا حتى قال حذيفة رضي الله عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وقال بعضهم علامة النفاق ان يكره من الناس ما يأتي مثله وأن يحب على شيء من الجور وأن يبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رحمه الله انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم بمثل كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم) كذا نقله صاحب القوت (وروى) عنه من طريق آخر (به مع زيادة فيه وقع فيه) ولفظ القوت بسند الحج وبنده (فقال) له (أرأيت لو كان هذا الحج حاضرا كنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال) ابن عمر (ما شهد هذا) فاعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) كذا في القوت وقد تقدم في قواعد العقائد قال العراقي ولم أجد فيه ذكر الحج قلت ذكر الحج فيه في الطيالسي قال صاحب القوت وايم الله لقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يكون بعدي أمر عن دخل عليهم صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وهم وارد على الحوض (وعن ذكر ذلك ما روى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة رضي الله عنه (ينظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا) وفي القوت أيضا بدل تكلموا (فقال) له (كنا نعد) مثل (هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فان العراقي لم أجد له أصلا (وهذا حذيفة) رضي الله عنه (كان) قد (خص بعلم المنافقين) حتى ان عمر رضي الله عنه كان يقول له هل تعلم في شيأ من النفاق (وكان يقول انه أتى علي أقلب ساعة يمشي بالانسان حتى لا يكون للنفاق فيه معرة وأتى عليه ساعة يمشي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه معرة) هي هذا عند قوة صفات النفس بما وكل منها بالشهوة يغلب الايمان ويختطف اختطاف الشمس شمس تحت الغمام فيرتفع حكمه عن طمع أحكامه الموجبة لقتضاه من الورع أو الزهد أو المراقبة أو الصدق ثم يرتفع حكم شعاع الشمس اذا جلت كشف السحاب على الارض ولم يقع منها ضوء وعلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو مؤمن الحديث وفي الخبر لا يدخل الايمان كما فحيص بيصه احيانا ويخطفه احيانا وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلا عن امتلائه بالايمان في وقت دخول الشك عليه لانه يرتفع اليقين وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق أو في وقت انكار مقدور من قدرة الله تعالى وحين تكذيبه فانه من آثاره فوجود ذلك نقص للايمان وينقص الايمان دخول النفاق قال نعت الموت في هذه الساعة التي يتلى القلب فيها بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه معرة ليس يكون ذلك صفته بالنفاق وكذلك ان نفاه الامر بعده احدى الخصال الخمس المذكورة في حديث عبد الله ابن عمرو ليس ذلك بصير في آخر عمره من سوء الخاتمة (وقد عرفت هم من خوف العارفين من سوء الخاتمة وان منه أمورا متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق) وقد يخوف الخصوص اذا جعلوا سبب البلاء ان يلحقهم منه ذنب وان لم يكن فيه قصد ولا عليهم منه حكم من ذلك قول مريم الصديقة بالتي من قبل هذا لما حملت حملتها لامة وعلى ذلك قول عيسى عليه السلام لما سئل الشفاء في لست هذا الذي أخاف لاني قد عبدت من دون الله تعالى ومن أعجب ما أضيف الى العبد فعله مما لا يفعله الا الله أجرى عليه وجعل مكاسبه (ومتى يخلو العبد عن شيء من حيله ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق) كذا في القوت (وقال بعضهم لبعض العارفين اني أخاف على نفسي النفاق قال لو كنت منافقا لما خفت النفاق) ولفظ القوت جاء رجل الى حذيفة فقال هلكت قال وما ذاك قال لي أخوف النفاق فقال له لو كنت منافقا لم تخف النفاق ان المنافق قد أمن النفاق فجعل خوف النفاق أمنه وجعل به الامن منه على الوجود (فلا يزال العارف في الانتقال الى السابقة والخاتمة فيما منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس ابن آدم بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن

*(بيان معنى سوء الخاتمة) *(فان قلت ان أكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين احداهما أعظم من الاخرى فالرتبة العظيمة الهائلة أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة من ذلك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود أو الشك مقتضى الخلود في العذاب السرمد والعذاب الدائم المخلد) الملازم (والرتبة (الثانية وهي دونها) أي دون الاولى (ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيشغل ذلك في قلبه ويستغرقه) أي يستغرقه (حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسرا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب زال العذاب اذ ما دام الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين عنه فما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي فمهما تعلق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا كان الامر محمولا على المرجوب على ما عاش عليه) بحيث لا يبعث على سمات عامله (ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه دلا تصرف في الغيوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا يتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة) حيث لا تنفع (الا أن أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يبعث عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال ذرة أخرجه من النار في زمان ما) كما في الخبر أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان (وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين) فقد روي من مرسل الحسن يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك (فان قلت قد ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن) عن (نور الايمان بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان

عن رجل من الصحابة وقد تقدم في ذم الدنيا وذكره ابن المبارك في الزهد ولما عاود ذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس اه قلت نقلا ابن المبارك في كتاب الزهد أو من عبد بن حميد من رجل من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ما يكتب فيه من الهلكات

(بيان معنى سوء الخاتمة)

(فان قلت ان أكثر هؤلاء) أي الصالحين (يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم) هداك الله تعالى (ان سوء الخاتمة على رتبتين احداهما أعظم من الاخرى فالرتبة العظيمة الهائلة) هي (ان يغلب على القلب عند سكرات الموت) وشدائده (وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة من ذلك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود والشك مقتضى الخلود في العذاب السرمد والعذاب الدائم المخلد) الملازم (والرتبة (الثانية وهي دونها) أي دون الاولى (ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيشغل ذلك في قلبه ويستغرقه) أي يستغرقه (حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسرا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب زال العذاب اذ ما دام الله الموقدة) المشار اليها في الآية (لا تأخذ الا المحجوبين عنه فما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى المشار اليه في قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم أي سليم من حب الدنيا (تقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي) روى ذلك من حديث يعلى بن منية تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وصححه البيهقي ورواه الحكيم في النوادر بلفظ ان النار تقول (فمهما انفتق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا كان الامر محمولا على المرجوب على ما عاش عليه) بحيث لا يبعث على سمات عامله (ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه دلا تصرف في الغيوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا يتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة) حيث لا تنفع (الا أن أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يبعث عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال ذرة أخرجه من النار في زمان ما) كما في الخبر أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان (وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين) فقد روي من مرسل الحسن يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك (فان قلت قد ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن) عن (نور الايمان بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان

و يستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسارا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب زال العذاب اذ ما دام الله الموقدة لا تأخذ لا المحجوبين عنه فما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي فمهما تعلق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا كان الامر محمولا على المرجوب على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه دلا تصرف في الغيوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا يتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا أن أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يبعث عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال ذرة أخرجه من النار في زمان ما وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت قد ذكرته يقتضي أن تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن وعن نور الايمان بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان

القبر امامحفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الاذكار (وانه قد يفتح الى قبره لعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار) قال العراقي لم أجد له أصلا (ولا تمار قبره وجوه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وما تختلف أصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر وتعذيب بعدهم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملا من الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهون الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار ولا زال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا ينفعه شيء من الايمان بأكله يعذب في القبر أيأكل بجميع الجوارح ويبقى هذا الى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة أمثال حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة وأما على حالة تنافي هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة حتى يعم من أسبابه هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ويمكن الاشارة الى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فيحصر سببه في شيئين

(ثم المناقشة في الحساب) تقدم قبله أيضا (والافتضاح على ملا من الاشهاد في القيامة) قال العراقي روى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر ما من عبد يخرج من بيت والده ليصحبه في الدنيا صحبه الله على رؤس الاشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أما الكافر والمنافق فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وللطبراني وابن لهيعة في الصغير من حديث ابن عباس نصوح الدنيا هو من نصوح الآخرة وهو حديث طويل منكر اه قلت حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قصر وأما كذلك فوهم في الحبة وعند ابن لهيعة قوله الاشهاد قصاص قصاص وأما حديث الخير فقد رواه أبو يعلى كلهم من رواية القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعا (ثم بعد ذلك خطر الصراط) تقدم في قواعد العقائد (وهول الزبانية) قال العراقي روى الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة هذه الامة من الطير الى عذرة الاوثان والنيران قال صاحب الميزان حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ثم مصلاة في حرة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب اه قلت وبقية حديث أنس عند الطبراني بعد قوله النيران فيقولون يا ويلنا ما بال عبدة الاوثان فيقولون ليس من يعلم كمن لا يعلم (الى آخر ما وردت به الاخبار ولا زال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب) وتواتره (وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته) ويتداركه امانه وكرمه (ولا تظن ان محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها) أي فرقها (الى ان يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة أمثال حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة وأما على حالة تنافي هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية) وقد روى الطبراني من حديث كعب بن مالك وأم مبشر معا أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله الى أجسادها يوم القيامة وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك وحده أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق حيث شاءت وروى ابن سحنون في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أم دينار أرواح الشهداء تحمل في حواصل طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت الحديث (فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة حتى يعم من أسبابه هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ويمكن الاشارة الى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فيحصر سببه في شيئين

* أحدهما ينصور مع عدم الورع وبعدم الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فخطر خاتمته خطر وان كانت أعماله صالحة واعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق

فيعتقده على خلاف ما هو عليه فإن رأيه ومعقوله وما به يعارض به يحادل الخصم وعليه يعول وبه يعتز وما اتخذ إلا لتقييد من هذا شأنه فإذا قرب الموت وظهرت له ما صيته فإن الموت وصعوبة القلب عما فيه يزعجه يكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا فحال الموت حال كشف الغطاء وهو الذي سكر به فقد يكشف به بعض الأمور فيها فإن عدم ما كان اعتقده وقد كان باطلا به متيقنا له عند نفسه لم يبن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لاتباعه فيه رأيه الفاسد وعقله الناقص بل على أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن

عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أولى لكنه فيها كان متعلق رهوق روحه في هذه الخطة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وحرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكم من معصوم في أحواله بقيت عليه بعض هفوات قبيحة الأعمال جدا بالناس وحشة وبالحضور عنه وقد يكشف له يوم القيامة ويكون في المستقبل وذلك سبب جهة اشتغل بها عن النفس وكذلك يكشف في سكرات الموت بعض الأمور مما كان مجهولا عنه وشهوات الدنيا هي الملابسة للقلب التي تغار إلى الملكوت فيطالع في اللوح المحفوظ لتكشف له الأمور على ما هي عليه فيكون من هذا الجنس سبب انكشف ويكون الكشف سببا لتزلزل بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اعتقادا باطلا) لأنه وجد نحو (وإنما يرد بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر ويرهد وا صلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا يجتمع منه إلا الاعتقاد الحق وإنما) العاصون (يعدل عن هذا الخطر عسى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا خالصا وحقا) وهو (كالأعراب) سكان البادية (والسودان) ما كان أريب (وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا انضموا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم اعتقادا وذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله) رواه البيهقي في الشعب والبزار وابن أبي الدنيا في صفة الجنة كلهم من طريق سلامة بن روح عن عقيل قال قال محمد بن شهاب عن أنس مرفوعا وسلامة وعقيل ولم يجمع من جميعه على إسناد أحد من كتبه وهذا الحديث في أفراده لكن هو عند الضياء من طريق يحيى بن أيوب حدثنا عقيل به وهو في الكبير وذات من طريق محمد بن العلاء الأيلي عن يونس بن يزيد عن الزهري وهو عند العسكري أنه غريب من حديث الزهري وهو من حديث يونس عنه غريب لا أعلمه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي أيضا من حديث مصعب بن ماهان عن

على ما هو عليه فيكون من هذا الجنس سببا للكشف ويكون الكشف سببا لتزلزل بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اعتقادا باطلا تقليدا وإنما يرد بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر وبرهدوا صلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا يجتمع منه إلا الاعتقاد الحق وإنما يعدل عن هذا الخطر عسى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا خالصا وحقا كالأعراب والسودان وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا انضموا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم اعتقادا وذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله

الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال عقبه لا نعلم حدث به عن سهل التستري في تفسيره قال هم الذين وافت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل وعن أبي عثمان هو الاله في ديمومية في دينه وعن الاوزاعي قال هو لا عمى عن الشر البصير بالخير أخرجهما البيهقي في الشعب وقد تقدم هذا الحديث (ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وأمروا بحسن أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وكل ما جاء عن الله ورسوله اعتقادنا في التشبيه ومنعوهم عن الخوض في تأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والمعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهدايته تعالى سور يحمي عن تقلب عاجلات عليه من حب الدنيا مشحونة وما ذكره الباحثون بصناعة قولهم مضطرب ومتعارض ومتقاض (٢٣٧) الما أبقى اليها في مبدأ النشأة آكده

وبه متعلقة والتعصبات متناثرة بين خلق مسامير مؤكدة لعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشعوفة وعليها مقبلة وشهوات بسببها يحصلها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تعاون الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بقلوب الآخذين فيهم وتأسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد سترخى العنان وفشا الهذيان وقل كل جاهل على مبادئ طبعه

يبس وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وبه صمم لا يحيد وعلى أن ما وقع به من حدس وتخمين علم يقين وحق يقين وعلى به يعد عين ويتعين أن يشد في هؤلاء عند كشف الغطاء هذان البيتان

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ✽ ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ✽ وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يشد هما كثيرا كان أنشدنيهما الشيخ أبو عبد الله بن عبد الله بن سلامة المؤذن قال أنشدني إياهما شيخنا أبو المكارم محمد بن مسلم بن أحمد الحربي قدس سره قبل موته بيسير وكان آخر ما تكلم به (واعلم بأن كل من عرف الايمان الصادق بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرميه موج الى موج فرعايته أن يلقيه الى الساحل) فيحمد (وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب وكل ما دل على عقيدة تلقفها من الباحثين بصناعة عقولهم لمطامع الادلة التي حرروها في تعصباتهم أو دون

لادنى فاذا كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله معتر بعقله الناقص وكل حائض في البحث فلا يطلق على هاتين الحالتين الا ادا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم النبوة والولاية وذلك هو الكبريت الاحمر وأنى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر بعلمه من العوام أو الذين شغلهم خوف الله وطاعة الله عز وجل عن الخوض في هذا الفضول فهذا أحد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة وأما سبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى لان حب الشيء يعمي ويصم فلا يرى بعين البصيرة ولا يسمع بأذن القلب نصح الناصحين وتذكير المذكرين وتخويف المخوفين بل يصير القلب مستغرقا بحب الدنيا ومستولية عليه شهواتها وهذا هو الذي يعبر عنه بالختم على القلب وهو أشد درجات الحجاب وأعظم أسباب الخطر في الخاتمة وهذا هو الذي يعبر عنه بالطبع على القلب وهو المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون فهذا هو السبب الثاني وهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب وهو أيضا سبب خطر عظيم في الخاتمة وأما السبب الثالث فهو الذي يعبر عنه بالفرح بالدنيا والركون اليها والاطمئنان بها وهو أيضا سبب خطر عظيم في الخاتمة وهو الذي أشار اليه بقوله تعالى ذلك بأنهم رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وقوله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا وكذبوا بلقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون وقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بلقاء ربهم ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا

ولا يخفى ما يستحقه من الحرى والسكال وأما الذى يثنى على الحب ويقدم على الله تعالى ندوم العبد نحس المشتاق الى مولاه الذى تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا فى لقائه فلا يخفى ما يليق من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام (وأما الحالة الثانية) التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار ولها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصى وقوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لان مقارفه المعاصى منها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما ألفه الانسان فى عمره بعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقاضى روحه عند مفارقة البدن غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى فتقيدها قلبه وتصير محجوبا عن الله تعالى فالذى لا يقارف الذنب الا نادرا بعيدة جدا عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو أبعد عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وفاسه بها أقرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ويعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى على ذى لب ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة وحتى ان المراهق الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة ما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والعكس بالعكس انما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع أقرب طول الامل أو بسبب آخر من الاسباب والموت شىء النوم ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من العشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب وأحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الامل طول الالف بالمعاصى وتطاعن بعضها بعضا بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما ينبغى ان الخاطر ينتقل من الشىء الى ما يناسبه اما بالمشابهة أو

وحرا (فلا يخفى ما يستحقه من الحرى والسكال) وأنواع الهوت (وأما الذى يثنى على الحب ويقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن) المطيع (المشتاق الى مولاه الذى تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار) من شدائدها (طمعا فى لقائه) ورضاه فى مشاهدته (فلا يخفى ما يليق به من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام وأما الحالة الثانية التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار ولها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصى وقوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لان مقارفه المعاصى) أى ملابستها (منها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما ألفه الانسان فى عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند موته فربما تقاضى روحه عند مفارقة البدن شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى فتقيدها قلبه وتصير محجوبا عن الله تعالى) فالشاغله بما تقيده به قلبه (والذى لا يقارف الذنب الا نادرا بعيدة جدا) أى نادرا جدا (عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو أبعد عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وفاسه بها أقرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ويعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى على ذى لب ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة وحتى ان المراهق الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة ما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والعكس بالعكس انما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع أقرب طول الامل أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبيه النوم ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من العشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب وأحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الامل طول الالف بالمعاصى وتطاعن بعضها بعضا بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما ينبغى ان الخاطر ينتقل من الشىء الى ما يناسبه اما بالمشابهة أو

و اما بالمصادفة و اما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه اما بالمشاهدة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر و اما بالمصادفة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا و يتأمل في شدة التفاوت بينهما و اما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس فتذكر آمس قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان و قد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء و لا يدري وجه مناسبته له و انما يكون ذلك بواسطة و واسطتين مثل أن ينتقل من شيء الى شيء ثان و منه الى شيء ثالث ثم ينسى الثاني و لا يكون بين الثالث و الاول مناسبة و لكن يكون بينه و بين الثاني مناسبة و بين الثاني و الاول مناسبة فكذلك الانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس و كذلك عند سكرات الموت لعلي هذا و العلم عند الله من كانت الخياطة أكثر أشغاله فلعل تراءى له في رأسه كأنه يأخذ ابرته بيمينه و يدس أصبعه في

بالمصادفة أو بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه اما بالمشاهدة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر) سواء كان مشابها له في حاله (و اما بالمصادفة فبان ينظر الى جميل و يتذكر قبيحا و يتأمل في شدة التفاوت بينهما) في الحال و الوصف (و أما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس) كان (قد رآه أمس قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان) بانتقال الخاطر اليه (و قد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء و لا يدري وجه مناسبته له و انما يكون ذلك بواسطة و بواسطتين) و أكثر (مثل أن ينتقل من شيء الى شيء ثان و منه الى ثالث ثم ينسى الثاني و لا يكون بين الثالث و الاول مناسبة) ظاهرة توجب انتقال الخاطر اليه (و لكن يكون بينه و بين الثاني مناسبة و بين الثاني و الاول مناسبة) اما قريبة أو بعيدة (فكذلك الانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس و كذلك عند سكرات الموت فان الخواطر تنتقل فيها في أمور بعضها مرتبط بالبعض بأسباب مختلفة و من أراد أن يكف خاطره من الانتقالات الى المعاصي و الشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في مطالعة نفسه عليها و في قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار (و المراد بطول العمر هنا معظمه و هو أيام السلوك حتى يتمرن على الصيام و القمع و الاعتكاف شطر عمره كله و به فتى يتفرغ بمعرفة الله تعالى) و يكون طول المواظبة على الخير و تحليه الفكر عن الشر عدة و حسيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه و يحشر على ما مات عليه (و كذلك نقل عن بقال) كان (انه كان يأتي عند الموت كلما تشهد فيقول خمسة أو ستة و كان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفكر فيه قبل الموت و قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تلألأ لا نور و لا ظلام يكون العبد على حال الا و هو يشاهد مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فرعا يرى نفسه على صورة معصية و كذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء و الخوف ما يجل عن الوصف) فقال صاحب القوت (و ما ذكره صحيح و سبب الرؤيا اصابة قريب من ذلك فان العالم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ و هو جزء من أجزاء النبوة) كما ورد ذلك في الخبر (فهذا يرجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب و اختلاج الخواطر و مقلب القلوب هو الله تعالى و الاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا و ان كان طول الالف فيه تأثير فهذا عالم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام الا أحوال الصالحين و أحوال الطاعات و العبادات عمر عليه ذلك) و لم يمكنه (و ان كان كثرة الصلاح و المواظبة عليه مما يؤثر فيه و لكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط و ان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب

الى المقراض و من أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي و الشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في مطالعة نفسه عليها و في قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار و يكون طول المواظبة على الخير و تحلية الفكر عن الشر عدة و حسيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه و يحشر على ما مات عليه و لذلك نقل عن بقال انه كان يأتي عند الموت كلما تشهد فيقول خمسة أو ستة و كان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفكر فيه قبل الموت و قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تلألأ لا نور و لا ظلام يكون العبد على حال الا و هو يشاهد مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فرعا يرى نفسه على صورة في الحياء و الخوف ما يجل عن الوصف و مذكره صحيح و سبب الرؤيا اصابة قريب من ذلك فان العالم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ و هي جزء من أجزاء النبوة فهذا يرجع جميع سوء الخاتمة الى أحوال القلب و اختلاج الخواطر و مقلب القلوب هو الله و الاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا و ان كان طول الالف فيه تأثير فهذا عالم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام الا أحوال الصالحين و أحوال الطاعات و العبادات عمر عليه ذلك و ان كانت كثرة الصلاح و المواظبة عليه مما يؤثر فيه و لكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط و ان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب

في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفضل بن محمد بن علي (بن رمدي) وهو على سرير وهو يملي ويدل مجمعة نسبة في قارمدقريبة طوس وهو من خراسان وشيخه وهو من أعظم الطريقة والحقيقة ممن لقيت لو عما روى عن محمد بن عبد الله بن منكو به الشيرازي وابن مسرور وعبد الغفار الفارسي وأبو الخير جامع الشفاء وتوفي طوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة وأولاده أبو العباس علي وأبو الفضل محمد وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء رحمه الله تعالى عني وحبب حسن أدب المريد شيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي أبي القاسم الكركاني ما قاله فقال حكيت لشيخي أبي القاسم) عبد الرحمن بن علي (الكركاني) الطوسي وكركان تعريب جرجان قال ياقوت في المشترك جميع العرب لا يقولونها إلا كاف وهي من طبرستان وخراسان وقيل من خراسان وقيل من طبرستان وتبعه أعلم اهـ وكان أبو علي الرودباري قد ساهر أبا القاسم الكركاني هذا وصحبه رحمه الله تعالى وقد تحدث عن كل من الفارمدي وأبي يوسف القناد وهما جميعا عن أبي القاسم الكركاني هذا وقد دفن الكركاني والقناد كلاهما في قرية طوس وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقشبندية والكركاني في الأحد طريقة من أحد هؤلاء عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي عن أبي الحسن علي بن أحمد الكاتب المصري عن أبي علي الرودباري عن الجنيد قدس الله تعالى روحه وعليه المدار في سند السلسلة إلى أحد من رواتها أبي بريد البسطامي عن رويم عن الجنيد (حدثني سيدي سلام المغربي رضي الله تعالى عنه قال حكيت لشيخي أبي القاسم الكركاني ما قاله الفارمدي فقال وأين كانت نفسك وقت كذا وكذا قال فتفكرت شهرا ولم يكمني وقال لولا أنه كان في باطنك تحوير المصالحة وإنكار ما تقوله لك الأماجري ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال أدق الأمور في الإنسان في مسامحة خلاف ما غلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي سمع بذكره في علم المعاملة من أسرار الخلعة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة) ولا يبين ذكره هنا (وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وترجح جميع العمر في طاعة الله عز وجل من غير معصية فإن كنت تعلم أن ذلك يحصل أو يصير فلا بد وأن يغلب عليك الخوف دعاءك على الغرور حتى يحول بينه وبين تكاسلك وبطالتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سكيه من تحول الأشياء وانقلاب الأحوال ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لمادة الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها صائرة إلى الخاتمة التي يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جدا وذلك كان مطرف بن عبد الله يقول إني لأتعجب ممن هلك كيف هلك ولكن أتعجب ممن نجا كيف نجا

وذلك قال حميد الطويل إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والإسلام تعجب الملائكة منه ويقولون كيف نجا هذا من دنيا مملوءة بالبلايا فيقول الله عز وجل فيقال نجا على الذنوب بما فيها إلا أنه مات على الإسلام وبما فيه من رحمتي وعفوي وكانت نجاته في لجة البحر وهبت عليه الرياح العاصفة

واضطربت الامواج كانت الخاتمة حقة ومن اهوالها وقلقها ومن أشد اضطرابا من السفينة وموج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وما مخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب ولا يبقى بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وانما يسبق بالخاتمة وقيل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف (٢٤٢) وقال سهل رأيت كأني أدخلت الجنة فرأيت ثلاثة نبي سألتهم ما أخوف ما تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاءة مكروها أما الموت بغتة فانه يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله لان يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال ولو بقي وجميع الشهوات عن القلب فلا يجتمع على صعب القتال موطنا نفسه على الموت لاجل الله وطلبا لمرضاته وثوابه واعراضا عن الدنيا وما فيها وبيع الذي يبيعه بانه اتفاق تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وبه نطق راعب عن البيع لاجله ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على قلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق رهوق الروح فيها وصف القتال سبب لرهوق الروح على من هذه حالته فهي بين يديه وتعلقه وتعلقه ليست باستحقاقه من الخاتمة هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاحاديث وما هو مخوف فيها مشتغل بالاستعداد لها والمواظبة على ذكر الله تعالى والخروج من قلبك حب الدنيا والحرص عن فعل المعاصي جوارحك وعن التفكر فيها قبلها والحذر عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك فان ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

الصيحة (واضطربت الامواج من سائر المواضع) (كانت الخاتمة في حقه العدم لهول مطلعه وقلب الهول وأشد اضطرابا من السفينة وموج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه الكتاب) تقدم الكلام عليه قريبا (ولا يخلو قوان بقلبه عما يوجب سوء الخاتمة) والروح يكون قريبا من الصدر (بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف) وفي القوت ولا يأتي في هذا المقدار من الوقت شيء من على الحس بالجوارح بل هو من أعمال القلوب بعد هذه بقوله وقوله الصيحة هو ما بين الحالتين وهذا من قبيل ما يعبر به عن حقيقة وجهة التوجيد الى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وقد يعلم بالمعقول وبدوه من الله ما لم يكن يحتسب (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (رأيت كأني أدخلت الجنة فرأيت) وعند القوت فلقيت فيها (ثلاثة نبي سألتهم ما أخوف ما تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة) أي الخاتمة من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يعطى له ولا عليه يوقف ولا نهاية لمكره لان مشيئته وحكمه لا راد له (ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاءة مكروها أما الموت بغتة فانه يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله لان يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال ولو بقي وجميع الشهوات عن القلب فلا يجتمع على صعب القتال موطنا نفسه على الموت لاجل الله وطلبا لمرضاته وثوابه واعراضا عن الدنيا وما فيها وبيع الذي يبيعه بانه اتفاق تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وبه نطق راعب عن البيع لاجله ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على قلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق رهوق الروح فيها وصف القتال سبب لرهوق الروح على من هذه حالته فهي بين يديه وتعلقه وتعلقه ليست باستحقاقه من الخاتمة هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاحاديث وما هو مخوف فيها مشتغل بالاستعداد لها والمواظبة على ذكر الله تعالى والخروج من قلبك حب الدنيا والحرص عن فعل المعاصي جوارحك وعن التفكر فيها قبلها والحذر عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك فان ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

الخامسة فاعلم ان كل نفس من أنفاسك خاتمة فيمكن ان تختم بغير وجه وان تراقب نفسك في كل نفس يقع لك انك لعل تلك النفسة خاتمة فيمكن أن تختم بها وجه هذا مادمت في نفسك وأما ادامتك فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضيعة الا ثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وبه لا يبعث في النوم الا ما كان عليه في نومك ولا يبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك في يومك والموت والبعث شبيه بالنوم وبيقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان (٢٤٣) عليه في نومه وكذلك يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقين ان الموت والبعث حالتان من أحوالك كالنوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد ان لم يكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أعمالك وخطراتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فان فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل والناس كلهم هلكى الا العلماء والعلماء كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك مصطركا راله ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك فلا فرق بين ادخال الطعام في الفم واخراجه وبين الخلاء وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها فاعلم ان كان همتك ما يدخل بطنك فهمتك ما يخرج من بطنك هكذا قرره الحكماء (واذا لم يكن قصدك من طعامك الا التقوي على عبادة الله) وطاعته (كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظاهر في ثلاثة أمور من ما كولك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله ان يكتفي في اليوم والليلة) وهما أربع وعشرون ساعة (مرة واحدة) ويكون ذلك وقت غروب الشمس (فيوا ظب على الصوم وأما قدره فبان لا يزيد على ثلث الجوع) فكان ورد ذلك في الجوع (وأما جنسه فان لا يتأنق الدنس) ولا يتيسر (فان قدرت على هذه الثلاث وحفظت عليك مؤنة الشهوات التي اذا قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات) والمحرمات (وأمكنك ان لا تأكل الا من حلال فهو الحلال بعينه) أي بقال (وجد به و) اذا وجدته (فاته (الا بقي لجميع الشهوات) والملذات (وأما مسكنك فليكن بحيث يمنعك الحر والبرد وستر العورة

(كل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلب غيره فضول يصيح فعوده ويلزمك شغل الدائم والدعاء الدائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك وكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في حساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلم أطعمه من الحرام وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفلك السماء سقفا والارض مستقر فان عيبت حر أو برد فعليك بباب أو بيت مسكته صاعدا عن عينك وانصرف بقية عمرك وعمرك هو ما عنك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا (٢٤٤) بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخشنت ترفع الخطاب وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يعز فيها مناد وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها عرفت الله وقدرت على التزود للآخرة والاستعداد لحائلك وان جاوزت حد الضرورة الى أودية الامانى تشعبت همومك وطال في الله وفي الناس حسابك وهذا هو الفرق بين أهل الكمال وبين هذه الفضيحة ممن هو أخرج الى الفضيحة منك وأعرى منك ومنع تدبير والتزود والاحتياط وهذا هو القصير فاذا دعته نفسه الى تسويف أو غفلت اختلفت لحظة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه بضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تحويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما توجون بريك بعض القساوة عن سبيلك فلعلك تتحقق بعقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكاشفتك فتأمل مع كمال بصيرتك وعمرك عن قليل في أحوالهم تشتد همومهم الخوف وطال حزنهم وبكاؤهم حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا عروان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان الخوف عاطلين مثل الحجارة) في شدتها وصلابتها (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبياء عليهم السلام في الخوف)

(روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائم التغير لهواه وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله) قال العراقي متفق عليه من

(كل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلب غيره فضول يصيح فعوده ويلزمك شغل الدائم والدعاء الدائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك وكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في حساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلم أطعمه من الحرام أو لباسه من الحرير وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفلك السماء سقفا والارض مستقرا فان عيبت حر أو برد فعليك بباب أو بيت مسكته صاعدا عن عينك وانصرف بقية عمرك وعمرك هو ما عنك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخشنت ترفع الخطاب وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يعز فيها مناد وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها عرفت الله وقدرت على التزود للآخرة والاستعداد لحائلك وان جاوزت حد الضرورة الى أودية الامانى تشعبت همومك وطال في الله وفي الناس حسابك وهذا هو الفرق بين أهل الكمال وبين هذه الفضيحة ممن هو أخرج الى الفضيحة منك وأعرى منك ومنع تدبير والتزود والاحتياط وهذا هو القصير فاذا دعته نفسه الى تسويف أو غفلت اختلفت لحظة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه بضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تحويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما توجون بريك بعض القساوة عن سبيلك فلعلك تتحقق بعقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكاشفتك فتأمل مع كمال بصيرتك وعمرك عن قليل في أحوالهم تشتد همومهم الخوف وطال حزنهم وبكاؤهم حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا عروان كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان الخوف عاطلين مثل الحجارة) في شدتها وصلابتها (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبياء عليهم السلام في الخوف)

(روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائم التغير لهواه وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله) قال العراقي متفق عليه من

حديثها (وقد أصلى الله عليه وسلم) آية (في سورة الواقعة وصعق) رواه الحاكم وغيره من حديث ابن عمر بن شيبة كذا في الفتوحات قال العراقي المعروف فيما روى من هذه القصة انه قرئ عليه ان الذين أسكالا وعملوا الصالحات فاغمي عليه وهذا ان ثبت صعق كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلا وهكذا ذكره الصنف على حدة في كتاب السماع وقد تقدم (وقال الله عز وجل وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالافق فصعق) قال العراقي روى البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ان يراه في صورته فقال ادع ربك فدعاه فطلع عليه من قبل المشرق فسد عظمه الافق ثم قال ويشير فلما رآه صعق ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلا بلفظ فغشي عليه وفي الصحيحين من حديث عائشة رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له ستمائة جناح (وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل) رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السماع (وقال صلى الله عليه وسلم ما عرفني جبريل قط الا وهو يرعد فرائصه من الجبار) وفي بعض النسخ الا وهو ترعد فرائصه من الجبار قال العراقي لم أجد له هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال ان جبريل عليه السلام يوم القيامة آخذ بيدي الجبار يهزني وتعالى ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله الحديث ورواه تميل بن سهل الخشني مختصرا في معرفة الصحابة قلت ومحط الشمس الداودي أصله أبو زميل سماك بن الوليد الراوي عن ابن عباس عند مسلم وغيره (وقيل لما ظهر على النبي ما ظهر طعن جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله اليهما ما يبكيكما يبكيان كل هذا البكاء فقالا يا ربنا ما أمنا مكرك فقال الله عز وجل هكذا كونوا لا تأمنا مكري) وتقدم قريبا ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما لم يكن وقد أمنتكما فقالا وما يأمن مكرك وتقدم انه من حديث عمر عند الطبراني في الاوسط (وعن) أبي بكر (محمد بن المنكدر) ابن عبد التيمي انه قال (ما خلقت النار طارت فئدة الملائكة من مخافتها خلق بني آدم عادت) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة طاوس من كلامه بلفظ فما خلق آدم عليه السلام سكنت (وعن أنس) رضي الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام مالي لا أرى ميكائيل يضحك فقال جبريل) عليه السلام (ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار) قال العراقي رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلا ورد ذلك بصحة حق اسرافيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (ويقال ان الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وقال ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجد ولو سألت ربي لاعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق سنتهم وبضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا) من مكاننا (ولا قمنا حتى نزلت) هذه الآية (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكثرة المال ولا باتباع الشهوات من كثرة ما تريدون جبة

جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على النبي ما ظهر طعن جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله اليهما ما يبكيكما يبكيان كل هذا البكاء فقالا يا ربنا ما أمنا مكرك فقال الله تعالى هكذا كونوا لا تأمنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من تلقائها فلما خلق بنو آدم عادت وعن أنس انه عليه السلام سأل جبريل ما لي لا أرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجد ولو سألت ربي لاعطاني ملك قيصر وكسرى

ة ولا الجبابة بيد الله الاولى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أحبار (قال لعبد) قال لعبد في رواية ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية وجيه لم يسمع من ابن عمر قال البيهقي هذا اسناد مجهول والجراح ابن منهال ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن أبي حاتم في تفسيريهما وابن عساكر في التاريخ كلهم من هذا الطريق (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى على رأسه فقيل يا داود أجائع أنت فنطعم أم عار فنكسى أم مظلوم فننتصر) أي صرخ صرخة (هاج) أي يبس منها (العود فاحترق من خوفه ثم أرسل الله عليه التوبة والمغفرة فقال رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب لا رآها فاكته فكان يؤتى بالقدح ثلاثة أيام فاذا تناوله أبصر خطيئته فيرصعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر باطول مما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وأربعين ليلة وكانت خطيئته في يده ينظر اليها بكيا لا يعمل حتى نبت البقل حوله من دموعه على رأسه فقيل يا داود أجائع فنطعم أم عار فنكسى أم مظلوم فننتصر قال فضرب جبهة هاج ما أبقاه من البقل حين لم يذكر ربه فعند ذلك غفر الله له ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير باطول وأصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من حول ما على رأسه ثم نادى ربه فرح الجبين وحدث الاعين وداود لم يرجع اليه في خطيئته شيء فنودي يا جائع فنطعم أو مريض فنشفي أو مظلوم فينتصر لك فضرب بجبهته هاج كل شيء نبت بعد ذلك عشبه وكان وثني بالاء فيشرب فيذكر خطيئته فيغضب فتكاد مفاصله تزول بعضها من بعض فما يشرب بعض الاناء حتى علا من دموعه ورواه أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال سجد داود أربعين ليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة حتى يبس وفرحت جبهته وكفاه وركبتاه ورواه الحاكم وابن جرير عن السدي قال مكث داود ساجدا أربعين يوما يبكي لا يرفع رأسه الا لحاجة ثم يقع ساجدا يبكي حتى نبت العشب من دموع عينيه فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك ورواه أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ان داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه ثم قال فرح الجبين ورفع الدمع خطيئتي على كما هي فنودي ان يا داود أجائع فنطعم أم مظلوم فينتصر لك فضرب بجبهته هاج ما هناك من الخضرة فعند ذلك ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن عبيد الله بن عمير الليثي ان داود سجد حتى نبت ما حوله خضرا من دموعه فأوحى الله اليه ان يا داود أتريدان أريدك في مالك وعمرك فقال يا رب أهذا تريد علي أتريدان تعطرني ورواه عبد بن حميد عن كعب قال سجد داود لربه أربعين يوما وأربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رفا معه يبس فكان من آخر عامه وهو ساجد ان قال يا رب رزقتني لعابية فسألتك عنها فلما ابتليتني لم أصبر فان تعذبني فانا أهل ذلك وان تغفر لي فانت أهل ذلك وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة بعد ما بين المشرق والمغرب وان لم ترحم ضعف داود وتغفر له جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعدي الحديث وروى أحمد والحكيم وابن جرير عن عطاء الخراساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته في وثيقة في كفه (وروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة (الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل) رواه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق عطاء السائب عن أبي عبد الله الجدلي وروى ابن جرير والحاكم عن السدي انه ما استطاع بعد الخطيئة ان يملأ عينيه من

السماء

ة ولا الجبابة بيد الله الاولى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أحبار (قال لعبد) قال لعبد في رواية ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية وجيه لم يسمع من ابن عمر قال البيهقي هذا اسناد مجهول والجراح ابن منهال ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن أبي حاتم في تفسيريهما وابن عساكر في التاريخ كلهم من هذا الطريق (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى على رأسه فقيل يا داود أجائع أنت فنطعم أم عار فنكسى أم مظلوم فننتصر) أي صرخ صرخة (هاج) أي يبس منها (العود فاحترق من خوفه ثم أرسل الله عليه التوبة والمغفرة فقال رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب لا رآها فاكته فكان يؤتى بالقدح ثلاثة أيام فاذا تناوله أبصر خطيئته فيرصعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر باطول مما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وأربعين ليلة وكانت خطيئته في يده ينظر اليها بكيا لا يعمل حتى نبت البقل حوله من دموعه على رأسه فقيل يا داود أجائع فنطعم أم عار فنكسى أم مظلوم فننتصر قال فضرب جبهة هاج ما أبقاه من البقل حين لم يذكر ربه فعند ذلك غفر الله له ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير باطول وأصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من حول ما على رأسه ثم نادى ربه فرح الجبين وحدث الاعين وداود لم يرجع اليه في خطيئته شيء فنودي يا جائع فنطعم أو مريض فنشفي أو مظلوم فينتصر لك فضرب بجبهته هاج كل شيء نبت بعد ذلك عشبه وكان وثني بالاء فيشرب فيذكر خطيئته فيغضب فتكاد مفاصله تزول بعضها من بعض فما يشرب بعض الاناء حتى علا من دموعه ورواه أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال سجد داود أربعين ليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة حتى يبس وفرحت جبهته وكفاه وركبتاه ورواه الحاكم وابن جرير عن السدي قال مكث داود ساجدا أربعين يوما يبكي لا يرفع رأسه الا لحاجة ثم يقع ساجدا يبكي حتى نبت العشب من دموع عينيه فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك ورواه أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ان داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه ثم قال فرح الجبين ورفع الدمع خطيئتي على كما هي فنودي ان يا داود أجائع فنطعم أم مظلوم فينتصر لك فضرب بجبهته هاج ما هناك من الخضرة فعند ذلك ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن عبيد الله بن عمير الليثي ان داود سجد حتى نبت ما حوله خضرا من دموعه فأوحى الله اليه ان يا داود أتريدان أريدك في مالك وعمرك فقال يا رب أهذا تريد علي أتريدان تعطرني ورواه عبد بن حميد عن كعب قال سجد داود لربه أربعين يوما وأربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رفا معه يبس فكان من آخر عامه وهو ساجد ان قال يا رب رزقتني لعابية فسألتك عنها فلما ابتليتني لم أصبر فان تعذبني فانا أهل ذلك وان تغفر لي فانت أهل ذلك وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة بعد ما بين المشرق والمغرب وان لم ترحم ضعف داود وتغفر له جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعدي الحديث وروى أحمد والحكيم وابن جرير عن عطاء الخراساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته في وثيقة في كفه (وروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة (الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل) رواه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق عطاء السائب عن أبي عبد الله الجدلي وروى ابن جرير والحاكم عن السدي انه ما استطاع بعد الخطيئة ان يملأ عينيه من

رفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل

وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك رددت الي روحي سجدتك الهي ثبت طيء عبادك اليك داود خطيئتي فكلهم عليك يدلي فمؤسلك للقاطعين من رحمتك * وقال ابو فصيل يعني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه يوم توشب صار رخاما واصطاده على رأسه حتى خر مغشيا عليه فلما افاق رجع ولا يريد كم انى أريد كل بكاء على خطيئته الا يستقيني الا بكاء ومن لم يكن دأبه خطيئة فسيصنع داود لخطاه وكان يعاتب في كثرة البكاء ويقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق لعدم واشتعال الحشى وقيل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم (٢٤٧) ويفعلون ما يؤمرون وقد عد العزيز بن عمر

السماء حياء من ربه عز وجل حتى قبض (وكان) عليه السلام (يقوم في صلاته) سجدتك (الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك رددت الي روحي سجدتك الهي ثبت أطباء عبادك اليك داود خطيئتي فكلهم عليك يدلي فمؤسلك للقاطعين من رحمتك) رواه أحمد في الزهد عن عثمان بن أبي العتبة قال كان من دعاء داود عليه السلام ذكره (وقال ابو فصيل) بن عياض رحمه الله تعالى (يعني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذاب يوم توشب صار رخاما واصطاده على رأسه حتى خر مغشيا عليه فلما افاق رجع ولا يريد كم انى أريد كل بكاء على خطيئته الا يستقيني الا بكاء ومن لم يكن دأبه خطيئة فسيصنع داود لخطاه) رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين (وكان عليه السلام (يعاتب في كثرة البكاء ويقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق لعدم واشتعال الحشى وقيل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن اسمعيل بن عبيد الله عن أبي الدهماء ان داود النبي عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فذكره لابنه قال واشتعال للحشى بدل لحشى ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (وقال عبد العزيز بن عمر) بن عبد العزيز بن مروان الاموي أبو محمد المدني نزيل البصرة صدوق ماب في حدود الخمسين روى له الجماعة (لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي عن صلاة الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه وكثر بكاؤه وشتد غمه قال يارب أما ترحم بكائي فاوحى الله اليه يا داود بيت ذنبك وذكرك كاملا فقال الهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت اذا بلغت لربوركب الماء الجاري من حريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش لي بحراي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود قد انسيتك ذنبك وذكرت

ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه يأخذ في ثناء على ربه فيصعقون باكين صراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطوائف من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة فيموت من كل نوع طائفة وعلى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فلما رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وأماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك اذ أداه بعض عباد بني اسرائيل يد ودبجلت بطلب الحراء على رجليه فلما فرغ داود معتمدا عليه فأطرق سليمان الى ما أصابه أتى بسريره فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فجاء الذين كانوا معه فقدموا ذكر النار والجنة فلما ذكرت النار بكت المرأة التي بسرير فتحمل قريبها) عليه (وتقول ممن قلة ذكر النار معي قلة خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا اله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه ويتعبد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه فرص من شعير ويقول يا نفس تقوتي بهذا على ما تريدين فتأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكونون بهم

وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم ناشرا يعني بهم ويحدثهم فخرج في ثلاثين ألف نفس منهم ثلاثون ألفا ومائتا رجل وخرج الاعشرة آلاف رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (قال يزيد (وكان له) عليه السلام (حمران اتخذهما حتى اذا ساءه الخوف وسقطا فاصطربا فعدنا على صدره وعلى رجليه فخافا أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت) وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق ثابت عن صفوان بن عمرو قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يثبتها الا الله فاذا ذكر رحمته تراجعت (وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان عشرة سنة فخرج ومعه الى عباد الله قد لبسوا مدارع الشعر والصوف) وهي الجبة منه صيغة للحكمين (ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي) جمع ترقوة وهي عظم الرقبة (وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس فساءه ذلك) لانه لم يكن رأى قبل ذلك مثله (فرجع الى أبويه فرأى صبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم أخلق للعب فقال أبوه صدقت الهمك يا بني مدارع الشعر فلبسها ورجع الى بيت المقدس وكان يحدث نفسه بالنار ويضع قدميه ليلا) أي يسرح (حتى أثرت عليه خمس عشرة سنة فخرج) هاربا (ولزم أطواد الارض) أي جبالها (وغيران الشعاب) جمع غور وهي المنخفض من الارض والشعاب الطرق بين

ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه يأخذ في ثناء على ربه فيصعقون باكين صراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطوائف من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة) وشدائدها (وعلى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فلما رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وأماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء) لنفسه (فبينما هو كذلك اذ أداه بعض عباد بني اسرائيل يد ودبجلت بطلب الحراء على رجليه فلما فرغ داود معتمدا عليه فأطرق سليمان الى ما أصابه أتى بسريره فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فجاء الذين كانوا معه فقدموا ذكر النار والجنة فلما ذكرت النار بكت المرأة التي بسرير فتحمل قريبها) عليه (وتقول ممن قلة ذكر النار معي قلة خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا اله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه ويتعبد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه فرص من شعير ويقول يا نفس تقوتي بهذا على ما تريدين فتأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكونون بهم

وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم ناشرا يعني بهم ويحدثهم فخرج في ثلاثين ألف نفس منهم ثلاثون ألفا ومائتا رجل وخرج الاعشرة آلاف رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (قال يزيد (وكان له) عليه السلام (حمران اتخذهما حتى اذا ساءه الخوف وسقطا فاصطربا فعدنا على صدره وعلى رجليه فخافا أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت) وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق ثابت عن صفوان بن عمرو قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يثبتها الا الله فاذا ذكر رحمته تراجعت (وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان عشرة سنة فخرج ومعه الى عباد الله قد لبسوا مدارع الشعر والصوف) وهي الجبة منه صيغة للحكمين (ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي) جمع ترقوة وهي عظم الرقبة (وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس فساءه ذلك) لانه لم يكن رأى قبل ذلك مثله (فرجع الى أبويه فرأى صبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم أخلق للعب فقال أبوه صدقت الهمك يا بني مدارع الشعر فلبسها ورجع الى بيت المقدس وكان يحدث نفسه بالنار ويضع قدميه ليلا) أي يسرح (حتى أثرت عليه خمس عشرة سنة فخرج) هاربا (ولزم أطواد الارض) أي جبالها (وغيران الشعاب) جمع غور وهي المنخفض من الارض والشعاب الطرق بين

الجبال

عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان عشرة سنة فخرج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس فساءه ذلك فرجع الى أبويه فرأى صبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم أخلق للعب فقال أبوه صدقت الهمك يا بني مدارع الشعر فلبسها ورجع الى بيت المقدس وكان يحدث نفسه بالنار ويضع قدميه ليلا حتى أثرت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الارض وغيران

الشعاب فخرج أواه فى طلبه فادركه على بحيرة الاردن وقد وقع وجهه فى الماء حتى كاد يغطس يشربه ويقول وعزتك وجلالك لا أذوق باردا الشراب حتى أعلم أين مكانى منك فسأله أواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فدرج بالبر فرده أواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام بكائه حتى يعمى عليه فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه مالى لا أراك تبكى هذا البكاء قط فلعله نبا نورى به أضراسك عن الناظرين فقد لهم فعمدت الى مطعنى لوود فالصقتها على خديه فكان اذا قام يصلى بكى فاذا سقطت دموعه فى المطعنين أتت به أمه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال اللهم هذه دموعى وهذه أنا وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يا بنى اذا سألت ربى أن يهبك لى فتقر عينى لك فقال يحيى يا أبت ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الحفرة والمدرة ما لا يقدرها الا الله كفاك ذكريا عليه السلام يا بنى فابك * وقال المسيح عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس بورثان الصبر على المشقة والبعد عن الدنيا بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى حب الفردوس قليل * وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا ذكر خطيئته يعنى عليه ويسمع اضطرابه قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت حتى لحاجبين انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت حتى لحاجبين (شرح أواه فى طلبه فادركه على بحيرة الاردن) وهى على ميل من بيت المقدس (وقد وقع وجهه فى الماء حتى كاد العطش يبلغه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أذوق باردا الشراب حتى أعلم أين مكانى منك فسأله أواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فدرج بالبر) يعنى فى قوله تعالى وبرا بوالديه أى كان لا يعصيهما (فرده أواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلى بكى حتى تبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام بكائه حتى يعمى عليه فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خديه) أى شقته (وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه مالى لا أراك تبكى هذا البكاء قط فلعله نبا نورى به أضراسك عن الناظرين فقد لهم فعمدت الى مطعنى لوود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلى بكى فاذا سقطت دموعه فى المطعنين أتت به أمه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال اللهم هذه دموعى وهذه أنا وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يا بنى اذا سألت ربى أن يهبك لى فتقر عينى لك فقال يحيى يا أبت ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الحفرة والمدرة ما لا يقدرها الا الله كفاك ذكريا عليه السلام يا بنى فابك * وقال المسيح عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس بورثان الصبر على المشقة والبعد عن الدنيا بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى حب الفردوس قليل) وقد أخرجه ابن عساكر فى ترجمة مالك بلفظ أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل فى حب الفردوس (وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه اذا ذكر خطيئته يعنى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل) عليه السلام (فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت حتى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين فهذه

أحوال الانبياء عليهم السلام ودرس وتأمل فيها تعرف حق الله تعالى وصفاته) ونفس نفسك وتأمل في القصور عن حقوق درجاتهم (صلوات الله) وسلامه (عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفى وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل)

(بيان أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم الصالحين في شدة الخوف)

روى أن أبا بكر (الصديق رضي الله عنه قال) يوما (ليتني طائر ذا جناحين) وقيل ثلاث (وليتني لم أخلق بشرا) وقيل صاحب القوت (وقال أبو ذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد) كذا في القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبي ذر قال والله لو علمتم ما أعلم ما بسطتم إلى نسائكم ولا تقررتم على فرشكم والله لوددت أن الله خلقني يوم خلق شجرة تعضد وقيل (وكذا قال طلحة) بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة وسقط القوت وقول طلحة وددت (لم أخلق (وقال عثمان رضي الله عنه وددت إني إذا مت لم أبعث) كذا في القوت وروى ذلك عن ابن مسعود قال صاحب الحلية أسنده عن مسروق قال رجل عند عبد الله ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب إلي قال فقال عبد الله بل كن ههنا رجلا وذلك إذا ما لم يبعث يعني بعد الموت وفي لفظ لاحمد من طريق عبد الله بن الزبير قال سمعت أبي قال سمعت عثمان رضي الله عنه قال لوددت أني كبش فسمني قومي فأكلوا لحمي وحسوا مرقي ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاحترت أن أكون رمادا فقيل إن أعلم أيتهما أصير وفي الحلية من طريق بسري بن يحيى عن الحسن قال قال ابن مسعود لو وقفت بين الجنة والنار وقيل لي اختر فاخترت أيهما تكون أحب إليك ثم أكون رمادا لاخترت أن أكون رمادا (وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت) حيضة (سقطا) كذا في القوت (وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن فمكث بعد أياما) رواه هشام عن الحسن بسقط أن عمر كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويعاد ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عثمان عن جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن وفيه كان عمر يمر بالآية في ورده فتخفقه لعبرة فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته فيمكث يعاد يحسبونه مريضا (وأخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أك شيأ مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا ليتني لم تلدني أمي) رواه شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة بن عامر بن ربيعة وقطعا أحد عربية فقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أخلق ليتني لم أك شيأ وفي لفظ رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ليتني لم أك شيأ ليت أمي لم تلدني ليتني كنت نسيا منسيا (وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من) كثرة (الدموع) رواه صاحب الحلية من طريق عبد الله بن عيسى قال كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء (وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون) رواه صاحب الحلية عن محمد بن علي بن حبيش حدثنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا نوح بن نصر الخزاز حدثنا بقية عن أرهير بن ذهم عن أبي عبد الله قال قال عمر من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ومن طريق أحمد بن علي الابار حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا بقية فقال في حديثه عن أبي عبد الله الحراسي وفيه من اتقى الله لم يقل كما تصنع فلان وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه وقد تقدم (ولما قرأ عمر رضي الله عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومرض يوما يعاد من المسلمين وهو يصلي وقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع) نزل عن حماره واعتمد إلى حائط ومكث زمانا) يتأمل فيه (ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده

عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل*(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف)*روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال أبو ذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد وكذلك قال مقداد وقال عثمان رضي الله عنه وددت إني إذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيا منسيا وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن فمكث يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض وقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أك شيأ مذكورا ليتني كنت نسيا منسيا ليتني لم تلدني أمي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومرض يوما يعاد وهو يصلي وقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واعتمد إلى حائط ومكث زمانا ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده

الناس ولا يبالون ما مر صه وقال علي كرم الله وجهه وقد سمع صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده مقدرت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا عميا بين أعينهم مثل ركب المعزى وقد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم وقد أصبحوا ذكروا الله فماروا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين وددت أن أكون رمادا تسفي الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما دوما أصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم وقال موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وفر أمضر القارئ وما هذا كلنا يطيق عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه فلما أفاق قال وعزتك لا عصيتك

(الناس ولا يبالون ما مر صه) ومثل هذا من أحوال عمر رضي الله عنه معروف روى ابن سعد عن ابن أبي مليكة أخبرني عقبة بن وهب قال كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة سورة يوسف وأنا في مؤخر الصف حتى إذا كرر يوسف سمعت نشيجه وعن عبد الله بن شداد قال سمعت عمر يقرأ في الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه وأنا في آخر الصف وهو يقرأ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن ابن عمر قال سمعت حنين عمر من وراء ثلاث صفوف (وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة العصر وقد علاه كآبة) أي تغير لون من هم (وهو يقلب يده) متحيرا (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا عميا بين أعينهم مثل ركب المعزى) أي من أثر السجود (وقد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم وقد أصبحوا ذكروا الله فماروا) أي اهتزوا (كما تميد الشجرة في يوم الريح) أي تهتز بشدة وتميل (وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين) أي عن ذكر الله تعالى (ثم قام) من موضعه (فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم) عبد الرحمن رادي رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قالا حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا محمد بن زيد أبو هاشم حدثنا المحاربي عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدي عن أبي ركين قال صلى علي لغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس فدرج كان عليه كآبة ثم قال لقد رأيت نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح هملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين (وقال عمران بن حصين) رضي الله عنه (وددت أني أكون رمادا تسفي الرياح في يوم عاصف) وقد روى مثل ذلك عن ابن مسعود قال ليتني أكون رمادا وفي رواية عنه ليتني كنت عرة بيتي لم أك شيأ وقد تقدم قريبا (وقال أبو عبيدة) عامر (بن الجراح) رضي الله عنه (وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي) هذا قد روي عن عمر رضي الله عنه رواه هناد في الزهد من طريق الصحاك قال قال عمر ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون رأوا بعض من يعجبهم فعملوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فاخرجوني عذرة ولم أك بشرا (وكان زين العابدين (علي) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء أفيقول تدرون بين يدي من أريد أن أقوم) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا العلائي حدثنا أبي قال كان علي بن الحسين دائم الورع من وصوئه وصلاته حدثه رجل وصحبه فقيل له في ذلك فقال ويحكم تدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي وقد روى مثل ذلك عن عطاء السليمي أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال موسى بن مسعود) أبو حذيفة النهدي البصري قال العجلي ثقة صدوق وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال صدوق معروف بالثوري وقيل إن الثوري تزوج أمه لما مات أبوه الصرفيات سنة عشرين ومائتين وله اثنتان وثمانون سنة روى عنه البخاري وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه (كنا إذا جلسنا إلى) سفيان (الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقرأ مضر القارئ يوما) قوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه فلما أفاق قال وعزتك لا عصيتك حيدي أيدا فاعني بتوفيقك على طاعتك) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا علي بن سعيد حدثنا محمد بن إدريس حدثنا عبد الله بن عبيد عن مضر القارئ قال سمعت عبد الواحد بن زيد يقول

وكان لمسور بن مخرمة لا يقوى على سماع شيء من القرآن لشدة خوفه وقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما حتى تقضي عليه وحسبك من جنس مقر عليه يوم (٢٥٢) يحشر المتقين إلى الرحمن وفداً وسوق المجرمين إلى جهنم وردا فقال أيامن مجرمين وستة من المتقين أعد على القول أيها القارئ فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر بعد من أطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بعجوز متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم شهوة قد هجمت لذتها يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتكرر ذلك مقالتها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول هلكت هلكت مالك كأنما سمعه وروى أن ابن عقيل رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى احترقه حتى إذا كاد الشمس تغرب نهض على ركبته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسوأتاه إن عفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف مرجفة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله وقوفنا وعنه أيضا رضي الله عنه سئل عن الخائفين من صفاته (ومر الحسن) البصري رحمه الله تعالى (بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط فقال لا قال فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار فقال لا

وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله وقوفنا وعنه أيضا رضي الله عنه سئل عن الخائفين من صفاته (ومر الحسن) البصري رحمه الله تعالى (بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط فقال لا قال فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار فقال لا

قال شاهدا صحيحا قال فما رؤى ذلك العتبى بعدها ضاحكا كان حماد بن عمرو اذا جلس مجلسا مشهورا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن اذا عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (انما جعل الله هذه العقلة فى قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصرى رحمه الله تعالى (بقدر ما همت اذا أمرت آمرهم ان يقيدونى و يغلونى ثم ينطلقوا بى الى ربى كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده) وبقدر الحلية لقد هممت ان آمر اذا مت فاعل وأدفع الى ربى معقولا كما يدفع العبد الآبق الى مولاه رواه عن أبى بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد حدثنى عبد الله بن عمر الفور رى حدثنا محمد بن سليمان قال قال مالك بن دينار فساقه (وقال حاتم) بن علوان (الاصم) رحمه الله تعالى (لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقى آدم عليه السلام فيها مالقى) أى من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب اكله منها (ولا تغتر بكثرة العدد فقد كان الناس بعد طول تعبده) حتى كان يلقب بطاوس الملائكة (بقى مالقى) من اللعن والطرد بسبب انكسر (ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام) بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم) هذا هو المشهور وقال بعضهم بل كان أوتى العلم (فما درى ما لقى) من الانسلاخ عن الآيات وكان علمه هذا كما قال تعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها (ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكثر رؤية عبد الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم) مع ذلك (لم ينتفع بلفائه قاربه وأعداؤه) مع كمال قربهم اليه قاله القشيرى فى الرسالة (وقال البسرى) بن الحسين السنة على رحمه الله تعالى (انى لأنظر الى أبى كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهى) نقله القشيرى فى الرسالة باهذا كما وكرر مرة مخافة ان يكون قد اسود لما أحدثه من العقوبة هكذا أورده فى باب الخوف وذكر فى ترجمته من قوت القلوب انه كان يتعاهد وجهه عيرأنه (وقال أبو حفص) عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى بيساوري من كبار الائمة ترجم له القشيرى فى الرسالة وقال مات سنة بضع وستين ومائتين (منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى ان الله ناظر الى نظر السخط) ولفظ (وأنا الى نظر الى ذلك) أى لكثرة الغفلات وسوء الادب فى المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق نقله القشيرى فى الرسالة (وخرج) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (يوما على أصحابه فقال لهم انى قد اجترأت البارحة) على الله حيث (سألته الجنة) وأنا حقير فى نفسى ولا تصلح لى الا سؤاله وكان حتى استعيد من نظائره القشيرى فى الرسالة (وقال) أبو محمد بن كعب ابن سليم بن عمرو بن الناس بن قرظة (القرظى) المدنى من حلفاء الاوس وكان أبوه من سبى قريظة سكن الكوفة ثم تحول الى المدينة فسكنها قال ابن سعد كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا مات سنة ثمان ومائة روى له الجماعة (لابنها) المذكور (يا بنى انى أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانت أحدثت حدثا مريبا) أى ادبت دنيا مهلكا (لما أراك تصنع فى ليلك ونهارك) أى من الاجتهاد فى العبادة والبكاء من الخوف (قال) محمد (يا أماه مايؤمنك ان يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبى فمقتنى وقال وعزتى لا غفرت لك رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى كثير البصرى قال قالت أم محمد بن كعب لمحمد يا بنى لولا انى أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت ان اذنبت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أماه ومايؤمنى أن يكون الله عز وجل اطلع على وأنا فى بعض ذنوبى فمقتنى وقال اذهب لا أغفر لك مع ان عجائب القرآن تردنى على ثم ورحتى انه ليقضى الليل ولم أفرغ من ساحتى (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (انى لأعطى بياض يومى سلا ولا ملكا مقربا ولا نبيا

يا بنى انى أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك أحدثت حدثا موبقا لما أراك تصنع فى ليلك ونهارك فقال يا أماه مايؤمنى أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبى فمقتنى وقال وعزتى وجلالى لا غفرت لك وقال الفضيل انى لأعطى بياض يومى سلا ولا ملكا مقربا ولا نبيا

صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة) أى يشاهدون (أهو بهم (عما أعطاهم الله تحقيق) قال أبو نعيم فى
حلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنى محمد بن عيسى عن
فضيل بن عياض قال ما أعطى الله عبدا مقربا ولا نبيا مرسلا يعاين القيامة وأهوالها أعد الامن لم يكن شيأ
(وروى ان فتى من الانصار دخلته حشية الله فكان يبكى حتى حسبه ذلك فى السبب) أى عن حضور الجماعة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه) وكشف له عن
خبر ما كان سبب ربه تعالى فلم يحتمله (فقرينا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان
الفرق من النار) أى الخوف منها (فمات مكانه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين
من حديث حذيفة والبيهقى فى الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيهما نظر (وروى عن)
ميسرة (بن أبى ميسرة) عمرو بن شرحبيل الهمدانى الكوفى (انه كان اذا أوى الى فراشه يقول بالليت
أمى لم تلدنى وفاتت به أمه ميسرة ان الله تعالى قد أحسن الينا) حيث
(هدانا للاسلام قال أحل وبكى الله قد بين لنا موارد النار) وهو قوله تعالى وان منكم الاواردها
كان على ربك حتما مقضيا (ولم يبين لنا مصادرنا عنها) أى فهذا سبب خوفى منها (وقيل لفرقد) بن
يعقوب (السبخى) بفتح المهملة وسكون الموحدة وبخاء معجمة نسبة لسبخة نصرى محدث بغداد مات سنة احدى
وثلاثين روى له الترمذى وابن ماجه (أخبرنا) ما أبا يعقوب (ما أعجب شئ بلغك عن بنى اسرائيل قال بلغنى
انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء عليهن الصوف والمسوح) يتعبدن لله عز وجل (فذكرن
ثواب الله وعقابه فبكين جميعا فى يوم واحد) أى غلب عليهن الخوف فبكت كبدهن من وهكذا شأن خوف
وأخلص من العلماء العاملين بعلمه (وكان عطاء السلمى) بضم المهملة وكسر اللام نسبة الى سليمة بن مالك
بن فهم بطن من الازد راهد مشهور يقال له عطاء الخير أيضا (من الخائفين) المشهورين بالخوف حتى
قيل انه كان أكثر الناس خوفا وكان دائم الحزن كثير التفكر قليل الضحك كثير الدموع دائم
الوضوء (ولعظم خوفه بكى شديدا وكان لدموعه حول أخاديد على خديه أو لسواد كانه (ولم يكن يسأل الله الجنة قد
كان يسأل الله) رواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان
يقول كان عطاء السلمى قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله الجنة فاذا ذكرت عنده قال نسأل الله
العفو (وقيل له فى مرضه الذى توفى فيه ان خوفك قد أضر بجسمك فلو تركته) فقال صاحب
القوت وروى صاحب الحلية من طريق مسكين أبى فاطمة عن صالح المرى قال قلت لعطاء السلمى انك
قد ضعفت فلو صنعنا لك سويقا قال فصنعناله سويقا وتكلفناه فقال يا أبا بشر انى اذا ذكرت النار لم
أتلعثم وفى رواية اذا أردت ان أشربه ذكرت هذه الآية يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان
وفى رواية قال له صالح ياشيخ قد جعل الناس قال فقال لى ويحك يا صالح انى والله اذا ذكرت جهنم
ما يسعنى طعام ولا شراب قال فمكث أربعين سنة لا يذوق لا عاتين فى هذا أبدا (ويقال انه ما رفع رأسه الى
السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فسقط فما تفتق فى ظنه فتق) رواه أبو نعيم فى الحلية
من طريق عبد الله بن عبيد الله بن سعيد عن عشيرة وكانت قد ذهب بصرها من البكاء تقول لم
يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة فسقط فما تفتق فتقا فى ظنه (وكان يمس
جسده فى بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ) رواه كذلك من الطريق المذكورة عن خريطة بن زوعة
حدثنا نجدة بن كثير عن ابراهيم بن آدم قال كان عطاء يمس جسده بالليل خوفا من ذنوبه مخافة أن يكون
قد مسخ (وكان اذا أصابتهم ريح أو برق أو غلا طعام قال هذا من أجلى يصيبهم لومات عطاء لاستراح
الناس) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد من الطريق المذكورة عن يحيى بن راشد حدثنا سليمان
بن وردان الراسبى قال كان عطاء اذا هبت ريح أو برق ورعد قال من أجلى يصيبكم لومات عطاء استراح

الناس

من أجلى يصيبهم لومات عطاء لاستراح الناس

الناس قال وكنت ادخل على عطاء فما قضاه رد الطعام قال فدخل من أجلى يصيبكم لومة لائم الاستراح الناس ورواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن اسحق الحضرمي حدثنا ابراهيم بن يعقوب قال كان عطاء السليمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بسمعه كأنه امر يفحص ويقول قد كنت أرجو أن أموت قبل أن يجيء الشتاء (وقال عطاء السليمي خرجت مع عتبة) بن أبان (الغلام) يسير (وفيه كهول وشباب يصلون صلاة الهجير بظهور والعشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤسهم والصقت جلودهم على عظامهم وبقيت الغرر كأنها الاوتار يتحوبون كأن جلودهم قشور المطح وكأنهم قد خرجوا من القبور يحشرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فسمعناهم يتشاورون أمرهم) عتبة (فكان) فيما سألوه (فرمقنا عليه يجلس فجعل وجهه يحول يمينا وشمالا ويكون في يوم شديد البرد وجهه يرشح عرقا فسألوه عن أمره فقال ذكرت اني كنت عصيت الله) عز وجل (في ذلك المكان) ورواه أبو نعيم في الحلية بحضرة فقال حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا ابراهيم بن عبد الله الحبلي حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبد الله بن محمد بن حفص العمري حدثني أبو حسن بن اليسع قال اتى عبد الواحد بن زيد عتبة الغلام في رحبة العصابيين في يوم شات شديد البرد فاذا هو يرشح عرقا فقال له عبد الواحد عتبة ما أشد ما أرى في مثالك تعرق في مثل هذا اليوم قال صدقت ما يعرق الا من الذي بي ويلك والله الا أخبرك اني والله ذكرت ذنبا أصبته في هذا المكان فهذا الذي رأيت من أجل ذلك (وقال) أبو بشر (صحبت ابن بشر (المري) رحمه الله تعالى (فمررت على رجل من المتعبدين) يوما وهو يقول (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) الى آخره (فصعق ثم قال ردني يا صالح ردني يا صالح فما زال) يرددها (عليه حتى مات فقرأت) عليه قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) الآية (فخر) وهو ما من شدة الخوف الذي غلب على قلبه فاضت منه نفسه الى المرارة فاشتد وماث (وروى ان) ثابتا البناني (زيارة بن أوفى) العامري الحرشي البصري قاضي البصرة فيما ذكره بعضهم (روى له الجماعة (صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور فرمقنا عليه فجعل يبكي) وروى البزار في مسنده من طريق أبي حسان الاعرج قال صلى بنا زرارة الصبح فلما قرأ فاذا نقر في الناقور شهق شهقة ومات ومن طريق مهر مثله وزاد في حديثه فكنت فيمن حمله وقدمه في تلاوة القرآن (وروى يزيد) بن أبان (الرقاشي) القاص (عن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (قال) له (عظني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين نعم انك أول خليفة عوت فبكى ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بيني وبين آدم أب الا ميت قبلي ثم قال ردني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بيني وبين الجنة والنار منزل الا ما أعاين فرمقنا عليه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ميمون بن مهران) الجزري كاتب عمر بن عبد العزيز (لما رأيت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صح سلمان الفارسي) رضي الله عنه (ووضع يده على رأسه وخر هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه) قال العراقي لم أقف عليه على أصل قلت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن ميمون قال خرجت الى قرية في بعض سكك البصرة الحديث وفيه ثم دفعنا الى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت الينا جارية سندية فقلت من هذا فقالت هذا ميمون بن مهران أردلقه الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز فدفعت لها نعلي فدقت بها شق ما فازلك في هذا الزمان اسود قال وفي الشيخ صمم الحسن بكاه فخرج اليه وهو يقول ما سعيد اني قد أيست من ولي غفلة فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم فرأيت من مكانهم سبيل ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون قال فسقط الشيخ فرأيته ميتا

وغارت أعينهم في رؤسهم جلودهم على عظامهم وبقيت الغرر كأنها الاوتار يتحوبون كأن جلودهم قشور المطح وكأنهم قد خرجوا من القبور يحشرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فسمعناهم يتشاورون أمرهم أحدهم فكان فرمقنا عليه يجلس فجعل وجهه يحول يمينا وشمالا ويكون في يوم شديد البرد وجهه يرشح عرقا فسألوه عن أمره فقال ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فصعق ثم أفاق فقال ردني يا صالح فما زال أرددها فقرأت كلما أرادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروى ان زرارة بن أوفى صلى بالناس صلاة الصبح فلما قرأ فاذا نقر في الناقور فرمقنا عليه فجعل يبكي * ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لست أول خليفة عوت فبكى ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بيني وبين آدم أب الا ميت قبلي ثم قال ردني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بيني وبين الجنة والنار منزل الا ما أعاين فرمقنا عليه وقال ميمون بن مهران لما رأيت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخر هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه

ورجليه كما تمعص الشاة المذبوحة ساعة طويلا ثم قال لقد شغلت بخبر به فقلت قد أنعتم اشبع يوموا تفرقوا فاخذت بيد بني فخرجت به (ورأى داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ليت شعري أي حديث بلغ بابنه الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقيل مرض سفيان الثوري) مرضة (فعرض دليله) أي ما يستدل به على مرضه وهي القارورة (على طبيب دمي فقال) صاحب (هذا رجل قطع الخوف كبده ثم ساء) ابنه (وحس بضه ثم قال ما علمت ان في بلاد الحنيفية مثله) في كتاب خوف هذا نقله القشيري في الرسالة ولقد قوف ولقد كان سفيان أحد الخائفين كان طول الدهر من شدة الخوف وكان يعرض المرضات من الخاصة ويعرض بوله على بعض أطباء الكوفة فبين فقال هذا بول راهب من الرهبان وروى أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن عاصم قال مرض سفيان الثوري بالكوفة فدخلت عليه الى منازلهم بالكوفة فلما نظر اليه قال ويلك بول من هذا فقلوا ما نسأل عن هذا بل أخبرنا ما ترى فيه قال أرى بول رجل قد أحرق الخوف والخوف جوفه (وقال أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (سألت الله عز وجل أن يفتح علي باب الخوف ففتح) علي بابه (فجعلت على عقلي فقلت بارب) اعطني (على قدر ما أطيق) وأقدر عليه (فسكن ذاي) عقله القشيري في رسالته الا انه قال فسكن ذلك وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل قال سأل داود عليه السلام ربه ان يأتي الخوف في قلبه فلم يحتمله قلبه وطاش عقله حتى ما كان يعقل صلاة ولا يسمع شيئ فقال له جبلك ان يعمل كما كنت أو يرد ذلك الى ما كنت عليه قال ردني فرد اليه عقله (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (لو كنتم لا تبكون وأنا كنت أبكي والذي نفسي بيده لو علمتم ما علم أحدكم لصرخ حتى يقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه) رواه أحمد في الزهد عن وكيع حدثنا عبد الحارث نورد عن ابن وهيكة عنه قال لو تعلمون ما أعلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ولصعد حتى ينقطع صلبه وروه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق وقد تقدم قريبا (وكأنه شار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترعف وقال عليكم بالقرآن) أي بتلاوته (عليكم بالصلاة عليكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان كآبة وتصرع واستكانة ودعاء كذا في الطريق انما هذا زمان حفظ لسانك وخف مكانك وعالج قلبك وحدما تعرف ودع ما تنكر وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن زياد قال سمعت الفضيل يقول حفظ لسانك وقلة على شأنك وعرف زمانك واخف مكانك ومن طريق يزيد بن خميس قال دخل رجل مررت داب يوم الفضيل بن عياض فقال له أوصني فقال له مهما قال يعبد الله اخف مكانك واحفظ لسانك واشتغل بالله ولا تؤمنن واليوم كما أمرتك (وروى الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (يوما وهو يمشي فقيل له الى أين قال لا أدري وكان يمشي والهاما من الخوف) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر) بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي وكان عربيا نادرا وهو ثقة في الحديث وقال العجلي عمر بن ذر القاص كان ثقة نبيلا وقال سفيان بن عيينة لسلمان بن ذر بن عمر قعد عمر بن شفير قبره وهو يقول يا بني شغلني الحزن للناس الحزن عليك طيب شعري ما قلت وما قيل لك اللهم ان أمرته فاطاعك وأمرته بري فصدوهت له ما قصر فيه من حقك فهب له ما قصر فيه من حقك وعن ابن اسمعيل قال لما دفن عمر ابنه وقف على قبره فبكى وقال اللهم اني أشهدك اني قد تصدقت بما شئت علي من

صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيأ من بعض عجائب عبادكم فدهمت به امرأة من بعض الاحياء في خص له فاستأذنت عليه فاذا رجل يعمل خوصا فنظرت عليه اذا الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجت من عنده وتركته على حاله وذهبت الى آخر فدخلت عليه فقرأت عليه هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فخرجت من عنده وتركته على حاله واستأذنت على ثالث فقال لي لا تدخلوا علي ولم تشجعوا على زيارتي فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يشخط في دمه حتى يبس فتركته على حاله وخرجت

فقلت لصوت عال الان للحق عدا مقاما فقال شيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحاها شخصا بصره يصح بصوت له صعيب أوه وحتى يقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم هل نفعوا بالله تعالى فقيل نفعوا ثلاثة فقط وثلاثة تعذروا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتا متحيرا الا بؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود

وكان أنس من علقمة (يروى له من الادب) فلم أجد يحيى ثقة روى عنه أحد من أهل الحجاز وقال ابن سعد ثقة وله أحاديث صالحة وقال ميمون أبو حمزة صاحب ابن عباس جمع بينهما وصاحبه عبد الرحمن أيضا كذلك وقال غيره وكان عبد الرحمن بن الاسود يصلى كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون له فقيه أهل بيته اجتهاد وكانوا يسمون آل الاسود من أهل الحجة (وكان قد حلف انه لا يصحك أبدا ولا يراه مصطحعا ولا يأكل حتى يراه فروى له حكاية مضطجعا ولا أكل حتى مات رحمه الله تعالى) ما كوفة سنة ست وسبعين روى له الجماعة (وقال الحجاج) بن يوسف الثقفى (لسعيد بن جبير) بن هشام الاسدى أو أبى مولاهم الكوفى التابعى الشهير حين أتى به ليسأله فسأله عن اسمه فقال سعيد بن جبير قال أنت شقى بن كسير قال بل أمى كانت أعلم باسمى منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الجهبذ رحمه الله تعالى فى قصة طويلة له فى آخرها فدعا الحجاج بعلام الصيف والسطح فقد وصحك فقال الحجاج أبلس قد (يعنى انك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت) قال فما ضحك عبد الملك قال من حرمه الله تعالى على نفسه ومن حرم الله عليه حرمه على الناس كذا رواه المزى فى التهذيب من طريق عون بن أبى شداد الهذلى قال يعنى ان الحجاج ذكر له سعيد فساق القصة مطولة (وقال رجل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد كيف أصبحت قال كيف حال قوم يتجهم لهم الحسن وقال تسألنى عن حالى وما حالى ما أصبح الناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم ودخل مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصلت فيه ركعتين وغلقتها عليها فرفعت فاستكت فى مقامها ثم انصرفت فقالت يا أمير المؤمنين انى والله رأيت عجبا قال وما ذاك قالت رأيت دارا وهى تزخرف لى أهلها) أى تزين وتصور (ثم جىء بالصراط فوضع على منتها) أى طرفها (فقيل لها) بكسر الكاف (اسلكى فقالت كيف أسلك على ما لا يسلك عليه) أى على الصراط (فقيل لها) أى لكن (سلكت على الصراط فهوى بى الى جهنم فقال عمر لها) أى (ويحك اذهبى عنى) أى عن بين يدى (فانت ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فعمل عليه ما عمل على الاسير حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر لها قالت ثم جىء بسليمان بن عبد الملك فعمل عليه ما عمل على الاسير حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر لها قالت ثم جىء بى والله يا أمير المؤمنين فصح عمر رحمه الله عليه صيحة خر) منها (مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى تحوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويقفص برجليه) أخرجه نعيم فى الحلية (ويحكى ان أويسا) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو (القرنى رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص) فيسمعه (فيبكى من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس) من شدة خوفه (ثم يقوم مطلقا فيتبعه الناس يقولون مجنون مجنون) وما به جنون وانما هو الخوف من النار وقد تقدم هذا وما يتعلق بأويس رحمه الله تعالى مطولا (وقال معاذ بن جبل) رضى الله عنه (ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه) نقله صاحب القوت (وكان طاوس) بن كيسان اليمانى التابعى (يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحية فى المقلى)

كذا بخطه
عليه فصح فمغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى اذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله قد تحوت انى رأيتك والله قد تحوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويقفص برجليه ويحكى أن أويسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكى من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم مطلقا فيتبعه الناس يقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحية فى المقلى

كنايه عن كثرة التعب والاضطراب (ثم يشب) عنه نار (فيدرجه) أي يطويه (ويستقبل القبلة) راكعا ساجدا تائبا (حتى الصباح ويقول طير ذكرهم يوم الخميس) عن أعينهم (وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى (يخرج من الدار رجل بعد ألف عام وبالليتني كنت ذلك الرجل) يقول هذا وهو إمام العبد (واعلم قال ذلك لخوفه) الشديد (من الخلود) في الأبد به (وسوء الخاتمة) قال بعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي كذا في القوت (و) عن مشاهدة معنى ما تقدم كان خوف الحسن وحزنه حتى (روي انه مكث أربعين سنة قال) الروي (وكنت دار أيته قاعدا كانه أسير قد قدم ليضرب عنقه وادا تكلم كانه يعاين الآخرة) أي مشاهده رأي العين (يحجر عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال لا يؤمني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي بعض ما كره فمقتني فقال (٢٥٩) اذهب فلا عفرت لك ما أعمل في غير معقل * وعن ابن اسماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كانت لي أن لا أسمع غيرها فقلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود بين أهل الجنة وأهل النار ثم غاب عني فقدته في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فاخبرت به مريض بعاد فاتيته أعوده فقلت له يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين من طول الخلود بين أهل الجنة وأهل النار قال ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة فقلت بماذا قال بالكلمة فهو يخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل صفاء القلوب وكمال المعرفة والافلاس أمسنا الفقر ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا

(كذا في القوت) (وعن) أبي العباس محمد بن مسروق (ابن اسماك) الواعظ (قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كانت لي أن لا أسمع غيرها فقلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود بين أهل الجنة وأهل النار ثم غاب عني فقدته في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فاخبرت به مريض يعاد فاتيته أعوده فقلت له يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود بين أهل الجنة وأهل النار ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة فقلت بماذا قال بالكلمة فهو يخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل صفاء القلوب وكمال المعرفة والافلاس أمسنا الفقر ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوال عللنا فعميت بصائرنا (فلا تقرب لرحيل يهمها ولا كثرة الذنوب تحركها ولا مشاهدة أحوال الخائفين تحزنها ولا خطر الخاتمة يرعبها) ولا وعظ أو عظ يؤثر فيها (فسأل الله تعالى أن يتداركنا بفضله وجوده بحوانا) ممن رضي عنه (فنخلص ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد) والتزود للمعاد (ينفعنا ومن عجائب ما يراد أن المال في الدنيا يرغبنا ويعرسنا وتحرمنا وكذلك البحار والبراري) وما قدار (وخاطرنا) بالنفس والموت (وان أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا) في تحصيله (ونجتهد في طلب أرزاقنا) كل ممكن (ولا نثق بضمان الله لنا) يشير الى قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقوله تعالى لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم

شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوال عللنا فعميت بصائرنا فلا تقرب لرحيل يهمها ولا كثرة الذنوب تحركها ولا مشاهدة أحوال الخائفين تحزنها ولا خطر الخاتمة يرعبها فسأل الله تعالى أن يتداركنا بفضله وجوده بحوانا فنخلص ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب ان المال في الدنيا يرغبنا ويعرسنا وتحرمنا وكذلك البحار والبراري وخاطرنا بالنفس والموت وان أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم

وزوجتي ثم اذا هجعت أعيذه بحي الملك الدائم القيوم (فقلت بماذا يستعيذ) الذي لا يحول ولا يزول (فقال يقول ما شاء الله اللهم اغفر لنا وارحمنا ولدي اليه وحببنا وله اعتزازا به دينا ويقول وان ابني للانسان الاماسعى ولا يعرفكم بالله العفو وربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ثم كل ذلك لا يتهيأ ولا يجوز حتى أودية عرورا وما يشاهده الا لمحة فما لم يتفضل الله عليه بنور يفتح به صوح بتذاركه ويجب ويسأل الله تعالى ان يتوب عليه ال فسأله ان يتوب الى ان توبة سراثر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظه فيكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمع الوعظ بكيا واذا وعظ

وزوجتي ثم اذا هجعت أعيذه بحي الملك الدائم القيوم (فقلت بماذا يستعيذ) الذي لا يحول ولا يزول (فقال يقول ما شاء الله اللهم اغفر لنا وارحمنا ولدي اليه وحببنا وله اعتزازا به دينا ويقول وان ابني للانسان الاماسعى (ولا يعرفكم بالله العفو وربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ثم كل ذلك لا يتهيأ) ولا يجوز حتى (أودية عرورا وما يشاهده) الكاذبة (الا لمحة فما لم يتفضل الله عليه بنور يفتح به صوح بتذاركه ويجب ويسأل الله تعالى ان يتوب عليه) توبة نصوحا (ان سأله ان يتوب الى ان توبة سراثر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال توبة غاية حظه فيكون ممن يقول) بلسانه (ولا يعمل) بجوارحه (ويسمع بأذنه (ولا يقبل) بقلبه (اذا سمع الوعظ بكيا واذا وعظ وقت العمل ما سمعه عصيا ولا علامة للعدلان أعظم من هذا فسأل الله تعالى ان يمن علي بالتوفيق والرشد) والهداية (عما يمنعه ويصله) وذكر ما وجوده (ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه قال القائل من هذا يصادف القلب القابل) لما يلقى اليه (فيكفي) ويعي (والكثير منه وان اتضح منه على القلب الغافل فلا يغني) ولا يكفي (ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني) منسوب الى خولان بالفتح واسمه القبيل من القبائل (الذي حكى عنه عيسى بن مالك خولاني) منسوب الى خولان بالفتح واسمه القبيل من القبائل (وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واعظا قومه (كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرد أدمعه من كثرة البكاء فقال عيسى فسارت به) الى (فقلت) أي عيسى (ما ذكر) أي ذكر (هالني مسيره) أي مرعى (فقلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عليك فقال يا أخي عباد أوصيك ان استطعت ان تكون غربة رحل قد احتوشته السباع والهوام) أي تناولته من كل طرف (فهو خائف حذر يخاف أن يعثر فتفترسه السباع ويسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان أمن المعثرون وفي الحرب نهاره وان فرح المبطلون ثم ولى وتركني فقلت لو ردتني شيأ عسى يعني فعسى ان أعمل به من لمحة بسيرة ودعوني فان القلب الصافي وانت

بحركة أدنى مخافة وبقلب الحامد تنوعه كل المواعظ وما ذكر من تقدير ما به احتوشته السباع والهوام فلا يبقى أن يظن به تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة حقيقة ما أنت محجوب بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فلا تدركها (فاذا انكشف الغطاء وارتفع الحجاب (ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك صورها وأشكالها المواقعة لما ترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك) أي أحاطت (في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتها فان أردت أن تقتلها وتقهرها

وانت

بحركة أدنى مخافة وبقلب الحامد تنوعه كل المواعظ وما ذكر من تقدير ما به احتوشته السباع والهوام فلا يبقى أن يظن به تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة حقيقة ما أنت محجوب بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها المواقعة لما ترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتها فان أردت أن تقتلها وتقهرها

وأنت قادر عليها (قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها سهيم قلبك) أي ناحيته (فضلا عن ظاهر شرتك والسلام) ذبه ثم كتاب الرجاء والخوف ولنذكر بعض ما يتعلق بمقام الخوف مما ذكره أبو طالب المكي في القوت قال الخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم لوجود الايقان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها الا مقام الخوف وقد قال ذو النون المصري لا يسقي المحب كاس المحبة الا من بعد أن يصحح الخوف قلبه وقال سهل كمال الايمان بالعلم وكماله بالخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وكل مؤمن بالله خائف ولكن خوفه على قدر قربه وتركا واعطا الى بعض الحكماء ألا ترى الى هؤلاء أعطاهم واذكر لا يرقون فقال كيف يتمتع بالوعد من لم يكن في قلبه من الله مخافة وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويجتنبها الاشقى أي يجتنب التذكرة الشقي لفعل من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين يظهر يغلب عن ظاهر العلم بالعقل وخوف خصوصهم وهم الموقنون يغلب على باطن القلب عن باطن العلم بالوحدة ما خوف اليقين فهو الصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أخبر به من الصفات فخوفه دهشة في الحيران العبد اذا أدخل في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله تعالى الا مثل له عمره وعمله الى يوم القيامة فطول خوف اليقين محاسبة النفس في كل وقت والمراقبة لارقيب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شيء من العلوم غير يقيني بها ومن الاعمال غير فقيه فيها ثم حفظ اللسان وحزن الكلام الا بما يدخل في دين الله ولا الى العلم بما لم يشرعه الله في كتابه أو بذكره الرسول في سنته أو لم يتطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودا في الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فمجتنب ذلك كله ولا يتقحم ما ليس له به علم خوفا من المسئلة عنه ولا يدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه يوبخ نفسه لله لانها أولى الخلق ثم يصحح الخلق في الله وثمرة الخوف العلم بالله وحبه من الله وهو أعلى مقامات أهل المريد وأكثر ما يقع سوء الخاتمة ثلاثة طوائف أهل البدع والاهواء في الدين لان بناءهم مرتبط بما تقول على آيات ظاهرها لهم من قدرة الله تعالى ان تصحح عقوده عند معتقديها فيذهب الله بها ولا يثبت شهودها كما تخترق الهتيلة عند قدح المصباح الطبقة الشيطانية أهل الكبر والاستكبار لآيات الله وكراماته لاولائه في الحياة الدنيا لانهم لم يكن بهم يقين يحمل المقدور عنده لايمان فيقتورهم الشك ويقوى عليهم بعقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف متفرقون منه اوقوف في سوء الخاتمة وجريهم دون بلك الطائفتين في سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله نظرا وتعاسوا المعلن والمقر المدمن تتصل بهم المعاصي الى آخر العمر ويدوم تقليبهم فيها الى كشف الغطاء فيرأوا الآيات تأتوا الى الله بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأتى منهم فلا تقبل توبتهم ولا تنقل عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وقد كان عبد الواحد بن زيد يقول ما صدق خائف قط على أنه لا يدخل النار وما أمن أنه يدخل النار الا خاف أن لا يخرج منها أبدا وكان سهل يقول خوف استعظام من ميراث خوف السابقة وقال وهيب بن الورد ما أكثر هي ذوي العلم أشد خوفا ما هو أعظم على من الذنوب أن أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن دينار أن عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل يعتزل الناس الا هو وحده فجاءه أبو الدرداء فقال أنشدك الله ما تحملك على ان تعتزل الناس قال أني أخشى ان يسلبني ديني ولا أشعر قال أترى الحي ما تتحاقون ما تتحاف فلم يزل يقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن اسمط هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سعيد بن ثور يلتفت الى حادس حلة فيقول يا أبا سلمة ترجو لمثلي العفو او يغفر لمثلي فيقول له حماد نعم أرجو له وكان بعض السلف يقول لو اني أعلم

وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها سهيم قلبك فضلا عن ظاهر شرتك والسلام

انه يختم له بسعادة كان أحب الى من طعف عليه الشمس في حبي جعفر في سبيل الله وقال بعض العارفين ان الله تعالى اذا عصي عند معرفة ثم لم يشكر عليها ويحسن معاملته بها لم يسلبه اياها بل تقفها عليه لحاسبه على قدرها ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد مثل عيش هذا في الدنيا كمثل البخيل الذي يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء كذلك العالم العامل يحيا حياة الجهال ويحاسب محاسبة العلماء ومن أعطي الخوف سلب الايمان الذي هو عنده وديعة وفي خبر آخر المؤمن يطهره كيف شاء ويبدله ويعيده الى العيب متى شاء ويحميه ذلك من صفة المكر وحكم الماكرين وكشفه استر وعفى الستار لا تدري أهبة وهبه لك فسلبه عليك كرمه وفضله أم وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك فأحدهما اذا لا محالة بحكمته وعدله وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعلمه وكان يحيى يقول ينبغي ان يشغلك خوف ذهاب الايمان عن تحري حلال الابدال فدائم تعطيها استقلت ما قد أعطيت وأنت قد أعطيت خير شيء في خزائن الله الايمان به ولعمري ان الخوف على فقد الايمان علامة العطية لوجوده وقال بعض العارفين ما قوم عند الوصول وقال آخر واحضر ومن المخوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع بقية المعرفة المبتدأة تكون قد حرمتها جموعا من المزيد وقد يكون حرمانها الان توجب المزيد عنه هول تلك الواقعة من الهوى فيموقد يقسي قلبه ويجري عينه وذلك من انقصان الذي يعرفه أهل التمام لان عين الوجد من الثواب الدنيا وعين البكاء من الملكوت للآخرة فيعطيه ما يقطع عنده ويعطيه ما صبره به ويفتح عليه الحق ان أعطى لصف ان أكمل وقال محمد بن الحسن متى عيبه وقلة أدبي من الجهاد وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة اذا سخط العبد الدنيا ملك عيبه فبكى كما شاء وسئل أبو محمد سهل هل يعلم الله أحدا من المؤمنين من الخوف ربما قتل فقال من المؤمنين من يعطى من الخوف ورن حمل أحدهم كيف كون حالهم أكلون ويشربون ويتنعمون قال نعم يعطون ذلك والمشاهدة لا هم ويل به لا يبن الخوف فان يحمله عتاب القدرة بلطيف الحكمة ويستر العقاب تحت عتاب في تصريف الصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرتاض وقال أيضا الخوف مباينة الهوى والخشية الورع والاشفاق هو الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه الى الزهد ودخوله على العامل يدعوه الى الاخلاص فقد صار الخوف يصلح للكافة فدخوله على العالم يخرجه عن الحرام ودخوله على الخاص يدخله في الورع والزهد وقال أيضا الاخلاص في بضعة لا تنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد وقال لا يصح علم الرجاء الا للخائف يعني لتعتدل شهادة المقدمة الخوف فيكون شهادته قائمة والحلاء قائمة من الخوف وتنمر ده محال الرجاء تخرجه الى الامن والاغترار وكان يقول الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى ان أكثر الناس يدعون المحبة ويزيد عددهم فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهو كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء وصف العمال فضله عليه كفضل العلم على العمل وكان الحسن يقول ما عبد الله بشيء أفضل من طول الحزن والخوف وقال بعض السلف حسبك من الخوف الحسب المعاصي وكان الثوري يقول ما أحب اني عرفت الامر حق معرفته الخاش عقلي وما يدلك على ان الخوف اسم لحقيقة نعم الله تعالى ان في حديث الرؤية من قراءة من أوعد الله في معنى قوله تعالى لخشيتان بوجهها طعنا الخاف ربه قال القراء معناه نعم ربه وقال الخوف من أسماء العلم ومن معنى هذا أيضا سمي الجبان بمعنى الخشية وهي من الخوف فجعل الجبان اسم الخشية ومن ذلك قوله تعالى وتخشى الناس اي تستحيهم ومما يدل على باطن الخوف كثرة الاستغفار في كل حال والخوف من سير الاعمال ومن نقص عنه الحقه من حقير الامر ما لدى لعله والله أعلم ربما ذرة من الشر أكثر من أن يحصى كما روي ان رجلا قال لعطاء السليمي ما هذا

الخوف كله قال بعضهم فقلت وما هو قال صعقت حماما فجرى منذ اربعين سنة فما أبكى منذ ذلك أما ترى قد تصدقت بثمنه مرات وقال ضيغم الراسبي دخلت أنا وأبي على محمد أو بعض ولد ذلك انه رأى في داري فاشتريت سمكا بدانق فاراد أن يغسل يده فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده فدخل آخر تكلمت بكلمة أنا أبكي عليها منذ كذا قيل وما هي قال رأيت درهما في بيت حمال فقلت هذا الدرهم حرباني وبعلم لم يضرب بحران وقال بعضهم وصفت لبعض النساء من العود ما تبخر به فقالت والله هي قد علقت بأهلي لا يدخل عليها أحد فسألته عنها فقيل ما هي تكون في جوف بيت قد غلقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام لا تدري ما شأنهم قال فسألته بعد وقت فقالت قد فعلت ثم هذا لا يقبل ان الابرار لا يذوقون الموت ولا يقاسون السموم وبكى بعضهم بن جرير على معصية ثلاثين سنة وبهذا انتهى بنا الكلام على مقام الخوف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال مؤلفه منحرفا من تحرير ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاحد سابع عشرى شهر رمضان من شهور سنة ١٢٠٠ وهي ليلة القدر على يد العبد بنته أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم انه نعم المولى ونعم النصير)

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلاله كثيرا بنعته ما حير مقول العقول من غرائب دوره * ورد عن عظمته المعقول فرجع مستكينا الى بدائع ما يدل عليه ملكوته ومدى ساطع نوره * هو الله خالق الخلق * خلق وأبى كل ذي العيوب * مبدع الخلائق بتقدير يكون مثلها * ولم يقع على ابداعهم تقدير يكون مثلا * أحمده على ما وفق من طاعة ورد عنه من المعصية * وأسأله اتمامها وتجديد عصمتها واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي أرسله داعيا الى الحق شاهد على الخلق * فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر * وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر * امام من اتقى * وبصر من اهتدى * اختاره من كرائم الاباء * ومشكاة ضيائه ودوحة العلياء * وسرة البطحاء * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة وينابيع الحكمة وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب الفقر والزهد)

وهو الرابع من الربع الموسوم بالمحجات من كتب الامام حجة الاسلام قدوة الائمة الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه * سلكت فيه طريق الايضاح لجلي أنظاره الدقيقة * وبذل مجهودي الطريقة أشتاقه * بحيث تسفر مطالعه * وتعذب مشاربه * وتورق أغصان آماله وتطلع كواكب قنانه * وتظهر منه خبايا الاسرار * وتدوح فيه حقائق من وراء الاستار * شافي بيانه لبلى به جلامذ القلوب القاسية * وصادق برهانه تتصدع به أكنة النفوس الطاغية * وعسى الله الكريم بجلي شأنه مساعفة الآمال * وحسن التسديد في القول والفعل فان المصنف رجاء الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تسبح له الرمال) جمع رمل مثل قرد وقردة والتسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع في العبادة وجعل دالا في فعل الخير كجعل الاعداد في الشر فقيل بعده الله وجعل التسبيح عاما في العالم قولا كان أو فعلا أو نية وقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم كقوله وله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال والية أشار المصنف بقوله (وتسجد له الظلال) جمع ظل هو بني وقيل كل ما لم تنله الشمس والجمع أيضا على اظلال وظلول وأظله والاخير جمع جمع وهذا يقتضي ان يكون تسبيحا على الحقيقة وسجودا له على وجه لا يفقهه بدلالة قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ودلالة قوله ومن دونه ذكر السموات والارض ولا يصح ان يكون تقديره يسبح له من في السموات ويسجد له من في السموت لان هذا

مما يعقله ولا يحال ان يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله ومن فيهن والاشياء تسبح وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار ولا خلاف في ان السموات والارض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث ان أحوالها تدل على حكمة الله تعالى وانما الخلاف في الارض هل تسبح باختيار والآية تقتضي ذلك وقوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدة لله وهم داخرون أي تشاؤه يدل على وحدانية الله ويبني عن حكمته وقال الحسن في قوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال أما ظلال المعصية وما أنت فتكفر به (وتتذكل من هيئة الجبال) أي تندق وتتهدم حتى تصير كمرلة الارض الليسة واليه الاشارة بقوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله (خلق الانسان) أي آدم عليه السلام وبنوه (من الطين اللازب) أي اللاصق تقول منه لزب يلزب ولزوبا وهو كما قال الله تعالى خلقناهم من طين لازب (والصلصال) وهو الطين الخلط بالرمل صار يتصلصل داخله اذا نقر بالنار فهو الفخار وقيل هو الطين المنتن من قولهم صل اللحم اذا تغيرت رائحته وفي كل منهما لاثارة بقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون وقيل صلصال أصله صلال فقلبت احدى اللامين صادا (وزين صورته) وهي ما يتشكل به الاعيان وتتميز به عن غيرها وذلك صريح بان خلقه محسوس تدركه الحاسة وقد كانت صورة التي اختص بها الانسان من العقل والفهم والنطق به وانما التي خص بها وكانت سبب اقامة الدال على استيلائه على كل ما في العالم (باحسن تقويم وأتم اعتدال) والية الاشارة بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وتقويم الشيء تقديره والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف وكل ما ناسب فقد اعتدل (وعصم قلبه بنور الهداية) أي حفظه به (عن ورطات الضلال) أي من الوقوع فيها كما قال تعالى فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه والنور طان محركة جمع نورة كسكون اراد به اليم الاصابع وشق وقد يعبر بها عن الهلاك والاصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا يقدر على التخلص وقيل أصلها أرض مطمئنة تطاطئ فيها يرشد الى الخلاص والضلال العدول عن الطريق المستقيم عمدا وسهوا قليلا أو كثيرا (وأذنه في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال) وهو اينائها الصلوات الخمس فانه طاعة المولى عز وجل وخدمته ومن سهل له فيه فقد أذن في قرع باب خدمته (ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته) بان نشرك فيها أحدا سواه (بنور البصيرة) اسم من الاستبصار (حتى لاحظ بصيرته حضرة الجلال) فالحق تعالى بذاته نور ولا يدرك ويدرك به ومن حيث أسماؤه نور يدرك هذا تجلى القلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنورة الانوار نورها فالانوار الاسمائية من حيث تعينها بالكون مختلطة سواد (ولاح له من الهيئة) أي حسن اللون وطهور السرور (والبهاء) أي الجمال وحسن الهيئة (والكمال) أي الانتهاء الى غاية ليس وراءها مزيد (ما استنقع دون مبادي اشراقه) أي فيما يشرق من أنواره في أوائله (كل حسن وجمال) صار مشاهدا له في ظاهر (واستثقل كل ما صرفه) أي منعه وحجبه (عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال) أي عده ثقيلا الى الغاية كما هو شأن كل صارف عن المشهود (وتمثل له ظاهر الدنيا) فيما يراه فيها من صور (في صورة امرأة جميلة) حسناء (تبرز) في برده (وتتحلى) أي تجلب بنفسها من حليها (واستكشفت له باطنها) يعني البصيرة (عن عجوز شوهاء) قبيحة الخلقة هتماء (عجنت من طينة اخرى) أي الذل والانكسار والهوان (وصرت على قالب السكال) أي صنعت عليه والقالب بفتح اللام ومنهم من يكسرها والسكال العقوبة المطبقة (وهي متلفعة بحلبابها) يقال تلفعت المرأة بمرطها اذا تحلت زينة ومعنى وتلفعت كذلك (تخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر) أي الخدع والحيلات التي لا حقيقة لها (والاحتيال) افتعال من الحيلة وهي ما يتوصل به الى حالة ما من حقيرة وكثر استعماله فيما يتعاطاه حيث (وقد نصبت حبائلها) جمع حبيلة وهي الاحبولة التي يصطاد بها الصائد (في مدارج الرحال) أي في مسالكهم

وتتذكل من هيئة الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم وأتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال وأذنه في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور البصيرة حتى لاحظ بصيرته حضرة الجلال فلاح له من الهيئة والبهاء والكمال ما استنقع دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تبرز وتتحلى واستكشفت له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة اخرى وصرت في قالب السكال وهي متلفعة بحلبابها تخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرحال

حيث يدرجون (فهي تقتنصهم بصروف المكر والاغتيال) أي أنواع (مكر) أي الخديعة (والاغتيال) فعل من الغيلة بالكسر وهو الاخذ على غرة (ثم لا تحرى) أي لا تكفي (معهم) الحلف في مواعيد الوصال) أي تعدهم وصالها وتمنيهم ثم تخلف موعدها معهم وتأبيتها لو اكتفت على هذا القدر لا (بل تقيدهم مع قطع) حبال (الوصال بالاسلال والاغلال) جمع الغل بالضم وهو طوق من حديد تحبس في العنق (وتبليهم بانواع البلايا والاذكال) جمع ذكل بالكسر لقيد شديد وجمع سكة بالضم ما تكات به عجلة الدولاب (فلما انكشف للعارفين منها فضاحة الاسرار والافعال (زهدوا فيها) أي رفعوا عنها يقال زهد في الشيء زهدا وزهادة ورغب عنه (زهد المعض لها) بعارف نقائصها (فتركوها) ولم يلتفتوا اليها (وتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال والاولاد كمعهم) أي خالصها (على حصرة الجلال) وهي حصرة الحق سبحانه باعتبار تجلياته عما تعرفه (وتقيدهم بوصال دائم (ليس دونه انفصال) أي انقطاع (ومشاهدة أبدية) أي مطالعة لصورة جمال بصفة الدوام (لا تعتريها تحولا زوال) أي تقصان في حدها والاشعار بأنها ترقى فيها من مقام فيكون عبد على الطلب (والصلاة) الكاملة (على سيدنا) ومولانا (محمد) أبي القاسم (وعلى آله) وصحبه (خير) صحب (وآل) وسلم تسليما كثيرا (أما بعد فان الدنيا عدوة الله عز وجل) وعدوة لاوليائه كما تقدم عن غير واحد في بعض رواياته وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا (عز وجل من اصل) عن الصراط المستقيم (وتكبرها) أي تخدعها (رجل من رجل) عن المجمع فهو من الخشب والسيئات) كما ورد في الخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة وروى ذلك أيضا من قول عيسى عليه السلام وقد تقدم (و) ان كان كذلك لانه كان أساسها فسعى في ذمها ان يكون (بعضهم سبعات رأس الخطيئات) ولكن لا يسع العامة لانهم مرادون بالعمارة وصلح ذلك لهم من الخاصة لان بعض عددهم من كلامه لا يبعض عمارة الدنيا الذي هو ركنها من أهل الهوى والشهوات (وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات (ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد عنها لكن مقاطعتها اما ان تكون بارة وانما عن العدد ويسمى ذلك فقرا وانما بالرواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه وندأ بذكر الفقر

(الشطر الاول من الكتاب في الفقر)

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان خصوص فقر المهاجرين وبيان فضل الفقير على الغني وبيان آداب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال عند الضرورة وبيان مقدار المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين وتصحيح فصول سبعة

فضيلة الفقر مطلقا وبيان خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغني وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله العطاء وبيان تحريم السؤال عند الضرورة وبيان مقدار المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطافة وكرمه

فما تولا زوال والصلاة على سيدنا محمد سيد الانبياء وعلى آله خير آل * (أما بعد) * فان الدنيا عدو الله عز وجل يعز ورها صل من ضل وتكبرها رجل من رجل فجعلها رأس الخطيئات والسيئات وبعضهم اطلعات وأس القربات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد عنها لكن مقاطعتها اما ان تكون بارة وانما عن العدد ويسمى ذلك فقرا وانما بالرواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه وندأ بذكر الفقر

(الشطر الاول من الكتاب)

وفيه بيان حقيقة الفقر

فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله هو الغني وأنتم الفقراء فعد معنى الفقر مطلقا وبكما لسبنا بقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فالفقر يعتبر بالاضافة الى أصناف حاجاته لا يحصر لان حاجاته لا تحصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد لان بيانه فقد يقول كل فاقد للمال فانه يسمى فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نشير اليها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بذلك الى ذكر أحكامها *(الحالة الاولى)* وهي العليا ان يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه ولتأذى به وهرب من أخذه ببغضاله *(وهو الزاهد)* ومستثقلا ومستقذرا ويحتقر من شره وشغله بحيث هو لاهم وهو اقرب من الله تعالى *(و)* هذا *(هو الزهد)* بالضم *(واسم صاحبه الزاهد)* قال الزهد في اللغة هو الزهد وزهادة بقلة ترك وأعرض عنه وجمع الزاهد زهاد ويقال للمبالغة زهيد بكسر الزاي وتشديد الهاء وهو زهد بفتحتين لغة فيه *(الثانية ان يكون)* الفقد *(بحيث لا يرغب فيه ولا يفرح بحصوله ولا)* يغمه ولا *(يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه)* ثم يتركه *(لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا) الحالة (الثالثة ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبته فيه وتكن لم يبلغ من رغبته أن يبعث طبعه على ان يتأنى*

صعوبا

الزاهد *(الثانية)* أن يكون بحيث لا يرغب فيه ولا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا *(الثالثة)* ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبته فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان يبعث طبعه على ان يتأنى

صفو اعطوا أحدهم وفرح به وان افتقر الى تعب فى طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة تسميه العامة لو وجد فيه ما يقنع فيه ولو وجد حتى نزل الطلب مع ما فيه من الرعة الصعبة (الرابعة) ان يكون تركه الطلب لحقير والا فهو غير معتبر عنه لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب فى طلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة تسميه العامة الحريص * (الخامسة) ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب ما صعبة وأما قويه وقلما تتفق هذه الحالة عن الزهد فهذه جملة أحوال أصلها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه وورا هذه الاحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهى ان يستوى عنده وجود المال وفقده فمن وجد لم يفرح به ولم يتأذ وان فقد فكذلك بل حاله كما كان مال عائشة رضى الله تعالى عنها اذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت جاريتها ما استطعت لما فرقت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما فتفطر عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها فى يده وخزائنه لم تضره ادهو يرى الاموال فى حزانة الله تعالى لا فى يده فلا يفرق بين ان تكون فى يده أو فى يد غيره ويسمى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى) لا بمعنى (لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى ما هو غنى عنه بما هو غنى عن دخول المال فى يده

صفو اعطوا أحدهم وفرح به وان افتقر الى تعب فى طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة تسميه العامة لو وجد فيه ما يقنع فيه ولو وجد حتى نزل الطلب مع ما فيه من الرعة الصعبة تسمى الحريص ورعته هى الرغبة المذمومة وهو من حرص القصار الثوب اذا قشره بالدق الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب ما صعبة وأما قويه وقلما تتفق هذه الحالة عن الزهد فهذه جملة أحوال أصلها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه وورا هذه الاحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهى ان يستوى عنده وجود المال وفقده فمن وجد لم يفرح به ولم يتأذ وان فقد فكذلك بل حاله كما كان مال عائشة رضى الله تعالى عنها اذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت جاريتها ما استطعت لما فرقت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما فتفطر عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها فى يده وخزائنه لم تضره ادهو يرى الاموال فى حزانة الله تعالى لا فى يده فلا يفرق بين ان تكون فى يده أو فى يد غيره ويسمى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى) لا بمعنى (لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى ما هو غنى عنه بما هو غنى عن دخول المال فى يده

لاعن بقائه فهو داخل فيه من وجه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه عن يده أيضا فانه ليس يتأدى به لمحتاج الى اخراجه وليس يطرح به ليحتاج الى بقائه وليس لافتقاره يحتاج الى الدخول في يده فتعالى الله عن العموم أميل فهو الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب (٢٦٨) واعلم أن قرب العبد من الله تعالى بقرب بصفات لا بقرب المكان ولكن اسمي صاحب هذه الحالة

لاعن بقائه فهو داخل فيه من وجه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه عن يده أيضا فانه ليس يتأدى به لمحتاج الى اخراجه وليس يطرح به ليحتاج الى بقائه وليس لافتقاره يحتاج الى الدخول في يده فتعالى الله عن العموم فمن فهو الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب وكما قرب العبد من الله تعالى بقرب بصفات لا بقرب المكان) والمراد بقرب الصفات قرب الرحمة والرحمة والمحبة يسمى في اكتساب الممكن من تلك الصفات وتحصيلها والتحلي بمحاسنها وبه يصير العبد بحيث يقرب من الملأ الاعلى من الملائكة فانهم على غاية القرب من صفات الله تعالى بل شبه من قربهم بقدر ما من الصفات من وصفهم القرب بهم الى حضرة الله تعالى وطلب القرب من الله تعالى بالصفات غرض أكثر المتصوفة ويعبرون عن قوله والتحقيق به وقد تقدم تلويح الى ذلك فيما مضى في مواضع من هذا الكتاب وهذا الذي ذكرناه هو الحظ الثالث من حظوظ المقربين في معنى أسماء الله تعالى (ولكن لا يسمى صاحب هذه الحالة غنيا على الاطلاق) وهو اصطلاح من المصنف رحمه الله تعالى أشار اليه عن تقدمه من الشيوخ وذلك (لبقي اسم الغني على الاطلاق عن كل شيء وأما هذا العبد فانه وان كان مستغنيا عن المال وجودا وعدما فانه لم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق) أي عبد له (والمستغني عنه حر) أي عبد الله (والله تعالى هو الذي أعتقه عن الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والعتق والحرية متقاربة من الرق والحرية في أوقات متقاربة لانهما يتعاقبان على المحل الواحد فلم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه بالاضافة الى حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان اشتغاله بالدنيا مشغول بالدنيا لان الراغب فيها مشغول بما سوى الله تعالى محجوب عن الله تعالى ادلا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون لبعد جلبابا فانه أقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض محجوبة عنه بل شغلك بغيره وأنت لا تشعر بشغلك بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وشهواتك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فهو مشغول عن الله والمشغول ببعض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى) وما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق بما لا يتعلق بشيء من الله

غنيا على مستغنيا لبقي العني مستغنيا له العني الاطلاق عن كل شيء وأما هذا العبد فانه مستغني عن المال وجودا وعدما فانه لم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي أعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والعتق والحرية متقاربة من الرق والحرية في أوقات متقاربة لانهما يتعاقبان على المحل الواحد فلم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه بالاضافة الى حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان اشتغاله بالدنيا مشغول بالدنيا لان الراغب فيها مشغول بما سوى الله تعالى محجوب عن الله تعالى ادلا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون لبعد جلبابا فانه أقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض محجوبة عنه بل شغلك بغيره وأنت لا تشعر بشغلك بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وشهواتك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فهو مشغول عن الله والمشغول ببعض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى

تعالى ومن قال ان ما هي أفضل من الفقر فان أراد هذا فهو الصواب وان أراد الغني بأعراض الدنيا وبه كان يطمئن دلك من وصف الله تعالى بل ان رب تعالى قد أراد أن يحجب العبد عن معرفته وطاعته خوفه بذلك حتى يشتغل بشيء ما حس جوع من الدنيا قال الامام أبو العباس لاطيشي رحمه الله تعالى في الفقر الى الله تعالى لافتقار الحقيقي وسببه يعني تعالى لا عرضي أعني نفسه الفقيرة بطبيعتها المتيرة فاذا فقد واقادوا به من حال لا يحتاج عليه الفقد فهذا هو الغني في الدنيا والآخرة والباقي عباد الله لا يدوس حرم هذا الغني والمال جميع مال الدنيا فهو فقير وذلك قبل من حول الله فهو فقير وقد أجاد القائل حيث يقول

ومن يتق الايام في جمع ماله ✽ مخافة فقر فالذي فعل الفقر

انتهى وهذا القدر كاف في معرفة حقائق مسائل وأما في الفقر المحمود فهو ما اختاره الذي هو أحمد لواحق الفقر فسيأتي بيانه في آخر الفصل ثم رد المصنف في بيان حال كل من المشغولين بالحب والبغض وأكده بقوله (بل كل ما سوى الله تعالى مثال الرقيب) وهو المراقب لحال العاشق انتظار تتبع حركاته وسكناته ويعرفه بتعادل (الحاصر في مجلس) من مجالس السرور واللهو (جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق في حب الرقيب وبغضه واستثقاله وكراهة حضوره) في دلك المجلس (فهو في حالة الشغل فيه ببغضه مصروف عن التلذذ بشاهدة معشوقه) لشغله به (ولو استغرقه العاشق) بان ملكه ظاهرا وباطنا (بمعنى عن غير معشوق ولم يلتفت اليه) كما هو شان الاستغراق (فكان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شركا في العشق وبغض فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبعضه شرك فيه وبغض ولكن أحدهما أخف من الآخر) لان المبغض مقبل والراغب مدبر (بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغض وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع فيه بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا عاقل عن الله تعالى كالمشغول بحبها غير ان المشغول ببغضها عاقل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ مرجعه أن تنهي حاله الى أن تزول هذه العلة وتتبدل بالشهود والكمال له مرتقب لان بغض الدنيا بما هو طريق موصل الى الله تعالى واجب وبعض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبرا فهما سيان بالاضافة الى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ مرجعه الوصول اليها وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة الملازم لها) ليله ونهارا (الذي لا يخرج منها حتى يتعذر عليه الاشتغال بالدنيا) بتعلف والتسيير (في الوصول اليها فلا ينبغي ان تظن) في نفسك (ان بغض الدنيا مقصود في عينه) أو لذاته (بل بغض الدنيا عائق عن الله) شاغل عن الوصول اليه (والوصول اليه لا يدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من زهد في الدنيا واقتصر عليه) أي صار مشغولا به (فقد استعجل الراحة) لنفسه (بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة) بقدر صاحب القوت (فمن) رحمه الله تعالى (ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع العريم العائق

في الكعبة ملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يتعذر عليه الاشتغال بالدنيا في الوصول اليها فلا ينبغي أن تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى والوصول اليه لا يدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فمن ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع العريم العائق

عن الخير وقد ظهر بما ذكرنا في الباب أن زيادته عند مالك رغبة في وجودها وعدمها فهو عابه الكمال وان أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص والمتصاص بالاضافة الى درجة المستغني (بل الكمال في حق المال ان يستوي عنده المال والماء وكثرة الماء في جوار لا تؤذي الناس بأن يكون على شاطئ البحر ولا فطنة تؤذيه لا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج اليه كما أن الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببعض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أتحمل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال أحمد بن أبي الحواري) الدمشقي رحمه الله تعالى (قلت لابي سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (قال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (للمغيرة ذهب في البيت تؤدي الزكوة التي) كنت (أعدها تعالى قال نعم تعدو توسوس لي ان اللص قد أخذها) هكذا هو في القوت ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد الا به قال الذي أهدي له الزكوة هو الحرث بن سهيل الحرمي قال المغيرة وهذا غلط حدثني علي بن مسلم حدثنا سهل بن حماد حدثنا الحرث بن سهيل الحرمي قال قدمت من مكة فاهديت الى مالك بن دينار زكوة قال وكانت عنده قال فمكثت يوما فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن سهيل تعال خذ ذلك الزكوة فقد شغلت علي قلبي لما دخلت المنزل فجعلت أتشبث فقال لي يا مالك بن الزكوة قد عرفت فقد شغلت علي قلبي وزواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (قال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (هذا من ضعف قلوب الصوفية) هو (وزهدهم في الدنيا ما عليه من أحدها دين كراهية كون الزكوة في بيته التي انما هي سبب ضعف ويقصان) في المقام اذ كمال لا يبالي من أحد متاع الدنيا بيده وقلبه مشغول وانما أراد أبو سليمان مصلحة قلوب الصوفية الاحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بان يصرف عن قلبه الاهتمام وسيأتي في كتاب التوكل له مزيد بيان (فان قلت فما بال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء هربوا من المال) كل الهرب (ونفروا منه كل النفور) وهذا تستوي عندهم وجوده وعدمه (فالجواب وهربوا من المال على معنى انهم مشغولون) منه (أكثر من حاجتهم) اليه في دفع العطش (وفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب) والروايا (يديرونه مع أنفسهم) أو على ظهورهم (بل تركوه في الانهار والآبار والبراري للمحتاجين اليه لا) على معنى (أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو ببغضه فقد جعلت حرائث الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر قال بعضهم وهذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة من البخاري تعليقا عن حجر وما من حديث أنس أتي النبي صلى الله عليه وسلم مال من البحرين وكان أكثر مال أتي به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه وقد له عمر بن محمد البيري في مختصره من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف وقد أتى أبو عبيدة مال من

عن الخير وقد ظهر بما ذكرنا في الباب أن زيادته عند مالك رغبة في وجودها وعدمها فهو عابه الكمال وان أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص والمتصاص بالاضافة الى درجة المستغني (بل الكمال في حق المال ان يستوي عنده المال والماء وكثرة الماء في جوار لا تؤذي الناس بأن يكون على شاطئ البحر ولا فطنة تؤذيه لا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج اليه كما أن الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببعض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أتحمل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال أحمد بن أبي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة ذهب في البيت تؤدي الزكوة التي أعدها تعالى قال نعم تعدو توسوس لي ان اللص قد أخذها هكذا هو في القوت ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد الا به قال الذي أهدي له الزكوة هو الحرث بن سهيل الحرمي قال المغيرة وهذا غلط حدثني علي بن مسلم حدثنا سهل بن حماد حدثنا الحرث بن سهيل الحرمي قال قدمت من مكة فاهديت الى مالك بن دينار زكوة قال وكانت عنده قال فمكثت يوما فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن سهيل تعال خذ ذلك الزكوة فقد شغلت علي قلبي لما دخلت المنزل فجعلت أتشبث فقال لي يا مالك بن الزكوة قد عرفت فقد شغلت علي قلبي وزواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (قال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (هذا من ضعف قلوب الصوفية) هو (وزهدهم في الدنيا ما عليه من أحدها دين كراهية كون الزكوة في بيته التي انما هي سبب ضعف ويقصان) في المقام اذ كمال لا يبالي من أحد متاع الدنيا بيده وقلبه مشغول وانما أراد أبو سليمان مصلحة قلوب الصوفية الاحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بان يصرف عن قلبه الاهتمام وسيأتي في كتاب التوكل له مزيد بيان (فان قلت فما بال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء هربوا من المال) كل الهرب (ونفروا منه كل النفور) وهذا تستوي عندهم وجوده وعدمه (فالجواب وهربوا من المال على معنى انهم مشغولون) منه (أكثر من حاجتهم) اليه في دفع العطش (وفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب) والروايا (يديرونه مع أنفسهم) أو على ظهورهم (بل تركوه في الانهار والآبار والبراري للمحتاجين اليه لا) على معنى (أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو ببغضه فقد جعلت حرائث الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر

البحرين

البحرين فسمعت لا تصار قدومه الحديث ولهم من حديث جابر لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا ثم يقدم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر منادياً فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فقلت له النبي صلى الله عليه وسلم وعدني فحثى لي ثلاثا فعددتها فوجدتها خمسمائة وأخرج البيهقي في سيرة عمر رضي الله عنه فقد روى سليمان بن المغيرة حدثنا سعيد بن هلال حدثنا زهير بن حبيب قال قال ابن عباس دعاني عمر فأتيته فإذا بين يديه طبق عليه الدهيمة فأخذ منها درهماً فقسمها فإذا هو درهم وثلثا درهم فحثى لي منها ثم حثى لأبي بكر فأعطاه حثية ثم حثى لعثمان فأعطاه حثية ثم قال لي كم كنت عليه أقسم وزين قال فجعلت أحسب وأعد فلما فرغت قال أما إنه لم يبق من مال الله شيء وإن بقي شيء فهو لك وأصحابك فقلت الحمد لله فقال عمر ما أرى أن أحداً أحق بهذا المال من أحد وما أنا بأحق به من أحد ولكن والذي نفسي بيده ما أحد منكم بأحق به من أخيه ما منكم من أحد إلا وله في هذا المال نصيب ولكني على منازلكم في كتاب الله وقسمة رسوله فالرجل وقدمه في الإسلام والرجل وبلاؤه في الإسلام والرجل وعياله والرجل وحاجته والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه لم يعرق فيه جبينه قال فقلت يا أمير المؤمنين ألا أكتب هذا فقال بلى فكتبته فأقره ثم ختمه ثم انطلق به إلى أبي عبيدة بالشام فأقره ثم انطلق به إلى أبي بكر بالمدينة فأقره ثم انطلق به إلى عمر فأقره وقال سعيد بن عامر الضبعي قال محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قدمت من البحرين بخمسمائة ألف فلقيني عمر فقال يا أبا هريرة فقلت لبيك يا أمير المؤمنين فقال أتدري ما تقول فقلت نعم فقال ردع ثم قال أتدري ما تقول فقلت نعم فقال ما أصحبت قائله فقلت ما أدري إلا أني قلت ما أدري ما أقول فقال حسبتك أنك تعلم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد جاءنا مال كثير فإن شئتم أن نكيل لكم كيلا أو نحثي لكم حثيا (وما ينقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن خاف أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا حرم البعض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء) عليهم السلام (والأولياء وأما ما ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار تنزلا إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في ترك الدنيا وقد اقتدوا به في الأخذ لهلكوا كما فر الرجل المعزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيكون ذلك سببا لضعفهم وأما الصغار فيتصور في حقهم أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الجملة أما التسمية لمستغني فقير فلأن وجه تسميته بهذا المعنى هو أن من يسمى فقيرا فمعناه في آخر أمره ومعرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي قناعته عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد أن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها فإنه أحق باسم العبد من غلامين وإن كان اسم العبد علما للخلق فكذلك اسم الفقير علم ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير من غيره (فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من الفقر) وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات رواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم في الأذكار والدعوات وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر فقال رجل يعدلان قال نعم وقد صححه ابن حبان وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اللهم إني أعوذ بك من الفقر وقلة والذلة وروى الطبراني

عن انس بن سعد عن أبيه مرفوعا اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ورواه عبد بن حميد وابن ماجه من حديث ابي سعيد والشيرازي في الالقاب من حديث ابن عباس والبيهقي في الشعب والحاكم والطبراني وابن عساكر وابو نعيم من حديث عبادة بن الصامت ورواه الترمذي وحسنه والبيهقي من حديث انس بزيادة يوم القيامة ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فاخطأ ورواه الحاكم من حديث ابي سعيد بزيادة وابن أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وعند ابن عدي والبيهقي بسند اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين قال تشقى لاشقاء الخ (الفقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء) والى هذا المعنى يشير كلام الشيخ كما سيأتي في ذلك مفرقا في سياق المصنف وهذا الذي يشير ون به لا تأتيه الحدة ولا الاملاك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبياؤه عليهم السلام في دروة الفقر مع حدتهم وملكهم كابراهيم عليه السلام كان يملك أربعين صبيانا وكانت له الاموال والمواشي وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى ووجدك عائلا فاغنى وكانوا عليه في فقرهم فقره في غناهم ثم اعلم ان الفقر الذي هو حقيقة اليدمن اعمال وسيلة الانتقل ولا انقطاع وهو الوسيلة الى المعنى بالله تعالى وهو تحقق القلب به والمعنى بالله وسيلة الى تجريده عما سوى الحق من اعراض وأغراض لنفس وحال وتجريد على ثلاث درجات الاولى تجريد عن الكشف عن الغيب ودون ان الغيب مكسوب في البداية وموهوب في النهاية والتجريد ارتفاع العبد من المكسوب الى الموهوب الثانية تجريد الجمع عن درك العلم لان العالم بالسكر ليس بسكران فهذا حد من أن يكون عبدا عالما لغيبه الثالثة تجريد الاخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده وهذا لتقسيم صاحب منازل السائرين ولا يحسن ذلك الاعتقاد تجريد القدم عن الحدث ويستحيل عليه وما ذكر به هو قديم ومعرفة ومستحيل بالعقل الى صفات السلب مثل قل هو الله أحد وليس كمثله شيء وهو السميع العليم فاعتقد هذا وما أشبهه هذا والله أعلم

(باب فضيلة الفقر مطلقا)

من الآيات والاخبار والآثار (أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) أي حبسوا وضعوا (لا يستطيعون ضربا في الارض سياق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار) أي الصد عن الهجرة لهؤلاء وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد وكانوا وقفا على كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل الصفة هذا أحد الاقوال في احصارهم في سبيل الله وقيل هو حبسهم أنفسهم في طاعة الله وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد وقيل لما عادوا أعداء الله وجاهدوهم احصروا عن الضرب في الارض لضعف المعاش فلا يستطيعون ضربا في الارض واحتج به لفقرهم وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضربا في الارض وسكان عقلتهم وصيانتهم تحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء (وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر) ومن المواضع التي ذكر الله فيها الفقر قوله تعالى في الصدقات للفقراء والمساكين الآية وقوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقوله تعالى رب اني لما أنزلت الي من

وقوله عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا يناقض قوله احيني مسكينا وأمتني مسكينا الفقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء *(باب فضيلة الفقر مطلقا)* أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقال تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر

خير فقير والمراد في الآية الاولى والثانية خواص الفقراء وفي قوله انما الصدقات الآية فقراء المسلمين خاصتهم وعامتهم وفي قوله يأيها الناس الآية انتم الفقراء لعام لاهل الارض كلهم عبيدهم وفقيرهم مؤمنهم وكافرهم وفي الآية الاخيرة يقول الله المشيئة بقوله لهم اعني بالاعمى والبكم والصم اشعر بقوله

ويحمي فقيري ليلة كل مسلم * لعمري لولا المحذرات فقير

والفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقال هم أصحاب الجدة ومن يئس تحصرا في سبيل الله ومن لا يكتم فقره صفة فقابلهم أكثر من مقابل الصف الثاني وصفا الثاني يقابل أصحاب الجدة ويحمل دوم المتصف وغير هو محصر وعبر وصف الثالث لا مقابل لهم من جهة المعنى وكل ما سواه فقير اليه ومن ذا الذي يتعالى بالفقر الذي أخص من هذا كله وهو الافتقار الى الله في كل حالة وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولبها وعزل الشمس عن مرتبة الربوبية كما تقدمت الاشارة اليه

(وأما الاخبار في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى) منها (ما روى عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أي الناس خير قالوا) رجل (موسر) أي صاحب مال (يعطي حق الله في ماله) أي يؤدي ما افترض عليه من الصدقات (وينه) أي مع خراج ما افترض عليه من الزكاة (قال) صلى الله عليه وسلم (ثم رجل هذا نفسه) أي نفس مالاي أدبه (قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده) أي على قدر حاله مع الصبر والرضا (رواه أحمد والعراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على المرجوع منه دون سؤاله لاصحابه وسؤالهم له ثم قال هكذا رواه ثم قال ثم سمعت في الباب ومن طريق آخر ثم قال وفيه مؤمن فقير يعمر جهده (وقال صلى الله عليه وسلم الا) رضي الله عنه (الى الله فقيرا ولا تحسبوا) ولا تظنوا كما في كثير من نسخ الحصن (أحدا) يحتمل أهل الصفة من حديث لا تحسبوا رواه الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ لا تحسبوا فقيرا ولا تحسبوا عبدا الا فقيرا من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ لا تحسبوا فقيرا ولا تحسبوا عبدا الا فقيرا رواه الطبراني والحاكم جميعا وعمر هما رواه قال وكيف يا رسول الله قال لان الفقر يرد على الفقير والعبد وسئل ولا تمنع قال وكيف لي بذلك قال هو ذاك ولا فاعلم رواه الحاكم وقفت ورواه الخطيب من حديث عائشة بلفظ لا تحسبوا أحدا فقيل يا رسول الله ومن أحسب أن ألقى الله عز وجل وهو على بعض ما تحسبه فقيرا ول

فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف عدة ما تحت اسمه الا تحميما وما تحقيق فلا يعلم ان السورة عشرة اجزاء مما يختص به الحق ويفارق به غيره وهو مختص بانواع من (٢٧٤) الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة

ستة وأربعين حرفا هي الرواية المشهورة كما قاله الداني وفي رواية لمسلم من حديث ابي هريرة أيضا خمسة وأربعين وروى ابن ماجه بلفظ بضع وبين وفي حديث ابن عمر حزة من سبعين حرفا وهو في صحيح مسلم وبرموز ابن عبد البر لا يختلف في صحته قال وروى عن ابن عباس مرفوعا مثله وذكر ابن عدي نحوه من حديث ابن عمر ومن تسعة وأربعين حرفا وروى من حديث عائشة من أربعة وأربعين وروى ابن عدي عن ابن عباس عن عبد المطلب مرفوعا من حسن جبر وروى ابن عبدا البر من حديث أنس من سبعة وعشرين ومن حديث أبي هريرة عند الطبراني من أربعين حرفا وهو ثمان وثمانون أقلها سبعة وعشرين وأكثرها سبعون وأصحها وأشهرها ستة وأربعين وهذه الروايات كلها مشهورة فلا سبيل الى أحد أحدها وطرح الباقي (فهو تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف عدة ما تحت اسمه الا تحميما) وظنا (وما تحقيق فلا) اذ ليس في وسعه ذلك (اذ يعلم ان السورة عبارة عما يختص به الله ويفارق به غيره) فلا يشاركه فيه (وهو مختص بانواع من الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله) تعالى (وصفاته) وأفعاله (والملائكة والدار الآخرة) كما يعلمه غيره لكن له مزية كثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والانكشاف والثاني أن له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما أن لناصفة بها تتم الحركات المقدورة لنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث أن له صفة بها يصير الملائكة وشاهدهم كأن البصير صفتهم يدارون الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب أمامي اليقظة أو في المنام اذ هي بها طالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من العجب وهذه كلها صفات تعلم نبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد منها الى أقسام وربما يمكننا أن نقسمها الى أربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا أيضا أن نكلف تقسيمها الى سبعة وأربعين بحيث يقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيم يمكنه لا يمكن الا بظن وتحميم ولا سبيل لتحقيق انه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا

واعلم المعلوم مجامع الصفات التي هي تمام السورة واصل انقسامها ودلالة لا يرشدنا الى معرفته عند تقدير فكذلك نعلم أن للفقراء

منهاج

لهم درجات كما سبق فأما كان هذا الفقير الحريص متلاعبا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يفتقر له تقدم بأكثر من أربعين سنة الى الجنة فتعني ذلك التقدم بخمسة أعوام فليس في قوة البشر غير الانبياء الوقوف على ذلك الا نوع من التحميم ولا وثوق به والغرض التنبيه على

مفتاح التقدير في مثل هذه الامور) أو اردفي مفتاح الاحضر (فان الضعيف لا يمكن ان يدل ان ذلك
مجرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك) بل كلامه كله
حكم ودر وتوضيحات عرفها من عرف وجهلها من جهل (ويرجع الى قول الاحضر فقد قال صلى الله
عليه وسلم أيضا خير هذه الامة قرنها وآخرها تضعف) أي تضعفا (في الخير ضعفا بعد ضعف) كذا في
القوت قال العراقي لم أجد له أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم ان لي خرقتين اتتني من أحبهما فقد أحبني
ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد) قال العراقي لم أجد له أصلا (وروى ان جبريل عليه السلام
نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فاطرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
ولها يجمع من لا عقل له
فقال له جبريل يا محمد ثبتك
الله بما تقول ثلاث وروى
ان المسيح صلى الله عليه وسلم
مر في سياحته برجل نائم
منتبذ في عباءة يتقه ويقال
يا نائم قم فاذكر الله تعالى
فقال ما تريد مني قد
تركت الدنيا لاهلها فقال
له قم اذا يا حبيبي ومر موسى
صلى الله عليه وسلم برجل
نائم على التراب وتحت
رأسه حجر وجهه حجبه
في التراب وهو منتبذ في عباءة
فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله
تعالى اليه يا موسى أما علمت
اني اذا نظرت الى عبد
توجهي كله زويت عنه
الدنيا كلها وعن أبي رافع
أنه قال ورد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضيف

فلم يجد عنده ما يضعه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال له يقول لك محمد أسلفني أو علي دقيق فقال والله لا أو الله الا
برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه
اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت برئت هذه الآية ولا تمدن عينيك الآية قال نعزيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يجد عنده ما يضعه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال له يقول لك محمد أسلفني أو علي دقيق الى هلال رجب قال فاتيته فقلت له ذلك فقال
والله لا أو الله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه
اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت برئت هذه الآية ولا تمدن عينيك الآية قال نعزيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا

(وقال صلى الله عليه وسلم الفقر زين المؤمن من العذاب الخمس على حد العرس) قال العراقي في روح الطبراني من حديث سداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف بهذا من كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأما ابن عدي في الكامل هكذا الفقر زين للمؤمن كما أن العرس زين للرجل وأما البيهقي في الزهد من حديث سعد بن مسعود الفقر للمؤمن من العذاب الخمس على حد العرس (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) رواه البخاري في الأدب والترمذي وحسنه وابن ماجه والبيهقي من حديث صفوان بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه ورجاله ثقات من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم (وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالى (قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى ما رأيت فقرا مقبلا قط مرحبا بشعار الصالحين) وما رأيت غنى مقبلا قط تحت عقوبة رواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب غير مرفوع بإسناد ضعيف وقد تقدم (وقال عطاء الخراساني) وهو أبو عثمان عطاء بن أبي مسلم واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله مولى أبي محمد الجلي والأبين روى له مسلم ولأبيه وهم عند البخاري أخرج له (مر عيسى عليه السلام بساحل البحر) أي ساحل بحر (فإذا هو برجل يصلي صلاة حسنة) أي يصلي صلاة حسنة (وله شبكة) في الماء (فيخرج منها) حوتا واحدا (ثم يرمي بها آخر فقال يا مسكين الشيطان وأبي شبكة) في الماء (فخرج منها من الحيتان ما لا تحصى كثرة) كذا في النسخ والصواب لا تحصى (فقال له عيسى عليه السلام بحق ما أعطاك الله ما رأيت ما أعطاك الله هذا من الدنيا (قال) أي عليه السلام (يا رب ما هذا وقد علمت كل شيء قبل أن تخلقه) تعلم الملائكة الكتبة والعبدي عن منزلتهما فما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة وذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال بينما صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وفي لفظ آخر فقلت أين الأغنياء وفي لفظ آخر فقلت أين الأغنياء وقيل حبسوهم الحساب وفي حديث آخر رأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهم فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران) رواه العراقي وقال رواه محمد بن حنيف بن أبي حنيفة بن عتيك الأنصاري في مسند أبيه بسند ضعيف (وفي لفظ آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام وكان ملكه

وآخرهم دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف الأحمر عداده وفي حديث آخر

رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم اشد ما يدخل يعني الجنة رجل آخر من أهل بيت رضي الله عنهم الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا لم تضره خطيئة ومن أبغض الله عبدا لم تنفعه حسنة ثم قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عابد قد أفسده العجب كم من عالم قد قتله جهله وما فساد العالم

الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من أحبائك من خلقك حتى أحبهم لأحبك فقال كل فقير حقير فيمكن أن يكون الناس للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه إني لأحب المسكنة وأبغض الغنى وكان أحب الأسامي إليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين وإنما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجتمعون إليك ولا يجيء يجيء إليك ولا يجيئون يجيء إليك يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم فحسن إسلامهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه الذي يراد بهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاعرقوا فاحت لروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الأغنياء

رأيته) يعني عبد الرحمن بن عوف (دخل الجنة زحفا) رواه أحمد والطبراني من حديث عائشة بنحوه وابن ماجه وابن حبان وروى أبو نعيم عن الطبراني وقد تقدم ورواه الفريابي من طريق عطاء بن أبي رباح عن بريدة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا الحديث وقد تقدم ورواه أحمد من طريقه (وقال المسيح عليه السلام) وقد قال له رجل اصحبني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني قال لا أستطيع فقال عليه السلام (بشدة يدخل الغني الجنة) وقد تحدث كذا في القوت (وفي خبر عن آل بيت عليهم السلام أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله عبدا لم تضره خطيئة وإذا أبغض الله عبدا لم تنفعه حسنة قيل وما فقه ذلك قال لم يترك له أهلا ولا مالا) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي عبيدة الحولاني إذا أحب الله عبدا الحديث وقد تقدم وقال الطبراني في الكبير وفي الأوسط لا يترك له مالا ولا ولدا ورواه أبو نعيم في الحلية والديلمي من طريقه من حديث ابن مسعود إذا أحب الله عبدا أفقره في صلبه ولم يشغله برد ولا ولد وسيأتي بعض شواهد من رواية محمد بن علي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا الحوفي جمع بلاغة الشريف الرضي (وفي الخبر إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي الله إلى موسى عليه السلام يا موسى وذكر زيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع بإسناد ضعيف اهـ قلت قول كعب قد تقدم الإعلام بأنه المرفوع من حديث أبي الدرداء وقد رواه الديلمي بلفظ أوحى الله إلى موسى بن عمران يا موسى إن كثرة خدم الجنة حور العين وخدمة نواري بها عورتك وصبرك على المصيبات وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل إثم ذنب عجلت عقوبته وإذا رأيت الدنيا مدبرة فقل مرحبا بشعار الصالحين ورواه كذلك أبو عثمان الصابوني في المائتين وقد تقدم أيضا (وقال موسى عليه السلام يا رب من أحبائك من خلقك حتى أحبهم لأحبك قال كل فقير حقير) علله صاحب القوت (فيمكن أن يكون الناس للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر) قال العراقي في المعنى من حديث عمر وروى ابن أبي الدنيا في الإخلاص عن عمر من حديث أبي أمامة نحوه وزاد فأحبه قال فأين أطلبك قال في المساكين فإني أقرب ما أكون منهم في ذلك وإذا رأيت عبدي كثير ذكري وأنا أذكره في ذلك وإذا رأيت عبدي لا يذكرني ناسيته عن ذلك وأنا أعصمه (وقال المسيح عليه السلام إني لأحب المسكنة وأبغض الغنى) وهذا القوت الذي وافق في المعنى الداء كبيرا بين (وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له يا مسكين) نقله صاحب القوت (وإنما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجتمعون إليك ولا يجيء يجيء إليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء) من أصحابه (مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم فحسن إسلامهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه الذي يراد بهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاعرقوا فاحت لروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الأغنياء

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقيل لحق من ربكم يعني القرآن فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية) قال العراقي تقدم من حديث خباب وبيس فيه انه كان منهم ضعف وتطوح بعضهم اذ عرقوا وهذه زيادة في حديث سلمان اذ ليست أما حديث سلمان فرواه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق حماد بن سلمان قال حدثني ثابت عن أصحابهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله عن عمه عن سلمان قال جاء ناس من كبراء المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وروائح صنانهم كانوا عبيدا وحلقا وكان عليهم جباب الصوف لكنا عنهم فجالسناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى ما أوحى اليك من كتابي وقال لي قومك ائتهم فجلست اليهم حتى عرفت ما يريدون فقاموا وتركوني فأنزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقمت اليهم فجلست في مؤخر المجلس وقلت يا أيها الناس فعقلوا عني فما كلمت أحدا منهم حتى فارقني وأنا أعلم أنه قد عقل عني فأنزل الله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ألم يكن الله بأعلم بالشاكرين فكنت أنا من الله عليهم وكنت أنا أعلم بالشاكرين ثم قال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد بين أيدينا وأنا أعرفه فما يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة حتى وضع يده على رأسي فقال الحديث وقد رواه كذلك ابن ماجه وأبو عوانة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل (وابن أبي حاتم) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعمى رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (كان يستأذن) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعمى رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم عما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فينثر الله تعالى اليه كما ينثر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فجيده فيقول ويعرض الناس يومئذ وجوههم معرض فيخجل الصفوف ويعلم من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقيل لحق من ربكم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية) قال العراقي تقدم من حديث خباب وبيس فيه انه كان منهم ضعف وتطوح بعضهم اذ عرقوا وهذه زيادة في حديث سلمان اذ ليست أما حديث سلمان فرواه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أصحابهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله عن عمه عن سلمان قال جاء ناس من كبراء المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وروائح صنانهم كانوا عبيدا وحلقا وكان عليهم جباب الصوف لكنا عنهم فجالسناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى ما أوحى اليك من كتابي وقال لي قومك ائتهم فجلست اليهم حتى عرفت ما يريدون فقاموا وتركوني فأنزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقمت اليهم فجلست في مؤخر المجلس وقلت يا أيها الناس فعقلوا عني فما كلمت أحدا منهم حتى فارقني وأنا أعلم أنه قد عقل عني فأنزل الله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ألم يكن الله بأعلم بالشاكرين فكنت أنا من الله عليهم وكنت أنا أعلم بالشاكرين ثم قال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد بين أيدينا وأنا أعرفه فما يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة حتى وضع يده على رأسي فقال الحديث وقد رواه كذلك ابن ماجه وأبو عوانة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل (وابن أبي حاتم) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعمى رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (كان يستأذن) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعمى رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه (وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم عما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فينثر الله تعالى اليه كما ينثر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فجيده فيقول ويعرض الناس يومئذ وجوههم معرض فيخجل الصفوف ويعلم من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة

حديث أنس عند أبي الشيخ ويؤخر بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم (وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة) قال العراقي رواه أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة وذكر أن يوم القيامة يأتي فيقول يا فقراء فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا اهـ ورواه المقاصر للحافظ السخاوي ورواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من الحلية كما قاله الديلمي ثم العراقي في تخريج الإحياء عن الحسين بن علي ورمز له في الصحيحة لابن حبان وقال شيخنا به لا أصل له نعم في حديث بن هبيرة عن ابن عباس وهب من دولة اتخذوا عبدا فقيرا عند الملك فإن لهم يوم القيامة دولة وفي قصة الحوت للثعلبي بسند فيه مجاهيل عن عبد الرحمن الملقب التابعي رفعه مرسلا اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال يؤتى بهم يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير إلا قام حتى يجتمعوا ثم يدخلون الجنة ثم يؤتى بصفوف أهل الغنى فيقال لهم ما صنع إليكم معروفا فأدوه إليه فيقول شخص يجتمع على الرجل كذا وكذا من الدنانير فيقال له ادخل ثم أكسيت فيه فيقول له الآخر ثم كسيت وصدقة فيقول له الآخر ولا ثم أكلم فيقال ولا ثروب فيروونه فيصعدون به صعودا إليه وهو يدفعهم عنه حتى يذهب بهم حيث يدفعهم فيقول فيم لم تكونوا تصعدون بالمعروف إلينا كما صعد به إلينا حتى يدخل الجنة وسنده واه (وعن ابن عباس رفعه إن لله تعالى ملائكة يقولون يوم القيامة أين دولة رسول الله وأصحابه فيقال لهم انظروا من أطعمكم في الله تعالى لقمة أو كساكم ثوبا أو سقاكم شربة فخذوا بيده فأدخلوه الجنة) هذا حديث بن عباس رواه ابن عدي في الكامل وقال منكر وابن عساكر في التاريخ من طريق محمد بن مهران عن ابن عباس رفعه إن لله ملائكة يقولون يوم القيامة أين دولة رسول الله وأصحابه فيقال لهم انظروا من أطعمكم في الله تعالى لقمة أو كساكم ثوبا أو سقاكم شربة فخذوا بيده فأدخلوه الجنة هذا حديث بن عباس ور

فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين منهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد انتظر ما يعني الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فرأى به شيئا فقال لو قسم هو وهذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة هو الذي يا رسول الله قال كل (٢٨٠) ضعيف متضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وقال عمران بن

حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ومكانة فقال يا عمران ان لك عندنا مكانة ومنزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أأدخل معي من هو معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران بن حصين قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فما لي لا عباءة عليها خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم أأدخل فقالت أصحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي انك لا تجد عندي طعاما آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تحزني يا بنية فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وأني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني وأكلت آخر الدنيا ثم ضرب بيده على منكبي وقال يرضيك يا عمران لا تكوني سيدة نساء أهل الجنة فأين مريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عابدها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك لكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها ضعي يا بنية يدك على ثدي الطعام فوالله لقد رزقت سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة) قدم هذا الحديث في آخر كتاب دم الحيض وجب المال وذكر العراقي هناك انه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار ولم يزد من حديث عمران بن

و عشرين و ابن عساكر و روى صاحب الحلية من طريق سعيد بن أبي هلال عن عبد الله بن أبي بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف ما لقيت علي قال مات بعدك فأحسن وأما ذاك لكثرة ماله قال هذه مائة راحلة جاءتني من مصر وهي صدقة علي أرامل أهل المدينة (قلت لي هذا وعبد الرحمن) بن عوف رضي الله عنه (صاحب السابقة العظيمة) فانه هاجر الهجرتين وشهد بدرا وأحدا وباقي المشاهد كلها (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين منهم من أهل الجنة) رواه أحمد بسند الستة الا البخاري من حديث سعيد بن زيد قال الترمذي حسن صحيح ولفظهم أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة وقد رواه كذلك بن أبي شيبة وأحمد وابن سميع وابن أبي عاصم وأبو نعيم في حلية والضياء ورواه أيضا أحمد والترمذي وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده (وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا) متفق عليه من حديث أبي ذر وقد مر قريبا تقدم (ومع هذا فقد انتظر ما يعني الى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فرأى به شيئا فقال لو قسم هو وهذا على أهل الارض لوسعهم) قال العراقي لم أجده (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف متضعف أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لابره) قال العراقي متفق عليه من حديث حارثة بن وهب بلفظ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ولا يدخل الجنة الخ دون قوله أغبر أشعث (وقال عمران بن الحصين) رضي الله عنه (كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ومكانة فقال لي يا عمران ان لك عندنا مكانة ومنزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أأدخل معي من هو معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران بن حصين قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فما لي لا عباءة عليها خلقة فقال شدي بها على رأسك وأشار بيده هكذا حسبي فدوار يده كيف فأبى قالت بها هكذا فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم أأدخل فقالت أصحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي انك لا تجد عندي طعاما آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تحزني يا بنية فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وأني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني وأكلت آخر الدنيا ثم ضرب بيده على منكبي وقال يرضيك يا عمران لا تكوني سيدة نساء أهل الجنة فأين مريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عابدها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك لكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها ضعي يا بنية يدك على ثدي الطعام فوالله لقد رزقت سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة

حصين

حصين (وروى عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الناس فقراءهم واطهروا عمارة الدنيا وتكاثروا على جمع الدراهم وماهم عليه بار بع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء) فلا يعرف في رواية البيهقي بهذا وفيه جهالة وهو منكر اه قلت ورواه أيضا الحاكم وصححه وتعقب اه طاقا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتأبوا على جمع الدراهم الحديث وفيه وا سولة من بعدو (وأما الآثار) فقد (قال أبو الدرداء) رضي الله عنه كذا في النسخ والصواب أبو ذر (دلوني على رجل أشد حسابا أو) قال (أشد حسابا من ذي الدرهم) الوحيد رواه أحمد في الزهد عن يحيى بن سعيد حدثني سليمان عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال ذو الدرهم هين أشد حسابا من ذي درهم (وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر) بن حذيم الجمحي رضي الله عنه (مائة دينار) وفي رواية ابن سعد ألف دينار (فجاء حزينا كاسفا فسئل عن ذلك فاشتد ذلك على أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت (أحدث) في الاسلام (أمر قال أشد من ذلك) قالت فما هو قال أتنفي الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقضي الدنيا على وخلفت في أيام أبي بكر وهم يقضي على وحلفت في أيام عمر الا وأشد ثم أيام عمر (ثم) حدثتها فقالت يعني وأول ما صبح به مابدا لك (قال) أتساعدني على ما أريد قالت نعم قال (أرني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه) على جيش من المسلمين حرجوا يريدون الغزو ولم يترك لاهله منها دينارا فقالت له امرأته لو جعلت منها تستعين به فقال لها اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امرأة من أهل الجنة أشرفت الى الارض الحديث وفيه والله ما كنت لاختارن عليهن وسكتت وورد ما مات بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه (ثم قام يصلي ويبكي الى الصباح ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج) قال العراقي روى أحمد الفصل الاخير وفوقه دون المرفوع فرواه الطبراني دون الفصل الاول اه قال السمهودي عاما وفي اسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريبا اه قلت لفظ الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو عاصم حدثنا اسماعيل حدثنا مسعود بن سعد حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال دعا عمر بن الخطاب رجلا من بني جمح يقال له سعيد أبن عامر بن حذيم فقال له اني مستعملك على أرض كذا وكذا فسمى الحديث وفيه وما ينبغي لك أن تعلق الاول بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجمع الله الناس للحساب فيجيء فقراء المؤمنين يزولون كأنزف الحمام فيقال لهم قفوا للحساب فيقولون ما عندنا حساب ولا أتينا بشيء فيقول ربهم صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بنصف يوم وزاد أبو نعيم في الحلية من طريق جرير حدثنا يزيد بن أبي زياد وزاد من طريق أبي معاوية عن موسى الجهني عن عبد الرحمن بن سابط وفيه فلما أراد عمر أن يبعثه قال له عمر أكذا وكذا لا يدخل في نفسك شيء مما سمعت فقال يا أمير المؤمنين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحديث ورواه أبو نعيم أيضا من طريق حاتم بن مهران قال استعمل علينا عمر بن الخطاب سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فساق الحديث وفيه فبعث اليه عمر بألف دينار وقال استعن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك في خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما نكون اليها قالت نعم فدعا رجالا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت معه دراهم فقال انفقي هذه ثم عاد الى عمله وروى المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء

وروى عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الناس فقراءهم واطهروا عمارة الدنيا وتكاثروا على جميع الدراهم وماهم عليه بار بع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء (وأما الآثار) فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهم أشد حسابا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الصباح ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج

وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فريكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أتهاتريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له لعلك كنت عينا للسلطان فقال لا فقال لعلك الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقربه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت العين أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مكتوب (٢٨٤) ان آدم لو خاف من ربه كما يخاف من فقر لدخلهما جميعا ورغب في الجنة كما يرغب في النار لدخلهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال القمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا الخلق بنية فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا واقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تعرق مائة ألف درهم في يوم واحد وثوبها الى معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لنا بدرهم لحما لصلحنا عليه وكانت صائمة فما لت لو ذكرتني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت الخروج في طلب العيش فعليك بمجالسة الفقراء وايالك ومجالسة الاغنياء ولا تتعرى درعك حتى ترقعه وقد روى ابن المبارك في الزهد والترمذي وقال عربي صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى البيهقي من حديث أبي أحمد بن جحش والديلمي من حديث عبد الله بن حمك

ليدخلن في عمرهم ونحد بيده فيه يخرج (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال أتهاتريد) وهذا رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي سعيد ورجل غسل ثوبه فوجده جاء ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين ورجل دعا بشراب فيقال له أتهاتريد (وقيل جاء فقير الى مجلس) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (فقال له) الثوري (لعلك كنت عينا للسلطان فقال) لا (رواه أبو نعيم في الحلية (وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقربه للفقراء واعراضه عن الاغنياء) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال المؤمل) بن اسمعيل البصري أبو عبد الرحمن نزيل مكة (ما رأيت العين أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض الحكماء مكتوب في آدم لو خاف ربه كما يخاف الفقر لدخلهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في النار لدخلهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا) فهو صاحب القوت وقد تقدم نحو في كتاب الخوف (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما (ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه) وهو يعظه يا بني لا تحقرن أحدا الخلق بنية فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين) فهو صاحب القوت (وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا) فهو صاحب القوت (واقد كانت عائشة رضي الله عنها تعرق مائة ألف درهم في يوم واحد وثوبها اليها معاوية) بن أبي سفيان (وابن عامر) عندها (وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لنا بدرهم لحما لاصطلحنا عليه وكانت صائمة فما لت لو ذكرتني لفعلت) تقدم وما أوصاها أرسل اليها معاوية مائة ألف درهم هو عبد الله بن الزبير وان الجارية هي مولاتها أم درة (وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت الخروج في طلب العيش فعليك بمجالسة الفقراء وايالك ومجالسة الاغنياء ولا تتعرى درعك حتى ترقعه) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب وصححه الحاكم ورد عليه ابن القطان بل أعله بما هو أعرف منه من الدنيا كراد اركب وايالك ومجالسة الاغنياء ولا تستحي ثوبا حتى ترقعه وقد رواه ابن ماجة كذلك (وجاء رجل الى ابرهيم) بن أدهم رحمه الله تعالى (عشرة آلاف درهم دين عليه أن يقضيها فلم يعلم عليه الرجل فقال له ابراهيم تريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء عشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا) رواه القشيري في الرسالة (وجاء رجل الى ابرهيم بن أدهم عشرة آلاف درهم دين عليه أن يقضيها فلم يعلم عليه الرجل وقال له ابراهيم تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء عشرة آلاف درهم لا أفعل والله الموفق

(بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين)

وفي صحة والصادقين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به) رواه ابن المبارك في الزهد والترمذي وقال صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة ابن عبيد وقد تقدم وروى البيهقي من حديث أبي أحمد بن جحش والديلمي من حديث عبد الله بن حمك

ليدخلن في عمرهم ونحد بيده فيه يخرج (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال أتهاتريد) وهذا رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي سعيد ورجل غسل ثوبه فوجده جاء ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين ورجل دعا بشراب فيقال له أتهاتريد (وقيل جاء فقير الى مجلس) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (فقال له) الثوري (لعلك كنت عينا للسلطان فقال) لا (رواه أبو نعيم في الحلية (وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقربه للفقراء واعراضه عن الاغنياء) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال المؤمل) بن اسمعيل البصري أبو عبد الرحمن نزيل مكة (ما رأيت العين أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض الحكماء مكتوب في آدم لو خاف ربه كما يخاف الفقر لدخلهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في النار لدخلهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا) فهو صاحب القوت وقد تقدم نحو في كتاب الخوف (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما (ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه) وهو يعظه يا بني لا تحقرن أحدا الخلق بنية فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين) فهو صاحب القوت (وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا) فهو صاحب القوت (واقد كانت عائشة رضي الله عنها تعرق مائة ألف درهم في يوم واحد وثوبها اليها معاوية) بن أبي سفيان (وابن عامر) عندها (وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لنا بدرهم لحما لاصطلحنا عليه وكانت صائمة فما لت لو ذكرتني لفعلت) تقدم وما أوصاها أرسل اليها معاوية مائة ألف درهم هو عبد الله بن الزبير وان الجارية هي مولاتها أم درة (وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت الخروج في طلب العيش فعليك بمجالسة الفقراء وايالك ومجالسة الاغنياء ولا تتعرى درعك حتى ترقعه) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب وصححه الحاكم ورد عليه ابن القطان بل أعله بما هو أعرف منه من الدنيا كراد اركب وايالك ومجالسة الاغنياء ولا تستحي ثوبا حتى ترقعه وقد رواه ابن ماجة كذلك (وجاء رجل الى ابرهيم) بن أدهم رحمه الله تعالى (عشرة آلاف درهم دين عليه أن يقضيها فلم يعلم عليه الرجل وقال له ابراهيم تريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء عشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا) رواه القشيري في الرسالة (وجاء رجل الى ابرهيم بن أدهم عشرة آلاف درهم دين عليه أن يقضيها فلم يعلم عليه الرجل وقال له ابراهيم تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء عشرة آلاف درهم لا أفعل والله الموفق

(بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين)

وفي صحة والصادقين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به) رواه ابن المبارك في الزهد والترمذي وقال صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة ابن عبيد وقد تقدم وروى البيهقي من حديث أبي أحمد بن جحش والديلمي من حديث عبد الله بن حمك

ابن الحرث مرفوعا لن يرفد الله لكشف ثم صبر عليه (وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظهروا بثواب فقركم والا فلا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة وهو ضعيف جدا وأحمد بن الحسن بن بنان الصري متهم بالكذب ووضع الحديث اه قلت وهو بضم الميم وفتح الصاد المهملة وبعد الراء ياء نسبة وروى عن أبي عاصم قال سمعت رضي كذا (قلت الرابع وهذا) وفي نسخة قوله (الرضى وبكاد يشعر هذا بمفهومه بان الحريص) الذي هو أحد أقسام الفقير (لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فعلى المراد (فاعلم ان المراد بعدم الرضا هو الكراهة) بمعنى (أن يكره) أي يكره (الفقر ويحب الغنى) أي يحب الغنى (ويسأل الله تعالى ان يجعله غنيا) أي في الدنيا (فهذا هو الذي لا يحمد عليه ويذم) أي يعاب (عليه) أي على الفقر (ويسمى سخطا) أي على القدر (وشكاية) أي من الله تعالى (وهو حرام) أي في الشرع (وهو الذي يحبط ثواب الفقر) أي الصبر عليه (وقد روي) أي ما ذكر (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء فجالسهم جالسك الله تعالى يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان وابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اه قلت وورده القشيري في الرسالة قال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن حمدان حدثنا عمر بن شيبة حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن محمد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء فجالسهم جالسك الله يوم القيامة الحديث (وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير الذي يرضى عن الله تعالى) قال العراقي لم أجد له هذا اللفظ وتقدم من رواية ابن ماجه أن الله يحب الفقير المتعفف اه قلت وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل انا الله لا إله إلا أنا ومن قدري الرضى لكان الفقير الذي لا يسأل شيئا هو عندي كبعض ملائكتي (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ اجعل قوت آل محمد كفافا قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا اه قلت بلفظ اللهم ارزق آل محمد كفافا وهذا متفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والترمذي وابن ماجه وفي يمن والبيهقي اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (ما من أحد من أمتي ولا فقير الا وهو يوم القيامة) أي يوم القيامة (انه كان قوتا في الدنيا) رواه ابن عدي من حديث أنس وقد تقدم (وأوحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم) وتقدم للمصنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام لهي أين أجدك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلي (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد فضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العراقي لم أجد له هذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا رب وما صفوتك من خلقك فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري فجالسوهم أجلسهم فيدخلهم الجنة قبل حسابهم وأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (وهذا) ما ورد (في القانع والراضي وأما الزاهد فسيذكره المصنف في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع) قال بعض الحكماء القناعة هي الاجزء بالبسير من الاعراض الخسيسة والطمع الرجوع للغير في شهوته (وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا أبو معاوية ووكيع

ابن الحرث مرفوعا لن يرفد الله لكشف ثم صبر عليه (وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظهروا بثواب فقركم والا فلا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة وهو ضعيف جدا وأحمد بن الحسن بن بنان الصري متهم بالكذب ووضع الحديث اه قلت وهو بضم الميم وفتح الصاد المهملة وبعد الراء ياء نسبة وروى عن أبي عاصم قال سمعت رضي كذا (قلت الرابع وهذا) وفي نسخة قوله (الرضى وبكاد يشعر هذا بمفهومه بان الحريص) الذي هو أحد أقسام الفقير (لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فعلى المراد (فاعلم ان المراد بعدم الرضا هو الكراهة) بمعنى (أن يكره) أي يكره (الفقر ويحب الغنى) أي يحب الغنى (ويسأل الله تعالى ان يجعله غنيا) أي في الدنيا (فهذا هو الذي لا يحمد عليه ويذم) أي يعاب (عليه) أي على الفقر (ويسمى سخطا) أي على القدر (وشكاية) أي من الله تعالى (وهو حرام) أي في الشرع (وهو الذي يحبط ثواب الفقر) أي الصبر عليه (وقد روي) أي ما ذكر (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء فجالسهم جالسك الله تعالى يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان وابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اه قلت وورده القشيري في الرسالة قال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن حمدان حدثنا عمر بن شيبة حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن محمد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء فجالسهم جالسك الله يوم القيامة الحديث (وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير الذي يرضى عن الله تعالى) قال العراقي لم أجد له هذا اللفظ وتقدم من رواية ابن ماجه أن الله يحب الفقير المتعفف اه قلت وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل انا الله لا إله إلا أنا ومن قدري الرضى لكان الفقير الذي لا يسأل شيئا هو عندي كبعض ملائكتي (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ اجعل قوت آل محمد كفافا قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا اه قلت بلفظ اللهم ارزق آل محمد كفافا وهذا متفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والترمذي وابن ماجه وفي يمن والبيهقي اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (ما من أحد من أمتي ولا فقير الا وهو يوم القيامة) أي يوم القيامة (انه كان قوتا في الدنيا) رواه ابن عدي من حديث أنس وقد تقدم (وأوحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم) وتقدم للمصنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام لهي أين أجدك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلي (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد فضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العراقي لم أجد له هذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا رب وما صفوتك من خلقك فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري فجالسوهم أجلسهم فيدخلهم الجنة قبل حسابهم وأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (وهذا) ما ورد (في القانع والراضي وأما الزاهد فسيذكره المصنف في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم

عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال عمر في خطبته تعلموا أن الصبح فقر وأن العباس عمي وأن الرجل إذا لبس من شيء منتهى عمره ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه أيضا عن أبيه حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب عن أنس ورى عن هشام عن أبيه عن زيد بن أسلم عن عمر مثله (وقال) عبد الله (ابن مسعود) رضي الله عنه (ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم وابل بكيلين خير من كثير يطغيك) روى أبو داود والطيالسي من حديث أبي الدرداء ما طلعت شمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى تعرده ما ذفن عن خليد البصري عن أبي الدرداء (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ما من أحد الا وفي عقبه نقص وذلك أنه ليس يوم يأتي عليه الا وهو أنقص فيه مما مضى يوما وليلة والليل والنهار دائبان في عدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما العيي قال قوله تميل ورضاك بما يكفيك) أي عدم تعلق قلبك بالآمال ورضاك بما تيسر لك في الحال وهذا أحسن ما عرف به العيي (وقيل كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من أهل الشام بخراسان) إذ كان والده من أمراء بلخ (فبينما هو يشرف من قصره يوما إذ نظر إلى رجل في بستانه لقصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل ثم وقال) ابراهيم (لبعض غلمانه إذا قام فأتني به فلما قام جاء به إليه فقال) ابراهيم (أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال) ابراهيم (فلعلك من بوابي) فانتظره (فلما قام جاء به إليه وقال) له (ابراهيم أيها الرجل أكلت رغيفي وأنت شبعان قال نعم قال فشبعت قال ثم قال ثم غثت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه غلامي أضيع مالي وبعض تفع هذا بقدر) وهذا أحسن أسباب توبته وخروجه من ملك أبيه (ومر رجل بعامر بن عبد قيس) وكان من الصديقين (وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله) وفي نسخة يا عبد الله (أرضيت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة) وهذا القول وكان عامر بن عبد قيس إذا جن عليه الليل تقلب على فراشه من الدنيا يقول لئن لم تنم والله ليطولن لك القيل وكان يمر به القول فيقول له أرهد الناس فقال إنما أرهد مني لأني أرهد في قليل يفنى وأنتم ترهدون في كثير يبقى (وكان محمد بن واسع البصري رحمه الله) تعالى (يخرج سحرا فيقول يا ليل بالماء ويا بقل بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد) قال أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن رجل قال كان محمد بن واسع إذا ليس كل ساعة ثوبا لم يلبسه قبل ذلك فدعا بحمار ومشى عليه ثم جعل يأكل فقال لو لم أشبع بعد لرضي به لغيبهم وأدخل معهم وأواسي بهم وقال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني صفوان بن وكيع قال سمعت أبي يقول قلت لمحمد بن واسع أريد على لحمك وبدنك هذا قال عيالي وأنت محتاج قال مادمت تريني أصبر على الخل والبقل فلا تطعمهم في هذا مني (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (لعن الله أقواما أقسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ) هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق الآية وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه وفي بعض النسخ أبو ذر (جالسا في ليلة فأتته امرأته فقالت له تجالس بين هؤلاء والله ما في بيتك هذه ولا سعه) أي ما يجف ويسعه (فقال ياهذه إن بين أيدينا عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون فأحب أن أخف لتلك العقبة تفرد به موسى الصغير عن هلال ورى الحرث بن أبي أسامة

عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال عمر في خطبته تعلموا أن الصبح فقر وأن العباس عمي وأن الرجل إذا لبس من شيء منتهى عمره ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه أيضا عن أبيه حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب عن أنس ورى عن هشام عن أبيه عن زيد بن أسلم عن عمر مثله (وقال) عبد الله (ابن مسعود) رضي الله عنه (ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم وابل بكيلين خير من كثير يطغيك) روى أبو داود والطيالسي من حديث أبي الدرداء ما طلعت شمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى تعرده ما ذفن عن خليد البصري عن أبي الدرداء (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ما من أحد الا وفي عقبه نقص وذلك أنه ليس يوم يأتي عليه الا وهو أنقص فيه مما مضى يوما وليلة والليل والنهار دائبان في عدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما العيي قال قوله تميل ورضاك بما يكفيك) أي عدم تعلق قلبك بالآمال ورضاك بما تيسر لك في الحال وهذا أحسن ما عرف به العيي (وقيل كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من أهل الشام بخراسان) إذ كان والده من أمراء بلخ (فبينما هو يشرف من قصره يوما إذ نظر إلى رجل في بستانه لقصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل ثم وقال) ابراهيم (لبعض غلمانه إذا قام فأتني به فلما قام جاء به إليه وقال) ابراهيم (أيها الرجل أكلت رغيفي وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال ثم قال ثم غثت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه غلامي أضيع مالي وبعض تفع هذا بقدر) وهذا أحسن أسباب توبته وخروجه من ملك أبيه (ومر رجل بعامر بن عبد قيس) وكان من الصديقين (وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله) وفي نسخة يا عبد الله (أرضيت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة) وهذا القول وكان عامر بن عبد قيس إذا جن عليه الليل تقلب على فراشه من الدنيا يقول لئن لم تنم والله ليطولن لك القيل وكان يمر به القول فيقول له أرهد الناس فقال إنما أرهد مني لأني أرهد في قليل يفنى وأنتم ترهدون في كثير يبقى (وكان محمد بن واسع البصري رحمه الله) تعالى (يخرج سحرا فيقول يا ليل بالماء ويا بقل بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد) قال أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن رجل قال كان محمد بن واسع إذا ليس كل ساعة ثوبا لم يلبسه قبل ذلك فدعا بحمار ومشى عليه ثم جعل يأكل فقال لو لم أشبع بعد لرضي به لغيبهم وأدخل معهم وأواسي بهم وقال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني صفوان بن وكيع قال سمعت أبي يقول قلت لمحمد بن واسع أريد على لحمك وبدنك هذا قال عيالي وأنت محتاج قال مادمت تريني أصبر على الخل والبقل فلا تطعمهم في هذا مني (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (لعن الله أقواما أقسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ) هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق الآية وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه وفي بعض النسخ أبو ذر (جالسا في ليلة فأتته امرأته فقالت له تجالس بين هؤلاء والله ما في بيتك هذه ولا سعه) أي ما يجف ويسعه (فقال ياهذه إن بين أيدينا عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون فأحب أن أخف لتلك العقبة تفرد به موسى الصغير عن هلال ورى الحرث بن أبي أسامة

في رضي الله عنه يوما جالسا في بيته فأتته امرأته فقالت له تجالس بين هؤلاء والله ما في بيتك هذه ولا سعه فقال ياهذه إن بين أيدينا عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون فأحب أن أخف لتلك العقبة رضية

وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التحمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب السابقة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فما تحسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا المعنى أيضا

(يا جامعا ما نعا والدهر يرمقه * مقترا أي باب منه يغلقه
معتكرا كيف تأتيه منيته * أعد بأم بها يسري فيطرقه
أي يأتيه ليلا (جمعت مالا فقل لي هل جعلت له * يا جامع المال أياما تفرقه)
(المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه)
(أرده بذل فتى يعدو على ثقة * ان الذي قسم الأرزاق يرزقه)
(فالعرض منه مصون ما يدنسه * ولوجه منه حديد ليس يخلقه)
(ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه)
أي يحرمه ويقلقه

(بيان فضيلة الفقر على الغنى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الناس قد اختلفوا في هذه المسئلة) أبو القاسم (الجنيد) ابراهيم بن أحمد (الخواص) مات قبل العشرين وثلاثمائة (والاكثرون) من المشايخ (الى تفضيل الفقر) على الغنى وهو الحق الذي لا محيد عنه (وقال) أبو العباس أحمد بن محمد (بن عطاء) الآدمي المتوفى سنة ٣٠٩ (الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد) رحمه الله تعالى (رد على ابن عطاء) وناظره في هذه المسئلة (فحاققه اياما على هذا) وانكاره له أشد الانكار (فاصابته محنة) واضطرب فيه دعاه الجنيد يقول الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وان تساويا في المقام يحكم حالهما لان الغني يتقي بجمع نفسه وبجمع صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيأ وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال الروزي وذكر بعض الفقراء بجميل عنده ويكثر السؤال عنه فقلت له يحتاج الى علم فقال ويحك امسك صبره على الفقر ومقاساته الصبر خير من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا (وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل وأما الفقر والغنى اذا أطلقا مطلقا لم يترتب عليهما (من قرأ) وفي نسخة رأى (الاخبار و) طالع (الآثار في تفضيل الفقر) مطلقا وجدها تخص الراضي

في مسنده من طريق أبي أمية الرحبي انه دخل على أبي ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المحاسد والخلوق قال فقال الا تنظرون الى ما أمرني به هذه السوداء تأمرني اذا أتيت العراق فاذا أتيت العراق مالوا على بدياهم وان خلا لي عهد ان دون حمير جهنم طريقا ادحض وسرله وأبعد أن نأتي عليه وفي أحد لنا اقتدارا حرى ان نحرص ان نأتي عليه ونحن موافير (وقال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى (أقرب ما يكون الى الكفر ذو فاقة لا صبر له) وهو معنى حديث كاد الفقر أن يكون كفرا (وقيل لبعض الحكماء ما مالك قال التحمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب السابقة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فما تحسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس)

وقد قيل في هذا المعنى أيضا

(يا جامعا ما نعا والدهر يرمقه * مقترا أي باب منه يغلقه
معتكرا كيف تأتيه منيته * أعد بأم بها يسري فيطرقه)
(جمعت مالا فقل لي هل جعلت له * يا جامع المال أياما تفرقه)
(المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه)
(أرده بذل فتى يعدو على ثقة * ان الذي قسم الأرزاق يرزقه)
(فالعرض منه مصون ما يدنسه * ولوجه منه حديد ليس يخلقه)
(ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه)

(بيان فضيلة الفقر على الغنى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الناس قد اختلفوا في هذه المسئلة) أبو القاسم (الجنيد) ابراهيم بن أحمد (الخواص) مات قبل العشرين وثلاثمائة (والاكثرون) من المشايخ (الى تفضيل الفقر) على الغنى وهو الحق الذي لا محيد عنه (وقال) أبو العباس أحمد بن محمد (بن عطاء) الآدمي المتوفى سنة ٣٠٩ (الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد) رحمه الله تعالى (رد على ابن عطاء) وناظره في هذه المسئلة (فحاققه اياما على هذا) وانكاره له أشد الانكار (فاصابته محنة) واضطرب فيه دعاه الجنيد يقول الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وان تساويا في المقام يحكم حالهما لان الغني يتقي بجمع نفسه وبجمع صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيأ وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال الروزي وذكر بعض الفقراء بجميل عنده ويكثر السؤال عنه فقلت له يحتاج الى علم فقال ويحك امسك صبره على الفقر ومقاساته الصبر خير من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا (وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل وأما الفقر والغنى اذا أطلقا مطلقا لم يترتب عليهما (من قرأ) وفي نسخة رأى (الاخبار و) طالع (الآثار في تفضيل الفقر) مطلقا وجدها تخص الراضي بحقه فضل من يصغر الصابر ويقال ان الجنيد رد على ابن عطاء لما ادعاه وناظره عليه وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والغنى اذا أطلقا مطلقا لم يترتب عليهما من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر

ولابد فيه من تفضيل فقير حريص على غني متعفف بماله بالاضافة الى غنى متعفف ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص اذ لا يعني أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص المسك وأن الغني المتعفف ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص أما الاول فرعما يظن أن الغني أفضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه وما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم يسألون بها فسوف ما له الاغنياء فنعم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء أيضا بسائل عن ذلك فقال الغني أفضل لانه وصف الحق أما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فورهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء

فالفقر والغنى من الفقر والنصيرة تعمد ذلك فيه من عدم الشغلات والتجرد عن قصد الاوطار المذمومة وتحفة الحساب في القيامة وهذا يصح ان يكون مسلكا في تفضيله على الغنى (د) يمكن (لابد فيه من تفصيل) يرفع عنه نقاب الخفاء (فنقول انما يتصور الشك في مقامين أحدهما) في (فقير صابر وليس بحريص على الطلب بل هو قانع راض بالاضافة الى غنى متعفف ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني) في (فقير حريص) على الطلب (مع غنى حريص) على امساك المال (فلا يخفى ان الفقير القانع أفضل من الغني الحريص المسك) على المال (والغني المتعفف ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص) فهذه أربع مقامات وانما شككنا في المقامين الاولين (أما الاول فربما يظن ان الغني أفضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه) فاعتقاد المال (وهذا هو الذي ظنه) أبو العباس (ابن عطاء) رحمه الله (فيما نحسبه وما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح (فلا يتصور) أن يفضل (على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم يسألون بها فسوف ما له الاغنياء فنعم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء أيضا بسائل عن ذلك فقال الغني أفضل لانه وصف الحق أما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فورهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء ومعلوم ان الحق لا يعارض بنص ولا ظاهر ولا قياس ولا استحسان ولا مصلحة مرسلة ولا شيء من الادلة سوى النص والظاهر والقياس والاستحسان والمصلحة المرسلة فكيف يرجع عنه أو يتشكك لخبر عن أمر يقول آخرا فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء من الذكر وصف الفقراء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انظرهم الى مزيد الاعتناء عليهم بفضل يقول فرجعوا اليه يستفتون منه الخبر ويستثبتون عنه ما به فخبر فقال لا تحسدوا فان الذي قلت كما فعلت هو فضل الله يؤتيه من يشاء فمن يشاء ان يؤتيه فضله فشتهم في قبول الاول ولم يرجع هو عن قوله الى قبيله فصح هذا التأويل عن ما له الذي يؤول اليه واستنبط بطن العلم عنه وبعد حمل ابن عطاء ومن وافقه الخبر على ظاهره ولم يتهم تأويله بل كذبوا بما يخالفه بعينه فلم يعطوا حقيقة خبره وهو حقيقته اذ تأويل الحق الذي هو ما له وحقيقته عند الله تعالى من الله بمنى على ظهر الخطاب ليستبعده

فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الفقراء يأتيك فقال مرحبا بك و بمن جئت من عندهم فوم أحبهم قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه

أولو الالباب وقد فقهه في الدين وعلمه التأويل شهد بصدقان تأويلهم قول الرسول في أول الكلام لا بسقكم من قبلكم ولا لحقكم من بعدكم فكان قوله الذي مواعث لقوله الاول اذ لم يناقض الاول بالآخر فهذا من سحر بيان في قوله ان من البيان سحرا (فقد) فيه دليل ما ظنناه مفسر مكشوف في الخبر الذي (روى زيد بن أسلم) العدوي الذي مولى عمر مات سنة ست وثلاثين (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الفقراء يأتيك فقال مرحبا بك و بمن جئت من عندهم حيث من عند قوم أحبهم فقالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالخير (يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا نعودهم واذا افتقروا نفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء أن ان صبر واحتسب معكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق النعمي بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فاخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان النعمي وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أترى ان الله تعالى غني بالاسباب والاعراض ما نقطع ولم يطلق وأما آخرون فقالوا ان التكاثر

و يعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا نعودهم واذا افتقروا نفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء أن ان صبر واحتسب معكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق النعمي بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فاخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان النعمي وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أترى ان الله تعالى غني بالاسباب والاعراض ما نقطع ولم يطلق وأما آخرون فقالوا ان التكاثر

من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع ثم قالوا فهذا يدل على ان الفقر أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها لذلك قال تعالى فيما روي عنه نبينا صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته وقال سهل حب الغنى والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيما لانهما من صفات الرب تعالى ولعمري عند صاحب القوت ان سهلا من

من هذا الجنس تكلموا في تفضيل العمى والفقر وحاصل ذلك تعلق عمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تعدو مناقضتها

ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف لعبوديته من جعله وصفه فقد تحقق بالعبودية وخلاق العبودية هي الخلاق الايمان وهي التي أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف ليها وأوصاف الربوبية التي هي أخلاق الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مذموم اليها وكان الحسن يقول ما رأيت الله تعالى جعل بقاء الا لبعض خلقه غير وهو ابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا في البقاء في هذه الدار فما هي شر الدور أطولها بقاء وهم الشياطين والعمى أيضا مراد البقاء (فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل العمى والفقر وحاصل ذلك تعلق عمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تعدو مناقضتها كما يناقض قول من فضل العمى (بانه صفة الحق بالتكبر) والعز والبقاء (فكذلك يناقض قول من فضل العمى) وحاصل الفقر (بانه وصف العبد بالعلم) والمعرفة (والقدرة) فانه وصف الرب تعالى والجهل والعجز (والعمى) وصف العبد وليس لاحد (أن يفضل العجز على العلم) وكشف العطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره ينبغي أن يضاف الى مقصوده الذي يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من عمى لم يشغله العمى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان العمى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا لا يجتمع مع حب الله في القلب والحب للشيء مشغول به سواء كان في فراشه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر) باختلاف الاشخاص والاحوال (والدنيا معشوقة العاقلين) والعاجزين (المحروم عنها مشغول بطلبها) بأي وجه

ادكما يناقض قول من فضل العمى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم العمى لانه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والعجز وصف العبد وليس لاحد أن يفضل العجز على العلم وكشف العطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره ينبغي أن يضاف الى مقصوده الذي يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من عمى لم يشغله العمى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان العمى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا لا يجتمع مع حب الله في القلب والحب للشيء مشغول به سواء كان في فراشه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر باختلاف الاشخاص والاحوال والدنيا معشوقة العاقلين والعاجزين المحروم عنها مشغول بطلبها بأي وجه

والقادر عليها مشغول بحفظها والمنع بها فاذا انخرمت وغرعين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى هو وكل واحد غير ممتنع لا لقدرة الحاصل وجود قدر الحاجة أو فضل من فقده اذ الجائع يبيح سؤال الموت لا لسبيل المعرفة وبه أحدث الامر باعتبار الاكثر والحقير عن الخطر أو بعد ادفقة سراء أشد من ضراء ومن أعصم فلا يقدر

(٢٨٩) لا تقدر ولذلك قال اصحابه رضي الله عنهم

ليست فتنة اضراء فصبرنا ونبتلي بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلعة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر وضع للكل دون ذلك نادر خرج الشرع عن المعنى ودقه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تطمئنوا الى أموال أهل الدنيا فانها تذهب نورا نفسكم وقال بعض العلماء تغليب الاموال بعض حلاوة الايمان فهو صاحب القوت (وفي الخبر انه لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم) قال صاحب القوت وتبعه من صرح وهو العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق عبد الرحمن السعدي من حديث حذيفة باسناد فيه جهالة انه قيل لعبد الله الديلمي لكل أمة عجل يعبدونه وعجل أمتي الدراهم والدنانير وروى البيهقي حديث في هريرة لكل نبي أمة وأمتي أعظم الامم أفتنة على أمتي حبهم الدينار والدرهم وفي القوت وفي الاثر لكل أمة فتنة وفتنة أمتي هذا المال (وكان أصل عجل قوم موسى) عليه السلام (من حلية الذهب وهو أصفر أيضا) كما هو نص القرآن (فاتخاذ المال واتخاذ الذهب واجتماعهما محظور للانبياء والاولياء) روى ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمرو عن عمر قال ضرب عيسى عليه السلام يده الى الارض فقبض منها تبرا فجعله في احدى يديه ذهبا وفي الاخرى مدرا فقال لاصحابه أيهما أحلى في فمكم قالوا الذهب قال فانه مدر اذهبي بإذن الله تعالى (ثم يتم قوم ذلك بعد فضل الله تعالى عليهم) أقول اعلم هذه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا بلى علي ان كانت تتمثل له زينتها) رواه الحاكم مع اختلاف وقد تقدم في ذم الدنيا (وكان علي رضي الله عنه يقول ياصفراء غري غيري ويابيضاء غري غيري) رواه أحمد في الزهد حدثنا وهب بن جرير حدثنا محمد بن قيس عن عبد ربه بن سعيد قال أتى علي بن أبي طالب فقال له صاحب له يا أمير المؤمنين امتلأت المسلمين من صفرائها وبيضائها فقال الله كثيرا فقام عليه وكان على بيت المال فقال هذا احصائي وجميع ما في بيت المال وهو يقول بصفرائها وبيضائها غري غيري هذا حدثني الكوفي قال مودي في اساس وعلى جميع ما في بيت المال وهو يقول بصفرائها وبيضائها غري غيري هذا حدثني ما بقي منه دينار ولا درهم ثم نثر نعله وصلى فيه ركعتين (وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاعتزام والولاية ورؤية ربه وذلك هو المعنى المطلق فقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (واذا كان ذلك بعيدا فالاصح كافة الخلق فقدان المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا يشكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وقنع بالقدرة عليها واستشعار راحة

(٢٧ – (تحف السادة المتقين) – تاسع) وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاعتزام ورؤية ربه ولولا أن رؤية ربه وذلك هو المعنى المطلق فقال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وان كان ذلك بعيدا فالاصح لكافة الخلق فقدان المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا يشكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وقنع بالقدرة عليها واستشعار راحة

في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس بعضه يستوحش من الآخر وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما قطعت أسباب الأنس بالدنيا بالتحاق القلب عن الدنيا وزهرتها وقلت الدنيا تجافى عنه سوى الله تعالى وكان مؤنسا بالله تعالى لأنه لا متصور لقاطع ولا مزيل في الوجود إلا الله تعالى وغيره من أقل شيء غيره فقد تجافى عنه ومن أقل عنه تجافى عن غيره ويكون انقباضه على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثاله مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان متباينتان يتردد بينهما بقدر ما تقرب من أحدهما بقدر ما تبعد عن الآخر فالقرب من أحدهما هو عين البعد عن الآخر فمعنى حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى وحسبك أن يكون مقتضى تعريف الدنيا في عرفه عن الله وأنسه بها

(في بذلها) وصرفه (وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس بعضه يستوحش من الآخر وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما قطعت أسباب الانس بالدنيا بالتحاق القلب عن الدنيا وزهرتها وقلت الدنيا تجافى عنه سوى الله تعالى وكان مؤنسا بالله تعالى لأنه لا متصور لقاطع ولا مزيل في الوجود إلا الله تعالى وغيره من أقل شيء غيره فقد تجافى عنه ومن أقل عنه تجافى عن غيره ويكون انقباضه على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثاله مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان متباينتان يتردد بينهما بقدر ما تقرب من أحدهما بقدر ما تبعد عن الآخر فالقرب من أحدهما هو عين البعد عن الآخر فمعنى حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى وحسبك أن يكون مقتضى تعريف الدنيا في عرفه عن الله وأنسه بها

فصل الفقير والمعنى بحسب تعلق قلبه بها بالمال فقد كان متساويا في حبه الدنيا وكراهته لها لأن هذا من قبيل التقدم وموضع غرور فإن المعنى وراء ما يظن أنه مقطع القلب عن المال فيكون حبه دنيا في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقده فالحب لشيء هو الميل إلى مقارنته والكراهة له هو الميل إلى مفارقته فإذا عرف هذا فنقول إن كان معروفا أو كمن رحل إلى بلاد بعيدة لطلب مال فإنه مقطع القلب عنها فعند لزوم البيع وتسليم الجارية تشتغل من قلبه بالبيع بقدر ما كانت مستكنة فيه فتحقق أنه إذا كان معروفا وأن العشق كان مستكنا في فؤاده استكنان النار تحت الرماد أو استكنان الماء في جوف الأرض فهذا هو الذي عصم الله تعالى عنه العوام (وإن كان ذلك محالا أو بعيدا فالمعتمد قول من يقول إن الفقير أصغر كثيرا من أن يكون علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعفه تضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فإن حركات اللسان) بالذكر (ليست مرادة لأعيانها بل لتأثيرها في القلب) وهو المراد من الخبر (فإن كان ذلك يحصل بالسكوت فالسكوت أفضل) وهذا هو الذي أراد من قال (من عرف الله طال لسانه) أي بالذكر (ومن عرف الدنيا قل كلامه) أي إلا لضرورة (ومن عرف الآخرة قل طعامه) أي لأن من عرف الآخرة عرف أن الدنيا لا قيمة لها فلا يشتغل بتحصيل الطعام إلا بقدر الضرورة (ومن عرف الله خشع قلبه) أي لأن من عرف الله عظمه وهابه فخشع قلبه (وقال بعض السلف من تعلم مسألة من العلم وعمل بها كتب له أجر قيام ليلة) أي لأن العلم يراد للعمل فإذا عمل به فقد حصل المقصود (وقال بعض السلف من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السموات عظيما) أي لأن العمل بالعلم يورث القرب من الله تعالى

تعالى (ذو بعد وقد صرح به في قوله ذو الجلال والإكرام) أشار (بأن الغنى) الذي (ليس عند دقيق ولا جليل) أخبره به في ذلك الوقت (كان) أي (فعل من فعل) كذا في النسخ (وكان) أشار (بقوله من يعني به عند الله) أي في روضة (عمن له ومثل أعمالهم) أي (عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكثرون) أي (جمع عظام الفقراء من الأغنياء) لأنهم أيسر أحوالا وأوجد منهم مالا (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم إني أسألك العدل عند الغضب والقصد) أي (في الفقر) بفتحتين (والغنى) أي الغنى (وأسألك نعيما لا ينفد) أي لا ينقطع (وقرة عين لا تنقطع) أي لا تنقطع (وأسألك الرضا بعد القضاء) أي (وبرد العيش بعد الموت) أي (ولذة النظر إلى وجهك) أي (والشوق إلى لقائك) أي (في غير ضراء مضرة) أي (ولا فتنة مضلة) أي (اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين) أي (وقد كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله تحذر من بدو وجوده هذا مع أن حسن

أصح من وجوده هذا مع أن حسن

أحوال أي أن يحسن حاله لا ينفق طيبا مع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب وبهذا أخبر عبد الرحمن بن عوف عن الحسد إذ كان مشغولا بالحساب كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانوتا على باب المسجد ولا يحطني فيه صلاة وذكر أربع كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تذكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وارتفاع القدر وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان العبد عريا عن وجود

تعالى (ذو بعد وقد صرح به في قوله ذو الجلال والإكرام) أشار (بأن الغنى) الذي (ليس عند دقيق ولا جليل) أخبره به في ذلك الوقت (كان) أي (فعل من فعل) كذا في النسخ (وكان) أشار (بقوله من يعني به عند الله) أي في روضة (عمن له ومثل أعمالهم) أي (عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكثرون) أي (جمع عظام الفقراء من الأغنياء) لأنهم أيسر أحوالا وأوجد منهم مالا (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم إني أسألك العدل عند الغضب والقصد) أي (في الفقر) بفتحتين (والغنى) أي الغنى (وأسألك نعيما لا ينفد) أي لا ينقطع (وقرة عين لا تنقطع) أي لا تنقطع (وأسألك الرضا بعد القضاء) أي (وبرد العيش بعد الموت) أي (ولذة النظر إلى وجهك) أي (والشوق إلى لقائك) أي (في غير ضراء مضرة) أي (ولا فتنة مضلة) أي (اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين) أي (وقد كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله تحذر من بدو وجوده هذا مع أن حسن

أحوال أي أن يحسن حاله لا ينفق طيبا مع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب وبهذا أخبر عبد الرحمن بن عوف عن الحسد إذ كان مشغولا بالحساب كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانوتا على باب المسجد ولا يحطني فيه صلاة وذكر أربع كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تذكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وارتفاع القدر وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان العبد عريا عن وجود

وعدمه جميعا بالنسبة إلى عدمه كالفقير الذي لا يملك شيئا ولا يرجو شيئا فهو غني بغناء الله تعالى عنه لأنه يتصور منه أن يملك ويتصور منه أن يفرق وما ذكره من أن الغنى عيبا لا عراض والحساب صحيح في حق من يريد بقاء المال وما ذكره من أن الغنى وصف الحق لا يليق بالعبد بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى

ما يعم وجود معنى الله تعالى فهو محوس الحقيقة ولا رحمة بيس يحسن به ان يتجمع عما ناله فقد روى
الطبراني والحاكم وأبو نعيم من حديث عثمان بن ساعدة ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها
دخل الجنة وهي وتر يحب الوتر فمن معاني أسماء الله تعالى ثلاثة الاول ان يكشف
لك معاني أسماء الله تعالى لم تكن لتجري لتقي لحاصل للانسان صفة الباطنة التي يدركه
بها هذه الاسماء فمنها ما يكشف لهم من صفات الجلال على وجه يبعث همتهم الى
الاتصاف بها كلهم من حيث اتصفت بتقريرهم من الحق فردا لصفة لا بالمكان الثالث السعي في
اكتساب المكن من حيث تعلق وتحقق وتخلق بها بقدر ما يليق للملأ الاعلى
من الملائكة (وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع
الطريق لاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق
به عند فقدان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه بيس من صفات الله تعالى وأما
التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على
العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله
تعالى وانما وصف الله تعالى به أكبر من كل شيء وانه يعلم به كذلك والعبد مأمور
بان يتخلق بأعلى المراتب التي قدر عليها ويمكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالتاس
والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن أكبر من الكافر والمطيع أكبر من
العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من البهيمة والجماد والسبات
وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لانسان فيها
لكان صفة التكبر حاصلة له ولا ثقة به وسبيلا في حقه
الا أنه لا سبيل له

فى معرفته فان ذلك موقوف على الخامسة وليس يدرى الخامسة كيف تكون وكيف تتفق فجهله بذلك وجب أن لا يعتقد نفسه رتبة فوق رتبة الكافر ذر بما يختم له الكافر بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة وما تصور أن يعلم الشئ على ما هو به كان العلم كاملا فى حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم قصانا فى حقه فابليس من أوصاف الله تعالى علم بضره معرفة الامور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء على الواحد وعلى عدم وجود المال وعدمه فهذا نوع من العمى بضاهى (٢٩٣) نوعين من الوجود اعنى الذى يوصف به

فى معرفته فان ذلك موقوف على الخامسة وليس يدرى الخامسة كيف تكون وكيف تتفق فجهله بذلك وجب أن لا يعتقد نفسه رتبة فوق رتبة الكافر) ولا يفصل نفسه عليه (ذر بما يختم للكافر بالايمان) فيعود (و يختم له بالكفر) فيهلك (فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة) وقال الصنعانى فى المقصد الاسنى حفظه الله من صفات الله تعالى مستكبر يمنعه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر على كل شئ سوى الحق تعالى ويكون مستحقر الدنيا والآخرة مرتفعا عن كل ما يشغله عن الحق تعالى (وما تصور أن يعلم الشئ على ما هو به كان العلم كاملا فى حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم قصانا فى حقه فابليس من أوصاف الله تعالى علم بضره معرفة الامور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة) وغاية الكمال (وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء على الواحد وعلى عدم وجود المال وعدمه فهو نوع من العمى يضاهى نوعين من الوجود اعنى الذى يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة) وكمال (أما العمى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير بقياسه الى حال العمى الشاكر) وبه تبين مقام الاول

(المقام الثانى) بيان (نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص ولعرض ذلك فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وهو فاقد له ثم وجده فهو واجد له لوجود ما هى حالته أفضل معقول مطلوب فان كان مطلوبا به ما لا بد منه فى المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فقال الوجود فضيل لان الفقر يشغله بالطلب وعدم القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدرة مدخولة تشغل والكفى هو القدر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق

الله سبحانه فهو فضيلة أما عمى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير بقياسه الى حال الغنى الشاكر *(المقام الثانى فى نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص)* ويعرض هذا فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فهو واجد له لوجود ما هى حالته أفضل معقول مطلوب فان كان مطلوبا به ما لا بد منه فى المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فقال الوجود فضيل لان الفقر يشغله بالطلب وعدم القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدرة مدخولة تشغل والكفى هو القدر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق

الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر أفضل وأصلح لانهما استويا فى الخرص وحب المال واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يتعرض بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى أن الواجد يأنس بما وجده فيتكدر به قلبه ويطمئن الى الدنيا ويعاند الاضطرار فيتعلق قلبه على الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذى يبقى الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد تركا وزهدا فى الدنيا بحالة أشد لاحتمال أن يتعلق قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

له اذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجميع همهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه لوجهين من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقى حياته ثم يستعين بقوته وجاهه على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا وكانت معاصيه أقل فالاصح له أن يموت جوعا ولا يحل ما يضطر اليه أيضا وهذا تفصيل المقول في نفي والفقر وبقي الاضطرار في تقسيم حرص متكاسب على طلب المال بين له هم سوء وفي عدوه في الحرص على جمع المال ولم يكن تضجعه بفقد المال لو فقده كتضجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تضجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تضجعهما فقده وقربهما عند الله تعالى فيه

(بيان آداب الفقير في فقره)

اعلم أن للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومعاملته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فمما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر) لانه تعالى قسم لمصلحته (أعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر) فان الفقر مما تتفرق منه الطبع لا يزهد بعادة على الصبر لطبيعة وهذا (كالجوع يكون كارها للجماعة بسلمها ولا يكون كارها فعل الطعام ولا كارها للجشع) فان الجشع من حديدة الطعام طبيعة لانخلاص منها الا بالاستعانة بذلك مقام الصديقين (بل ربما يقاسمه) ويعطيه جزءا وهذا أفعل متيار به فهكذا ينبغي أن تفهم هذه المسألة (وهو واجب وتقيضه حرام وتحمل توب الفقر وهو معنى

قوله

ت كذا ذكره بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس) أي جبريل عليه السلام (نفث في روعي) أي ألقى في قلبي (أحب ما أحببت فانما مفارقه) وحتى مات ثم عمل دنيا فانه يجري به وراه البيهقي في الاقتصاد من حديث سهل بن سعد نحوه ورواه بعضهم في الاصغر والاوسط من حديث علي وقد تقدم في آخر كتاب العلم (وهذا يدل على ان فرح المحبوب شديد فينبغي ان يحب من يفارقه) أبدا (وهو الله تعالى ولا يحب ما يفارقه) ولو بعد حين (وهو المال فان ما أحببت فانك مفارقه فلا تكن كارها لما تحبه وتكون قد ملكت على ما تكرهه وقد ذكرنا ان كل من ورد نحو ذم يكون قد في فرقه فقد رحمه وقد رأس به رأس الواحد الذي اتفق على أكثر من أس العاقد ولو كان حريصا عليه فاذا قد انكشف لك هذا فالتحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصح كما في الحق الاتي موضعين أحدهما عن مسلم عن عائشة رضي الله عنها يستوي عنده لوجود والعدم فيكون الوجود مما

له اذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجميع همهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه لوجهين من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقى حياته ثم يستعين بقوته وجاهه على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا وكانت معاصيه أقل فالاصح له أن يموت جوعا ولا يحل ما يضطر اليه أيضا وهذا تفصيل المقول في نفي والفقر وبقي الاضطرار في تقسيم حرص متكاسب على طلب المال بين له هم سوء وفي عدوه في الحرص على جمع المال ولم يكن تضجعه بفقد المال لو فقده كتضجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تضجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تضجعهما فقده وقربهما عند الله تعالى فيه

(بيان آداب الفقير في فقره)

اعلم أن للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومعاملته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فمما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر) لانه تعالى قسم لمصلحته (أعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر) فان الفقر مما تتفرق منه الطبع لا يزهد بعادة على الصبر لطبيعة وهذا (كالجوع يكون كارها للجماعة بسلمها ولا يكون كارها فعل الطعام ولا كارها للجشع) فان الجشع من حديدة الطعام طبيعة لانخلاص منها الا بالاستعانة بذلك مقام الصديقين (بل ربما يقاسمه) ويعطيه جزءا وهذا أفعل متيار به فهكذا ينبغي أن تفهم هذه المسألة (وهو واجب وتقيضه حرام وتحمل توب الفقر وهو معنى

قوله عليه السلام يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا واورع من هذا أن لا يكون كراهة الفقر بل يكون
رضاه وارفع منه أن يكون هذا الله وفرحه بعطائه نعمي و يكون متوكلا في ذلك على الله (٢٩٥) تعالى واثقا به في قدر صروريه

قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا) رواه الديلمي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريبا (وأورع من هذا أن لا يكون كراهة الفقر بل يكون راضيا به وأرفع منه أن يكون فرحا بالله وفرحه بعطائه) ومحبا له (هذا معقول المعنى) وفهم وجيه (ويكون متوكلا في ذلك على الله تعالى واثقا به في قدر ضروريه أنه يأتيه لا محالة) على كل حال (ويكون كارها للفقر) لما فيه من المكاره وقد قال علي رضي الله عنه سألت الله تعالى ثلاثا فقر ومثوبات الفقر فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع ربه ولا يشكوه ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر شكايته ويتسخط قضاءه) فإنه صاحب القوت (وهذا يدل على أن كل فقر ليس محمودا) بل بعض الفقر مذموم وهذا منه (من لدن لا يتسخط ويرضى) بقضاء مولاه (أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثوابه) فهذا هو المحمود (اقبل ما أعطي عبدا شيئا من الدنيا الأقبل له خذه على ثلاثة أثلاث) ثلث (شعثه) (و) ثلث (هم) سلامة وهذا في الدنيا (و) ثلث (طول حساب) وهذا في الآخرة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود من أشرف فليحسب الناس منها ثلاث سقاء لا ينفد عناؤه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه (وأما أدب ظاهره) وفي نسخة وأما أدبه (في سفره (فالتقشف والتحمل ولا يظهر الشكوى والفقر) لأحد (بل يستغفر) أعلى من ذلك (يستره) ستره في الحديث الله تعالى يحب (العبد المتعفف المتحمل) عند نزول (الفقر) (رواه ابن ماجه والطبراني وابن عدي وابن مردويه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وقال) تعالى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (أفضل الأعمال التحمل عند الحاجة) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعضهم سرا الفقر من كنوز البر) وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان الفقر والأمراض والصدقة وروى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس ثلاث من كنوز البر إخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة (وأما في أعماله فادبه) وفي بعض النسخ وأما أدبه في أعماله (أن لا يتواضع إلى الأحمق غناه) فقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة ارحموا من أذلته الفاقة يعني لا تحقروا من تواضع لغني لثروته ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود من دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه وللفقير في الصغير من حديث أنس من تضعضع لغني لمال دنيا يصيبه منه ذهب ثلثا دينه (وللفقير) الله تعالى (أن يتكبر عليه) الله تعالى وجل (أن كان ذلك) يعني تكبر الفقير على الغني (يكسر به قلب الغني) فيكون كفارة له (وإن كان تكبر الفقير) على الغني (لأنه يرى نفسه أفضل منه بفقره) فهذا لا يجوز (وإن كان) ذلك (لأنه يرى الغني لا يحافظ على الصلوات) ولا يتحرز من المحرمات (فهذا مقام) يجوز (وقد قال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (يتسخط) ويتضجر (الفقير الأعياء) أي عن الكسب (علم أنه مراء) أي مرائي (وإذا ما عاد السلطان) أي علم أنه لص) رواه أبو نعيم في الحلية وروى الديلمي من حديث أبي هريرة إذا رأيت العالم يتسخط السلطان فاعلم أنه لص وقد تقدم في الأمر بالمعروف (وقد يعطي الفقير المال (فيرى الأغنياء أنه تخفف عنهم) أي عن فقره (فيظنون أنه) أي الفقير (لا يحاسب) على ما أخذ (وقد يعطي الغني المال فيرى الفقراء أنه) أي الغني (يحاسب) على ما أخذ (فيتضاعف) بذلك (غمهم) وحزنهم (وقد يعطي الغني المال فيرى الفقراء أنه) أي الغني (يحاسب) على ما أخذ (فيتضاعف) بذلك (غمهم) وحزنهم (وقد يعطي الفقير المال فيرى الأغنياء أنه) أي الفقير (لا يحاسب) على ما أخذ (فيتضاعف) بذلك (غمهم) وحزنهم (وقد يعطي الفقير المال فيرى الأغنياء أنه) أي الفقير (لا يحاسب) على ما أخذ (فيتضاعف) بذلك (غمهم) وحزنهم

ثم يكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما حسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها ألا يحاسب الأغنياء ولا يرغب في محاسبتهم لأن ذلك من مبادي الطمع قال الثوري رحمه الله إذا حاسب الفقير الأغنياء علم أنه مراء وإذا حاسب السلطان علم أنه لص وقال بعض العارفين إذا حاسب الفقير الأغنياء تحات عنه وفاض طمع

فيهم انقطعت عصمته (فاسكن اليهم) أي عصمته بفقره (بل تنكسر راحة فقره) (فاسكن اليهم) عن طريق الوصول الى الله تعالى وصار ذلك اسكون من أكثف الحجب وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول يلقى الله في قلب العبد فقيرا فيأتيه بدينار ويطمع فيهم حتى يخرج اليهم ويأتي في طلوبهم المرجو له واجعله عليهم يؤديه ذلك الاستغنائه واعتماده فيرده ذلك اليه بعد ان سقط من عينه ورفع له من عند ربه من حيث لا يحتسب لعني (ولا ينبغي ان يسكت عند ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء) وهذا رجاء روى البيهقي في الشعب من قول ابن مسعود من جمع لغني وضع له بقدر ما تواضع له ومن تواضع لغني ذهب ثلثا دينه وعند ابن ابي الدنيا (وليعلم أن ما يؤديه في أعطيته من الاغنياء اصغر من عبادة الله) عز وجل أي لا يقع عليهم الا اقل فرع للتواضع فهو يريد العبادة (و) ان (لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد اقل) وهو أفضل الصدقات كما في الخبر (وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى ابن سلم) العدوي مولاهم ثقة توفي سنة ٢٥٦ (عن ابن عدي من سلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال خرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وخرج رجل درهمين لا يملك غيرهما فتصدق بأحدهما فتصدق بمائة ألف) قال العراقي رواه ابن ابي عاصم في حديث ابي هريرة صلاة وتقدم في الزكاة وابن ماجه من رواية زيد بن أسلم مرسلا اهـ قلت وكذلك رواه ابن حبان والحاكم ورواه النسائي أيضا من حديث أبي ذر واقتصروا فيهم جميعا على درهم مائة ألف ورجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها (وينبغي أن لا يدخر مالا يأخذ منه (قدر الحاجة ويخرج الباقي) في سبل الله تعالى (وفي الاذكار ثلاث درجات احداها أن لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لاربعين يوما فان زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من دعاء الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية وهي رتبة الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وفي الخصوص في أربعين يوما وفي خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الاقسام وبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما وليلة منهن عائشة وحفصة والله الموفق

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال)

اعلم انه (ينبغي أن لا يأخذ الفقير فيما جاءه) من غير سؤال (ثلاثة أمور جنس المال وغرض المعطي وعرضه في الاخذ أما جنس المال فينبغي أن يكون حلالا) طيبا (جانبا عن الشبهات كلها فان كان في شبهة فليجتنب من أخذه (وقد ذكرنا ذلك في كتاب الحلال والحرام في ربع الشبهة وما يستحب اجتنابه وما يستحب) فليتذكر هناك (وأما غرض

فيهم انقطعت عصمته) أي عصمته بفقره بل تنكسر راحة فقره (فاسكن اليهم صل) عن طريق الوصول الى الله تعالى وصار ذلك اسكون من أكثف الحجب وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول يلقى الله في قلب العبد فقيرا في أعماله يدينار ويطمع فيهم حتى يخرج اليهم ويأتي في طلوبهم المرجو له واجعله عليهم يؤديه ذلك الاستغنائه واعتماده فيرده ذلك اليه بعد ان سقط من عينه ورفع له من عند ربه من حيث لا يحتسب لعني (ولا ينبغي ان يسكت عند ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء) وهذا رجاء روى البيهقي في الشعب من قول ابن مسعود من جمع لغني وضع له بقدر ما تواضع له ومن تواضع لغني ذهب ثلثا دينه وعند ابن ابي الدنيا (وليعلم أن ما يؤديه في أعطيته من الاغنياء اصغر من عبادة الله) عز وجل أي لا يقع عليهم الا اقل فرع للتواضع فهو يريد العبادة (و) ان (لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد اقل) وهو أفضل الصدقات كما في الخبر (وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى ابن سلم) العدوي مولاهم ثقة توفي سنة ٢٥٦ (عن ابن عدي من سلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال خرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وخرج رجل درهمين لا يملك غيرهما فتصدق بأحدهما فتصدق بمائة ألف) قال العراقي رواه ابن ابي عاصم في حديث ابي هريرة صلاة وتقدم في الزكاة وابن ماجه من رواية زيد بن أسلم مرسلا اهـ قلت وكذلك رواه ابن حبان والحاكم ورواه النسائي أيضا من حديث أبي ذر واقتصروا فيهم جميعا على درهم مائة ألف ورجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها (وينبغي أن لا يدخر مالا يأخذ منه (قدر الحاجة ويخرج الباقي) في سبل الله تعالى (وفي الاذكار ثلاث درجات احداها أن لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لاربعين يوما فان زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من دعاء الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية وهي رتبة الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وفي الخصوص في أربعين يوما وفي خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الاقسام وبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال)

اعلم انه ينبغي أن لا يأخذ الفقير فيما جاءه من غير سؤال ثلاثة أمور جنس المال وغرض المعطي وعرضه في الاخذ أما جنس المال فينبغي أن يكون حلالا طيبا جانبا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليجتنب من أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام في ربع الشبهة وما يستحب اجتنابه وما يستحب وأما غرض

المعطى فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطييب قلبه وحسن صحبته وهو اهداء أو ثواب وهو الصدقة فيتركه أو الذكر والرياء والسمعة فيأتي على التجرد ما مر وعلى هذا الاعراض أما الاول وهو الهدية فلا أس بقبولها فقد قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعطى فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطييب قلبه وحسن صحبته وهو اهداء أو ثواب (أو) كان غرضه (الذكر والرياء والسمعة فأما على التجرد وأما مع ما بقيه لا غرض أما الاول وهو الهدية فلا أس بقبولها فقد قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وقد تقدم (ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى) للمعطى من الصدقة (أن يتركها فان علم ان بعضها تعلم فيه المنة فليرد البعض دون البعض) وذلك مما يرى المنة للآخذ (فقد أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم) من رجل أو امرأة (سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش) قال العراقي في رواه أحمد في أثناء حديث البعير من مرعى هدى الله كبشا وسيأتي من سمن وقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم احلبوا السمن والاقط واتركوا الكبش ورد عليهم الآخر واسناده جيد وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه نهى فيما هو يعلى بن مرة بن وهب بن حاجز الثقفي له ولابيه صحبة وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بقطع عضو من أعضاء عبد ذكره البغوي وغيره في أحد هذا في اسناد حديث حسن في اسناده على لا بأس (وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض) قال العراقي في رواية أحمد في أثناء حديث البعير من مرعى هدى الله كبشا وسيأتي من سمن وقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم احلبوا السمن والاقط واتركوا الكبش ورد عليهم الآخر واسناده جيد وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه نهى فيما هو يعلى بن مرة بن وهب بن حاجز الثقفي له ولابيه صحبة وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بقطع عضو من أعضاء عبد ذكره البغوي وغيره في أحد هذا في اسناد حديث حسن في اسناده على لا بأس (وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض) قال العراقي في رواه أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم لا أقبل هدية أو أثيب عليها إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي وهذا جماعة من التابعين وجاءت الى فتح الموصلي صرة فيها ستون درهما فقال حدثني عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضا ولكن جعل اتاه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا اتقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له حلاق (وهذا) يدل على أن أمر العالم لدى المتصب لافادة الناس (والواعظ) لدى المتصب للذكير (أشد في قبول العطاء) من غيرهما (وقد كان الحسن) رحمه الله تعالى مع ذلك (يقبل من أصحابه) تعففا عنهم (وكان ابراهيم) بن يزيد (النخعي) مع ورعه (يسأل أصحابه الدراهم والدرهمين ونحوه) ويأخذ منهم وكانوا يعرفون له ذلك ولفضل في قبوله منهم (ويعرض عليه غيرهم المئتين فلا يأخذ) منهم (وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول) له (اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

يسأل من أصحابه الدراهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئتين فلا يأخذ منهم وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيأ يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

القبول فاخبرني حتى آخذه والا فلا وأمارة هذا أن شق عليه رد لو رده ويفرح بالقبول ويرى الحاجة على نفسه في قبول صدقته هذه منه فان علم أنه يمار جعه منه فاخذه مباح ولكنه مكروه عندنا فقراء الصدقين وقال بشر ما سألت أحدا قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا وهو يفرح بخروج شيء (٢٩٨) من يده وتتم به نفقة عياله فيكون عونا له على ما تحب وجاء حراساني الى الجنيد رحمه الله تعالى وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومتى عيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الحلل والبقول على الحلاوين والطيبات فقبل ذلك منه فقال الحراساني ما أجد في بغداد أمن على مني هذا قال الجنيد ولا يسعني أن يقبل الامن مثلك * الثاني أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن يبصر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا مفصل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فينظر الى ما فيه من الشبهة وهي أن يعلم أن المعطي لو علم ذلك لم يرض بأخذه منه فهو حرام أخذه أي لا يحل له القبول (كما لو أعطاه لظنه أنه عالم وعلوي) أي شريف هاشمي (ولم يكن) كذلك (فان أخذه حرام محض لا شبهة فيه) وفي وصول ثمن صدقته بهذا الوصف للذي يعطي بسببه فائدة عظيمة اذا كان المتصدق لا يسمح نفسه بصدقته الا بدينه فيقصدها به على البر ويوسع على الفقراء ومن أخذ منه انتفى عنه الكبر والمنة وهذه علامات ناقصة بين العبد وربه وانضمام بعضها ببعض درجة الصديقين وهما لا يباع درجة المقربين (فالشبهة أن يكون غرضه السمعة والرياء وشهرة وينبغي أن يرد عليه قصده) ولا يجاب فيه (ولا يحل له) منه (اذ يكون) في صورة من (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يرد ما يعطي ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارا به (من الناس (لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أرد صلتهم اشفاقا عليهم لانهم يذكرون ذلك) من الناس (ويحبون أن يعلم بذهاب أموالهم وتحط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أي الفقير (في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي) ومن استشراف النفس

القبول فاخبرني حتى آخذه والا فلا (وأمارة هذا أن شق عليه رد لو رده) عليه (ويفرح بالقبول ويرى الحاجة على نفسه) ونفسه (في قبول صدقته هذه منه فان علم أنه يمار جعه منه فاخذه مباح) في ظاهر الشرع (ولكنه مكروه عندنا فقراء الصدقين) فان صدقاتهم في ذفرهم يحملهم على رد ما فيه منه (وقال بشر) بن الحرث رحمه الله تعالى (ما سألت أحدا قط شيئا الا سريا السقطي) رحمه الله تعالى (لانه قد صح عندي زهده في الدنيا) وتنزيه نفسه عنها (فهو يفرح بخروج شيء من يده) ويرى للآخذ منة (وتتم) أي تنجبر (به نفقة عياله فيكون عونا له على ما تحب) نقله صاحب القوت (وجاء) رجل (حراساني الى الجنيد) رحمه الله تعالى (فقال) هذه (وسأله أن يأكله) أي يصرفه على ما يأكله (فقال) أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا) أنك أريد أن أصرفه على أكلك (قال) الجنيد هذا مال كثير (ومتى أعيش حتى آكل) وفي نسخة الى أن آكل (هذا قال) الرجل (ما أريد أن تنفقه في الحلل والبقل) وما شابهه ذلك (بل) تنفقه (في الحلاوات والطيبات) من الذي لا بد منه (فقبل ذلك منه) بعد ما خبره وعرف منه صدق ارادته (فقال الحراساني ما أجد في بغداد أمن على مني) أي أكثر صدقة على (حيث قبلته مني (فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الامن مثلك) وهذا يدل على أنه يجوز قبول اعطاء من يرى للآخذ منه ولو كان رد على قدر حاجته (الثاني أن يكون ثوابا مجردا وذلك صدقة أو زكاة) فان كانت (زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه أنه هل هو مستحق للزكاة) أم لا فان كان مستحقا أخذ والا فلا وهذا واجب (فان اشتبه عليه) ذلك (فهو محل شبهة) أي سببه صفة الاستحقاق وهي آفة وأضافه تضيق على الفقراء فهي آفة ثانية ولا تتم حاجة الصدقة والزكاة الا بالاخذ على الواجب وعدم المنة وعدم الاخذ بالدين والاخذ لحاجته وأكثر من تكبر وفي الصدقة فعكس ذلك (وقد ذكرنا مفصل ذلك في كتاب أسرار الزكاة) وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه) أي يظن فيه الصلاح (فان كان مقارفا للمعصية في السر) وهو يتستر منها وكان مصرا على معصيته وهو (يعلم أن المعطي لو علم ذلك لم يرض بأخذه منه ولم يتقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهو حرام أخذه) أي لا يحل له القبول (كما لو أعطاه لظنه أنه عالم وعلوي) أي شريف هاشمي (ولم يكن) كذلك (فان أخذه حرام محض لا شبهة فيه) وفي وصول ثمن صدقته بهذا الوصف للذي يعطي بسببه فائدة عظيمة اذا كان المتصدق لا يسمح نفسه بصدقته الا بدينه فيقصدها به على البر ويوسع على الفقراء ومن أخذ منه انتفى عنه الكبر والمنة وهذه علامات ناقصة بين العبد وربه وانضمام بعضها ببعض درجة الصديقين وهما لا يباع درجة المقربين (فالشبهة أن يكون غرضه السمعة والرياء وشهرة وينبغي أن يرد عليه قصده) ولا يجاب فيه (ولا يحل له) منه (اذ يكون) في صورة من (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يرد ما يعطي ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارا به (من الناس (لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أرد صلتهم اشفاقا عليهم لانهم يذكرون ذلك) من الناس (ويحبون أن يعلم بذهاب أموالهم وتحط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أي الفقير (في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي) ومن استشراف النفس

(ولا حق له لاحد قال صلى الله عليه وسلم من سعد ما من غير مسألة ولا استشراف فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي رواية من آتاه الله من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فليأكل ولا يرده) قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني باسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا استشراف نفس فلا يرده فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه ولا حمد وأبو داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من آتاه الله من هذا المال شيأ من غير أن يسأله فليقبله الحديث وفي الصحيحين من حديث عمر ما لي من هذا المال وأنا غير مشرف ولا سائل فخذه الحديث انتهى قلت حديث عبد بن عدي الجهني رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان والبغوي وابن قانع والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر وغيرهم عن أخيه معروف ولفظ موته قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحديث ورواه ابن سعد والبغوي وابن قانع والطبراني وابن عساكر عن أخيه معروف ولفظ موته قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أعرفه غيره ويروى من حديث بريدة بن سعد الجهني نحوه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة عند أحمد وله طريقان صحيحان هو رزق ساقه الله وتقدم حديث عمر عند أحمد وقوله ومالا فلا تتبعه نفسك وقد رواه كذلك البخاري ورواه أحمد والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه ثم أشار المصنف إلى أن الرد يعقوبه فقال (وقال بعض العلماء من أعطي ثم أحدث أن لم يعط ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (شيأ) من الهدية (فرده مرة) ثم أعاده (فقال له السري يا أحمد أعدت الرد ثلاثا أشد من آفة الأخذ فقال له أحمد أعد علي ما قلت في أعاده) فقال (وقال أحمد ما رددت علي الا لان عندي قوت شهر فاحسب لي عندك فاذا كان بعد شهر فابعثه إلي وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبته من ابتلاه بطمع أورثه خلل في شهوة أو غيره وإذا كان ما أمر الداعي) قدر (حاجته ولا يعلم ما يكون له لاستغنائه بنفسه أو استكفل بأمور الفقراء والاعتناء عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أوداع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ثم له مقامان أحدهما أن يأخذ في العلانية ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويرد في السر وهذا مقام الصديقين وهو

ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل الى أحمد بن حنبل رحمه الله عليهما شيأ فرده مرة فقال له السري يا أحمد أعدت الرد ثلاثا أشد من آفة الاخذ فقال أحمد أعد علي ما قلت فاعاده فقال أحمد ما رددت علي الا لان عندي قوت شهر فاحسب لي عندك فاذا كان بعد شهر فابعثه الي وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبته من ابتلاه بطمع أورثه خلل في شهوة أو غيره فاذا كان ما أمر الداعي قدر حاجته ولا يعلم ما يكون له لاستغنائه بنفسه أو استكفل بأمور الفقراء والاعتناء عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ثم له مقامان أحدهما أن يأخذ في العلانية ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويرد في السر وهذا مقام الصديقين وهو

شأن نفس لا يطيقه الا من اعطي نفسه الرياضة والثاني أن يترك ولا يأخذ بصرفه صاحبه الى من هو أخوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أخوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية

ويذكر عن أهل الأصل ظهر الأحد وجه زوى كتب السير وركاه مع جمهور أحكام العشر فيما يعتبر من موضعه وأما امتناع أحمد من قبول عطاء السري السقطي رحمهما الله فإنما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بحظه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا (ولورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال

بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع يكسوني عريان يكسوني فما رأى فقير أفقر مني ولا رأى جائع أجوع مني فطرحت عليه جميع الدراهم فما انصرفت إلى منزلي حتى ندمت وقلت في نفسي لأحمد الدراهمي موضعا أحسن من هذا فجمعتها فيه فصار بها ثم أحد عشر درهما وقال وعندي من متبرين ودرهم نفقة ثلاثا فلا حاجة لي إلى ما في يده قال فرأيته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وعليه متبرين حديدين فتمنيت في نفسي شيئا فانقلب الحديدان في يدي معا أسودا كل

شيء منهما على جوهرين معادن الأرض ينبعثان تحت أقدامنا إلى الكعبين منهما ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآثرت من يدي الخلق لأنه هذا ثقال ووخمة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة وفقد ود من هذا في

مع الله غير الله لأن كل ما سوى الله من الله وبالله وتقوته وإلى الله فلا غير ولا شيء يظهر ولو كان فيه آلهة إلا الله فصد ما ومن سهر لوجه على ما وصفت نجت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال وهذا لا يخفى في الأحد وإنما خصه بالتحرز على نفسه لأجل المعطي والآخذ لأن من اقتصد فيمن يقصد ظهر اقتصاده وبشره فلا يعان على قصده ومن اشتهى منهم من يشتهي مترفه فيعان عليه لأن ستر حال وثمن وحسب وأما الأحد فإن سره فهو مهموم مما لا بد له منه من آفاته ومن آفاته خوف الحمد والسمعة فما أبرأه من السعي والتعب وتعطر له بعين الرعونة والحسد في أن يرى المعطي بعين الإحسان وأما الأخذ في السر والإخراج في خلاصة فاسلم من الآفات التي ذكرت في الأحد وفي آفة لربه في الإخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة وقد أمن بعد سرا ولا يخرج سرا ولا علانية فهذا ما يحضرني بالذي سألت ثبتك الله بعيد ما من شره فإنه دامات فصح أهل الطريق (وقد ذكر أهل الأصل أظهر الأحد وجه زوى كتب السير وركاه مع جملة من أحكام العشر فيما يعتبر من موضعه وأما امتناع أحمد عن قبول عطاء السري السقطي رحمهما الله تعالى فإنما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بحظه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا) أعظمها الاشتغال بغير الله تعالى (ولورع) من شأنه (يكون حذرا من مظان الآفات) وفي نسخة الآفات فيجتنب عنها (فإنه من مكيدة الشيطان على نفسه) ومن يكون في ورع مثل أحمد رحمه الله تعالى (وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله سمعت) مرة (فقيرا قد فرغ من طوافه وصلاته وتعلق بأستار الكعبة (وهو يقول بصوت خفي) يا رب إني (جائع كاسني) يا رب إني (عريان كاسني يا رب ما رأى فقير أفقر مني ولا رأى جائع أجوع مني ولا رأى عريان أعرى مني) قيل إنه كان من فقراء العجم ودعا بالعجمية وهذه ترجمته (فطرحت عليه جميع ما معي) أي ما انصرف (لاكتفائه بوارده) لقصره وتقشفه (فقلت في نفسي لأحمد الدراهمي موضعا أحسن من هذا فجمعتها فيه فصار بها ثم أحد عشر درهما ونفقة ثلاثا ولا حاجة لي إلى ما في يده) إلى (قال فرأيته في المنام فقيل له ما فعل بك فقال غفر لي وعليه متبرين حديدين فتمنيت في نفسي شيئا فانقلب الحديدان في يدي معا أسودا كل شيء منهما على جوهرين من معادن الأرض ينبعثان) أي يتحركان مع صوت (تحت أقدامنا إلى الكعبين منهما ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال) لي (هذا كله قد أعددته) وفي (فزهدت فيه وآثرت من يدي الخلق لأن هذا ثقال ووخمة) وتعب (وذلك) أي الأخذ من يدي الخلق (للعباد فيه رحمة ونعمة) أورده صاحب القوت في كتاب التوكل وفيه ثم قال له نحن مكاشفون بما لك وحضرك الأرض ويسكن لا أحد منه سرهذا فيه ولأن له أثقالا تركه فضل وأخذ ما زاد من أيدي الناس وبالأسباب لأنه أحب إلى الله منه مع بعد ولأن الحكمة والأحكام في هذا أكثر (والمقصود من ذكر هذا الباب الزيادة على قدر الحاجة عما تثبت البلاء) وتحتبرا (وتنفقة ليطر الله إليك ما تعمل فيه وقدر الحاجة يثبتك) من حيث كان (رفقا) وشفقة عليك (فلا تعمل على العوض بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم) أي لنختبرهم (أيهم أحسن عملا) أيهم أزهد في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه) من الحر والبرد (فما زاد فهو حساب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان إلا أنه قال

زيادة على قدر الحاجة عما تثبت البلاء ونفقة ليطر الله إليك ما تعمل فيه وقدر الحاجة يثبتك ورفقا وجلف

والابتلاء قال عز لفرق بين الرفق والابتلاء فإن الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب

و جلف الخبز و لما بدل قوله هذا يقيم صلبه وقال صحيح انما هي قاف لصقه في جامعه ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف خبز ولما وقال حسن صحيح وهكذا رواه سنيد عن حجاج والحاكم وقضيه ورواه ابن الجارود من حديث ثوبان بلفظ ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه خوص عليك وروى عورتك فان كان لك شيء يعالك فعدالك وان كانت لك دابة تركبها فبها (فان أخذت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب) لان لك فيها حقا وقد أذن لك الله في أخذها (وفيما زاد عليه ان لم تخف الله متعرض للحساب) فيما أخذته وفيما صرفته (وان عصيت الله فيه فانت متعرض للعقاب) فهذا معنى قوله حلالها حساب وحرامها عقاب (ومن لاحتياج نفسه أو تعرم على نوائبه من الديون) الدينية (تقربا الى الله تعالى وكسرا لسعة النفس) أي نورتها (فأجر) أي كبير (عظيم) أي عند الله (عفوا صفوا) من غير كدر ولا كدورة (بيعض عما فوقه عن ذلك) مثل تلاثها أو تركها (فالاولى الامتناع عما هو الغالب ان رخص لها في بعض الاحيان لغلبة بعض المعارف وغلبة عادتها) الفاسدة (ولا يمكن فهرها) بعد لفتها (فرد ذلك مهم) من آكد المهمات (وهو زهد فان أحدهما) في الاعلا بة (وصرفه الى المحتاج) سرا (فهو عابد زهد) ويسمى زهد زهد (ولا يقدر عليه الا الصديقون) من الزهدين وقد أشرت الى ذلك في قول المصنف (واما اذا كان مالك السعة واسدل واتسكل على تحقون الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء) ما حدده وقصاه طوائف (فهذا زاد على حاجتك فانه عبور) على حاجة الفقراء (فدعاهم كثيرة) (وبادر به الى المصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة وختار) من الله تعالى (فيما يحول فتمسكه فيكون وبالا عليك ويعد) أي يحسب (في خدمة الفقراء خدمة الحدوها وسيله الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب والملبس (وذلك هو) عين (الهلاك) وينبغي أن يتعدها وسيله الى تحصيل الحظ (ومن كان عرضة لارتفاق بالفقراء (وهو من الثواب) من الله تعالى (فله أن يستقرض على حسن الظن بالله تعالى على اعتماد السلاطين العادلة) أن يؤتي منهم شيئا ويؤديه منه (فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل قضائه قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه ولا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد التي يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن

فان أخذته وصرفته الى محتاج فهو عابد زهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان مالك السعة واسدل واتسكل تحقون الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فهذا زاد على حاجتك فانه عبور على حاجة الفقراء وبادر به الى المصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة وختار فيما يحول فتمسكه فيكون وبالا عليك ويعد في خدمة الفقراء خدمة الحدوها وسيله الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان عرضة الارتفاق بالفقراء فله أن يستقرض على حسن الظن بالله تعالى على اعتماد السلاطين العادلة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل قضائه قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه ولا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد التي يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن

الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فليرزق مما آتاه الله قيل معناه بيسع احد ثوبيه وقيل معناه فليبع ضيعته من تحاهه وذلك ثم آتاه الله وقال بعضهم ان الله تعالى عبادا يتقوت على قدر حسن ظنهم بالله تعالى وعلى قدر يقينهم ويقينهم على قدر حسن ظنهم بالله تعالى ومن ذلك ما وصى به عياله ثلاث طوائف الاقوياء والاحياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاحياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى فاعلم هذا

وهو المستحق للسؤال وهو المعطي على الحقيقة (ومن سواه) من الخلق (إنما يعطي بما يأخذه من الله تعالى) فهو المعطي على الحقيقة (والمعطي) في الظاهر (وسيلة فقط) فحكم المعطاة وهو مضطر إليه بما يأخذه عليه من الدواعي (والموانع) والإرادات والاعتقادات) والمعطي الحق في الحقيقة هو الله تعالى وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة (وقد حكي أن بعض الناس) من المعتقدين (كان شقيقا) بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى (في جمع من أصحابه) فمر بهم على منزله (فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد) (قال لأصحابه انظروا هذا الرجل يقول) يعني صاحب المائدة (من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم) ولم يأكلوا (وخرجوا) من المنزل وكانوا ممن يقتدى بهم في الطريق (إلا ثلاثا كانوا دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل شقيق ما قصدت بهذا القول أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم) (فقال موسى عليه السلام يا رب جعلت ترزقني هكذا على يدي بني إسرائيل يعني هذا يوما بعد يوم فقال الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيها) فلا يرى المعطي إلا من حيث أنه مضطر مأجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه)

اعلم أنه قد وردت أحاديث كثيرة في السؤال وتشديدات ووردت أيضا ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل يحق ولو جاء على فرس

ماسنده ورد ذلك عن أحد تفرد به في مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يصح وقد أخرجه في مسنده ومن كتب الأطال أعداء الله من أحمد والأشرم بالحلال علم صحته انتهى ونحوه الحاكم أيضا لصحيح عن أحمد أنه ذكر حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده كذا قال ابن عبد الهادي ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم منها وصدق السائل (وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي في اليوم والليلة من حديث أم حبيبة وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى وقد رواه هذا الذي ذكره المصنف أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه وابن حبان والبيهقي كلهم من طريق ابن عجلان الأنصاري عن جدته ورواه ابن سعد والطبراني من رواية عمرو بن معاذ الأنصاري عن جدته حواء هكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي وقال الحافظ في الإصابة حواء أم محمد وجدة وجيم مصغر صحابية روى حديثها مالك عن زيد بن أسلم عن ابن محمد الأنصاري عن جدته عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن عنه يقول ردوا السائل ولو بظلف محرق هكذا أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عبادة عن مالك ونرحم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه البخاري في الأدب المفرد عن مالك عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحقرن أحد شيئا ولو كراعا محرقا ورواه مالك أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحقرن أحد شيئا ولو ظلف محرق وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن محمد لا الأنصاري عن جدته ولا يحقرن أحد شيئا ولو ظلف محرق وقال البيهقي حديث سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن محمد عن جدته وكانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسكين ليقوم على بابي فلا أجد له شيئا أعطيه فقال إن لم تجدي له شيئا تعطينه إياه إلا ظلفا محرقا فادفعيه إليه في يده هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي أويس عن الليث وقال في القسم الثالث من سعد بن محمد بن عمرو بن معاذ الأنصارية وبين حواء أم محمد وهما واحدة

(ولو كان السؤال حراما فطاقا لما حرم إعانة المتعدي على عدوانه ولا عطاء إعانة فالكاشف لمعطاه فيه) عن وجه الصواب (أن السؤال حرام في الأصل) وإنما يباح لضرورة فدعا إليه (أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عن) أي عن تلك الحاجة وفي نسخة عنه أي عن السؤال (فهو حرام) والحاجة الحقيقية هي (التردد (وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا يخلو عن ثلاثة أمور محرمة) هي في الحقيقة آفات مهلكة (الأول إظهار الشكوى من الله تعالى) لقصور العبد (إذ السؤال مهما لا يخلو عن ذكر قصور بعبد الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكان يجب على العبد) الرحيل (لو سأل) لنفس (أن يكون سؤاله تشبيها على سيده فكذا سؤال العبد تشبيه على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم) فإن صمته من الشكاية من الله تعالى (ولا يحل لا لضرورة) فإنه (كما يحل الميتة) عند الضرورة (والثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى) وقد ورد في ثلاث من الذل لمن يلوذ بهم ولو مرحوم والسؤال ولو لأن الفقر في كتاب الله (ليس للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد في الخبر أي الإذلال عبادة كما عليه غير واحد وتقدم في كتاب العلم (لغير الله عليه أن يذل نفسه لولاه فإن فيه غيره) من هو غير معبود (فإنه مراء خلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسؤل) ولو من عبد مثله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة (دعته لذلك) ومن دعاء الإمام أحمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك (الثالث أنه لا يخلو عن إيذاء المسؤل غالبا لأنه) ربما (لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب طيب منه فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ) بالاتفاق من الأمة وعلى هذا فقولهم أخذ بسبب الحياء فهو حرام (وإن منع رجاء استحياء أو أذى في نفسه فالمنع أذى في نفسه فالمنع أذى في نفسه) حينئذ (في صورة الإلحاح في البذل) على الوجه المذكور (فضاعت ماله وفي المنع فضاعت عرضه وكلاهما مؤذيان) أحدهما في الظاهر والثاني في الباطن (والسائل هو المتسبب في الإيذاء) المذكور (فالإيذاء حرام لا لضرورة)

فضاعت ماله وفي المنع فضاعت عرضه وكلاهما مؤذيان والسائل هو المتسبب في الإيذاء فالإيذاء حرام لا لضرورة

ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيره فاعتبر كيف سماها فاحشة ولا تعني بالفاحشة إلا ما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية فقولا تسألوا الناس شيأ وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا ما يعض عن السؤال ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسأل الناس فهو أحب إلينا وقال

ومن سأل كان سؤاله جرحا في الأصل فلا يباح إلا لضرورة أو لحاجة مهمة كما ذكر وكل ذلك يحرم مع الغنى كما بينا ذلك (ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيره) فاعتبر كيف سماها فاحشة (فانظر كيف سماها فاحشة) وهي ما تفاحش تحريمه فتوحش الطبع لقبحه والعقل (ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره) أي غير الخمر (وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يقع ليس عليه لحم) قال العراقي رواه أبو داود والنسائي من حديث سهل بن الحنظلية مقتصرا على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة ولمسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا الحديث وللطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يجاء وجهه وفي إسناده ضعف وللشيخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم انتهى قلت لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي من سأل مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم وروى ابن حبان وابن ماجه وتمام والضياء من حديث عمر من سأل بيمينه مالا وهو غني فإنما هو رضف من النار يلقمه من شاء فليقل ومن شاء فليكثر وفي لفظ حديث أبي هريرة عند مسلم من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياء من حديث حبشي بن جنادة من سأل من غير فقر فإنما يأكل الجمر وفي رواية لابن جرير والطبراني من سأل الناس ليثري به ماله كان خموشا في وجهه ورضفا بين جهنم يأكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر وفي رواية أخرى للطبراني من سأل الناس في غير مصيبة ناحته فكأنما يقم رضفة وقول المصنف ومن سأل وله ما يغنيه حديث يقرب معناه مما رواه الديلمي من حديث أنس من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة ويأس على وجهه مزعة لحم (وفي لفظ آخر) من سأل وله ما يغنيه (كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه) قال العراقي رواه أحمد بن منيع من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى قلت ورواه أحمد بلفظ من سأل وهو غني جاء يوم القيامة كدوحا في وجهه وفي رواية له من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي وحديث ابن عمر عند الشيخين ما يزال الرجل يسأل الحديث ورواه أيضا النسائي كلهم من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه (وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية) كذا في الصحيح والصواب خفية (ولا تسألوا الناس شيأ) رواه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي وقد تقدم في كتاب ذم المال وحب المال وروى أبو داود والنسائي من حديث ثوبان من تكفل لي أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة وكان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله إياه وهو يقدر هو بنفسه (وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله تعالى ومن لم يسأل فهو أحب إلينا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في القناعة والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حصين بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات انتهى قلت ورواه ابن جرير في تهذيبه بلفظ من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سألنا شيأ فوجد له أعطيناه ورواه أحمد والنسائي والبيهقي والضياء بلفظ من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكفى كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف (وقال

صلى الله عليه وسلم استعنوا على الناس وسائل من السؤال فهو خير لكم وفي رواية ومن سأل وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لو أحد من قوته عشاء لرجل عشاء ثم سمعه يسأل فقال أم لك عشاء ليلتك فقال عمر فما تحب يا مخلاة مملوءة خبزا فقال لو كنت أحد حزمها فأخذ بقرنها فجاء بها فوضعها بين يدي الرجل فقال عمر ويحك لأن يحمل أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فأعطاه فذهب فاحتطب فباع فجاء بعشرة دراهم فقال هذا خير لك من أن تجيء المسألة يوم القيامة خدوشا في وجهك أو كدوحا أو كدما فيه وقد ورد الشرع بالتعريض بالسؤال فيما يأخذه فهو مستثنى من هذه القاعدة المقررة والشرع لا يعارض بعضه بعضا وهو مستثنى من هذه القاعدة المقررة والشرع لا يعارض بعضه بعضا وهو

صلى الله عليه وسلم استعنوا على الناس وسائل من السؤال فهو خير لكم وفي رواية ومن سأل وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لو أحد من قوته عشاء لرجل عشاء ثم سمعه يسأل فقال أم لك عشاء ليلتك فقال عمر فما تحب يا مخلاة مملوءة خبزا فقال لو كنت أحد حزمها فأخذ بقرنها فجاء بها فوضعها بين يدي الرجل فقال عمر ويحك لأن يحمل أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فأعطاه فذهب فاحتطب فباع فجاء بعشرة دراهم فقال هذا خير لك من أن تجيء المسألة يوم القيامة خدوشا في وجهك أو كدوحا أو كدما فيه وقد ورد الشرع بالتعريض بالسؤال فيما يأخذه فهو مستثنى من هذه القاعدة المقررة والشرع لا يعارض بعضه بعضا وهو

مباح مهما وجدت فيه الشروط في السؤال كونه مباحا وذل مستكنه وصباغي الباطن وفي السؤال كونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال لاذا استعرض طلب العلم أو وظائفه وكل من له حد فهو قادر على الكسب ولو رافه وأما المستغني فهو الذي يطلب شيأ وعنده ما يفضل عن نفقة يومه وليلته وهذان طرفان واوساط وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخاف من خوف ولكن له حد لا ينقص عنه انتهائي الشدة وهو ما يؤدي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الاكراه وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا حاجة تحقق ولكن الشرع عنه أولى وهو ما سؤله مكروه مهما صدق في السؤل وقل بئس سؤل وقل بئس تحت حتى نقيض وابرد يؤدي الى

أي هذا السؤال (مباح مهما وجدت فيه الشروط في السؤل) أي بطلانه أو ثبوت (كونه مباحا) في (السؤل منه كونه راصبا في الباطن) غير مستحي في اعطائه ولا مراء (وفي سؤال كونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤل لاذا استعرض طلب العلم) أو وظائفه بحيث لم يتفرغ للكسب (وكل من له حد) فقرا (فهو قادر على الكسب ولو رافه) أي بسباحة (وأما المستغني وهو الذي عنده قوت يومه وليلته أو آلة تدر عليه ذلك وهذان طرفان واوساط) وهما لا اضطرار ولا استغناء فالاضطرار معتبر ولا استغناء محرم (وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخاف من خوف ولكن له حد لا ينقص عنه انتهائي الشدة وهو ما يؤدي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الاكراه وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا حاجة تحقق ولكن الشرع عنه أولى وهو ما سؤله مكروه مهما صدق في السؤل وقل بئس سؤل وقل بئس تحت حتى نقيض وابرد يؤدي الى الشدة على هذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفية التي سؤله فيه ليابسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس وكان يسأل لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الاكراه المعروف في الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه ان كان في مثل هذا يسأل باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى وبذل وابداء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح مع احد هذه المحذورات وان لم يكن فيه شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة وبيان كيفية كون احد هذه السؤال عن هذه المحذورات قاعلم أن الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤالا يحتاج ولكن يقول ما استغنى عنك ولكن ربك يكفيك

تطالي رعونة لنفس نوع فوقاني وهو فضله عن الحد وفضول من نفس فيجرح به عن حد الشكوى وأما البذل فبان يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعرفه لا يقصد ذلك في عينه ولا يرد به سبب سؤاله أو رجل يستحي لذي قد عده لمثل هذه المكارم فيطرح بوجوده مثله وتقدمه نفسه بقوله فيسقط عنه البذل بذلك فان البذل لازم للمنة لا محالة وأما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يأتي الكلام عرضا حيث لا يقدم على البذل الامتنع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا أيضا عليه ورد بذل كما مر في الملامة

ويكون الاحب اليه في باطن الحلاص لو قدر عليه من غير ملامة وهو ما كان يسأل أحدا معينا يعني أن لا يصرح بل يعرض بعرض يعرف به حيلة لتعذر ان أريد هذا يتعارض مع ما سيأتي عن عدد ذلك لرعيته وبه عبر هنا بقوله ويتعين أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تعذر عنه فان الحياء من السائل يؤذي كان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت قد أخذ مع العرياني باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولا ما تقدم منه فهو حلال أو شبهة فالقول بذلك حرام محض لاخلاف فيه بين الامة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالصريح وما صدره دلالة الا أن يقال بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء

ويكون الاحب اليه في باطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة وهو ما كان يسأل أحدا معينا يعني أن لا يصرح (بل يعرض له تعريضا يتعرف له سبيل الى ذلك فان أريد هذا) دلالة (قد لم يتعارض مع القدرة عليه فان ذلك رعيته وبه عبر هنا) بقوله (ويتعين أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تعذر عنه فان الحياء من السائل يؤذي كان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت قد أخذ مع العرياني باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين) في المجلس (ولولا ما تقدم منه) في المجلس (فهو حلال أو شبهة فالقول بذلك حرام محض لاخلاف فيه بين الامة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالصريح وما صدره دلالة الا أن يقال بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء) من ضرب الجلد الظاهر وفي دلالة قول

العبد يقرع بالعصا ٭ والحر تكفيه الملامة

(ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر مرضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر قال العراقي لم أجد له أصلا وكذا قال ابن السبكي نعم) قال (ان هذه ضرورة فتقضي في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وتراثن الاحوال فاضطروا الى الحكم بالظاهر مع القول باللسان مع انه ترجمان كثيرا الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان أفتوك وأفتوك فان معنى معلم للعاصي والسلطان يحكم في عالم الشهادة ومعنى القلوب هم عليه لا آخرة وفتواهم العفة من سعوة سلطان الآخرة كما أن فتوى الفقيه العفة عن سعوة سلطان الدنيا فاذا أخذه مع الكراهة لا لله يبوء بين الله تعالى ويجب عليه رد الى

صاحبه فان كان يستحي من أن يرده وهم يسره فعليه أن يتيقنه على ذلك كما يساوي فيه في معرض هدية وتوقا قابله ليتقضي عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل وهو في نفس السائل بمراض ولا يكون هو في نفسه راضيا فالقول له هذا (لسر) المتقون سؤال (ولا سائف كانوا يحدون من أحدشيء) أصلا (وكان شعر) الحافي رحمه الله تعالى (لا يحد لامن السري) المعطر رحمه الله تعالى (وقال) لما سئل عن ذلك (لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فلا أحب أن أمثل بين يدي حتى يأخذه منه (واعظم السكير في السؤال و) اشد (الامر بالتعفف لهذا الاذى انما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفا على

وأشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر مرضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر قال العراقي لم أجد له أصلا وكذا قال ابن السبكي نعم ان هذه ضرورة فتقضي في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وتراثن الاحوال فاضطروا الى الحكم بالظاهر مع القول باللسان مع انه ترجمان كثيرا الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان أفتوك وأفتوك فان معنى معلم للعاصي والسلطان يحكم في عالم الشهادة ومعنى القلوب هم عليه لا آخرة وفتواهم العفة من سعوة سلطان الآخرة كما أن فتوى الفقيه العفة عن سعوة سلطان الدنيا فاذا أخذه مع الكراهة لا لله يبوء بين الله تعالى ويجب عليه رد الى

موضع الضرورة صلى الله عليه وسلم وموسى والخضر عليهما السلام ولانهم لما سألوا الامن عموا به رغبتهم وعطاءهم وان السؤال من لاحول له ولا حول ولا قوة الا بالله كانوا يحذرون منهم غير سؤال ويتعوذون بالله من شرهم وشر أرباب هذه الحالة وهم الذين قلوبهم على المطلوب مرضاة القلب لا تطيق اللسان وكانوا قد نشؤا بحول الله ولا حول لهم ولا قوة فكانوا يحذرون من سؤالهم لانهم كانوا يعلمون ان لا حول لهم ولا قوة الا بالله فكانوا يحذرون من سؤالهم لعلمهم بان السؤال لا يكون الا عن حول وقوة

يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يكتسبونه أو أكثره حرام أو مشتبه وأن الذي يكتسبه حلالا أو موروثا قليل جدا بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس فسأل الله تعالى أن يقطع طمعي عن غيره وأن يرزقني الاستغناء بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه وسعة جوده لعلي ما يشاء قدير

(باب مقدار الذي يحرم السؤال)

(عن عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما (أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال ما يجزئ الرجل من المسألة فقال لا يسأل أحدكم شيئا فإن المسألة لا تحل إلا لأحد رجلين رجل سأل سلطانا أو في أمر لا بد منه) رواه أبو داود والنسائي من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكرته في الكلام على حديث من سأل الناس تكثرا وقوله فيما عنده ما يغنيه كذا في أكثر النسخ وفي بعضها ما يغنيه وفي حديث سهل بن الحنظلية فقلنا وما غناه قال قدر ما يغديه أو يعشيه وفي رواية لأبي داود والنسائي من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خمسون درهما أو حسابها من الذهب وفي رواية لأحمد وابن حبان لقد سأل إلحافا وفي رواية لأحمد والنسائي من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا وفي حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا وفي رواية لأبي داود والنسائي من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف وروى أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود من سأل وله أربعون درهما وروى البيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سأل وله أربعون درهما فهو من الملحفين (ومهما اختلف النقد فيراعى فيه قيمة الأحجار فيسقط به ما يقطع بوجودها على أحوال مختلفة) فيما بين الأحجار كيلا يصدق (قال الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا) فهو مذهب الأصوليين (وإنما قدر بخمسين وغاية ما يمكن فيه تقريب ولا يتم ذلك لا لتقديم بحسب أحوال المحتاجين فقول قال صلى الله عليه وسلم لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه ما زاد فهو حساب)

يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يكتسبونه أو أكثره حرام أو مشتبه وأن الذي يكتسبه حلالا أو موروثا قليل جدا بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس فسأل الله تعالى أن يقطع طمعي عن غيره وأن يرزقني الاستغناء بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه وسعة جوده لعلي ما يشاء قدير

(باب مقدار الذي يحرم السؤال)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال ما يجزئ الرجل من المسألة فقال لا يسأل أحدكم شيئا فإن المسألة لا تحل إلا لأحد رجلين رجل سأل سلطانا أو في أمر لا بد منه) رواه أبو داود والنسائي من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكرته في الكلام على حديث من سأل الناس تكثرا وقوله فيما عنده ما يغنيه كذا في أكثر النسخ وفي بعضها ما يغنيه وفي حديث سهل بن الحنظلية فقلنا وما غناه قال قدر ما يغديه أو يعشيه وفي رواية لأبي داود والنسائي من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خمسون درهما أو حسابها من الذهب وفي رواية لأحمد وابن حبان لقد سأل إلحافا وفي رواية لأحمد والنسائي من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا وفي حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا وفي رواية لأبي داود والنسائي من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف وروى أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود من سأل وله أربعون درهما وروى البيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سأل وله أربعون درهما فهو من الملحفين ومهما اختلف النقد فيراعى فيه قيمة الأحجار فيسقط به ما يقطع بوجودها على أحوال مختلفة فيما بين الأحجار كيلا يصدق قال الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا فهو مذهب الأصوليين وإنما قدر بخمسين وغاية ما يمكن فيه تقريب ولا يتم ذلك لا لتقديم بحسب أحوال المحتاجين فقول قال صلى الله عليه وسلم لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه ما زاد فهو حساب

وأما الطعام فمقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير ولا دم على الدوام فصله وقطعه بالكلية اضرار وفي طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمن يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه في ثلاثين يوما أو خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولقطع الطمع عن ما زاد على السنة سؤاله حرام فان كان له عيال يموتون جوعا لو لم يسأل له سؤاله حرام فان ذلك عذر اعني وعليه يحمل قدر خمسين درهما في الحديث فان خمسين درهما في النقد المتفرد في السنة اذا اقتصد أما الجليل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه فيجوز سؤاله في الحال ورد لا يعيش الى الغد فيكون سؤال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غد يوم وعشاء ليلة وعليه يحمل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يقوته فرصة سؤال ولا تحد من يعطيه لو سأل لان أمل لقاء من يعطي بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يحتاج اليه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل صعبا وكان ما لاجله السؤال حاجة عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الموت وتراخي المدة التي

الناس عفوه وقد ذكرنا ذلك (فلنجعل هذه الثلاث أصلا في الخلق يبنى حكمها عليه ويعرف الاحتياج والغنى بالاضافة الى الاوقات فما الاحتياج فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما يجري مجراها من المهم الذي يحتاج اليه ويحق بنفسه عياله وولده وكل من تجب نفقته كالدابة يصير ما لا تقدر عليه ما يبقى مدوى الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه ويقاس على هذه الثلاث بقية الاجناس فكوب الاواني من النحاس والصفر فيكفي فيه الخزف فما زاد عليه مستغنى عنه فيقتصر (٢١٠) من يعدد على واحد ومن الثوب على خمس خصاصه ما لم يكن في غاية بعيدة عن العادة

الحال ورد لا يعيش الى الغد يكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غد يوم وعشاء ليلة وعليه يحمل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يقوته فرصة سؤال ولا تحد من يعطيه لو سأل له سؤاله لان أمل لقاء من يعطيه بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يحتاج اليه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل صعبا وكان ما لاجله السؤال حاجة عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الموت وتراخي المدة التي

يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الصحة وهو مبسوط باجتهاد لمطالعه وعلى الله توكلي فيما فوضه وعليه ان كان ساكنا طريق لآخرة وكل من كان بقيته أقوى وثقته بمحبوبه أرسخ في استقبال أمر وسعة قوت الوقت أظهر وأرجى بعد ان الله تعالى على ذلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك فلك ولعيالك لامن ضعف اليقين

قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ونزل من هجم عليه السؤال وقد حضر وقت حاجته متراخيه عن وقته وان كان يحتاج اليه في السنة أشد من حال من ملك ما لا موروثا وادخره لحاجة وراء ان سنته وكلاهما مدخر في المستقبل والكل مضاف الى سبب الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان أحوال السائلين)

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحيين في عليين وفقير لا يسأل وان أعطي أخذ فهذا مع المفلحين في حساب الدرجات وفقير يسأل عند حاجته فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فاذا اتفق كلهم على دم السؤال وعلى انه مع مخالفته لهذه الدرجة

يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الصحة وهو مبسوط باجتهاد لمطالعه وعلى الله توكلي فيما فوضه وعليه ان كان ساكنا طريق لآخرة وكل من كان بقيته أقوى وثقته بمحبوبه أرسخ في استقبال أمر وسعة قوت الوقت أظهر وأرجى بعد ان الله تعالى على ذلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك فلك ولعيالك لامن ضعف اليقين (والاصعاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ونزل من هجم عليه السؤال وقد حضر وقت حاجته متراخيه عن وقته وان كان يحتاج اليه في السنة أشد من حال من ملك ما لا موروثا وادخره لحاجة وراء ان سنته وكلاهما مدخر في المستقبل والكل مضاف الى سبب الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان أحوال السائلين)

(كان بشر) بن الحارث الحافي (رحمه الله) يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحيين في عليين (وفقير لا يسأل وان أعطي أخذ) على حديث ورد فيه (فهذا من المقربين في حسنات فرد من) وهو أنزل درجة من الاول (وفقير يسأل عند الحاجة) وفي نسخة عند فاقته (فهذا مع أصحاب اليمين) وهو أنزل درجة من الثاني (هكذا قول رواه بشر في رسالته التوكل فقال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن الحريري يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسن الجياني قال كنت عند بشر الحافي فجاءه رجل فسأله عن ثلاثة من أهل الزهد فقال بشر أحسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطي لا أحد قال من أهل الزهد في الدنيا وفقير لا يسأل وان أعطي قبل ذلك توضع له موائد في حظائر القدس وفقير يسأل وان أعطي قبل دون الكفاية فكفه وتنه عنده) فاذا اتفق كلهم على دم السؤال (مطلقا) وعلى انه مع الحاجة تحط الدرجة (شهد الدين بأن تحمله من يسأل لنفسه أو لغيره فان سأل لغيره فهو معذور وان سأل لنفسه من غير حاجة فهو مذموم والاصدقاء وان تركوا من غير حاجة فهو أيضا مذموم وان كان دون الاول في التحريم وقد تقدم تفصيل ذلك (قال شقيق) بن ابراهيم (البلخي) رحمه الله (لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا) من الاعمال (صبروا ومن لم لما وصفهم بترك السؤال عند حاجتهم عبر بالمنع فقال شقيق هكذا تركت كلابنا عندنا (ان عطوا أكلوا وان منعوا صبروا) وفي نسخة ان منعوا شكروا (فقال له ابراهيم فكيف تركت فقراءكم عندكم قال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا) وفي نسخة ان منع منهم من الله عليهم بثلاثة علمهم سواه (وان أعطوا آثروا) غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا لانفسهم من عطاء (فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ) هكذا في هذه القصة في نسختين هو المعروف وهو الاصح وفي نسخة ان السائل هو ابراهيم والمسؤل هو شقيق وقوله فقبل شقيق صوابه فقال ابراهيم وقوله فقال له ابراهيم صوابه

والدرجة قال شقيق أعطي لابراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت فقراءكم فقال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وعلى انه ساق وصفهم بترك السؤال قد نبه عليهم عليه الشيخ فقال شقيق هكذا تركت كلابنا عندنا فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال فقراءنا عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت

والاختلاف فى حقيقته وما
لم يعلم يقدر على الترقى من
حضيضها الى قلاعها ومن
أسفل سافلين الى أعلى
عليين ودرجات الانسان
وأخس قوم ثم تردد الى
أسفل سافلين ثم أمر أن
يترقى فى أعلى عليين ومن
لا يقدر على الترقى مطلقا وهو
الثالث فمن عرف ذلك فانه
لا يقدر عليه وأرباب

الاحوال قد تعلم بعلامة
تدل على أن يكون السؤال
مريدا لهم فى درجاتهم
وكمالهم لا صاحبا لهم فى حالهم
وذلك يجرى أن يعلموا
رأى أبا اسحق النورى رحمه
الله عليه يسأل الناس
فى بعض الايام فقيل له
فقال محمد بن واسع رحمه الله
يكره ذلك فقال لا يعلم
هذا عليك فان النورى لم
يسأل الناس لاجل نفسه
وانما سألهم لينفقها على
الآخرة فيؤجر فيما بينه
وبين الله فى قوله صلى الله
عليه وسلم يد المعطى هى
العليا ويد المعطى هى
يد الآخذ لله له
المعطى الثواب فى قوله
لا يد الآخذ له
هات الميزان فوزن مائة
درهم ثم قبض قبضة
على مائة ثم قال لهم

دقيقة فى معنى ما يوزن الشئ ليعرف مقداره وكيفية ما يحتاج اليه من تحقيق وتقدير وتقسيم
الحمد لله على الصواب حيث قال حدثنا أبو القاسم عبد السلام بن محمد الحربى بمعدى بصوفى قال حدثنى
أحمد بن محمد الحربى عن حذيفة المرعشى قال كنت بمكة مع ابراهيم بن أدهم فدا شقيق فلما
نظر ابراهيم شقيقا قال لى يا حذيفة ترى هذا الاعرابى فانه من أعبد الناس فى زمانه فلما
دنا شقيق سلم فرد عليه ابراهيم فجلس بين يدى ابراهيم فقال له يا شقيق كيف أصبحت فقال أصبحنا على ما
نكره ونحن نعد الصبر فى مصيبتنا أعظم من الصبر على طاعتنا فقال ابراهيم هكذا تقول كلاب أهل بلخ فقال له شقيق فكيف
تقول أنت يا أستاذ فقال ابراهيم نحن نقول أصبحنا على ما نحب فطاعته أحب الينا من الصبر على
مصيبته فقال شقيق لقد ضاهيت كلاب أهل بلخ فقال له ابراهيم فما أنتم يا أهل بلخ فقال شقيق نحن
اذا أعطينا شكرنا واذا ابتلينا صبرنا فقال ابراهيم كلاب بلخ تفعل كذا فقال له شقيق فما أنتم يا أهل
البلد فقال ابراهيم نحن اذا أعطينا آثرنا واذا ابتلينا شكرنا فقام شقيق فقبل يدى ابراهيم فقال يا أستاذ أنت أستاذنا ثم
رجع الى رحله فجرى من الغلمان بحضرته ما أعجبه فلما رجع الى ابراهيم أدهم
قال شقيق حين قدم عليه ما رأيت أحدا مثلك ما تركت كلاما تتكلم به الا رأيت
عندك أثرا منه فقال له ابراهيم وما رأيت منى فقال شقيق رأيتك حين أعطيت
ولم تكن عندك شئ آثرت على نفسك ورأيتك حين ابتليت
صبرت وأظهرت الجلد فقال ابراهيم فما رأيت منى بعد ذلك فقال شقيق
رأيتك حين أعطيت

أسأله فدهشت بالصرة إلى الثوري فقال هات عشرين فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له لا أقبل منك شيئا وأخذ مازاد على المائة قال فرددتها عليه فسألته فقال الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحمل فطار فيعوض مائة بنصف طعام في الآخرة ويطرح عنها فضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فبكى (٢١٣) وقال أخذ مالله ورد مالنا الله المستعان

أسأله فدهشت بالصرة إلى الثوري فقال هات عشرين فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له لا أقبل منك شيئا وأخذ مازاد على المائة قال فرددتها عليه فسألته فقال الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحمل فطار فيعوض مائة بنصف طعام في الآخرة ويطرح عنها فضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال أخذ مالله ورد مالنا والله المستعان

فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف حاسبت الله تعالى أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير حاجة إلى النطق باللسان ولكن تشاهد القلوب وتتناجى الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله تعالى فكل من تفكر في ذلك فقد عرف طريقه وهو عاقل لكن من يسكر ولا يكون الدواء مسهلا فإن شربه ومن أكثر منه فإن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فالكثير دلالة لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فلا يتكثر يكون الدواء مسهلا وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس بياس حقا وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وبحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين لذلهم في الفصول الصعبة نعوذ بالله منها ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم آمين آمين يا رب العالمين وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وبحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين لذلهم في الفصول الصعبة نعوذ بالله منها ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم آمين آمين يا رب العالمين وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يموت على الكفر ورجل ظلم فيخوف بالفقر وقال الجنيد معشر الفقراء اسكم تعرفون بالله وتنكرون بالله فانظروا كيف تكونون مع الله اذا خلوتم به وسئل محمد بن عبد الله الفرغاني عن الافتقار الى الله أتم أم الاستغناء بالله فقال اذا صح الافتقار الى الله فقد صح الاستغناء بالله واذا صح الاستغناء بالله فقد كمل العبد به فلا يعلم أيهما أتم الافتقار أتم أم الغنى لانهما حالتان لا يتم احداهما الا بالاخرى وسئل رويم عن ذنب الفقير فقال ارسال النفس في أحكام الله وقلة الاكتراث بحفظ سره وأداء فرضه وصيانة فرجه وقلة المبالاة بما جرى للفقراء وفق الاغنياء فقيل ثلاث خصال لا يسلم أحد بهن عبد طيب ولا نهم غير موفقين لان الفقراء مرادون للسلامة وقد أوحى الله الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء فقل لهم كمسائل الاغنياء فانهم تفعل فاجعل كل شئ عليك تحت نظرك وروى عن أبي الدرداء قال لان أقع من ذوى قصر فاحطم أحب الي من جماعة العين لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهاب الحكمة الاولى قبل ومن الاولى قال الاغنياء وقيل الربيع بن خيثم قد علا سعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع أولياءه وقال ابراهيم بن أدهم طلب الفقر فقد العين وعدم اليأس العين واستقلالهم الفقر وقيل يحيى بن معاذ ما افتقر قال خوف الفقر قيل له فالغنى قال الامن بالله وقال ابن الكريني ان الفقير الصادق يحتاج الى حذر شديد لانه لعين فيفتقد عليه فقره فكم من العين لحق زمن الفقر حذر ان يدخل عليه فيفتقد عليه وسئل أبو حفص عما يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة من حسنات الخلق سبع قال نعم قال عد المرضى وكل الى الفقراء فاجعل موسى عليه السلام عيادته في كل شهر سبعة أيام خوف على الفقراء يبلى بهم ويعود المرضى وقال سهل خمسة أشياء من جوهر النفس وقفر يظهر الغنى وضائع يظهر الشبع ويحزون يظهر الفرح ورجل يسأله ويرجل عداوه ويظهر له المحبة ورجل يصوم نهاره ويقوم ليله ولا يظهر صومه وقال بشر أفضل العبادة بعد المعرفة على الفقر على الفقر وقال ذو النون علامة حفظ الله على العبد خموله من فقر وقال الشبلي أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لاحد فقد في يوم ثم جاءه بعد ولم أمسك منه شيئا لوجد ما فقدت في فقره ومعنى الاستدراك ما يقول تكلم الناس في الفقر وأما أنا فاقول أفضل وعندي أن الافضل هو الرضى بالله تعالى الرضى كله ثم ان فيه وسئل ابن الجلاء متى يتحقق الفقير بالفقر قال اذا لم يبق عليه بقية منه فقيل كيف ذلك قال اذا كان له فسر له واذا لم يكن له فهو له قيل وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذي يشير اليه القوم وهو أن يعبر كله لله لا تبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهو الذي لو بقي عليه شئ في أحكام نفسه فقره مدخول فيه اه ثم قال القشيري وقيل صحة الفقر أن لا يستغني الفقير في فقره بشئ لا بال فيه فقره وقال بن المنازل اظهار العبد في الفقر أحسن من الفقر وقال ابن المصري كنت عكة قاعدا وبين يدي شاب فجعل يبكي فدخل بيته كيسا فيه درهم ووضعه بين يديه فقال لا حاجة لي فيه فقال فرقه على من شئت فكان العشاء فرأيته في الوادي يلتقط السبانخ فقلت لو تركت هذا منك كان معلنا فقال لم أعلم اني أعيش الى هذا الوقت وقال أبو حفص أحسن ما واصل به العبد الى مولاه دوام افتقاره اليه على جميع الاحوال وملازمة الذلة في جميع الافعال وصحب الفقر من وجهه حلال وقال لا ترتعش يتنفي الفقير أن لا تسبق همته حظوظه وقال أبو علي الروذباري كان أربعة في زماننا بهم وحد كان لا يقبل من الاخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئا وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا وهو أبو الحسن الفرزي فكان ما يأخذ من الاخوان يفرقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان كان يحرثه في أهل طرسوس والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو بن الميرل

أحد من الاخوان وكان على عياله واسع كان لا يحسد من سلطان ولا يخصص الاخوان وهو مخالف لما الحسن كان يقول السلطان لا يمن ولا اخوان يمنون سمعت أبا علي الدقاق يقول في الخبر من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقده بقلبه بقلبه كما تواضع له بلسانه ونصف مذهب دينه كما موقيل أول ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه وقيل من أراد الفقر أشرف افقر فان فقيرا ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى فان غنيا وقال النوري بعث الفقير السكون عند العدم والايثار عند الوجود وسئل الشبلي عن حقيقة الفقير فقال أن لا يستغني بشيء دون الله وقال الجنيد اذا لقيت الفقير فالقه عابس الوجه فان أردق يؤذيه والعلم يوحشه فقيل وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم اذا كان الفقير صادقا في فقره فط حت عليه علم فان يعود بالرضا ص في اسار وقال معظم القوم يسمى الفقير هو الذي لا يكون له الى الله حاجة وكان يشير الى سقوط الاختيار والرضا بجري الحق وقال سهل حقيقة الفقر عدم الاملاك والخروج عن أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لاحد الفقر حتى يكون عنده أحب اليه من لا حد بن السحاء أن يعطي الوجد عدم وعند السحاء أن يعطي العدم الوجد وقال ابن الخلاء لو شرف شيء لكان حكم الفقير اذا منى أن يختار وقال يوسف بن أسباط مذ أربعين سنة ما كنت جائعا ولا كنت شبعان وقال بعضهم رأيت كان القيامة قامت فيقال ادخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فدارت أبهم يتقدم فقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي لانه كان له قميص واحد وكان مالك بن دينار قميص وقال محمد بن سوقة الفقير الذي يرى بفقره صحة لي شيء من الاسباب وسئل سهل متى يباح الفقير فقال دام بنفسه غير لوقت الذي هو فيه وتذكر وقته يعني من معاد الفقير والغني فقال لا يورث عند الفقر ولا الغني وان يورث الصبر والشكر وقيل أوحى الله الى بعض الانبياء اذا أردت أن تعرف رضاي عبدك فانظر رضاه عني وقال ابراهيم من لم يصبه البقي في فقره أكل الحرام بعض وقال أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة فان كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته وسئل أبو بكر بن نصر عن الفقير لصار فقال الذي لا يملك ولا يملك وقال ذو النون دوام الفقر الي الله مع الجهد أحب الي من دوام الصحة مع الحجب ومكث أبو حمزة الحذاء عشرين سنة يعمل كل يوم بدرهم ويفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فتصدق من الاثواب وقال محمد بن علي الكتاني كان عندنا ممكنة فتي عليه اطمار وتة وكان لا يدخل ولا يخرج فمكث في بيتي فقضى لي حاجة فاعطيته درهم من رجعه لال فحملتها اليه ووضعتها على طرف حصيره فنفت به فقضى لي ذلك من وجه حلال تصرفه في بعض أموره فعطر لي شيرازا ثم قال اشتريت هذه الخمسة مع الله على الفراغ بسبعين درهما غير نصاب واستغلان تريد أن تخدعني عما هو خير لك وقام وردها وقد نقد النقط فلا رأيت كفرة حين مر ولا كفاني حين كنت أنفقها وقال ابن سمعون ما وجب علي زكاة الفطر أربعين سنة ولي قول عظيم بين الخاص والعام وسئل عن الفقير متى يحل له السؤال فقال اذا كفى بيته أيش يقال فيه فقال فيه مكدي كلو واسكتوا وهو حق فقير من هذا بان لك الحكم كذلك وسئل الدقي عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم فقال الغلط منهم من الحقيقة الى علم وقال جعفر الخلد دخلت بعض المساجد ورأيت فيه فقيرا فلما رآني تعلق بي وقال أيها الشيخ تعطف علي فان تحتي عظمة فقلت وما هي فقال وقعت اسلاء وعرت بالعانة فعفرت عدة هو قع عليه شيء من الدنيا وقال أبو بكر الوراق هوى الفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السعادة معه في الدنيا بالخراج ولا يطلبه في الآخرة الحساب الى هنا كلام القشيري وقال السهروردي في عوارف قال بعض الخلاء الفقراء لا يكون لك واذ كان لك لا يكون لك حتى تؤثر وقال بعضهم بعث الفقير لسكون عند العدم والاضطرار عند الوجود وتقدم مثله

في قول سوري الا به قال والبدل بدل الاضطرار وقال لدراج فتشت كفي أسادي ريد مكحله فوجدت
فيها قطعة فتحيرت فلما مه قلت اني وجدت في كفي قطعة قال فدونكها ثم قال حدثها فاشترمت
شيء فقلت ما كان من أمرهذه القطعة تحق معيشتك فقال مارزقني الله تعالى من الدنيا لاصفراء ولا بيضاء
غيرها وددت أن أوصي أن تدفن معي وأردها الى الله تعالى وقال ابراهيم الخواص الفقر رداء
الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا
يحبس وقال أبو علي الروذباري سألني الزقاق فقال أبا علي لم تر بعد فقراء أخذ الله في وقت الحاجة قال
قلت لا فهم مسلوبون ما عطاء قال نعم وكل وقع شيء آخر قلت هب قال لا فهم قوم
لا يبقيهم لوجود الله عليهم ولا نصرهم بقوة الله ووجودهم وقال بعضهم بالفقر وقوف الحاجة على
القلب ونحوها عما سوى الرب وقال الجنيد الفقير الذي لا يعنيه شيء ولا تغيره المحن وقال أبو بكر
الطوسي مكثت مدة أسأل عن معنى حتى رأيت الله تعالى يقول الفقر على سائر الأشياء كما يحب أحد نحواب
يعني حتى سألت نصر بن أحمد فقال ولا يه أبو عبد الله الفقر على سائر الأشياء فقلت عن هذا
البعض الفقراء مرتين رأيت عليه أثر الجوع والضر لا أقل ما يعمل فقال أخاف أن أسألهم فيمنعون
فلا يعطون ه وقال صاحب المنازل الفقر بدايته ونهايته وظاهره وباطنه بدايته الدين ونهايته بغير
وظاهره العدم وباطنه العين فالفقير حال لا آخر فقر ولا أول فقال لا أول فقر ولا آخر فقال فقر وغنى فقال لا
فقر وغنى وكلاهما مضاف وما سئل الفقير الصابر وما عني الشاكر وترجح أحدهما على الآخر وقد
تحقيق أن الحسين لما جمع الدنيا والآخرة فقر وعني وما يرجع الى الدنيا من مال ولا حيوان وما تحقق
به مسألة فاسدة من أصلها وان الحسين عبد الله بالفقر وعني والله تعالى يقول يا أيها الناس أنتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد فالكل فقراء الى الله تعالى لا فقر وعني قال الله تعالى يا أيها الناس
أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فالكل فقراء الى الله تعالى لا فقر وعني تلاه من الله للعباد طلب
كل من أعطاه ووسع عليه وكرمه ولا كل من ضيق عليه وأهانه والا لزم أن يكون الله تعالى أعطاه ووسع عليه
وكرمه وهوان هذا يسلب ذلك ولا يقع بخاطر عاقل أن الفقر والغنى والفقر قال بعضهم هذه المسألة
بخاطر وحسبه جرى هوان كلا من الفقر والغنى من الصبر والشكر فان الانسان لا يخلو من أحد
وصفين شكر أو صبر فيكون فقيرا بمعنى أنه صابر وغنيا بمعنى أنه شاكر وكلاهما لا يقوم بالشكر
ويكون شكر بغير صبر لأن الشكر هو استعمال النعمة في طاعة الله والصبر عام في عبادة الله وشكر من نعمه
وكلاهما لا تقوم بدونه لا بمعنى أن من لا صبر له لا شكر له بل بمعنى أن الصبر الذي هو جامع لمعاني البر
في المسألة هم ذكروا نوعا من الصبر وأحدوا في الرجحان فجردوه عن نفسه فاعتقدوا أن الفقر
شكر الله عليه وغير متعرض لنعمة الله تعالى ولا رد لها بل صابر على فقره هل هو أكمل من ذلك بمعنى
أم بالعكس فالجواب في مثل هذا أن كلا منهما مطلوب منهما فان تساويا فهما تساويا وجودهما والله أعلم
ه وقال صاحب القوت قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فيل على الفقر وقد سمى الله الفقراء الصابرين
المحسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فمن تعالى ما على المحسنين من سبيل ثم أوجع لهم والمسألة بمعنى
لا عليه وسمهم طيبين ووسمهم بوصف نفسه وجعلهم من أخلاق معينين في الآيتين بما
السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا أن يكونوا مع الخوالف يعني النساء لان هذا جمع
الكثير وقال عما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق يعني يطالبون فيها
عند الفقراء الصادقين بدين قال في ذكرهم تجعله الذين لا يريدون علوا في الأرض وقد جمع منهم
فضل الأغنياء المتمسكين لهم بالله يعني على الفقر عند قوله تعالى عن الفقراء تولوا أعينهم
تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم أحد عند أهل التذكرة أن مريد الفقراء غنى
عنهم فما كان الحسين كذلك فما عني الذي أحس وقال سهل بن عبد الله الحسين فكان مريدهم الحرب

و لاسقام وخوف التقصير لما اشتد عظم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسئولون حتى تشرهم الله ما تهم محسنون ، قال ما على المحسنين من سبيل لانه أضاف اليه في الوصف وعطف بهم عليه في الحكم وأثبت فلم يكن كلؤهم على قوت الدنيا ولا على طلب العيش والله تعالى بمد بهم بصرهم عن الدنيا ويدم للدنيا بهم لكن لما كان حزنهم على صعب ما يريد من الفقر تعدوا الا عاق فحرموه فعاد الفقر امسه ويرد دو فقر من الله ، ويدل الحال على فقرهم فعين كثرة الانفاق وخفة الشعر من الدنيا كان حزنهم فهذا فصل ما بين الفقر لا على الجمع و لادخار والتوسع لا على الذي فصل به بفقر من هذه الآية عند أهل الاستقامة والطريقة هو مشاركتهم الرسول في حاله ووصف نفسه وسيره صلى الله عليه وسلم بمثل سألهم من قوله تعالى قل لا أجد ما أحملكم عليه ثم بعثهم بمثله لانهم هم لامثل لا فضل تعالى أن لا يحدث اما يفقوت الذي كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو الافضل ويحمل ان مسعود الفقر حقيقته الايمان وعمر عن درجة الايمان فقد لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل مروءته ولا يحل مروءته حتى يكون الفقر أحب اليه من الغنى و التواضع أحب اليه من شرف والذل أحب اليه من العز وأما وهب بن منبه فانه جعل هذه الخصال الثلاث من اكمل العقل فقال لا يستكمل العبد عقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول ما من شيء لا وهو معروض في الحرائن الا الفقر مع المعرفة فانه محروس محروم عليه لا يعطاه لانه من طبع يطابع الشهداء وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى

(الشطر الثاني من الكتاب في الزهد) وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضله وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في العلم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد

(بيان حقيقة الزهد)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين) وهو السادس من مقامات يقين على ما رتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر معها وقد ذكرناه في مقام الزهد ونحن فلذلك في سياقه و ما الظهر وردي وشيخ الاسلام بهر وي وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جملة مقامات الدين وهي ثمانية مقام في بيان منزل المائرين (ويعلم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات المذكورة والآية (لان أبواب الدين كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل) فالعقد يرجع الى الاعتقاد والقول يرجع الى اللسان والعمل يرجع الى الجوارح (وكان القول يظهره ثم مقام الحال وهو يظهر الحال الباطن ولا ليس القول مرادا منه و ان لم يكن صادرا عن حال يسمى اسلاما ولم يسم ايمانا) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الدين فانه أولية والحال ما يبعث عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب و الجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمرة والعمل يجري مجرى الحال) يجري (مجرى الثمرة فقد ذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به) هنا (ما يسمى زهدا وهو) لا محالة الذي لا يستغني عنه عابد ولا عارف لان الدنيا عدوة محجوبة اما كونها عدوة فلانها حاجزة وما كونها محجوبة فلان أصل الخطيئة وكلها الا يثار الاسم وأصل الخطيئة هو القصور للعابد قبل معرفته وكل الخطيئة ما شغلهم هو القاطع ان كان محظورا او شاغل ان كان مباحا وأما الزهد فلا يتعلق الا بترك المباح وترك المباح على ثلاثة أقسام * الاول أن الانسان فيه يحمل على ترك لو حسب وفعل المحذور ولا يقدر على فعل الواجب وترك المحظورات الا بترك فضول الشهوات اباحت * الثاني ان يعلم و يتيقن علما معارضه ويشق عليها معارضته والمعرفة الدنيا ضرورة * الثالثة لا يشتغل به عن معرفة الله التي ما خلقت الا لاجلها ونفس لا يتسع لحبين ما فضل عن حب أو هي الآخرة أو على الله تعالى وقد عرفت هذا عرفت أن زهد في الدنيا ضرورة السالك فما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق

*(الشطر الثاني من الكتاب في الزهد) وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضله الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في العلم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد
(بيان حقيقة الزهد)
اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ويتعلم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول الظهور وأقيم مقام الحال الذي يظهر الحال الباطن ولا ليس القول مرادا منه وان لم يكن صادرا عن حال يسمى اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمرة والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل * أما الحال فنعني به ما يسمى زهدا وهو

وقد عرفت هو بين بفكر في ذلك لأن وهو أن تصرف عنه بالكلية وسرعة دهابها حتى كأنها لم تكن في هذه الآخرة وشأنها حتى كأنها لم تزل مع ما اختلفت عليه الدنيا من الخساسة والقذارة وكثرة وحقارة شركاء وكذلك ما اشتملت عليه الآخرة من النفاسة والبهاء وعدم الآفات والانقطاع فإن معرفة الآخرة بالدليل لا تستلزم معرفتها بالذوق والكشف فلا بد من تصرف آخر يتأتى به الذوق وهو الزهد في الدنيا فإن الزهد في الدنيا يصرف القلب عن الدنيا ويقبل به على الآخرة فيتأتى معرفتها بالذوق والكشف وهذا معنى قولهم الزهد ترك ما لا ينبغي لما ينبغي أي ترك ما لا ينبغي أن يشتغل به العبد من الدنيا لما ينبغي أن يشتغل به من الآخرة وقولهم الزهد ترك الرغبة في المرغوب أي ترك الرغبة في المرغوب فيه وهو الدنيا لأجل المرغوب فيه وهو الآخرة وقولهم الزهد خلو اليد من الدنيا والقلب من الاشتغال بها أي خلو اليد من الدنيا بالكلية والقلب من الاشتغال بها بالكلية وقولهم الزهد ترك الراحة في الدنيا أي ترك الراحة التي في الدنيا لأجل الراحة التي في الآخرة وقولهم الزهد ترك الدنيا للآخرة أي ترك الدنيا لأجل الآخرة وقولهم الزهد ترك الدنيا لله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله وقولهم الزهد ترك الدنيا لله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله أي ترك الدنيا لأجل الله تعالى بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في الله على الله بالله من الله إلى الله في

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التحمل في الرسالة ولا يستحق اسم الزهد من زهد في بعض المعاصي دون بعض كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة (فلا يسمى عمارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يعد ذلك زهدا على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يعد ذلك في المحظورات) أي يترك بعض المحظورات دون بعض (وقد صرح بهذا ترك المحظورات دون المباحات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم) أي يزهد (بترك المباحات فقد يزهد عمارة عن الدنيا) وعراضه عنها (عدولا إلى الآخرة أو) عن رغبته (عن غير الله تعالى عدولا إلى الله وهي الدرجة العليا) في مراتب الزهد (وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده) تعالى رغبته (فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) ويهد يسارى الفقر (فإن ترك مالا يقدر عليه كمن) فإن قلت شدائد الدنيا كالفقر والمرض أعظم من نعيم الجنة فما معنى مشاهدة الله تعالى فإنه نعيم لجنة غير مقدور عليه وقد قيل خير الجنة ما يرجى وعقلي فحسبي ما يتلذذ به سائر البدن من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح ولا تختص اللذة الحسية في ذلك إذ الاختلاف في كل لذة لا ذوقا عنده على قدر شوقه كما سبق وقد عرف أن لذة الآخرة بقاؤه على الدوام وأن معنى نعيمها وكمالها وتعظيمها وهذه أيضا موجودة في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا وتحاسب بعضهم بعضا على قدر الذات التي يعتقد في كمالها الا أن لذة تعظيم العظيم عظيما فسادا في العاقبة وفي الدنيا بالذات المحسوسة وذو اللذة معرفة الله تعالى على قدر معرفته وكماله وإنما تعرفهم ذلك في وقت لا نفس تطمئن ومن وجده يطمئن إلى استحقار واحد الذي هو معرفة جميع الذات بقدره وحقيقته وصفاته بعرفة بعض الذات لا يزال لا يتسع للذة العباد كنسبة الحسية ولا تزيد الناس على لذة فعل الأمر به يتحقق به الأمر لا يتسع (وما يترك يتبين زوال الرغبة والدليل على أن المترك) عند الله تعالى (زهد) فكر عن قليل (فصال ابن زاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق بأن يسمى زاهدا (لدنياه الدارة) أي صغيرة دنيا له (فتركها) وزهد عنها (وما ذاك فيما زهد) وعدم (وكان ملك ما يبقى) وهذا قوي وقد كان ملك ما يبقى أولى أن يزهد فيه فقال ابن زاهد عمر بن عبد العزيز ما ذاك فيما زهد وملكه وزهد فيه فإنه أولى أن يسمى زاهدا فيه فما يتعلق بالحال في الكلام على هذه الأمور (وأما العلم بأن هو) أي الشخص الذي هو (يكون المتروك حقيرا بالإضافة إلى المأخوذ) وهذا (يعلم) إذ كل عاقل حريص على البيع والشراء يعلم أن ما لم يتحقق هذا العلم لا يصور أن يترك الرغبة عن ما يبيع ويشتري (فما عند الله من الآخرة خير وأبقى) أي الذي عند الله من الآخرة خير وأبقى (لمن اتقى) بالإضافة إلى الدنيا وفي قوله تعالى (وما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) دليل على أن الدنيا حقيرة بالإضافة إلى الآخرة وأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا وأن الدنيا فانية والآخرة باقية وأن الباقي خير من الفاني وأفضل منه وأن الآخرة لا تنال إلا بالصبر وأن الصبر خير لأهل العقل ولهذا قال (ولزهد ما فيها) أي في الدنيا (في وصف الآخرة لمن رغبها وشرفها) أي شرف الآخرة (لأنه أكثر البقاء) أي لأن الآخرة أكثر بقاء (فخص به أهل البقاء والأبد بهذه المعرفة وأحب لأنه من عقود الأبد فمثل للذات الآخرة مثالا في عالم الملك فقال (كما يكون الجوهر) والآلي (خير من النبع مثلا وهي أقوى في كل كمال الجوهر في النبع ولا يعسر على مالك النبع بيعه لجواهر إلا أنه يهلك مثل الدنيا والآخرة بدنيا كالنبع الموصوف في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا يتصور له انقراض والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقد ذكرنا وجهها وبنفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوي

عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يعد ذلك زهدا على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يعد ذلك في المحظورات ولا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فقد يزهد عمارة عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه كمن

حد براو أبقى من النبع مثلا ويعسر على مالك النبع بيعه لجواهره إلا أنه يهلك مثل الدنيا والآخرة بدنيا كالنبع الموصوف في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا يتصور له انقراض والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوي

الرغبة في البيع والمعاملة

حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من اتعلم في زهده الا الى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف عمله و يقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بوعد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة وندامة وفي تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف خساسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فيه على أن العلم بخساسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا عند وجود الرغبة عن المحبوب في أحب منه قال الرجل في دعائه اللهم أرنى الدنيا كما ترها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل اللهم أرنى الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك

وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير و العبد يراه حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له
ولا تصور أن يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه فهو كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس
والله تعالى يعني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله و يراه متفاوتا بالاضافة الى غيره و الزاهد

يقوت كما يراها الصالح من عباده وقال العراقي ذكره صاحب القوت مختصرا اللهم أرني الدنيا كما
تريها صالح عبادك ولم يخرجه وانه (وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي) ولذلك لم يقطع لهم بمد
حقها لحقارتها كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في ذم الدنيا (وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله) وكبريائه
وعظمته (حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بائع الفرس
وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن
الفرس والله تعالى يعني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله و يراه متفاوتا
بالاضافة الى غيره) وفي نسخة و يراها متفاوتة بالاضافة الى غيره (والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة
الى نفسه لا الى غيره) وقال صاحب القوت هذا الحديث و ستنبط منه معنى آخر فقال واظهار سر الملكوت
معصية والله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه فصحابي من جملة الشاهدين لدين عنده في طلبه بمعنى من شهادته
كأنه أعطاهم جملة شيء من علمه فاطلع عليهم بما لم يطلع أحدا لهم ما لذلك قال صاحب القوت سر الذي عنده
حقيقة الخبر لرجل الذي قال اللهم أرني الدنيا كما يراها صالح عبادك لا أعلم ثم في الخبر ثم قال فهذا على نحو
ما أمر الآخر به اذ قال له أوصني قال استحي من الله كما تستحي من رجل صالح فهذا الذي تكلمه معروفة اذ
كان حقيقة الحق ممتنعة وكنه صفاته الموجبة للحياء وغيره مختصة بردة الى ما يعلم وسعيه عما يعقل
اه هذا ما يتعلق باحد طرفي الحال وهو التعميم ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذي هو العمل فقال (وأما
العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك وأخذ لا بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو دني) هو
تذكير الدنيا من الدناءة وهي الخساسة (فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه
من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المرهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها
مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من قلب الزاهد ويدخل حب
الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب و يوظف على اليد والعين
وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم
المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا
وفى شرط الخاسرين فى
الاخذ و ترك فليستشر
بيعه الذي بايع به فان
الذي بايعه هذا البيع
وفى بما عهد فمن سلم حاضرا
فى غائب وسلم الحاضر و أخذ
يسعى فى طلب الغائب سلم
اليه الغائب حين فراغه من
سعيه ان كان العاقد ممن
يوثق بصدقه وقدرته ووفائه
بالعهد وما دام ممسكا للدين

هو الذي يرى تفاوته
بالاضافة الى نفسه لا الى
غيره * وأما العمل الصادر
عن حال الزهد فهو ترك
وأخذ لا بيع ومعاملة
واستبدال الذي هو خير
بالذي هو أدنى فكما أن
العمل الصادر من عقد
البيع هو ترك المبيع
واخراجه من اليد وأخذ
العوض فكذلك الزهد
يوجب ترك المزهود فيه
بالكلية وهي الدنيا بأسرها
مع أسبابها ومقدماتها
وعلائقها فيخرج من
القلب حبها ويدخل حب
الطاعات ويخرج من العين
واليد ما أخرجه من القلب
و يوظف على اليد والعين
وسائر الجوارح وظائف
الطاعات والا كان كمن سلم
المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا
وفي شرط الخاسرين في
الاخذ و ترك فليستشر
بيعه الذي بايع به فان
الذي بايعه هذا البيع
وفى بما عهد فمن سلم حاضرا
في غائب وسلم الحاضر و أخذ
يسعى في طلب الغائب سلم
اليه الغائب حين فراغه من
سعيه ان كان العاقد ممن
يوثق بصدقه وقدرته ووفائه
بالعهد وما دام ممسكا للدين

لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى أخوة يوسف
بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين فعزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم وتركه ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه الى عند التسليم والبيع فعلامة ترجمة الاعمال وعلامة الزهد الاخراج

فان أخرجت عن بدنك بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط وانت راهد اطلاقا وان لم يكن لك مال ولم تباشر الدنيا بالم
يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وترك استهوته الشيطان بغرور وتجيل ليك أن الدنيا وان لم تأت

رضي الله عنه (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل) قال العراقي لم أقف له على أصل اهـ قلت سياق هذه العبارة في القوت قال وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه والزهد في نفسه ومعصومهم حب الباقي الأعلى حتى نزلت ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال ذهب فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية وحتى يرد فيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كانوا قالوا لو نعلم ما هو أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم على أحب الأعمال إليه ان تموتوا مالا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فأنت منهم أي من القليل الذي كتب يعمل ذلك اهـ في سياق الحديث سقط ظاهر بينه سياق القوت وذلك قال العراقي لم أقف له على أصل لا أصل لهذه القصة في نزول قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم الآية وسياق صاحب القوت صحيح فروى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله دلنا على أحب الأعمال فنعمل به فأخبر الله نبيه ان أحب الأعمال إليه ان يطاع فلا تعصى وجهاد هؤلاء معصية الذين سألوا الإيمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط قال كان عبد الله بن رواحة مع نفر من أصحابه يذكرون الله تعالى فهشوا للذكر وانشغلوا فقالوا لو نعلم أي العمل هو أحب إلى الله فعملناه فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله مرصوص فلما كان يوم مؤتة وكان ابن رواحة أحد الأمراء بدي في القوم بأهل المجلس الذين وعدهم ربهم ونبيهم لو نعلم الذي هو أحب إلى الله فنعمله فقدم فقاتل حتى قتل وروى عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية عدوها فيهم والله لو نعلم أحب الأعمال لعملناه فدلهم على أحب الأعمال إليه وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا لو كنا نعلم أحب الأعمال إلى الله فنزلت هذه الآية وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال نزلت في عمر الناس ورهطه عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لهم لو نعلم أي عمل أحب إلى الله لعملناه حتى نموت فقال ابن رواحة لأبرحن جميعا حتى أموت فقتل شهيدا وروى ابن المنذر عن زيد بن أسلم نحوه وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل قال قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم على أحب الأعمال فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم يوم ما هو يوم أحد فقالوا على النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله تعالى ولذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (وقال) ابن مسعود رضي الله (ما عرفت أن فيكم من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وأما القوت ما أحسب ان دينا أحدا يريد الدنيا حتى نزلت وقال العراقي رواه البيهقي في الدلائل بسياق حسن (واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء) والجود والمروءة (وعلى سبيل الصدقة والقوت ولا على سبيل الطمع وذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العادات وانما الزهد أن تترك الدنيا العالي بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة وذلك قد يكون مروءة ومروءة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا (حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال وكان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة إلى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استجلاب حظ آخر للنفس

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما عرفت أن فيكم من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والمروءة وعلى سبيل الصدقة والقوت ولا على سبيل الطمع وذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العادات وانما الزهد أن تترك الدنيا العالي بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة وذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال وكان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة إلى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استجلاب حظ آخر للنفس

بالسخاء ويكون ذلك بعفو نفسه ولا يحل هواه فهو موصوف بالصبر والرضا والتقوى ولا أجر له اذ لم يكن من جمال الله فضل أجر لانه عمل لاجل نفسه لا لوجه ربه وحصل في الدنيا شكره وذكره وتعويضه من حيث لا آخرة لان هذه الدنيا لم يكن له في الآخرة ضعف كثيرة وهذا هو الذي أرى في أموال الناس لانه عمل لاجل الناس فعلى نصيبه مما كسب وذهب خلاقه في الآخرة اذ لم يحتسبه لوجه الدنيا وهو لانه عمل لاجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم وبما قيات الصالحات ما يراد به باقي يبقى بقية ثم صالحي أولياء الله وكان ابن مالك يقول ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقا لاني شيء وربما خطرت القراءة بقلبي فأخشى الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أحمد بن أبي الحواري يقول من لم يحسن يتقرى أي من لم يعرف أحكام يتقرى فيقوم به وصبر عليه ورأى حسن الادب فيه حتى سخي وصف فتى لم يحكم وصاف يتقرى ولم يقم بحسن الريبة فيه حتى يوصف بأنه قارئ (بل الزاهد من أتته الدنيا عفوا صفوا وهو قادر على أن يتمتع بها من غير) مانع من (نقصان حظه وفوات اسم) تسمى به (ولا ثواب حظ النفس فتركها خوفا من أن يأتي بها) ويحبها (فيكون آثرا لها على الله ومحبا لها سوى الله ويكون مشركا في حب الله غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك المتمتع بالسراري والقيان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وثمارها وترك التجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم الدنيئة طمعا في قوله الجنة وحوها من أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فترك جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى وأن ما سوى هذا لا يجدي له في الآخرة أصلا) والله الموفق *(تنبيه)* علم أن الزهد على قسمين مراد به وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن الله من الشهود وهو من عقود الايمان بالله تعالى بالحلال وكمال ومن دلائله وهو فرع ما قبله بهذه المعرفة وكلما ازدادت تركا للدنيا ازدادت معرفة والقرب الى الله من الزهد المراد بغيره ما بحث على اطراح الاوقات الواجبات وهو لغير ذي لب لانه من الاخلاص بدي هو شرط في صحة العبادات فلا يقدر على ترك جملة من شروطها وباطنها لا يترك الدنيا الا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لاجل نفسه والمباحات منهي عنها لانها تلهي عما ذكرنا في العالب ومن أهل التمكين من يعطى قوة يدبر بها العالمين ولا يشغله شيء عن الله فهم من وصل الى هذا المقام الشريف بالكسب والاجتهاد وهو المسمى مريدا ومنهم من وصل اليه بنفس نفح الرحمة في كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الامر بغير مدافع ولا مسارع وهو المسمى عند القوم مرادا وكل منهما مراد الا أن هذا مراد بوسائط كثيرة وهذا مراد بغير واسطة وقد أخبر الله عن كلا الحالين فقال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وينبغي أن يجري بينهما اختلاف الحاري في التفاضل بين فاضل المؤمنين وفاضل الملائكة لمناسبة الحذق والترقي هذا اذا تحدث لمعرفتنا فان حقائقنا كانت

(باب فضيلة الزهد)

حاصلة لنا من حسب المعرفة فاعلم وفقنا الله وايك

(قال الله تعالى) ادوصف قارون (فخرج على قومه في زينته) من خيول وبغال وعلمان عليها بزة حسنة من صفر وأحمر وأخضر (الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون) فنسب الزهد الى العلماء) أي جماعة كذلك وخصهم وشرط له الصبر (ووصف أهله بالعلم) اذ هم الذين يتفهمون فيزهدون في الدنيا (وهو غاية الثناء) ونهاية المدح وهذه الآية كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين (وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) صبروا على الزهد في الدنيا) وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم

على الفقر ويشهد للصبر على الدنيا هذه الآيات قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها إلا الصابرون أي عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون وعلمه الزاهدون الصابرون عنها ثم قال في مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد أمران صبره على الفقر وتوجود زهده والتقدير لعدم أحدهما على العسى لوجود فقره وعدم زهده فحق بمقام الخوف الذي أعلى به الخائف حتى فصل بالأخرى على مقام الرجاء إذا الخوف مقتضى العلم بالله بقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ولذلك قال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس يباعدان عن زهرة الدنيا وبورثان الصبر على المشقة بفعل الخشية لله تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا وبورثانه وبسهلان الصبر على فقدها بما يلوح لهما من أن الله تعالى عوضهم فيها وخبأ لهم من الله أن يحاسبهم على استكثارهما (وقال عز وجل إنا جعلنا ما على الأرض) من المعادن والجواهر والنبات (زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم زهد فيها) رواه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري ورواه عن الحسن فقال أيهم أشد تركا للدنيا (فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) معنى نزد له في حرثه أي لا نحاسبه بما نعطيه منها بعد أن لا يريدها وأن لا يكون من همه أن أدخل عليه منها بخروج منه العدم من غير محاسبة فهذا خبر الدنيا لأن الزرع لا يراد فيه درة على ما قسم له أول مرة فجعل ذلك له نجعل الحارث على زهده فيها وحري بحري المكافأة لخروج همه منها (وقال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) فأمره بأن لا يمد عينه إلى زهرة الحياة الدنيا وهو عين زهد وصرح بالآخرة بما وصفه به نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال والله خير وأبقى وهذا غاية الثناء (وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) قد (وصف الكفار بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا) *(وأما الأخبار) فسأوردها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ادخب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على تفصيل بعض الدنيا فإنه من المحبات وهو المعني بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم ما

قال عز وجل إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم زهد فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا *(وأما الأخبار) فسأوردها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ادخب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على تفصيل بعض الدنيا فإنه من المحبات وهو المعني بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم ما

رأيتم العبد وقد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة

وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يارسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يارسول الله وما مخموم القلب قال النقي التقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يارسول الله من على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يارسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يارسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يارسول الله من على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل من على أثره قال رجل في شعب من الشعاب قد كفى شره الناس وفي رواية قد اعتزل شر الناس وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس وعن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلني على عمل اذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبوك رواه ابن ماجه بسند حسن وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا وان أردت أن يحبك الناس فما كان عند الناس من شيء فازهد فيه يحبوك رواه الطبراني في الكبير بسند حسن وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا وان أردت أن يحبك الناس فازهد فيما عند الناس رواه ابن ماجه بسند حسن وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا وان أردت أن يحبك الناس فازهد فيما عند الناس رواه الطبراني

الزهد فيما ذكر مع ما علم وجود مكان لرغبة فيه آخر من بقائه فانظر كيف تفكر في ذلك تفكر أولي الالباب فيما شهدوا من بيان الآيات في الخطاب (ولما قال حارثة) بن مالك الانصاري ويقال له أيضا الحرث (لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك) فانظر كيف أنار الزهد وجهه له على حقيقة الايمان وقربه عن شاهدة الايقان (قال عزفت نفسي عن الدنيا) أي انصرفت يقال عزف عن الشيء عزوفا وعزوفا وعزيفا من باب قتل وضرب انصرف عنه (فاستوى عندي حجرها وذهبها) ثم ذكرت هذه بعد الزهد فكانت عندك كذلك شهادة بعد شهادة كذلك حقيقة الايمان بعد الزهد وهو ايمان الموقنين وهذا تحقيق التصديق ثم قال (وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا) أي ظاهرا (فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان فانظر كيف أشهد حقيقة الايمان عروف النفس عن الدنيا وقربه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان) قال العراقي رواه البزار من حديث أنس وابن عدي من حديث الحرث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف انتهى قلت قال الحافظ الهيثمي في الاصابة في ترجمة حارثة بن مالك الانصاري روى حديثه ابن المبارك في الزهد عن معمر عن صالح بن مسمار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حارثة بن مالك كيف أصبحت فقال أصبحت مؤمنا حقا قال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أسمع عواء أهل النار فقال مؤمن نور الله قلبه وهو معضل وكذا أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن صالح عن مسمار وجعفر بن برقان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحارث وأخرجه في التفسير عن الثوري عن عوف عن قسامة الاشعري عن زيد الصائي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحارث كيف أصبحت يا حارث قال من المؤمنين قال انظر ما تقول فذكر نحوه وزاد في آخره فقال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له فخرج في سرح المدينة فقتل فجاء موصولا من طريق أخرى أخرجها الطبراني من طريق سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي لحم عن أبيه وابن مندة من طريق سعيد بن سعيد عن الربيع بن لوط كلاهما عن الحارث بن مالك الانصاري انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنا من المؤمنين حقا فذكر نحو ما تقدم وفي آخره من سره أن ينظر الى عبد نور الله قلبه فلينظر الى الحارث بن مالك قال ابن مندة رواه يزيد بن أبي حبيبة عن عبد الكريم عن الحارث عن الحارث عن ابن مالك ورواه حجر بن عنبسة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا الحارث بن مالك فذكر نحوه وقد ذكر الحديث ورواه البيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار وهو حديث ضعيف جدا عن أنس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم نفى الحارث يوما فقال كيف أصبحت يا حارث قال أصبحت مؤمنا حقا الحديث نحوه وفي آخره قال يا حارث عرفت فالزم قال البيهقي هذا منكر وقد وضع فيه يوسف فقال فمرة الحارث ومرة حارثة وقال أبو عاصم حشيش بن أصرم في كتاب الاستقامة له حدثنا عبد العزيز بن أبان أنبأنا مالك بن مغول عن فضيل بن عمرو قال قال علي مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرح المدينة فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم قتيلا ثم قتل وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة وورده ابن أبي شيبة عن ابن عيينة عن مالك بن مغول بالمرفوع ولم يذكر فضيل بن عمرو قال ابن منده بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن الاردبيلي عن ابن المبارك لا أعلم صالح بن مسمار سمع الا حديثا واحدا وهذا الحديث لا يثبت موصولا (وما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي) أي التباعد (عن دار الغرور والانابة) أي الرجوع (الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد) في علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لانه هو الحقيق بالاسلام وبهذا

وما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه فانظر كيف بدأ في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان وما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد

شرط الاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون فبين أن ذلك ينافض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال عمر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيره وجبت له الجنة فقام اليه علي كرم الله وجهه فقال بابي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط معها غيرها فسره لنا فقال حب الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الحمارة من جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة

هو ازهد جعله (شرطا للاسلام) أي لتحقيقه (وهو التجافي عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني هو عبد الله بن المسور عن والد جعفر عن أبي طالب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه عبد بن حميد عن الفضيل ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف الشرح قال اذا أراد الله عبدا حبره اقذف في قلبه النور فيحصل ذلك صدره فقال يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكر الموت عن الحسن نحوه وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق وقد تقدم في كتاب بدء الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي منه فقال) ليس كذلك (تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون فبين ان ذلك ينافض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا قال العراقي رواه الطبراني من حديث أم لويد انتهى قلت أم لويد هذه ذكرها الدارقطني في الاخوة وقال روى حديثها الطبراني وفيه نظر انتهى قال الحافظ حديثها انما رواه رسول الله صلى الله عليه وسلم دان عشية فقلت أبيت اس الا تستحيون قالوا منم ذاك يا رسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تعمرون وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن مسنده رواه محمد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (وقد قدم عليه صلى الله عليه وسلم (بعض الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا نا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم قد ذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم) وعدوا نقصهم وعابها على احسنهم قال العراقي رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما باسناد ضعيف من حديث جابر (وقال جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها (غيرها وجبت له الجنة فقام) اليه (علي) بن أبي طالب (كرم الله وجهه فقال بابي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط معها غيرها فسره لنا فقال حب الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الحمارة من جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة) قال صاحب القوت ورويناه عن ابن المكدر عن جابر وقال العراقي لم أره من حديث جابر وقد رواه الحكيم في النوادر من حديث بشر بن أرقم باسناد ضعيف نحوه انتهى ثم قال صاحب القوت وقد كان علي رضي الله عنه جعل الزهد مقاما في الصبر وجعل الصبر عمدة الايمان وفسر بذلك مقام اليقين الذي شرح به شعبه في حديثين رويناهما وأولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحارث الاعور وقبيصة بن جابر الاسدي في مباني الايمان أنه قال الايمان على أربع شعب وفي بعض حديث بعضهم اليقين على أربع دعائم على الصبر واليقين والجهاد والعدل ثم قال فيه والصبر فيه على أربع شعب على الشوق وشفقه والزهدة والترقب فمن استنى الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ترقب الموت سارع في الخيرات فاقام الزهد مقام اليقين اذهو مقتضاه فلما أوجب اليقين الزهد في الدنيا اقتضى الزهد تهوين مصائبها وتيسير شأنها وتسهيل امرها

فصرت تعد كبرها وهي بعد صغير معها فاستدل بهم الزعة في الآخرة فصار يعد بها بقدر هربه من الدنيا وما فيها بقدر عروه عن صدها عند التحقق بلقاء الآخرة وسعيه لها سعيها الذي يركب طريقه وصار ان سبيلها هو حب حقه على الراغبين في الدنيا كحب حق ان السبيل الذي يركب الطريق فتدبر (وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك) قال صاحب القوت رويناه في خبر مقطوع وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرجه ولده في مسنده وقال أيضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل رواه الترمذي وقال غريب والدارقطني في الافراد وابن عدي والبيهقي والخرائطي في مكارم الاخلاق والخطيب في كتاب ذم البخلاء من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن عبد الله ورواه الدارقطني والطبراني في الاوسط والخطيب من حديث عائشة قال الدارقطني له طرق ولا يثبت منها شيء قال السيوطي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم البخل قال صاحب القوت الخبر الاول مفسر للخبر المحمل الثاني بأي معنى كان السخي قريبا من الله لان سخاءه من اليقين والبخيل موقن فصار من المقربين وبأي معنى كان البخيل بعيدا من الله بعيدا من الناس قريبا من النار أي بالشك لانه ضد اليقين فصار به من المبعدين فالسخاء أيضا وصف الزاهد لا يكون الزهد الا به لان الزاهد في الدنيا مجتهد نفسه مهما وطأت عليه الا ستدراج منها والتعويض عنها (واجعل ثمرة الزعة في الدنيا) ووصف الراغب فيها لا يكون الحريص لا بخيلا ولا يكون البخيل زاهدا (و) قد يكون (السخاء) سمة الزهد اذا جعت نفسه عن شيء زهدت فيه كما زهدت في شيء أخرجه الى غيره فصار السخاء (ثمرة الزهد) فمن زهد سخا وعين بجعل زعته (والثناء على الثمرة ثناء على الشجر لا محالة وروى) سعيد بن (المسيب) رحمه الله تعالى (عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام) وأعانه قوى وبصره عيوبها وودوعها فصور الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معاقر الداء فبرئ ولا ترى ذلك فعل نور الحكمة والزهد في الدنيا اذا خرجت منها ورثت الحكمة فاخرجت من ظلمات الهوى الى نور التقوى اذ لا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يعرفه الى هذه وراد في موضع آخر ومن حرص عليها توهمه الله فيها ولم ينل في شيء أو دنيتها بلغه وفي العراقي لم أره من حديث أبي ذر وروى ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسلا ولابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الاشعري من زهد في الدنيا أثبت الله بصره يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أبو بمن أخلص لله الحديث وكلها ضعيفة انتهى قلت حديث أبي موسى الاشعري تقدم الكلام عليه قريبا وحديث أبي أبو بمن أخلص العبادة لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فقد رواه الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبي أيوب ورواه هناد في الزهد وأبو نعيم أيضا عن مكحول مرسلا وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر هموم ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أوديتها هلك (وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حمل وهي) النوق (الحوامل) وهو تفسير للعشار يقال عشرت الناقة مشددا وهي عشراء أتى على حملها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله عطاء وعطاس ولا ثالث لهما وأما الحمل فهي جمع حاملة وهي التي ترك حملها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محملة أيضا وأصله في الشاة (وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسها عندهم) وأنهاها وأكرمها عليهم (لانها تجمع الطهر)

وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال أيضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار وثمرة الزعة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على ثمرة ثناء على الشجر لا محالة وروى عن ابن المسيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حمل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسها عندهم لانها تجمع الطهر

والتحم والتين والوبر ولعلها في قولهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالها لا تعطلها فقد نهاك الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطلع الله فيما عمل قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لأولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا أن يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله وروى عن عمر رضي الله عنه انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها أما ألبى شباب اداوحدت عليك الوفود من الآفاق ومن بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى فقال ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في السنة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته عدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا عدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في السنة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله

الركوب عليها (والنعم) الانعام (والبقر) للسهم وكلهم والولد وهي جمع وهي الرحلة من الابل التي صرب بها المثل في قلة وجودها مع كثرة ما في الدنيا مما تجمع هذه الخمس من الابل الحولة والبقر وكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز في هذه الدنيا مع الزهد والعلم والنعمى والخوف والورع (وتعلمها في قولهم قال الله تعالى) في خطابهم بتعليلها عند تكوير الشمس كورت (واذا العشار عطلت) عن نفيس ما تحضرت بعني يوشك تشهد ما قدمت من مثاقيل الذر من خير وشر (قال فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أعني عن العشار الحوامل (وعرض نصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالها) وكرائمها أعرضت عنها (فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية) وتمامها أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى هكذا أورده صاحب القوت بعد ان قال وقد نهاني الله رسوله أن يوسع نظره الى أشياء الدنيا تحقيرا لها وصغرا لما أظهره من زينة الدنيا وزخرفها فاتنة لهم وأعلمه ان الزهد والقناعة خير وأبقى لهم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية وفي خبر آخر صلى الله عليه وسلم وسنذكره وقال العراقي لم أجد له أصلا في كتب الحديث ورأيت عند ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال واذا العشار عطلت أي سيبت أهملها أربابها ما شغلهم عنها بما هو أنفس منها ولم يكن في الدنيا مال أعجب اليهم منها وروى ابن أبي حاتم عن عروة انه كان اذا دخل على أهل بيت نظر في ديباجهم فان رأى شيئا من ديباجهم طرقا دار جمع الى أهله فدخل الدار ولا تمدن عينيك الى ما قوله نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة رحمكم الله وقال صاحب القوت بعد ان أورد قصة العشار وتعلقها وربما في الأسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر في الحواريين على بحيرة خضرة نضرة تحف بها أشجار فمالوا اليها فعرض لهم فمضوا وهم عطاش فقال لهم أقول لكم لقد نقص من عقولكم بمقدار نظركم الى الدنيا (وروى عن مسروق) بن الأجدع همداني تابعي كوفي (عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطلع الله فيما عمل قالت فبكيت فقال ما يبكيك قلت ما رأيت بك من الجوع فقلت يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لأولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا أن يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله) قال الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرا ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الآن كما رضي ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وخالفه محمد في الاحتجاج به (وروى عن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها) يا أبت (ألبى شباب اداوحدت عليك الوفود من الآفاق ومن بصنعة طعام تطعمه) أي تأكله (وتطعم من حضر) منهم (فقال عمر يا حفصة ألست تعلمين ان أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في السنة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته عدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا عدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في السنة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فرفعت وفيه طعامنا على مائدة فيها ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغيروا به ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فنثبت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال مسعتموني فنام الليلة

معهم عشوها لرحى هكذا رواه أحمد فى زهده عنه وروه أبو نعيم فى الحلية من طريق عمرو بن معمر عن ابن هدوس عن عكرمة بن خالد بن حصينة بن مطيع وابن عمر كلموا عمر فقالوا لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا لرأى قالوا نعم قال قد علمت انه ليس منكم الا ناصح ولكن تركت صاحبى على جدة فان تركت جادتهما لم أدر كهما فى الرمل قال وأصاب الناس سنة فما أكل عامتهم حمارا ولا حميرا (وعن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء صلى يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباءة أو لأن كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم (وعن بن عباس) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت حضرة البقل ترى فى بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف بحق الله بالله وبطاريق الفوز فى الآخرة وفى حديث عمر رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقام رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ذا تأمرنا أن نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته وفى حديث حذيفة رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم وعن بن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى فى بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف بحق الله بالله وبطاريق الفوز فى الآخرة وفى حديث عمر رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقام رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ذا تأمرنا أن نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته وفى حديث حذيفة رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

لا ندرك الآخرة لا نتركها لها ونعمرها ولا نعمرها ولا نعمرها وأخرجه ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى عليه السلام يقول أعمروا للدنيا ولا تعمروها وهو الذي يقوت بعضا الذي يقطره يعمر عليه الى الآخرة وما بقي سواء (وقيل له يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتا عند الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا وكيف يستقيم البناء على الماء قال وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا) قال صاحب القوت ورويناه عن عيسى آخرا قالوا ثم يريد أن يبني بيتا يجتمع فيه بعبده وتدرس فيه أحاديثه وصفاته فيه فقال تعالوا نمشي معه ونقف على قطرة فقال اسوا هذا فقالوا بنى على قطرة وهي مدرجة للناس لا يدعوه فيها فقال كذلك الدنيا مدرجة لموتى وأنتم تموتون عليها ولا يدعوكم فيها انتهى وروى أحمد في الزهد عن سفيان الثوري قال لعيسى عليه السلام الآتي بنى قال أي بنى على طريق السيل (وقال عبد صلى الله عليه وسلم يا رب عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه وأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وندبت الاخلاق وفي القوت والمقصود اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن اختيار الله ما اختاره من أن يجري له الاودية مالا ويجعل له ذهبا وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيأ فاختار بحسن توفيق الله وعصمته له الاحب الى الله والاختير عند الله ادخره من له ان أعطاه لا ينقصه فريق الاحب الله وكانت آثره عنده من قربه ينقصه فقال لا حاجة لي بذلك بل أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا جعت وأتضرع اليك اذا جعت (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما مشى لآل محمد كف سويق ولا سفوف فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة مترددا وياقوتا ودهنا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل أن تواضع لله فقال بل نبيا عبدا ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره عيوب نفسه وقال صلى الله

وفيصل له يا نبي الله وأمرتك أن نبني بيتا بعيد الله فيه قال اذهبوا فابنوا على الماء قالوا وكيف يستقيم البناء على الماء قال وكيف يستقيم بناء على حب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا أثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيب الدنيا ودواءها وأخرجها منها وأثبتها في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم ما أخذ عبد من الدنيا شيأ الا نقص من درجته عند الله وان كان عليه كريما وقال صلى الله عليه وسلم ما زهد عبد في الدنيا الا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيب الدنيا ودواءها وأخرجه منها وأثبته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا أث

صلى الله عليه وسلم صدقه (وقال صلى الله عليه وسلم من سارع الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات) قال العراقى رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث على انتهى قلت وكذلك البيهقى وتمام وابن عساكر وابن النجار مرفوعا من حديثه وأما صاحب الحلية فرواه من طريق خلاس بن عمرو عنه مرفوعا بلفظ وللصابر أربع شعب الشوق وشفعه والزهادة والترغيب فى الجنة والجنة سلاعن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات قال ورواه كذلك الاصبغ بن نباتة عن على مرفوعا ورواه الحارث عن على موقوفا مختصرا ورواه فضيلة بن صارع على من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن على من قوله (ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما وعلى سائر الانبياء وسلم أربع لايدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا والحاكم من حديث أنس وقد تقدم انتهى قلت ذكر فى كتاب الصمت ورواه البيهقى أيضا وصححه الحاكم وتعقب ورواه ابن عساكر عن أنس مرفوعا ولا يروى لا بصحيح الا بهذا وذكر بدل وكثرة الذكر وقليل عيسى عليه السلام فروه ابن أبى الدنيا فى الصمت (وأراد جميع الاخبار الواردة فى مدح بعض الدنيا وذم بعضها لايمكن فان الانبياء ما نطقوا الا بصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله المستعان (وأما الآثار) فقد جاء فى الأثر لاتزال لا اله الا الله تدفع عن العباد بخط الله عز وجل مالم يبالوا ما انتقص من دنياهم وفى أفشا الخبر مالم يؤثروا صفقة بعضهم على بعض فعدوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى أمر الآخرة أبلغ من زهد فى الدنيا وقال بعض الصحابة لصدور من التابعين أنتم أكثر عملا وأشد اجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد فى الدنيا منكم وقال بعض رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد وقال لال بن سعد

ابن تميم الاشعرى أو الكندى أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقى ثقة عبد وصل مات فى خلافة هشام روى له البخارى فى كتاب الادب وأبو داود فى كتاب القدر والنسائى (كفى به دسان الله تعالى يرهد فى الدنيا ويحض ويرغب فيها) نقله صاحب القوت عن بعض السلف قال والآخر يقول كفى من الذنوب التى لا تغفر جهلا بتوبة الله على عباده ولا علما بها (وقال رجل لسفيان) الثورى (انتهى ان أرى عالما زاهدا فى الدنيا (فقال وبحك تلك صالة لا توجد) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (للجنة ثمانية أبواب فما صار أهل الجنة بها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل زاهد من فى الدنيا وقال يوسف بن أسباط) الشيبانى رحمه الله تعالى (انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عيالى لحم فاعلى ذلك كله) ترجم له أبو نعيم فى الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشى (وروى ان بعض الخلفاء) من بنى العباس (أرسل فى بعض عماله) نقلوها وأرسل الى الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (بعشرة آلاف درهم فقبلها فقال له سويد) بن غفلة (قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه) فكيف الفضيل وقال تمرون ما شئتم ومثلكم كمثل قوم كانت بهم قرية تحرث عليها فلما هرمت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا بالهلى جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان المسيح بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب وروى أيضا أدركه المساء نائم وقالت امرأة أبى حازم لابى حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الى الجنة أو النار وقيل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى وقد رؤى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

أن أرى عالما زاهدا فقال وبحك تلك صالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية أبواب فما صار أهل الجنة بها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل زاهد من فى الدنيا وقال يوسف بن أسباط رحمه الله انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عيالى لحم فاعلى ذلك كله وروى ان بعض الخلفاء أرسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له سويد قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فكيف الفضيل وقال تمرون ما شئتم ومثلكم كمثل قوم كانت بهم قرية تحرث عليها فلما هرمت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا بالهلى جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان المسيح بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب وروى أيضا أدركه المساء نائم وقالت امرأة أبى حازم لابى حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الى الجنة أو النار وقيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى وقد رؤى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

كفى به دسان الله تعالى يرهد فى الدنيا ويحض ويرغب فيها وقال لو حمل لسفيان شهى أن أرى عالما زاهدا فقال وبحك تلك صالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية أبواب فما صار أهل الجنة بها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل زاهد من فى الدنيا وقال يوسف بن أسباط رحمه الله انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عيالى لحم فاعلى ذلك كله وروى ان بعض الخلفاء أرسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له سويد قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فكيف الفضيل وقال تمرون ما شئتم ومثلكم كمثل قوم كانت بهم قرية تحرث عليها فلما هرمت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا بالهلى جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان المسيح بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب وروى أيضا أدركه المساء نائم وقالت امرأة أبى حازم لابى حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الى الجنة أو النار وقيل للحسن لم لا تغسل

ثبات قال لامر أعجل من ذلك) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (قد بحثت فوجدت ثلاثة أعطية فلن يكشف العبد اليقين حتى ترتفع هذه الحجب) الاول (الفرح بالموجود و) الثانى (الحزن على المفقود و) الثالث (السرور بالممدوح فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص) والحريص محروم (واذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فأنت معجب والمعجب يحبط العمل) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد العثمانى حدثنا العباس بن أحمد الرملى عن بعض أشياخه قال قال ابراهيم بن أدهم على القلب ثلاثة أعطية الفرح والحزن والسرور فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم وما عداه الى آخره كما سيأتى صاحب القوت ثم قال ودليل ذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ثم قال صاحب القوت وهذان الوصفان هما أم حالا من الزهد من أعمى أحدهما تبعه الآخر لان الذى لا يأسى على ما فاته من الدنيا هو الذى لا يفرح بما أتاه منها لانه ما له والذى لا يفرح بما أتاه منها هو الذى لا يحزن على ما فاته منها اذ هو نحوه والاسى على المفقود نعت الفرح بالموجود وهذان الوصفان هما ثمرة ايقين بما ذكره من ستر الغيب فى الكتاب المبين ومشاهدة التوفية لا صيب لا محالة مع الزهد لقوله تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ثم أحكمه وفرع عليه لقوله تعالى وما توهم نصيبهم غير منقوص كذلك كان أول الخبر عن زهد لا بى على وترك الوجد بالمدح على ما لا يفوت وأول الكلام قوله ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها نخلق النفس ولا نبرئها معانى عقيدة القوت لكيلا تأسوا على الفوت ولا تفرحوا بالحسن الاتى كتاب من عم

وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحبت طوائفا كانوا يهربون من الدنيا أشد ولا يأسون على شيء منها أشد وهي كانت في أيديهم أهون من تراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطوله ثوبا ولم يضع لبنة على لبنة ولم يحفر بئرا ولم يغرس شجرا ولا أصلح من شأنه صنعة طعام قط وإذا كان الليل وقاموا على أقدامهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك وإنه لمن أهون الدنيا ولا يحول الله عز وجل رحمته عليهم وصلواته * (باب درجات الزهد وقسمه) *

وذكر (بالاسناد قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام) وهو الباقر (يقول الزهد في قسمة بين دفتي المصحف تلوته) وهي درجة واحدة (الزهد في قسمة ثلاثة) وهي درجات (أدناها أن يزهد في الدنيا وهو يشتهيها بنفسه فيقهرها بصبره ويكفها بعقله) ويجتنبها لاستيلاء حب ذكرها مع قصر الأمل (وهذا اسمه الزهد) وهو الذي تصنع به وتعمل في أمثاله من الصقل وزنة الحلي في كل شيء فإنه مثل ناظر من بصر الذي تحمل على نفسه بالصبر وتقهرها على إلزامها الزهد ويكون له مقام في الزهد يستوحش منه ويثقل على بعض البصريين من أهل المعرفة بالله من ذكره بنفسه على جواز المحبوب من ماله وحسن عبادته وحتى يدله على تركه من الناس بعد أن يعلم من صحبته له عند بذله إياه هو من عمر كره ولا وحدته في الوقت الذي هو فيه وبكراهة النفس وذكرها له (والزهد) في الزهد (أن لا يزهد) أي الزهد (بنفسه) أن يجاهدها على الزهد (ثم يكسبه) ما خرج المحبوب من يده في سبيل المطلوب (ثم يدبر نفسه في الطاعة) ويروضها لله (لا في الصبر على ما وصفنا) وهذا من قول أبي حامد الأصم الزهد يذهب بنفسه فمن نفسه والزهد يذهب بنفسه فمن كسبه فقد فسد (والزهد على خطر) لأنه من على حاله (لأنه ربما تعلقه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والاستراحة فيها قليل وكثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعا) أي اختيارا وحبها مع قدرة (لاستخفافه إياها بالإضافة إلى ما هو فيه كالذي يترك درهما لأجل) تحصيل (درهمين به لا شق عليه لذلك وإن كان يحتاج إلى الدرهم فليل ولكن هذا الزاهد يرى لنفسه فضلا بزهده ويلتفت إليه) لأنه ترك شيئا (كما يرى البائع البيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن أنه ترك شيئا قدره ما هو أعظم

فيه كالذي يترك درهما لأجل درهمين فإنه لا شق عليه بذلك وإن كان يحتاج إلى الدرهم فقليل وإن كان هذا الزاهد يرى لنفسه فضلا بزهده ويلتفت إليه كما يرى البائع البيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن أنه ترك شيئا قدره ما هو أعظم

قدر اسمه وهذا أيضا نقصان * الدرجة الثالثة وهي العليا أن يزهد طوعا يزهد في زهده ولا يرى زهده ولا يرى أنه ترك شيأ أو عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خرقة وأخذ جوهرة (٣٢٨) ولا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيء والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خرقة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما أن تارك الخرقة بالجوهرة آمن من طلب الاولة في البيع قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لابي موسى عمران رحمه الله في أي شيء تتكلم قال في الزهد قال في أي شيء قال في الدنيا قال فنفض يده وقال صدقت انه لا يتكلم في شيء لا شيء ليس يزهد فيه وهذا مثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى اليه لقمة من خبز فشغله بها ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى عد أمره في جميع مملكته أفضل من أمر الملك لكلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة أخس من أن كانت قد شغلتها في حال المنع وتقضي على القرب بالاشتغال ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى المعي والقدر ثم تحتاج بعد ذلك الى جرح دبرك فتخرج كيف يدخل نعيم الآخرة على من تركها كيف يدخل نعيم الدنيا على من ملكها أعني ما يلزم منها لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا ولا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا بمتناهيها على القرب ولو كانت تنقضي في ألف سنة متصلة عن كل كدر لكان لا نسبة لها الى نعيم الابد في كيف ومدة العمر قصيرة ولذات

قدر اسمه وهذا أيضا نقصان * الدرجة الثالثة وهي العليا أن يزهد طوعا يزهد في زهده ولا يرى زهده ولا يرى أنه ترك شيأ أو عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خرقة وأخذ جوهرة (٣٢٨) ولا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيء والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خرقة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما أن تارك الخرقة بالجوهرة آمن من طلب الاولة في البيع قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لابي موسى عمران رحمه الله في أي شيء تتكلم قال في الزهد قال في أي شيء قال في الدنيا قال فنفض يده وقال صدقت انه لا يتكلم في شيء لا شيء ليس يزهد فيه وهذا مثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى اليه لقمة من خبز فشغله بها ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى عد أمره في جميع مملكته أفضل من أمر الملك لكلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة أخس من أن كانت قد شغلتها في حال المنع وتقضي على القرب بالاشتغال ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى المعي والقدر ثم تحتاج بعد ذلك الى جرح دبرك فتخرج كيف يدخل نعيم الآخرة على من تركها كيف يدخل نعيم الدنيا على من ملكها أعني ما يلزم منها لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا ولا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا بمتناهيها على القرب ولو كانت تنقضي في ألف سنة متصلة عن كل كدر لكان لا نسبة لها الى نعيم الابد في كيف ومدة العمر قصيرة ولذات

الدنيا مكدرة غير صافية فهي تسمها الى نعيم الابد فهذا لا يلتفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيأ معتدا به ولا يراه شيأ معتدا به الا لقصور معرفته فبحسب قصور زهد قصرت معرفته

درجات الزهد وكل درجة من هذه الدرجات تنقسم الى درجات أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المحب لربه بقدر اختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المحب لربه بقدر اختلاف قدر اشتغاله الى زهده * وأما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة الاولى أن يكون المرغوب عنه بحقارة الدار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو ورد ما منعه العبد عطاشا على عرفة لصدر وارد فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم الحور رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم * الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والدار الموعود فيها من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له * الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة الا الى الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الا لام

يقصد الخلاص منها ولا الى الدار ليقصد نيلها وانما طمعه بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصح وهمومهم هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هناد في الزهد من حديث حذيفة من أصح وأكثر همه غير الله طلب من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي) وهذا زهد المحبين وصاحب هذا المقام قد سماه الحب وشغله الشوق فهو داخل في الخلق منفصل عنهم غير

وهم العارفون الله لا يحب الله تعالى حقيقة الا من عرفه وكل من عرف الدينار وقدره عرفه لا قدرة على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار وكذلك من عرف الله وعرف حقيقته بقدر ما يحب من تلك اللذة لا تعرى الحور العين وتقدر في نفس المحصور وحصرة الاشجار عن ممكن فلا يحب لا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا يمكن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يلتذون للذة الحور والقصور متمتعون في بعض تلك اللذات، صفحة (٣٤٠) إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة من يستلذ الاستلقاء على ظهر الأرض ورفاهية الحق بالإضافة

مصيبة عرفه الله من حقوقهم على الناس أن يستمع في هذا وجه من جهة عصمة وتأويله بعد ذلك ليعلم حمله (وهم العارفون) يشكك من يدعي الجنون مع الحق بالاجسام الخارجون بالعقول واحدهم منقطع إلى ربه بهمه ناظر إلى مولاه مقبرة الله مولاه فتوحيده لوصفه من حيث تحمله واحده بوجهه وتخلق له بحقيقة لما سبق من نوره فيحبه به على حقيقة فهو مشتري باطني سوى رباني يعبر عنه بالعديل صاحبه حكيمة وباطنه قدرة فهو مقام راسخ على حب الزهد وهي صفات فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بمعرفة قدر هذه الدنيا وهي زهرة حب الله تعالى إليه عن غيره فالزهد في الدنيا أصل معرفته بقدر الله به (لا يحب الله عصمة الا من عرفه) اذ لمحة نورة المعرفة (وكل من عرف الدينار والدرهم وعلم به لابد وعلى احد هذين الوجهين لا محالة لا الدينار) بعينه (فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن اتساع من تلك اللذة في الجنة بقدر تفاوت الحور العين وبقدر في نفس القصور وحصرة الأشجار) وحرمان لا مانع منها (غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر) إلى وجهه الكريم (ولا يؤثر غيره) عليه (ولا يمكن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يلتذون للذة الحور والقصور متمتعون في بعض تلك اللذات) فلا يعلم أحد على أعرف لا يرى ورفاهية الحق بالإضافة إلى الاستلقاء على ظهر الحور) وانما قصدنا (بهذا التقسيم) أي الذي ذكرناه (أن أهل المعرفة وأرباب القلوب كالمحبين للعين المحصور) في البيت (الذي لا يرى غيره وذلك قصوره عن ادراك لذة النظر) إلى وجه الله الكريم (لا لان اللعب بالعصفور في نفسه أعلى والذي الاستيلاء على العصف

أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده تعالى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فهوى لفظ يجمع جميع خطوط النفس في الدنيا فينبغي أن يكون زهد فيه وقد تفهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذا لا يخالف البعض وانما يطارقه في الشرح مرة والاجمال أخرى فالحاصل أن زهد عبارة عن الرغبة عن خطوط النفس كلها ومهما رغب عن خطوط النفس رغب عن الدنيا وقصر أمله لان الحياة الا لمن يريد البقاء ليتمتع ويريد بالتمتع الدوام وارادة البقاء فيمن أراد شيأ أو رد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحياة وقد رغب عنها من لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى من متاع الدنيا قليل

(لزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم ذكر ذلك متاع الحياة الدنيا) فوصف حب هذه الاوصاف السبعة بالتزيين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار اليها بقوله ذلك فان اشارة ذا الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المسوق والملازم من ذلك وذا الكاف للمكنى والتوكيد فحاصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا وما عدا ها ان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من هذه السبعة يرد الى أصل من أصول هذه السبعة فالى أن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا فهذا هو الحب ومن أحب شيأ سلا سواه وفرغ من أصله فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا ببعض الكلام ان الشهوات هي وفهمنا من دليله أن خصائص التي وقع ذكر ورات بيست هذه فاذا لم يكن الجنة تدل على الشهوات تسمى شهوات (ثم رده) أي مجموع هذه الاوصاف السبعة (في آية أخرى الى خمسة) معاني (فقال تعالى في الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة (ثم رده) أي مجموع ما ذكره (في موضع آخر) من كلامه العزيز (الى) معنيين (اثنين) هما جامعان للسبعة (فقال) تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد) الكل (الى) وصف (واحد في موضع آخر) من كلامه العزيز وعبر عنه بمعنيين تصريفا للعبارة وتنويعا للكلام حتى لا يكون على واحد منهما هو الدال فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه المذكوران هما اللهو واللعب هو الهوى وهو السبعة فيه (فقال) تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فصار الدليل على طاعة النفس للهوى دليلا على دخول السبعة فاعلم ان كل ما تهوى النفس فهو داخل تحت قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (فالهوى يجمع جميع خطوط النفس في الدنيا) فكانت الجنة ضد الجميع فكان الهوى هو الدنيا فان النهي عن ضد الشيء أمر به فالنهي عن الهوى أمر بالزهد في الدنيا وقد كانت الجنة التي هي ضد الجميع التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بإرادته دخلت الدنيا بجملتها تحت الهوى وإرادته في كل شيء (فينبغي أن يكون زهدك) أي يكون زهد عبارة عن ترك الهوى من كل شيء (وقد تفهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذا لا يخالف البعض وانما يطارقه في الشرح مرة والاجمال أخرى) وأما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فهو قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى وقد أشار به الى الوصف (فالحاصل أن زهد عبارة عن رغبة عن خطوط النفس كلها ومهما رغب عن خطوط النفس رغب عن الدنيا فقصر أمله لان الحياة الا لمن يريد البقاء ليتمتع ويريد بالتمتع الدوام وارادة البقاء فيمن أراد شيأ أو رد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحياة وقد رغب عنها من لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل) أي ستتم تريدون البقاء لا تتمتع بالدنيا فتصير عند ذلك لا زاهدون وتكشف لك الغطاء فتصير من المجاهدين فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين

وكانوا اذا دعوا الى القتال يستشهدون وانحسة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو على رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت البعير فلا نامت أعين الجبناء

آثار الحرمان هكذا كان حال الصادقين في الايمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين وأما المقصرون المغرورون الحريصون على الموت فقليل لهم ان الموت الذي تفرون منه هو ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

وما كانوا مهتدين وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع لا يدانيه استشروا ببيعهم التي بايعوا به فهذا بيان المرهون فيه

الدنيا فصار أقصر الناس أملا للبقاء أزهدهم في الدنيا وأقل الناس في الدنيا أمنية هم أملا (واذا فهمت هذا علمت أن ماذكره المتكلمون) من الصوفية (في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أفراده ذكر كل واحد منهم ما رآه نافعا لنفسه) اذ كان مقامه فيه أرفع وحاله (أو على من كان يخاطبه) فحمله على قدر حاله أو مقامه (فقال بشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس) وفي ملاقاتهم اذ المرغبة هي فيهم وفيما عندهم فقله صاحب القوت وقال في موضع آخر وكان بشر يقول الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس لانه كان يقول حب لقاء الناس هو من الدنيا لانه يحب ما عندهم بمودة بينه وبينهم فذلك صار الزهد عندهم وذلك قال بعض الحكماء طلب الزهد في الناس هو أعز من الزهد نفسه وهذا هو وصل الزهد العام مشمول بقوله (الزهد اشارة الى الزهد في الخاصة) ومثاله قول السري ما رأيت كلمة أريد بها الزهد في الناس فعلم ولم أطقه رواه القشيري عن أبي عبد الله الجوزي سمعت أبا الطيب السامري يقول سمعت الجنيد رحمه الله سمعت السري يقول فذكره (وقال قاسم) بن محمد (الجوعي) الدمشقي سكن في قرية الجوع ودفن بها كان يحفر القبور أو قد سبق ذكره (الزهد في الدنيا هو الزهد في خوف فقد ما في أيدي الناس كذلك قال الزهد) فكان الدنيا عنده هو الشبع وكل شهوات النفس من غير حاجة عن فضول الأكل ونحوه له صاحب القوت (وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة) وهي شهوة البطن (والعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي أهجمه الاكثر الشهوات وقال الفضل) بن عياض رحمه الله تعالى (الزهد هو القناعة) وكانت الدنيا عنده هي الحرص والشره والضراعة وفي اتباعه هي الزهد (وهذا اشارة الى المال خاصة وقال) سفيان الثوري رحمه الله تعالى (الزهد هو قصر الامل) وانما الموت قصرت الدنيا عنده حتى لا أمل له فيها كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أحمد بن يحيى الاودي حدثنا عمران بن موسى الاصبهاني حدثنا الدورقي حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء انتهى وهو (جمع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها) وقد روى مثل قول سفيان عن أحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهما قال القشيري هذا الذي هو يحمل عليه من أمر الزهد والانسان ساعة موته وما بعدها أوجه له (وقال أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى وهو يوصي أخاه في قول الرجل سأله عن الزهد (اذا جئت تطلب) أي الزهد (فلا تطلب) أي الزهد (وهذا الزهد) أي لا يكمل مقام الزهد الا بالتوكل على الله تعالى (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضا الزهد هو ترك الطلب للمعيشة) أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وقسمه عليهم (وهو اشارة الى الرزق) وهو معنى ما تقدم قال عزم من جياد غيثه على شاطئ الغرب حتى كسر أوجه ما التقطهما الاسود وكان دلالته أكمه ويسمه قال سئل عن الزهد أي شئ هو فقال في أي شئ خرجت قلت أطلب المعيش قال فدع الطلب فذلك الزهد (وقال) بعض العلماء (أفضل الحديث في الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد الممدوح هو اتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت وهذا القول من الفوائد يشبه قول علماء الظاهر كلهم وبه عن سفيان قال قال الزهري ما زهد قال ما يطلب الحرام صبره ولا يضيع

واذا فهمت هذا علمت أن هذا ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أفراده كل واحد منهم ما رآه نافعا لنفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الخاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الخوف فقد ما في أيدي الناس كذلك قال الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة والعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي أهجمه الاكثر الشهوات وقال الفضل الزهد هو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما تقدم هذا أحد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال أويس أيضا الزهد هو ترك الطلب للمعيشة وهو اشارة الى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد هو اتباع العلم ولزوم السنة

الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن شكره اه (وهذا ان أريد به رأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الحاجة في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض أسباب الجاه خصة أو في بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة) بل يكون وبالا عليها وسببا لهلاكه (وقد طوّل) أي تلك العلوم (حتى تقاصر عمر الانسان في الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده) والا لم يخلص له الزهد وقال صاحب القوت ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي لا علوم لها تؤدي الى الدنيا وتدعو الى الجاه وعمله عند أهلها وفيما لا منفعة فيه في الآخرة ولا ثمرة له عند الله وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدي الله تعالى ويقسي القلب ويحجب عن الذكر في الآناء وساعاته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما مضى فجعلها العالمون علوما وجعلها الطالبون سعيا فضوا بها عن الله وعلوم عن مشاهدة علم حقيقة لا يستطاع ذكره كثيرة أهلها الا أن يقال عن شيء أعلم هو أم كلام وشك وتشاغل وصدق وحكمة أو زخرف وغرور وأسمه هو مسمّاة عن الحق لم تحدث وتدق فيه تحير صوره ذلك (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (زاهد الدنيا راغب في أحد الزهدين) قال صاحب القوت (فذهب أن زهد هو التواضع) وقال يوسف بن أسباط عليه الوضع أن تخرج من مثل هذا ترى أحدا الا رأيت الله خيرا منك رواه أبو نعيم في الحلية (وهذا اشارة الى الجاه والحسب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد) انما هو (طلب الحلال) وانه واجب معترض في مثل ما هذه الاحتياط الاشباه وعصمة الشهوات وهو قول عامة في أهل الشام وطريقة عبادهم مثل ابراهيم بن أدهم وصاحبه الحواص ويوسف بن أسباط وحديقة المرعشي وأبي اسحق الفزاري وشعيب بن حرب وهيثم بن بشير وفضيل بن عياض وهم عشر فمعروف بأكل الحلال فانه اقتدى بهم وحسب اعتقاده بهم واسئل عنه القلة ما تقدم وقد تورع (وأبى هذا من قول الزهد هو ترك الطلب وقال) رحمه الله تعالى وذكر ورعا (ولا سيما وأنه) أي أو بما (أراد به) ترك (طلب الحلال) ولكل من القولين وجه (وقد كان يوسف بن أسباط) الذي رحمه الله تعالى (يقول من صبر على الأدى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد وفي الزهد أقاويل) كثيرة (وراء ما نقلناه فلم نرق نقلها فائدة) مع ان فيها عند التأمل ترجيح لبعض ما ذكرناه لقول بعضهم الزهد أن لا تفرح بموجود من الدنيا ولا تأسف على مفقود منها لقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال أبو علي الزاهد أن تترك الدنيا كلها من أخذها وقال أبو علي الدقاق الزهد أن تترك الدنيا كلها لا تقول أني تركتها ولا تحمد عليه وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال تصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال الجنيد الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد وقال احمد الزاهد هو الذي ترك الدنيا مع حبه اياها وقال شقيق البلخي ويوسف بن أسباط وقال القشيري وهذا أخص فمارت الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد الا بقوة منه وقال عبد الله بن يزيد الزهد ترك الدينار والدرهم وقال رويم الزهد في الزهد قال هو استصغار الدنيا وتحويرها من القلب وروي عنه أيضا الزهد خلو اليد من الدنيا وخلو القلب من الاتباع وقال الشبلي الزهد أن تزهد فيما سوى الله تعالى وقال ابن الجلاء الزهد هو الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس وقال الحسن البصري الزهد الدنيا أن تبغض فيها وتبغض ما فيها وقال بعضهم الزهد في الدنيا هو ترك ما فيها على من فيها هذه ثلاثة عشر قولا قلها القشيري في رسالته وفي القوت وقال ثمرة الزهد هو بعض المحمدة وأن لا تحب أن تحمد على شيء من أعمالك وقال آخرون الزهد في الدنيا هي الاكل واللباس والزهد هو ترك فضول هذه الاشياء وقال آخرون حقيقة الزهد هو حب

وهذا ان أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض أسباب الجاه خصة أو في بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوها حتى تقاصر عمر الانسان في الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده

شرف

الشرف والعلو وطلب الرئاسة فينبغي أن يكون زهد هؤلاء هو ضد حول والله وطلب الخضوع والضعة وقال آخرون الزهد هو الورع المضبوط بالعلم في كل شيء وكان سفيان يقول الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شيء وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الإخلاص فدخل فيه التوكل وجعله أوله لأنه لا يرهد حتى يثق بالله في الرزق ويتوكل عليه ويجعل الصبر حلاسه أراد لثبات الذليل ويخرج فيجمع إلى الزهد جعل تمامه الإخلاص وهذا الإخلاص الصادق أن تريد بذلك وجه الله وحده والتعاضم عما سواه لا طمعا في عوض ولا لطلب سبب هو دون الله تعالى وكذلك جعل أحمد بن حنبل الإخلاص هو الزهد لتعسره به لأنه ادخل حقيقة الإخلاص لله وحده فقد زهد في سوى الله تعالى فهذا تقرير ما ذكره ثم أحمد بن حنبل فسر الزهد بالإخلاص جعله تمامه وهو تمام وأحمد عسر على الإخلاص بالزهد لأنه حقيقة وما أكثر من سمعناه يسئل عن الزهد ما هو فقال هو أن تفرح إذا كان لك وتحزن إذا كان عليك فإن كان لك شيء فلم تفرح به وإن كان عليك فلم تحزن به إلا أن تكون فرحته أن لم تكن لله فيه رضا وإن حزنته أن لم تكن لله فيه رضا والا فالسكوت أفضل فإن تكلم فإن كان كلامه لله فهو الزهد وإلا فالسكوت هو الزهد ولا تتعبوا أنفسكم بالمحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المرء على الموت فعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء فجعل الزهد هو اتباع مرضاته في الأشياء وقال بعضهم الزهد الأثرة لله عز وجل وإيثاره على كل شيء من الدنيا ومنعهم الخوف والحياء فمؤدى إلى كل ذي حق حقه وكان بن عيينة يقول حد الزهد أن يكون ساكر عند رضاه صابرا عند البلاء فهذا قد صيرا شاكرا على نعمه وصابرا على البلاء وجعل الزهد والورع له الزهد جامع الشكر والصبر والزهد عموم المؤمن وقيل صحة معاملة حتى يكون الرجل زاهدا فقال إذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال بعضهم الزهد تخلي من الدنيا والاشتغال بالعبادة وما من تركها وتبدلي فإنما طلب الراحة لنفسه وقال سهل أول الزهد التوكل وآخره الصبر والقدرة وقال أصل الزهد العبد زهد الخفية أن يرجع بعده لا بعد مشاهدة قدره وقال بعضهم الزهد هو الحياء الزهد وقال سهل لا يبلغ الزهد إلا الخوف لأن من عرف ترك نعيم الزهد مقامان الخوف والحزن فالخوف يحزن أن يكون على شيء يسخط الله تعالى أو يفوته شيء مما يرضاه والحزن يحزن على ما فاته من ذلك فهذا مقام التوكل وقال قوم الزهد هو ترك الاختيار وكان الدينوري يقول الزهد ترك ما يشغل القلب وأهمه به ما يشغل القلب وأهمه به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الأحكام وهذا هو التفويض والرضا وقال الداراني التورع أول الزهد وقال أبو هاشم المعروفي الزهد قطع الآمال وإعطاء المعهود وجمع الرحمة وقال ابن السماك الزهد أن لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته لا يبالي على عسر أصبح أم يسر وقال طاهر المقدسي الزهد أن لا تملك ولا تملك وقال عامر الزهد في الدنيا هو قلة الهم والغم بالحكام الشرع وأخذ شيء من وجهه ووضعه في حقه ومصالح العباد فهو جميل كله وهو ذكر وفرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا عرائسه وباطنه دلائل معانيهم من علم وتصديقهم من اسمه وهو مقامهم من المقال وصريحهم المشوب بالاعتلال وقال الجنيد الزهد معنى باطن وظاهر عرض فما في الأيدي من الأملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال رغبة عن القلب وجود المعروف والانصراف عن ذكر ذلك فهذه الأقوال مع ما ذكره المصنف تنيف على أربعين قولا فالمصنف في قلها ثمانية (فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة ولا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا يتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر في قصوره عن درجته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلاجرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلاجرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال تختلف فلاجرم

(فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة ولا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا يتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر في قصوره عن درجته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلاجرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلاجرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال تختلف فلاجرم

لا قول المحبرة عنه تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن تختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني اذ قال جمعت في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلنا عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما الزهد في الدنيا التفرغ قلوبهم من همومها والآخرة فهذا يبين اقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المزهود فيه وما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في أكناف الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى

لا قول المحبرة عنه تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور (أن يختلف) على جميع من مذهب الاصوليين (وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن) فيه تفصيل ما قاله (فاما أهل الشام الامام (أبو سليمان) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الداراني) رحمه الله تعالى (فقال سمعت في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلنا عن الله عز وجل) ولفظ القشيري قال الداراني الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى وقد فصل وكان الداراني أبو سليمان يقول الزهد ترك كل ما يشغل عن الله وكان زهده دوام التفرغ لله في مجلس الاقبال عليه هـ وقال صاحب الرسالة أراد بترك ما يشغل عن الله ذي قسمه ولا فهوم عرب الزهد فقد يترك الانسان ما يشغله عن الله زهدا في الشيء بما هو أشرف منه اه هذا على سبيل الاحتمال (وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا) ولفظ القوت من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معيشة فقد ركن الى الدنيا (فجعل جميع ذلك ضد الزهد) ويقرب من قول الداراني قول أبي داود السجستاني كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل ومال فهو علينا مشؤوم (وقد قرأ أبو سليمان) الداراني (قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله) فهذا يحتمل أن يكون هذه ثلاثة أقسام أو أن الدنيا العاجل مشغلة النفس بها فما لم يرد بها الآخرة فهي عائقة له عن الآخرة (وقال) مرة (انما الزهد في الدنيا التفرغ قلوبهم من همومها والآخرة) فهذا يبين أقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المزهود فيه وما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في أكناف الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى

ومادونه من اسم الزهد فى شيء وملكه من هو اعظم الناس همّا وهو لزهد متعرض ومن زهد فى شيء منه من المباح وهو فضول الحاصل من كل شيء فهذا هو الزهد المفضل ويرجع ذلك الى حقوق جوارحه التى هى أبواب لدنياه وطرقها اليه فالزهد فى محرماتها زهد اسلام به تحسن سلامهم والزهد فى شبهاتها زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد فى حلالها من فضل حساب الاغنياء زهد المقربين به يصفو يقينهم وفى حديث عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من زهد فى الشهوات وشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب (وأما بالاضافة الى خطاياها مايتركه فلانهاية للزهد فيه لانهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر الحالات لاسيما خطايا الرياء عن ذلك لايطلع عليه الا خاصة العلماء بل الاموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لاتتناهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك قال وما الذى تحدد قال توسدك الحجر فى تنعمت ونمت رأسك عن الارض فى النوم فرميت الحجر وقال حدّه مع ما تركته لك وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس الصوف حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين الناس واستراحة نفس النفس فسألته أمه أن يلبس مكان الصوف جبة من صوف فعمل فأوحى الله تعالى اليه يايحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال أحمد رحمه الله الزهد زهد أويس بلغ من الغرى أن جلس فى قوصرة وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط فسقط الحائط فقال ما أنتنى أنت انما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لاحصر لها

وأما بالاضافة الى خطاياها يتركه فلانهاية للزهد فيه لانهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر الحالات لاسيما خطايا الرياء عن ذلك لايطلع عليه الا خاصة العلماء بل الاموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لاتتناهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك قال وما الذى تحدد قال توسدك الحجر فى تنعمت ونمت رأسك عن الارض فى النوم فرميت الحجر وقال حدّه مع ما تركته لك وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس الصوف حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين الناس واستراحة نفس النفس فسألته أمه أن يلبس مكان الصوف جبة من صوف فعمل فأوحى الله تعالى اليه يايحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال أحمد رحمه الله الزهد زهد أويس بلغ من الغرى أن جلس فى قوصرة وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط فسقط الحائط فقال ما أنتنى أنت انما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لاحصر لها

الدنيا وخطيرها ثم هو (وأقل درجته الزهد في كل شبهة ومحظور وهو الخلال لا في الشهوة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأيته لم يبق حلالا في أموال الدنيا ولا يتصور الزهد لأن ما كان يصح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه مذكرا وفكرا ولا يتصور (٣٤٨) ذلك الا مع بقاء ولا بقاء الا بضرورات بالنفس فقصرت من الله تعالى دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على عبادة ربك فكل مشتغلا بغير الله فهو مالا يتوصل إلى الشيء لأنه فهو وسيلة فالاشتغال بعلف الدابة ويسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بقدر ما في طريق الحج ولا عرض لك في التعمق فيه فقد صار بالآخرة إلى عرض مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر ضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وإن قلت فلا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومعلوما له فلا يكون لقضاء الحاجة مقصورا به فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتسهم الأحجار وصوت الطيور) إساءة (ولكن الألم يقصد طلب موضع لهذه الأحجار لحفاء يصيبه من ذلك فتغير قصد لا يضره ولقد كان في الحائضين) من الزاهدين (من طلب) لنفسه (موضعا لا يصيبه فيه تسيير الأحجار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه ويكون فيه أنس إلى الدنيا ونقصان) في الأنس بالله (بقدر وقوع الأنس بغير الله) وروي أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن ترح بني إسرائيل لعلي كان موسى استراح لعلي أمر أنزل لهم أبدا هو لا أن فيه ما قال وما هو قال يحمله تسيير الصخر فيسكن إليه ومن أحس بحمله شيئا ولم يسكن إلى الشيء دعاه ما استراحة النفس إلى روح الفضاء ونقصه من انتظام يكون فيه أي سير السفر (ولذلك كان) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (صاحب مكروه) وهو بضم الحاء المهملة الحاجة جمعه مكاسب بالكسر وحبة

المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على عبادة ربك فكل مشتغلا بغير الله فهو مالا يتوصل إلى الشيء لأنه فهو وسيلة فالاشتغال بعلف الدابة ويسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بقدر ما في طريق الحج ولا عرض لك في التعمق فيه فقد صار بالآخرة إلى عرض مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر ضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وإن قلت فلا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومعلوما له فلا يكون لقضاء الحاجة مقصورا به فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتسهم الأحجار وصوت الطيور إساءة ولكن الألم يقصد طلب موضع لهذه الأحجار لحفاء يصيبه من ذلك فتغير قصد لا يضره ولقد كان في الحائضين من طلب موضعا لا يصيبه فيه تسيير الأحجار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ولذلك كان داود الطائي لصاحب مكروه

مثل عتبة (ومعاوة فكان لا يرفعه من الشعير و يشرب الماء الحار و يقول من وجد شيئا فليرفعه لدنياه هذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فهذه وان كانت مدة يسيرة فالاحتياط مدة يسيرة للتسع على التأبيد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة شرع المتقين بمعرفة اليقين في معرفة مصادة التي بين الدين والدين) رضي الله تعالى عنهم أجمعين *(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضرورياة الحياة)*

اعلم أن ما الناس منه مكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها للتفرج بركوبها وهو قادر على المشي وانهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول وان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم أيضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور المطعم والملبس والمسكن وآلاته والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملة ما ذكره معي الحق وسبحانه الخلق له وكيفية لاحترازه عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة (الاول المطعم) ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتهيأ الزهد فما طوله فالاضافة الى جملة العمر (فان من يملك طعام يومه فلا يتسع به وما عرضه في مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وما طوله فلا يقتصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غد قوته لعشائه) ولا من عشائه

فيما ضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فلا يتسع به وما عرضه في مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقتصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غد قوته لعشائه

وهذه هي الدرجة العليا * الدرجة الثانية أن يدخر شهرا أو أربعين يوما وهي الدرجة الوسطى * الثالثة أن يدخر سنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لا كثر من ذلك فهو بعيد عن محل الاسم من أهل هذا الشأن فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه زهد الا اذا لم يكن له كسب يوم بيوم أو كان له ريع يرتفق به الا حد من أيدي الناس كذا وكذا فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وتعفها في عشرين سنة فهذا الاقتصاد أقل ما يعد الا عد من جعل التوكل شرط زهده وأما عرضه (٣٥٠) فالاصح فيه الى المقدور فمن ادخر قوت يومه وليلته نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في طعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع المتوسعين ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في الجنس فضله كل ما يقوت ولو الخبز من الحنطة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير منخول وادامه على حسب حواري الحنطة وهو الذي يؤكل في الصوم وفي الكفارة ودون ذلك فهو من اتساع المتوسعين ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في الجنس فضله كل ما يقوت ولو الخبز من الحنطة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير منخول وادامه على حسب حواري الحنطة وهو الذي يؤكل في الصوم وفي الكفارة وما وراء

وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويتعشى محصوف ويتغدى محصوف ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال المسيح عليه السلام يقول لكم ابن مريم ما لا تعلمون لقد رأيتموني أشبع من خبر الشعير وأنام على المزابل مع الكلاب كثير وقال يعصيني ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبر بر

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويتعشى المحصوف ويتغدى محصوف ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) قال العراقي تقدم دون قوله إنما أنا عبد وليس من حديث الحسن بما هو من حديث عائشة وقد تقدم ثم قال وروى ابن عساكر من حديث أبي بكر كان يركب الحمار ويلبس الصوف ويحلب الشاة بيده ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بلفظ كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير ورواه ابن ماجه من حديث أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير ورواه أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن كان يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس العبد ويعتد كما يعتد العبد وأنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد (وقال عيسى عليه السلام لحق أقول لكم ما لا تعلمون لقد رأيتموني أشبع من خبر الشعير وأنام على المزابل مع الكلاب كثير) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه بلفظ قال عيسى عليه السلام آكل الشعير مع الحمير وأنام على المزابل مع الكلاب فليس لي مما لدنياكم هذه (وقال الحصين) بن عياض رحمه الله تعالى (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبر بر) وفي لفظ لصوت وفي الحلية ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله من خبر بر ثلاثة أيام حتى قبض الله عز وجل وتقدم في الحديث الذي قبله (وكان عيسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل ما لكم بأسماء الفراخ وأنتقل أعرى وحمر شعير وأنام لكم وحمر لبره ما لكم لا تقوون وأنتم كما ترون كذا في القوت وروى ابن عساكر من طريق كعب الأحبار نحوه (وقد ذكر بأسانيد لا بأس بها) عن يوم عليه السلام (والسائب) الصالح (في الطعام والشراب والمساكن فلا تعده) تأييد (ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قبيلة أتوه بشربة من سويق فتناول منها فشربها ثم قال أما إنه لا يحرم علينا أكل ولكن أتواضع لله تعالى) رواه الحكيم في نوادر الأصول عن أبي جعفر محمد بن علي مرسلا ولفظه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أكل أحدكم طعاما قط فتناول ما تحت يده ولعق أصابعه ثم قال أما إنه لا يحرم علينا أكل ولكن أتواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر افتقره الله وقد تقدم (وفي عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه أنه شرب من ماء ورد وعسل في يوم صائف فدافعها ساعة وعسل (فقال إن لها عليّ حسنا) أعز لها علي مؤنة وأحمد عن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم (وقد قال يحيى بن معاذ الرازي) رحمه الله تعالى (الزهد اصطلاح قوم ما وجدوا لباسه ما ستر ومسكنه حيث أدركه) أي حيث يدركه الليل نوى (بدليل صحته والفقر صحبته والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعبادة حرفته والجسم منه في شدة) وقد درج فيه من المقامات الاعتبار والحزن والحياء والصبر والتوكل والتقوى وقالوا ثوب الصبر الزهد وقوته ما وجدوا وثوبه ما ستر وسكنه ما آواه وماله وقته (اللهم إني أسألك من رزقك ما يدفع الجوع والتعرية العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وفوقه وعلاه وعلاء أن يكون مديل) لرأس (وسراويل وما زاد زهد أمس حيث قد رهبو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت هذا صار صاحب قميص وسراويلين وسديل فقد

وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يا بني إسرائيل ما لكم بأسماء الفراخ وأنتقل أعرى وحمر الشعير وأنام لكم وحمر لبره ما لكم لا تقوون وأنتم كما ترون كذا في القوت وروى ابن عساكر من طريق كعب الأحبار نحوه وقد ذكر بأسانيد لا بأس بها عن يوم عليه السلام والسائب الصالح في الطعام والشراب والمساكن فلا تعده تأييد ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قبيلة أتوه بشربة من سويق فتناول منها فشربها ثم قال أما إنه لا يحرم علينا أكل ولكن أتواضع لله تعالى رواه الحكيم في نوادر الأصول عن أبي جعفر محمد بن علي مرسلا ولفظه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أكل أحدكم طعاما قط فتناول ما تحت يده ولعق أصابعه ثم قال أما إنه لا يحرم علينا أكل ولكن أتواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر افتقره الله وقد تقدم (وفي عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه أنه شرب من ماء ورد وعسل في يوم صائف فدافعها ساعة وعسل (فقال إن لها عليّ حسنا) أعز لها علي مؤنة وأحمد عن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم (وقد قال يحيى بن معاذ الرازي) رحمه الله تعالى (الزهد اصطلاح قوم ما وجدوا لباسه ما ستر ومسكنه حيث أدركه) أي حيث يدركه الليل نوى (بدليل صحته والفقر صحبته والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعبادة حرفته والجسم منه في شدة) وقد درج فيه من المقامات الاعتبار والحزن والحياء والصبر والتوكل والتقوى وقالوا ثوب الصبر الزهد وقوته ما وجدوا وثوبه ما ستر وسكنه ما آواه وماله وقته (اللهم إني أسألك من رزقك ما يدفع الجوع والتعرية العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وفوقه وعلاه وعلاء أن يكون مديل) لرأس (وسراويل وما زاد زهد أمس حيث قد رهبو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت هذا صار صاحب قميص وسراويلين وسديل فقد

خرج من جميع ثوب الزهد من حيث المقدار ما الخس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ

وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يبسرسنة وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطها يتماسك عليه شهرا وما يقارب فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك دوامه وزيادة من ذلك وحسن أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ويضطر به إلى أحوال الاستجداء وتعرضه كيف تركوا الناس قال أبو بردة خرجت عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب المتبذل البذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو ابن الأسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مشهور أبدا ولا آكل ملأ بطني من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ورواه أبو هريرة ثم اعلم أن ما ذكرنا من حديث أم سلمة دليل على أن ما لا يباهي به لبراءة الناس لم ينظر الله إليه حتى يرقعه وروى الحارث والطبراني من حديث أنس من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا وإن كان له ولا (واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي

روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث واسناده ضعيف (وكان قيمة ثوبه) صلى الله عليه وسلم (عشرة) كذا بالكاف في القوت وقال العراقي لم أجده (وكان ازاره) صلى الله عليه وسلم (أربعة أذرع وشبرا) وبقط القوت وكان طول ازاره أربعة أذرع وصف وفي خبر سعد أشار وقال العراقي روى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهيعة وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة وكان به ازارا من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدي (واشترى سراويل ثلاثة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي المعروف انه شراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس الآتي ذكره مقدرا بثمنه كما قال الترمذي صحيحا انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله ثلاثة دراهم وكان كم قميصه الى طرف أصابعه وقيل مرة الى الرسغ فانشمر وقبض صار الى نصف الساعد وكذلك الازار الى عضلة الساق (وكان) صلى الله عليه وسلم (يلبس خلقتين بيضاوين من صوف) ومرة سوداوين من شعر (وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد) يشير الى قول أهل اللغة قالوا الحلة ثوبان لا تكون الا ثوبين من جنس واحد كما ذكره الزبيدي وكانوا يزورون ويرتدون بها ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين جديدين وعرف (وربما كان) صلى الله عليه وسلم يلبس (بردين يمانيين أو حبرة من هذه العلاط) من قرية علاط باليمن تسمى حبرا وفيها كما مع اشتمالها على غيرها وربما كانت البردة مخططة بتلوين الاصابع كبرود أهل اليمن اليوم وربما كانتا خضراوين كلها من جيد واحد وربما كانت حلته بيضاء لأشعة فيها غير مخططة لا بيض كل ذلك في القوت وقال العراقي تقدم في آداب المعيشة وأخلاق السنة ذكر لبسه للحلة والبردة والحبرة وأما لبسه للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيته في حلة حمراء ولابي داود من حديث ابن عباس حتى خرج الى الحرورية وعليه أحسن ما يكون ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن ولقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم خرج في غداة احدهما الذي عليها ما صبغ بالعبر وتقدم في آداب المعيشة ولابي داود والترمذي والنسائي من حديث أم سلمة وعليه برد حبرة ولابي داود واستغربه الترمذي ولابن ماجه من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عن ابن عباس لا يعرف عند الذهبي (وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كمه رسغ) قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كان ثوبه ثوبا زيات (و) قد (لبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا حريرا) بكسر الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية ممدودا ضرب من البرود فيه مخطوط صغار (من سدوس) فعل من سدس اسم الثوب من الديباج (قيمته مائتا درهم) فلبسه وخطب فيه (وكان أصحابه يلمسونه) بايديهم (ويقولون يا رسول الله أنزل علينا هذا من الجنة تعجبا) من لونه وليه (وكان قد أهداه له المقوقس) حرير بن ميناء (ملك الاسكندرية فأراد ان يكرمه بلبسه) ويرى رسله قبول هديته (ثم نزعه) وقد لبس نحوه من قميص معدن بحرير أهداه اليه النجاشي ملك الحبشة فخطب فيه ثم نزعه حتى نزل من المنبر (وأرسل به الى رجل من المشركين وصلبه ثم حرم لباس الحرير والديباج) بعد ذلك (وكان لبسه أولا) ولفظ القوت فقد يكون لبسه اياه (تأكيد التحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما) واحدا (ثم نزعه) ورمى به كما في الصحيحين وتقدم (فحرم لبسه على الرجال) ولفظ القوت وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور (وكما قال لعائشة) رضي الله عنها (في شأن بريرة) مولاة القوم من الانصار وكانت تخدم عائشة قبل ان تشتريها (اشترطي لاهلها الولاء) وذلك حين أرادت ان تشتريها

وكانت قيمة ثوبه عشرة وكان ازاره أربعة أذرع وشبرا واشترى سراويل ثلاثة دراهم وكان يلبس ثيابا يمانية بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو حبرويين من هذه العلاط وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كمه رسغ وقد لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا حريرا من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل علينا هذا من الجنة تعجبا وكان قد أهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به الى رجل من المشركين وصلبه ثم حرم لبس الحرير والديباج وكان لبسه أولا تأكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء

منهم وطلبوا منها ان يكون الولاء لهم فأقرها صلى الله عليه وسلم على هذا الشرط أولا (فلما اشترطته) بعد ان اشترتها وأعتقتها (صعد صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد) وقال انما الولاء لمن أعتق ليوافق ذلك قوله حكمه من الحكيم وتعليمه من العليم وفصله نورة في الصحيح وقد جمع بعض حفاظه فوائد هذا الحديث في رساله فزادت على ثلاثمائة وخصها الحافظ في فتح الباري (وكان نكح لمتعة) أي معه نساء (ثلاثا) وذلك في غزوة وطاس (ثم حرمها تأكيد أمر النكاح) وحديث اباحته لمتعة رواه مسلم عن سبرة الاكوع قال صاحب القوت وقد تحصل عند علماء الديار بمارويناه لا صحهم ويدعون الناس منه الهم مراد يظهر وب الدعوة الى الله علانية ولا علانية أولا على الحديث كما تقول هل نزل فيك شئ فيقال لا فيقول تحدث به الحرس على هواهم اتباعا فتنة وطلبا للدنيا بالدين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معنى كلام الله تعالى منه محكم وهو شبهه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وقد دل علماء الديار أهل الاهواء على احكام السائر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ما ذكرناه وبدؤا لحكم وراءهم ظهريا (وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حيضة) وهي كساء اسود مربع (لها علم فلما سلم قال شغلني علم هذه ادهبوا بها الى أبي جهم) بن حذيفة بن غانم العدوي رضي الله عنه من مسند اسبغ وكان من معمري قريش ومن مشيختهم (وائتوني بانبجانيته يعني كسائه) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة فسألت صلى الله عليه وسلم في حيضة بعلام فصلى ادهبوا بحميصتي هذه الى أبي جهم وائتوني بانبجانية أبي جهم فانها أنهتني آنفا عن صلاتي وقد تقدم في كتاب الصلاة وذكر لي بعض من يكرس وجه آخر مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم شق خميصتين سوداوين كانتا عليه فصلى احداهما وبعث الاخرى الى أبي جهم فصلى وهي حاضرة وعنه الى ليستها هو ونسي هو التي كانت عليه أم أبو جهم لبسها أو بعثها (وائتوني بكساء بني الجاعم) كذا في القوت قال وفي هذا الحديث على من ترك ادامة الشئ واستحسنه كبيره وصغيره ومشاهد وتجعة لمن أخرج عن يده ما استحسنه ويحب في نفسه لحصول الزهد بالاخراج ولانتفاع الغير به وفيه حجة على من ادعى ان زهد نبينا صلى الله عليه وسلم وان ذلك لا يعمر الزاهد ولا يخرجه عن حقيقة الزهد وفيه ابطال لمن ادعى ان النظر الى ليس لا شغله وان الرؤية لا تدخل عليه الا بعد ان يقول به غيره مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر وا عقلوا يحمو به الرعاع من بعض هذه مع عظيم الفضول (وكان شرك الجاعم) صلى الله عليه وسلم (قد خلق فاعدل بشرك جديد فصلى فيه فلما سلم) من الصلاة (قال أعيدوا لشرك الخلق وائتوا بشرك الجديد فانه ألهاني آنفا في الصلاة) عند في كتاب الصلاة (وانظروا) صلى الله عليه وسلم مرة (علم انبجانيته) وهو (على المنبر مرة فرجع به وقال شغلني هذا عنكم مرة الليلة وانتم اليوم) قال فلا يدري من أخذه رواه شعبان وقد تقدم قال صاحب القوت وقد تحصل هذا كرهه من الاف المال المطور له وليس فيه بحمد لله صلى الله عليه وسلم لم تلهه ادلم يرم به في بر ولا بحر ولا مضيعة ولا أفسده وانما نزعه ورمى به بين المسلمين وفهم من اخذه عدم رد ذلك عن وجد الوقت وحده (وكان صلى الله عليه وسلم قد حدثني مرة بعلي جديدتين فجعل حسنهما فخرج حدثني وقال أجعلي حسنهما فتواضعت لربي حشية ان يقتني ثم خرج بهما وقد حسنهما في أول مسكين رآه) وأمر علي فاحتذى له بعلي سبتيتين قال فرأيته وقد حسنهما يعني جردا وين وقد تقدم في كتاب الصلاة قال صاحب القوت وهذا مثل الحديث الآخر في اخراج الخميصة وهذه فيها واخراج النعل ولم يقطعها فيكون فسادا فهو صلى الله عليه وسلم ينهى عن اضاعة المال الا أن فيه شاهد المن دخل حسن شيأ ساغ التفت عليه الا أنه لا يباع فيه اتلافه فيكون افساد وفيه دليل على دخول التغيير والرد الى الصفة بالمعاصرة الحسنة خلاف من ذهب من بعض من ذهب من ذلك وفيه شاهد آخر لمن تطرق بالحسن من الاشياء الى الله تعالى وشهد الحس لا عن هوى وكان لحاس طريقه الى الحس الجميل لانه صلى الله عليه وسلم لما قال أجعلي حسنهما حرصا حدا فكان ذلك امرا له من الفقر بمدحه وتعلقا

فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحمد وكان نكاح المتعة ثلاثا ثم حرمها التأكيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حيضة بها علم فلما سلم قال شغلني العلم الذي هذه ادهبوا بها الى أبي جهم وائتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس بكسائه على الثوب الناعم وكان شرائه له قد أخلق فابدل بشرك جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشرائ الخلق وائتوا بهذا الجديد فاني تعارضت به في الصلاة وانس حاتمان ذهب وامر الله عن النظر مرة فرجحه فقال شغلني هذا عنكم مرة الليلة وانتم اليوم ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدين فجعل حسنهما فخر ساجدا وقال أجعلي حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه

الى الحق) وقد قال الله تعالى و بشر وقرب (وعن سنان بن سعد) شكذا في سائر النسخ والصواب سهل بن سعد كما به عليه العراقي و يرى في الحلية من اسمه سنان بن سعد (قال حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف غنم وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال ما أحسنها ما أحسنها قال فقام اليها اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ لم يحل به قال قد وهبتها له وأمر ان تحلله واحدة أخرى سنان صلى الله عليه وسلم وهي في الحاكم) قال العراقي رواه أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله وأمر ان تحلله أخرى وهي عند الطبراني فقط ورواه ابن سنجاع ضعيف (وعن عمر) رضي الله عنه (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل قال فدرت لها بكفي وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة قال عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق بسند ضعيف انتهى قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خير أمتي قوما يصحبون مهران من سعة رحمة الله و يكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون خلقان و يتبعون رهبان أجسامهم في الارض) وقلوبهم في الآخرة (وأفئدتهم عند العرش) قال صاحب الفردوس و بيناه من حديث عياش بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى مع علمهم الذين يعبدون في جلالة و يطلبون بسيرهم ليس في قلوبهم شيء هذا رواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عباس بن عمر ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعقبه الذهبي في الشعب وصححه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكان له صحبة وعده جبار أمتي وبقاؤها الا الاعلى قوما يصحبون جهرا من سعة رحمة ربهم و يكون سرا من خوف عذابهم يذكرون ربهم بعد ذكر ربهم و يتلون كتاب الله بالغداة والعشي في ليلهم الطامة لما فيها و يستعيذون بالله من يوم عبوس قمطرير و يشفقون فيقومهم عودا ويقومون على الناس حقيرة أنفسهم ثقيلة يلبسون في الارض حتى على أقدامهم كدب النمل بلا مرح ولا بطر خشوعا بالله يتقربون بالوسيلة اليه و يتقربون الى الرحمن و يلبسون الخلقان عليهم من الله سهود مصرة وعين حدة و يعيبون عباد و يذكرون في البلاد أرواحهم في الدنيا وأبدانهم في الآخرة يبس لهم هم لاما أمامهم غواد الجهر لقولهم واحوار لسرهم و لاستعدادهم ثم تلا ان الى صف مقامهم وصفهم وعيبهم هذا حديث غريب منكر وعباس لا يدري من هو وقد ذكره أبو موسى المديني في الصحابة هكذا رواه الحاكم في المستدرك من طريق الوليد بن مسلم عن حمزة بن حبيب الزيات عن مكحول عن عباس بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه كذلك ومع عنعنة حمزة عن أبي حبيب (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس ان من أحب فطرتي فليستن بسنتي وفي رواية له بريدة ومن سنتي النكاح رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا وتقدم من حديث عبد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية (و) قد (قال) الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض المبتدعة القوم كانوا دهرين وقال مرة من علامة حب السنة بغض البدع ومن علامة بغضها ان لا تحدث منها لازد أو بعده وقال صلى الله عليه وسلم ان أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من كان على

وعن سنان بن سعد قال حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أغنام وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال ما أحسنها ما أحسنها ما أليتها قال فقام اليها اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ لم يحل به قال قد وهبتها له وأمر ان تحلله واحدة أخرى سنان صلى الله عليه وسلم وهي في الحاكم وعن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل قال فدرت لها بكفي وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة قال عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خير أمتي قوما يصحبون جهرا من سعة رحمة الله تعالى و يكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان و يتبعون الرهبان أجسامهم في الارض وأفئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

مثل ما كانوا عليه وهم من بعد ذلك كان أبو در يقول لاصحابه ألا أحدثكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفرحكم معه عدا فحدثوا فقالوا كيف ذلك يا أبا در فقال ما فارقته عليه وكلكم قد غير ترهد الزهد وكان مالك بن دينار يقول انه ليعيبني بدلا عن أبي در في ترهد لانه رآه على صحبته في اثر هذا والتقشف بلبس الخشن وأكل الخشن وترك الادم وشدة الحال ولم يكن يعيب به انما كان يشدد نكيرا ولولا الكلاب لشددنا نكيرا وأما الحسن بصري فان مالك بن دينار كان يقول أيها الناس معلمي والله الحسن به تأدب ومنه تعلم ولم يفارقه حتى مات فهو بدل عنه والحسن كان بدلا عن صاحب السمرة بن الجندب وكان الامام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله فكانت بدلا عنهم وخلفا منهم ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولاته (وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال) يا عائشة (اذا أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب) أي (لا تترك ثوبا حتى ترقعه) رواه الترمذي وقال غريب وأحد راويه ضعيف وقد تقدم (وعد على قميص عمر) من الخطاب (رضي الله عنه اثنا عشر رقعة بعضها من أدم) رواه جعفر بن محمد بن حدثنا مالك بن دينار حدثنا الحسن ان عمر خطب وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنا عشر رقعة وروى عبد الله بن مهدي عن مجمون حدثنا الطبري عن أبي عثمان قال رأيت عمر يطوف عليه ازار فيه اثنا عشر رقعة احداهن من أدم وروى أسد بن موسى حدثنا أبو سفيان عن معمر سمعت مالك بن دينار حدثني بافع حدثني ابن عمر انه رأى عمر يرمي الجمرة عليه ازار فيه اثنا عشر رقعة بعضها من أدم (واشترى علي رضي الله عنه ثوبا ثلاثة دراهم وباعه وهو في الخلافة وقطع كمه من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الاردي وكان اماما من أئمة الاردن قال رأيت علقمة بن قيس وقال من عنده قميص صاغ ثلاثة دراهم فقال رجل عندي فاعطاه عمامة وقال له خير من ذلك لا قال له فرأيت عليا يقرض رباط لثلاثة دراهم من ثوبه فاعطاه قلنسوة واذا هو يقص من أطراف أصابعه فاعطاه ضفاع ما فضل من أطراف أصابعه (وقال) سفيان (الثوري وغيره ليس من الثياب ما يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال) قاله صاحب القوت (وكان) الثوري رحمه الله تعالى (يقول ان الفقير يعير بما أصلي عليه دعه) أي اتركه (يحور) أي يعير (ويعير بما حدس أنه الذي وعليه هذه الرقعة فدعه يحور) قاله صاحب القوت وتقدم للمصنف عن المؤمل قال ما رأيت أحدا في مجلس قط أدل منه عند الثوري وقال آخر كنا اذا حدثنا عند سفيان شيئا ما فقر ملتزي من اقباله علينا وعظمه لهم رواه أبو نعيم في الحلية وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم انما العالم هو الذي يقوم الصغير من عنده صغيرا ويقوم الكبير من عنده كبيرا ولا يستحي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على نفسه (وقال لهم وقمص ثوبي سفيان وتعلموا بدرهم وتعلموا) قاله صاحب القوت قال فهكذا كان علماء الآخرة يرغبون في الدنيا فخلف من بعدهم خلف يأخذون عرض هذا الادنى الآية (وقال عبد الله بن شوذب) يكون قاصا (خير لي ما أخذ مني وشر لها ما أخذت منه) قاله صاحب القوت (وقال بعض السلف ليس من الثياب ما يحط بالمروءة ولا تأس منها ما يشهرك فيعير لبسك) وبعضهم يقول شر الثياب ما يرجع لباس رؤسهم فيطرون الى صاحبه وكانوا يقولون كثرة الثياب هي طهارة آدم عقوبة من الله له (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه) وهو شر ثم قال وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس قاله صاحب القوت (وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جهور العلماء على

(المتعين)

(التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الاربعين الى الثلاثين) درهما وكان المتقدمون من الصحابة انما ازرهم اثنى عشر درهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثوب وعشرين الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله لامرأة واحدة قال عمر بن الخطاب لعمار الى ارى من بعينه قصه فوجده بعمار فقال له كم أحدث هذا فقرعت منه فقات بعشرين فقال كثير وهو لا عشرة وقدمت عشرة فقد يوم فقرك وقد كنت اشتريته ثلاثين وأخفيت عشرة دراهم منه (وكان) سليمان (الخوص) رحمه الله تعالى أحد زهاد البصرة وكان (لا يلبس اكثر من قاعتين) مئزرين و (قميص ومئزر يختمهما ربما يعطف ذيل قميصه على رأسه) أو يجعله من وسطه فيعطي به رأسه أي وكذلك يستحب للفقير وهو حسن للباس من الحاجة قاله صاحب القوت (وقال بعض سلف الاول السلف الاول) حتى يشبه القلب القلب أي ما رأيت اثنين يشبه بعضهما بعضا في الهدى والآداب كما يشبه أحدهما على قلب الآخر في اجتهاده أو يقاربه في الحال والهمة وان كان أحدهما مقدما ظاهرا على الآخر فان بعضهم أهل الآخرة وقد يكون بعضهم أهل الدنيا وخلاص بان كذا في القوت (وفي الخبر ابدا دنس الايمان) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم في الكبير وفي مستدرك الحاكم وشعب البيهقي وأبو نعيم والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا وقد سئل الامام أحمد عن البذاذة فقال هي التقارب في اللباس ويقرب منه الابتذال وهو التقارب والدون في كل من المستعمل والمبتذل كالملبوس منه يقال فلان متبذل اذا لم يبال ما لبس أو استعمل ما قيه وقيل (وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه ثوضعه الله تعالى) حيره الله من حلل الايمان أينما شاء وفي لفظ آخر من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله (والله على الله حقا على الله ان يدخله من عشرى الجنة في أي باب شاء يدخل) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم في الكبير وفي مستدرك الحاكم وشعب البيهقي وأبو نعيم والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا وقد سئل الامام أحمد عن البذاذة فقال هي التقارب في اللباس ويقرب منه الابتذال وهو التقارب والدون في كل من المستعمل والمبتذل كالملبوس منه يقال فلان متبذل اذا لم يبال ما لبس أو استعمل ما قيه وقيل (وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى) حيره الله من حلل الايمان أينما شاء وفي لفظ آخر من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله (والله على الله حقا على الله ان يدخله من عشرى الجنة في أي باب شاء يدخل) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم في الكبير والبيهقي والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا والحديث الثاني رواه أبو علي الدهلي في ذيله وابن النجار من حديث ابن عباس ورواه أبو سعد الماليني في مسند الصوفية وأبو نعيم في الحلية بلفظ من ترك زينة الدنيا لله وهو قادر قدم في دم الدنيا (وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا لباس أعدائي) ولا يركبوا مراكب أعدائي (ولا يسلكوا مسالك أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي) ورد ذلك في الخبر الآتي قريبا (و عن رافع بن عمرو) بن رافع بن عدي الحارثي الانصاري أول من هذه احدى من سنه ثلاث وسبعين و رافع وسعد بن وقيل قبل ذلك روى له الجماعة (الى بشر بن مروان) بن الحكم بن العاص أخي عبد الملك (على سجستان) اذ كان واليا عليها من طرف أخيه (وهو يعظ) الناس في خطبته (فقال) رحمه الله تعالى (انصروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الصباغ) وفي (و) ما (كان عليه) قال (ثياب رقاق) قاله صاحب القوت (وحاه عبد الله بن عامر بن ربيعة) القرشي له رؤية وقد روى عن الصحابة (الى أبي ذر) رضي الله عنه (في بربه فجعل يتكلم في الزهد فوضع ثوبه) رضي الله عنه (رحته على فيه وجعل يضرط به) كالمستهزئ (فعجب ابن عامر فشكاه الى عمر) رضي الله عنه كذا في النسخ والذي في القوت وغيره فشكاه الى عمر فقال له عمر (ما الذي رابك من أبي ذر فقال وما له لم أر منه شيئا قبيحا فقال) ابن عمر (أنه سمعت منه منذ ثلاث تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة) ويعطي القوت بالي نادر في هذه البرة وتتكلم في الزهد (فقال علي رضي الله عنه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره) نقله صاحب القوت (ولما عوتب رضي الله عنه في خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع وأجدر ان يقتدي به المسلم) وأعطى القوت وعوتب رضي الله عنه في لبسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل من أطراف أصابعه فقال هذا الذي أدنى الى التواضع وأجدر ان يقتدي به المسلم وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن أحمد

ثلاثين قيمة ثوبهم ما بين العشرين الى الاربعين الى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قاعتين قميص ومئزر يختمهما ربما يعطف ذيل قميصه على رأسه وقال بعض السلف الاول سلف الرزى وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عشرى الجنة في أي باب شاء يدخل وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا لباس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي وفار رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر اسكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب صباغين وحاه عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبي ذر وهو بربه فجعل يتكلم في زهده ووضع ثوبه ورحته على فيه وجعل يضرط به فعجب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال له عمر ما الذي رابك من أبي ذر فقال ما رابني منه شيء قبيح الا أني سمعته منذ ثلاث يتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال علي كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لبسه قال هو أقرب الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم

ابن حنبل حدثنا يحيى بن حكيم ح وحدثنا محمد بن علي حدثنا أبو نعيم يعني حدثنا يحيى بن آدم حدثنا
حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال قدم علينا عمر رضي الله عنه وحدثنا أن ابن عمرة
فيهم رجل من رؤس الخوارج يقال له الجعد بن نعجة فعاتب عليه في موسه فقال مالك ولموسي ان نبوسي
أنعم من وكبر وأحدوا ان يقتدي بي المسلم (ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال لا تنعموا عباد الله بسو
بالمتنعمين) رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بلفظ ايا كم والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وقد تقدم
(ورؤي فضالة بن عبيد) بن ناقد بن قيس الانصاري الاوسي أول من شهد احدا وبيعة الشجرة مات بمصر ثم نزل دمشق
وولي قضاءها وما ت سنة ثمان وخمسين رؤي له مسلم والاربعة (وهو والي مصر شعث) عمر (حتى يقال له أنت
الامير وتفعل هذا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه) أي التنعم (وأمرنا ان نحفي احيانا)
ورؤي نحفي رواه أبو داود بسند جيد والاحفاء البلغ بشدة (وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان
أردت أن تلحق بصاحبيك فارفع قميصك وتكمش الازار وانتعل وكل دون الشبع) علة صاحبي
الموت (وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا وانا كم ورؤي النجم كسرى وقيصر) وهذا الموت وكان عمر
يقول تمعددوا واخشوشنوا وتمعددوا وانا كم ورؤي النجم كسرى وقيصر وقطعوا الركب ورواه على
الخيل ورو وعليكم بالمعدية الاولى سنة أبيكم جعيل ثم رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان
قال كتب عمر ونحن بأذربيجان ما نصه ان عدو كم قد أرعبكم والتنعم رؤي أهل الشرك ويبوس الحر برد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة لاهكذا ورد رسول الله أصحابه وذر وه أحدثني مسدد حدثنا
حسين بن موسى حدثنا زهير حدثنا عاصم الاحول عن أبي عثمان فذكره وزاد قال حدثنا يزيد أنبأنا عاصم
عن أبي عثمان ان عمر قال ارووا وتمعددوا وتمعلوا واقطوا الخفاف والسراويلات وانزعوا كموركم وارووا
ارووا وعليكم بالمعدية وارموا الاغراض وذروا التنعم وزي العجم وانا كم والحرير وقال أبو نعيم في مريب
حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي عثمان عن عمر انه قال اخشوشنوا وتمعددوا واخلولقوا
الرمض وانتضوا ومعي تمعددوا انتعلوا معدي عدمان في الصحاح وهل تشبهوا بعيشه من أعلاها وانتضوا
وكونوا مثله ودعوا التنعم وزي الاعاجم وقال الزمخشري في فائق العجمي قدموا المعدي عدمان
واسموا الخشن من الثياب واخشوا حدوهو حث على التواضع ونهي عن الاترف في مأكله وملبسه
وقد روي الزمخشري في الامثال عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من قيس قال له ان لا ذرع له
فحسنة رفعه تمعددوا واخشوشنوا واخشوا حفة وبروى تمعددوا واخشوشنوا وانتضوا واخشوا حفة
رواه الحاكم في الكنى والبيهقي والعسكري وابن مندة من حديث ابن أبي حدرد قال ابن عساكر اختلف
فيه على ابن أبي حدرد هو عبد الله فاخرجه في ترجمته وهاهو تفرد به عن عبد الله بن أبي حدرد وكذلك
رواه صدوان بن عيسى وبحيى بن بكر كلاهما عن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري فيكون الحديث من مسند
ابن أبي حدرد لا من مسند عبد الله بن سعيد وقد ذكره هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير
وقال الحافظ السخاوي في المقاصد رواه أبو نعيم في السنن وابن شاهين في صحابة والطبراني في الكبير
وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحيى بن بكر كرياب أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري
عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وانتضوا ومشوا حفاة وهو
عند أبي نعيم فقط من طريق صدوان بن عيسى عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن أبي
حدرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صدوان لكن جعله عن
القعقاع كالاول ورواه أيضا من طريق اسمعيل بن بكر باعن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن القعقاع بن
أبي حدرد وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع لكنه لم يسمه وزاد في قال عن ابن
أبي حدرد وأعاده في عبد الله من العبادلة من حديث اسمعيل أيضا ولم يسمه كذلك رواه الطبراني في الكبير

وفي حديث صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان الله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعمين ورؤي فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الامير وتفعل هذا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا ان نحفي أحيانا وقال عمر لعمر رضي الله عنهما ان أردت ان تلحق بصاحبيك فارفع القميص وتكمش الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخشوشنوا وانا كم وزي العجم كسرى وقيصر

من طريق مسدد بن علي عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن أبي حدرد وأوسع بعضهم طريق سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه هو عبد الله عن جده عن أبي هريرة رفعه مثله ورواه الرامهرمزي في الامثال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من أسلم له اسم الادراع ورفعه تعددوا الحديث فهذا مافيه من الاختلاف ومداره على عبد الله ابن سعيد وهو ضعيف (وقال علي رضي الله عنه من تزاري قوم فهو منهم) وقد روى نحوه من حديث عمر بن شبة قوم فهو منهم ورواه أحمد وأبو داود والطبراني من طريق ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفي السند ضعف ورواه الديلمي من حديث حذيفة وأبي هريرة ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث أنس وهو عند الطبراني من حديث طاوس مرسلا وله شاهد جيد من قول الحسن البصري فيما تشبه قوم لا كان منهم رواه العسكري في الامثال من طريق حماد عن جميد الطويل قال قال الحسن يقول فذكره ومن قول عمر بن عامر الخلي من تشبه قوم لحق منهم ورواه العسكري بعضهم من طريق راشد عنه (وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين يغذون بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون بالكلام) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث أبي امامة بسند ضعيف بلفظ سيكون في آخر أمتي يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمتي وقد تقدم قلت وتقدم تمامه ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام فأولئك شرار أمتي وقد رواه أبو نعيم في الحلية كذلك وروى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن محمد بن علي عن أمه عن عائشة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها رفعته شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقد مر أن أبا الدرداء في ذم العامة كذلك وتقدم وروى الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به ما كانوا من الطعام ألوانا ومن الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا ويتشدقون في الكلام وقد تعقبه الحاكم وتقدم (وقال صلى الله عليه وسلم ذرة المؤمن في الكفة ساقته ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكفتين وما أسفل من ذلك في النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا) قال العراقي رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه النسائي أيضا من حديث أبي هريرة قال محمد بن عجلان يعني كالحد الذي بين كعبيه وطرف قدميه ما مالك في الموطأ ذرة المؤمن في كفة الميزان ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه وكذلك رواه الطبراني وأحمد وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي وبعضهم حديث أبي سعيد ورواه الطبراني من حديث ابن عمر وفي رواية ذرة المؤمن في كفة الميزان وليس عليه جناح فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك في النار ورواه كذلك الطبراني من حديث عبد الله بن معقل وفي رواية ذرة المؤمن في كفة ساقيه ثم الى الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففي النار رواه كذلك أحمد من حديث أبي هريرة واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر على الجملة الاولى فقط وكذلك النسائي والبيهقي من حديث أبي سعيد وكذلك ابن أبي عاصم وصححه وابن حبان من حديث أنس وروى الطبراني ومسلم من حديث ابن عمر من جر ازاره يريد بذلك الخيلاء فان الله لا ينظر اليه يوم القيامة وروى أحمد والنسائي من حديث أبي سعيد من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة الحديث (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس أن يشعر من أمتي لامرأة أو خمق) قال العراقي لم أجد له اسنادا (وقال) أبو عمرو (الاوزاعي) رحمه الله تعالى (لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة) كذا في القوت (ودخل محمد بن واسع) أبو بكر البصري العابد رحمه الله تعالى (على قتيبة بن مسلم) الباهلي صاحب خراسان وكان أمير

وقال علي كرم الله وجهه من تزاري قوم فهو منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ذرة المؤمن الى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك في النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس الشعر من أمتي الامراة أو أحمق وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم

جليس وكان محمد بن واسع قد خرج معه (وعليه جبة صوف فقال له فتية) يا أبا يحيى (ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال) محمد بن واسع ولم يجب (فقال) فتية (أكلمك ولا تجيبني فقال) أكره أن أقول زهدا وتركي نفسي أو فقرا فاشكوري وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لما اتخذ الله ابراهيم خليلا أوحى اليه أن وارعو رثتك من الارض وكان) عليه السلام (لا يتخذ من كل شئ) من الثياب (الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا تأتي عليه حال الا وهو رثة مستورة وقيل لسلمان الفارسي) رضي الله عنه (مالك لا تلبس الجديد من الثياب فقال ما أتخذ ثوبا فيحسن فاذا خلق) أي من قدم (فهو والله ثياب لا تبغي أبدا) وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها واذا خرج عطاؤه اشترى طعاما وأكل من سفيف يده (وروى عن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (أنه كان له جبة شعر وكان يلبسها من الليل اذا قام يصلي) تقشفا وزهدا رواه أبو نعيم في الحلية (وقال الحسن) البصري (انفرد) يعقوب (يسجن) بفتح الهاء وألف وحدة وتحتية ساكنة ثم جيم أي يعقوب البصري العابد صدوق من الحادية مات سنة احدى وثلاثين روى له الترمذي وابن ماجه (يحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك يعني أن أكثر أصحاب النار أصحاب الاكسية هذا) أي يلبسونها تعاظما وتكبرا (وقال الحسن) رحمه الله تعالى خاطب فرقدا يبهة أن لا يعرى الناس الصوف (وقال يحيى بن معين) بن عوف العطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور مات في آخر سنة ثلاث وثلاثين عن بضع وسبعين سنة روى له الجماعة (رأيت أبا معاوية) يعني (الاسود) رحمه الله تعالى ترجمة أبو نعيم في الحلية وروى من طريق بشر بن الحرث سمعت المعافى بن عمران يقول كان عشرة من مضى من أهل العلم يعطرون في الحلال البطر الشديد لا يدخلون بطونهم الا مايعرفون من الحلال والا استحوا ان تمر عشرتهم بأبي معاوية الاسود (وهو بلفظ الحرث من الرجال ويعسوبها ولقبها وليسها وقلت) له (الم تكسى حيرانا هذا فقال ما أصرهم ما أصابهم في الدنيا حيرانة بهم بالجنة كل مصيبة فعلى يحيى بن معين يحدث بها ويبكي) رواه أبو نعيم في الحلية من غير هذا الوجه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد حدثنا أحمد بن مهدي حدثنا أبو موسى العنزي قال كنت أجمع أبا معاوية الاسود اذا قام من الليل يتقي الله يقول مصرهم ما أصابهم في الدنيا حيرانة بهم كل مصيبة بالجنة حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن مسلم الخلال حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا يوسف بن معبد حدثنا ابراهيم بن مهدي سمعت أبا معاوية الاسود يقول ما صرهم ما أصابهم في دنياهم حيرانة بهم كل مصيبة بالجنة حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب الشهيد سمعت عبد الله بن أبي داود سمعت أحمد بن نصر الخزاز وكان خادم أبي معاوية الاسود يقول له أي شئ يتكلم به أبو معاوية قوله قال فقال كان يحيى بن معين يقول ما صرهم ما أصابهم في الدنيا حيرانة بهم كل مصيبة بالجنة حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا بشر بن محمد بن الحسن قال كتب لي أبو موسى بن الشيخ حدثني عمرو بن أسد حدثنا أبو معاوية الاسود قال ثمر وا طلابا وثمر وا هرابا لم يصرهم ما أصابهم في الدنيا حيرانة بهم كل مصيبة بالجنة * (الهم الثالث المسكن والمرهد فيه ثلاث درجات علاها بيت موصوف لصفته يقع عليه اسم المسجد) وهذا في اللغة كان مقصورا على العبادة دون العيال وذلك (كأصحاب الصفة) رضوان الله عليهم وهم أناس من فقراء المهاجرين ليس لهم مسكن يأوون اليه كانوا يسكنون في صفة المسجد وكان عددهم يختلف بحسب اختلاف الاوقات والاحوال فربما انصرف عنهم بعض وفادوهم أناس من العرباء فيقل عددهم وربما اجتمع فيها وارد وهم أناس من الوفود فيضم اليهم فيكثرون والمشهور من أخبارهم علبة الفقر عليهم وبثارهم لقلة ذات اليد حتى ربما اجتمع لهم أقوام فلم يجدوا لهم قوتا ولا حصرهم من الاطعمة لون وقال أبو هريرة رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبته ومنهم من هو أسفل

من ذلك فاذا ركع أحدهم قعد حتى يطمئن راكعا ثم يقوم ويقول قد قام فلان وقعد فلان (وأوسعه أن يطلب موضعا حاصله أنه يسن لمن خرج منه لحاجة ضرورية كقضاء الحاجة أو لحاجة مباحة كشراء طعام أو ثوب أو نحو ذلك أن يطلب موضعا (أو خص) بالحاء المهملة وهو ما صغر من قصب فارسي وجمع أخص (أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية) بين يديه (أو سترة) أو استتاره (فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يجز له قعود على آجر وجاز لرهط فان طلب التشييد والتخصيص واتساعه وارتفاع سقفه أكثر من ستة أذرع فقد جاوز ما كلف به وقعد على آجر وجاز لرهط قعود المسكن والاختلاف بحسب اتساعه بأن يكون من الخص أو القصب أو بالطين أو بالآجر والاختلاف قدره باتساع وضيق واختلاف حوله بالاضافة الى الاوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستعارا وللرهط مدخل في جميع ذلك والجملة كل ما يراد للضرورة فلا يمنع أن يتجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلته الدنيء ووسيلته) ثم يفصل ما يدخل لاحد من الناس (وهو ورد ذلك فهو ما عاد للدين والعرض من المسكن دفع الحر والبرد) عن خص و (دفع الاعين) ثلاثة دفع به (والاذى) لا تفصيل فيه (وقتل الهوام ونحوها مما يعم) وما زاد عليه فهو فضول والفضول كله من الدنيا وحب الفضول من الدنيا فما زاد على الرهط حدا وقد جاء (أول ما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحش والوا الدو (أول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تشييد البنيان وتطويله) كما في حديث أنس (يعني تشييد الرجل بيته وتطويله كما كانت تشيد الملوك) والتشييد هو البناء بالجص والآجر وأصله من شاد البناء يشيده شيدا (كانوا يرون ان السعد والخير) وذلك لما في الحديث الآتي (وعلامة ما يعيبون ويرهصون كذا في النهاية) قال العراقي لم أقف على هذا الحكم من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصعوا الحجارة له (السعد والخير عند تلك الحجارة الخ) حديث ولهما من حديث أنس مسجد وكان المسجد على عريش فوكف المسجد الحديث (وقد جاء في الحديث الذي يلي هذا يرون) أي يرون (يوشك) كذا في النسخ وفي بعضها يوشكوا (أن يهدم عن بنيانه) بضم الهاء وفتحها والاول هو الصحيح الذي لم يرد غيره (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمه (العباس) رضي الله عنه (أن يهدم عن بنيانه) بكسر العين واللام أي بناءه المشرفة وجمعه علالي (كان عند علالي) أي درج سطحاتي وهو المعروف من رواية من رواه بالعين المهملة ثم الصاد المعجمة ثم الياء المثناة التحتية ثم الهاء تأنيث وهو ما يعلو به البيت ويرتفع من بناء وغيره (فقال ان هذه قالوا بلا) وهو رجل من الصحابة (فمر عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي قبة مرتفعة

فقد كل سماء وأشار بيده على رأسه أكثر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة وروى في الكبير من حديث وائلة كل بناء وبال على صاحبه لا ما كان هكذا وأشار بكفه الحديث (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ما رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة) قال العراقي رواه ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلا والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عن أويس القرني فسطر لي فنعت شاحب مشمر يضع لبنة على لبنة الحديث وإسناده ضعيف انتهى قلت ورواه ولا قصبة على قصبة ورفعه عمر تسمر به اليوم المسمار وغدا السباق والغاية الجنة والنار وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية (وقال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين) قال العراقي رواه أبو داود من حديث ثمامة بن حزن بسند صحيح وله في لفظ والناس حتى يبني انتهى قلت ورواه كذلك الضياء في مختاره والحاكم وصححه كلاهما من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الضياء قال الهيثمي لم أجد من ترجمه وله في الأوسط عن أبي بشير الأنصاري إذا أراد الله بعبد هوانا أعنق ماله في البنيان وفي لفظ له زيادة والماء وعمى وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة والبغوي وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي كلهم عن محمد بن سيرين لا الزهري قال البغوي ورواه غيره ورواه أيضا ابن عدي من حديث أنس (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (مر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهي فقال أرى الأمر أعجل من ذلك) واتخذ نوح عليه السلام سفينة من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير ابن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رحل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه أي في الحديث ما لا يكن من حر ورد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الحديث

وقال الحسن ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهي فقال أرى الأمر أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام سفينة من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير ابن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رحل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه أي في الحديث ما لا يكن من حر ورد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الحديث

و مر عمر رضي الله عنه في مروره الشام الى صرغ فلقيه بعض أجناد العرب وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة مثل هامان يعني فرعون وقد دلى باهامان على اسم يعني به الآخر ويقال ان فرعون هو أول من بنى له بالجص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الصرح ورأى بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال تركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن وكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهص (٣٦٣) وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البناء وكان منهم من اداج أو عرا تزع بيته أو وهبه لجيرانه اذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والخوص وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت أدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصر بيدي السقف وقال عمرو بن دينار اذا علا العبد بناؤه فوق سبعة أذرع نادى مناد يا أفسق الفاسقين وقدم سعيد بن المسيب من سفر فنظر الى سماء مشيد وقال لولا أن الناس يرون ما أرى ما نظرت اليه وقال الفضيل اني لأمقت من يبني داره ويكثر بناءها وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرقعون الطين ويصعدون الدين ويستعملون الاماني ويقطعون الايمان ويستحلون الحرام اذا أدبروا يصلون لغير الله واذا أقبلوا يصلون لفتنكم ويقومون على عيدانكم *(الباب الرابع أبنات

نعاس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صديق مرة فقال نعم تسع في الدنيا وهي في جنة لا آخرة ولا تطلب سعة الارض بالبنيان (ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام) حين توجهه اليه (الى صرغ) فلقيه (قدمي بعض أجنادكم) أي قال انه أكبر (وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان فرعون يعني قول فرعون هامان ودلى باهامان على اسم يعني به الآخر ويقال ان فرعون أول من بنى له بالجص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الصرح وهو أول صرح) بنى ذلك في الدنيا لأنه قال هذا من الصرح (ورأى بعض السلف مسجدا جامعا في بعض الامصار فقال تركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته) بعد سنين (مبنيا من رهص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن) ولا آخر (وكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن) قاله صاحب القوت (وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في الاحكام للبناء) واتقانه (وكان منهم من يداج أو يعرا تزع بيته أو وهبه لجيرانه اذا رجع أعاده) ومعنى ذلك انه (كانت بيوتهم من الحشيش) والقصب (والخوص) وهي عادة العرب (الآن ببلاد اليمن) كل ذلك في القوت (وكان ارتفاع بناء السقف) وسط الوقت وذلك حين يعتدل الضحى (قامة وبسطة قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (كنت اذا دخلت بيوت) أصحاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف) كذا في القوت (وقال عمرو بن دينار) المكي أبو محمد الأزدي الجهضمي مولاهم ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة (اذا أعلى العبد البنيان فوق سبعة أذرع نادى مناد) الهواء (الى أين يا أفسق الفاسقين) كذا في القوت (وقدم سعيد) بن المسيب (سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (من السفر الى بناء مشيد وقال لولا أن الناس يرون ما أرى ما نظرت اليه معي علامة) ولفظ القوت وقال بعضهم كنت أمشي مع سعيد في طريق فمر بي الى بناء مشيد بالجص فلم ينظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تكره من النظر اليه فقال اذا نظرت اليه كتب عليك به خطيئة لانه انما بناه لينظر اليه ولو كان لك من يمر به لا ينظر اليه ما عمله (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (اني لأمقت ممن يبني داره ويكثر بناءها) لينعم فيها الخليفة (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (يأتي قوم يرقعون الدين ويصعدون الدين ويستعملون الاماني) وهي خصل الروم (يصلون لفتنكم ويقومون على عيدانكم) وهذا من علامة الاخبار بما سيقع فيهم *(الرابع أبنات السعف) أي منه (وللزهد فيه أيضا دخل في علاج هذا العمل عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى وكان لا يعجبه الامشاط وكور وقد رأى انسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكور وهذا حكم كل آنات هذه الدنيا ولا آخرة ومالا يستغني عنه فيقتصر فيه على أقل القدر منه وهو الطرف في كل ما يكفي فيه الطرف) في آلات شرب الماء والطعن والغسل وغيرها (ولا يعدى الى ما يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به) وذلك في الزهد ولا تشاهم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من ابريق كذلك فانه من الجهل بالسنة

سيت) *وللزهد فيه أيضا دخل في علاج هذا العمل عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى وكان لا يعجبه الامشاط وكور وقد رأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكور وهذا حكم كل آنات هذه الدنيا ولا آخرة ومالا يستغني عنه فيقتصر فيه على أقل القدر منه وهو الطرف في كل ما يكفي فيه الطرف ولا يعدى الى ما يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به

وأوسطها أن يكون له أثاث قدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي يعد قصعة يأكل فيها ويشرب فيها
ويحفظ متاعه فيها وكان السلف يستحبون (٣١٤) استعمال آلة واحدة في أشياء للتحفظ وعلاها أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من

الجنس النازل الخسيس
كان زاده أبعد وفي عامة
الجنس خرج عن جميع
أبواب الزهد وركن إلى طيب
الفضول وغير إلى سيرة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيرة الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين فقد قالت
عائشة رضي الله عنها كان
متاع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لدى نام عليه
وسادة من أدم حشوها
ليف وروي أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو نائم على سرير
مرمول بشريط فجلس
فرأى أثر الشريط في جنبه
عليه السلام فدمعت عينا
عمر فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ما لدي أبكاك
يا ابن الخطاب قال ذكرت
كسرى وقيصر وما هما فيه
من الملك وذكرت أنت
حبيب الله وصفيه ورسوله
نائم على سرير مرمول بشريط
فقال صلى الله عليه وسلم أما
ترضى يا عمر أن تكون لهما
الدنيا ولنا الآخرة قال بلى
يا رسول الله قال فذلك
كذلك ودخل رجل على

(وأوسطها أن يكون له أثاث قدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد
كالذي يعد قصعة يأكل فيها (الطعام) ويشرب فيها (ويحفظ المتاع فيها) فهذه ثلاثة مقاصد
في آلة واحدة (وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتحفظ وعلاها أن يكون له بعدد كل
حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فإن زاد في العدد) بأن تعدد تحسينا أو ترفيها أو تقديرا
(أو) زاد (في جنسه الخاص) بأن استخدم خزفا لصب الماء أو نحوه بالنقوش فقد (خرج عن جميع
أبواب الزهد) وخرج أيضا (وركن إلى طيب الفضول وإلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة
الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان متاع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لدى نام عليه وسادة من أدم) أي جلد مدبوغ (حشوها ليف) الحديث قال العراقي رواه أبو داود
والترمذي وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجه انتهى قلت ورواه مسلم كلهم عن عائشة بلفظ كان وسادة
التي ينام عليها من أدم حشوها ليف وكذلك رواه أحمد (وقال بعضهم) أي من أصحابنا رحمه الله تعالى (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا عباءة مثنية وسادة من أدم حشوها ليف) قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث
حفصة نحوه وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (وروي أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير) من جريد (مرمول)
أي منسوج (بشريط من ليف) وهذا لفظ البخاري في بدء الخلق (فنظر فرأى أثر) الشريط (في جنبه) عليه السلام
(فدمعت عينا عمر) وهذا لفظ البخاري في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه الاعتزال
من سعيد مصيبي في رواية ليث ٧ وهو في بعض نسخ مسلم وغيره فقال لم أملك عيني فبكيت (فقال لي
صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب) وهذا لفظ البخاري (فقلت
(يا نبي الله كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك) وهذا لفظ البخاري (وذكرت أنك حبيب الله وصفوته ورسوله
وهذا قيصر) أي ملك الروم (وكسرى) أي ملك الفرس (في ما هما فيه من خفض العيش على ما أرى (ونائم على سرير مرمول ما شرير) فقال صلى الله
عليه وسلم (أما ترضى أن تكون لنا الآخرة) أي نعيمها (ولهم الدنيا) وفي لفظ البخاري (أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا قال) فإني
(إذن لا أسأل شيئا بعد ذلك كذلك) وفي لفظ قلت رضيت وفي لفظ آخر فدمعت أيضا عيناي حين رأيت أثر الحصير على جنبه
(يا رسول الله ما يشقيك) أي ما يحزنك (فوالله لئن كنت أعلم أن الغلظة والرهد مما يقربني إليك لأفعلن ولئن قلت لي إن
الدنيا قد وطئت لك وثنيت لك وطأتها لأعلمن أني أعلم منك بها وأنا أعلم أنك لا تريدها) وفي لفظ قلت ما يشقيك
(وروي أن رجلا دخل على عمر رضي الله عنه فرأى في بيته متاعا فقال ما أرى متاعا لا بد لك منه فقال إن متاعا لا بد لك منه
خير من الدار) وفي لفظ قلب عمره في بيته فقال ما أرى في بيتك متاعا ولا بد لك من متاع فقال إن متاع ما دمت فيه
فقال له ما فقال له لا بد لك من متاع ما دمت فيه فقال إن صاحب المنزل لا بد له منه (وقد روي عن حذيفة رضي الله عنه
أنه دخل على أبي الدرداء فرأى في بيته فرشا من جلد وصوف وعلى كساء صوف وعلى وسادة صوف وهو جشع وقد عرق
فقال لو شئت لكنت بين ممر ينعت بي أمير المؤمنين قال إنا لنزين أنفسنا للإخوان ونتجمل لهم ومن طريق
أبو نعيم عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء تصفح وجوه أصحابه فلم ير فيهم من يأتي على أنيته وفيهم من يأتي على
أنيته كهو فيما أصبح عداءهم فعرف ذلك فيهم فعاتبهم وقال ما لكم لا تجمعون والليل والنهار يجمع (وأما قدوم عمير
بن سعد) بن عبيد بن ثعلبة بن فهم بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي هكذا نسبه الواقدي وتبعه
ابن عساكر وكان يقال له سعد واحد قيل كان عمر يسميه بذلك لأنه نجا به نجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على حمص ثم عزله وكان من الزهاد روى عنه راشد بن سعد
وحبيب بن عبيد وسعيد بن عمير قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وقيل في

ذو فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا فلان ما أرى في بيتك متاعا لا بد لك منه فقال إن متاعا لا بد لي منه لوجع الله

صالح متاعا فقال له لا بد لك من متاع ما دمت فيه فقال إن صاحب المنزل لا بد له منه ولما قدم عمير بن سعد

خلافة معاوية وكان (أمير حمص) سمعه من عمر (عن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما) أي عن عمر وعن عمير (قال له ما منعك من الذي يقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها لحية ان بقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأعسل فيها أسي ونوى ومعي مطهرتي أحمل فيها شربي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الذي يقال معي فقال عمر صدقت رحمك الله) وزاد أبو نعيم في الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن المرزبان الادمي حدثنا محمد بن حكيم الرقي حدثنا عبد الملك بن هرون بن عنترة حدثني أبي عن جدي عن عمير بن سعد الانصاري قال فقده عمر بن الخطاب فجعل لا يراه على حمص فكتب حولا الا انا مختصره فقال عمر لكاتبه اكتب الى عمير فو الله ما أراه الا قد مات أو احتاج كتابي هذا فانظر واقبل فما جئت من شيء حتى تطرق كتابي هذا قال فاحدر عمير حربه فجعل فيها زاده وقصعته وعلق اداوته وأخذ عصاه ثم قفل شيئا من حمص حتى دخل المدينة قال فقدم وقد نحت لونه وأغبر وجهه وطال شعره فدخل على عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فقال عمر ما أنت الا عمير ما تراني من شيء أليست تراني صحيح البدن ظاهر الدم مع الله أحوجها قرهما قال وما منعك فيما منعك عمر به قد علمت قال فما قال معي جرابي أحمل فيه زادي وقصعتي آكل فيها وأعسل فيها أسي ونوى واداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي وعصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي قال الا تبيع ما عندك قال عمر فبعت شيئا قال عمر قال ما كان لك أحد يعيرك بالكذب فرجع الى حمص فلما قدم قال لهم عمر حين خرج من عندهم فقال عمير اتق الله يا عمر وقدم لنفسك فان ما تعلو وما تحتهم يصلون صلاة بعد صلاة فقال عمر بن هشام وأي شيء سمعت قال وهو قال لي يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله فقال عمير ما لولا انه حتى ان يعذبني بعثني حتى أتيت البلد فجمعت صلاة أهلها فوليتهم حدبة فيهم حتى دا حموه وقصعته مواضعه ولو بالا شيء لا تتقيه قال فما حدثك شيئا قال لا قال حدود والعهد عهد قال ان الله شيء لا عملت الا ولا لاحد قال ثم ساق الحديث نحو ما تقدم وفاته بعد شهود عمر حماية رومه وقد سلف ان عمر رحل عمير بن سعد أستعمله على أعمال الشام وولي عمر وهو ولي هذا (ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر دخل على فاطمة رضي الله عنها) وكانت من أول من يدخل عليها من أهله اذا قدم من سفر (فرأى على بابها سترا ولي يديها قلبين من فضة) منى فلا يعلم فيكون وهو أسود (فرجع) ولم يدخل (فدخل عليه أبو رافع) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقالت لامرأة رجع فقال أما أنه ما رده (فسألته أبو رافع فقال من أجل الستر والسوارين) فاحضر هدية فهتك الستر وقرت السوارين (فارسلت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد قبضت بهما فيهما حيث ترى فقال ذهب فبعه وادفعه الى أهل بيت صفة فباعه) بلال (بقلبين بدرهمين ونصف فتصدق بهما عليهم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم) ودفعها اليه (فقال لها أتحبين أن تسمعي ما قد أحبت) أثنى علي كذا في الحلية وقال في موضع آخر وظن صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها عقدا من حرز يمنى شيئا من ذهب وعلى باب بيتها ستر فلم يدخل فقال مالها ولدنيا فقرمتها الى أو أرسلتيه الى بعض الفقراء ورأى صلى الله عليه وسلم في يد الحسن والحسين رضي الله عنهما سوارين من فضة فدخل عليها فوجدها تبكي فقال ما يبكيك فأخبرته أنه من أجل السوارين فلم يتصدق بهما على أهل الصفة وقال لعلي بعهما الى فلان الصائغ فليقطعهما فيجعل من ثمنهما لفلانة كذا ولفلانة كذا فانهن أحوج الى هذا منا وأولى بنا أن نعطيهن ثمن حليتنا ولا يأكلنه ولا يلبسنه ولا يدخرنه لنا فقطعهما فجعل ثمنهما لفلانة كذا ولفلانة كذا فانهن أحوج الى هذا منا وأولى بنا أن نعطيهن ثمن حليتنا ولا يأكلنه ولا يلبسنه ولا يدخرنه لنا فقطعهما فجعل ثمنهما لفلانة كذا ولفلانة كذا فانهن أحوج الى هذا منا وأولى بنا أن نعطيهن ثمن حليتنا ولا يأكلنه ولا يلبسنه ولا يدخرنه لنا فقطعهما فجعل ثمنهما لفلانة كذا ولفلانة كذا فانهن أحوج الى هذا منا وأولى بنا أن نعطيهن ثمن حليتنا ولا يأكلنه ولا يلبسنه ولا يدخرنه لنا

أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له ما منعك من الذي يقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها لحية ان بقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأعسل فيها أسي ونوى ومعي مطهرتي أحمل فيها شربي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الذي يقال معي فقال عمر صدقت رحمك الله فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أجل الستر والسوارين فارسلت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد قبضت بهما فيهما حيث ترى فقال ذهب فبعه وادفعه الى أهل بيت صفة فباعه بلال بقلبين بدرهمين ونصف فتصدق بهما عليهم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال لها أتحبين أن تسمعي ما قد أحبت

٧ هنا بياض بالاصل

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... على ... فقراقهنكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا وسلى به الى آل فلان وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة فقال لها أصبحي فقالت يا رسول الله ما هي عباءتي ولكن هذا فراشك قال فأصبحي فإنه ليس بعباءتك فلما أصبحت قال ردي إلى عباءتي فإنه لا يمنعني النوم إلا هي وقال الحسن أدركت سبعين من الأنصار ما منهم أحد إلا وهو يخاف النفاق على نفسه وما منهم أحد إلا وهو يرجو الإيمان على نفسه وكان أحدهم إذا أراد النوم باشر الأرض بجسده وجعل ثوبه فوقه * (المهم الخامس المنكح) * وقد قال قائلون لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد جئت إلى سيد الزاهدين النساء فكيف تزهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وأصبح عشرة سرية وصحح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله وقال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والمرأة قد تكون شاغلا عن الله

(وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الاحوال كما سبق في كلام النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع شهوة تعلقه فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وبهذا يكشف آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فهو من الزهد فان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن ترك ذلك احتراز من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة ليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود ببقاء نسله وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم تكن هي المقصود والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه وكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا معناه سهل لاجله ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا من حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن ولا انفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من تجرد لذة الوقاع

(وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل) للسالك (في بعض الاحوال كما سبق) بيانه (في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة بمعالجة فهو واجب) حينئذ (فكيف يكون تركه من الزهد وبهذا تكشف آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فهو من الزهد فان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن ترك ذلك احتراز من لذة النظر (والمضاجعة) بها (والمواقعة) بها (ليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود ببقاء نسله وتكثير) سواد (أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات) لما في خبر تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم وتعده (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه وكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا معناه سهل لاجله ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا من حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن ولا انفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من تجرد لذة الوقاع

وانظر ولكن أني يتصور ذلك من غير الانبياء والاولياء كثير من يشغلهم كثرة النساء فيسعى أن يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة فمن أين لامرأة فيسكح واحدة غير حبيبه وابراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان الزهد في النساء أن تجتمع على المرأة الجميلة والشريفة

كيده في ماله في آخر حجة حجها قال يقول لي أردت الخروج الى جاور بارة وعمر ورمت الرمد وكنت عونا
في العمارة والبناء ثم تزوجت عليك ثلاثة أيام تعرضي لوجهي ثم تعيري والخامسة تخفة الصداق والسادسة
حدوهو سابعة سرعة ساعات وافق منها هذه الخصال فلا قدم ولا يتوقف ٧ وكانت امرأته زاهدة
وكانت تبكي منها بعد النساء قال قالت لي أهلي ما بعد النساء وقالت ورثت الزمانة قالت أعلن من هذه
قلت هو قالت نصف مالي لزوجها بأن يتزوج عليها فمن شاء من النساء فلا روح من الدنيا وهو يشتد
على نفسه وعلق قلبه به من الدنيا فلما قضت لها هي بعد عنكم ثم عرفا قال وقلت لها قد أذنت له
في تزوج أربعة من النساء فقلت ليس يفرض عليك أن تتزوج بأربعة وفرض عليك أن تعدل بين نسائك
(وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (أحب المريد المبتدي) في ارادته وسلوكه (أن لا يشتغل قلبه بثلاث
خصال) (والاعتزال) وقص مريده من سلوكه (لا يكتسب وحب الحديث ولا يتزوج) فقلت صحب قوت
أي قاله في هذه الخصال كونها الى الله وهو من قول أبي علي الدقاق تقدم فريد من تزوج أو سافر أو كتب
حديثا فقد ركن الى الدنيا (وقال) الجنيد أيضا (أحب للمريد) المبتدي (أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه)
قلت صاحب قوت أي عن الاشتغال بالقراءة والكتابة بشتت همه ويعرضه (قد ظهر ان لفظة ما كاح
كدة لا تكل شيأ شغل عن الله فهو يحذر ويجتنب عما يهم سادس ما يكون وصوله الى هذه الخصلة) من
هذه الخصال المذكورة (وهو المال والجاه) أما الجاه فعلاجه ما تقدم في قلوب طالب العلم فيه ما يوصل به الى الاستغناء
في الاعراض والاعتزال عن كل من لا يقدر على نفع منفعته في جميع حاجاته واحدة وافتقر الى من يخدمه افتقار
ضعفه لا افتقار الى قلب خادمه) ليوصل به من هذه خصاله (لانه ان لم تكن له عنده منزلة وقدر لم يقم بخدمته)
ان لم تعرض به أصلا (وخدم غيره والمحل في القلوب واحد) كما سبق ان ذلك في كتاب ذم الجاه
(وهذا له أول قريب ولكن يفادي) أي يحتر (به هو به لا عن بها) أي لا آخر (ومن حام حول الحمى يوشك ان
يقع فيه) كما في الخبر (و) هذا ان طلبه بالعبادات حرم قليله وكثيره وكان كطالب المال بالعلم يحرم قليله
لجاه منه (فما يحتاج اليه المحل في القلوب) لاحدى ثلاث (اما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو خلاص من
ظلم أما النفع فيعني عنه المال فان من يخدمه لاجرة تخدم وتسع من كان عنده للمستأجر قدر وما يحتاج
اليه في طلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو
يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان (فهو كالحش
من الخبث يريد غيره لانه لا يراد لذاته بل لدفع الاذى به لانه صفة الكمال (وقدر الحاجة منه لا ينضبط لا سيما اذا
انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان
لا يسعى لطلب المحل في القلوب) أصلا (فان سعاله بالدين والعبادة) من ذكر وسواه فتوعرة (يعهد
له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما
الوهمان والتقديران اللذان يحوجان الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة)
لا يقدران على ماله (ومن طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى في بعض الاحوال بعلاج ذلك بالاحتمال والصبر
وهو أولى من علاجه بطلب الجاه فان طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا ويسير منه داع الى الكثير
وصراوته أشد من صراوة الخمر) في عسر الامساك منه (فليحتقر من قليله وكثيره) وأما المال فهو ضروري

والاعتزال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقار الى خدمته لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له أول قريب ولكن يفادى به الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه وأما ما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو خلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدمه لاجرة يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب

في المعيشة أعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سعفه وقام هذا شرط الزهد فمن جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد صفة الزهد وأقويائهم حيث ما كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فاستغل منها مقدار ما يكفي ربعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد شرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه أويس القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد

وقولنا انه خرج من حد الزهد يعني به ان ما زاد عن الزاهدين في الدرجة الآخرة من المقامات المحمودة لا يدانيه والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر المفرد في جميع ذلك أخف من أمر العيال * وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرفق الرجل أهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل ما شاء ومعناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله ثم لا ينبغي أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال ويتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها فسد ستر وقد علم أن ذلك من الزينة لا من الحاجة فهذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل ان ادعى الحاجة فيه قائل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما يتسامح فيه مما دون ذلك من الشبهات قد يقترب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا فهو كمن قليل الصبر والسم يحطو شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن ستر الدينار ترك ما لا بد منه ورد بعضه الى ما هو ضرورة فهو لا محالة

في المعيشة أعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه) ثم يكتفي به (فينبغي أن يترك الكسب) في ذلك اليوم (كان بعضهم) أي من المكتسبين الزهديين (اذا اكتسب حبتين رفع سعفه وقام) والسفط محركة وعاء المتاع (هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد صفة الزهد وأقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة) مثل أرض يستغلها (ولم تكن له قوة يقين في التوكل فاستغل منها مقدار ما يكفي ربعه) وهو ما يفيض من غلال ضيعة (لسنة واحدة فلا يخرج بهذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد) لا من أقويائهم (فان شرط التوكل في الزهد) بناء لا يكمل الا به (كشرطه أويس القرني) رحمه الله تعالى فيما فهم من كلامه السابق ذكره (فلا يكون هذا من الزهاد) لفقد وصف التوكل فيه (وقولنا انه خرج عن حد الزهد يعني به ان ما زاد للزاهدين في الدرجة الآخرة من مقامات المحمودة لا يدانيه والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة) فاطلاق الزهد عليه مع هذا الاعتبار فقط وعلى الجملة فمن زهد ثواب مخصوص موعود عند الله فمتى ما مال منه شيئا أخذ من ذلك الثواب بقسطه (وأمر) المفرد (في جميع ذلك أخف من أمر العيال كما مر)

ما لاصحاب المال والعيال وان * يسعى البهن لغير بد مقدر

(وقد قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لا ينبغي أن يرفق الرجل أهله) أي يكلفهم (في الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل ما شاء ومعناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله) هذا ما فهم من كلامه (ثم لا ينبغي أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال ويتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها فسد ستر) كانت علقته في ناحية البيت (وقسمين) في يديها أو يدي الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريبا (لان ذلك من الزينة لا من الحاجة) وكذلك لما رأى بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعت قصعة من ادي رجاء بن حيوة ثريدا فاستقبلته عرض ولم يلتفت فقلت يا رسول الله ما رأيتك قط قمت عن زيد قط اعرض ما صرت لو جعلت من قصعة ثم لطخته بالزعفران وكان كله ذهب فامرها فعمل من لاحب الدينار لها واي يدخل فيها ما ظهر من قعرها لان الصفة والزعفران وان أشبهت الذهب في اللون فما هو مع في لونك لان له قيمة الذهب وقدره ولا وجود لذلك الا به في قدته وكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا فيستعمل الدينار فيما قرب ودنا ويبدل دقيقه بدانيه بسير دونه (فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل ان ادعى الحاجة فيه قائل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما يتسامح فيه مما دون ذلك من الشبهات قد يقترب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا فهو كمن قليل الصبر والسم يحطو شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن ستر الدينار ترك ما لا بد منه ورد بعضه الى ما هو ضرورة فهو لا محالة الحرم وهو من الفرقة الى حد الحاجة والمقتصر

ان يزاد دون ما يكون حراما فانه حينئذ حرام وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا كمن قليل الصبر وسم يحطو شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن ستر الدينار ترك ما لا بد منه ورد بعضه الى ما هو ضرورة فهو لا محالة الحرم وهو من الفرقة الى حد الحاجة والمقتصر

على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن يسأل عن مثل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما عرض له ما عرض ذهب إلى صديق له يستقرضه فلم يقرضه فرجع مهموما فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لأعطاك فقال ربي عرفت مقتك الدنيا فعلمت أن سؤالك مما بيدك فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال (٣٧٠) في الآخرة وهو في الدين أيضا كذلك بعرفهم بحقير أحوال الأعداء وما عليهم من المحنة في كسب المال وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته أن يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها وذلك شبيه بجامع الدنيا ومتبع الشهوات بدون الفقر لا يزال يتعب على نفسه حيا ثم يروم الخروج ولا يجد مخلصا فيموت ويهلك سائر عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده عما يشتهيه حتى تظاهر عليه السلاسل فيفقده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومرارة لا تصدقه وسائر حظوظ الدنيا فله حظ له قد أخذ منه فقصد الخروج من الدنيا بالفقر على ما ورد في تسمية السلاسل والأغلال لا يقدر على قطعها عنه (وورد تحبو ما من محابه باختياره كاد أن يعرف من الموت بعض جهاده وشدته) إن حرص على الدنيا ما أمكن فقد قتل نفسه وقد قيل اعدو عدوا فقتال الدنيا لا يقاله مهما قوي حرصه عليها وشدة عشقه لها فقتل غيره أعداء شهوته وقتل نفسه أعداء الله أن يحبوه ولاه وأطراحه لأحكام مولاه (فتبقى السلاسل في عنقه معلقة بالدنيا التي في يده وحليها) وزينتها (فهي) أي تلك السلاسل (تجذبه إلى الدنيا وتحاذب من الموت قد علقت طرف قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص بشر بهلاك أعز أولاده وأحبهم إليه وهو في الحال يباشر سكرات الموت فإن ذلك يشغله عن الالتفات إلى المحاذنة من الجانبين والذي يشعر بما يتركه يوم يموت ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره فيما يحبه ولم يتمكن أولا من صميم القلب بخصوصه لا بطريق السراية فيعظم عذابه بسبب ذلك ما يراه من حسرة فوت الوصول إلى علمه وجواره وقرب الله تعالى وعند ذلك تتسلط عليه مرارة حبهم الدنيا وغيرها من صفات المحبوب) ولهذا قال

على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن يسأل عن مثل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما عرض له ما عرض ذهب إلى صديق له يستقرضه فلم يقرضه فرجع مهموما فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لأعطاك فقال ربي عرفت مقتك الدنيا فعلمت أن سؤالك مما بيدك فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال (٣٧٠) في الآخرة وهو في الدين أيضا كذلك بعرفهم بحقير أحوال الأعداء وما عليهم من المحنة في كسب المال وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته أن يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها وذلك شبيه بجامع الدنيا ومتبع الشهوات بدون الفقر لا يزال يتعب على نفسه حيا ثم يروم الخروج ولا يجد مخلصا فيموت ويهلك سائر عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده عما يشتهيه حتى تظاهر عليه السلاسل فيفقده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومرارة لا تصدقه وسائر حظوظ الدنيا فله حظ له قد أخذ منه فقصد الخروج من الدنيا بالفقر على ما ورد في تسمية السلاسل والأغلال لا يقدر على قطعها عنه (وورد تحبو ما من محابه باختياره كاد أن يعرف من الموت بعض جهاده وشدته) إن حرص على الدنيا ما أمكن فقد قتل نفسه وقد قيل اعدو عدوا فقتال الدنيا لا يقاله مهما قوي حرصه عليها وشدة عشقه لها فقتل غيره أعداء شهوته وقتل نفسه أعداء الله أن يحبوه ولاه وأطراحه لأحكام مولاه (فتبقى السلاسل في عنقه معلقة بالدنيا التي في يده وحليها) وزينتها (فهي) أي تلك السلاسل (تجذبه إلى الدنيا وتحاذب من الموت قد علقت طرف قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص بشر بهلاك أعز أولاده وأحبهم إليه وهو في الحال يباشر سكرات الموت فإن ذلك يشغله عن الالتفات إلى المحاذنة من الجانبين والذي يشعر بما يتركه يوم يموت ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره فيما يحبه ولم يتمكن أولا من صميم القلب بخصوصه لا بطريق السراية فيعظم عذابه بسبب ذلك ما يراه من حسرة فوت الوصول إلى علمه وجواره وقرب الله تعالى وعند ذلك تتسلط عليه مرارة حبهم الدنيا وغيرها من صفات المحبوب) ولهذا قال

شدالعذاب بالعجاب (قال الله تعالى كلا انهم من ربهم يومئذ لمحجوبون) أى عن رؤيته ورحمته (ثم انهم لصالو الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) فلم يكف من عبر علاوة الدر وكيف اذا أصيب بالعلاوة فيه (ويكون أشد عقابا) (وسئل الله أن يقدر لى) وفى نسخة (فى أجمعنا) (ما سئل فى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أجبنا من أحدثت بعدك) (وفى معنى ما ذكرناه من قول الشاعر كذا وكذا تقربه عينا (٢٧١) وبهنئ عيشا وسطا ماهو ناجحه

وقد يكشف لاولياء الله تعالى ان بعضهم قال نفسه باعجاله واتباعه هوى نفسه اهلاك لدود لقر نفسه وصوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وفى الله آخر كانوا بالسلاء أشد فرحا منكم بالخصب ولرخاء ولو رأيتموهم فتم محابين ولو رأيتموهم اختياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأيتموهم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على قلبى من كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين أماتت حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أى تجاوز المنهى عنه مقصرا عما أمر به وبمثل معنى الهلاك هؤلاء يستحقون الاعراض من الحبيب ويستوجبون بقلة من القريب لان من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم (و) برئ القلوب منهم اذ (قال تعالى وأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فدل ذلك كله على الجهل وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام حتى متى نحن فى جهالة قال أخرج من جهالتك واحقى فقال لا أستطيع فصل على يا عيسى بحب يدخل نحتى الجنة فقال (شدة) على صاحب قلوب وتقدم قوله بحب يدخل الجنة قريبا (وقال بعضهم ما من يوم ندر شارقه) أى طلعت شمسه (الا وأربعة أملاك ينادون فى الآفاق بأربعة أصوات ملك بالمشرق وملك بالمغرب يقول أحدهما يا مسرور يا باغى الخير أقصر وأبشر وأقبل وأنت يا باغى الشر) أى طالبه (هلم) أى أقبل (وأنت يا باغى الشر) أى طالبه (قصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول الديان

العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام حتى متى نحن فى جهالة قال أخرج من جهالتك وحمقى فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بحب يدخل نحتى الجنة وقال شدة وقال بعضهم ما من يوم تدر شارقه الا وأربعة أملاك ينادون فى الآفاق بأربعة أصوات ملك بالمشرق وملك بالمغرب يقول أحدهما يا مسرور يا باغى الخير أقصر وأبشر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول الديان

بالغرب أحدهما والمغرب الثاني للحواسر يقولون لآخر كلوا وتمتعوا طويل الحساب) هكذا ذكره بالمعنى بعض أصحاب القوت وورد ذلك مرسلا من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس رواه البيهقي في الشعب ولفظه ما من يوم صعب شمسه إلا يقول من استطاع أن يعمل في خيرا فليعمله فإني غير مكرر عليكم أبدا وما من يوم إلا يبدي منادياه من السماء يقول أحدهما يا طالب الخير أبشر يا طالب الشر أقصر ويقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ورواه الديلمي عن عثمان من محمد المذكور عن سعيد بن مسيب عن ابن عباس مرفوعا وزاد بعد قوله أبدا وكذلك يقول الليل ورواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد ما من صباح الا وملكان يناديان يقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان وملكان بنداءان بالناس بحشرهم ويقول الآخر يا أشباه الرجال اقصروا ويقول أحدهما وبين الرجال من يدعو يقول الآخر ويل للمعرضين وصححه الحاكم وتعقب وروى البيهقي من حديث الزبير ما من صباح يتحدث العباد الا وصارخ يصرخ بأيها الناس الرحيل الرحيل فالمبادر يرتحل والمتوانى يلحقه والمغرب وروى الديلمي من حديث أبي هريرة إن الله تعالى ملكا ببابك من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجز غدا وملك آخر ببابك الآخر يقول اللهم اعط منفقا خلفا وعجل لممسك تلفا

(بيان علامات الزهد)

(اعلم) وفقك الله تعالى أولا الامتحان لكثير الصادقون ولا بد لكل مؤثر من مؤثر يدل عليه وكذلك لا بد لكل مقام من علامة تدل على صحته وإليه أشار المصنف بقوله (إنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال واظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكم من الرهابين من زهدوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا مال له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ومعارفهم به ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم فلا يبقى فيهم شيء إلا نظروا إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويحتقرون نفوسهم باتباع العلم وتهم على بسيطة وإن الأشياء دلالة بيهم وهم مرحوم مهاوين يتحدثون بفعله غيرهم هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجؤا إلى مضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فعلتهم فدعوهم حالا بهم ماثلون إلى الذي يمتعون للهوى فهذا كله كلام الخواص) ووجدت في كتاب شرف الفقراء وفضله لصاحب القوت وتقديم أن الخواص كان لا يأس أكثر من قعيقعان مئزرين وقميص ومئزر مخيط وربما يعصب الرأس بخيط على رأسه أو بحبل من وسطه ويعطي به رأسه وقد كان يجيء معاذ الرازي بصف الزاهدين من العارفين والمحققين بالحال المتحققين لاسم الزهد ومعناه في نعت من كلامه هي من أجل المعرفة وأدوائهم على مقام الزاهدين من المؤمنين وكان يقول في وصفهم الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر يريد الرجل وفي نصره مثل الصعلوك يرى الصعلوك الزاهد بعين الصغير لي وصيغتهن عشي عليه وقال الزهد في الدنيا يجيء به عن العامة وإذا عرف تحت عن الزهاد وقال داخل العارف بمعرفته مضطرب بالطمع في الطمع فيجيب ويعرف به ذلك وكذلك أصل داء آدم بالطمع في الشجرة وكان يقول لا يمكن العبد والزاهد أن يتم عن الخلق ويعرف مستورا كما به رجل من الناس وهو أفضل من تحمله

لا رس لا يعرفه الا هو ولا يصبر على معاشرته الا هو كذا ذكره كلام يحيى بن معاذ وسيأتي في كلامه بعد (وقد معرفة الزهد مشكل بل حال الزهد عنى الزهد مشكل وعندي أن يقول في باطنه على ثلاث علامات الاولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا) أي تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا) على النعمة (بما آتاكم) فرح بطر (بل ينبغي أن يكون) الزاهد ما عراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها (بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده) لانه ترك ما يحبه وقد حكى بعضهم هذا المعنى حد الزهد كما تقدم في أول السياق وهو في الحقيقة من عزائمه أو من علاماته (الثانية أن يستوي عنده دامه ومادحه) فلا يفرح اذ مدح بمدحه ولا يحزن اذا ذم بذمه وكان يونس بن ميسرة يذهب الى هذا ويقول ليس لزاهد في الدنيا تحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن أن يكون ذامه ومادحه سواء (فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه) لان معنى الحالة الثالثة يقرب وقد استوى عنده الذم والمدح لم يفتقر الى ملك فلوب (الثالثة أن يكون انسه بالله تعالى) لا بشيء من الاشياء (والغالب على قلبه حلاوة الطاعة) فان لا نس بالله والدنيا لا يجتمعان (اذ لا يخلو القلب عن حلاوة محبة احداهما محبة الدنيا ومحبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فاذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان) وقد كان عمر رضي الله عنه يقول اذ ذكر الدنيا والآخرة هما كالامرة قدحين فاملأ أحدهما ماء والآخر هواء والأمر يقرع أحدهما في الآخر يعني انك اذا امتلأت بالدنيا تفرقت من الآخرة واذا امتلأت بالآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك أمر فدع الآخرة أدركت شيئا فدع الدنيا وان كان لك أمر فدع الآخرة يكون لك الدنيا معها قال صاحب القوت وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح (وكل من أنس بالله تعالى استعمل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم في مادا تعني هم الزهد فقال في الانس بالله) والمراد بالبعض أبو محمد السمتي الموصلي في القوت قال مصري عيسى قلت لسمنون الموصلي ما تعهد في أي شيء أعني هم الزهد قال الى الانس بالله أي لو لم يكن وحشة الدنيا وخروج طمعة النفس بالهوى وقع الانس بالله ولا بعد الانس بالحبيب والوجد بالقريب غير زاهد (فالانس بالله وبالدنيا لا يجتمعان) وقال صاحب القوت فهذا الذي لا بد منه ويه تصور صحة الزهد ويعمل به على الراحة هو أن لا يفرح لنيل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شيء ولا يتناول عند الحاجة الا ما قل ولا يطلب شيئا فوق الحاجة وقد يرد الزهد حول عن الآخرة في قلب ثم وجود حلاوة العاملة لله ولا يدخل عن الآخرة في قلبه حتى يخرج هم الدنيا ولا يدخل حلاوة العاملة حتى يخرج حلاوة الهوى وكل من ترك المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع اليها ومن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها وكل من وجد حلاوة الطاعة وقوم يجد حلاوة المعرفة لم يدم عليها وكل من وجد حلاوة الزهد ولم يدم على حلاوة يقين لم يؤمن عليه التحول لتقلب القلوب وتصرفها بين الدنيا والمولى حين (وقد قال أهل المعرفة) في تنويع الايمان في القلب فجعلوه على مقامين وجعلوهما زهدين حيث قالوا (ان تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما) وكل منهما حرام (وان تعلق الايمان في سويداء القلب) أي باطنه (وباشره) أحب الآخرة وحدها وعمل لها و (أبغض الدنيا فلم يعمر اليها ولم يعمل لها) فهذا صاحب القوت (ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي) أي يحيط به (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (من شغل نفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل ربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين) وهذين المقامين دليل من السنة وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل أي الناس خير فقال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله قيل فأي المؤمن في خلق حسن وأشهد الآخر من الخبر الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه أتدرون من خير الناس قالوا مؤمن موسر من المال يعطي حق الله في يسره وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به خير الناس قيل فمن خير الناس قال رجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت وقد تقدم هذا (فالزهد لا بد أن يكون

(علامة الاولى) أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوي عنده دامه ومادحه فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة بحيث لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فاذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله استغنى به ولم يشتغل بغيره وبذلك قيل لبعضهم في ماذا تعني هم الزهد فقال في الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان وقد قال أهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا تعلق الايمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم يعمر بها ولم يعمل لها وبهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي وقال أبو سليمان من شغل نفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل ربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزهد لا بد أن

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه الاول أن يشعر عند ما يشعر عند وجود ذلك بتساوي عنده وجود ذلك وعدمه (والوجود والعدم) وعند مقامه الثاني هذا الآخر ويكون بعد زهده الذي يكون من حقيقة الايمان ثم تستوي لاشياء عنده ويستوي عدمها ووجودها وعنده يكون استواء الجوع والشبع والعدم لاستواء ذلك عنده في الشهادة وقد روى من حديث الحسن أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف استوى قال يستوي عندي المدح والذم فهذا يكون لسقوط قدر الناس وذهاب رؤيته الخلق فعندها يسقط رياؤه وزينته وتمت الاخلاص وأركانها (ولا يستدل بمن كان لا مال له على قدر زهده أصلا) وقد روى عن السلف أنهم قالوا لا يكون الرجل زاهدا وله مال فلا يعلم ذلك الا بمن كان له مال فصبر وإذا أنعم عليه شكر قال ابن أبي الحواري قلت لابي سليمان الداراني وغيره وكان يسمع الحديث ٢٢٠ (قلت لابي سليمان) الداراني رحمه الله (أكان داود) بن نصير (الطائي) أبو سليمان (زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فعاش فيها عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو عيال عليها حتى أتى عليها ثم بلغ أنه ورث بعد ذلك ثلاثين ألف

اعرض عنهم وقال محمد بن الحسن الصوفي واجمع عندي ما وجدني عنه هذه العلامات فخرج الينا في الاخر والاولى فان لم يوجد ذلك وعم وجود الاصل والخروج في ذلك الحال فلا يضره اقتناء المال في يده حتى يجد موضعه ويدل أن تفقد هذا قول وجدت علامات فيها لكفاية بعمرانه لعل أن تتبع سيرته نعم لأن يكون متنوعا تخلف من متقدمي العبرة فيتركهم في اوقات بسيرة لا يعلمهم السلام وفهم ذلك (وقال) أبو بكر (يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة الزهد اسقاط الوجود) وفي صورة الزهد يورث صحة ذلك وحب تورث اسقاط الروح عنه الا القشيري وزاد الا كلفة عليه في بذل الوجود وان خلى وتحب يسهل عليه بذل روحه وتسقط عنه مؤنة بقائه (وقال) أبو عبد الله محمد (بن خفيف) الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير وهو من الطريقة البكرية (علامة الزهد وجود الراحة في خروج من ملك) له القشيري وزاد عليه فقد وجود من لا شوق له في حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف بصرفه (وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس) أي انصرافها (عن الدنيا بلا تكلف) وفي نسخة صحيحة بلا بصعر قدره او ما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتزهد فانه يتكلف للاعراض عنها فقوله لا تكلف شيء من الزهد والمتزهد ثم ان هذا قول الذي عرفه بصفة لاس تعريف قدره اه القشيري لعمري وهذا بعطاء بعد ان ذكر قوله الاول وقال أيضا الزهد سلوا القلب عن الاسباب وعض لا بدي من الاملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف لعل في ساق المصنف سقطا فتامل (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (التصوف) أي نسبه (علم من اعلام الزهد ولا يسمى الزاهد (أن يلبس صوفا ثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم) قاله القشيري أي رغبته في صوف خمسة دراهم أكثر من ذلك لي أن الزهد في الثياب ليس بمقصود لذاته بل لكل الخشن وان كان ذلك علامة له لان الزهد حالة في القلب وهو من أعمال القلوب وفي القوت قال أحمد بن أبي الحواري لبست عباءة بثلاثة دراهم فكان هذا يكون آخر الزهد حتى تموه أولا ما تغير أحدهم بلبس عباءة بدرهمين وفي حلية الأولياء لبسوة خمسة دراهم وقال لو سمع زهد أويس من كان أحمد في (وقال أحمد بن حنبل وسفيان) الثوري وعيسى بن يونس وغيرهم (علامة الزهد ظهور قصر الامل) قال القشيري وهذا بدي قالوه يحمل على تعمل الشروب الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له انتهى أي عرفا فان العبد متى أقصر أمله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا وقلت رغبته فيها وفترت همته عن تحصيلها وقد جاء في الخبر كفى بذكر الموت مرهدا وقدم في أول الباب ان شدة الحذر للزهد والصحة من العلامات (وقال السري) السقطي رحمه الله تعالى (من علامات الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) أي بغيرها من الشهوات لان شغله بنفسه انما هو باعراضه عن محبوبها لله وبه فاذا عدل عنها الى غيرها فقد شغل عنها وعن اعراضه عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد في شيء من ذلك وبقي عليه شيء لم يزهد فيه لم يكمل زهده ولذلك لما سئل الجنيد عمن لم يبق عنده من الدنيا الا التيم بعض سواك قال مكانك عدما في عليه درهم أشار به الى ان من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات (ولا طيب عيش الا عرف اذا اشتغل بنفسه) عن مولاه لان شغله بنفسه هو بولاه عن سواه نقله القشيري (وقال) القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت (منصور بادي يقول) وهو أبو منصور عمار بن محمد شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وذا النون المصري وبرتعش وكان اماما محدثا وصنف مكة سنة ٣٦٧ (زهد عن الدنيا وعرف) بالله (عزيب في الآخرة) اي لان أكثر اعمال لها عما يعمله ملوك حوى من عمارات وزخرفة الثواب بخلاف عرف ربه بمعرفة حقل ثقته وعصمته وتحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يرث لعمل أصلا وهذا عزيب قال في الآخرة (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة الزهد ثلاث) احداها (عمل لا يعده) أي عصمته تعالى لا لعلة من عمل لا يرى الخوف لعشاق

وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد اسقاط الوجود وفي نسخة صحيحة من علامة الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال أبو سليمان التصوف علم من أعلام الزهد فلا يشتهي أن يلبس صوفا الا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله علامة الزهد قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الا زهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال منصور بادي الزاهد عزيب في الدنيا والعارف عزيب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلا علانية

ورجه الله تعالى لا آخرة فكمال زهده في الخلوص لله تعالى ولا آخرة أن يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره (و) الثالثة (قول لا طمع) أي عاجل ولا آجل فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله (و) الرابعة (عزلة) بأن يكون عزيزا على أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيسقط عن الأمور الخمسة التي تزري بقدره فلا يكون عزلة الا بهذه الخمسة كما قاله القشيري وبعضه وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال قد ذكرها ولا يخفى أن المراد بحقيقته نهاية عالية لا يبلغها الا قليل ولا يكون حد جميع الزهاد ولذلك عبر بعضهم بعبارة العلامة (وقال أيضا) أي يحيى (الزهد في الدنيا) لكون قليلها يستلزم الاثم وان الله يسأل عنه وكثيرها آفاتها بحيث لا تحد كثر كلامه في بيان آفتها كما مر (يسهل) بعلامتها (الخلق والجدل) من حيث انه أولى من كلامه وبه يتأكد عليك ما أنت فيه ويصغر قدرك (والعارف) بالله لكونه الذي قد تمكن معرفة ربه بصفاته وجلاله وتولى تعالى بعلمه وافضاله على خلقه بحيث لا تحد كثرة كلامه في بيان دلائله كله (يشغله البحث والتعبير) من حيث انه يرى نفسه في بين مقاماته وشرح صدره لذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا بلفظ القوت بشرح عبد المالك والتعبير (وقال له) أي يحيى ابن معاذ (رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين) وفي بعض نسخ الرسالة وسئل أيضا متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين (فقال اذا صرت) أي وصلت (من رياضتك لنفسك في السراء حدا لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فاما مام تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا أمن عليك أن تفتضح) وقال أيضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم وجهها ويتف شعرها ويحرق ثوبها والعارف يشغله بالله تعالى ولا يلتفت بها وقال السري ما رأيت كل شئ من أمر الزهد قلت منه ما أريد الا الزهد في الناس فاني لم أطعمهم ولم أطقه وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى

وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال أيضا الزاهد لله يسهل الخلق والجدل والعارف يشغله البحث والتعبير وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السراء حدا لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فاما مام تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا أمن عليك أن تفتضح وقال أيضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم وجهها ويتف شعرها ويحرق ثوبها والعارف يشغله بالله تعالى ولا يلتفت بها وقال السري ما رأيت كل شئ من أمر الزهد قلت منه ما أريد الا الزهد في الناس فاني لم أطعمهم ولم أطقه وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى

(فصل) الورع لا يوصل بزهادة بعد زهد في الدنيا وهو دوام زهد في نيل ما يمكنه أن يرغب عنه بعد تعذر زهده وعوضه من الرغبة عنه بدلا منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهد في الدنيا وورعة فيما وعد الله وخيفة من الله لبغيه وحسبوا قصة محمد الله بن أبي حسان أم تسمع إلى حسان بن أبي سنان وكان من خيار التابعين إذ قال ما رأيت شيئا أيسر من الورع على قيل وكيف وصف بأنه من أشد الأعمال فقال إذا رأيتني أمر تركته إلى ما هو أحب إلي مما هو منه تحبة الله به هو عليه الورع

(فصل) قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله ولا يحل مروءته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والتواضع أحب إليه من الشرف والذل أحب إليه من العز وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء فهذا هو تفسير حقيقة زهد في الدنيا وهو سبعون كلمة زهد في الدنيا ثلاث الأحوال فرض الفقر هو من أحبائه الله فقير وكان صديقا كان صديقا لا في نفسه متواضعا نفسه لا يكره مدح ولا ذم استوى عنده وأخرجا الخلق عنده فهذا هو وجود اليقين الذي عنده علامة أن يكره الذم ويحب المدح وأما وهب بن منبه فقد جعل زهد في ستة أشياء بعقل فقال لا يستكمل العبد عقل حتى تكون فيه هذه الخصال يكون الفقر أحب إليه من الغنى والذل أحب إليه من العز والتواضع أحب إليه من الشرف فهذا عقل لله أن يتهم عقله ورأيه وهو عقل هدايته الآخرة الموت تعرده الآخرة لا يعمل لدنياه على الدين المرتد بالمكروه على الحق قوته مشاهدة الحق من اليقين وضعف هذا المعقول بأحد الأمور هو أنقص من الفضول فدل ذلك أن من عقل هذه الثلاث من حقيقة الإيمان وذروته ولعمري كل إيمان وإعلاء هو لكمال عقل وهذا هو عقل مكان الإيمان ما له كامل له مكان ناقص فاد حقق الإيمان وعمل زهد في تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته

(فصل) قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى ما فضل الله أحدا بشيء أعطاهم من العقل وما زهد في الدنيا مع علم والصبر عليه فعل العلم بالله مع الصبر على أذاه وهو علم يقين الكاشف عن اليقين المتجلي به وصف لوحدانية وجعل سبب ذلك الزهد زهد في يقين لأنه وجه الزهد هو عنه وبذلك فسروا الزهد باليقين

(فصل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك رواه الترمذي وقال غريب ضعيف من حديث أبي ذر ورواه البيهقي في زهده كذلك ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء وروى الديلمي من حديث ابن عباس الزهد في زهدي هذا في التدبير والتهم ويقين على الناس زمان الزهد في الناس أضع فيهم من الزهد في الدنانير والدراهم وروى أيضا من حديث أبي هريرة الزهد أن تحب ما يحب الله وأن تبغض ما يبغض الله وأن تخرج من حلال الدنيا كما تخرج من حرامها فإن حلالها حساب وحرامها عذاب وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك وأن تخرج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تخرج من الحرام وأن تخرج من كثرة الأكل كما تخرج من بيت قد استشهد فيه وأن تخرج من حطام الدنيا وزينتها كما تخرج من نار وقصر أملك من الدنيا فهذا هو زهد في الدنيا فهذه الأحاديث الأربعة جامعة لحقائق الزهد

(فصل) قال سهل التستري رحمه الله تعالى الصديقون في الدنيا هم ظلوا الدنيا من الله معهم فلم تمكنهم من أخذها هم عرضها عليهم فمتعوا منها فأخذ الأنبياء موضع العصمة الله معهم فلم تمكنهم فلم يأخذوا فهو فاعلم أن معهم ومكنهم عنده رفضها عليهم لأنهم قد صحوا للأحد أحد من ما آثارهم وهم أنهم كانوا من ذلك بحسبين فلما ذاقوا حلاوة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا وزن ولا في قلوبهم قدر فاعرضوا عنها لما عرضها عليهم بحسن ظنهم به

(فصل) كان عوف بن عبد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال ان من كان قبلكم كانوا يجعلون لسباهم ما فضل عن آخرتهم وانتم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم أي لو تعذر كفاية الآخرة في قلوبهم وعلة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنها ويعلمون ان ما يقدمون من دارها يجعلون الى دار هي بها يقينون أحس ما يبادرون ويقدمون للدار الخيبة والبقاء الموبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود وجوده ما يقتنون اذ دارهم أمامهم وحبيبهم عندهم لانهم خلقوا للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم لانه متاع في الحال ويلاع الى وقت وحين وهذا علامة حسن يقين وهو يقين الزهد الذي صار راهبانه راهدين لا يقين الايمان الذي صار به المسلمون مؤمنين في اشتراك الصحبة والولاء

(فصل) أصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لو قوي يقينه نظر بنوره الى الآجل فعلم ان في نظره العاجل فرهده فيه رغب وأحب لحاضره ما هو عود عليه وأبقى وأنفع له وأولاه أرضى وقدم ما يفنى وينقطع الى ما يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة العيون لان الحاضر لا يحب ما عاب وانتقل ألم تسمع الى وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام في قوله لا أحب الآفلين بعد قوله ليكون من الموقنين فالموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم وليس يشهد الوعد والوعيد والعقل انما يشهد ويرى اليقين

(فصل) الزهد يكون تعبديا ان كان الشيء موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح زهد مع تقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغبياء وان لم يكن الشيء موجودا وكان لعدمه هو الحال فالزهد فيه ترك ما لم يحل وعدمه كعدم وهذا هو فقر وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح الامن وجود الابتلاء فمتى قدر عليه فصبر عنه فجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب ذلك زهد فيه ما أن يريد أن يرهد فيه أو يهم بتركه أو يعزم على فعله ليس ذلك زهدا فيه بل ثبات وارداد من غير حقيقة فمن أخرج من يده الشيء هو عاد نفسه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن لم يمسك الشيء أو طهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فذلك تأميل ومتى يدخل في باب ان خيرا فسارعة الى الخيرات ولا المسارعة بالقربات بالسعي لها والمدافعة فيه ولا مقام في هذا فمن لم يتسع الارادة بالسعي والمعاملة ولا مقام في الزهد لمن لم يرد فالارادة مراح الزهد وفيه لان الامساك علامة الرغبة وضد الزهادة فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة فالامساك للشيء انما هو مظهر لرغبة النفس فيه وذلك ضد وصفي اما أن لا يعرف الزهد ولا يعرف متى شهوة النفس وليس تميز ما بين معدن حسن ضده بوصفها هذا ان لم يوقف على ابراهيم ولم يكتف على وحدة لاحل حتى الرغبة فيهم وخروج الشيء عن يد المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه والممسك للشيء لمتعلط بامساكه الذي هو منه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وكذلك كل من أمل شيأ وادخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرجه من يده وقلبه استصغار له وتوقه صامته

(فصل) قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يفتنه معه النفس ولم يتماسكه ويسكن اليه بل كان موقوفا على حراسة الله تعالى التي هي يده من الحكم الله فيه وجعله ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله تعالى بعدمه ويكون كأنه غيره من أخوانه وسبيل من سبل الله وقد يصح زهد مع الوجود ان دون العارف من المريدين اذا أمسك الشيء لاوقات حاجة واضطر به الى آخرته أو يكفه نفسه عن الرغبة والطامع ويقمع به طبعه عن شره واضطرابه ويكون سبب انقطاع تشرف وحسم النفس من التطلع والتكالف وقد يكون هذا المقام للخواص من العلماء بهذه السنن زائدا على مقامات من الزهد للمريدين قال عبد الرحمن بن مهدي خرج محمد بن يوسف الاصبهاني الى مكة ومعه مائة دينار وليس معه الا كساء أدمت ومأرأيت مثله وكذلك يحيى بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري وابن

قدم عند الخليل ابن هداله و سمه يجتمع اليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال صبرو حتى أبيع دقاق
تركته من البصرة وأتفرغ لكم للمسائل وكان يتجر فيجعل ثلث الاهله وعياله وثلثا لاخوانه الفقراء وثلثا
يرده في تجارته وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف فلم يكن ذلك يقطعهم عما هم عليه وكان مزيدا في
حالهم وطريقا لهم الى مقاماتهم من الزهد وهو وصف الاقوياء من الزهاد

(فصل) حاصل الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم
الوجود على الاستصغار له والاحتقار والتقالل فبهذا يتم الزهد ثم يبقى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا
في زهده لرغبته في مزهد موبهذا يكمل الزهد وهذا لبه وحقيقته وهو أعز الاحوال في مقامات اليقين وهو
الزهد في النفس لا النفس لاهل الزهد ولا الرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهدة صديقين وزهد المقربين
عند وجد عين اليقين ودون هذا مقامات الخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه
وهو زهد المؤمنين ولورع من الزهد كان الزهد من الايمان و بقضاء باب من الزهد والرضا باليسير من
الاشياء حال من الزهد والتقلل في الاشياء مفتاح الزهد

(فصل)* قال بعض السلف في أهل بعض بالله أن يسمو الحكمة و يوعد الامر الزاهدين في الدنيا
وقالوا ليس أهل الدنيا الذلك أهلا ولا يأبى بهم وبعمله رجاء بن حيوة عام الشام باعدانه كان يجلس الى رجل
زاهد بيت المقدس فيستمع اليه فذهب يوما في مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس و رفعهم وهو يحسب انه
فيهم فلما أكثر الكلام شمع في مجلس وهو مؤدب بيت المقدس لا بأس به فانكر رجله صوته فقال من هذا
المتكلم فقال الشمع ارحمك الله فقال سكت عافاك الله فانه بلغنا أن تسمع الزهد الامن أهله وقال نحوه
سليمان بن عبد الملك بن عمر بن الخطاب وذلك انه حين بلغه ان رجاء بن حيوة اراد ان يكلمه بعظه ردا بردا فلما كان في يوم الجمعة خرج في
ردين فخطب فلما قال في وعظه الا سمعوا فقام سعيد بن هبيرة فقال والله لا نسمع قال ولم قال لانك كسوتنا ردا بردا
وخرجت علينا في حلة فقال رحمك الله اني علمت فوالله لم يكن لي غيرها ستعرف هذا وهو رد عبد الله بن عمر
فقال من الآن حتى نسمع وقد أتوا عبد الله أحمد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ما هو قال
هو الاخلاص قال فالاخلاص قال هو زهد قيل له ما علامة الزهد فقال علامته أن يكتسب فقال سألوا الزهاد
سألوا الشبرا وقال أبو طالب الزراد دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث كنت قد صحبت لهم كان
الزهد الذي جمعه لا قرأ لهم عليه فعرش بساط الدار حصير جديد وبزل البساط عن عرقه فجاء وأخذ
الاصل بيده أصفقه ثم قال يا أصحاب الزهد لا يقرأ الا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعد
على التراب

(فصل) روى ان عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في نفسه الا أخبرني به فقام
شاب في المجلس فقال يا أمير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال ما هما رحمك الله قال تديل بين البردين وتجمع بين
الادمين قال فما دال بين البردين ولا جمع بين الادمين حتى في الله عز وجل هكذا يروى تديل بالدال المعجمة وله
معنيان أشهرهما أي تجمع بين ديل فرس وديل فرس ديل البرد الاعلى مع ديل البرد الاسفل لطوله وعرضه
ويجوز ان معنى تديل تصنع فرسين معا أي تتركهما موصوفين بذلك ولا يبعد أن يكون بالدال المهملة والمعنى
تبدل برد ابرد دولة هذا ودولة هذا وأراد أن يكون له واحد لا بديل له ما آخر

(فصل) تقدم قول الاحنف بن قيس ما كذبت كذبة الا مرة واحدة قصة وهي انه وفد مع قومه من
البصرة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فلما أردنا دخول المدينة رعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس
كل واحد ثوبين جديدين أو عمليين أو قال أبيضين قال وفعلت مثل ذلك ثم دخلنا أطراف المدينة نريد
الدخول على عمر فجعل أهل المدينة يرفعون ثيابا بصرهم و يعرضون وجعلوا يلطمون ثيابا وتنوأ بصرهم عما
يسمعهم يقولون ثياب دنيا قال فعلمت ان القوم ليسوا أمثالنا فلما دهم أهل الآخرة فعطفت رأس راحلتي

وبرعت ثوبي وردد ثم ما إلى بعينه ثم أخرجت ما كنت خبأته من ثياب سفري وبدتي فلبسته ثم دخلت على عمر قال فجعل الناس يتسألون أعينهم من أصحاب محمد يعرفون أن من بينهم كنهم بعد وفي قال فلما نظر إليهم عمر وكان أول يوم رأته فيه دار جل عينه فحق مرفوع وعلى كفه درة فجعل يطاس بها أحدكم الناس حتى جلس بينه قال ثم لحظني بعينه فقال هذا نعم فأدناني وقربني من بينهم وقال من أنت لله درك أو قال أبوك فقلت أنا الأحنف بن قيس التميمي فقال أنت سيد قومك قال واحمد هبتي فقام وتكأ على يدي فجعل يسألني عن الطريق وعن الركاب وكيف كانت بها وأنا أخبره وأصف له حالها ومواضع مياهها حتى عرفت الثوب خلوجا فقلت له وذكر أول الخبر الذي تقدم ذكره

(فصل) وروينا في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام لما وصف الزهد لبني إسرائيل قام إليه رجل منهم فقال يا نبي الله أمنهم قال لست أدري إن تعديت تجد ما تتعشى قال نعم قال اجلس فجلست منهم ثم قام إليه آخر فقال يا نبي الله أمنهم قال لست أدري إن تعديت تجد ما تتعشى قال لا بل ذلك ما تتبع قال فجلست منهم ثم قام إليه آخر فقال يا نبي الله أمنهم قال لست أدري إن تعديت تجد ما تتعشى قال فقال ذلك ما تتبع قال لا بل ذلك من يقرصك قال نعم قال اجلس فجلست منهم ثم قام آخر فقال أمنهم فقال له مثل ذلك إلى أن قال فأنا من يقرصك قال لا ولا أملك من الدنيا إلا هذه الخرقة من الصوف وقد آثرني بها هذا الرجل وأشار إلى رجل من بين يديه قال فاحملني عليها وأنا عريان وأنا جائع فلم يزل به حتى حمله على ظهره وانطلق به فلما رآه موسى عليه السلام من بعيد علم أن الزهد من الزهد هو حقيقته وهو زهد أولي العزم من الزهد وهذه الحال من عزائم الأمور وتفصيل مقاماته أن الزاهد في حال حضوره مع الله تعالى هو في المقام الأول هو أن لا يجد في قلبه مقدما مما سوى الله في حوزه وعلى ظهره وهذا هو أول المقام الأول الذي قال له موسى ست منهم يعني من أولي العزم من الزهد إذ لم يكن حاله حال غربة الزهد لأجل وجد الفوض إليه الله وهو أول ما يعرض من الفوض فقام له مقام المعلوم من المقدور والقسم الثاني من المقام في الزهد هو زهد الفوض الذي هو فوض عن الناس وهذا حال ثانية * والمقام الثالث هو أن يقوم الاعراض والاعواض وليس هو حقيقة مقام الأحوال التي تقوم مقام الاعواض وهو الذي يستعرض به المعرض وهو أيضا مما يعرف لأجل معرفته اقتراض هذا يحجبه عن حقيقة الفقر ويقعده عن عزائم الزهد فقس موسى عليه السلام وجود الحاجة له عن سواه هي دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذي وصف الله به أولياءه في قوله تعالى حتى إذا استأيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين فجعل الأول ثم قال وظنوا أنهم قد كذبوا فجعل الثاني ثم قال وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه فجعل الثالث فسقوط الاعواض بعد فقد الاعراض وعدم الحاجة الذي هو وصف الاستغراض فلم يبق له سبيل على الأعواض ولا معرفة من حيث ولا سبب يبقيه ولا يبقى بينه وبين الله ما يمكن فيه ولا حال يستقل به ولا معنى يستند إليه بحيث قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية ثم تاب عليهم ليتوبوا أي عطف عليهم ليعطفوا عليه ويطأ إليهم ليبصروا إليه وهذا وصف حال الذي قال له موسى عليه السلام أمنهم أي هل تحقق بالفقر وبلغ غاية الأمر فيه بحيث لا يسأل أحدا من الله سبحانه شيئا من مال ولا معنى متعلق من حال وهو الحاجة والمسألة الذي يقوم مقام الاعراض ويتسبب إلى الاسباب فهذا وصف فقير قد تعرى عن كل غريب الدار في وطنه غريب الوحدة في مسكنه غريب العزم من همته غريب الحال من أمته غريب في غربته غريب في تغربه غريب بتغربه لا يعرفه أحد حتى متوحد بأنسه عن أنسه قد طمست نفسه في رسمه وشغل بومه عن غده وأنسه فهذا من وحش الحال في داره وأنسه مروره قد قنعت عينه بقراره وحرمن إيلافه وقراره وصغر وحشه من قراره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيث بلاده وروح عباده ومن خالص وداده قد زهد في زهده وعدم وجوده بوجده وغيب نفسه عن جهده وتقبر وحده بوحده وكذلك

روينا ان داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة كأنه تشوق اليها فأوحى الله اليه أنت لا تدلك من سعد ولبد ومن عرفني لم يسكن الى سعد ولبد والله الموفق

(فصل) قال صاحب القوت حدثني عبد الكريم بن أحمد حدثني جعفر بن محمد حدثنا الخواص عبد الله بن أحمد بن حدثني سعدون بن سهل بن عبد الرحمن المدني عن المغيرة بن قيس عن شهر بن حوشب عن أبي امامة قال أتباعي أهل ماء في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسود مولى لهم مات بالامس ليس له ثوب يكفنونه وما عندهم ما يحسن عمله فقطع له لا يدرون كيف يكفنونه فحملوه عليهم من بعد صهوراً قد ذروح وبرد القوم حفرهم وتحرجوا كراهية حواره فكان أول من نزل عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى حتى رجل عليه فحملوه فوضعوه في قبره ثم تركهم أيه فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام عن قبرهم عليه وهم فيه فاستخرجت عذباه سقياً وأمر علياً وأبا امامة فغسلاه وكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ردائه ثم صلى عليه ثم صلى الصحابة على قبره على وأبو امامة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ما رأيتم يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا حمله كانت فيه سعة ووجهه كالشمس الصائحة فعند ذلك قال رسول الله قال ان كان لاتاه الشتاء ادخر حلة ان يلبسه واذا حمي الصيف ادخر حلة أن يلبسها فسئلنا عن ذلك فقال من قال ما أول ما يتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار لحدث وقد تقدم مرارا مختصرا بعضه وهو من أول ما يتم النبي الى آخر ما سيأتي قول المصنف في بعد هذا بقليل

(فصل) الزهد في الشيء مسبوق بمعرفته وبمن زهد فيه وكل من زهد فيه فهو الى المحبوب وكل كمال محبوب فسبيق عليه وقد كان الوصول الى الزهد أعز شيء ولذلك صار وجه الله محجوبا عن أكثر الخلق لا يصل اليهم كل انسان الا من يوصل ويوصل على قدر تصديق المحبوب

(فصل) في بيان كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد وتعريفه وقد تقدم بعضه وذكر الآن ما وعد به قال حبك الدنيا يحب لاء وحبك الآخرة حب عطاء ومن رضي باختيار الله دام فرحه لان العارف من أحب الآخرة لمحبة الله والله أعلم عن الله فيه لا يهمه شيء ومادام محاف من وقوع الدنيا عليه فانه لم يصل بعد وقد قيل لبعض العارفين ما الزهد فقال يجد ثمار الزاهد بأحاديث في فضل الفقر والصبر ويحيى بن معاذ الى وجهه كالمتعجب فلما قام قال لو لم يعرف ما كان في هذه الاحاديث لتهافت أكثرهم من أمر دكانه لا يصبرون على الفقر فهنا لم يقدم القوم عند الله بمقروء ولكن بالعلم ومعرفته قيل له وما علامة العارف قال الذي لا يرى لله تعالى عليه حق لم يسر به عمل الخير رجاء ثوابه ولم يعمل السيئ خوف عقابه فهو مستريح القلب من الهموم والغموم وحسبه أن يعرف ربه وقال أبو سعيد الخراز سألت بعض الصوفية عن الزهد فقال جهل أتى هو الشغل بالله عن الدنيا والآخرة معا وقال طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها فوق الزاهد أي من رأى لنفسه على الدنيا شيئا أو تعبد منه والكمة كل كمال أي كل أحد عدم توفيق نفسه هواه في الزهد فلا سبيل له اليه الا بترك حظ من دنياه حلال لعبد ويتصل معه بأحوال الاحرار ولا يوجد صدق العبودية الا في منازل المحبة والمعرفة وقال في تفسير قول عيسى عليه السلام من عبد الله بالأيم عند أتقياء يعني زهاد والاحرار أقوياء يعني العارفين وقال خص بمعاني المعرفة اليه من حيث هو أبرز لعبده في كل حسبما تدفع اليه عما الا فوام العقل عليه فان لها مع عباده وبكفايته مع الزهد والصبرة مع الهم والحزن التمتع المعرفة وحكي عن شقيق البلخي أنه أتى حرب بن الحصري وأبو حامد فقال الاحدث حرب ان جعلت لك الله ما أنت صانع بهما قال كنت أرضي بهما أحتمل بهما ثم تلحقني بعد يوم القيامة قال لا بل أحصريه ما كنت صانعا بهما أنت قال كنت أجعلهما كلا لقمة واضعها في فم مؤمن فاستريح منها قال لا بل أحملك فما كنت تصنع بهما أنت قال كنت أجعلهما بطلان الآخرة فاحوز ثواب ذلك قال يحيى اما أن حربا قد نقشه لسان العصمة وترجمته

درجة ثنتين وثمانين خصه به وقد قيل ان محمدا ودرجته درجة المشتاقين وما أبعد هذه الطبقة عن الشفقة ودرجة درجة الزاهدين قيل ليحيى بن معاذ بلغنا ما كنت تصنعه فما قال وما حكم العبد في مال سيده انتظر متى يصرفه فيه فهو أعرف بالتدبير وكان يقول الزاهد عيشه اليوم واحد والعارف أسقط لامل أصلا لان حبه بيد غيره وقال من صدق في الترك عدق في الاخذ يعني الدنيا وقال الصوف لباس العجم ما رأيته على أحد استرخ عقله وقال مرور بعض من الزاهدين أكثر من مرور زاهدين من الزاهدين وكان يقول الدنيا كلها لا تعدل عندي ما احتاج نفسي منها بكم مقدار ما تركت منها يعني للذان تصنعه على طبق وتقول ما صنعت شيأ لانه لو عرف قدر الزهد من المعرفة لم يذكر الزهد وقال نرى الزاهد داخل في الزهد حتى يضع باع شيأ كله من الخوف من الدنيا لا يشتغل حتى اذا فرى نفسه ورأى الامر كما شاء وجوده بغير اسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان باع من كتب ومتاع وقال الزهد كله عصن من أعصان شجرة المعرفة وقال انما يتركون ويخرجون بفرح ويأخذون ويفرحون لفرح غيرهم تركوا وأخذوا وخرجوا وفرحوا اذا كان فرحه موجودا لهم في الحالين قيل له هو يفرح فان نعم أنس في الخرقة أفرح أو به عنده من رجل أصل المعرفة الحديث وقال زاهد ركنت تجب من ترك الخلق في جنب ما العارف أحد صاحبي شغلت الجنة عن حلقها وكل حالة تضعرم في سبيل الله الا كسرها عليك لوصول ليكون لك ربك لا لغيره قال صاحب القوت وجملة الامر ان يحيى بن معاذ لم يكن يتكلم لسان زهد ولم يكن عمله صنع المريدين ولا مسالكهم لانه لم يكن من علمه الطريق وقد هلك عشر طريق ولهم مواقام المعرفة وتطلعوا على العارف حتى فاتهم بذلك مقام زهد ولم يدركوا حال العارفين وولى الاشياء بالعقل مراعاته هو وحاصل ومعرفته بقدر حاله وأعماله نفسه في مر حالاته وقال في موضع آخر وأما طريق يحيى بن معاذ وبعض العارفين في سلب الدنيا فان من يريد ان الله لم يصر ما ملك بعد أن لا يعرف نفسه فيه كما لا يشهده له بل يجده في حرانه الله التي هي يده وعليه ويكون موقوفا فيها الى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه وحراسته في وقته الى أهله فهذا مستودع تؤدى الامانة فيه ووكيل مستعلف يطيع الموكل به فمقام هذا من التوحيد وشهادته يعني ان يقف بريد على مقامات زاهدين وهذا وصف الصفوة الاعلين وكان يقول لا تأمن مكره ولا تعترض الطرار لا يكون قد تركت الزهد والعبادة فتمسك بالله قد وصلت الى درجة الحب والمعرفة فتصير في القيامة عاريا منها كلها الا في منازل العارفين صبرت ولا تصل زهد ولا عبادة أدركت هذا مع قوله ناصح الزهد خروج صاحبه من نفسه ثم يردهن وهذا أتم مقام المعرفة فرد وهذا عليه وقال مرة اذا زهد ترك شهوات وهذا عرف عاد زهد ليكون وحده فصل من تركه وقال ناصح زهده لم يخلص من الدنيا مشتهياته واذا خطفه فلو خطفه تعلقت عليه لان قلبه قد وقع عليه قال وكذلك اذا عرف لم يخلص من الآخرة شيأ نفسه فان وقع قلبه على شيء منها جعل له كأنه يقول اذا صح تركه للدنيا والآخرة لاجل الله فانه يردهما عليه ذائقة تعالى لا يعاملهما شيأ وكان يقول الزهد يورث استحقاره بالنفس من الآخرة وحب الله يشغل عن الدارين جميعا وقال ترك الدنيا مهر الآخرة وصلت خير من الدنيا فلا تبعها بها ومن علامة المعرفة بها بيع الدنيا كلها في جنبها وتبين له ما غاية الزهد فقال ان لا يحب من الدنيا ما يلومه حفظه

* (فصل) * الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويدع الجوع والفقر فيكون هذا زهد الزاهد من الآخرة على هذه النقص حرمان نصيبه من الدنيا وحبابته عن التوسع فيها ويكون لزهد سببه فيكون ما صرف عنه وصنعه من الدنيا بما نعي والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختياره من الله تعالى وبحيطة نظره واعلى الحالات لا يمنع التوسع وراءه وقول ان زهد في الدنيا لم ينقص من رزقي شيأ قد نفع في مقام التوسع والاستكثار لا في مقام آكل رزقي وآخذ نصيبي هي من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال وخوف على من لا يعرف زهد ويعرفه من لا يعرف طريق زاهدين وعلله من تأكل الدنيا

بالدين فسمى الاحتجاج له سمسم وابو الاعتزاز عند الجاهلين زهدا تشبيها لومهم اياه فكان ذلك منه اختيار عن الزهد لزهده في الزهد وقرعينه في الزعيم ولا يعلم المغرور بدار الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الذي يتخذ قسمه من العطاء فحكمهما بعد واحد بعض ويوصف الزعيم والحرص لا يسارعان ويتعاصمان أبعاد كل رزقه ويتخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للطالبين كما يرزق الحلال للمتقين وانما يبهما سوء اقتضاء الاعداء وحسن توفيق والاختيار الاولياء فقد حرم الله ذلك رزقه من الزهد ويحس نصيبه الاوفر من حب البقر ونقص حظه الافضل من الآخرة اذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف عنه وما صرف اليه سببا لنقصان مرتبته من طريق الزاهدين وانه قد اختبر ما لديه وبما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع في نفسه ولم يغط للابتلاء وصدرت مشاهدته هذه عن وجوده فحجبه الله عن علوم العارفين ولم يستدرج لعلم هذا وعدل به عن علوم الخاصة ومشاهدة الورعين الزاهدين هذا اذا كان صادقا في مشاهدته تلك وان كان كاذبا في دعواه فهو من أولياء الشيطان ومن المغرور ومن العاملين قد ذكرته وعدل عن علوم المؤمنين وقد قال بعض العارفين من كتم ما عنده من آفات نفسه عوقب بأن يدعيه بمرأة لم يبلغها بعون الله من الاعتراف بالاظهار وسأله التوفيق لمشاهدة علم تحقيق

(فصل) الزهد في الدنيا على ثلاثة أحوال رجل قد علمها موجودة ومفقودة ورجل قد علمته موجودة ومفقودة ورجل قد علمه مفقودة وعلمته موجودة فصيره ان من الناس من يهر هواه وملك نفسه وشهوته وهو قادر عليها وهي موجودة له فذلك أحرى أن يعف عنه فيما تعدى الله ويزهد عنه وهذا مقام الصديقين والذي قد علمته نفسه وهواه الهوى وأمانته شهوات موجودة اذا قدر عليها وهي مفقودة له بالاهتمام بها واذكرها والخوض فيها والارادة لها فهذا ساقط لا قدم له ولا وصف وهذا حال الجاهدين وتعب العاملين والذي قد علمته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة فاذا عدل ذلك عنه علما في عدمه وفقدها عنه فقد وهذا حال المجاهدين وطريق السائرين وتعب المريدين وهذه هي معاد أصل العبد الى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد الى درجة يستغني فيها عن الدنيا فقال هذا لا يكون لاحد في الدنيا أحد وانما وقع التفاضل من الناس على القليل والكثير وازهدهم فيها أقلهم حظا منها كما لا يسلم من الذنب أحد ولكن أفضلهم أقلهم ذنبا وكان رحمه الله يقول في بعض ما يوصاكم ويوصاكم به ما يوصاكم أن يكون الدرهم أول شيء تتركونه من الدنيا وما أمركم أن يكون الدرهم آخر شيء تتركونه منها فقيل له لم ذلك قال لان الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على نفس وترك الدرهم من قبل ازالة الشهوة عن النفس بالسياسة فحط ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع في بلاء حتى ذكر انك تحس السياسة هذه الشهوة عن نفسك فهب عنك حب الدرهم ماتت أم أبيت ضر ورة فاذا كانت على حبك له الشهوة والشهوة فيك فهب الدرهم يتم أمره بسياسة فهذا قلت اجعل الدرهم آخر شيء تتركه بعد الفراغ من الناس واعلم أن امساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به وكان يقول راحة الابدان في زهد القلوب ومشقة الابدان في حرص القلوب وقال طلبت الدنيا فلم تخرج وطلبت العلوم فلم تخرج وطلبت العلم ولم تخرج ودخلت في زهد واستوحشت استقامة فاستوحشت وكان يقول ما دامت شهوة النفس معلقة بك فهي لك ما وتسوسها سياسة حيث يريد صاحبها لا حيث تريدها واذا ذهبت الشهوة فالدنيا معطية بيدها حيث تريد وقال بعض أهل المعرفة ان الله لا يرضى لمن عرفه أن يعلق شيئا دونه فان فعل ذلك عمه الله ولوعه من ذلك حتى يرجع اليه وقيل لان من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء وفيه قال الشاعر

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في ✽ وصلي مشيت بلا شك على الماء

وقال يحيى بن معاذ أول الآخرة ثلاثة تابع وزاهد وصديق فالتابع لمن عرف الطريق الحلال الطلق على

سبيل و لسنة الرسول عن جماح رغبته في ... فصول من حطام الدنيا و اهدها الزائل الفاني ومعه شهوته فان أصاب نعيم الدنيا من غير كد ... كل و تكلف و اتباع صبر ورضى و تعبد في هو و جد فيه نعيم لا يريده لزوال لشهوة اما ... قال أبو سليمان بن داود من استحكم عرفانه قل هو له فعله وقد قال أبو سليمان لاحمد بن أبي الحواري فقال دخلت لبعض أنجاس سقني ماء فناولني شربة فقال لي أبو سليمان رأيت من زهدي بدأ يستحكم و يقول اسقني ماء وكان يحيى بن معاذ يدخل العلم والعبادة في الزهد يجعل الثلاثة كالشيء الواحد لا يفرق بعضه لبعض فقال الزهد و عبادة هم ... ل الأوب ... الزهد و الجد عبادة و ... هم لا يتم أوب بغير أحد الثلاث كذا لا يلتحم أمر الآخرة لا بالثلاثة وكان يحيى بن معاذ يقول ان وصل فرح فان تعلل استأنس فان ... قال تمرن على الوصول و لاتصال بحسن الاتصال أعلى و أقرب فقال اضرب لكم مثلا رجل سار مسيرة يقاوده ... كل يوم فصلي إليه حتى ادا دام على ذلك وصل ثم يصلي عبادة الله ... فقربه إليه و ... حتى يجيء به الله و ... فان مرض أو تعب لم يقطع السير ولم يفرح في الوصول ولا يأس في الاتصال و لا انقطاع كل مقام أنت فيه و لوصول كان مقام يحبس عن مقدر حركته عنهما

(فصل) قال أبو بكر الدقاق رحمه الله كون الانسان صديقا زاهدا ... العمل لا يصح إلا بعد وهو أن يعطي كل واحد حقه على الاسم و يقدره على الاشياء ما هو ... كون زاهدا في ذلك حتى لا يعمل عملا لغير الله تعالى أن يقوم مقام ... ة وكشف ... النعيم عن ... عريا لا يعرف ... غير لا يوصف وقد ... ما كما يجب و لعلم و ... فصل ... و ... حتى شرح كتاب الصبر والزهد ولا حول ولا قوة الا بالله على العظيم و الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تحرر ذلك على يد ... وفقه الله ... الحسيني ... عفى عنه ... ع ... من ... ١٣٠٠ وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم استغفرا

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله نصير)

الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه ... ومن عمل صالحا أدخله ... ومن ... استقر وزهد في ... ما أراده ... أحدهما على ... حسابه ... ويرزقه ... ويكون موحدا لله ... ومن ... أبواب العبيد ... ومن ... من رجاه دون ... وضع ... ومن ... خاص له موحدا ... ولا إله ... واحدا مجتهدا ... وأشهد أن لا إله إلا الله إلها ألهم الصواب ... وأحل له ولي عليه ثواب ... وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ... وصفيه وخليله ... بدى به الخلق ... وأرسله رحمة للخلق ... واختصه بفضائل كراماته ... واصطفاه لإكرام رسالاته ... وأوضح به أشراط الهدى ... وخلاله عن نصيب العمى ... صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ... معدن العلوم والأسرار ... وعلى صحابته الأماثل الأخيار ... وعلى كل أتباع من تابعيهم بإحسان ... ما تعاقب روض نسيم ... ولا يزهر وجه وسيم ... وسلم تسليما كثيرا كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب التوحيد والتوكل)

وهو الخامس من المجلد الرابع من الثلاثين من كتب الإحياء للإمام الرباني ... والغوث الصمداني ... حجة الإسلام أبي حامد ... الموحد للمعبود محمد بن محمد بن محمد الغزالي روى الله ثراه ... وأجزل من العلوم ذخره ... بعد ما ... من الهوى ... وإشوق لاحتساب الأجر ... عذر حمد المتقي ... فقد ضمنا أم معنى الفوائد الرحمة ... روى ... وهام ... ورفع قلب كل ... ذكره ... وذكرى في ... ما ... ورده على سبيل الصحة وقد أعرضت فيه عن التطويل اختصارا ... واقتصرت على ما ... ورده اقتصارا ... ترا في الحديث ... لا رعمة في ... ضعيف ... عن ... صوتا ... صحيحا ... وصله بين ... ل ... غير ... وكم له من ... ثبات تلقى ... وحكم ... بين ... ولا تلقى ... وما ... ثبت تقرب إلى ... ربي ... والله تعالى أسأله الإعانة ... والإمداد ... والهداية إلى سبل

همتهم عن الالتفات الى ماعداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعتمدوا الا اياه ولم يعبدوا الا اياه فهو الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يستغني عندهم الورى ولا بهم ما من دابة الا الى الله ناصيتها فما اتخذوا له لرزق عباده ما من دابة كفيل توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد صفوة الاله المرسل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات اليقين بل هو من أعلى درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ولوجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير أن نرى شيئا أثر في وجه العقل والاعتماد في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد

السماء بلا عمد ولي كل احسان ومنتهى كل امتنان * قال مصنفه رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) المعين كل موحد متوكل ذي حسب سليم (الحمد لله مدبر الملك) وهو علم بشهادة من محسوسات الطبيعة (والملكوت) وهو علم لغيب لمخض أرواح الموسوس (المتفرد بالعزة) وهي العصمة لأنها صفة على كنة الظاهر والباطن (والجبروت) وهو علم لمحض عوالم الغيوب الالهية (المرفع للسماء بغير عمد) عظيم قدرته (المقدر فيها أرزاق العباد) وأقواتهم الحسية والمعنوية بتيسير ذلك الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (الذي صرف أعين ذوي القلوب والالباب) المشاهدين بأنوار الغيوب حقائق الامور (عن ملاحظة الوسائط والاسباب) الجلية والخفية (الى مسبب الأسباب) وأصل السبب ما يتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير لكل شئ يتوصل به الى أمر من الامور وقد يراد به هذا وهذا أيضا على هذا (ورفع هممهم عن الالتفات الى ماعداه و) عن (الاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه) كل ذلك لكمال توحيدهم وصريح توكلهم كما يبينه المصنف بقوله (علما) منهم يقينا (بانه) تعالى (لواحد) ولا يصح عليه الشركة ولا التكثر ولا يشبه شيئا بوجه من الوجوه (الفرد) ولا يحد له نظير ولا ضد (الصمد) الذي يصمد اليه في الامور ويعتمد عليه (الاله) حق وتقدس عن الاشباه (وتحققا) منهم (بان) جميع (أصناف الخلق) أحرارها وأسودها (عباد أمثالهم لا يغني) أي لا يرغب (عندهم الورى) كما أخبر به عباده في كتابه وهو الحق في آيتين الاولى قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والثانية قوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه (وما من دابة) من دواب الوجود (الا الى الله ناصيتها) أي انه آخذها وقادرها بما شاء تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) ويعلم مستقرها ومستودعها (فلم تحققوا انه الرزاق عنده ما من) أي من عباده (ما عطاؤه لهم) وله كفيل بحيا تهم جميع حياتهم (توكلوا عليه) في سائر الامور ولم تخشوا أحدا سواه كما قال تعالى في حق هؤلاء (فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء (والصلاة على سيد (المجد قاطع) نجيب (الاماطين) أي ماطين الحق وازالة الباطل وهو كل مايصد الخلق (الهادي) أي المرشد (الى سواء السبيل) وهو سبيل التوحيد والتوكل (وعلى آله) وصحبه (وسلم تسليما كثيرا) وفي بعض النسخ وعلى آله وأصحابه دون قوله وسلم تسليما كثيرا وفي كل الذكورة من أول الخطبة الى آخرها براعة الاستهلال لما الاحق على الممارس المتأمل في تضاعيف هذا الكتاب (أما بعد فان التوكل منزل) شريف (من منازل الدين ومقام) شريف (من مقامات الموقنين) وهو لسالك من مقامات اليقين على السبق الذي ورده صاحب القوت (بل هو من أعلى درجات المقربين) ولعل القوت من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين (وهو في نفسه غامض من حيث العلم) وتعموضه مختلف أقوال المشايخ في حده (ثم هو شاق من حيث العمل) به (ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها) بعد ملاحظتها (شرك في التوحيد) عند أهله (والتناول) وفي نسخة التساهل (عنها) أي عن الاسباب (بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع) فان سنن الامورات شرعية مبناها على الاسباب (والاعتماد على الاسباب من غير أن نرى شيئا أثر بالتعبير في وجه العقل) فان العاقل كيف يعتمد على شئ وهو لا يرى به (والاعتماد في غمرة الجهل) والغمرة معظم الماء (وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في عباده العموض) أي الخفاء (والعسر) أي الشدة (ولا يقوى على كشف هذا الغطاء) أي رفع هذا الحجاب (مع شدة خفاء الامر فيه العسر) أي الجهد (بعد الاطلاع) (الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بنور الحق فأبصروا وتحققوا ثم اطلقوا بالاعتراف) أي

لاصهر ولا فصح (عما شاهدوه) بصيرتهم (من حيث استطاقوا) أي طلبوا البيانه (ونحن الآن نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة) والتوطئة (ثم نردفه بالتوحيد في الشعار الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشعار الثاني) منه بعون الله تعالى وحسن توفيقه

(بيان فضيلة التوكل)

ولو احقه التفويض والتسليم ثقة ورضا (أما من الآيات) فقرآية (فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) مع شرطه قد أوجبه على سائر المؤمنين لان الايمان يوجب على المؤمن مدلوله ومدلولات الايمان هي اثنتان عبر عنهما بحسب الاحتمالات في لاحظ عن زيد انه قائم بالامر عوّل عليه واعتمد على كفايته لان الله مع كونه قائما بالامر انه حكيم في علمه وأفعاله فيما يقدم ويؤخر وفيما يرفع ويخفض سلم الامر اليه واستسلم لحكمه لان التفويض معناه ترك الخيار بعد الحسم واختيار الله له والاستسلام هو القبول بعد الرد عند ما لم الخيرة لله في حكمه على الامر والنهي وملازمة حدودها في حدوده بلا احد مع دلائل كمال صدقه ووعده ووثق به لان الثقة عبارة عن تصديق ومعناه الربط على القلب وعدم الانصدام على ما حواه من تصديقات هائلة داعي هذا مكمله لجميع المقامات والاحوال ولهذا قال ابو اسمعيل الهروي الثقة سواد عين التوكل وقطبة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم والاحد بعد ذلك الوحي مال اليه بوجهه وانصرف اليه مكبا ون الاحد اسمي الجامع لنعوت الوهيته هو المعبر عنه بقولك الله حسبي الدهش والتحير فهكذا ينبغي ان يفهم ملاحظة مدلولات الايمان وقال صاحب القوت وقد أمر الله بالتوكل وقرنه بالايمان ليدل ذلك ان ما يثبت اسم التوكل على الوكيل هو من الايمان بالمؤمن لانه عن حقيقة الايمان وهو اليقين وشاهدة التوكل وهذا الحسب لحسب وهو التوكل فاما بالتوكل فلا وجه لاختيار عن محبته للمتوكل عليه فقال تعالى فل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فجمع شرائط التوكل للايمان بعد الامر به في قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وفي قوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم المتوكل كلام يخرج خصوص المؤمنين من شرط وجود الاسلام وكل مؤمن حقا فمسلم لا محالة كذلك كل مسلم صدقا يكون على الله متوكلا فقد صار التوكل من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عبد الشيطان الذين صرح لهم بالكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب بالهون والسكينة ونعتهم بالسلامة وخوف وذكرهم بالسجود والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر الآيات (وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فرفع المتوكلين الى حيث لم يرتفع منه أحد من خلقه (وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه عن سواه (وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين) فجعل التوكل حسبه وألزم عليه محبته (فاعظم مقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومصون بكفاية الله تعالى ملازمه من) كان (الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه) فهو شاد ومعاد بملازمة أعلى مقاماته (فقد) تباهى من كان هذا الوصف في حسن المرعى و (فاز بنور العظيم) الابدي المقيم (وان المحبوب) المراعى (لا يعذب) بنار الفراق (ولا يبعد) عن حضرة الوصال (ولا يحجب) عن المشاهدة (و) هذا الذي (كفاه في هذه الدار المهمات ووفاه بتفويض أموره اليه السبئات كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده) مع قوله وأفوض أمري الى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا (وطالب بكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فانه سؤال في معرض استخفاف بالحق كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) قال أبو يعقوب السوسي أول التوكل المعرفة بالوكيل وانه عز وحكيم يعلم لغيره ويسمع بحكمته فيصير العبد غيره ويرضى بحكمه ويستسلم لحكمته كذلك يخرج عن نفسه وبه المتوكلين عليه اه (قال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عز وحكيم أي عز لا يذل من استجاره به ولا يضيع من لاذ بحماه

عما شاهدوه من حيث استطاقوا ونحن الآن نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشعار الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشعار الثاني

(بيان فضيلة التوكل)

(أما من الآيات) فقد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومصون بكفاية الله تعالى ملازمه من كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى أليس الله بكاف عبده فطالب بالكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فانه سؤال في معرض استخفاف بالحق كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال عز وجل ومن يتوكل على الله فان الله عز وحكيم أي عز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بحماه

والتجأ الى دعائه وحمايته وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره) وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من حكمته وعجيب عن التعلم من خلقه (و) لم أيقن المتوكل أن بيد الوكيل ملكوت كل شيء وانه يجير ولا يجار عليه وانه السميع البصير ويقلب القلوب والابصار في تقليب الليل والنهار فمن ثم كان من أوثق ما يدعو عباده من لجأ اليه واعتزهم ودهب الى ربه فهذا وحي سواء أعماه أم سمع ما (قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وقال تعالى فتى ذاهب الى ربي سيهدين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له (بين ان كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) فطلب الرزق من حيث عبادته فكان المعبود هو الرزاق (و) اذ شهد بعدم ربه قائما بالقسط والتدبير وما لا غير يعبد ولقد تردد عبده حزائن كل شيء غائب الرسوم في نور شهادة الواحد القيوم ثم شهد توكيل الله تعالى له على نواصي الممالك والمواكب بالاسباب ورأى عبده خزائن السموات والارض ارتقى في الاسباب الى المعبر بالوجه كما (قال تعالى ولله خزائن السموات والارض) فعدت خزائن الارض من الايدي والقلوب والاسباب وخزائن السماء من الاقدار والاحكام والابواب وعدت الخزائن الاسم بثبات في ملكوت القصة وعزة القدرة فخزائن السموات ما حكمه من الاقسام والارزاق ومن خزائن الارض ما رسمه من الاعلام والارفاق ثم قال تعالى (ولكن المنافقين لا يفقهون) ودلك لقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وشهدوا ان الحق سبحانه فنعوهم من الاعطاء فرد الحق شهادتهم وأسف الخزائن والعطاء عنه وعنهم معطلة لعفة عنه (وقال تعالى) ثم استوى على العرش (يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) وعبر بذلك من الآيات وهي كثيرة (وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار * (وأما الاخبار) * فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم في الموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي رضيت أمتك قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة) بن محصن الاسدي رضي الله عنه (وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة) هكذا رواه القشيري في الرسالة وقال بعد ما رواه ان مسلما رواه وعلى شرطهما وقد اتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس انه قيل رواه الشيخان من طريق حصين بن عبد الرحمن عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس بلفظ عرضت علي الامم فرأيت نبيا ومعه الرهط ونبيا ومعه الرجل والرجلان ونبيا ليس معه أحد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قبل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ثم ذكر قول عكاشة وقوله صلى الله عليه وسلم أنت منهم لي آخره ورواه كذلك أحمد وأما بقية حديث ابن مسعود عرضت علي الانبياء بأممها فجعل نبي يمر ومعه الثلاثة ونبي ومعه العصابة ونبي ومعه النفر ونبي وليس معه أحد حتى عرض علي موسى معه كبكبة من بني اسرائيل فاعجبوني فقلت من هؤلاء فقيل هذا أخوك موسى ومعه بنو اسرائيل قلت فاين أمتي قيل انظر عن يمينك فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه

رجل فقيل لي أرضيت فقلت رضيت رب رضيت رب فقيل لي مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فدى لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الذين هم أهل الفضل فافعلوا فإن قصرتم فكونوا من أهل الفضل فإن قصرتم فكونوا من أهل الآفاق فقد رأيت أناسا يتهارشون كثيرا أي أرجو أن يكون من يتبعني من أهل الخمسة أي لأرجو أن تكونوا سبعين أهل الجنة فقام عكاشة فقال ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني من السبعين فقام آخر فقال ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال قد سبقك بها عكاشة فقيل من هؤلاء السبعون الذين قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون رواه هكذا عبد الرزاق وأحمد والطبراني والحاكم وعند الطبراني وعمر بن شبة من طريق ناجع مولى ست شجاع عن أم قيس بنت محصن قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابني حتى أتيه الفتح وقال يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقام رجل فقال ادع الله أن يجعلهم منهم قال نعم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وأم قيس هذه أخت عكاشة محصنة طال عمرها والطبراني في الكبير مختصرا وأم قيس أقرب هذه المقبرة يبعث منها سبعون ألفا يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يعني الفتح وقد روى الديلمي حديث ابن مسعود محصنا بعث الله من هذه المقبرة ومن هذا الحرم سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين فاسودوهم كالقمر ليلة البدر (وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله) بأن تفوضوا قلوبكم إليه وتعتمدوا عليه في كل أموركم وتثقوا به في كل ما ينوبكم (لرزقكم كما يرزق الطير) بضم الياء الفوقية على صيغة المجهول زاد في رواية في جو السماء (تغدو خماصا) جمع خميص أي ضامرة البطون من الجوع (وتروح) أي ترجع (بطانا) جمع بطان أي ممتلئة البطون وعلل بالطيران لأن كلا منهما يجتمع فيه الإقدام والتوكل وذكر هذا مع ما أخبر به من أن الرزق في التوكل على الله لا في الحيل والعلاج فيه إشعار بأن الطير في رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وقد تقدم أنه قلت ورواه أيضا ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وأحمد والبزار وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي وابن السني وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبي (وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله عز وجل) بأن كان عفيفا عليما بالأسباب لا كأسباب (كفاه الله تعالى كل مؤنة) أي مشقة (ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها) قال العراقي رواه بهذا اللفظ البيهقي في شعب من رواية الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع منه ورواه إبراهيم ابن الأشعث بكماله دينه أبو حاتم انتهى قلت رواه كذلك الحكيم في النوادر وابن أبي حاتم والخطيب وآخرون لا شعث عندهم أبو حاتم كما نبه عليه خير فقد صححه مثل هذا الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أعبد الناس فليكن على ما عند الله أوثق منه على ما في يده) قال العراقي رواه الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف انتهى قلت رواه الحاكم والبيهقي من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ورواه كذلك عبد بن حميد واسحق بن راهويه وابن أبي الدنيا في التوكل وأبو يعلى والطبراني وصححه الحاكم كلهم من طريق هشام بن زياد أبي المقدام عن محمد الباقر علي عن ابن عباس قال البيهقي في الزهد تفرد بإسناد هذا الحديث هشام (وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه) كان (إذا أصاب أهله خصاصة) أي فقر وحاجة (قال قوموا إلى الصلاة) كان (يقول بهذا أمرني ربي عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن جحادة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله ضيف أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن جحادة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ذكر له رواية عن أبيه عن جده فيعد سماعه من أبي جده انتهى قلت وهذا القطعة رواها أبو عبيد في المصنف وسعيد بن منصور وابن المنذر وصححه الحاكم

وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أتقى الناس فليكن على ما عند الله أوثق منه على ما في يديه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية

والبيهقي في الشعب وقد صحح البيهقي اسناده وكأنه أثبت سماع معمر من أبي حمزة ورواه مقطعا في مواضع معمر عن أبيه وأما لفظ المصنف فرواه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله الصلاة الصلاة وقال وكانت الأنبياء اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة الآية (وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل على الله من استرقى واكتوى) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم في المستدرك وابن ماجه والطبراني والبيهقي في الدعوات الكبير والصغير من حديث المغيرة بن شعبة وقال الترمذي من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل وقال ابن السني ما توكل من اكتوى أو استرقى اهـ قلت ورواه أحمد والحاكم والبيهقي بلفظ من اكتوى أو استرقى ورواه الطبراني والبيهقي الا أنه قال أو (وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد مر به الى النار وهو منجنيق ألك حاجة فقال أما اليك فلا ووفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل فقال ذلك حين أخذ ابرهيم فانزل الله تعالى وابراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أكيده بالسموات والارض الا جعلت له مخرجا) (وأما الآثار) فقد قال سعيد بن جبير للدعي عفرنوبي سمعت عن أمي لتسترقين صاوت الرقى يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يرجو الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع عمرك آخرتك ولا تتناول من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان

وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد مر به الى النار هل لك حاجة قال أما اليك فلا ووفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ابرهيم فانزل الله تعالى وابراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أكيده بالسموات والارض الا جعلت له مخرجا (وأما الآثار) فقد قال سعيد بن جبير للدعي عفرنوبي سمعت عن أمي لتسترقين صاوت الرقى يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يرجو الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع عمرك آخرتك ولا تتناول من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان

من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال هرم بن حيان) العبدي قال ابن عبد البر وهو من صغار التابعين وروى ابن هبيرة لا حد ولاته كان يعجب حمة الدوسي وحمة مات في خلافة عثمان وفيه عن الحسن انه لما مات دفن في يوم صائف فلما عن صحابة فرشت قبره وما حوله وعده ابن أبي حاتم في الزهاد التابعيين من كبار التابعين وقال ابن سعد ثقة له فضل وكان عبدا نقشي في الفتوح وروى أبو نعيم في الحلية وقد تقدم (لاويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى

(٣٩٠) الايمان لا تنتظم لا بعد وصول وعن و توكل كذلك يتقدم من عم هو لاصل وعمن هو

(باب حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)*

(اعلم أن التوكل من أبواب الايمان) وهو عمل من أعمال القلوب وموطن الفرض ومحل الوسيلة فحسن لا يستغني عنه عابد في عبادته ولا ذو عدة في عداده فلقد كان أبو سليمان الداراني يقول لو أن أحدهم فقد توكله لسقط كما تسقط الأكلة عند فقد الملح (وقد ورد) في فضله (أحاديث كثيرة) وقد ذكرت بعضها في كتاب قوت القلوب (وقال أبو سليمان) الداراني (لو أن أحدهم أتجهل استأنس بكل شيء حتى يقال سبحان الله ما عرفت أن أحدا يعرف الله يستوحش معه فقال له الرجل ما العبرة فقال ويس أن حلاوة القلوب تشتد تتضعضع وعلله (وقال أيضا لو أن أحدهم فقد ربه عز وجل في كل خير حتى الملح لكان) ولو كان هو الموكول اليه الأمور كلها

(باب حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)

(اعلم أن التوكل من أبواب الايمان) وهو عمل من أعمال القلوب وموطن الفرض ومحل الوسيلة فحسن لا يستغني عنه عابد في عبادته ولا ذو عدة في عداده فلقد كان أبو سليمان الداراني يقول لو أن أحدهم فقد توكله لسقط كما تسقط الأكلة عند فقد الملح

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو عقيدة العوام و ثالثها أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن
يرى كثيرة كثيرة ويكون يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار ولا يرى في الوجود لا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسمية
الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه أيضا وان رآها فلكونه مستغرقا في توحيد كان فانيا عن نفسه في
توحيده يعني انه فني عن رؤية نفسه وعن كل ما دون موحده بمجرد اللسان و يعضد ذلك صحصحة الدعوى سيقول سبحان

فسه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام و ثالثها أن يشاهد ذلك بطريق الكشف) عن غيره
(بواسطة) فيض (نور الحق) في قلبه (وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى كثرة كثيرة) جملة الانواع
والاجناس (ويكون يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار ولا يرى في الوجود) الا واحدا (وهي
مشاهدة الصديقين وتسميه (الصوفية الفناء في التوحيد) وهو مقام شريف عال وهو) انما (سمي فناء عن نفسه وعن كل ما دون الله لاستغراقه بنور الحق
من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا ولو رآها لرآها مستغرقا في التوحيد كما فاني عن نفسه
في توحيده يعني انه فني عن رؤية نفسه وغيره (لاستغراقه بنور الحق) وفني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة
والخلق موجودون ولكنه لا يهتم بهم ولا يحس ولا يحبر بأن نفسه وغيره والخلق غير محسوسين له
وهذا وقد يرى الرجل يدخل على ذي علم أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه وربما يذهل عن
ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه
الاخبار عن شئ (فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان) فلا يراق
دمه وان كان الاشارة في الخبر وقالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم (والثاني موحد يعني انه معتقد بقلبه
مفهوم لفظ التوحيد معتقدا له وهو عقيدة العوام في الاكثرين) أي في أغلب الناس (نشرح و) لا (نصحح ولكنه يحقن به الدم في الدنيا) ويحكم بأنه ناج في الآخرة ان توفي عليه (ولم يحل دون ذلك الا قادح) (ولم يعص العاصي بعقده) فان العاصي لم يعص بعقده لانه يعتقد أن المعاصي
مقتضية للعقاب (ولم يحل يقصد دفع تصديقه ومحاولة تسمى بدعة) وهي علم كلامي العاصي بكون صاحب البدعة
لا يعتقدها معصية بل يعتقد الواجبات معصية بتركها عنه (ولم يحل يقصد دفع حيل المحتالين
والتصحيف ويقصد بها أيضا احكام هذه العقيدة وشرحها على القلب و تسمى كلاما
لقائلين (يسمى متكلما وهو في مقابلة المدعي) ولا يكون المتكلم متكلما كما لا يكون المستدعي متكلما وهو
وقع في سياق بعضهم وبه قال جمهور المتكلمين في العقيدة وما سمعت ذلك لغيرهم ظاهر للعقل أن هذا الذي
ذكره بعضهم اصطلاح له فلا معارضة (وقصده) أي المتكلم (دفع بدعة عن تحيل هذه العقيدة عن
العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي كلامه مفهوم لفظ التوحيد عن
يكون لا تحل عقيدته والثالث موحد يعني انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له
الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة

كما هي عليه الا انه كما قدمنا أن يعتقد في مفهوم لفظ التوحيد على ما هو عليه عند العوام والمتكلمين الذين لم يفارقوا المتكلم العامي في الاعتقاد بل في
صفة تعريفه الكلام الذي به يدفع حيل مبتدع عن تحيل هذه العقيدة ورفع موحد يعني انه لم يحصر في شهوده غير الواحد ولا يرى الفعل
من حيث انه كثير الا من حيث انه واحد وهذه هي غاية ما يتصور في التوحيد فالاول كالعشرة اسم للجوز والثاني كالعشرة اسم
والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب

(وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر المذاق وإن نظر إلى ضررها فهو كثير به المعدة وإن أكثر منه أحدث حطاما في المعدة والمرار وأكثر اللحاء وإن ترك في البيت ضيق المكان ولا يصلح الأرض يترك مدة على الجوز والصوف ثم يرجح عنه وكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم ظاهر وباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب وتوحيد المنافق إصوان مدهون عن سيف معرفتهم لم يؤمنوا بشق القلوب والسيف إما يصيب جسم البدن وهو القشرة وعما يجرد عنه بالموت ولا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكأن القشرة السفلى ظاهرة ينفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبا لكنها نارلة القدر بالإضافة إلى اللب وكذلك الاعتقاد من غير كشف كثير ينفع بالإضافة إلى مجرد تعلق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بها شرح الصدر وانفساحه وانشراق نور الحق فيه فإن ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وكأن اللب ليس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب مصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه وكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة غير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق)

(وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر المذاق وإن نظر إلى ضررها فهو كثير به المعدة وإن أكثر منه أحدث حطاما في المعدة والمرار وأكثر اللحاء وإن ترك في البيت ضيق المكان ولا يصلح الأرض يترك مدة على الجوز والصوف ثم يرجح عنه وكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم ظاهر وباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب وتوحيد المنافق إصوان مدهون عن سيف معرفتهم لم يؤمنوا بشق القلوب والسيف إما يصيب جسم البدن وهو القشرة وعما يجرد عنه بالموت ولا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكأن القشرة السفلى ظاهرة ينفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبا لكنها نارلة القدر بالإضافة إلى اللب وكذلك الاعتقاد من غير كشف كثير ينفع بالإضافة إلى مجرد تعلق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بها شرح الصدر وانفساحه وانشراق نور الحق فيه فإن ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وكأن اللب ليس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب مصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه وكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة غير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفة وأسرار هذه العلوم لا تحتمل أن تسطر في كتاب فيطلع عليه من ليس من أهل أسراره فيقع في وحله لا محالة ويتعاطى منه (فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر) وقد سبق هذا القول سهل التستري وقيل لأبي يزيد البسطامي وهي من جملة الأسئلة التي سئل عنها الصوفي وأجاب عنها في كتاب سماه الإملاء على مشكلات الإجابة فقال فيه في تقرير السؤال وما معنى قول من تقدم من أهل هذا الشأن افشاء سر الربوبية كفر وأين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنما هي ما أحدثه شرعية وأحكام سوية فقال في الجواب عنه يخرج على وجهين أحدهما أن يكون المريد كفرا دون كفر ويسمى ذلك تغليظا لتحذيه النفسي وتعظيما لتركيبه ويعترض هذا بأن يقال لا يسمى هذا كفرا لأنه ضد الكفر الذي سمي هذا باسمه معناه ساتر وهذا المنشي للسر تأثيره أن الستر والإظهار من الخصوصية والإعلان من الكتم وإنما يجاب بهذا بأن يقال ليس الكفر الشرعي تابعا للاشتقاق وإنما هو حكم لمعنى نفسه لأمر ما كما أن النهي عن رد إحسان محسن أو جحد نعمة منعم قد يقال عليه كافر لجهتين إحداهما لجهة الاشتقاق ويكون إدراك السماء بني على وصف وثانيه من جهة شرع ويكون إدراك السماء بحكم

عقوبته والشرع قد ورد بشكر اسمه فهم لا تدهمه مع الاعتقاد ولا تسرع على العبد ولا تحبط لسيئات وتفطن لخداعهم واحترس من استدراجهم فإن أظهر أمر يكفر كان كمن كفر ما أمر بشيء وفي مخالفة لامر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار و يدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم وفي رواية كان بعضهم يسمى في ذلك القياس على هذا كفروا والوجه الثاني أن يكون معناه كفروا سمع لا اختيار بخلاف الوجه الاول و يكون هذا معنى قوله في الحديث المذكور لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم تريدون أن يكذب الله ورسوله في حديث أحدكم بما لم تصله عقله وعلما سارع إلى التكذيب وهو الاكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى وعلمه أو جحدهما فقد كفر ولم يشك أحد في كفر كثير اليهود والنصارى وسائر أهل ما قصد بتكفير لاعتقادها ما هي عليه وهي كفر بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا يلتفت إلى ما ذكره بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعتني كلام أولي الحكم ولا يراعي في هذا المقام فإن ذلك أراد بتكفير الذي هو محض الاعتقاد والالتزام تعلق بعضه وبحق قائله وهذا الاخير هو على مذاهب أهل الاهواء الذين يكفرون بما هو معلوم وأهل السنة لا يرضون بذلك وكيف يقال في آمن بالله واليوم الآخر وعد الله تعالى ما يقول الذي يرضاه والعمل الذي يقصد به المتعبد لوجهه والتكفير الذي يبرأ منه الإسلام ويعرف به أهله ما ورد إلا في حق من كذب الله تعالى في ذلك عوائدا ريد به ما شرف من المحل وبرئ به أعلام الشرائع كثيرة أحد بتعريف ولا قياس ولا يخرج عنه إلا بعد وضوح عذره وبرئه وعدم دخوله في الاعتبار معه ولا تحصل بقدرته ولا في شيء من ذلك والله أعلم اللهم إلا أن يريد بالشيء نوع التكفير من سامع به فهذا ليس بولي ومن ليس بولي ليس حق لله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى ما تحمله من اعتداده و لمعاصيل له الثابت و أحدث من غير تكفير وإن كان الفاعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالاجماع (وهي نص الاملاء (ثم هو غير متعلق بعلم المعلوم بعد كما بكسر سوره استبعد ذلك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثير نوع مشاهدة و عتبار و يكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كان الانسان كثيران التفت إلى روحه وجسمه وأطرافه وعرضه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد فلذلك نقول إنه انسان واحد فهو باضافة إلى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة أعضائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقة فكذلك كل مالي الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات و مشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد و باعتبارات أخر سواه كثير و بعضها أشد كثرة من بعض ومثال الانسان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ونستبين بهذا الكلام ترك الانكار و لجحود بما لم تبلغه وتؤمن به بعيان تصديق فيكون المؤمن من حيث المؤمن به هذا التوحيد صحيحا وإن لم يكن ما آمنت به صحيحا كما أن من آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا

المقام (كان لك نصيب منه بقدر ذوقك له) به وتصديقك له وعدم نكارتك عليه (وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق) وهو مقام لعلماء مشهود لهم عالا ستهلاك في وجود الحق (تارة تدوم) في سائر الأحوال (وتارة تظهر كالبرق الخاطف) ثم يغيب (وهو الأكثر) في أحوال السالكين (والدوام نادر عزيز) لكمال اذاعة ثقبت آثارها فيه حتم بعدم سكون عياله بعيش في ركن صيانتها في تلاح ثانيه برحى وقته في انتظار عودها ويعيش فيه واحد في حين كونه (وإلى هذه أشار) أبو المغيث (الحسين) بن منصور (الحلاج) رحمه الله تعالى (حيث رأى) الخواص (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور في الأسفار) وقد ذكرنا حكايتها قوله الجائي ومقاله في أمره (فقال) له (فيما أنت فقال أدور في الأسفار لا صحح حالي في التوكل وقد كان من التوكل) بمكان (فقال الحسين قد ثبت عمرك في عمران باطلك) أي في مشاهدة خلق فانياً طي (فأين) أنت من (الفناء في التوحيد) رواه القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور لأرهما الخواص مداصحبت في هذه الأسفار وطباع هذه المدار وقال فيب في التوكل لا صحح نفسي عليه فقال الحسين ثبت عمرك في عمران باطلك فأين فناؤك في توحيد الله (وكان الخواص) رحمه الله تعالى (كان في تصحيح مقام ثبت في توحيد مطالبه) الحلاج (بالمقام الرابع) الذي هو آخر المقامات فيه وكانه ثم من الخواص ان يقيم فيه على ما هو المقصود وراء ذلك (وهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال) وقد عرض لي في تقسيم هذه المقامات وترتيبها وهذا بعضه في الاصل هذه وقد ذكرته وجعلت تعقيبه وتأخيره كيف جاز لي تقسيم التوحيد على أربع مراتب وغلطة التوحيد تأتي في القسم الأخير كما ذكرته وتعديد أن هذا القسم على وجه لا يدفع فهل تصح بثبت تقسيمه فيما التوحيد وهو واحد قديم وزعمت في مريدا ان في نحلة في كل مرتبة وانقسام مقامات أهلها فيه وان كان يقع بينهم التفاوت وهو وحدة لله بحور والمشهور والمحبوب ولم كان الأول لا يجمع والآخر يدي هو الرابع لا يحل اثبوته من الأسئلة عليه ثم قال في الجواب عما عطر في الاحياء تقسيم التوحيد على أربع مراتب انما هو بحسب تفاوت أفهام المتعرضين لتأويله وذكر بعض المعترض وسوسة الخواص من عباد التوحيد بما في القسم اذ لا يتعلق بلفظ الواحد الذي ليس زائداً عليه دلالة على عقد ولا ناطق ولا بعبارة ولا ما يتعلق بوصف المتوحد الذي يوجب حكمهم اذا وحدوهم فذلك لا يقسم من حيث انهم اياه قد ودلالة نسبي المحاسبة وله والا صوّر وبعد اهب في التوحيد مسبب حتى يرى مسدكين باطنين أحدهما شرك ولا آخر لان وكلا الصورتين كفر الوسه الايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط شعر ولهذا كان أكثر المتكلمين من أهل القبلة فضلا عن المؤمنين من الملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المسلمين وانما اختلف حتى ايمانهم التي هي عليهم ومذهبهم في ذلك معروف ونحن لا نسلم في هذه الأبحاث شيء من اتحاد الحد ومقابله الا قول القائل بقصد الدلالة على اشكال وردها طعن به أهل الضلال والاضلال فاعلم ان التقسيم في الاطلاق يستعمل اتحاد لا يتوجه فيها يسمى مدح به المعترض وهجس به الخاطر وعلى مستعمل فيها من اتحاده ما تميز به بعض الأشخاص عن خاص به من الأحوال وكل حالة منها يسمى توحيد اعلى جهة يعترف بها لا يشركه فيها غيرها من وحد لله به حتى لأجله موحداً دام عن به ان كان قلبه موافقا للسانه وان عم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه من شرع من الحكم ومن وحد بقلبه على طريق لزوم كونه ليس الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يراعيه يسمى موحداً على معنى به يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيا والحنبلي حنبليا ومن زعم ان التوحيد ما تحقق به عبده وتنقى من أجله شكوكه اعترضه فسمى موحداً من جهة ما عرفه به كما يقال حد لي ما تحو با وفقهه ومعناه اي

يعرف

كان لك نصيب منه بقدر ذوقك له وتصديقك له وعدم نكارتك عليه وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تظهر كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال فيما أنت فقال أدور في الأسفار لا صحح حالي في التوكل وقد كان من التوكل بمكان فقال الحسين قد ثبت عمرك في عمران باطلك فأين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال

يعرف الحدوث والمحو والبقاء ومن استعرض عموم التوحيد فلم يستثن من جملته حتى لا يوحد فيه غير
لغيره الاعلى طريق التشبيه ويكون معبودا بتوحيد كل من عداه ساقطا مع تذكر واتذكير محمحما من
عبراب يعتريه دهول عنه ولا سيما به لاجل استغاله بغيره كما هو الغالب في سائر الخلوم فهذا يسمى موحدا ويكون
بقصده يسمى به من ذلك المالغة فيه فهذه أنواع مراتب من صح اطلاق اسم التوحيد عليها * وأما الصنف
الاول وهم أرباب سطوة المجرد فلا يصر بون في التوحيد سهم ولا يمورون مسه بسبب ولا يكون لهم شيء
من أحكام أهل الاولى الا في الحياة الاولى بل هم أرفع أحدهم مواقف الله كما يعبد بقول عليه بعد
هذا ان شاء الله عز وجل * وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاصطفاء الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم
أو الوارث أو المتبع يخبر عن توحيد الله عز وجل ويأمر به ويلزم بشروطه الله لا الله التي عنه فقاموا
ذلك واعتقدوه على أجله من غير تفصيل ولا اذا ل فسموا التوحيد فكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم
الذي هو منهم وبمنزله من كثر سواد قوم فهو منهم * وأما الصنف الثالث وهم أرباب البصائر السليمة
الذين نظروا بها الى أنفسهم ثم الى سائر نوع الحيوان فتأملوه فرأوا على كل نوع منها خطا مطبوعا لا
يمحى بمر الليالي ولا الاعوام ولا يعرو ذلك من أحد من الخلوق قد درى من درى وجهل من جهل عنه ونعلمه
منهم من اتهم عنه وقد هو واحدا لا يشبه المكتوب على صفحة كل شيء مطبوع فيه من مجرد ومركب
وصفة وموصوف وغير وجماد ونامي وحساس ومتحرك بالارادة وغير ذلك ومتحيز وهو الذي سمي تارة بالعلامة
وتارة بصفة وتارة بأثر وقدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدري من جمع أوروبه طب

فواعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده جاحد

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

فوراء ذلك الحد وجد وانتفاء بوجود حدوث المكتوب وأثره أن يتصف كله وتعصر بصفة بالقدرة على
حكم الارادة عما تحت في سابق العلم من غير مزيد ولا نقص فتكون الكتابة والمكتوب دليلا منهما على معرفة
الكاتب الذي أحدث الاشياء وكونها وهم يخرج عن ملكه شيء منها لاستغنائه بنفسها عن حوله وقوته
طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أقرب منه الخبر به عن وقت من الاوقات فوحدوه بكل صفة ليس فيها مثله
شيء وهو السميع البصير فحصلت المعرفة بهم والجمع وقعت بين كل واحد منهم وبين توحيد من سواه
والحادهم عن غيره وعلقت أنهم علقت توحيده سحاب من يشركه بذلك واجمع عليها فليس في وسعها أن تدركه
لانه وهو اللطيف الخبير فلم يكن الصنف الثاني لم يعد كل منهم أن عرف نفسه موحدا لربه فيمام بربوبيته
المقربون والصنف الرابع لم يقصد كل واحد منهم أن عرف ربه موحد نفسه فيمام بربوبيته وهم الصديقون
وبينهما تفاوت كثير وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن
يوحد فيه أثر توحيد بأحد الاعتبارات المذكورة عنده أولا يوحد فأما من عدم عنده فهو كافر ان كان في
زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمه به أو في فترة لا يوجد عنده فيها المكلف وهذا الصنف مبعد
عن مقام هذا الكلام وأما من يوحد فيه فلا يخلو أن يكون مقلدا في عقده أو عن بينة فالمقلدون هم العوام
وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب وأما العلم بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد منهم أن يكون بلغ الغاية
التي أعدت لصفوة الصفوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من النوع الذي لم يبلغ وكان على دربهم يعدون
وهم أهل المرتبة الثالثة وبين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون وهم أهل مرتبة الرابعة وهذا
تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دائر بين النفي والاثبات ومحصور بين المبادي والغايات ولم يدخل أهل المرتبة
الاولى في شيء من تضعيف هذا التقسيم اذ ليس هو من أهله لانتسابه كاذب ودعوى غير صادقة ثم لا بد من
الوفاء بما وعدنا به من ابداء البحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف به حقيقة الله تعالى حقيقة كل مرتبة
ومقام وانقسام أهله فيه بحسب طاقته ولا يمكن عبارة تحيط بواحد الحق على لقلب واللسان * (بيان

أهل المطق المجرد وتبيين حروفهم) * اعلم أن أرباب المطق المجرد أربعة أصناف أحدهم طائفة وحدوا الله مع شهادة رسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به مما لم يعلموه ولا تصوروا صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا حقه ولا باطله ولا صوابه ولم يحثوا عليه ولا أرادوا فهمه ما بعد هممتهم وهذا أكثرهم وأما حضورهم عن البحث وخوضهم فيه إما كانوا يحثون عما نطقوا به أن يعتقدوه ويعملوا به فمنهم ما يلزم الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فلم التزموه ولم تتوجه إليه هممهم ولا عرفوا وجه فرضه عليهم وإنما لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم ما يكون عيشهم معصوما وملادهم مكدرا من خوف عقاب ترك ما عاهدوا الله عليه وهذا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه يقولون لا نعلم فيه ما نعتقد وما دعانا إلى النطق به شيء إلا مساعدة الجماهير واحترازا مما شهروا القول في الحرام غير ولا نعرف هل ما قلناه حقيقة من قبيل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي حضر النبي صلى الله عليه وسلم عن حالة موته على الكفر أحدهم في القبر أو يقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته مثلهم لا أدري ولا تليت وعاه النبي صلى الله عليه وسلم الثالث والرابع الصنف الذي يعتقد كالمنافقين الذين من قبلهم وكثير من صادفوا في قولهم ما لا يحصل معه ارتياب ولا يتصور معه معنى التوحيد وذلك ما قالت طائفة من الشيعة القدماء أن عليا رضي الله عنه هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه فكان في رحبة قرقيسيا فجاءوا مثال من نطق بالشهادتين كثيرا ثم تحقق منه هذا الكفر وهو الزاد فتوهم في النار كما في الخبر الصنف الثالث نطقوا كالصنف المذكور ان قبلهم وركنهم غير أنهم اعتقدوا الرد واستقبحوا خلاف ما ظهر منهم من الإقرار وادعوا إلى أهل الحق فعدوهم كلهم الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه في قوله وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ولا تلقوا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين ظهرانيهم وركنهم حين وصلوا إليها ووصل أحدهم إليهم وجدوا بالأمر المقتضي للنطق بالشهادتين والإقرار بما فيها ولا يعلم مقتضى هذا القول ولا يعقل معنى ما ورد به من النطق وأمروا أن يظهروا ويرضوا بالقول ثم يفهموا قوله فكيف إلى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل باطنا يعتقدون أن حرم أحدهم من حيث هو من دم أبيه أو ماله مثل حرمتهم وتصور ويمكن أن يكون له معتقد فيهما غير أن لا تضيق عنه مغفرة الله تعالى والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار بحكم على غيب الله تعالى وربما كان من هذا الصنف في حكم عبد الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وبعد الذهن وفرط الذكاء أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا مسارعة وبحماقة ثم يدعوا إلى تفهم المعنى من كل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهيمه كالذي يخاطبهم بهمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا حكم على مثله بجحود في سر ولا يبعد أن يكون مع هذا الصنف بأسره أعني المحترم قسط تحصيل المعتقد مع هذا البليد البعيد بعض من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة يخرج من النار أقواما لم يعملوا خيرا قط ويدخلهم الجنة وتكون في أعناقهم خطايا ويحترقون عقابا لله والحديث فيه طول وهو صحيح وقد اختصرته هنا بقدر الحاجة على معنى وحكم الصنف الأول والثاني والثالث أعني أهل المطق المذكورين قبل في التوحيد أن لا يحب لهم حرمة ولا تكون لهم عصمة ولا يسبوا إلى إيمان ولا إسلام بل هم محجوبون من زمرة الكافرين وحلهم إلى الله إن عذب عليهم في النار قالوا وإنما سيوف الموحدين وسلم يغتر عليهم فهم صائرون إلى جهنم خالدون فيها تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

* (فصل) * ولما كان اللفظ المعبر عن التوحيد إذا انفرد عن المعتقد وتجرد عنه لم يقع له في حكم الشرع مفعول ولا صحبه لسبعة لأمد حياته عن السيف إن أبوا أن يعموا اليدان تطاعا على ماله ودمه نعم يحسن حفظ حاله حسن أن يشبه بقشر الجوز الأعمى فهو لا يحمل في الأكمام ولا يرفع إلى الثوب ولا يحضر في مجالس الطعام

ولا تشتبه المحسوس الا ما دام معلوما بعلم مطلقا صوابا على ما هو به وقد يزيل عنه بكسر وعلم مبناه مطبوعي
قراع وسوس وطعم فاسد لم يصلح شيئ ولم يبق فيه عرض لاحد وهذا لاختصاصه بحسه والعرض لا يتميز
تقريبا يحتاج الى فهم بعناية وتسهل ما عناص على المتعلم والسمع وليس من شرطه المثال ان يكون
مثلا مماثلا للممثل به من كل الوجوه فكان يكون هو هو والا كنه من شرطه ان يكون مساويا للواحد لم ذمه
(فصل) واما الاعتقاد المجرد عن تحصيله ما هو وتوثقه بالادلة وسده بالبراهين فقد قسموا في الموجود
الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما قرؤوا به وحدثوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب
ثم رسخ في أنفسهم و[illegible]هم عن عارضين ما استدلال على ما اعتقدوه وذلك لفرط تسليمهم وعلمهم بانهم
واعتياض طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم موحدين وتحقق وجود مثلهم كثير على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم واسمع الصحابة ثم لم يبلغنا انه عارض أحدا سلامهم ولا وجد بهم الخروج منه والترق
عنه ولا كانوا مع قصورهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الادلة وقراءة صور البراهين وترتيب الحجج من
تركوا على ما هم عليه وهؤلاء عددي معدودون بعدهم ومحصورون بما وقعوا عليه من قرارهم وعقدهم
ولله تعالى في عددهم مع عبرهم قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا تحرجوا عن مقتضى هذه الآية
بحيل وسندي صريحة من الاعتقاد تعرف صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم اما ساعة تعالى الصنف الثاني
اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من تعلق واعتقدوا الى ذلك أو عارض المحايل ما هم في هوسهم به أدلة
وصورها براهين وليست كذلك وقد وقع في هذا كثير ممن يشار اليه فضلا من دونهم فاضطروا الى هذا الصنف
من يرجع عنهم تلك المحايل ما قدح و يبطلها علوم ما المعرضة والاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا الى
ما أتى به ولم يتوقفوا أن عدلوا بما يحتملون عليه من سوء انهم أو رداءة اعتقادهم وعندهم ان جميع ما
المحايل في باب الاستدلال أرجح من شوائح خيال تهم من بعد قد دلبه مذهب شبهه ورد يقدر مطلع
على العلوم ومنهم من يكون دلبه حيرا سدومنهم من يكون دلبه بعض محتملات آية وحديث صحيح ولعصبي
انه ينبغي اذا صادموا النصوص اعتقادهم ولم يقفوا في شئ من الاستدلال بل يتركون على ما هم عليه ولا يحركوا
أمرا آخر بل يعلمون بذلك و[illegible]هم ذلا كونوا اذا تشبع الحال معهم وعما تقدوا شبهه ورجح في هوسهم
بدعه بعسر انحلالها أو يقع في تكفير مسلم وتضليله لا سبب كبير وهؤلاء أشبه ايمانا من الصنف الاول
وأوثق رباط معهم وأحسن حالا الصنف الثالث قرؤوا واعتقدوا كما تعلل بدين من قبلهم وقد عرفوا انهم
أهل ولكن لعدم سلوكهم سبيله من القدرة عليه ومعهم من الذكاء والعقل واتقاد ما والنظر والعلم ولو
استدلوا لتحققوا ولو حققوا لادركوا سبيل المعرف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة وقالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون فاقتفوا الاعمال الموصلة اليه وسعوا ما تقعود في تحصيل الحاصل وهؤلاء فهم اشكال عند
كثير من الناس في البديهة وتردد في حكمهم بعض يسمون عصاة وغير ذلك مما يحتاج الى تحرير آخر يبس
هذا مقامه و لا نتعرض الى هذا الصنف وحكم خلاف المتكلمين في العوام من غير تعريق بين بليد بعيد
ومتيقظ قطن فمنهم من لم يرانهم مؤمنون ولكن لم يحكم عنهم اطلاق اسم الكفر عليهم ومنهم من أوجب
لهم الايمان ولكن أوجب عليهم المعرفة وقدره لهم وعذرهم عن عبارة و وجوب العبارة في الشرع
ساقط على هذا النحو وهؤلاء لا يحصرون قليلهم لان أوان سلوك الاعتبار عمن لم يصدر اعتقاده
عن دليل وهؤلاء أوجبوا الايمان الى صاحبه المعرفة المشروعة في صحة الايمان والكفر واعلم لشناعة
الظاهرة فتستر واعن الجمهور بهذا الاحتمال ومنهم من أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروعة
عند وذلك وهي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب بين من عرضنا في هذا الموضع وانا عرضنا تقييد
ما شاهدنا في الاحياء أهل بعلو والاغلاء فلا يقع مثل هذا لبس ويدبر ما وجه ذلك في مراقي لريب
ما يعني فيه بذات الله تعالى

(فصل) بقي في أصناف أهل الاعتقاد تخصيص آخر من جهة أخرى وهو من جهة ما مضى فنقول إن مامعهم من الأدلة على التقريب ثلاثة أحوال لا يسند أحدهم عن أحدها لحكم لاحتمال الضرورى فأحد الحالين أن يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على ما يكمل عليه في الحالب أكمله على طريق التقليد كما سبق الحالة الثانية أن لا يعتقد لبعض الأركان مما فيه خلاف إذا انفرد ولم ينضف اليه في اعتقاده سواء هل يكون به مؤمنا أو مسلما مثل أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حي لا غير ومثال هذه القدران و يحصى عقائد في الجسمانيات جملة كاملة لا يحطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن القدر الذي يعتقده من الأركان موافق للحق غير مشوب بغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كله أو الوجود والوحدانية والحياة ويكون جميع ما يعتقده في باقي الصفات على ما الأوفق الحق هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العموم البسيط من ظواهر الشرع أن هذه الحالة الأولى وهي أعم على سبيل نجاة ومسمى خلاص ووصف إيمان وإسلام وسموه في ذلك الصنف الأول والثاني من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث عن مجموع الثلاث المعاني التي ذكرناها عليه وأما أهل الحالة الثانية فالمتقدمون من السلف لم تظهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان والاسلام ولم يحرموا مخلدون وكثير ممن يخرج من معتقد وجود الله عز وجل واظهار الاقرار به وبنبيه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع هذا عقده لا مزيد عليه ولا حكم على من هو كذلك هذا مما خلود في النار بعيد جدا مع ثبوت الشرع له من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد المبتدعة في الصفات أو في بعضها فان حكمنا بصحة إيمان أهل هذه المقالة المذكورة مثل هذه واسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه أدام الله علينا توحيده فصدهم عن الايمان بعد دلائل هؤلاء قد حصل لهم في اعتقادها وشرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وصدهم وراء ذلك فان أمكن ردهم في دار الدنيا ورجوعهم عن ذلك فظهر والمنع عن الاصرار إلى الرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك واجبا فان لم يرتدعوا بهذا القدر عن اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة فنسلمهم والله أعلم بالنجاة لهم والهالك من خلقه والمسخ والعاصي من عباده.

(فصل) وإن كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته صعبه وتمرده عن المعرفة بتقريب في عليه شبه القشر الذي من الجوز لان ذلك يقشر ويؤكل مع ما هو عليه صوت واعتقاد مجرد يمكن أن يكون معناه المعتقد والاعتقاد المجرد لا يجدله فهو لمن لا شيء معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير موثوق بشيء من أدلته صعبه فهو في الدنيا والآخرة وعند الله عز وجل خير من لتعطيل والكفر *باب المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين* اعلم أن الكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها الكلام في الأسباب التي توصل به والمسالك التي يعرف عليها نحوه والاحوال التي بعد هذه حصوله كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضيه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في تفسير ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور السالك إليه والطالب له قبل وصوله اليه والكشف له بالمشاهدة والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يليق أهله به ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به لاجله ويتحققون من فوائد المريد من جهته فأما الحد الاول فالكلام عليه والكشف عن جمله وتفصيله والتحرير والتكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بنار على تركه وبه بعث الرسل وأنزلت الكتب وجميعه محصور في شيئين نعم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على شيئين الحرص الشديد على النية الخالصة وشرط في تحصيلها ما ذكرنا من نظافة باطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك علم المعاملة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تنبيها بالمرئي مرة وبالتصريح والكن على الجملة بحسب علوم الظواهر ولكن يشرف ذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصد

ويكشف له حمل ما يتأدى اليه اذا كان سالك من شرك التصعب بعيد عن هوة الهوى يطيق من نفس التقليد وأن لحذا تدت ولا سبيل الى ذكر شيء منه الا مع تفهيمهم به على سبيل التذكر لا على سبيل التعليم وحذا الاول قد تقرر عنده في كتب رواية والدراية وهو غير محجوب عن طلب فدأس لجهل به أن يتعلموه وما عساه ان يبذلوه فلا نعيد فيه ههنا ولا وحكم الحذاث الكتم فلم يكن به سبيل الى تعدي محدود ان شرع فليتق الله في الكلام بالذي يليق بهذا المقام فنقول رب اعنا في اثبات التوحيد وهم المقرون على ثلاثة أصناف على احله وكلهم نظروا الى المحدوثات فرأوا علامات الحدوث فيها الأنحة وعارضة حالات الافتقار الى المحدث عليها، والصنعة وسمعوا بجميعها دليلا على توحيده وتقريد اسدية صنعة ثم رأوا الله عز وجل بأبصار قلوبهم وشاهدوه بعين بصائرهم ولاحظوا حلاله وجماله بحق بصائرهم وهم مع ذلك في درجات القرب على حظوظهم عند الله عز وجل كما وصفناه ولسنا نقسمهم في المعرفة حسبما قسمت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والصحو والبقاء وما يتقرر بعد هذه عن مقامات أهل الله وفرزهم من بيان المعرفة فهو لعلم لا يتعدى الحاهل ولا أقرب من العارف العالم والبعد والقرب هنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن احدى الحالتين هي تصييره وتعاميه عن القرب وحلوله عن معرفته لقرب سحابه فصمي هذا البعد ما خود من البعد عن محل الرحمة وموضع العصمة والانس ولا يقطع في مهامه القفر والمخوف والحلة ثالثة عن الفقد للطلب واشتغال القلب واضطراب الصدر بسوء القلق والمعرفة والعلم وغيره اسم كثاهرة ما عاينه

(فصل) اعلم انه لم يعبد وهو توحيد الصديقين وهم قوم رأوا الله تعالى وحده ثم رأوا الاشياء بعده لما به يرون في الدار بين غيره ولا اطلعوا في الوجود على سواه وأهل هذه المرتبة في حال حضورهم هم اصنفان مريدون ومرادون فالمريدون هم الطالبون لانهم هم الذين يحاولون في المرتبة الثانية وهي توحيد الفعل ومعرفة بالقلوب وعلم يتعرفون في المرتبة الرابعة والله أعلم وأما المرادون فهم في الغالب مستغرقون بهم الاحدية وهي المرتبة الرابعة ومن المكرمين فيها ومن أهل هذه المرتبة من يكون القلب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة من يكون الصحابة والمقربون شهد والصحو والله أعلم وقد قيل ان الوجود ينقسم فيه الحادث والقديم والأول والآخر والظاهر والباطن والله بكل شيء عليم فالله واحد والحوادث كثيرة فكيف صاحب هذه المرتبة يرى الكثير واحدا، فنقول على طريق ضرب الامثال فيقول الحوادث قديمة ثم تتحد الواحد فتصنع هي هو وفي هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يعني عن اقامة البرهان عليه ولكن كان على طريق التحيل للاولى لعلا حقيقة له ويكيف يصح به أو بعد الاولى وتحيله لنسبة الى الحادث لم يتقدم القديم ولم يتعدد القديم ولا تعدى ولا تحيل فتحيل ملا حقيقة له وانما هو ولي تحيلي وصديق مرتضى حصه الله تعالى به على سبيل التقريب وكشف الغيم وكشف القناع عما ورائه نصره عما ما رداد يقيدوان أكثر من كون وهب الله معرفته على هذا السبيل لاحد من خلقه بل أعظم مصيبتنا وما أعظم الفراء ولكن حسب الخلق عند ادراك وكلهم متعبد بما وصلت فسلك في جميع ذلك سبيل الاسلام كان من صح الايمان تحسن يرى أحدا عالم يرى أو يخص من المعرفة عالم يخص فاذا تقرر هذه القاعدة فنقول ما كشف غطاؤه لا يخرج عنه وما اطلع عليه لا يغيب عنه في حال من أحواله وهذا الوجود فيمن كثر همامه تنبي وتسمى فيه حاله به أدام الله وشغل لم يقده في شغله ونومه ولا فقده في يقظته وقراءته وبهذا والله أعلم أدرى الوجد لمن كان في رتبة الصديقية محبوبه حيث كان وجب اصغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو رآه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وصيره بالارادة على سابق العلم القديم ثم أدام تقهره عليه في الوجود ثم لما كانت الاعيان شهودا آثارها في المحدثات ليست غير الموصوف الذي هو الله عز وجل بني أولى عن غيره وصار لم يرسوه ومعنى ذلك ان لا يغيب ما ذكر في سر القلب وحين المعرفة ولا ما لاذ رك في ظاهر الحس دون

قال قلت ولا بد لهذا من شرح مقدار ما يفهم كيفية تناول التوكل عليه فأقول أما الواسع فلا يحور الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مما يتوقف عليه تحصيل حال التوكل بالتوحيد الثالث (٤٠٠) وأما الأول وهو النفي فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين

وطريق تأكيده بالكلام ودفع خيال المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبتني عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن تنكشف لك أن لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم الفعل فانما هو بانفراده واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك اليه ورجاؤك وبه ثقتك وعليه توكلك لأنه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بحركة ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا أتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان من هذا التوحيد في مقام يتقي به أن يطرق الى قلبك شبهة الشرك بسبب أحد هذين الاعتقادين أما الاعتقاد الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع وماله وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في

ما كان موجبه وصدر داعيه فهي بعد هذا على من فتح الله توفيقه وفتح له مناهجه وطرقه وهي هذه جملة التي لا تجيء مرئية من بري الانسان ولا يمكن لانسان دواجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائي مع ذلك الا واحد ولا تحطر بباله شيء من أجزائه من حيث ان أجزاء الانسان ظاهرة للحواس كلها ولا سكوت ولا قبض ولا سعود تصرف فيها بظهر الا عن ما كان الانسان من أجله وهو راكب للعبد المستولي على سائر الاجزاء بالتسخير قدرة الله تعالى فالاعضاء منقادة لروح بارقوا بالقلب أجرى وقد يعرض عن بعض ما يراه من الانسان متلاما برهانا من حيث انها لحم وعصب وعضل وغير ذلك من مجموع أشخاص الجواهر وانما يراه من حيث ما ظهر عليها من آثار صنعه التي هي القدرة والعلم والارادة والحركة والسكون والحياة التي لا تقوم بنفسها دون الموصوف فهذا هو الذي يشاهد عبر المعنى الحامل للصفات المشهود كرهاني الاعضاء والجواهر فهو الذي يجعله رؤيته الرائي الانسان واحدا وهو ذو أجزاء كثيرة ومثل هذا يعتبر الداخل على الملوك والصبي مع من يشاهده من المخدومين والاتباع غير هذا كثيرة من هذا النحو وارجوان لا يحتاج بعد مع هذا التوضيح ولا تنبيه ولا شرح الا منه ولا نور الا من عنده له الحول والقوة وهو حسبنا ونعم الوكيل هذا ما ذكره المصنف في الرد على المعترض وقد حذفنا منه فصولا كثيرة مما لا تعلق له بغرضنا من شرح كلام المصنف نعوذ بالله ونوفيقه (وقد قال لا بد لهذا من شرح) قوله (مقدار ما يفهم كيفية تناول التوكل عليه وقوله أما الواسع) الذي هو منتهى الرتب (فلا يحور الخوض في بيانه) لانه من حيث هو عموم لا كاشفه (وليس التوكل) الذي نحن فيه (مما يتوقف عليه تحصيل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الأول وهو النفي) فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع خيال المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبتني عليه التوكل) دون الثاني (اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل) الا الاعتقاد غير والاحوال التي هي ثمرات الاعمال (فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله) ان تعلم (أن لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم الفعل فانما هو بانفراده واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك اليه ورجاؤك وبه ثقتك وعليه توكلك لانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بحركة ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا أتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يتقي به أن يطرق الى

الى قلبك شبهة الشرك بسبب أحد هذين الاعتقادين أما الاعتقاد الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع وماله وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء

السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور وذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون فيقال معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما تحرك السفينة ولكشف الريح عالم كما هو عليه علم أن الريح هواء
والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز
وجل فالنسبات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من أخذ بخرزته فكتب الله توقيعا بما يصنع مع تحليته من حديث تعلل به كاتب الحبر
والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخاصمت فيري بحركته من القلم لا من (١٠١) محرك القلم وهو غاية الجهل ومن

لسفينة وسيرها) في البحر (وهذا) كله (شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور وذلك قال تعالى) في حق
مثل هؤلاء (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه) أي
معنى قوله يشركون (انهم يقولون لولا استواء الريح لما تحركنا) فيسبون نجاتنا الى استواء الريح واعتدادها
بهذا شركهم وقال صاحب الغنوب وقدر وبناء تفسير هذه الآية فلو كان الملاح عارفا ومثله في قوله تعالى
وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا الملاح لكان ورده الدليل لاخذ ما السرق (ومن الكشف
له أمر العالم كما هو عليه علم ان الريح هواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه) لا يتحرك
بنفسه (وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل) اذ الحركة
من امارات الحدوث والباري تعالى منزه عن ذلك (فالسفينة والبحر في الحقيقة) من جملة البحر (الى) استواء
(الريح يضاهي التفات من أخذ البحر) أي تقطع (رقعة) لامرأة (وكتب لها توقيعا) أي كاغد يكتب
فيه (بالمعوعة وتحليته) من فتل (فاحتاجت بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع)
المذكور (وقيل لولا القلم لما تخاصمت) من القبل (فيري بحركته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل
ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب) لانه هو
الاصل (بل وما يحدثه من فرح الحجة وشكرها لمن ارتفع من ان يحتاج بمداد القلم والحبر والدواة والشمس
والقمر والنجوم والمطر والنعيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة) مقهورة تحت
الاسر (كتسخير القلم في يد الكاتب) يحركه كيف شاء (بل هذا تمثيل في حق غافل لان هذا الوجه) من
الرقعة (هو كاتب التوقيع والحق) عند أهل الحق (ان الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى) وهذه مسألة مع الجبر وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان
جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عملك الى الشيطان حتما وايس عن مزج توحيدك
بهذا الشرك) وسلمت من اعوانه (فرعما أتيت في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى الخير والشر وانما في
الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف نري الكل من الله وهذا الانسان يعصي ربه باختياره فان شاء أطاع وان شاء عصى فكيف لا نحمده وكيف لا نرجوه) ويقول له أيضا (هذا الشخص هو الذي يحرر قسط سيفه وهو
قادر على ان شاء جز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا نحمده وكيف لا نرجوه وامرك بيده وأنت تشاهد
ذلك ولا تشك فيه ويقول لهم) وفي بعضه يقول له أيضا لهم (ان كنت تري ان القلم مسخر فكيف لا ترى الكاتب
باقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما
قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد
جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط البله مثلا لو كانت يد على كاغد
فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم يعد نصرها الى اليد والاصابع فصلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم

الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف نري الكل من الله وهذا
الانسان يعصي ربه فان شاء أطاع وان شاء قطع عنك وهذا الشخص الذي يحرر قسط سيفه وهو قادر عليك ان شاء جز رقبتك
وان شاء عفا عنك فكيف لا نحمده وكيف لا نرجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا لهم ان كنت لا تري القلم لانه
مسخر فكيف لا تري الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين
فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط البله
مثلا لو كانت يد على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم يعتد نصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم

هو المسود البياض وذلك لقصور بصرها عن مجاورة رأس لقم لصديق حدقتها فكذلك من لم يشرح الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه ظاهرا وراء كل موجود في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أطلق الله في حقهم كل درة في السموات والارض بقدرته التي يطلق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها تعالى وشهادتها على نفسها بالعبودية بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني بالسمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك (٤٠٢) فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أمور يأباها العقل فصفلي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وعباد ما نطقت وكيف سمعت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعبودية فاعلم ان لكل درة في السموات والارض مع أرباب القلوب شأنا في السر وذلك مما لا ينحصر ولا ينتهي فانى يتكلم من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وتفشي السر لوم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد أوحى بخفايا مبادي بسره على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون ولنا نهي عن افشاء سر القدر وساق الاذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا ولنا نص

هو المسود البياض وذلك لقصور بصرها عن مجاورة رأس لقم لصديق حدقتها وكذلك من لم يشرح نور الله صدره) للاسلام (قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه ظاهرا) وفي نسخة ظهورا (وراء كل موجود في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أطلق الله تعالى في حقهم كل درة في السموات والارض بقدرته التي يطلق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها تعالى وشهادتها على نفسها بالعبودية بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون) وهم أهل الحجاب (ولست أعني بالسمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار) وهو أبلد الحيوانات (شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعا) باطنا (يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أمور يأباها العقل فصفلي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وعباد ما نطقت وكيف سمعت وقدست وكيف شهدت على أنفسها بالعبودية فاعلم ان لكل درة في السموات والارض مع أرباب القلوب شأنا في السر وذلك مما لا ينحصر ولا ينتهي فانها كلها تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له) دلك في قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وتفشي السر لوم) أي يدل على لوم المستمع (بل صدور الاحرار قبور الاسرار) كما في الامثال السائرة (وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد أوحى بخفايا مبادي بسره على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه أحمد والبزار وابن حبان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون ولنا نهي عن افشاء سر القدر) قال العراقي رواه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدي لا تكاموا في القدر فانه سر الله لحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتمامه فلا تفشوا لله سره (وقال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما نص) صلى الله عليه وسلم (حديفة) بن اليمان رضي الله عنهما (بعض الاسرار) وقد تقدم (هذا في حكاية مناجاة رب العزة للملك والملكوت أرباب المشاهدات) العيانية (ما نعان أحدهما حفاظه افشاء السر) لما ورد فيه من النهي (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ونحن في المثال الذي كابدناه وهي حركة القلم ومساحاته نذكر قدرا يسيرا يفهم به على طريق (الاجمال كيفية ابتداء التوكل عليه وتردد كلماتها في الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هي صورة) كهوشان الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه صورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أي نعني البصيرة (الكاغد وقد رأيته أسود وجهه بالحبر مالا وجهك كان

ولنا نهي عن افشاء سر القدر ولنا اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا ولنا نص أصحابي فامسكوا ولنا نص حديفة رضي الله عنه ببعض الاسرار وهذا على حكايات مناجاة رب العزة للملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات ما نعان أحدهما حفاظه افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ونحن في المثال الذي كابدناه وهي حركة القلم نحكي من مساحاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتداء التوكل عليه وتردد كلماتها في الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هي صورة لتفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى الكاغد وقد رأيته أسود وجهه بالحبر مالا وجهك كان

أبيض مشرقا ولا آن قد ظهر عليه سواد فلم يسود وجهه وما السبب فيه فقال الكاغد ما أصفتني في هذه المقالة فاني سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في الحبرة التي هي مستقره ومعدنه فسافر عن الوطن وطول مساحة وجهي ظلمة وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال لما أصفتني فاني كنت في الحبرة وادعا ساكنا عارما على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطلمه انتاعه واختطافي من وطني وأهلي وأخلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بياضه فسأل السؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت فصيانا ثابتا على شط الانهار منتزها بين خضرة الاشجار

أبيض مشرقا) أي منير (ولا آن قد ظهر عليه سواد فلم يسود وجهه وما السبب فيه فقال الكاغد ما أصفتني في هذه المقالة فاني سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في الحبرة التي هي مستقره ومعدنه فسافر عن الوطن وطول مساحة وجهي ظلمة وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال لما أصفتني فاني كنت في الحبرة وادعا ساكنا عارما على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطلمه انتاعه واختطافي من وطني وأهلي وأخلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بياضه) يعني على صفحة الكاغد (فالسؤال) بوجهه (عليه لا علي فقال) أي الحبر (صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت فصيانا ثابتا على شط الانهار منتزها بين خضرة الاشجار) منيف بلا طير بعيد نائم الاسطار (فجاءني اليد المسكين) جاء (فجعل يحكني) أي يحك قشري (أي ازاله (ويمزق علي ثيابي) هي ثلث القشور التي عليه كهيئة الثياب (وانتزعني من أهلي وفصل بين أترابي) جمع ترب بالضم وهو ما بين الكعبين من الناقص والقدم (ثم مرني وشق رأسي وغمسني في سواد الحبر ومراره) كانوا يدخلون في تركيبه شيأ مرا لئلا تقع عليه الدباب ولا تقطعه الارضة (وهو الذي يستخدمني ويمشي علي فقرأ أمي) وفقة كل شئ أعلاه (ويقدم نثر الملح علي حرحي لسؤالك وعنا لك فتح علي وصل من فهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها علي القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه أنا مركبة سخر وكيسني فارس يقال له القدرة والعزة وهي التي تردد في وتحول بي في نواحي الارض أماتري المدر والحجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أماتري يدي الوني تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فسل القدرة عن شأني في مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها) في نواحي الارض (فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف طبت أني ظلمت اليد لما تركتها ساكنة تقبل الخريف وما كنت أحركه ولا استحرها بل كنت ثابتة ساكنة نوماطي الصلوبي في بيتة ومعدومة) نظرا الى ظاهر سكوني (لاني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل يزعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهو معدوم الصفات) ولا شكله (اذا يزعجني من عمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مدوحة) أي سعة

فجاءني اليد المسكين فجعل يحكني قشري ومزقت علي ثيابي وانتزعني من أهلي وفصلت بين أترابي ثم مرني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الحبر ومراره وهي تستخدمني وتمشي علي فتقرأ أمي وقد نثرت الملح علي جرحي لسؤالك وعنا لك فتح علي وصل من فهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها علي القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه أنا مركبة سخر وكيسني فارس يقال له القدرة والعزة وهي التي تردد في وتحول بي في نواحي الارض أماتري المدر والحجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أماتري

يدي الوني تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فسل القدرة عن شأني في مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف طبت أني ظلمت اليد لما تركتها ساكنة تقبل الخريف وما كنت أحركه ولا استحرها بل كنت ثابتة ساكنة نوماطي الصلوبي في بيتة ومعدومة) نظرا الى ظاهر سكوني (لاني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل يزعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهو معدوم الصفات) ولا شكله (اذا يزعجني من عمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مدوحة) أي سعة

(عمه لو خلاني ورايي) ع لو تركني وشاني (بقى صدقت ثم سأل الارادة ما الذي حرك على هذه القدرة ساكنة معطلة حتى صرفتها الى تحريك وأوقفتها عليه ارهاقا لم تحد عنه مخلصا ولا مناصا قالت الارادة تنجل على قاعل ما عذرك أنت تلوم فانى ما انتهضت بسعيي ولكن أنهضت وما بعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر حازم وقد كنت ساكنة قعل بحيثه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فانى مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري اى حزم وقفت عليه وحضرت به وألزمت طاعته لكي أدري اني في دعة وسكون ما لم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو العالم وقد وقفت عليه وقد ألزمت طاعته الزاما لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاعة على المخالفة (٤٠٤) لعمري مادام هو في التردد مع نفسه في الخيرة في حكمه فانا ساكنة ولكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت لطاعته وأنهضت القدرة للقوم بموجب حكمه فصل العلم عن شأني ودعني عن عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ان لا تفارقهم فالراحلون هم

(عمه لو خلاني ورايي) ع لو تركني وشاني (بقى صدقت ثم سأل الارادة ما الذي حرك على هذه القدرة ساكنة معطلة حتى صرفتها الى تحريك وأوقفتها عليه ارهاقا لم تحد عنه مخلصا ولا مناصا قالت الارادة تنجل على قاعل ما عذرك أنت تلوم) وهو مصراع بيت من غير قائله من قعل (فانى ما انتهضت بسعيي ولكني نهضت وما بعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر حازم وقد كنت ساكنة قعل بحيثه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فانى) اذا (مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري اى حزم وقفت عليه وحضرت به وألزمت طاعته لكي أدري اني كنت في دعة) أي راحة (وسكون ما لم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو العالم وقد وقفت عليه وقد وألزمت طاعته الزاما لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاعة على المخالفة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه في الخيرة في حكمه فانا ساكنة ولكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت لطاعته وانهضت القدرة للقوم بموجب حكمه فصل العلم عن شأني ودعني عن عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وفي بعضها لا تلمني لانك لو صدقت واعمل العلم والعقل والقلب علمك بهم ومعاتبتك اياهم على استنهاضك الارادة وتحريكها لانها قالت العقل أما القدرة فانا مسراح ما انتعلت بسعيي ولكن أنعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انتعلت بسعيي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب فلم أشرق مسراح العقل وما انحطاطات سعيي فكم كان هذا اللوح قبل حلولي اياه في قلبك لا يكون الا بالقلم فعلمك لا يكون الا بالعلم فصل العلم عني

سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أوسعها وقد كان سكانه طير والعلم والبدن هذا العالم وقد جاوزت ثلاث المنازل على سهولة وتسمى عالم الملكوت وهو الذي قد جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو من عالم الملك وعالم الملكوت

(ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة وقوم بين يديك لا الماء لصاق وأول عالم الملكوت مشاهدة العلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو زاد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن حصين بن عباض قال قيل لعيسى عليه السلام بأي شيء تمشي على الماء قال بالايمان واليقين وقد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المحفوظ لو زاد أحدكم يقينا لمشى على الهواء (فقلت لسالك السائل قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفا عما) وفي نسخة عما (وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمعك وأنت شهيد) أي شاهد بقلبك (واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أوسعها) وهو عبارة عن عالم المحسوسات الطبيعية والذي بالحس التصرف بالامر والنهي في الجمهور والعالم كل ما سوى الله تعالى من الموجودات وسمي عالم الشهادة بالاضافة الى الملكوت لدى هو عالم الحس (ولقد كان سكانه الطير والعلم والبدن من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة وتسمى عالم الملكوت) وهو عبارة عن عالم الملك وهو عالم الغيب المختص بارواح النفوس كما تقدم مرارا (وهو الذي قد جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفيح) جمع فيح وهو الواسع (والجبال الشاهقة) أي المرتفعة (والبحار المغرقة) لتلاطم أمواجها (ولا أدري كيف تسلم فيها) والبه الاشارة قول القائل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

(والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت) وهو البرزخ الجامع بالآيات الجامعة هو قول الاكثرين وعند أبي طالب المكي عالم الجبروت عالم الاسماء والصفات الالهية ويقرب منه قول من قال الجبروت هو حضرة الاسماء كما ان الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها وسائط التصرف بين الاسماء والافعال كاللطف والقهر الوسطين بين اللطيف والملطوف والقهار والمقهور وقال بعضهم عالم الملك هو ظاهر المحسوس وعالم الملكوت هو باطنه على ما قيل وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما لا آخذ طرف من كل منهما وذهب بعضهم الى ان عالم الملك هو المدرك بالحواس وعالم الجبروت هو المدرك بالمواهب وقال بعضهم كل عالم اتفق أهله على كلمة سواء فهو عالم الملك وليس ذلك الا العالم بدنوي وعالم الملكوت باعتبار أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم وعالم الجبروت باعتبار الانوار التي تنهب عليهم بتلقي بها دواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بها مقاماتهم فتلك الانوار كالمادة لجميع ما سبق من أحوالهم وقال لقائل عالم الامر وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الارواح والروحانيات لانها وجدت بامر الحق تعالى بلا واسطة مادة موجودة (ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت) آخذ طرف من كل منهما (لان عالم الملك أسهل منه) أي من عالم الجبروت (طريقا) لتعلقه بالظاهر المحسوس (وعالم الملكوت أوعر منه) أي من عالم الجبروت (منهجا) أي مسلكا (وانما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء) وتلاعبه (ولا هو في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع) أي اضطراب (فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء لصاق) من ملابسة كسدوران الارض وهكذا ماء القدرة عام صاف بدا (وأول عالم الملكوت مشاهدة العلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو زاد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن حصين بن عباض قال قيل لعيسى عليه السلام بأي شيء تمشي على الماء قال بالايمان واليقين وقد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المحفوظ لو زاد أحدكم يقينا لمشى على الهواء (فقلت لسالك السائل قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفا عما) وفي نسخة عما (وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

قال نعم افتح بصرك واجمع صوء عينيك وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذى به انكتبت فى لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق
فان كل من حاز علم الجبروت وقرع (٤٠٦) باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره كوشف

ستدل بها على سلوك هذا الطريق (قال نعم افتح بصرك واجمع صوء عينيك وحدقه نحوى) أى صيره الى (فان ظهر لك القلم الذى به انكتبت فى لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من حاز علم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وهو أول ما نزل من القرآن بمكة كما رواه ابن مردويه عن ابن عباس والحاكم عن أبى موسى وابن اسحق عن عائشة وقال بعضهم أول ما نزل من القرآن فاتحة الكتاب ثم ن والقلم كما رواه عبد بن حميد ورواه ابن أبى شيبة عن عبيد بن عمير مثله (فقال السائل قد فتحت بصرى وحدقته فوالله ما أرى قلما ولا أحسن ولا أعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت الصفة) يقال تجمع القوم واصطفوا اذا هيؤا للقتال فى موضعه ثم كثر استعماله فى كل طلب ولاسم الصفة بالضم (أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبهه ذاته سائر الذوات وكذلك لا تشبه يده الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى فى ذاته جسم ولا هو فى مكان) تعالى الله عن ذلك (بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عصب ودم بخلاف الايدى ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فانما أزال الاختشاب هو له تنزيه وصونه لتشبيه مذهبا بين هذا ودلالة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف برهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاتها وبرهت كلامه عن معانى الحروف والاصوات وأحدثت) توقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) رده أحمد والشيخان من حديث أبى هريرة بلفظ خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فزادوه ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فى طوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن وهو عند البخارى وحده فى كتاب الاستئذان بلفظ مختصر وعند مسلم وحده فى آخر كتاب الجنة بلفظ ان الله خلق آدم على صورته وعند الطبرانى على صورة وجهه وعند الدارقطنى فى كتاب الرؤية على صورة الرحمن وقد تقدم فى قواعد العقائد (الصورة الجاهرة المدركة بالبصر فكل منهما مطابقا) فقد تنزله مفهوم أوصاف الاجسام (كما قال) فى الاقوال السائرة (كن يهوديا صرفا) أى خالصا (والا فلا تلعب بالتوراة فان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكن مبرهنا صرفا ومقدسا خالصا) فانتزيه من أوصاف الجسم يقتضى التشبيه من أوصاف الانزيه وعلى هذا فالمنزه يقول والمشبه مؤمن وهذا الذى ساقه المصنف هو على ظواهر هو عند بشر يعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب المعرفة هو الجمع بين التنزيه والتشبيه وقد أشار الى ذلك شيخ الاكبر قدس سره فى مواضع من كتابه المنصوص وقد طبق عليه علماء الرسوم منهم كاتبه ومنشؤه عدم الفهم ونحن سوق كلامه قال فى فص نوح عليه السلام واعلم ان التنزيه عند أهل الحقائق فى الحق الالهى عين التحديد له والتقييد فالتنزيه اما حس واما صاحب حس وهو أنت ولكن اذا أطلقناه ولا بد نقرن به ما شرائع المؤمن اذا نزهه ووقف عند التنزيه ولم يزد على ذلك فقد أساء الادب وأكذب الحق والرسل عليهم السلام وهو لا يشعر ويخيل له فى الحاصل وهو فى الحادث وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ولا سيما وقد علم ان ألسنة الشرائع الالهية اذا اتفقت فى الحق بما اطلقت به اتفاقها فى العموم على المفهوم الاول وفى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ ما أى لسان كان فى وضع ذلك اللسان فان للحق فى كل خلق ظهورا بحسب ظهوره الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن من كل فهم الا عن فهم من الاجسام وصفاتها وبرهت كلامه عن معانى الحروف والاصوات وأحدثت توقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة فان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن مبرهنا صرفا ومقدسا خالصا

قال ان العالم صورته وهويته وهو لاسم الظاهر كما به بالمعنى روح ما ظهر وهو الباطن فسته لما ظهر من صور العالم بسبة الروح الى الصورة فيؤخذ في حد الانسان مثلا ما ظهر وما ظهر وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حد وصور العالم لا تضبط ولا تحاط بها ولا تعلم حدود كل صورة منها الا قدر ما حصل من كل عالم من صوره وكذلك يحمل حد الله تعالى فانه لا يعلم حده لا من يعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فهذا الحق محدود وكذلك من شبهه ومن نزهه فقد قيده وحده وما عرفه ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين فقد عرفه على الاجمال لانه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بما في العالم من الصور فقد عرفه مجملا لا على التفصيل ولذلك ما بعث الله نبيا صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس فقد لنفس عرف نفسه عرف ربه ثم قال

فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا * وان قلت بالتشبيه كنت محددا
وان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت مصيبا في المعارف سيدا
ومن قال بالاشفاع كان مشركا * ومن قال بالافراد كان موحدا
واياك والتشبيه ان كنت ناطقا * واياك والتنزيه ان كنت مفردا

قال الله تعالى ليس كمثله شئ فنزه وهو السميع البصير فشبه قال الله تعالى ليس كمثله شئ فشبه وثنى وهو السميع البصير فنزه وأفرد انتهى بلفظه مع اختصار وتغيير يسير هذا كلام من وجهين * الوجه الاول فاعلم ان الانبياء عليهم السلام برهوا الحق تعالى وبعوا به ومع هذا فقد نطقوا عن الله تعالى ومن عند أنفسهم كما تدل على التشبيه فالتنزيه وارد عنهم والتشبيه أيضا صادر عنهم فوجب الجمع بهما فان قيل ان أولنا أو توقفنا أو حملنا ذلك على الله تعالى مع الجزم بانه منزه عن شائبة الامكان ارتفع التشبيه مطلقا ولم يبق منه شئ وبقي التنزيه المجرد الذي ليس فيه رائحة من التشبيه فكيف يجب الجمع بينهما وان لاحظنا التشبيه الصرف ولم نضم اليه التنزيه المحض لزم الجمع بين النقيضين لان التنزيه ينفي التشبيه والتشبيه يرفع التنزيه والجمع بين الاثبات والنفي في أمر واحد من وجه واحد محال * والجواب عنه في مقامين اما على الاول فما كان هذه العبارات التشبيهية صادرة عن الانبياء عليهم السلام من غير تأويل وجب علينا الايمان بها سواء أولنا أم توقفنا ونحن نعني بالتشبيه المجرد الايمان بتلك العبارات وليس هذا اصطلاحا مجردا فان البحث لا يعاد تدل على التشبيه بتلك العبارات انتهى بلفظه وهذا باب المأول أو متوقف وكل عليه الى الله تعالى وهذا الايدي التشبيه هذا المعنى انتقام ذهبي ان أهل السنة أثبتوا الصفات لزالة قياس الغائب على الشاهد فهي معان مشتركة بين الله تعالى وبين خلقه والقدر المشترك بين التشبيه والتنزيه هو الذي هو سنة قياس الغائب على الشاهد الذي هو عين التشبيه وهذا المقام أقوى وأظهر من الاول لان فيه التشبيه واضح غير شبهة وكما ذكرنا التشبيه فهذا المعنى هو مرادنا به لا غير * الوجه الثاني اعلم أن العبارات كما تقرر عندهم مبدؤ جميع الاحكام والآثار ولها وجه غيبية بالنسبة الى الاشياء وهي أيضا وجه العبارة هو وجه العينية تشبيه ووجه العبارة تنزيه وفي الواقع انه عين من وجه وغير من وجه لا جرم كان التنزيه فقط تحديدا وتقييدا والتشبيه فقط أيضا تحديدا وتقييدا وكلا طرفي افراط وتفريط وكمال الاعتدال هو التنزيه من حيث هي تنزيه ومن حيث الغيبية تشبيه بحيث لا يكون هذا ما نعا من ذاك ولا ذاك مانعا من هذا فالتنزيه الصرف ان عم هذا المعنى أولم يعلم وجود التنزيه عن التشبيه فهو قليل الادب والتشبيه الصرف الخالي عن التنزيه كفر وضلال فالتنزيه من حيث الذات المجردة عن الكيف والتشبيه من حيث الغيبية والمقارنة ومجموعهما سائر الاحكام وقال قدس سره في هذا الفصل أيضا لو أن نوحا عليه السلام جمع في دعوته بين التشبيه والتنزيه كما جمع محمد صلى الله عليه وسلم في آية ليس كمثله شئ لقبلوا وأجابوا دعوته كما أجابت أمة محمد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه شنع في آية بل في نصف آية على تقدير أن تكون الكاف غير زائدة فاثبات مثل تشبيه ونفي مثل المثل تنزيه فدعا محمد صلى الله عليه وسلم قومه ليلا ونهارا فما زادهم دعاؤهم ليلا في نهار ونهارا في ليل يعني شيئا في تنزيه وتشبيه اه وتوضيحه ما قاله الخضر الرازي

واطو الطريق فانك بالوادى المقدس طوى واسمع لما يوحى فلعلك تحدث على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى يا موسى انى أنا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخلت بين التشبيه والتنزيه فاشتغل بما رأى من حدة غضبه على نفسه لما رآها تعس النقص ولقد كان تزيينه الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدثه اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تحدث على النار هدى فتفتح بصيرتك فتكشف له القلم الالهى وداهو كما وصفه العلم فى تعريفه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكأن له فى كل قلب أسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم لرفيق العلم فجزاه الله تعالى عنى خيرا لان ظهر لى صدق أنبائه عن أوصاف القلم فانى أراه قليلا كالاقلام وبعد هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادى ذلك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعثه الارادات الى أشخاص القدر وصرفها فى المقدورات فقال له القلم (قد سبقت مارأيت فى عالم الشهادة وسمعت من جواب العلم الظاهر (حين سألته فما بالك على اليد فقال لم أمس ذلك فصدقته على جوابه (فقال) السالك (لم أمس ذلك) وفى نسخة قال لا والمعنى واحد (قال) القلم الناطق (جوابى مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت) بواسطة الرسل (ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم فما فصل عن شأنى المذهب بين المالك فانى فى قبضته وهو الذى

العلم اذ سألته فما بالك على اليد فقال لم أمس ذلك فقال فجوابى مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فما فصل عن شأنى المذهب بين المالك فانى فى قبضته وهو الذى

يامن هبت لخير نوحه اجهارها ولا أسف عبرك ولا
رحوسوالك ولا عودالا معطوك من عقلك وبرصالك من محصلك ومالى الا أن أسألك وأتضرع اليك وأتوسل بين
يديك فأقول (رب اشرح لى صدرى لاعرفك) كما ينبغى أن تعرف فالمراد ادخل اصدرا شرح له وسع
فامكنك له أسرر لمعرفة (واحلل عقدة من لسانى) أى عقدة تمنع عن كل الافهام والافهام (لاتبى عليك)
عدت أهل وهذا أيضا اشارة الى المقام الموسوى (فيودى من وراء الحجاب لك أن تطمع فى الشاه) أى فى
الوصول الى غايته (وتزيد على سيد الانبياء) محمد صلى الله عليه وسلم (فى ارجع اليه) واقتده (فما آتاك
فخذه ومانهاك) عنه (فانته عنه) كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وما قاله
فقله) فبلغ أحد مقاما بعده هو بين لعبده لاتباعه كما فى الخبر لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (فانه)
لما الاحط المعنى الجامع لاصفات الوهيه كاد أن تحصل له الدهش والحيرة دركه له حتى تحقق فى تحيره ولذلك

يرددنى وأنا مقهور ومسخر ولافرق بين تقسم الالهى وقلم الآدمى فى معنى التسخير وانما الفرق فى ظاهر الصورة فقال لى يمين الملك فقال نقسم اما سمعت قول الله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا فى قبضة يمينه هو الذى يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يريد على عجائب القلم ولا يحور وصف شئ من ذلك ولا شرحه لى لانحوى مجلدات كثيرة عشر

عشير وصله والجلة فيه
به يمين لا كالأعسان ويد
لا كالايدى وأصبع لا
كالاصابع فرأى القلم
محركا فى قبضته فظهر له
عذر بقلم فسأل اليمين
عن شأنه وتحريكه القلم
فقال حوالى مثل ما سمعته
من اليمين الذى هو فى
عالم الشهادة وهى الحواله
على القدرة اذ اليد لاحكم
لها فى نفسها وانما تحركها
القدرة لاجله فسافر
السالك الى عالم القدرة
ورأى فيه من العجائب
ما استحقر عندها ما قبله
ومن هناك من تحريك
اليمين فقالت له أنا
مسخرة فسأل اقتدار
العمدة على الموصوفات
لاعلى الصفات وعند هذا
كاد أن يزيغ ويطلق
بالجراءة لسان السؤال
فثبت بالقول الثابت
ونودى من وراء حجاب
الحضرة لاتسأل
عما يعمل وهم يسألون
دعه فى هيبة الحضرة فشر
من سعقه صعقات فى عشيته
فلما أفاق قال سبحانك
ما أعظم شأنك تبت اليك
وتوكلت عليك وآمنت

(ما زاد في هذه الحضرة على أن قال صحت لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وهو ثناء على نفسه وهو ثناء على عليه أفضل الصلاة والسلام وجميع من صحبه رضي الله عنهم (فصل) لما علم (أنه لم يبق للسالك حرفة في الثناء إلا عين فيها للأدب مطمع في معرفة فمودي بأن تحلى وقف الصديقين فارجع إلى (صديق الأكبر) رضي الله عنه (وقدمه) وسلك سبيله (فإن أصحابي كالنجوم) صلى الله عليه وسلم (كالنجوم) سرفقي سماء (بأيهم) يهتدي مقتدون في طريق الحق (اقتديتم اهتديتم) فمن

من حديث أبي هريرة وأحاديث رجاله ثقات وقال أحمد لا يصح وفي إسناده مجهول وضعفه البيهقي في كتاب الاعتقاد وروينا في حديث موصول بإسناد غير قوي في حديث آخر منقطع قال والحديث الصحيح يؤدي بعض معناه وهو حديث أبي موسى الذي يوشك أن يأتي لقوم أمتي ما يأتي لبني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي (أما بعد فقول محرز عن دركه الأفهام ويعجز عن إدراك كنهه الأنام حصرتنا عاجزون عن حصر ما يحرم عن حضرتنا عاجزون عن ملاحظة جلاله وجلاله فصد عن هذا وجميع السالك واعتذر من أسئلته ومعاتبته وقال للعين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فإني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان إنكاري عليكم لأمن تصوري وجهل الآن قد عندي صح عذركم وانكشف لي أن المفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته مردودون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكرتك في عالم الشهادة أسقط عنك ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة إلى الموجودات أي صدر عنه الكل على الترتيب وهو واحد بعد واحد وهو الآخر بالإضافة إلى سير السائرين إليه فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل حتى ينتهوا إلى منزل لا منزل بعده فيكون ذلك آخرا وهو الحق وأما

وأما هو فوجوده به وما سواه وجود لو جود من غيره ومنهم طرق إلى تركيب الوجود ولا حجب من الحجب
ليس فهو آخر وهو آخر ما ترتقي به الحجب تعارف من وكل معرفة تحصل من معرفته فهي مرقاة إلى معرفته
والطريق الأقصى هي معرفة الله سبحانه فهو آخر وجوده كما إلى الله الأمور بالأصالة فهو الوجود المطلق أولا
وإليه المرجع والمصير آخرا وأما الظاهر والباطن فهما أيضا من الحجب فالظاهر يكون ظاهرا من وجه
وباطنا من وجه آخر ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا في كون ظاهرا من وجه وباطنا من وجه
درك وباطن من وجه هو بالإضافة إلى الإدراك فالمظهور والمظهور قد يكون بالإضافة إلى الإدراك كالله
سبحانه فإنه ظاهر من الوجوه كلها لكن بطونه لشدة ظهوره وقد يكون بالإضافة إلى الإدراك كالحواس
فإنها كلها بالإضافة إلى مدرك الحواس ظاهر وأما كونه باطنا بالإضافة إلى مدرك الحواس فلضعف
إدراك الحواس لا لأن المدرك فيه ولا لاختفاء المدرك في نفسه ومع ذلك فالكثير للعقل والكاشف يكون
ظاهرا فالعلم به لأجل ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكل ما بادر من
حده يحكم على صده فحجب من الحجب عن الحق نور وحق عليهم شدة ظهوره فهو مظهر الذي
لا أظهر منه ولا باطن لأنه لا أقرب منه ولا حجب من هذه في صفات نقائصه في كان يعني الذي به الإنسان
ظاهرا من وجه ظاهر بالاستدلال على ما وجه باطنا من وجه بحكمه باطن إلا طلب من إدراك الحس كان الحس في
حق ظاهر بشهوده وليس الإنسان باطنا بشهوده من كل وجه بل هو ظاهر في سائر حركاته فهو
والآخر عند الله وعن آخراه كل شيء هذا كثير لا آخر له كل كان وبه عند صعوده فيها يحب صعود
الزمان وتبدلت به الليالي والأيام وهو يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
الطريق الاستدلال عليه بآثاره وأفعاله (فهكذا كان توحيد السالك طريق توحيد الفعل أعني من
يكشف له أن الفاعل واحد) وحيث انتهى بنا الكلام إلى هذه المورد نعترض على المصنف في هذا الموضع
من قوله إلى هنا قال المعترض في حله كلامه يتضمن تقسيم العقلاء المتحدين والعقلاء المتحدا
فسمع ثلاثة الحاطبة بحاسة الأذن ثم سمع الغائب من الغير محسوس والعلم الإلهي وما يحدث عن
وعلم الخبر وعلم الملكوت وما معنى سماعه تعالى خلق آدم على صورته وما لنا نرى صورة البشرة التي
معتقدها يكون منها صاعدا والصورة الباطنة من يكون معتقدها منحطا وما معنى قوله طوى
بوادي المقدس طوى والعلم بعد دوا أنهما أدبيا بور طور سيناء في عالم الذي سمع فيه موسى عليه
السلام كلام الله تعالى وما معنى سماع موسى كلام الله يرجع أهل يكون بغير آلة بغير سمع وكيف سمع
ما يوحى من غير أن دلك على طريق التعميم أم على طريق التخصيص وهل له ما يشاق إلى ذلك المقام
حتى يسمع أسرار الإله وإن كان على سبيل التخصيص فالنبوة ليست محصورة على أحد الأمور بعد حصول تلك
الطريق وما سمع في النداء سمع هل هو موسى أو سمع منه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع فيهم إليه
أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصلهم إلى مقامهم وهو في الابتداء هي توحيد الفعل وما معنى
انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى إلى أين وجهة في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي
يتعلق بعد ذلك في الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي حصل وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني كورق
غير الأخير هو صعود ما مر حصوا ما وصل من رجع وقد أحب المصنف على هذه الأسئلة في الإملاء على نصها فخطب
العقلاء المتحدا ان بغير مستنكر وذلك بسبب الناس الذين وهو الاطلاع والاستحضار والآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامهم كثيرا وفي الحديث أمكن حراءة عليك بي وصديق شهيد وقال تعالى يومئذ تحدث الأرض أخبارها
بأن ربك أوحى لها وقرأ عبد الله ومثل أهواءها وورق أحوالها وترى حديثها ثم تحدث خبر الحائط عشرا
وأما الذي يتوقف على ذهان ويحتاج في معرفته لسامعون ويتحمله كلام جدد والخيوط لتصدق
في هذا وقع الاختيار واضطرب الاضطرار وكذب في تصحيح وجوده دون سمع من أهل الاعتبار ولكن لتعلم أن

فهكذا كان توحيد السالك طريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد

تلقى الكلام لعقلاء لم يعهد عنه في مشهور ريكون على جهة من ذلك مع الكلام الذاتي كما يشق أهل
النطق اذ قصدوا الى تعميم بعض ذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين في بعض الاوقات
كتكليم الحق تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم وكان تكلم حجر سلم عليه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم في طريقه ومنها تلقي
الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود في خارج الحس ويعبر هذا في سائر الحواس لمثل ما يسمع
النائم في منامه من مثل هذا فيخص من غير مثال والمرئي النائم ليس له وجود في غير بصره وأما ما يجده غير النائم
في يقظته بعد بصره وعموم العامة تشهد بعض الخاصة كما جاء في الحديث عن اليهود آخر الزمان انهم ينادي
لمسلم يا مسلم خلفي يهودي فاقتله فان الله تعالى خلق الحجر حياة ونطقه يدعو عليه معنى الخبرية وبوكل ما لم
من يتكلم عنه أن يستثنى عن لا تصادق العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام محدثه الله تعالى في آذان
السامع بقدره العلم بخلقه اليهودي حتى يقتله وكما قال في العرض لا كمرادا بردي وبه ما سمع كل واحد على
الخصوص في الخلائق مثل المنادي سمعه كثير وقد ثبت بعلمنا انه لا يسمع الا بعد في ذلك لجمع الامر بودي
بعضهم ان ذلك البعد يحدث للمنادي في صفة به يعرف الى حساب وحسنه دون من يشاركه في سمعه ولا
يكون بداه من سرح والامثلة كثيرة في الشرع وجب بعث سمعه مقطع ومنها تلقي الكلام في العقل وهو استفاد
بعرفة المسموع بعقل لمفهوم التقدير عن اللفظ المسمى سماع حال كما قيس

وأجهشت التوبادحين رأيته ✽ وكبر للرحمن حين رآني
فقلت له أين الذين عهدتهم ✽ حوالينا في عيش وخفض جنان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ✽ ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وفي مثال العوام قال لحائط لو لم تشقي لقد لوند لجماعا مل من بدي ولو كانت العبارة بيت في سمعها ما عبرت
لاعتبار استعارة به وعلى هذا المعنى من كثير من العلماء قوله عز وجل عن السماء والارض حين قالتا أتينا
طائعين وقوله عز وجل عن السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ومنها تلقي الكلام
في الجبال من قوله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى يونس بن متى عليه السلام بان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال
والله يقول سبحانه يونس فقوله كأني يدل على انه بحسب حاله سمعت لم يكن لها في حال وجود تي لابن يونس عليه
السلام قد مات وتلك الحالة سمعه قد سلفت وفي هذا الحديث الخبر عن الوجود الجبلي في البصر والوجود الجبلي
في السمع ومنها تلقي الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما وأصواتا من شخص حاضر فيلقي عليه شبه غيره
غائب عنه كقوله صلى الله عليه وسلم في صوت أبي موسى الاشعري وقد سمعه يترنم بالقرآن بعد أوتي مزمارا من
مزامير آل داود ومزامير آل داود قد عدت وهيئت وانما شبه صوته بها وان كان السامع المرئي بصوت مزمار وعود
ونحوه على غير قصد تعيين مزمار من أبواب الجنة وتشبيهها بما عصوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فاثبت ادا
حسب التصرف بين ثنائها ولم يعترك عليك في بعضها بعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عن بصر مشكاة نور الله
تعالى الى الكاعد وبصر آه اسود وجهه بالخبرة له مايل وحول وكان أبيض مشرقا موقد و لا آب قد ظهر عليه
سواد فهم سوّدت وجهك فقال الكاعد ما أصنعني في هذه الخطة فاني ما سوّدت وجهي بمعنى لكن من الحبر
فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره وهو طبه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي طلبا وعدوانا فقال
ما أصنعت فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت مثل هذه المرجعان اعمل الفكر وجدد النظر وحن الكلام الى
أخواته التي تعلم منها حاله ما بينك فتسأل عن معنى الناظر ومعنى نور الله سبحانه وما سبب ان لم يعرف الناظر
الكاعد والمكتوب وجهي لسان صاحب الكاعد وهو ليس من أهل النطق وعيانا صدق الناظر الكاعد ولم
صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيدل ذلك عليك أن الناظر هو الذي انقلب فيها أو ورده على الحس والمشكاة
استعارة نقلت من مشكاة الزجاجة التي أضيفت نسبة الى حجر المعرفة المخلف سر القلب تشبيها بالانبوبة
مسرجة الرب تعالى بثها نوره ونوره الذكر وههنا عبارة عن صفة الباطن واشتعال السر بطلوع نيرات

كتب المعارف المذهبة بالله تعالى ظلم حجب الاغلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل التشريف
لاحتمل التخصيص بالشرف والكاتب والخبر كتابه عن أنفسهما لا عن غيرهما وحفظهما مذاهر بقه وتوكل
ملوكه ذهبا في عالم الملك والشهادة الذي هو محل ظهور الصور في حال نشره وما يناسب به يعرف الكتابة ولا
المكتوب والاخبر انه كتب أصيلا يقرأ الكتاب الصناعي وتم يروه معروفا فراجعه لا نهي الذي هو أبين وأدل
على ما يفهم منه وأما خط هذا الصور للكاتب وهو جماد فقد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاتب له في
قدر حال الباطن كالمراد فيتلقى الكلام في الحس بما يدبه على المكتوب من الحق وهو من الالقاء في الروح
ويودعه الحس المشترك فيعرضه على لسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال
المجموع سمع بقلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاتب في عذره وامهاله على الجرم لكن بمجرد
ويه من شهادة أولى لرضا العدل وهو الحق وتخبره وهذا سبق الى البيد وهو آخر ما نشأ عن أخره عنه
ملائم وأما ما يجمعه في عالم الخيال وذلك من قدرة المحدثة الى النقل والعلم الموجودين في الانسان مستقره
في القوة الوهمية المدركة جميع ما يستند على وجوده حسما وتكن قد يعرض له أن يكون في حسه كما تدرك
السخلة عداوة الذئب وتعطف امها تتبع العدو وتتمرغ عن العدو وأما يجمعه في حد عالم الملكوت وذلك
من العلم الالهي الى ما وراء ذلك مما شوذا حل فيه معدوده فسر بقلب الذي يأخذه عن الملائكة ويسمع
ما يعبد مكانه وذي معناه وعرف عن القلوب من حيث الفكر تصوره وما أي شيء حقائق هذه الذكورات
وما كمه واحدها على نحو معرفتك الاخرة عالم الملك والشهادة فذلك من علم لا تتبع سمعه مع علم شهادة
والله قد عرفك أنهم ثم وان كنت مؤمنا مصدقا بوجودها على الجملة كعلمك انك لا تحيط بشيء من علمها
الى أن يشاء الله تعالى ما ولى مشاهدات وتحصل بخالص الذكر ما ومن كفر فالله غني حميد

(فصل) والفرق بين القلم المحسوس في عالم الملك وبين القلم الالهي في عالم الملكوت أن القلم المحسوس كما
عينه محسوس بالبصر بحركته في عين مبصر لا محالة بخلاف القلم الالهي فانه ليس بجسماني مثله في الظاهر فجعل الله ظهر سلطان
الآدمي بعلم الجنان في أكبر أوقاته مصروفا من أحوال جسمانية كالعلم والجهل والعلم والعدل والشك
والصدق وأم القلم الالهي فعبارة عن حق الله تعالى في علم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر
الجسمية الكائنة في عالم الملك ترى به من أوصاف ما عني به القلم المحسوس كما يصرف عين الخالق بحكم ارادته
على ما سبق به علمه في أزل الازل وتم سمي بهذا الاسم لاجل سبقه عن ما تشهي به عمراه لا يكتب الا حق
حق وصدق بين يدي الآدمي وبين الله عز وجل أن يعين الآدمي كما يمت مركب من عصب متصل بقوة
وعصب تصل الاولها وعدم يسمى الاول وهم متد وجلد عصبي جلد موصولة انتهائي الضعف وانفصال
ملقمة بايدوهي عاجزة عن كل حال وعين الله تعالى عند بعض أهل التأويل هي عبارة عن قدرته وعند بعضهم
صفة الله تعالى غير القدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن حق الله تعالى وهي واحدة بين
علم الالهي الباقي للعلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة لها صرف اليمين الكاتبة بالقلم المذكور
بالخط الالهي المكتوب على صحيفة المحسوس الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه لا يسوء اذ شرحه
صدورهم وليس يحتاج في اقارئين اذا كانوا عبيد شهوتهم ولم يشارك بين الآدمي الا في بعض الاسم لا حس شبه
الضعيف الذي يبهمك الفعل وتقريبه الى كل ناقص الفهم عنه بعض ما أنزل على رسل الله من الذكر

(فصل) وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله عز وجل بعضه من بعض ومحبته بغير وحد
عالم الملكوت ما وجد الله سبحانه من غير مادة ولا تقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين الحدين ثم شأنه أن
يكون في الظاهر من عالم الملك بغير بالقدرة الازلية هو من عالم الملكوت

(فصل) ومعنى أن الله خلق آدم على صورته ذلك على ما جاء في الاثر بين وللعلماء فيه وجهان فمنهم من
يروي الحديث سماعا وهو أن رجلا ضرب غلاما فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك إن الله خلق آدم على

صورته وقوله عود الضمير على مضمر وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع ويكون الاولى عوده
الى عين هذا المعنى المذكور في سبب الحادث والشبه في سير موطن دليل السبب المعقول مما يعبر ويعسر
دليل السبب على طلبه ويتعذر في وجه للحديث عن هذا مما يحتمله ويحسن الاحتجاج به في هذا الموضع ولوجه
الآخر أن يكون الضمير في صورته عائدا على الله سبحانه ويكون في معنى الحديث على صورة هي مضافة الى
الله سبحانه وهذا المضروب على صورة آدم فهذا هو المعتمد مضروب على الصورة المضافة الى الله عز وجل ثم
يعضد بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى الاضافة وعلى أي جهة تختص في الاضافة الى الله
سبحانه فنقول وجهها الذي يشهد أن يكون اضافة مدح لله تعالى كبيت الله وناقة الله وعبد الله ويتبين على
أحد الاوجه والوجه الآخر أن تكون صفة تختص به عز وجل فإن جهة على صفة لله فإنه رأى أن
مراد الصورة هو العالم الاكبر لعظمه وكثرة مخلوقاته وصغر صغير فإن العالم لما فصلت أجزاؤه وفصلت أجزاء آدم عليه
السلام فإنه وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الاكبر وإذا تشابهت جملة أجزاء جملة أخرى فإنه يلزم
من ذلك أن تتشابه أجزاء تلك الجملة الأخرى فلما قسم العالم الاكبر قسمة على حدة من تقسيمه وقسم آدم عليه السلام
كذلك فوجد كل جزء من أجزاء آدم مشابها لجزء من أجزاء العالم الاكبر فدل ذلك على أن آدم عليه السلام
معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك انقسم الى صغير محسوس كالطعم والمطعم والدم وسائر نوع
الجواهر المحسوسة والى معنى كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة وأن العالم كذلك انقسم قسمة أخرى وذلك أن
العالم قد انقسم للعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس والى عالم الملكوت وهو الباطن في المعقول والى عالم
الجبروت وهو المتوسط بين أحد الطرفين من كل عالم منهما وهو لا محالة انقسم في ما يشابه هذه القسمة فالشبيه
بعالم الملك لآدم المحسوس منه وجد عليه وأشبه بعالم الملكوت من روح وعقل والعلم والارادة والقدرة وشبيه ذلك
والشبيه بعالم الجبروت كالادراك بالحواس والقوى الموجودة في أجزاء الدماغ وقسمة أخرى وذلك أن عالم
الملك انقسم من أجزائه المحسوسة فرأس الانسان شابه جميع العالم من حيث أن كل ما علا فهو سماء
وحواسه شابهت حواس الكواكب والعلوم من حيث أن كل كثيف مشفة استمد من نور الشمس
وضيائها حواس كل جسم مشفة تستمد من روح الحيوان كالمدرك والروح الانساني مشابه للشمس
فيضي العالم وهو سببه وحركته حيوانه وحياته كما يظهر بحث الشمس وكذلك الروح الانساني يحصل في
الدماغ عن أجزاء بدنه وسائر جسده وخلق حيوانه وحصلت الشمس وسط العالم تعلم بالنهار وتغرب بالليل
وجعلت الروح وسط العالم وهي تغرب بالنوم وتطلع باليقظة من الانسان تشابه القمر من حيث أن القمر
مستمد من الشمس وهذا مستمد من روح والقمر مخالف للشمس والروح مخالف للشمس والقمر آية محوة
والنفس منهما وجعلوا القمر في أن لا يكون مضيئا بذاته ومنحوا النفس في أن لا يكون عقلها مضيئا بل هي تتري بالشمس
والقمر وسائر الكواكب كالكسوف والخسوف تتري الروح وسائر الحواس عند دخول وفي العالم بيان
وبيان روح وحيوان وفي الانسان بيان وهو شعره وبياضه وهي العروق والدموع والريق والدم
والدماغ وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت المشابهة على كل حال وإن كانت أجزاء العالم
كثيرة ومشابهاتها كثيرة معروفة ولا معلومة كان في جميعها تطويل وقد ذكر بعض ما لدى العقول تنبيه
فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الاضافة الذي في تغيير صورته والوجه الآخر هو أن من حق الاضافة الى
الله تعالى على معنى التخصيص به فدل بأن الله عز وجل أنشأه حيا قادرا سميعا بصيرا عالما مريدا متكلما
فاعلا وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا سميعا بصيرا عالما مريدا متكلما فاعلا وكان لآدم عليه السلام صورة
محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة فاعلة وهي لله سبحانه وتعالى مضافة لله وذلك أن هذه الاسماء تجتمع مع
صفات آدم الا في الاسماء التي هي عبارة لله فقط فيفهم من ذلك بقي الصفات فليس هو مريدا ولا متكلما من حيث
تباين ما بين الصورتين بالبعد وجوه لا يمكن حتى تجتمع مع صفات الله عز وجل وتطلق عليها حالة الوجود

فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ولم يتعرض بعبارة قبلي ولا بعدي فيما وقفت عليه من كتب تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان جاءت احدى الصورتين على الاخرى في الوجود ذكر مشبها مطلقا ومعناه لتيقن انه من المشبهين لامن المنزهين فقر على هذا بتشبيه معتقدا ولا تتكره كما قيل كن يهوديا ولا تلعب بالتوراة أي تلبس بهم وتريد أن لا تتشبب اليهم وتتكلف على قراءة التوراة ولا تعمل بها وان كنت لا تعتقد الصورة فكن مع هذا لا مقدسا محاميا أي اس تعتقد من الصورة المضافة الى الله تعالى لا لا تسمى عندك معه وتبقى على المعنى الذي لا يقع فيه اسم الصورة وقد حططت عن شملي كلام في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه ولا يعلم صراحة من سئل عن معنى الحديث فقال خلق الله عز وجل آدم على معنى الاسم هو صفة لا على انه ذات فقلت فكذلك قال من قلده في كتابه المعروف بتناقض الحديث حيث قال صورة لا كالصورة فرأيت حمدا يقول في ذلك وتعجب عليه لشناعة ما ورد به والطريح قوله ولم يرض به أكثر من هو من نحلة فاعلم أن الذي ركنه من قلبه وحمله على ان شد اعير صامنه وأعد الناس عن تسويغ قوله وبئس هو الذي لصقه به وأفسد به محول تنويه وسبل سبل من لم يفهم عرضنا وذهلت عن عقل مرادنا حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ان تشبيه لم يحسن بأن تنتهي الصورة في التسمية وهو ينتهي في حلة الذي يعتمد على الظن في تنزيه رحمه الله تعالى ان لم نقرع سمعه هذه الدقائق بقي أثرها بها وأحرى بها ان حيرا لو جود تأييد الله تعالى لعرفنا صورا ليست صورة لم يكن له به الف فتجبر وعلاه الدهش فتوقف من هذا الحديث الذي عدد وي الصورة تشبيه وبين تأويل لم يسعه وأثبت المعنى المرغوب عنه وزال في ما خاف من الوقوع فيه فهم ذلك اجماع ما رأم ولا تمام ما افترض قال هو صورة لا كالصور وهو الكل به فلا تطمئن دراك من في الاحد عه

(فصل) ومعنى قولنا طريق الوادي مقدس هو أنه يقدم على ما أثبت عليه من الحث والطلب قائمين على هداية ورشد والوادي المقدس عبارة عن مقام الكلام مع الله تعالى في الوادي والمقدس الوادي الذي أنزل الله فيه من الذكر وسمع كلام الله سبحانه وتعالى ذكر لوادي مقام ما حصل لحدف وقام المضاف اليه مقامه ولا يقصد به ما في لا ظهر ما نقول في مواضع لا تأثير لها وهي حروف

(فصل) ومعنى وضع نعليك هو أن تخلعهما على ما ورد في الحديث الذي يرويه موسى انى أنا ربك الاعلى فرغ قالت لي يرد علينا من فوائد المريد ومواريث الصدق وعلوم المعارف وارتياح سلوك الطريق وتشاوف قرب الوصول ويسر بسبب كنه تحول من رأس وخلع الاذن وما يوجب أن يرد من الله عز وجل واسمه علينا أو نقف في رفع ونكاسة محفوفة بالصبر متصل مع العبد تأويله وعن حرف نزح والمعنى ان لم تزل ذلك آفة تقعد عن سماع الوحي من الحق وصفه دعوى في النفس وشوح عن وصلت اليه واعتماده على عبره وسرداب محمد هي بحيث ما كوشف به لوادي به موسى عليه السلام هو علم التوحيد الذي وقعت العبارة اللطيفة عنه بقوله انني أنا الله لا اله الا أنا فالمنادي باسمه ازلا وأبدا هو اسم موسى لا اسم له الك لانه الموجود في كلام الله تعالى في أزل لا زال قبل أن يخلق موسى وكلام الله صفته لا تتغير لا يتغير هو وقد رأى موسى وسمع فراؤهم حين جعلوا صدورهم اقبول من أعقدنا التي بها تؤتى عباد الله من أن يختص هذا القول ما جاء من الذهب الذي وهم يعرفون بكثير من كثير ما من تكون بحصرة مبتدئ من القول الذي يحاسب الله ما آخر هذا ولا يلاقه كثير فوقوص اليه عليه وحماه حمية حظيرا وهو يبتدئ ما يحمو ي أمره عند متمثل من أمره ثم ان سماع للعلم الحاصر غير فولم يشارك الولي والمطلوع عليه والمقوص اليه في شيء مما ولي وأعلى ولم يحب له سمعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومعرفة المكاشفة من غير وصول الى درجة لمحض ولايته ولا تفوض اليه الامر كذلك هذا الذي كوروا وصل في طريقه ذلك بحيث حل ما كاشفه وشاهده وارتقى التام الذي يوجب المعرفة والعلم وحصيل العلوم ولا يمنع أن يسمع لغيره ما يوحى من غير أن يفقده وهو ذلك الذي هو محل سمع الوحي على الدوام ووضع الملائكة

وكفى بهما شهرة الزبير وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصودا بذلك بحاله في هذا المقام الذي هو امر نسبة لانا نه فقط بل قد استحق ذلك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصه معي آخر يرقى على ذلك المقام اصعاد بحور الترقد اربعة لان آخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء وموسى عليه السلام بي مرسل فمقامه أعلى كثيرا مما تحدون في أطواره لان هذا المقام الذي هو لمرتبة لانشة ليس من عادات مقام الولاية بل هو أول مقاماتها وقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع وانما نهاك ان لم يفهم في هذه المقامات وخصائص النبوات وأحوال الولايات كيف تتعرض للكلام فيها وانما على أشباهك الا يصلح الامان لا يطلق أنه مزاحم بكلامه ومخاصم بعلمه ويقيه مكتوبة عليه خطراته محفوظة عليه لحظاته محصاة منه بقضائه وعلمه فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان قلت أرأيت قد أوجبت له سماع عدد الله تعالى ونداء الله كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد سمعان تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل الاعلام في التعريف وهذا لا يصلح ان يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول فنقول ادعيد بالتشعيب وقصد بادرة الشغب تعارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلناه ولا يكسره شيأ وجملة أن يكلمه فصدا ولا يخبره بالخطاب عمدا وقصدا فانه محور أن يسمع ما خاطب الله عز وجل عليه من هو أعلى منه فليس من سمع كلام لانسان كلاما كلمه به غير سامع يقال به كله وقد حكى أن طائفة من بني اسرائيل سمعوا كلام الله الذي خاطب به موسى عليه السلام حين كلمه ثم اذا ثبت ذلك لم تجب لهم درجة موسى عليه السلام ولا مشاركته في نبوته ورسالته على أنا نقول فس ورود الخطاب الى اسماعهم من الله عز وجل لا يمكن الا خلاف فيه فيكون نبي المرسل يسمع كلام الله الذاتي القديم لا يحتاج في اسمع ولا وسطة بينه وبين قسه ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يليق في وصفه بما ينادى به في جهة أو غيرها دلك ما ذكرت قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله تعالى مع موسى انهم سمعوا صوتا كالرعد وهو اقرب ما وصفت به من الحالات حتى ورود الخطاب لموسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى حقيقة الذي هي صفة لا كيف ولا صورة تعلم بحروف وأصوات ولذين كانوا معه فسمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة عليه كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المكتوبة بها القرآن كلام الله عز وجل ادهي دلالة عليه فالمسلمات بني على السامع ان سماع كلام الله تعالى يستفيد به معرفة وجوده وصفة أمره ونهيه ووعده ووعيده وحكمه مما يحتاج العلم بضروري مما أدى به نبي المرسل الامات شمل باصلاح الخلق دونه ولو كان موصوفا بأنه آخر عنه وقام مقامه علم ان هذا الذي أوجب عز وجل دوام ذلك وعرفنا عن العلوم بالجهل وعن الحقائق بالمحايل أنت بعيد عن عور المطالب بعيد في شرك المذاهب وقيد صوب الصواب بعيد عدد قصد صاحب الذي يستحق به بنظر السالك الواصل في مرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معي ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاول وأجل وأكبر وبينهما بون من استحق ان يوجه الخطاب وقصد بين من لا يستحق أكثر من سماعه حين يخاطب به غيره هذا مع الاشارة باختلاف ورود الخطاب بهما مما لو حصر يقرر تلك بين ما بينهما لما وفت لا آن والاقد عي لا نبوة كاذب جاهل لم يقل الله تعالى ولا اظهر على يده أحد الامر ترتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى يخصان أو غير خصان وعلم ما في الكون ومشاهدة الا ثكة وما غاب عن المشاهدة والحس ان أجل المعبود وكيف يطلع عليها من ليس برسول فقد في الكلام تقديم وتأخير وحذف يصح على جهة التقدير بشرع الصدق والمشاهدة ضرورية وهو أن يكون معناه الامر ترتضى من رسول ومن تبع الرسول باخلاص واستقامة أو جعل بمعناه نبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل يعني ما غاب عنه أن يكشف له وقال ان يكن منكم محدثون فعمر وكما قال وقال المؤمن ينظر بنور الله وفي القرآن بعد قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فعلم ما غاب عن عبده من امكان ما وعده به وزاده قدرة عليه

ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد نبأه الله سبحانه عن ذي القرنين من اخباره عن العبد وصدقه فيه حين قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وكان وهم الاختلاف في سد ذي القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف المشروط في الآية وان أراد أحد اعتراضة بالاخبار بما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يديه الذي عنده علم من الكتاب وأراد أن يرد حديثه على غير ما جرى من الكتاب والحديث فيما يصح فيما جرى للعصر وما نبأ الله سبحانه عنه وأظهر عليه من علوم الغيبية وهو بعيد أن يكون نبيا ولا رسول على لو فان من الجميع والله تعالى يقول الامي ارتضى من رسول فدل على أن في الآية حذفا يتضاف معناه الى ما ظهر من كلام فكان سعد رضي الله عنه يرى الائكة عليهم السلام وهو عين ما ذكر رضي الله عنه عما في ايمان وهو من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا تحير العقول وتبهر العاقل ويحتمل أن يكون المراد من الآية بالرسول الذكور وبما ذكر لوحي الذي بواسطته تنزل العلوم وتنكشف الغيوب فتبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم علام الغيب اما بخطاب مشافهة أو بقاء معنى في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام كل الى علم الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول أن يرسله الى من شاء من عباده في يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك بضرب من ذلك لا محالة لان كل من ورد الله على علم شيء من مكنونه واعلامه اياه لم يصر الى نفسه علم ذلك بل علمه الله عز وجل حتى أوصل اليه العلم بذلك ونبهه عليه حتى يبرأ المؤمن من حوله ومن قوته ويرجع الى الله سبحانه وحده ويحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم ومعرفة وغير ذلك الا بارادته ومشيئته ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون ومنه علم لامن ارتضى من رسول يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من رسول على بدل من الملائكة

(فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه ينبني على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه قول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكار ك)

(فصل) ومعنى ولا تتعلق بوقت الصديق وما الذي أوصله الى مقامهم أو جاوزه الى ذلك وهو في مرتبة الصديقية عدم السؤال لكثرة التحقيق بالاحوال وخصه من هو في مرتبة أقرب كثرة السؤال طمعا في نوع الامن وأشبههم به أشبه اليه مثال ابن الملاقي استاذ وأحدهما يعرف جميع أنواع ما استاذ ويحقق أنواع ذلك التمار ويعلم أسماءها وصفاتها وهو لا يسأل عن شيء منها ولا يحتاج الى أن يخبره والآخر لا يعرف شيئا أو يعرف بعضها وهو يحتاج أكثر مما يعرف فهو يسأل الواصل الى علم الباقي وكذلك من تكاثر عنه حين كثرة السؤال عساه يتجاوز سؤاله ويتعلق همته الى ما هو أعلى منه وكان عبر عن ذلك الوقت أو عن الابد وذلك الدوام لا تنال بالكسب وما تنال به الا به فقيل له لا تتعلق برقاب الصديقين بالسؤال فربما لا يتعلق به وليس هو من أهل أن يوصل له الى مقامهم فارجع الى الصديق لا كثرة سؤاله وسيره فعساك تزول مقامه فان لم يكن متفق على حال القرب وهو بعد تقية هذا معناه

(فصل) ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الى رفيق الاعلى انه موصول اليه بالسؤال منصرف عما لاق به من الاحوال ليحكم ما لاق عليه من الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم للذي ساله أن يعلمه من عرائب العلم دعني أحكم ما هنالك وكذلك أعلمنا من عرائب العلم ما صنعه نصر رضي الله عنه من بعض بالتحقيق وجمع بالتذكير وهو الذي يريد وجه آخر لم يستطع المقدم في ذلك الوضع بعد وصوله اليه فذلك تعلق جزء المعرفة بالمدى ومسكه بالمدى ومع ذلك فرقه بعد وصول بعيد عنه لا يمكن في العادة وفي الممكن بهلك الجسم وتفرقت الاوصال والله تعالى أراد بمباركه الذي بعد ما سبق في علمه ولم يحد له منه بدا ومعنى قول أبي علي الجبائي الذاراني لو وصلوا لصاروا جميعا الى حالة لا نقص من وصل الى حالة الاخلاص والذي جمع أن طريق الحصول فيه لسؤاله وتمادية الى حال القرب منه اذا لم يصح لذلك ولم يصف له ولم يخلص في أعماله انتهى لفظه الاملاء ولنعد الى شرح كلام المصنف (فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد) المشار اليه (الى أنه ينبني على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه قول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكار ك)

لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانهم لا يدركون بالحواس الخمس فلازموا الحصيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا مسهم فانى لا أهتدى الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيأ سواه فيقال له انكارك لما شاهدناه (٤١٨) مما ورد الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم فانو مراء لا يثق به فيقال له دليلك مراءى منهم فان قال وأنا مسهم فانى لا أهتدى الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيأ سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مجردا للحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس) وهم طائفة من الحكماء يزعمون انكار حقائق الاشياء ويزعمون انه ليس شيء مختلفة وحقائق مختلفة بل كل ما يتخيل ويتوهم فانه لا وجود له في نفسه على وجه ما بل كما يتوهم لا أصل له ولا وجود له (وكلمة يونانية معناها هذا اسم الحكمة) (فانهم مراء لا يثق به فيما يراه في المنام) شبه الخيالات بالمنام (فان قال أنا مسهم) ومن جملتهم (فانى سأله في المحسوسات أيضا فيقال هذا شخص) وذا (مستدبر جهة) وذاك مقام تركيبه (وامتناع علاجه فيترك) ولا يعالج (فان كل مريض يقوى على علاجه الاطباء) وفي حكم هذين ان كان مرض الشهادة أقوى وأشد شهرة فاسدة ومعلمه كاسدة ويكون من عقيدته وهم أسوأ حالا من السمنية والسوفسطائية ومن طريق نفس هؤلاء الملاحدة حيث تودد عند انتفاء الامر لديهم وتباس الحال عليهم وبكمهم لا يجدون عن جحودها (هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم) لجهله في معلمه وقلة ذهنه في فهمه (فطريق السالكين معه أن يطرقوا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها ضعيفة في الاصل وتدرك فيها ماء أسود) أو قصر منعه عن نظر (يقتصر في علاجه والتقية استعمال تقويته أولا (بتقوية) وزينته نحو القدح وغيره مثل (اشتعال الكحل) الجيد (بلا اصرار ظاهرة) بعد وانها بالاكحال المعالجة (فان استوى نظره) وقوى نوره (أرشد الى الطريق يسلكه) الاطباء (كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه) أول نظره اليهم مال الباطنة شرفت الانوار في صدورهم وأعينهم ثم أرشدهم (فان كان عيره ان للعلاج فلم يمكنه أن يسمع الا الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذوات الثالث والملكوت بشهادة التوحيد) كما سبق من قول الشاعر

وفي كل شيء له آية ● تدل على أنه واحد

(كلمة تحرف وصوت وردد ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيدا اذ يعلم كل أحد ان العمل يفسد اذا صلحين واصلا يفسدا مصلحين) وان السفينة تفسد وتغرق ومن المحال عقلا اتفاق الحاكمين المشتركين على تدبير واحد لا تعارض بينهم بعض (فيقال له على حد عقله انه يعلم واحد والمدبر في الكائنات (واحدا فلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أي بتعارض بعضهم بعضا فيفسد العالم فلم يبق على طريقة واحدة لكن الشمس والقمر تجريان بحسبان واحد والحر والحس والبرد من مكوكب وسائر النجوم لم تختل أحوالها فيما خلقت له ولم تختل مراكزها ومسالكها والسماء والارض ما لا يختلف وسحاب يجري بالماء لعامة أهل الارض في أوقات حاجتهم اليه والحبوب والثمار تخرج على وتيرة واحدة والبشر كلهم وكل جنس من الحيوان على ما هو عليه من الصور المخصوصة بكل جنس فانه لو اختل لزم التعدد وهو الفساد معلوم قطعا ويقضاء اللزوم وهو التعدد مختلف قطعا ويقينا فهذه الادلة عقلية مختصة على وحدانية الباري جل جلاله (فيكون ذلك على دون مارآه في عالم الشهادة فيعرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر

عقله

له على حد عقله انه العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على دون مارآه في عالم الشهادة فيعرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر

عقله) ولا يتحدى معه الا دلال فيحتاج عند الى تدريبه في تركيب العبارة تكميلا للصنعة (وقد كلف الله الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم) وذلك فيما ورد نص معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم رواه الديلمي من حديث ابن عباس (وبذلك نزل القرآن على لسان العرب وعلى حسب عاداتهم في المحاورة) وهذا يشير الى أن الملازمة في الآية عادية وانما عدل عليه على ما هو اللائق بالخطابيات وقد سبق لهذا البحث لهم بانة مفصل في شرح الكتاب الا ترى عدد كر برهان الدين مع (قد مات من هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماد التوكل واصلا فيه قول بعض الاستقداد اوى) في القلب ورجح (عمن عن الكشف في الثورة الاحوال) من مكامنها (الا أنه في العالب يضعف و يتسارع اليه الاضمحلال سريعا ويترزل غالبا) وقل معتقد ثبت في اعتقاده (وبذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحترسه بكلامه) بان يلقنه بادلة القرآنية ويبني عليها يرد عليه من الشكوك (أو لى أن يعلم هو الكلام يحترس به العقيدة التي تلقنها من أسنده ومن أوبه ومن أهل بلده وما الذي شاهد الطارق وسلكه نفسه ولا يخاف عليه شيء من ذلك) أي من الاضمحلال و التزلزل وهو الذي عناه الله سبحانه بقوله ليطمئن قلبي (لما الزداد يقينا وصوحا) فيما كان قد ظهر له وهذا القول قد سبق الى بعض انه عند ما كشف الغطاء ما ازداد يقينا وهذا المقام لا يختص به الا الاوحدي من هذه الامة (وسكن برداد وصوحا) وترجمانه هذا (كان الذي يرى انسانا في وقت الاستمرار) مثل طلوع الشمس (لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ويسكن برداد وصوحا في تفصيل ملقنه وما مثال المكاشفين) اما هذين الذين يكشف لهم سرا طريق (والمعتقدين الا كسحرة فرعون) الذين كان جمعهم لمقاومة موسى عليه السلام وكان أكثرهم من صعيد مصر وكانوا هذا سبعين ألفا (مع أصحاب السامري) منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها سامرة وانما سمي هذا الجمع موسى بن عمران كان على ما ذكر مقاتل كرمان وهي من ناحية قال المسعودي السامرة فرقة من اليهود تخالفهم في أكثر الاحكام و ينكرون نبوة داود وعامة من بعده من الانبياء وهو لاء بعد موسى وهرون وساهم من ولد هرون بن عمران و يقولون لا مساس و يزعمون ان الناس هي بيت مقدس وهم صنفان سكوتيان والدوستان (فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير سحرهم وطول مشاهدتهم و) كثرة (تجربتهم قرأ من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر) وتحققوا أنه ليس بسحر وانه هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فانقادهم دلائل على وجوههم بحيث لو ربه عن صعوا واعتقدوا عظيما بأن رأو (فبكثر تو بقول فرعون) لانهم لما قالوا آمنا برب هرون وموسى قال فرعون لا تستبدوا بين أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر (فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ولاصلبنكم في جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) أي من تحقق (على ما جاءنا) موسى به (من البينات) المعجزات التي اصحاب (والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض) أي ما أنت قاضيه أو صانعه أو حاكم به (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي انما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا (فان البيان والكشف يمنع التغيير) كما هو شأن عالم الملكوت (وأما أصحاب السامري) وكانوا هاهنا ستمائة ألف (فلما كان ايمانهم عن النظر في ظهر بالعيان) وهو انفلاق البحر الذي كان في عبوره أمر الغائم فاذا هو أعيان مبينة فانقلعت ما تقوامن الجبل و لعصي وقد هو هو مرتبق فيما أحسن بحر الشمس تحركت (فلما نظروا الى عجل السامري) الذي كان اتخذه من حلي القوم وكانوا استعاروا من آل فرعون قبل ان يغرقهم ثم لم يردوها بحجة ان عليهم وبيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه وأوهم بهم السامري ان موسى ما أخلف معكم ميعاد منكم من حلي القوم وهو حرام عليكم قال أي ان تحضروا حيرة و تحضروا ديها نار

فرعون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى من بيان والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظهر العيان فلما نظروا الى عجل السامري

في الثورة الاحوال لانه في الغالب يضعف و يتسارع اليه الاضمحلال سريعا ويترزل غالبا وذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحترسه بكلامه أولى ان يتعلم هو الكلام يحترس به العقيدة التي تلقنها من اسنده ومن أوبه أو من أهل بلده وما الذي شاهد الطارق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان برداد وصوحا كان الذي يرى انسانا في وقت الاستمرار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وصوحا في تفصيل ملقنه وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير سحرهم وطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فبكتوا بقول

وسمعوا خواره تعبيرا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله موسى وسوء لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالسحر إلى تعبان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عمل لان كليهما من علم الشهادة فلا اختلاف ولا تضاد في علم الشهادة كثيرا ما علم الملكوت فهو من علم الله تعالى فلذلك لا تحد فيه اختلافا وتضادا فلان قلت قد ذكرته من التوحيد هو مما يثبت أن لوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا قلت اعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان يريد أن يشاء لكان هذا مرة القديم وموضع العجز ولكن علم انه يفعل ما يشاء إذا شاء ويشاء ما شاء فلم يشأ فليست المشيئة إليه لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن المشيئة إليه فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انحراف المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب جهدا ضروريا ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان علت جهدا جبريا محضا والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فالجواب لو انكشف لعطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو وإذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم اختيارا فسيرح لاختيار لانسان ان الحكامين شرحا وجبرا يليق بما ذكرنا منطقا ولو بعافان هذا الكلام لم تقصده الا لعلم انه عمل ولكني أقول لفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه إذا قال الانسان يكتب بالاصابع وينفس بالرئة والحنجرة ويحرق الماء إذا وقف عليه بحسمه فينسب إليه الجري في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الامر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فاعرف لكل منها ثلاث عبارات فيسمى جري الماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا

(٤٣٠)

وموقع العطاء وكل علم انه يفعل ما يشاء إذا شاء ان يشاء ثم لم يشأ فليست مشيئة إليه

وتقدس كل ما يعبد فيه ويدعى وخرج لهم عجلا جسدا له خوار (وسمعوا خواره) أي صوته وكان قد قبض قبضة من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار في جوفه فحي وطهر له صوت (تعبروا وسمعوا قوله هذا إلهكم وإله موسى) وهو من قول السامري فلذلك أول ما رآه قصدوه واتبعوه (ونسوا انه) أي العجل (لا يرجع إليهم قولا) أي كلاما ولا رد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي لا يقدر على نفعهم وضررهم (وكل من آمن بالسحر في تعبان يكفر بالله تعالى لا محالة لان كليهما من علم الشهادة والاختلاف والتضاد في علم الشهادة كثير وأما علم الملكوت فهو من علم الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا فان قلت قد ذكرته من التوحيد هو مما يثبت ان للوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر) لا مرية فيه (في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا) فان من شأن المسخر لا يكون له اختيار أصلا (فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان يريد أن يشاء ولا يشاء لكان هذا مرة القديم وموضع العجز ولكن علم انه يفعل ما يشاء إذا شاء ويشاء ما شاء فلم يشأ فليست المشيئة إليه إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية) وتسلسل باطل (وإذا لم تكن المشيئة) إليه (فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انحراف المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب جهدا ضروريا ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان علت جهدا جبريا محضا) وهو اسم الفعل عندنا تعلق من غير أن تثبت للعبد قدرة لا مؤثرة ولا كاسبة وهو مذهب جهم بن صفوان وأتباعه (والجبر يناقض الاختيار) وهو طلب ما فيه خير (وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فالجواب لو انكشف لعطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور) لانه تعالى أجرى سنته على أمور لا يمكن فهم سرها حسب تقتضيه الحكمة الالهية لا على ما توهمه العوام كإجرائهم على المرض والموت والصحة وتحركاتهم لطرق يتقاضاها طريقة من الاعمال والاحوال يعرفها فاما خواص صنعته لا يفي عمرها حولا ولو كان يكاد مع كراهته كان لا يجد عنه بدا لا (فهو اذا مجبور على اختيار) أي في صورة مجبور (فكيف يفهم هذا من لا يفهم اختيارا فسيرح لاختيار لانسان ان الحكامين شرحا وجبرا يليق بما ذكرنا منطقا ولو بعافان هذا الكلام لم تقصده الا) بيت (لم يعد له) ومباحث علم الكلام انما تذكر فيه على سبيل تبعية (ولكني أقول فعل في الانسان) الذي هو أثر من جهة مؤثر فمن زعم أن يكون بإيجاده أو تعبيره وتعمله وقصده أو بغيره (يطلق على ثلاثة أوجه إذا قال الانسان يكتب بالاصبع وينفس بالرئة والحنجرة ويحرق الماء إذا وقف عليه بحسمه فينسب إليه الجري في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الامر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فاعرف لكل منها ثلاث عبارات فيسمى جري الماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا

وتسمى تصميما وعزما وتصميما كما تسمى ارادة وتسمى كما تسمى ميلا حتى يريد الحجر هو الحركة فى نحو الصبى لانه مهيأ ومعد على وجه ما وتحفظ من السطح للهواء المخرق للهواء لاستحالة فيكون الخرق عدما فالتحفظ امر وجودى والتنفس فى معناه فالتنفس حركة الحجر الى زاوية التنفس كحركة الماء الى ثقب فى انبوب فهما كالشئ الواحد المتنقل موجود واحد لا اثنان وهذا واضح الامر وكذلك الارادة ليست بشئ وكذلك لو قصد عين الانسان بابرة فتح الاجفان اضطرارا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تعميض الاجفان امر وجودى وكما ان صورة الابرة فى مشاهدته بالابصار لما حدثت الارادة بالتعميض ضرورة وحدث بآخر كتمها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد انتفى هذا القسم الثانى فى كونه ضروريا

وأما الثالث وهو الاختيارى وهو مسمى كالتنفس فعلا اختياريا وسمى كالتنفس فعلا اختياريا وسمى كالتنفس فعلا اختياريا و

ان يحرر بنفسه مثلا لم يمكنه لانعدام القدرة في يده ولانعدام السكين ويمكن بعضد ارادة داعيه مشخصة للقدرة واما تعذب الارادة فلا تتبعث بحكم العقل والحس يكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له (فلا يمكنه مع قوة الاعتصام بقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل هنا يتوقف في (٤٢٢) الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجحه تعذر الروية ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه

قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه حزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة فتأتى قتله نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقعت قصارة فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعيه الارادة مسخر بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعيه والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فما هو محل ومجرى لهذه الامور واما أن يكون منه فكلا ولا فما معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا وحكم العقل بكون الفعل خيرا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فما هو مجبور على الاختيار ففعل الله في الاخرى مثلا جبر محض وفعل الله تعالى في اختيار محض وفعل الانسان مترتب بين الجبرين فانه مجبور على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة فان كان فانا نشاء واثنموا فيه بكتاب الله تعالى فقوله

أيضا جبرا فما هو مجبور على الاختيار ففعل الله تعالى في الاخرى مثلا جبر محض وفعل الله تعالى في اختيار محض وفعل الانسان على مغزة بين الجبرين فانه مجبور على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة فان كان فانا نشاء واثنموا فيه بكتاب الله تعالى فقوله

Arabic Digital Library-Yemen

ان يحرر بنفسه مثلا لم يمكنه (لانعدام القدرة في يده ولانعدام السكين) ونحوه أو السيف (ولكن تتعذر الارادة لداعية المشخصة للقدرة ولكن تعذرت لارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس يكون الفعل موافقا) له (وقتله نفسه ليس موافقا) له (فلا يمكنه مع قوة الاعتصام بقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق) شديدة (فان العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجحه تعذر الروية) والتفكر (ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه حزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة فتأتى قتله نفسه كالذي يتبع بالسيف) وقد شهره (للقتل فانه يرمي نفسه من) أعلى (السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يمكنه) من ذلك (ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف) غير مهلك كعصا أو حجر ونحوها (فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقعت قصارة فلا يمكنه) ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة (لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل بمقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فما هو محل ومجرى لهذه الامور واما أن يكون منه فكلا ولا فما معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا وحكم العقل بكون الفعل خيرا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فما هو مجبور على الاختيار ففعل الله في الاخرى مثلا جبر محض وفعل الله تعالى في اختيار محض وفعل الانسان مترتب بين الجبرين فانه مجبور على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة فان كان فانا نشاء) أي (اقدروا) أي اقدروا (فيه بكتاب الله تعالى فنحوه كتسا) يشير الى قوله تعالى لهما كسبت وعليها اكتسبت والمراد بأهل الحق هنا الاشعرية فانهم الذين نحو ذلك كسبا وذلك ضربوه المثل فقالوا الحق من كسب الاشعري وما الذي تريده فانهم متفقون على خلافهم بعد الاختيار وقد تقدمت الاشارة الى هذا في شرح قواعد العقائد (وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما فاعتمد من فهمه) وحاصل ما ذكره في الكسب بعد قول تعدد ذكرها في محلها ان القدرة الحادثة تتعلق بها القدرة القديمة تعلق التكسب أن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل تعلقا لا يترتب عليه وجود مقدور ومن هنا قيل لم يثبت من معنى الكسب غير نسبة ما بالقدرة الفعل والذي يلوح بالتأمل الصدوق ان الانسان اذا فعل فعلا اختياريا فعلا حالة يتصوره ولا يوجد فعلا الا بعد التصور وليس من نفس نفسه عند عجزه المعترفة على انه قد يقع ذلك في نفسه من غير توهم اختيار منه ثم ينبعث من ذلك التصور شوق اليه فتشتاق نفسه الى حصوله وهذا الشوق يضاهي فيض الكمال يتطلب قوة وضعها حسب ما اقتضت النفس الى ذلك المتصور واختصته فرغب فيه وتصوره بوجه غير ملائم وجه تنافيه فتشوقه اليه وتقل رغبته فيه وربما يحمله ذلك الامر الزائد بحساب ما يلزم ملاحظته اياه ذلك الوجه ويكف عنها وكمل شوقا يعني حسب ذلك فيصدر منه طلب الى فعله وقصد الى تحصيله ليترتب منه الفعل عنه اما بخلقه تعالى على مجرى عاديه أو بقدرة العبد ثم ان تمكن الانسان من الفعل وانزاله اما يتوهم من أمرين من هذه الامور الاول الاعراض عن تصور طالوت على الوجه الملائم والانسان اما وجه آخر وترك ذلك ويسعى لمن يقول يكون الانسان قادرا أن يقول ذلك ادليس فيه ما ينافي استناد الخلق الموجودات لكن لا ظهر ذلك أيضا ما يمنع للهيئات الراسخة والعوارض النفسانية الجبلية المكتسبة الخلقية وغير خلقيه كما هو مذهب الحكماء وعامة الحرميين وب كان لا أثر غير تلك الهيئات بعد تلك القدرة توفيق الله تعالى لمن يفعل في أفعاله وما هو داع الهيا من أحواله والثاني

وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة تعقب تخيير وتردد كما ذلك في حق محل وجميع الاعراض المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق به تعالى (وذكر ذلك لا يليق به تعالى يعلم وبقول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم والارادة والقدرة متغايرات كل منها أخص من المتقدم قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله تعالى وان أثبت ذلك فقد سعى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القولين

أسلم اتبعت عن المشوش لسعي بالقصد والارادة فيسعى أن لا يسند ذلك في لا سبب ولا محل ممكن تركه مثل الحيوان بكل ترتب مؤثر بعد عن سببه والله أعلم (وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة تعقب تخيير وتردد فان ذلك في حق محال) لانه أحد ي الذات واحدي الصفات وأمره واحد وعلمه بنفسه وبالاشياء واحد فلا يصح لديه ترد ولا امكان حكمين مختلفين بل لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في علمه فالاختيار الالهي انما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس (وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز) فاذا كانت حقائقها توهم ما لا يليق به تعالى (وذكر ذلك لا يليق به تعالى يعلم وبقول القول فيه فان قلت فهل تقول بالعلم والارادة والقدرة وبسائر الحركات وبكل ما تأخر حدوثه من متقدم فان قلت ذلك) واعتقد مذهب (نقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله تعالى) وذلك باطل (وان أثبت ذلك فقد سعى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ما القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جعل محض سواء عبر عنه بالتولد أو غيره) والقول بالتولد من لا يصدر من فاعل من أنه بالذات هو موجود مقدوره على ما قدر به مشيئته ويدل على ذلك قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون والقول بالتولد هو قول جماعة المعتزلة فانهم زعموا ان الافعال المتولدة لا تقدر عليها ابتداء لانها على اصلهم والحوادث لا توجد الا بمحل وهي الصفة التي لاجلها يكون القادر قادرا (وهو الاصل الذي لم تقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم منهم وهو واقع على كيفية معلومة لكافة) من عبر عنه (وهو واقع تحرد عنه مع نوع تشبيه بقدرته) على فيض العالم على الشاهد (وهو عدم عن الحق وبيان ذلك يطول) وقد سبقت مباحث القدرة في شرح الكتاب الثاني من هذه الكتب (ولكن بعض المقدور اسم تترتب على بعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل حياة) ووجود المحل شرط في وجود القدرة والعلم والارادة وحدوث القدرة والارادة فيما ليس بمحل وكل نوع من الاعراض المختص بالحي والا حياة فيه لا بد أن يكون مدركا (وكما يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة وكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط وربما ظهرت للعامة وبعضها يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والمراد وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا وان هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجد لوجوه في تصحيح قول المصيب الاشعري ليس في الامكان أبدع مما كان (فتأخر متأخر لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

مقدور والا يتأخر العلم عن المعلوم الا بعد شرط العلم وكل ذلك مناهج الواجب وترتيب
الحق ليس في شيء من ذلك ما يدل على كونه تعالى عاجزا بل كل ذلك يحكمه تعالى ويدبره على ما يريد كما يشاء ويختار مع وجود القدرة على
وجود الشرط وعدمه لان الذي يقرب ما ذكرناه الى افهام العامة ان تقدر ان الحدث لا يرتفع عن
أعضاء الوضوء الا بالماء وان كان الماء هو الرافع للحدث لا يرتفع عن
اليدين وهو حامل لهما على الجملة ان (٤٢٤) الحدث ارتفع عن اليدين برفعهما عن الوجه لانه حدث عقيب ادبقول كان الماء ملاقيا وما يكن راد والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن
اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن
اليدين وهو حامل لهما على الجملة ان الحركة
تحصل بالقدرة والارادة والعلم
وكل ذلك حاصل عند
ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن
اليدين بالغسل الوجه والماء لم تغير
ولم يتغير وما حدث وجه ما ولكن حدث
وجود الشرط فصار أثر
العلم بهذا يبين أن
تفهم صدور المقدورات
عن القدرة الا بارتفاع أثر
القدرة قد تقع المقدورات
عادة وهذا فرع بان
آخر العالم حرمن علوم
الكاشفات والشرك جميع

مقدور) فان كل ما اختص وجوده لم يوصف احد بالقدرة عليه وكل ما صح حدوثه ويوهم كونه ولم يستحل في
العقل وجوده فانه قادر على ايجاده واحداثه (فلا يتأخر العلم عن مقدوره لا بعد شرط الحياة ولا تتأخر عنه
الارادة بعد العلم لا بعد شرط العلم وكل ذلك مناهج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعجز والله
تعالى عن ذلك بل كل ذلك يحكمه تعالى (وتدبيره) ما شاء (وتقديره) على (وتفهيم ذلك عسير ولكن ما ضرب لتوقف المقدور مع وجود
القدرة على وجود الشرط مثلا يقرب مسعاه الحق من الافهام الضعيفة) القاصرة عن ادراك الحقيقة (وذلك
بان تقدر ان الحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع
للحدث وهو حامل له وتقدر القدرة الازلية حاضرة وملاقية للمقدور متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن
لا تحصل المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظار للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف الماء
على الماء عن اعضائه وارتفع الحدث عن اعضائه ارتفع الحدث عن اليدين برفعه عن
الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا وما يكن راد والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما
لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن
اليدين وهو حامل لهما على الجملة ان الحركة تحصل بالقدرة والارادة والعلم
وكل ذلك حاصل عند
ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن
اليدين بالغسل الوجه والماء لم تغير
ولم يتغير وما حدث وجه ما ولكن حدث
وجود الشرط فصار أثر
العلم بهذا يبين أن
تفهم صدور المقدورات
عن القدرة الا بارتفاع أثر
القدرة قد تقع المقدورات
عادة وهذا فرع بان
آخر العالم حرمن علوم
الكاشفات والشرك جميع

ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في نعت الفاعل بالحقيقة وحده وهو الموصوف بالرجوع عليه
التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر مقام الثالث من مقامات التوحيد واشتماله على
كل ما في عمر نوح بحال
كان يتفجر الماء بحرا بأخذ قطرات منه وكل ذلك يحتوي تحت قولنا لا اله الا الله وما سهل لفظه مؤنة على اللسان وما سهل اعتقاد مفهومه لقلبه على
القلب وما عز حقيقته وبعد العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم فان فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد
أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات فاعل للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف
يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مقهورين

فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل الذي صرح وهو تعالى لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النبي والاثبات صريحا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون به رامي اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ فعلهما

الله فعل من فعلين شرك (فاصل لهذا لك غير معدوم اذ كان الفاعل معنى و حدوث كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما فلا يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا او يقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل معنى) هو امره بذلك (والجلاد قاتل معنى آخر) هو مباشرته له (فكذلك لعنده على معنى ولله تعالى عن معنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا به المخترع للوجود) ذلك الفعل (ومعنى كون العبد فاعلا به المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه العلم فاقترنت القدرة بالارادة فوجبت الحركة بالقدرة وارتباط الشرط بالمشروط وارتباط القدرة بالمقدور به ارتباط (٤٥٥) المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان تعلق القدرة يسمى فاعلا به كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك يسمى فعلا بهما وكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق دلالتها نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد) لانهم وسائط وتحل قدرته وصادر بقدرته حكمته (واسبابها) اي تلك الافعال عنهم (مرة اخرى الى نفسه) لانهم من اختراعه وتخليقه وآثاره من قدرته وحكمته وهو الخالق القادر لا به تعالى وقدرته وحكمة ظاهرة اشياء على وصف القدرة مرة اخرى اشياء على معنى الحكمة فلا يخلو شيء من حكمته لاحد من شاهد هو من قدرته من علم ان الله تعالى حكيم فالحكمة صفته ولا يثبت الوكل الاشياء الا كما جاء به دعوة صارة مشيرة الى توحيده من علم ان الله سبحانه قادر والقدرة صفته وربما كم من عاص ولا شريك له في امره ولا ظهير له في حكمه تيقن ان حكم الله ولا شريك في حكمه احد فقوله تعالى وما هم منهم من ظهير وكم هو تعالى على كل شيء وحده لا يدل على هو تقدم به عدم ظهوره وحده لا يدل على هو لا آخر (فعل تعالى في الموت هو قل يتوفاكم ملك الموت) سمي وكل كم فاضاف التوفي اليه باعتبار انه مظهر لذلك وهذا هو الصحيح (ثم قال عز وجل) في التوحيد (الله يتوفى الانفس حين موتها) وانتم تعلمون في مناظراتكم ان الاول اظهر الاوساط اسنادا وان تعلقه بها ولا شريك في حكمه احد فقوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون) ذكر الاوساط لان الحرث محل ونحن نعلم ان لا يزرع كذلك

معنيان مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن) وهذه في نسبة الانسان ورفع حقيقتها قوله تعالى يا آدم نبئهم بأسمائهم فلما نبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (وقال) تعالى (علمه البيان) وهو شرح الحروف والمعاني من الكلام (وقال) تعالى (ان علينا بيانه) أي كشف مشكله ومبهمه (وقال) تعالى (أم رأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) أضاف الامناء إليه لانه عمل من أعماله وهو صفته وحكمه وخلقه كما أضاف اليه الحرث في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم وأضاف الخلق اليه لانهم كانوا به على قدرته وحكمته وهو الحكيم العليم الذي أضاف الروح اليه في آية بعد هذه الآية (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في حق الله تعالى في حكمته وعبرته عن مشيئة لا شبيه لها ولا تحد ولا تستدل (في وصف ملك الارحام انه يدخل يده في الرحم فيأخذ النطفة بكفه فيصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوي) أي معتدل (أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك ثم يطبع فيها الروح بالسعادة أو بالشقاوة) قال العراقي رواه الشيخان وابن عدي من حديث عائشة ان الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يا رب هذا الحديث وفي آخره فما من شيء الا وهو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدي انه منكر وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى قلت وتمام الحديث عند الشيخين بعد قوله سعيد فيقول غلام أو جارية وما شاء الله أن يخلق في الرحم ويقول يا رب شقي ثم سعيد فيقول شقي أو سعيد فيكون ما سبق له في علمه حلا فقد من شيء الا يخلق معه في الرحم الا أن الله تعالى قال لي سال اسمه بالمر زباه وحديث ابن مسعود الذي أشار اليه العراقي متفق عليه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات ويقال اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ورواه ابن حبيب في تفسيره والحلي في نوادره بلفظ ثم يرسل اليه ملكان فينفخ فيه الروح فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد (وقد قال بعض السلف ان الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقال له الروح هو الذي يتولى الارواح في الاجساد) قيل (انه يتنفس بوجهه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا في جسم ولذلك سمي روحا) هكذا نقل الفواني صاحب الغنوة وقد يقال (وقد ذكره) أي بعض أصحابنا (في مثل هذا الحديث وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل والحكم به دون نقل تحكم مجرد) ثم قال صاحب القوت وقد ذكر بعد هذا بأسطر من أدلة وهي حدود الحكمة هذان وهما الاثوب والناطس وهما اسمان للروح ثم ان الله تعالى قال في وصف نفسه بارئ المصور كما قال الخالق ومعلوم ان حديث ابن مسعود انما هو حديث يدل على الصفة لي ووصفه تعالى بنفسه يدل على التوحيد (وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الارض والسموات) في عدة آيات وهو مقام التفصيل (ثم قال) تعالى (أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) وهذا مقام التوحيد (وقال) أيضا في هذا المقام التوحيد (شهد الله انه لا اله الا هو الآية وفي أنفسهم) وقال أيضا مجاهد روى عنه تعالى في الآية دليلان أما الدليل على نفسي لا دليل أدل علي مني (وذلك من مشاهدة) بل عرف الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر في الموجودات) وهو من أهل المرتبة الثالثة من التوحيد وإليه الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (وكم من طالب عرف كل موجود بالله) وهو من أهل المرتبة الرابعة من التوحيد وهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى ثم رأوا الاشياء بعده فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود على سواه (كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي) ومقام من قبله لولا الله لما عرفت ربي (وهو

وهل أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم أنثى سوي أم معوج ويقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك ثم يصور آخر ويصور الله ثم يطبع فيها الروح بالسعادة أو الشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يتولى الارواح في الاجساد وربما يتنفس بوجهه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا في جسم ولذلك سمي روحا وقد ذكر في مثل هذا الحديث وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل والحكم به دون نقل تحكم مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله أنه لا اله الا هو فمن به الدليل على نفسه وذلك ليس مقتضى

طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر في الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه يحيى ويميت ثم قوص الموت والحياة الى ما كان في الحيوان ما لم يكن فيه الموت والحياة فقال مت الموت أنا أحيي الاحياء قال مت الحياة فقال الله تعالى عليهما كونا على عملكما وما حضر تكما من الصنع وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذا فعل ينسب معنى وجوده اليه ولا تناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي رآه تمرة خذها ولم تأتها لانثى أضاف الاتيان اليها والى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه يحيى ويميت ثم قوص الموت والحياة الى ما كان في الحيوان ما لم يكن فيه الموت والحياة فقال مت الموت أنا أحيي الاحياء قال مت الحياة فقال الله تعالى عليهما كونا على عملكما وما حضر تكما من الصنع وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذا فعل ينسب معنى وجوده اليه ولا تناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي رآه تمرة خذها ولم تأتها لانثى أضاف الاتيان اليها والى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وقال الصف في القصد الاسنى وما كان أكبر الحق يرون كل شئ سواه فيستشهدون بما يرون عليه وهم المحاطبون بقوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد (وقد وصف الله تعالى نفسه بانه) هو (يحيي ويميت ثم) جعل الاحياء واسطة كما جعل الموت وهو اسراد لمن احب نصوره ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيى كل ميت و (قوص الموت والحياة الى ما كان في الحيوان ما لم يكن فيه الموت والحياة فقال مت الموت أنا أحيي الاحياء وقال مت الحياة أنا أميت الاحياء) هكذا نقله صاحب القوت مصدرا قوله وفي بعض الاخبار وكانه يعني به الاسراء الذي ورد ذلك قال عز قائلا حدثه أصلا وفي الدعاء يريد ذكره الصف قوله تعالى في السبعين نهم لعدوا الله ما لهم أولياء وقال في انتوحيد ايا هم أولياء يتخذونهم في تشابههم وأصلهم الشامري وقال في محكم كتابه هي لا فضل فصل هامن شئ وقال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية قال أهل التفسير داود عليه السلام بعد قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وكذلك كان يحرك عليه السلام لاخذ ذلك علامة كان الله تعالى وهب له أن يجيب بها ذكر عبده وهو يشهد به ثم قال في الحرف الآخر بهذا لك يعني الله سبحانه وتعالى وهو قول موسى عليه السلام لا أعلم الا أنه قال ربي لا يحل لاحد من الله تعالى قال وهذا من رحمته هو وبيانه وهو في الحقيقة لا يحيط نفسه ولا أحد دلالة لمالك أصلا الا الله تعالى وهذا على أحد الوجهين ان كان وأحد في موضع نصب ولوجه الآخر أن يكون في موضع رفع فيكون المعنى وأحد لا يحيط لا نفسه وقال تعالى في سبعين نفسا ثبتت الاحكام وتقبل الامم أخرج ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقال تخرج الناس من ظلمات الى النور وفي مثله وانك لتهدي الى صراط مستقيم ثم وصفه في التوحيد وأثبت منه فقال لله الذي بيده ملكوت كل شئ وهم من السبعين الى النور وقال في مثله بعد لا تهدي من أحببت قال صاحب القوت ولم يعم وهذا هذه الاوساط أن يكون الله تعالى هو الاول في كل شئ وهو معنى لكل شئ وحده لا شريك له في شئ ولا يكون له شريك في شئ من الافعال الا وله وقد ورد في الخبر من وراثة علم يقل أحد من المسلمين الا الله خالقي ولا عبد رازقي الا الله أما بعد فان هذا التوحيد ولا أعني به أن يقول الموحد لا يقول هذا رزقي ولا يقدر على أن يجعل واصلا في يدي ويسأل الله تعالى ويرى وسببا الله تعالى ولا كان عندهم مشركا في ذلك بل هو كما قال الله عز وجل كان الله هو السامع المعطي الله الرافع الخافض المحيي المميت لا شريك له في ملكه ولا يخرج شئ من عنده في خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح في حقيقة توحيد العبد وهو من أشرك الخفي وقد قال معظم في معنى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال يؤمن بالله قراره أن الله هو الخالق القادر ومشركون في الاعتماد على الاسباب وردالافعال اليها قال ومثل الاول من الاول مثل لا آية قد سمع لا ترى به لا يقال لشفرة حدت النعل ولا لسوط ضرب احد واحدا قال احداه حدى النعل ولا ضربا احد سوط وان كانت هذه الاواسط مباشرة للافعال لانها آلة بيد صانعها كذلك الحقيقة يباشرون الاسباب في ظاهر العيان والله من ورائهم محيط القادر الفاعل لطائف المقدرة وحجابا المشيئة ثم تولى قومهم الامر أعطاني كذا وخولني كذا وان لم يناوله بيده ولا يصح أن يقال خادم الامير أعطاني لاجل انه جرى على يده وان كان باشر العطاء بنفسه اذ قد علم أن الخادم لا يملك ولا يتصرف في ملك الامير الا بأمره (واذا انه فعل ينسب معنى وجوده اليه ولا تناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي رآه تمرة خذها ولم تأتها لانثى) قال العراقي رواه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هشيم بن بشر حين ووصله الطبراني عن هديل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (أضاف الاتيان اليها والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها) فوجوه الاتيان مختلفة ولم يقل لا تأتها رجل اذ لا يعقل في

وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من أضاف التوكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المجوز والمستعير في كلامه والتجوز وجه كما أن الحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة المخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع لقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن له تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل لقدرته أي اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فلا اسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز الذي تجوز به عن وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ذكر ذلك كالاعتذار في قول المعطي أن يسأل عن سبب ارادة اظهار عطاء الامير فعطاه على يد عبده فلان فان هذا لا يحتاج الى ذكر اهـ مع ذكر المثل (وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله) وهو الاسرائيلي قال اللهم اني أتوب اليك رواه أحمد عن الاسود بن سريع به مرفوعا وهكذا رواه الطبراني والبيهقي والحاكم والضياء وتقدم في كتاب الزكاة في ترجمة صاحب القوت وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسباب منعلقة بها الاحكام عادة في الاعمال وترتب الثواب والعقاب فلا بد للعبد أن يعلم أن لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن ذلك به هو يبدئ ويعيد بيده الاحكام في الحاكم ويعيده على المحكوم وهذا هو سبب اظهار الاكوان من الموت والحياة لئلا يكون تعالى محكوما وهو الحاكم فالحاكم ولا يكون مأمورا وهو يعز ولا آمر ولو شهت الاوامر من قبل المأمورات ومن عند أقوالهم وما عند كم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فالرجوع الاحكام عائد الى الله والله هو يبدي ويعيد وأضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا لها عند العباد وقد قال تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام وتحقيق من أعلى ومثله قال وتبرئ الاكمه والابرص باذني وتخلق من الطين كهيئة الطير باذني فسماه خلقا لله على يديه وجعلهم يرقون في حق على أيديهم ويرون هلاكهم فهو عندي كقوله في مريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقد علمت أن الرطب لا يتساقط هزها ولا نخل ولا حمل بهز في الرطب وانما أراد أن يظهر كرامتها ويجعل لا يتعسه ذلها ومثله قوله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عينان فشربت من احداهما واغتسل من الاخرى فزال ما في جسمه من السقم والاذى ولا فعل لرجليه في اظهار العينين وانما لله عز وجل خلق ذلك على يديه وأجراه بواسطته تكرمة له وآية وهبها له وتحقيقا لنبوته تعالى لاواهم ثم ادعى أنه سبب لكافة احياء الموتى بدعوته عليه السلام وكان ذلك جوابا لما سأله أري كيف تحيي الموتى ولامكانه في الاحياء وكان لله في الدعوة كيف شاء وكذلك الوقف العارف يحدث الله تعالى الظاهر لبيانه ويجري على لسانه كما كلم موسى عليه السلام من الشجرة وكان هو المتكلم عنده وصدر سجرة تحدثا وجده والله عالم عن أمره وكما يخلق الروحاني من ملائكته على ألسنة نبيه وخلق الحيات من الاوتاد على ألسنة السحرة ومن ورائهم محيط (فكل من أضاف فعله الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لاهله ومن أضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه والتجوز وجه كما أن الحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة المخترع) وهو المبتدع من غير سبب (ولكن ظن أن الانسان مخترع لقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن له تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل لقدرته أي اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فلا اسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز الذي تجوز به عن وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظه قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

انتهى

انتهى بحث بعض المحققين صدق كلمة لبيد في هذا الشاعر كلمة قائد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم وروده كذلك أحد رواة ماجه وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وقد رواه الترمذي كذلك قال صاحب القوت قال الشاعر ذلك وهو يعني لا شيء أوجد حقيقة وأثبت صدقا ثم لم يمنعه ذلك أن قال هذا إثر معه للتوحيد وتوحيد الله وحده هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وطول الكفر ولكن لما كانت الأشياء عدما لم تكن ولا تكون عدم كانت أشبهت الباطل الذي لا حقيقة له أو ليه ولا ثبات له آخرية وكان الله تعالى في الأول الأزلي والآخر الأبدي هو الحق ولا هكذا سواه انتهى وقد رده المحقق بما سبق وصوب قوله (أي كل ما سواه لما له بنفسه وبقطع النظر عن غيره هو باطل بمعنى أنه ليس له حقيقة موجودة بنفسه فهو لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل) وقال المصنف في تعليقه الحق في مقابلة الباطل والأشياء قسمان قسم أوجده الله كما علم وجعله قائما بنفسه وقسم أوجده على ما علم متعلقا بالحق من وجه باطل من وجه فالمتعلق بذاته هو الباطل المطلق وهو ما سوى ذاته هو الحق المطلق والممكن بذاته لو اجب بغيره فهو حق من وجه باطل من وجه فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل وهو من حيث وجوده بغيره مستفيد للوجود فهو من هذا الوجه الذي هو به موجود هو حق فليس في الوجود إلا حق وباطل فكذلك كل شيء هالك الا وجهه وهو كذلك أزلا وأبدا ليس ذلك في حال دون حال لأن كل ما سواه أزلا وأبدا من حيث ذاته لا يتحقق لوجود وهو من حيث تعلق علم الله به موجود بوجوده تعالى الوجود الحقيقي بذاته الذي يستحق أن يسمى وجودا كل حقيقة ثم قال ولحظ العبد من هذا الاسم أن يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد لو كان حقا فليس هو حقا من كل الوجوه بل هو حق بغيره وهو الله تعالى فهو موجود به لا بذاته فهو من ذاته باطل لولا إيجاد الحق له وقوله قائم بالحق بحقيقته الا الحي القيوم الخ الحي الكامل المطلق هو الذي تدرج المدرك بسره تحت ادراكه والموجود الذي جميع ما تحت تعلقه حتى لا يشذ عن علمه مقدور ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى والقيوم هو الذي هو بنفسه وقيام كل شيء به وبين ذلك لأن الله تعالى وما كان محتاجا في قوامه إلى وجود غيره لا يكون قائما بنفسه مطلقا فلا قائم بنفسه مطلقا في كل موجود فهو غير قوام لأن قوامه بغيره وقوام كل شيء به وليس دون الله شيء قائم بنفسه وبالله تعالى (وذلك قال سهل) الآتي ذكره رحمه الله تعالى (بأمسكين كان) لله تعالى أزلا وأبدا (ولم تكن) أنت بنفسك بالوجود (وتكون) كما كان (ولا تكون) أنت ذلك بنفسك (فلما كنت اليوم) من بعد من صرت (تقول أنوء أكاد) فيما أنت فيه (الآن كما تكن فيه يوما كما كان) في الأزل قاله صاحب القوت وهو إشارة إلى عدم استقلاله بالتوكل كما يأتي الكلام عليه عند قوله التوكل ترك التدبير (فانظر قدر صبرك الآن لكل جبر) في صورة جبر (؛ معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر ولا تنقض ما عاهدته عهد هو الذي رأيته الرسم بيده من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا تتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما يأتي الا بالثقة بالوكيل وهما بمنزلة القلب الى حس بصر الكفيل وهو الايمان بصاحب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا لا ضعف فيه ولا ريب فيه (وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله

عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعظمهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم ضاعف عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن غوامض الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا الصنع لما اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يديروا ذلك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزداد قيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان يحدث فيها مهادرة ولا ان يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن يلي به ولا ان يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عن أتم به عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض ادا وجدوا فيها البصر وهو لو فيها بصر مائة نبي من تعاونوا ولا تظاهروا) هذا السبيل مشترع من قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لو جعل الخلائق كلهم من أهل السموات والارض على علم أعلمهم به وعقل أعقلهم عنه وحكمة حكيمهم عنده ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم وضاعفه علما وحكما وعقلا ثم كشف لهم عن غوامض الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا الصنع ثم قال لهم دبروا الملك بما أعطيتكم من العلوم والحكم وما شاهدتكم عواقب الامور واطلاعكم على سرائر المقدور ثم عاونوا على ذلك وتظاهروا له لما زاد تدبيرهم على ما تراه الآن من تدبير الله من الخير والشر والنفع والضر جناح بعوضة ولا نقص من ذرة ولا أوجبت العقول المكاشفات ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير ولا اقتضت بغير هذا التقدير لدى يعاينه ويتقلب فيه كل لا يبصرون شيئا ويشهد هذا السبيل ما في خلقة الرجل من مسلمين ثم يفكر ان آدم ثم يتفهم ويعتبر ثم يبصر ثم يعقل ويتفقه حتى يعلم ان لله عز وجل به علم العالم وحكمة فيما يتقن الخلق ويدبرهم أمور الدنيا والآخرة فان ابن آدم لم يبلغ علمه المقدور من الله الذي لا مقدار له ولم يبلغ حكمته حكمة الله تعالى الذي هو بحر الحلم وقدر التقدير ثم قال مصنف (وكل ما صنع الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي) قال صاحب القوت لانه أجراه على ترتيب العقول وبمعاني العرف والمعتاد من الامور بالاسباب المعقولة والاوساط المشهورة وعلى معبر ما طبع العقول فيه وجبل المعقول عليه ثم عجب في ذلك العواقب وجعل السرائر وأخفى الثواب فعاب بعيها حسن التدبير وجعل القدر هو الذي أكثر الناس حكم واحكمه تعاوهر الرسم وسووا في القسم وما يعقلها الا العالمون بان في ذلك الآيات للعالمين وهذه شهادة المتوكلين وهي مقامات اليقين (وليس في الامكان) هو الامر الذي هو موضع القدرة ومحل القوة والتمكن وهو ما ليس بواجب ولا ممتنع لذاته (أصلا أحسن مما هو ولا أتم ولا أكمل ولو كان) كذلك (واخر جميع القدرة) عليه (ولم يفعل لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالوهية) هكذا نص هذه العبارة في سائر نسخ الكتاب لا سيما وفي أواخر بعضها انها نقلت من نسخة موثوق بها معتمدا على صحتها وتقرير هذا الكلام يظهر من معرفة أمرين أحدهما ان مجموع عليه عند أهل السنة القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل وكل ما صح حدوثه وقوعه كونه ولم يستحل في عقل ولا جواز فانه سبحانه قادر على ايجاده واحداثه وكل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه لان العجز انما يصح عما تصح القدرة عليه وكل ما لا يصح ان يكون مقدورا عليه ولا يصح ان يكون مجزورا عنه وبذلك لا يوصف أحد بالعجز عن الجمع بين الضدين ولا بالعجز عن خلق العالم في قشرة بيضة وخرد لك لان ذلك مما لا تصح القدرة عليه ولا يصح العجز عنه ولذلك قالوا ان الانسان لا يوصف بالعجز عن خلق لاعمال لانه لا يصح وصفه بالقدرة على خلقها وفي هذه المسألة خلاف مع جماعة من المعتزلة منهم أبو الهذيل

والشحام وثمامة ومعمر والاسواري وامثالهم وكرامية بجسمة جواز ان يخلق الله تعالى ان
انفي في هذا الكلام ليس منصبا على امكان وجود شيء عيبا او وجود ما هو صفة على كونه نقصا من الوجود
فانفي هنا كون شيء ممكنا وجوده أبدع مما وجد مع قطع النظر عن صلاحية القدرة لايجاده فاذا فهمت الامر بن
سهل عليك حل الكلام وسيأتي ما يتعلق به تسليما ورد (بل كل مقدور وصف في الدنيا فهو نقصان من الدنيا
وزيادة من الآخرة) قال صاحب القوت اعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويدع خوف
الفقر فيكون هذا زهد الزاهد من الآخرة على هذه الصفة نقصا من حيث نصيبه من الدنيا وجدانه على الكفاف
والتوسع فيها ويكون الزهد نفسه فيكون ما صرف عنه ونعه من الدنيا من التوسع رزقه من الآخرة
والدرجات تعالى بحسن اختياره من الله تعالى وحكمته نظر كما حدثونا عن بعض العلماء انه بقال لابنه
كنت أبيع في ثوبك لاقال فيها بيري وكنت أبيع الكثير ثم قد قنع على يقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شيء
فقال لا ولكن يزيد في ما تنقص من البيع (وكل نقص في الآخرة فهو نقص في الدنيا) لان نقص حسنة او فرضها
(فهو نقص بالاضافة الى غيره) اذ كانت الدنيا ما صدعا (او لولا الجاهل ما عرف قدر العالم) اذ لولا الكفر لما عرف قدر
الايمان (ولولا المرض لما تم الاحساس بالصحة) ولولا المعصية لم يعرف قدر الطاعة (ولولا الشر لما عرف أهل الخير
حق معرفته) فهذا قد لوح لك بمعنى حديث الحكمة التي يحب الاعمال بها فهذا بعض أسرار كونه أبدع (وكما ان
خلق أرواح الانس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها انس بالنسبة الى تقديم الكامل على الناقص عين العدل)
والمراد بالكامل الانسان وبما معه بذلك بالاضافة الى البهائم لما فيها ولما كان بقاء الانسان يحتاج الى غذاء
يستمد به قوته امتن الله عليه بتحل البهائم فكانت لحومها أعدت له بشيرا ان ذلك وجه تعالى من الانعام
حوله وقرنها وكذلك تعجيل النعم) أي لو بيرهو كبيره (على سكان الجنان تعجيل العقوبة على أهل النيران
وخلق أهل الايمان باهل الكفران عين العدل) كما ورد في الحديث عند المسلم عن الكافر فداؤك من النار
(وخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر
بالاضافة) فان درجات الاحياء ثلاثة درجة الملائكة ودرجة الانس ودرجة البهائم فالبهائم فيها
أسفل في نفس الحيوانية التي يشاركها الانس الحي هو ادراك المعقول وفي ادراك المحسوسات نقص وأما
درجة الملائكة فهي على الدرجات فقرب منها من حضرة القدس وأما الانس فدرجته متوسطة بينهما وكذلك
مركب من هذا وهذا فاستعد في الاول للبهيمية ثم ترقى عليها في الآخر ورتبة فيأخذ ذلك شبها من الملائكة
والنقص ذو الكمال والنقص من الامور المتضايفات (فتقضي الجود) وسعه (الحكمة خلق الكامل
والناقص جميعا) ولولا ذلك لم يعرف أحدهما من الآخر فهو أحد الاسرار كونه أبدع (وكما تطلع الشمس
وتغرب) أي صالحا من الاكلة ولا دوابها لتقطع (الله يعطي الروح) أي على حسبه (عدل لانه
عطاء كامل بما نقص وكذلك الامر في الثواب) الواقع (الذي) هو (من خلق في النعمة في الدنيا والآخرة)
من نعيم وتقرب وحسن الصورة وقتها والصحة والغرض وتوفيق والجدلان ولا يعاقب والكفر ومعصيته
(فكل ذلك عدل لاحور فيه وحق لا لعب فيه) ويشهد لابتدعية هذا الثواب ما أخرجه عبد بن
أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم واللالكائي في السنة وابن مندة في
كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن أبي بن كعب في قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم الآية قال جمعهم
فجعلهم أرواحا ثم صورهم فاستنطقهم وتكلموا فأخذ العهد فرأى الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال
يا رب لولا سويت بين عبادك قال اني أحببت أن أشكر وأخرج ابن أبي حاتم وابن مندة في الرد على الجهمية من
حديث أبي هريرة قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فسقط من كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم عرضهم
على آدم فاذا فيهم الاجذم والابرص والاعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذرية فقال كي
تشكر نعمتي فهذا نص من الله تعالى على الحكمة في خلق الناس متفاوتين في صفة الكمال والنقص حتى به

ل كل مقدور وصف في الدنيا
فهو نقصان في الدنيا
وزيادة في الآخرة وكل
نقص في الآخرة بالاضافة
ى شخص فهو نعيم
بالاضافة الى غيره ولولا
الجاهل ما عرف قدر العالم
ولولا المرض ما تم
الاحساس بالصحة ولولا
ان
عرف أهل الخير حق
النعمة وكما أن قسداه
أرواح الانس بأرواح
البهائم وتسليطهم على
ذبحها انس بالنسبة الى
تقديم الكامل على
الناقص عين العدل
وكذلك تعجيل النعم على
سكان الجنان بتعجيل
العقوبة على أهل النيران
وخلق أهل الايمان باهل
الكفران عين العدل
وخلق الناقص لا
يعرف الكامل ولولا
خلق البهائم لما ظهر
شرف الانس فان الكمال
والنقص يظهر بالاضافة
فتقضي الجود والحكمة
خلق الكامل والناقص
جميعا وكما تطلع الشمس
الى
الروح عدل لانه عطاء
كامل بما نقص وكذلك
الامر في الثواب الذي
هو الحق في النعمة في
الدنيا والآخرة فكل
ذلك عدل لا جور فيه
وحق لا لعب فيه

جعل أنواع البلاء نعمة وترى ذلك بلاء ولا هو يرى من هو أشد بلاء منه ولا هو يرى من هو أسوأ حالا منه ولو من نوع آخر وترى من لا يقدر الذي لا تحد قوته ويثبت الليالي طويلا يرى من هو أقصر منه يوما أو أكثر المال فيشكر الله تعالى على العافية وذلك أيضا نعمة ترى ذلك يقدر وهو يعمى الصوت ولا يحمد ويشكر الله ورؤيته تعمى مع سلامة يجعله يتكشف الناس وترى ذلك يقصر في ما حوله من النعيم وهو الأمر يشكر الله أن جعله أحسن حالا منه وكذلك لو كان ترى أحدا ترى عينه ينظر إلى ما يقاسيه الملك من سكاك الدنيا وهمومها وخروج الخوارج عليه وانتشار الفساد والقطع وجوده على نفسه مما يعانيه وأسباب مملكته ويحمد نوع السكاك ثم يشكر الله من الحساب يوم القيامة عن كل فرد فرد من رعاياه وهل قام فيهم بأمر الله تعالى من العدل فيهم وتخليص مظلومهم من ظالمهم والذب عنهم وإيصال حقوقهم إليهم وعن كل درهم من مال قبضه وصرفه هل صرفه كما أمر الله به وصرفها فيما أمر الله تعالى فيحمد الله على ذلك إن لم يجعله مكاكيد تشد ترى من ينظر إلى الأغنياء كل بحسب حاله فينظر إلى هذه فيشكر الله على ما فضله به من الغنى ويرى أن الناس متساوون في الحاجة إلى الأكل والشرب والنوم والجماع ونحو ذلك من الحاجات التي لا غنى لأحد عنها ولا يشكر الله على ما فضله به من الغنى ويرى أن هذا نوع من البلاء وكذلك ترى الفقير يرى كل ذي مال بلاء وكذلك ترى الأعمى يرى كل ذي بصر في بلاء وإرادة الشكر من هذا المعتبر دليل على أن الخير ما أحب الله تعالى من ذلك مدح صاحبه وجعله آخر في حق الشاكر وهب وما فيها من الحوائج الدنيوية والأخروية وهي خمسة كما تقدم للمصنف في كتاب الشكر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

عشر في تأليف مخصوص وقد قال خيرة الله لعبده فيما يكره كخيرته له فيما يحب وفي خبر عجبت للمؤمن وقضاء الله له خيرا إن أصابه خير وشكر وإن أصابه شر فصبر وقال صلى الله عليه وسلم إن ربي أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد فهذا نوع من نوع الموجودات تبين وجه الاستعانة بالصلاة على ذلك سائر الأنواع وقد يكون شيء أبدع من وجه وحدوثه أبدع في وقت آخر ومن ثم توجد الله لرسوله في وقت وتعالى في وقت آخر وفي مكان دون مكان وكذا الحياة والموت والعسر واليسر والأمن والخوف والصحة والسقم وذلك لعلم الله بحكمته أن الإبداع في هذا الوقت يخالف الصدق في وقت كذا وهذا يخالف ذلك الوقت فالإبداع اختراع صفة على حسب حكمته ومن قدح في شيء من هذا فقد قدح في الحكيم وعارض حكمة الحكيم برأي من عنده زعم تحويله إلى أبدع وأحسن من حكمته وبرهان ذلك مشاهدة النوع من اختراع الأحكام فإن الله تعالى عالم بحكمته لمائة أن الإبداع شرع هذا الحكم في هذا الوقت فشرعه أو وقت كذا وهذا يخالف الوقت فالإبداع شرع يخالفه فيشرعه وقد اعترض بعض أرباب الجدل في تقدير وجه إعجاز القرآن على ما يشبه ذلك فقال لا شك في أن باري تعالى عالم بجميع أصناف الكلام فاختار سبحانه أفصحها وجهاه بزيه عليه فلا يمكن فصاحته وكذلك يقول في الموجودات علم الله في كل موجود جميع الوجوه الممكن تحققه على وجه كثيرة غير ذلك الأنها ليست بأبدع والإبداع الوجه الذي أوجده الله عليه وقول في خلق الإنسان إنه يمكن بروزه على أوجه غير الصورة التي أبرزها الله عليها من جعل رأسه أسفله أو في ظهره مثلا أو كونه بعين واحدة أو كون يديه أو عينيه خلف أو كونه في رأسه أو بطنه وغير ذلك من الوجوه الممكنة التي لا شك في صلاحية القدرة لها لكن ليست بإبداع والإبداع هذه الصورة الموجودة عليها من المحاسن والحكم وشاهده قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وهذا نص قاطع في أن الصورة التي خلق عليها الإنسان لا أبدع منها وكذلك يقول في سائر الحيوانات ثم الموجودة على الصورة التي لا أبدع منها مع صلاحية القدرة لإحداثها على صور شتى لكن ما وجد عليه أبدع وشاهده قوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه قال ابن عباس أحسن كل شيء خلقه فجعل الكلب في خلقه كحمار وابن آدم كسائر وقال أيضا خلق الله كل شيء مما يأكل كله من خلقه وما يصطحبون من دونه فخلق البعير خلقا لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدواب وكذلك كل شيء من خلقه من خيل وبغال وطير هما من الورق ما يصلح في البر وخلق الدواب البحر وطيرها من الورق ما يصلح في البحر فذلك قوله تعالى أعطى كل شيء خلقه قدر رواه البغوي في المعجم الكبير

(وهذا

(وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين) الذين لم يعلموا ان ذلك غامض دقيق لا يعقله (الا العالمون) بالله وجلاله (وورائهذا) البحر سر القدر (الذي تتحير فيه الاكثرون) وتضل فيه المخلصون (وتتبعثر فيه المكاشفون) روى الطبراني بسند حسن عن ابن عباس قال لما نزلت آية موسى وأنزل عليه التوراة قال اللهم كلمتني بكلام عظيم ولو شئت أن أسمع كلامك لاسمعت ولو شئت أن لا تعصى لما عصيت وأنت تحب أن يطاع فكيف هذا فأوحى الله تعالى إليه إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون ثم سأل عيسى عليه السلام كذلك فأجابه بمثل ذلك فأجابه بمثل ذلك فأجابه بمثل

(وكل) وعليه سلوه ومستقره (وبعد الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى) واسبق المصنف هذا السؤال قوله ولا يتم هذا الا بايمان وبرجمة الى هنا وهو مستدل على صحة ما تواطأوا عليه بقول المصنف نفسه في كتابه جواهر القرآن وهذا نصه لا يكفي الايمان بالتوحيد في درجة الوكل حتى يضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة وبه يحصل الثقة بالوكيل على وجوه تتعدد حتى ويكشف لك بصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على اعظم قلب فيهم على اكمل ما تتصور ان يكون عليه طال العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على سر القدر المكنون ولطائف الحكمة ودقائق الخير والشر ثم أمرهم أن يديروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يكنهم ان يريدوا ولا يقترحوا عليه حاجة الموصلة ولم يتصوروا ان يقع مرض وعيب ونقص وفقر وضرر وحزن وكفر ولا أن يقع غير واقعة تتضرر بها أحد في الدنيا والآخرة وغير وضعه ومصلحة من تعذر وجود ذلك عدلا لاحصا لاجور فيه وحكمة قصرا لا تقصر عنه واتقانا لا نقص وفيه ولا تفاوت بل كل ما يرى من تفاوت بينهما كان آخر أعظم منه لا يتوصل الى ذلك بسمع الا به وعلموا قطعا أن لله تعالى حكيما جوادا رحيما لم يخل على الخلق فضلا ولم يدخر عنهم فضلا لاحظهم فمن هذا وهذا انحسر راحوى المعرفة بحيث لم تواجه سر القدر الذي سمع من ذكره المكاشفون وتحيرفيه المتفكرون ولا عقله الا الله ولا يدروا في تأويله الا الراسخون فهذا نصه بحروفه وقال في موضع آخر من الجواهر بعد ذكر الرضا بقضاء الله وقدره ما هذا لا يتصور ارتفاع بخلاف الهوى وانما يتصور الصبر فقط والجواب ان الرضا بالبلاء وعدم التخلف عنه ينقسم الى ثلاثة أوجه أحدها أن يبتهج بالبلاء ويلتذ به من حيث انه مراد المحبوب وأقرأطها على الاحساس بالالم وان لم يحس بالالم ولم يكرهه بل يجري عليه حكم رضاه واعتقاده بحكمة الله تعالى وحسن اختياره للعبد وان كان على البلاء كما يرضى بالم الفصد وشرب الدواء فانه يتألم بالفصد ويكره الشرب لكنه يرضى به لما يهتدي اليه من الدواء وان كان شديدا وكذلك يرضى بالحجامة وشقه بعض العروق وهو خلاف ما هو عليه من شاهد الحال في الاعراض عن الدنيا وكيف يكره في هذه الاحوال ما يعتقد انه تحت أمر الله تعالى ما يفعل بعبده ما هو خير له وذلك يخرج عن طاقة البشر وكيف حتى لا تحب ما يجري في ملك الله تعالى كما يحب موسى عليه السلام ما يجري على يد الخضر عليه السلام وكان الخضر يحبه وكان يعلم ما في علمه من بعض الاسرار وكذلك الله تعالى اطلع عباده على بعض اسراره في قصة موسى والخضر عليهما السلام ثم سن تصنيف احداهما الرجل الذي كان يقول في كل ما يصيبه الخير فيه وقد رماه بعض الناس بحجر فكسر احدى عينيه ولولا انه سمع ذلك منه فيما كتب عنه لما كنا نثق بمثل هذه الاسرار ولم يحسن تعالى الله تعالى وتحسين كل ما يجري في ملكه ولم يعرف كيف يقدر ما يجري بما لله في ملكوته وهو يرى وجوه الشر فتشغله عن محض المعرفة بكمال الله وحكمته وكيف تتوجه الالسن الى المدح وهو يعرف القصور الكامل الذي هو كالحة الصبر ومعرفة القدر الذي هو سبب حصول الرضا فانهما تجريان على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان لكان محالا لاحدود وجوده ولا يحيط بما يقدر عليه الا الله وعلى هذه البيانات الثلاثة ما قاله الشيخ كمال الدين أبو بكر محمد بن اسحق الصوفي في كتابه مقاصد محاسن الاحياء وهذا نصه بعد ان ذكر مراتب الايمان فمن لم يبلغ ترجع به الى الظن ويعتمد فيه على ترداد الدليل وجهد الاعتماد لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وبشر في قلبه بهذا نوره ما نشرح في قلوب أوليائه كما قال تعالى حاكيا عن نبيه انه لعلى صراط مستقيم أي مستمر في أحكامه وافعاله التي وردها في كتابه والتي على أتم أنواع الكمال والاتقان ولله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وأعطاهم من نور الحكمة ما تحملته نفوسهم

الوكل ولير جع الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

على هذه وعلى الرجل وعلى اليد وعلى قدم الرأس لم يجد ما يتطرق منها إلى النقصان والتعرض للآفة وكذلك الحذاء لليدين وعلى هما من المكعبين ولو علق بهما من الرأس أو من الركبتين لم يجد ما يتوسل به من الخف وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس فإنها لو كانت تكون منتشرة على جميع البدن ولو وضعها على الرجل اختل نظامها تعلما وشرح ذلك في كل عضو يطول فينبغي أن تعلم أنه لم يخلق شيء في موضعه إلا وهو متعين له ولو تيامن عنه أو تياسر أو تسفل أو تعالى لكان ناقصا أو مختلا أو قبيحا أو خارجا عن التناسب الذي به يأتي المناظر ويكمل الأمر خلق على وسط الوجه ولو خلق على إحدى الجهتين أو على أحد طرفي المقصان لبقي قوة ورعما قوي فهملت في إدراك حكمته فاعلم أن الشمس أيضا لم تخلق في السماء الرابعة وهي في وسط السموات السبع هكذا لا على ما خلقها إلا بالحق وما وضعها إلا موضعها المستحق لها بحسب ما اقتضته هاهنا الأمور التي تقصر عن درك الحكمة فيها الأفكار فليتأمل المتفكر في ملكوت السموات والأرض وغرائبها ولو عارت فيه الرأيت من عجائب صنعته ما يحقر معه عجائب بدائع الصنائع كيف لا وخالق السموات والأرض أكرم من أن يتصور أن يعرفه عباده حق معرفته فتقصر عن التأمل فيه وقف كثير من الأنام وتكون من قال الله تعالى فيهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ومن أين لك أن تكون من قال فيهم وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض واعلم أولا أن السماء إن لم يستعرفه هذه الآية ثم قال في سماء الدنيا هذا الجرم ويكون لا يعلم بالضرورة الإنكار ولا اعتراض عليه ظاهرا وباطنا وعلمه أن لا يسلم شيء إلى الدهر ويسلم شيء لأنه تعالى أنه ولا يعترض عليه في أجزاء هذه الخلقة فجرت مستمرة بحكمته وتقديره الذي يطلع بعض الحكماء على بعض أسرار ذلك كيف مسخرة وسارت وذهبت في السماء أحسن ذهاب ولو ذهبت ما ذهبت وجهة أخرى لما حصل ما حصل من الليل والنهار والفصول الأربعة وهي من حيث دبر الأمور حكم ومن حيث أوجدها سموات ومن حيث زينها بالصور ومن حيث وضع كل شيء موضعه عادل ومن حيث لم يترك فيها فتوقا يرتفق بها عالم وإن يعرف حقيقة هذه الأسماء من لم يعرف حقيقة هذه الأفعال وإن في اسمه تعالى المصور وأما اسم المصور فهو له من حيث ترتيب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من أوصاف الفعل فلا يوجد قط لأحد من يعلم صور الأشياء على أجمل ثم غير الذي كان العالم كله في حكم شخص واحد مركب من أعضاء مختلفة وهي عرض مدور وهي أعضاء وهي أجزاء السموات والكواكب والأرض وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتب أجزاءه ترتيبا محكما لو غير ذلك الترتيب لفسد النظام فخصص جهة العلو بما فيه من الكواكب وجهة السفل بما ينبغي أن يسفل وكذلك جعل أعضاء الحيوان مخصصة بجهاتها فوضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا لأن ذلك في الحكمة واقتضاه لإرادة الأحكام ولو فعل ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب في أسفلها لم يدم البناء ولم تثبت صورته أصلا وكذلك يعني أن تفهم من على علو سكنا كالسموات ومن على السفل كالأرض وما بينهما من أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم ولو فصلنا تخصيص أجزاء العالم وتخصيصها ثم ذكرنا الحكمة في ترتيبها لطال ولم تتصور موجودة في كل جزء من أجزاء العالم وإن صغر حتى في الخلية والذرة بل في كل عضو من أعضاء الحيوان بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي أشرف أعضاء الحيوان ومن لم يعرف صفات العين وعددها وهيئتها وشكلها ومقدارها وألوانها ووجه الحكمة فيها من عرف صورها لا يرسم المحال

(فصل) وهذه جملة من كلام أئمة السلف وقفة في المعنى والمشاهدة بحسبه ما تقدم تقريره قال البيضاوي في تقريره قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا إلى قوله وهو بكل شيء عليم فيه دليل كامل على كونه عالما بكيفية الأشياء خلق ما خلق على هذا النسق المعجب والترتيب الأتم كان عالما بأن الأفعال بأحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأبلغ لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم وقال في قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض الآية علم أن دلالة هذه الآيات على وجود الله ووحدانيته من وجوه كثيرة يعرف بعضها بأدنى تأمل لكن العاقل لما تأمل فيها أمور محكمة وجد منها بوجه مخصوص من وجوه مختلفة وأنحاء مختلفة إذ كل من أجزائه بل أحواله لا تخلو إما السموات أو بعضها

كالارض و ب تتحرك بعكس حركاتها و بحيث تصير تارة بالقطبين و تارة بالكوكبين و حينئذ يكون أصلا
وعلى هذا الوجه يستقيم ويستوى جزأ الملائكة من موحد قدر حكيم يوجد هذا على ما تقتضيه حكمته
ومقتضيه مشيئته وقال فى قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم الى قوله وانتم لا تعلمون دليل
على ان لاحكام تتبع المصالح وان لم يعرف عينها وقال الطيبى فى هذه الآية تعليل لو صح أنه قال معنى
كرهتم تقتالا فهو من حيث علمتم ومشقته لكن لما كان المؤمن يكره ما فرض الله عليه لا يفعل الا ما يليه
الحكمة والصلاح وقال الخفاجى فى حاشية البيضاوى فى قوله تعالى ولا يحب الفساد لانه فى حد ذاته اخراج
الشئ من حالة محمودة لا الغرض وذلك غير موجود فى فعل الله تعالى وما يترتب على فعله من افساد فهو بالاضافة
الى حكمة اخرى فلا يستلزم الا نهى عنه فالله يريد ما فيه صلاح وهداية وان استلزم افساد اصلاح أى ما هو خير
بالاضافة اليه وان كان شرا بالقياس الى غيره وقال الزمخشرى فى أول سورة آل عمران القيوم هو القائم بامر
مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بمجموع أمرين كونه عالما بجميع معلوماتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على
وجهها والاول لا يتم الا بكونه عالما بكل شئ والثانى لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن أشار الى الاول بقوله ان الله
لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء والى الثانى بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء قال وفى
هذه الطريقة أخرى وهى ان قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء لا يخلو اما ان يسمع لان
معرفته تسمع ويقود على العلم بكونه عالما بكل شئ أو للدلالة على ما هو أبلغ وهو أن يقال ان الله تعالى لحكمته
متقنة ولفعله لحكم ومصالح دل على ما ذكر وعلى ما لم يذكر بل الدليل العقلى الدال عليه هو بعينه هو الذى صورهم
فى الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركب لاعضائه المختلفة فى الشكل والطبع والمنفعة
المتعلقة بالعظام والعصب والعروق والاعصاب والشرايين والاعضاء الرئيسة ثم انه صير بعضها فى بعض على
أحسن التركيب وأكمل التأليف ودل ذلك بين على كمال قدرته حيث خلق ذلك من مادة وعلى كمال علمه من
حيث ان افعاله محكمة يدل على هذا الوجه لا يصدر الا عن عالم فكان قوله هو الذى يصوركم دالا على الامرين
معا انتهى وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى وربكم اله واحد الآية وقوله الرحمن الرحيم كالحجة على
الوحدانية وانه لما كان مولى النعم كلها دقها وجلها وصولها وفرعها وصواء اما نعمة وصل عليه لم استحق العبادة
أحد غيره قال السعد التام بين الكفر والمعصية وسائر ما ليست بنعمة ولا نعم عليها فانها كلها من
حيث انها مخلوقة له نعمة عليه وما يرجع الى الوجود الذى هو نعمة ومرجع الشر والقبح الى العدم وقال
السعد فى حاشية الكشاف عند قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا من الثواب تنبيه على انهم لا يعذبون
الا ببعض ما عملوا وهو مقدار ما استوجبوه فى بعض الامور التى هى مصالح وفى الآخرة شرا ان الاصلح فى
أداء الصانع الحكيم لا يستعمل ما ليس بمصلحة ولا يعلى ما ليس بمستحق وقال البيضاوى فى قوله تعالى ولله يختص
برحمته من يشاء فى نصر وتوسع على بعض حسبما اقتضته حكمته وقال عند قوله تعالى قال ان الله اصطفاه
عليكم لما استدلوا على طالوت بتقرره وسقوط حقهم استدل عليهم بذلك بان الحكمة فيه اصطفاء الله تعالى ودل
اختياره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وقال السعد عند قوله تعالى ان آية ملكه الآية وقد حكى قول الكعبى
ان الله لا يؤتى الكافر الملك يعنى انه قبيح قال ولو سلم فلم لا يجوز ان يقترن به عرض يصير به من الامتحان
وقال السبكى فى تفسيره عند قوله تعالى حكمة بالغة أى بالغة غاية ما يوصف به وقال الراجح
فى قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا معناه ان الكلام انما ورد فرضا لتعرض
على ما هو عبده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتتعبوا لاتوال على غير حكمة ولهذا
أتبعه قوله ان الله كان عليما أى عليما بوجه الحكمة حكيما فيما فرض وقال ابن عبد السلام فى الآية هذا
تعرض للحكم فى ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة وقال أبو حيان بين تعالى ان
قسمته هى القسمة التى اختارها وشرعها وان الآباء والابناء شرع فى ميراثهم ما شرع لا نترى نحن أيهم

الآية بهذين الوصفين للاشارة الى انه تعالى يحب لعباده ان يكونوا محكمة وفاء لوعد لمكي في مقام رص من قوت القلوب الذي هو أساس كتاب الاحياء ومن الرصانة ان لا يبدو شيء مما يعيبه اذ كان ذلك يقتضي مولاه مشهد الصانع في جميع اصنعته ومن اتقان الصنع والحكمة ان لم يخرج ذلك عن معيار العقل والعادة وقد بعض العارفين تحمل هذه الاشياء في باب الحب من الله ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله ومنهم من حملها من باب الادب بين يدي الله تعالى وأعلم من ذلك هم داخلة في باب فعله الحق ويتطلع ان يكون هذا أحدهم في الخبر الذي جاء فيه الحمد كفر يعني كفران النعمة بان يذم ويعيب بعض ما أنعم الله عبيده من الارزاق والالطاف اذ كان فيها تقصير عن تمام مثلها وكانت محسوسة بهوه فيكون ذلك كفرانا لنعمة وفي تحميد بعد من لم يجد فأمره بالشكر على ذلك دليل كفران أحدا لواصطناع صناعا دعته وذلك كره ذلك لعبد فكذلك الله تعالى يكره ذلك مثله وهذا نحن في معرفة صناع الصناعات وبعض الناس يجعل ذم الاشياء وعيبها غيرة الغيبة صانعها لانها صنعته وتاج حكمته وبعد عيبه حكم تدبيره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له في كل شيء حكمة بالغة وفي كل صنعة صنع ناقص لا الى اذا عدت صنعة أحد وذمت نسبت ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعه وعن حكمة أظهرها اذا كانت الصنعة مجهولة لم تصنع صنعه ولا صنع له في حقه وقد كان الورعون لا يشربون صنعة عند كراهة الصانع وذلك ان يرضى عن الله تعالى في مقادير بين يديه ينبغي ان يعارضه في داره أو يعترض عليه في حكمه فصحت الدار بصنعه في داره حكمه ما يشاء ويأمر في خلقه كيف شاء والحاكم يحكم بأمره وهو العدل الراضي الصنع سبيله مسلم الحكم حاكمه وقال أبو صافي آخر مقام التوكل لو تمنى أهل الجنة من الاماني الذين كشف عن قلوبهم الحجاب من رؤية الاماني وحكوت أمانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله عز وجل في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم من كون أمانيهم على ما تمنوا وأفضل من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقد قال تعالى ما تحملا للمتمني اقلة الانسان أم الانسان ما تمنى فالآخرة والاولى أن يحكم بهما تركه الاماني لانه قال ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن فهذا سوء علم وقلة تدبير وجهلهم بتصاريف اختلاف أهوائهم في معاني القدر فالتوكل بحسب الله تعالى فهو به مسرور وفرح له بحكمه مستسلم له وجميع أموره فاسلة الآخرة والاولى بحكم بهما بما شاء كيف شاء على كل شيء قدير وقال الله يريد بكم العسر ولا يريد بكم العسر فاهل ما لا يقدر على شيء وهذا أول مقام من العبودية وأوسط حال في التوكل وقد كفى الخلائق هذا كله بحسن تدبير الحكيم العليم الخبير البصير وهم يحتاجون الى معرفة ما الحكمة ومشاهدة الحكم والقدرة في تصاريف الربوبية والعبودية فمع هم ما في القلوب تسكن ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد كشف الغطاء عن وسقوط ساطان النفس وسيطلع العموم على سره من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر وحقيقة القدر عند كشف الغطاء ومعاينة ما وراءه من عجائب الحكمة في السموات والارض وقد اطلع الله على ذلك العالمين في الدار العمل الآخرة وهو محمود مشكور به الحمد الاولى على ما ظهر وله الشكر في الاخرى على ما أخفى وستر في كل واحد منهما نعمة لا تحصى ورحمة واسعة وحكمة بالغة ولكن قد تخلق العلماء باخلاق تقدس يكشفون من سره الا بقدر ما كشف ولا يعرفون من وصفه الا من حيث عرف نفسه وقال الشيخ رحمه الله قدس سره في عائف من وراء ليل به حلاله قدر أن النفي لسكر كان يقتضر تصوره في حالة وعقد كرفيه ما نفسه اعلم ان الله تعالى لم يأمر العباد بشيء رجوعا ولا ندبا لا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شيء تحريما وكراهة الا لمصلحة لهم في تركه وبسط القول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل على سبيل التفضل حديث شعري فقالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه انتهى وهذا عين ما فهم من كلام المصنف وقرره به

(فصل) في تتمة أحاديث وآثار مما سبق تقدم روى أبو نعيم في الحلية وابن أبي الدنيا في كتاب

الا به من حديث أنس يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا أغضب لأوليائي كما
تغضب الليث خرد الحديث وفيه وان من عبادي المؤمنين من سألني الباب من العبادة فأكفه عنه أني لا أبدل نفسه
فصدقه دليل على ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه الا الغنى ولو أفقره لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
من لا يصلح إيمانه الا الفقر ولو أغنيه لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه الا الصحة ولو أسقمته
لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه الا السقم ولو صححته لأفسده ذلك فأدبر أمر عبادي
بعلمه وقد مر في علم خبير وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي
لغني فاصرف به الغنى لو أفقره ولو صرفته الى الغنى لكان شرا له وزوى الله أسباب الدنيا عن أوليائه الفقر فاصرفه الى
الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان خيرا له وروى الطبراني في مسند الشاميين من حديث أبي هريرة قال موسى
يا رب أعطيت الدنيا أعدائك ومعتها أولياءك فقال أما علمت أن الدنيا حلوة في أعين عبادي وحببتها أعدائي ليتمتعوا
ومعتها أولياءي ليتصبروا وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث كعب الجهني قال الله لولا أن الدنيا
تغر أعدائي المؤمن من أحب ما حببت بني عبدي المؤمن وبين الدنيا وروى الديلمي من حديث أبي هريرة
لولا أن المؤمن يحب عمر الدنيا لأبغضه من الدنيا حتى يلقاني به ولكن الدنيا حلوة من أحبه وروى البخاري في
تاريخه من حديث أنس عجبا للمؤمن ان الله لم يقض له قضاء الا خيرا له وروى ابن جرير الطبري عن ابن
عباس قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عباس ارصد عني الله يحفظك ويرعك وكان خلاف هوالك
مهما نسب في كتاب الله ذات يا رسول الله بم أتعلق وعسى أن تكره هوانه وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فهذا الحديث كما ترى شاهد لساني المصنف وأما الآثار فعن سعيد بن جبير
قال قلت لموسى بن عمران يجاور لك الجنة فيقول يا رب ان أزرع قثاء وأجيء فقال احمد فصدقوه
فيقدر له مقدار ما بين طلوع الشمس الى غروبها وقال لا أجيء شيء الا صار كذلك الا أعرابي من أهل البادية
ذكره ابن أبي الدنيا وروى ابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح وعن ابن عباس عن القدر فقال وجدت أصوب ما
أعلمهم به وجدت الناس فيه كما ترى في سماع الشمس كما أورده ابن جرير وروى الطبراني وقال
وهب بن منبه يقول الله تعالى ما من عبادي المؤمن من يسألني شيئا من العافية وأحبسها عنه فحافظ
يدخل عليه الآفات فيفسد عليه عمله وما من عبادي مؤمن من لا يصلح له الا الغنى ولو صرفته عنه لا فتقر لكان
شرا له وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الفقر ولو صرفته الى الغنى لهلك رواه أحمد في الزهد وعن أبي
قال ان الرجل ليذنب الذنب وما ينسى منه فيطلع الله عليه ويعمل الحسنة فيغفر له بها سيئات قط فصبر عليه ساعة رواه
عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وله ولوهب بن منبه قرأت في بعض الكتب ان الله يقول يا ابن آدم ان
أحب ما تكون أنا وأقرب ما تكون مني اذا كنت راضيا عما سخط لك وأبعد ما تكون مني اذا كنت ساخطا على ما
أحببت لك يا ابن آدم أنت تعصيني في أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك مني وأعلم رواه أبو نعيم في الحلية وعند ذلك من الآثار التي ذكرها تطول وفيما ذكرناه كفاية للمستفيد وعاصمة للمستريب
(فصل) وهذه المسألة التي نحن في سياقها يراد الشواهد عليها كثيرة من بعد عرضي في مادتين بعد
سوقه ولكن عند تأمل عقدة تعب في حلها كثير من الشيوخ وحكايات آرائهم وكثير من أقوالهم وتتبعوا فيها
وسلكوا فيها طرقا شتى فمنهم من رد في المصنف ذلك وعزاه الى رأي الملاحدة والاعتزال ومنهم من انتصر له وحاول
عليه الاستدلال ومنهم من زعم انها مدسوسة عليه وروى ذلك الاحتمال وقد سبق مني في مقدمة كتاب العلم
جرد كلاما نوعا لمصنف واستطردت فيها الى ذكر مصنفاته وعدة لأبانه وارد على الطاعنين في مؤلفاته وكتبه
ان أراد وفقني الله تعالى وصلت في كتاب التوكل الذي هذه المسألة مرسومة فيه أتكلم عليها بعون الله
فهمي من مجموع كلام الأئمة فيما ورد وبقدر ما هدى الله تعالى علي وله الحمد المستقصى حتى رضي
ان وصلت الى هذا المقام هذا وقد مر من ميقات الوعد الى اليوم نحو عشرة أعوام وقد أعطت نعمة الله تعالى

عبارة المصنف استحقاقها شرعا وكشفها بحاله من الاحاله و شهود وفي أنسبها مواشر وأن وقد عن لي الآن أن
أجمع كلام أولئك النفر وأقابلكم معهم بالانصاف وركاسين الاعتساف بما كان صوابا من الله تعالى وما
كان خطأ من سوء فهمي وقلة تدبري والتطلع بباطني وبعض من استخفاني من تقرقه نصي وقوص
مثل حصاني ولنقدم قبل نقل كلامهم وصية تعرف ما على من يتعرض لكلام الناس في تصانيفهم كيف يكون نظره
فيها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه أن يتعلمه ان لم يعلمه وأولى ما يلزم العمل به اعتماد عليه فيما أتى عن أكثرهم لا
تهم أتوا البيوت من ظهورها فشردوا عنها وعلقت في وجوههم وأقبل دونهم بحجاب ولو أتوها من أبوابها
لقوبلوا بالرحب وبجلوا على الرضا والحب وكشف لهم كثير من عجب الغيب قال المصنف رحمه الله تعالى في أول
لاملاء أيها المتصدي للعلوم والناظر في التصانيف والمتشرف على كلام الناس لم يكن نظرك فيما تنظر فيه بالله
ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك وكل من جعلت نظرك له فقد صار عملك غيره وكنت على عملك
وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل ما هو لك عليك فمن كان نظره لوجه ربه فليعمض عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحدا وان لم يكن نظرك فيه فقد ضيعت معه عمرك ولا حظت بالحقيقة سواك وما نظر في كلام
أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تستهن بوارده فكم من مستهين عده في الظاهر وله فيه كبير حجة في الباطن ولا
تقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات واطمح بنظرك
فيما نظرت في كلامه الى غاية ما يحتمل ذلك بعد أن تعرف حد قدره وبعد ذلك فان قصده ولا تقدح له الحجة ولا تحكم عليه
بفساد ولكن تحسن الظن أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنه مما تنقبض من معانيه فان أبيت حسن
ظنك به فاشعر حسبة واطلب العذر لأخيك ولا تكن كالسباية تنزل على قدر ما تجده ولا تتحمل على أحد بما تحطه
ولا تبادر بالجهل عليه بما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فلكل عالم عورة وله في بعض ما يقوله احتجاب وما هلك
مما جرى بين ولي الله تعالى الخضر وموسى عليهما السلام وقد عرض لك من كلام عالم اشكال يؤدي في ظاهر
الحال الى اختلال فحد ما ظهر لك علمه ودع ما غاض عليك فهمه وكل العلم به الى الله عز وجل فهذه وصيتي لك
فاحفظها وقد كبرت سنك ولا تدهش عنه وأزيدك زيادة تقتضي التعريف بحسب الحال فاعلم أنك تعرف من
الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر حجة ولي في وصفهم الواضح عرض من بعض عالمنا العدل علانية بحجة وصحح
وصحوح فالحجة والصحيح عالمان بالله وبأمره وبما يتبعه علامتهم الخشية لله والورع وايثار الآخرة على الدنيا
فحيثما وجدت الحجة والصحيح فهو حيث يكون العلم على صراط الله المستقيم والصحيح مدعوم بالحجة والحجة بار
السمة وقد أحرز من الكلمتين وأتم المعرفة بهما ساطع وبرهانه قاطع وبرهانه ودلائله وصحيح
الحق المبين فهو بين عليهم على صراط الله المستقيم وصحوح عالم بالله وبأمره وبما تأتيه ولكنه فقد الخشية
برؤيته لنفسه وعجبه عن الورع والزهد وبعده من ركاب عباده ومحبته العلو والشرف وخوف السقوط فهو عبد
العبيد لا يباح دمه ومقتوت بعد علمه معتر بعد معرفته محدول بعد تقريبه شديد الاحتقار لنعم الله تعالى
والازراء لآلائه وغيره لقائه أمينه وصلة سامانه قد أهلك نفسه حين لا ينتفع بها وأهلك من اتبعه واقتدى
به فويل لمن يصحبه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو آكل دينه غير مصحبته في نفسه ولا يصح له في عباده تعود
بالله من الحور بعد الكور ومن اضلاله بعد الهدى فاصناف الاولان من العلماء قد ذهبوا وان كان قديق
منهم فهو عبر محسوس للناس ولا مدرك بالحواس ودلك لما ظهر في انقضاء من ظهور آراء السوء وعدم أهل الصلاح
والرشاد وأعرق في العالم على وجه الارض ما يقع عليه في الحقيقة اسم عالم بعد شخص مشهور به واما
الموجود اليوم أهل صحافة ودعوى بوحدته وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا
وهم أكثر من هم الارض وسيروا أنفسهم أوتاد البلاد وارساء لعوامهم وهم حلفاء ابليس وأعداء الحقائق
والخذن الفوائد لسوء وعيهم بردي عيب الحكم شرعه و نقاص أهل الارادة والدين فاحذرهم فانهم

لله أبى يؤفكون الحدو أنهم جنة فصلوا عن سبيل الله أنهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون هذا كله كلام المصنف فى خطبة الاملاء وقد اختصره فى بعض المواضع وأنا أحذف ذكر ما وعد به واستوهب الله وبالبصيرة وحسن السيرة وعمران الخيرة فهو ربى ورب كل شئ وليه النصير وهو عمران ما تمناه لاولى وهم الذين ردوا على المصنف هذا القول ولم يقبلوها وعابوها على كلام أهل السنة وحدوها عبارة مزرية عليه واستشكلوا فيها أمرين الاول قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان وحده الله وانشانى قوله فى اقامة الدليل عليه لانه لو كان واجبا مع القدرة لكان بخلا ينافض الجود لالهى ويهضيا ينافض العدل أو لامع القدرة كان عجزا ينافض القدرة لانهية تقرر هذا الدليل به محال غير ممكن حتى يدخل تحت القدرة ويحل التوقف فى هذا الدليل قوله وعلما ينافض العدل فان الناس قد توهموا فيه وقالوا انه يناسب أصول المعتزلة القائلين بوجوب الاصلح على الله والاعلى أصول أهل السنة انه لا يجب عليه فعل الاصلح ولا يكون مناقضا للعدل لان فعل الاصلح عندهم من باب الفضل وهذا الذى فهم من مجموع كلام المعترضين مع سعته وتشعب رسائله والكن الحاصل ما ذكرته من هذه الطائفة الامام أبو بكر بن العربى شارح الترمذى وتبعه المصنف فانه وقف عليها بالعراق وأخذ عنه علما جما كما ذكره فى مواضع من مواضعه والامام أبو عبد الله بن عرضى فى شرح أسماء الله الحسنى قال أبو بكر بن العربى قال شيخنا أبو حامد الغزالى قولا عظيما انتقده عليه أهل العراق وهو شهادة الله موضع الانتقاد قال ليس فى القدرة أبدع من هذا العالم فى الاتقان والحكمة ولو كان فى القدرة أبدع منه وأخرجه لكان ذلك مناقضا للجود وأخذ ابن العربى فى الرد عليه الى أن قال ونحن وان كنا مأمورين فى محرر هذا الكتاب بالرد عليه لا بقوله ثم قال فسحقا من أكمل اشياعها وأصل اخلائق ثم صرف به عن هذه الواضحة فى عرائض وعمى تلاه فى الرد الامام أبو عبد الله المازرى والامام أبو الوليد الباجى وطوائف وهم أيضا ممن رد عليه فى هذه المسئلة بأطلة القول فى هذه المسئلة وغيره فى مواضع من كتاب الاحياء تبع فيها الفلاسفة فالمازرى الماخوذ عن كتاب الاحياء ومصنفه قال فى الجواب عن هذا الرجل ولم أكن مرت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكى لنا عن حاله وطريقته فاتوجع بها مذهبه وسيرته ما قام لى مقام العيان فأقتصر على ذكر حال الرجل وحاله كما به ثم ذكر ما اكتسبه من قراءة الفلسفة وقراءة على المعانى ونسبه للمعصوم عن حقائق وعرفنى بعض أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ثم ذكر ان سبب ما يعول عليه فى أكثر ما يشير اليه من الفلسفة وقد نبه عليها النبع السكونى عامر أكثره فى مقدمة كتاب لعلم خاصة ان من سبب عدده من الهالكين فكيف بمعتقد عليه وبنى فى كتاب الاحياء للفلاسفة مدخل ولم يصنفه الا بعد ما ازدرى علومهم ونعى عن أسطارهم كتبهم وقد أشار هو الى ذلك فى مواضع من الاحياء وأما هذه الجملة التى وقع فيها النزاع والخصام ومكابرة لا لداعى الا لعام فلانه انما فسقه وحسن للمازرى ولامثاله اعتقاد هذه الامور لردية واخلاص منهم الحكم بانهم امتدوا متعلقه معروفة كذا وجهت بالنسبة الى الله فى اصلها وما يجب له وصفها اهـ ومن المعترضين عليه أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الاسكندرى فانه كتب فى ذلك رسالة سماها التنبيه على الاغلال فى تعقب الاحياء للغزالى وقال لسئلة المذكورة لا تمشى الا على قواعد الفلاسفة ولمعتزلة ومع رده على المصنف قد أساء القول فيه وتجد ذلك نقص من مقامه وعض من رتبته وهذا لا يوافقه فيه أحد فان المصنف امام الدنيا والدين وقطب العلم والحال والمقال وامام المسلمين وبى الله على سنته المدكوك وان اطلعت على قوله منه بالوساطة فهو ممن نقل عنه الانكار ما عموما وا ما خصوصا التقى ابن الصلاح ويوسف الدمشقى وابن الجوزى والتقى السبكى وابن قيم الجوزية والحافظ الذهبى وقد ذكرت فى شرح الاصلام الانكار عليه عن جماعة لا أعلم ممن جاء بعد هذه الطبقة الامام بدر الدين الزركشى فقد قال فى تذكرته حين ساق هذه العبارة هذه من الكلمات العظيم التى لا ينبغى اطلاق مثلها فى حق الصديق هكذا نقله عبر واحد وله فى توجيه الكلام أجوبة سيأتى ذكرها بعد ومن جاء بعد هذه الطبقة كثير فتعصب عليه وطعن ابرهيم بن عمر بن حسن البقاعى الشافعى أحد تلامذة

الحافظ ابن حجر فقد صنف بلات رسائل في الرد عليه احداها المقصد الحسن في ترجمة الامام لعز الدين مدحه في أوله وأطال فيه ثم عرض للرد عليه في هذه المسئلة والثانية تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان والثالثة الدلالة والبرهان على ان في الامكان أبدع مما كان وكل من ثلاثة عندي قال في الثانية وبعد فهذا كتاب سميته تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان اردت به كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة بهذه العبارة التي عنوانها ان الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيئا أبدع من هذا الذي كان من هذا الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ونعلم ما نعلم عما علام الرسل عليهم السلام لان ذلك على زعمهم من قبيل المحال فلا تتعلق به القدرة لانصراف الارادة عنه لان من شأنها أن لا تتعلق بالمحال وهذا يشبه أن يكون قول من يقول ان الله يفعل بالذات لا بالاختيار وهو قول باطل لزم عليه قدم العالم بالزمان وانه قول من يقول بقدم العالم بالذات حتى لا يكون شيء سوى هذا الوجود الذي هو على زعمه ارحام تدفع وأرض تبلع وهو قول أهل الطبيعة القائلين بان حدوث هذا العالم على ما هو عليه امتزاج هذه العناصر بعضها ببعض وهو أول من الاول وقول من يقول به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد تقدم رد أهل السنة على رده وغير قولهم هذا بعض الناس وأكثر ورهم هذا قالت به أخذها الامام حجة الاسلام وأودعها بعض كتبه وهو الامام الذي لا معدل عن قوله ولا علم ولم يقصد هو ولا من صحت عنه الاخبار عن انه ليس بمعصوم وهي زلة منه ورد عليه مسائل أعماها في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة وأقوال مردودة أما قوله لهذه العبارة فقال في كتابه المسمى بالجواهر والدرر في أصول الدين وفي الاحياء ثم ساق عبارة الاخير بن ولم يسق عبارة الجواهر كأنه لم يبتدع عليه وقد سماه بعض آخر ما وجده العبارة في موضعين منه ثم قال وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته فساق كما عرى انه اصح ذلك عنه في كتاب سماه لاملاء على الاحياء فقال ما نصه فساقه الخ كما سنذكره بعد ثم قال انتهى جميع ما وقفت عليه من كلامه على هذا المعنى حسبما عرى انه والله أعلم بحقيقة الحال هل هو كلامه ومدسوس عليه بخطه فعل الطلاعي على هذه العبارة يقول كما دس عليه بعض المحرمين كتبا كاملة كذابة على ذلك ليتوصل ذلك المفسد بذلك الى غاية فساده اما الدس في هذا الاسناد واما تمشيقا في ذلك المكتب من فاسد الاعتقاد هذا وما تضمنه هذه القول هو كما ترى ظاهر حد ان نسبة الله الى العجز عن ان يبتدع عالما أكمل من هذا العالم وفي ذلك ابتداع ما هو أكمل من هذا بحيث يصير مما ليس من شأن القدرة أن تتعلق به وليس ذلك كذلك قطعا ولا يثبت كون الشيء محالا لمجرد الدعوى بل قول انه ممكن فهو مقدور عليه وجوده لا يلزم منه محل ولا بحر كما لا يلزم ذلك من خلق شخص من الاشخاص الآدميين على غاية البشاعة في صورته ومعه حدقا وخلق مع علما ما تقدره على جعله من أكمل الخلق حتى يكون على صورة من هو أكمل منه سواء بسواء ولا شبهة في ذلك ولا شبهة في أنه كان قادرا على أن يبدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة مؤمنين على قلب رجل واحد لا تحاسد بينهم ولا تباغض توجه ولو شاء الله ما اقتتلوا ولو شاء الله ما اختلفوا ولا شك ان ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا الصالح والفساد والتباغض والتنافر ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لا على كل نفس هدى ها ولو شاء لحفظ الارض من الفساد بعد صلاحها ثم ذكر قولا من كتاب الاحياء مما توافق مقصوده ان ذلك عبارته في الصبر والشكر الذي يقول فيها بعد كلام عديدة ومرض فيتصور أن يكون أكثر منها مما هو مقدورات الله لا تتناهى الخ قال فهذا نص في ان الله تعالى لو أراد أن يخلق عالما أعظم من هذا وأبدع كان عليه هين ولا يلزم من ذلك محال ولم يلزم محال ولا بحر أو تبديل فليسبه حال كونه مستحضرا لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل الذي من مفهومه انه لو فعل ما يناقض ما سميه حكمة كان له ذلك ولم يلزم منه محال مع أنا لا ندعي انه يفعل ما يناقض الحكمة فكيف اذا فعل ما هو أحكم مما فعله أولا وكان قد وعد لما لا فعله من الحكم ومنها عبارته في كتاب المحبة فلا عجب سهل بنا عبادي هذا البلدة وسألوا الله أن لا يقيم الساعة لم يقمها قال المصنف وهذه أمور ممكنة في أنفسها فان القدرة واسعة والفضل عميم وخزائن الملك والملكوت

كثيرة ومقدورات لا نهاية لها وفصله على عدده الذي اصطفى لاعانته الخ قال وهذا نص آخر منه على ان
خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن فانه من جملة مقدوراته التي قال وهو الحق انه لا نهاية لها والفصل الذي
نص على انه لا غاية له وحقق عدم دوام الساعة لانه ممكن مع انه تحقق الحكمة ولولا هو لكان خلق هذا العالم
صورته صورة العدث وقد قرر هو ان ترتيب الذي على الآخرة من جملة ما هو في نهاية الابداع وقد قدم في ذلك
الكلام على ترتيب المسببات وترتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن
منها وأكمل ومن جملة المسببات التي ذكرت بحث هذا بعض يوم القيامة الذي ترتبت على تعالم الناس في الدنيا
ليتبين فيه العدل وتراجعهم بتفاضل وقد جوز ان لا يكون فان كان تركه أحسن من فعله وأبدع انتقض
قوله على أكمل الوجوه وأحسنها وان كان تركه مثل حسن وجوده وهو كذلك لان لا شيء من الحسن في تركه
نقض قوله في الاملاء ليس في الامكان أبدع منه لعدم انتهائه لمقتضيه الحكمة فكان له أن يفعل ما هو حكمة
وليس هو النهاية بما تقتضيه الحكمة وهذا هو الحق وهو لا يسئل عما يفعل من وهو المختار في أفعاله ولا حد لحكمته
كما انه لا حد له هو تعالى وتقدس بحمده ثم ذكر بعد لا ريب في ان الله تعالى قادر أن يجعل الجبال كالهباء
وعلى ينقل ان جبل قاسيون الذي يجيء من دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدل به أنتنا وأنهار ذكر أشياء
من هذا النمط مما عرض على أدنى الفطنة لم يشتبه في صلاحية القدرة له فضلا عن عالم وضلا عن منتسل تحلة
الاسلام ثم قال غاية القول في هذا ان قائله عن ان وجود الابدع يحال عبر داخل تحت القدرة وهو عدل في ذلك
هذا حاصل ما ذكره في تهدم الاركان وقد رد عليه الحافظ السيوطي فاحسن وأجاد حاصله ما قدمنا ان النفي
في كلامه ليس متسلطا على امكان وجود شيء غير الوجود الذي هو مختار فيه وهو المختار في أفعاله ولا حد لحكمته
كما انه لا حد له هو تعالى وتقدس بحمده ثم ذكر بعد لا ريب في ان الله تعالى قادر أن يجعل الجبال كالهباء هبا
وعلى ينقل ان جبل قاسيون الذي يجيء من دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدل به أنتنا وأنهار و

أدى الى ضرر آخر من حيث الرعية لان مراعاة لاشد ضررا مقدمة على الاخف والحسن يترك لما هو أحسن منه والضرر يرتكب لدفع ما هو أشد ضررا منه وقول المعترض ان الله تعالى لا يجب عليه لا يصح هذا مسلم ومن ادعى انه واجب فانا نقول انه تعالى فعل لا يدع في مصنوعاته وكلامه ومما اوجبه تعالى على ذلك كما قطع به يدخل أهل طاعته الجنة وكلامه لا يوجب عليه ولو شاء لادخلهم النار لكنه لا يفعل كرما منه فالحاصل ما نقول ان كل موجود على وجه يمكن ايجاده على عدة أوجه أخرى وان القدرة صالحة لذلك غير ان الوجه الذي أوجده الله عليه أبدع لعلم الله تعالى بوجه الحكمة فيه وايجاده عليه ولا يسعى أن يوجد بغيره وقوله ايجاد واحد صدفه في زمن ثان كان ذلك اصدق في ذلك الزمان الثاني أبدع من الصدق الاول فكل موجود أبدع في وقته من خلافه والمعترض فهم من الكلام به اذا حكم على موجود بانه أبدع استمر ذلك الحكم فيه الى يوم القيمة وانما عنى بايجاد صدق أحسن منه بعد ذلك لزم عليه الاشكال وهذا غلط محض بل المعهود ان كل ما أوجده الله في وقت فهو فيه أبدع من غيره وله أن يوجد غيره في وقت بعده ويكون ذلك الغير في ذلك الوقت أبدع من الامر الاول وهم حرا بعد يوجد في اليوم لواحد صدقا كثيرة على سبيل التعاقب في كل ساعة منه صدق وكل واحد أوجد في ساعة أبدع فيها من غيره والذي أوجد في ساعة ثانية أبدع فيها من الذي أوجد في الاولى وهكذا وكل ذلك بما ظهر عنبار الحكمة الله في أفعاله تعالى وعلى هذا لا اشكال البتة ولا يحتاج كلام محمد الاسلام في تأويل ولا صرف عن ظاهره ونحن نرى أناسا قامهم الله في ثياب وهم يظنون ان غيرهم أحسن حالا منهم ولا يزالون حتى يفقوا منها الى غيرها ولا ينتظم لهم فيها أمر ابتة ويعودون الى شر مما كانوا عليه وأول أمرهم الى العود الى السبب الاول وبهذا يعرف كل ذي بصيرة ان لا بدع ولا صنع في حق كل أحد ما أقامه الله فيه فان قلت قد بقي الكلام على الحكمة في أجزاء العالم دون جملته كله كاشتماله على الصديد والملامس حيوان واحد ومتحرك وساكن بحيث يتنع ايجاد غيره على غيرها قلت قد تولى الله تعالى تبيين حكمة ذلك في كتابه العزيز حيث قال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال المفسرون هذه اشارة الى المتضادات لتقابلها من الاشياء كالليل والنهار والسماء والارض والسواد والبياض والحلو والمر والحر والبرد والليل والهدى والضلالة والشقوة والسعادة ونحو هذا وفي ذلك دلالتان الاولى على انه تعالى فرد لا صد له ولا شبيه ولا عدل ولا مثل والثانية على القدرة حيث أوجد الضدين بخلاف ما يوجد من جنسه واحدا كالتسخين والتبريد هذه عبارة السكي في تفسير هذه الآية فلا عن مجاهد والضحاك هذا كله سياق الجلال السيوطي رحمه الله تعالى وسياقي ايراد اعتراضاته على كلام المصنف في الاحياء وفي الجواهر والاربعين عند ذكرها في جواب الاملاء

(فصل) ومن المعترضين المتعصبين على المصنف شيخ بعض شيوخنا العلامة سيدي أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك السجلماسي الملقب المتولد سنة ١٠٩٠ له مصنف كما سمعته الذهب الابريز جمع فيه ما استفاده من شيخه الولي الصالح القطب العارف بالله تعالى سيدي الشريف عبد الرحمن بن مسعود الحسني الادريسي الشهير بالدباغ قدس سره وسمعته قال فيه وسألته رضي الله عنه عما سبق له الاسلام من قوله ليس في الامكان أبدع مما كان فقال رضي الله عنه القدرة الالهية لا تحصر وبر سحابه لا يحجره شيء ثم قال قلت وهذا الكلام في غاية الاتقان والتحقيق وقد استخرت الله تعالى غير مرة في أن أكتب شيئا في هذه المسئلة محبة للخير وانصحة للغير فانها عقيدة ومع ذلك فانها من الضروريات ولكنها لما كثر فيها القيل والقال واختلفت فيها أجوبة الرجال كاد تحقيق ذلك أن يذهب اضطرابا فكنت أقول مستعينا بالله وحوله ثم سافر عدة آيات وأخبار تناسب سعة القدرة وقد سافرت الآيات بعينها البقاعي في رسالته ثم قال وقد تأملت هذه الآيات والاحاديث علمت منها الحق الواضح والطريق المستقيم لرجع وقد اعتدت بسؤال العامة عن هذه المسئلة الذين قلوبهم صحيحة عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق اليهم فأقول لهم هل يقدر سبحانه على ايجاد أحسن من هذا

عالم ويقولون ومن يتوقف في هذا ويستدل على كل شيء قدير وقدرته لا يتعذر عليه شيء من الاشياء اه ومفهومه ان محة الاسلام تتوقف على ذلك ويستكثر سعة القدرة وهذا من أعجب العجائب ولو سئل عنها بعض الاسلام ماذا كان جوابه وهل يستدل بكلام العامة على الخاصة ثم قال وددت مرارا منهم هل يقدر ساعي الحداد أفضل من هذا العالم فقال لي لا أسمع لي في قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وهل يقيد الجديد بكونه دون الحادث أن يكون أفضل منه وأسمى وأتقنه اه قلت وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل فان في سعة قدرته ما يقتضي ذلك ولكنه لم يشأ ذهابنا فكان وجودنا هو الابدع وليس في عبارة الحنفي أن الابدع لا يدخل تحت القدرة هذا لا عطار سدل أحد ولا كعطار ثم قال وقد بعض البعض ما قولك في قول أبي حامد ليس في الامكان أبدع مما كان فقال قد تكلم عليه بعض من عاصرني وعبره وقلت له أسألك عما عندك فيه فقال وأي شيء عندي فيه فقلت له أرأيت ان قال لك قائل هل يقدر ساعي الحداد أفضل من هذا الخلق فقال أقول له ان مقدورات الله تعالى لا تتناهى فيقدر على ايجاد أفضل من هذا الخلق ألف درجة وأفضل من هذا الافضل وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت له وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان يدل دلالة ظاهرة على عدم ذلك لعمري العبارة وهكذا وقع لي مع كثير من المتفقهة فاذا سألتهم عن عبارة أبي حامد المشتهرة واحتلالاته فتوقفوا فاذا دللت العبارة وعبرت عما سبق في سؤالنا للعامة جزموا له بالعموم لقدرة وعدم تناهي المقدورات اه قلت لو تأمل السائل ونسؤل حق التأمل لعلم أن لا عبارة المذكورة ليس فيها تعرض لنفي القدرة أصلا كيف وقد صرح باثباتها في الدليل حيث قال ولو لم يكن قادرا كان عاجزا ناقص الالهية فكيف يقال عليه مع ذلك انه نفى الدخول تحت القدرة وتدليل العبارة بحسب ما آخر عن مناسب خصوصا للعامة فما تصرف في العبارات بغير ما في وهمهم لو علموا أن مراد المصنف من سياق هذه العبارة في آخر مقام التوكل حث العبد على الثقة بمولاه وارضاء ربه حتى لا يأسى على شيء أصابه ولا يخشى عواقبه لا استدلوا من بقال والقيل ثم هذا سؤاله لهم عن ذلك وخارج في علم الكلام الذي هو من توابع علوم المعاملة ان صحت فيه النية وعرف به الداخل متصل علم كل الاعمال الذي هو داخل في جملة علوم المكاشفة ومن وراء سر القدر الذي عن اشاراته كما أشار اليه المصنف في آخر السير فما علم لهم من علم ما يكون ولا يفهمها الا من اطلع على هذا العلم ثم ان هذا المعترض لو تأمل ما أورده من الوصية المرسلة رجع الى نفسه ما يكون وتدبر مع الله تعالى ومع أهله ونفسه ومن الحب أن من حق الاسلام يحاسب كل هذه بعبارة ويقال له ذلك تنكر قدرة الباري وتنسب اليها العجز ونسبه الى بخل وتقول بوجوب الاصلح عليه أو تقول به قائل بقدم الزمان وما أشبه ذلك ثم أمن بضاع ودائع الرضاع ولو سلمنا لاهل التسليم سلموا ثم قال سيدي أحمد بن مبارك وكذا وقع له مثل هذه العبارة في مقاصد العلاسفة وقد خالف العلماء فيها على ثلاث طوائف وثلاثة أنكروها ورددها وطائفة أولتها وطائفة كذبت لسنده اليه وبرهت مقامه عنها ثم سان كلام ابن العربي شارح الترمذي الذي سقناه أولا ثم ذكر ابن السيد واعتراضه ثم ذكر كلام ابن أبي شريف في شرح المسايرة بعد ان ذكر ان في مقدور الله تعالى ما هو أبدع من هذا العالم ما نصه ثم ان ما في بعض كتب الاحياء كمكاشفات التوكل مما يدل على خلاف ذلك والله أعلم صدر عن ذهول عن تنزله على طريق العلاسفة وقد أنكره لانه في عصره اه قلت كيف يكون هذا ذهولا من أبي حامد وقد ذكره في عدة كتبه كما تقدم نصر بجاز ولو بجا ومن شأن الداخل انه داخل عليه في دخوله بتنبه ويرجع في الحق من غير تعنيف فكان متصفا قولا بالحق كما وقع له في مسألة الدور وانه لما ظهر له الحق رجع وصنف رسالة في الرد على نفسه وأنصف وهذه المسألة قد أجاب عنها بنفسه وصمم عليها والمسألة كيف كرا من علم مير بقدر ومن علوم مكاشفة ولا يدعه فوائق بعض عبارات العلاسفة معهود فيسعى التسبيه فيما ذهبوا أعرف بهم من أتى بعده وكل من تكلم فيه فانما هو من جهله بحقائق عالم الملكوت فان تطابق ما يراه العالمان في الحقائق والقواعد صعب وهو قد أشار الى ذلك بانه قد عرض

فيه هو انقص من الف صريين وكل موضع في علم غيب مصلح على أسرار ما بعده فهو من الغيب فينبغي أن يقف على ساحل هذا البحر ولا يتوغل فيه ولا يغرق مع الغارقين وله الويل ان لم يكن من الناجين

(فصل) والطائفة الثانية قالت ان هذه المسألة قد درست في كتب أهل الكلام القديمة في الرسالة الاولى قد ألحقها في كتابه من براهين قطعية ودلائل على دلالتهم استقصى الكلام في جميع عقائده المشهورة وأبطلها على الفلاسفة في كتابه الذي سماه مقاصد الفلاسفة وردها هو في كتابه تهافت الفلاسفة وأحدث أهل البدع منهم وخالفوه فيها وجميع الامة على أنهم لا يطابقون على الاحتجاج عليهم على أن ما يوهم نقصا لا يقال عليه وهذه لم تكن تهمة فهي توهمه وهي صرح بها الخصوص ايراد وزركشي كما تقدم نقل عنه ثم ساق بعقول وقال في الرسالة الثالثة وذلك من حق تنزيل مع تحكيم الشرع والعقل عن حد النقص عن ما حاله لغير ما يجري فيه وهو سديد الشبه كلام المعتزلة والفلاسفة كما قد عليه لا نقص بسببه على هذا الوجه فيه لانه ان لم يكن عيبا ما نقل عن المعتزلة وهو سديد بتقرير سمه عبارة ومعنى وانظر الى عبارة لا جبوا الاملاء واعتراضهم على كلامه في غيرهما ترهما نازعه الى ما وهم نقصا في حق الله فان رأيتها وكثيرا من حملها على كلام المعتزلة الآخذين له عن الفلاسفة وقرينة اليه حداها فيها على اعتراضها عما نقص من كلامه فعلى ذلك يمكن لان الحساد كثير وهم مكرة كثير وكيد تكادمه الجبال تسيره وقد كادوا على غيره ليشوا عليهم المقعد بحسن سيره وذلك أقعد في تنزيهه عنها وتعريته منها وان رأيت أن تنتهي على وجهها وسياقها له من غير أن تحوز فيها بحريفا أو دسيسا أو حذف زيادة أو تقديم تأويل وتركيب وعراضه حرف وتقديم خشيا عليه تعول فافعل ان استطعت ذلك الى سبيل ولا تستوحش من قولي ان ذلك مما يوس عليه لاجل كثرة الكلام وطوله مع أن لاحد شهير النسبة اليه فانه لم أعن بذلك الجميع بل هو دون حسن كلمة وهي قوله في الجواهر ليس الكون الكلام انما هو الامكان لادع وقوله ولو كان لي ابعاده وقوله الوجب وقوله وليس في الامكان لي قوله لانها واحد حذف هذه الكلمات استقام الكلام ولم يبق فيه شيء لا صبغه فعل وقد حرنا اعادته لانبات هو في سياق الاثبات على قصد المبالغة في المدح وارادة معنى من ونبهنا على ارادته المبالغة مع استلزام لحقيقة المحال وهو تناهي المقدورات قوله عقب ذلك في دلالة عليه وأشار لي وجه انتهائها أي العلم والقدرة بانه قادر على ان يتم وابداء ما هو أعظم صنعة فهذا هو يعتذر عن لاحياء وعن الجواهر وأما الاملاء فليس مشهورا عنه فالظاهر ان الذي دس في الجواهر والاحياء انتقى دسه عند كتبه في الاملاء اه ومن جوز الدس عليه واعتمده سبق القلم وسحبه مولده نتاج كما تقدم عنه في الكلام مع المرزي وقال سيدي أحمد بن مبارك وأما الدس كذبوا نسبة هذه المسألة اليه فاستندهم انهم عرضوها على كلامه في كتبه فوجدوها معه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد نسبة بين ضدين فلذلك حكمنا ببطلان استنادها اليه ثم رأيت عن المستصفى والاقتصاد ثم قلت لو ثبت ان املت ما وقع للامام أبي حامد في الاقتصاد وفي موضع من الاحياء يقتضي انه ناقض ما نسب اليه في المسألة فلا كلام فيها فانه قضى فيها بانها دخار الابداع مع تقدره عليه عم وتحل وقضى هنا بان صب العذاب والآلام والاوصاف على الخلائق عدل لا ظلم فيه وانما ناقض بينهما ظاهر لا يخفى فان دخار الابداع اذا كان ظلما يناقض العدل كان صب العذاب والآلام والاوصاف ظلما يناقض العدل بالاولى والاحرى وحكم عليه هذا بانه عدل لا ظلم فيه وقد صرح في مسألة بانه ظلم يناقض العدل وبهذا تعارضت الكلامان وهذا امكان في الوضوح لا يخفى فان قلت كيف تكون مسألة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ولا سيما في الاملاء فالجواب ان ذلك يقتضي انه وقف على اشكالها وتشعر بالجواب عنها ولو كانت مكذوبة عليه بتدارك اسكارها وتبرأ من فحمها وعوارها قلت لا مانع من أن يقع الكذب عليه مرتين مرة في نسبة المسألة اليه ومرة في نسبة الجواب عنها وقد قال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب الانتصار ما نصه ان وجود مسألة في كتاب أو في تأليف كتاب منسوب الى امام لا يدل على صحتها حتى تنقل عنه فلا متواترا

لتستوى فيه الطرفان والواسطة وذلك معقود فى مسئلتنا قطعا فعلمنا بذلك قطعا انه لم يقلها حيث وجد مخالفة لعقيدة أهل السنة والكلام العراقى فى سائر كتبه اه قلت هذا الذى ذكره بعيد ولو كان ذلك فى كتاب واحد كان الامر سهلا وما كان عراقى من الموصوفين بالبلادة حتى يمشى عليه الدرس فى كتبه ويسكت عليه ولا ينتقطن له مع رسوخ قدمه فى علم الكلام وسائر العلوم وهمته فى ذلك وتنبهوا عليه واستشكلوه ما كان مقتضى ورعه وعلمه ان يترأس بهذا بمجرد ما ظهر له ليس من كلامى بل اشتغل بتحرير الجواب وقدمه بمقدمة فى معرفة اصطلاح القوم ووجه بعد تقديم ذكرها ومن جانب ما تصرف فى كلام أحد من الناس ولا تقصد به حيث وقعت به كلامه فالمعانى أوسع من العبارات واذا عرض لك فيه اشكال يؤدى الى تناقض ظاهر فتأمل واختلاف هذا ما ظهر لك علمه ودع عنك عن علمه فهو لى آخر ما قال وهذه المسئلة المتنازع فيها كذلك فان ظاهره يؤدى الى اختلال وقد اعتذر عنه بعضهم بعبارة الاطال فيسعى تأويلها الا هى فهمها والاشتغال بها فاهو أهم فى الحال وادعاء الدرس فى سائر كتبه حتى فى املاءه أقدم من الاول وما نقله عن القاضى فى بكر الباقلانى فيه تضييق سد باب الشر الذى ذكره معقود فى عامة كتب الاسلام من نقله والحديث التى عليها عمل الناس اليوم فى الاحكام مفصلا عن كتب الكلام والوثائق والتصوف وبين سلفه فانه يحتاج الى جمع ذلك فى كثير من مؤلفات الائمة الاعلام فتنبه لذلك

(فصل) فى ذكر الطائفة الثالثة وهم المنتصرون للمصنف وتأويلهم على الاطلاق وأعلمهم وأولاهم بالتقديم المصنف نفسه فانه سئل عنها فى حياته وأجاب وهذا نصه فى املاء قال السائل وما معنى ليس فى الامكان أبدع مما كان هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخر مع القدرة عليه لكان ذلك بخلا ينافى الجود وعجزا ينافى القدرة بديهة فقال فى الجواب بمعنى ان ليس فى الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخر مع القدرة عليه كان ذلك بخلا ينافى الجود الالهى وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا ينافى الالهية وكيف يقضى عليه بالعجز وهو لم يخلقه اختيارا ولم يسبب اليه ذلك بل خلق العالم وبقال ادى سرح هذا العالم من العدم الى الوجود بحر مثل ما قبل فيما ذكرت وما اعرف بينهما وذلك لان تأخيره عما علم فعل حاصله عن أن يخرجه من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل فاذا فعل فليس فى الامكان أن يفعل الا نهاية ما تقتضيه الحكمة التى عرفنا انها الحكمة ولم يعرف ذلك الا العالم بمجارى أفعاله ومصادر أموره والمحقق أن كل ما قضاه ويقضيه من حيث علمه وارادته وقدرته وان دلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان وسبع جودة الصنع لعلمه كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا واضحا على كمال فى صفات جلاله اذ حيث لا جلاله فلو كان كل ما خلق ناقصا بالاضافة الى غيره ممن يقدر على خلقه ولم يخلقه لكان ظاهر ما يقتضان مدعى على هذا الوجود من خلقه كما ظهر على من خلق ناقصا فى خصائص معينة ليدل بها على كمال ما خلقه من غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان فضعا وما تحمل عليه من القدرة على أكمل منه طبقا خلق الخلق عقولا وجعل لهم قصورا وعجزا لم أكن وكشف لهم عن حجب وأجن فيكون من حيث عجزهم بكماله داهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته اصرهم بحيرة فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض بهذا ولا يشير به الى من لا يعرف محاوره ولم يصرف الفكر لتصحيح فى مشاهده ومختبره ولم يعلم مقدار الله وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا اثره فى غائبها ولا لاحظ الملكوت بصر قلبه ولا طاوز القوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أعنى النعيم والنار أعنى العذاب الاليم من البطرانية منتهى الكرامات ومبلغ رضاه وجعله غاية القرب والدرجات وان مع المعارف والعلوم منتهى الهمات ويرى أن العالم أخرجه من العدم الذى هو نفى محض الى الوجود الذى هو اثبات صحيح وصوره مدورة وجعله طبقات فى حى وميت ومتحرك وساكن وعاقل وجاهل وشقى وسعيد وقريب وبعيد وجليل وحقير وصغير وكبير وغنى وفقير

ومأمور وآمر ومؤمن وكافر وحامد وساكر وذكر وأنثى وأرض وسماء ودابة وشجر وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به وموجود بقدرته وبأن بعضه وسنه إلى أجله ومصرف بمشيئته ودال على بالغ حكمته فما أكمل من حدثه لا قدمه ولا من نصرته الاستداد به ولا من ملكه الامتلاك به ويعود الحديث فيما وقع الرد والمعلوم ما لكا ويعود المحتوى من حقه كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المفترين وزيغ الزائغين علوا كبيرا هذا آخر ما نقض عليه في الجواب وقد نقض الناقض على عشرة الآراء بين والاحياء والاملاء فقد في الرسالة بدايته وتمامه التفصيل فقوله في الآراء بين الاسباب ترتب على المسببات على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن مما هو واقع يلزم عليه أن يدع كل أحد على ما هو عليه فان الذي هو عليه من ترتب المسببات على الوجه الذي هي عليه لا يكون أحسن منه ويلزم من ذلك أن يجب عليه أن يدع الكافر على كفره والعاصي على معصيته إلى غير ذلك مما أمر الله تعالى خلافه وقوله ليس في الامكان أحسن منها من سوء مما هداية الكفر لأن لا يكون لا يدوم ما نقضه به من الحكمة وهذا أمر يوجب نقض صور غير متناهية كثيرة وهو نقض للشريعة ولا سيما إذا قرب هذا الكلام بعضه من بعض ولو كان أي عبر ذلك ممكنا لكان أي إيجاده لذلك الواقع مع اقتداره ذلك الأكمل بخلا لا جودا أو عجزا يناقض القدرة فان ذلك يوضح به لا يصح ما قلت ويفهم قوله وليس في الامكان أحسن منها أن ذلك به ما يمكن القدرة به تتصل به فيه نقص حينئذ قول الخصم ان ترتب المسببات على الاسباب إلى آخره سخيف لأحد له تقدم ويلزم عليه أن يكون صانعه غير مختار في أفعاله وأن يكون مسببه أحسن في كل شيء كان من شأنه أن يتصف في نفسه بالحسن ولا يكون في عبده ولا يدخل في العقل غير ذلك وهذا يناقض قوله سخيف وما ناس يعوب ويريد هذا الذي فهمته مما ذكره في الآراء بين وصوبه قوله في الاحياء ما نصه من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وكل عدل محض لا جور فيه وحكمة صرف لا ظلم فيه فهل هو على الترتيب الواجب الحق على ما هو في وكما ينبغي وبالقدر الذي هي وليس في الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل فهذا يدل على أن ذلك الذي وجد من كل شخص كل وصف وهيئة عليه ما ناقض القدرة إليه وهو واجب الوجود على ما هو عليه لا يمكن شيء غيره ولا أن يكون على حالة غير ما هو عليه أو أن يتحول من حاله كان على وجه هو أحسن فيلزم عليه أن يكون كافرا الكافر أحسن من الله ويريده وصوبه ما بعده من قوله ولو كان أي في الامكان أحسن منه وأجود مع اقتداره ولم يفعله كان بخلا يناقض الجود ويناقض العدل ولا يتصف بهذا إنما يكون كذلك من يوجد منه الحكم ليكون ثم من يوجب عليه أن يفعل غايته وسعه فان قصر عن ذلك مع القدرة عد بخيلا وجائرا وهذا وأمثاله مما هدم به كلامه وبطل به لا يجب عليه شيء ولا يستحيل أن يعدم وقد أطبق أهل السنة على هدم أصل المعتزلة في وجوب رعاية الأصلح لدى هذا الكلام شديد يدافع به لا شك أنه عن يقول به وقوله ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الألوهية هذا صحيح ولكنا نحيل هذا الذي يقول هو قادر على كل ممكن وهذا من جهله بمعنى كان لأنه لا دليل على استحالته وقوله ولولا الدليل ما عرف قدر انتهاء آخر كلام صحيح في نفسه ما نسبه في ما وجده سخيفه لأن ربه تعالى لا يقدر على التعريف بغير ذلك ولا أنه بل هو تعالى قادر على أن يعرف جميع الأشياء اضطرارا فضل كونهم من حديث أبي هريرة في نظر جبريل عليه السلام إلى جهنم وكيف جعلها تكاد تلتهب ثم قال فلما فرغ من أمرها قال فلما رأى أحدهما أنه خلق كلا من الخلق والمدعي النقص ما هي عليه الآن فهم بطلان قوله بغير فعل ليس في الامكان أبدع لأنهم إنما تقتضيه الحكمة وهذا كما حق لا فرض دون ما رأى ثم شهد لي الحق الذي أراده وهو قادر على أعلى من ذلك ولم يكن أخبرها أحد من خلق ولا عجز له في أنه عن ذلك به شيء يمكن معرفة الشيء قبل الجهل به ثم عرف بطلان قوله ولو لم يحقق ناقض لم يعرف الكامل وما قوله في ذلك عدل فلا تشتد به والفضل واسع ولو جعل الأمر على غير ذلك لكان عدلا لأنه لا يسأل عما يفعل وأما كونه حقا لا لعب فيه فإن يجعل بدا كفر الإنسان وبدل

المعصية عاصيا ويكون ذلك ولو جعل بدل ميل المؤمن كفرا لكان ذلك حقه لا لعيب فيه ولو جعل بدل تعليم الطائع عدا بالكان عدلا لا جور فيه هذا دين الاسلام بدى لا ريب فيه وان كان غيره لا يفعل ذلك لانه أجبر مختلاده وهو لا يبدل القول لديه وأما قوله في الاملاء ليس في الامكان أبدع مما كان فقد تقدم ما فيه وقوله وكيف يقضي عليه بالجور فيهم مخلقه اختيارا ولم يسبب بيده ذلك قيل خلق العالم ويقال ادخر اخرج العالم من العدم الى الوجود جور مثل ما قيل وقد ذكر هو نحو هذا معنى ان قوله لو دخره مع القدرة لزم عليه جور يلزم عليه ذلك تعليمه قبل ابداع هذا العالم وقد اعتقد قدمه بل العالم حدث ولا شك أنه قبل احداثه كان مؤخرا لايجاده له مع القدرة عليه فما قلت ان كل تأخير يلزم عليه الجور لزم مثله وصفه سبحانه في الازل قبل خلق العالم وقد قال لك وجهه فاجب بما دلك انه تأخير كان وقد بحثت الاختيار الممكن حيث ان الفاعل المختار يفعل ولا يفعل يعني وتأخيره لا يحس منه ليس داخلا تحت القدرة لانه من قسم المحال الذي ليس من شأن القدرة ان تتعلق به وذلك لا يلزم عليه جور لانه ليس من شأن القدرة ان تتعلق به ولا يلزم عليه تحيل لانه لم يدخره مع القدرة عليه هذا تقرير كلامه وهو باطل لانه لو سلم لكان تحيلا يلزم منه من حيث وهو لازم في الازل فعلا لو صحت دعواه وليس عنه جواب فان سلم ان هذا العالم كان تحت الاختيار الممكن وكان قد دخر في الازل مع القدرة تحال واسقاط الشق الذي لا جواب عنه بقي الكلام مدسوسا عليه وليس من كلامه هذا ما يلزم لو سلم كلامه الكذب عن مسألتي حتى يعلم أن هذا العالم ممكن ولا يثبت تحيل تجرد الدعوى على من يدعيه بمجرد قوله قد فعل فليس في الامكان أبدع مما كان فيه ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا انها الحكمة كلام يناقض بفعل بالاختيار فهو قول من يقول بالعلل دون الاختيار أو قول من يقول ان الفاعل الطبيعة لا الواحد القهار المتصرف المختار وهم فريق من الفلاسفة وأول قول ان الذين منهم قدم العالم بالزمان لا بالذات وكما في رده ان الله تعالى خلق الارض أولا دون الجبال فلما مادت أرساها بالجبال وسكنت فلم تخلقها أولا على هيئة ما تقتضيه الحكمة وقد كان تعالى عالما بما تضطرب فتحتاج الى خلقها ولكنه أخر ذلك لحكم علية منها تعليم الناس لا لهم شيء من أمر الدين فعل الحاجة بل فعل ومنها لرد على قائل هذه المقالة حتى لا تبقى شبهة في ان فعله بالاختيار يحتاج الى نقص وتكامل ولا يقال عما يفعل هذا الحرما نقض به شبهة على كتب الاثارة وقد نحو نحوه شيخ سيدي أحمد بن مبارك حيث قال في الرد على جواب الاملاء فيه ان الاختيار يجعل يفعل فيه له بين الفعل والفعل سجانه لا لاهو وذا كان الاختيار هو السبب في تأخير وجود العالم فيجب أن يكون هو سبب في تأخير وجود الابداع والاعراض عنه وحينئذ فقوله فليس في الامكان أبدع مما كان ما تقتضيه الحكمة يقتضي أن الاختيار مسلوب عند الفعل والله تعالى يحب ما يفعله فعل ما تقتضيه الحكمة وحينئذ فقول لابي حامد فاذا كان الابداع عدم تأخير وجود العالم فلم عدل عنه فيقول لانه محال وقد قال عما عدل عنه بيت له الاختيار فيقال له وكذا نقول عما عدل عنه من العالم بحب فعل الابداع بيت له الاختيار فان عدل الفعل فيجاب عنه وعنه بيت له لزمه في وصف الاختيار بما سلبه أولا وما بنيت قدمه استحال عدمه فهذه حجة واضحة على وجه الاسلام اهـ ثبت كل منهما مما دل حول لي ولم يحط علما بالصفة ولا سام على ما هو اصدده وقوله مشحونة من قول فقهاء ان الاحكام تتبع الاسباب ترجمه بعض سائر الافعال كذلك وتعقيبه بما ذكر الاختلس عن عرض لنفي القدرة أصلا ورد على الاختيار عند فعل الممكن فعل أوجده الله تعالى دل ايجاده له على ان المصلحة في ايجاده أو رجحها في عدم تحققه مع صلاحيته لقدرة فعله على عدم تحققه وكل ما يوجد دل عدم ايجاده له على ان المصلحة في عدم ايجاده أو رجحها في تحققه مع قدرته فيما على تحققه هذا معنى كلامه في الاحياء وفي الاملاء ومقصوده بذلك ان العدم على منتهى مقام التوكل الذي هذه المسألة مذكورة فيه وعلى الرضا بكل قضاء الله تعالى يدل عليه سيدي صاحب العقود وسائر كلامهما يدل على ما ذكرت حتى لا يأسى على شر أصابه ولا تحير فانه ومن ذا الذي يقول في شر أصابه ان القدرة لا تصلح لعدم ايجاده او في خير فانه انما لا تصلح

لايجاده

لا يجد هذا الايقوله عاقل لامسلم ولا كافر فان شهد بالمين انفقوا على انسان القدرة لله تعالى ولو أتى بما ذكرناه ولان اسوى فى كلامه ليس منصبا على امكان الوجود بل على كونه أبدع لم يتوقفوا فى فهم كلامه ولا حملوا هذه العبارات التى لا طائل تحتها كثيرها فان التى حينئذ وصف فى صفات الممكن لا بقدرة الله ألا ترى انه وقت هذا السؤال انما يحسن على تكون فى بيان ليس عنه فتح فى القدرة وتعرض بها بوجه من الوجوه لا فكذلك اذا قلت هذا الممكن ليس بابداع وبها أنتم قد ادعيتم فى الوجود ليس بابداع ممكن وجدها كان فى قول المصنف تعرض للقدرة فهو فى قولكم أبدع وليس كما يلزمه وليس الامر كذلك لانى فى قولكم ولا فى قوله ما فى القدرة أصلا وانما فى منصب على وصف من صفات الوجود والممكن لا تعرض فيه للقدرة أصلا ومن تعرض من دعى انه ليس الكلام فى فرد مما يوجد فى هذا العالم انما الكلام فى امكان عالم آخر غير هذا العالم وهو مجموع على سكلام انما هو فى الاول كما هو مصرح فى كلام المصنف كلام لا لاصفة فى الثانى وليس هو مراد المصنف ومن هذا يعلم ان قوله لاستهانة الخ تشنيع ثم ما توارد اثنين على محل واحد وليس كذلك لاحتمال ولا تصور ولا حكم وأما الجواب عن عدم ذكره فى السؤال الذى تكلم عليه فى الاملاء كلمة العدل واقتصاره على جعله الوجود منصبا امالكونه ألهم عن مراده مما حال تدريس أو غيرهم ذلك لكونهم من أهل الفطانة والخبرة بخواص المصنفين والناظرين فاستغنوا عن السؤال عنه وانما أوردوا عليه لوهم مثل ذلك من قصر الاتحاد انما هو فقط وعلموا ان بين هذا وبين غيره من الحالين وأما اطلاق الفضلة الواقعة فى حيز الامتناع فلا يضر المصنف لانه انما ذكره فى تقرير الدليل الى ادعاه فكانه قال لاشك فى ان البارى تعالى جواد لا يبخل وهو ميزه عن البخل والجواد لا يبخل فقط انما أحد الامرين أحدهما الحكمة وقد تعرى عن الناس كثير وسع عن آخرين وهم بكن تقصره على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح فى حقهم لكان مناقضا للجود والفضل وهو فى حقه تعالى محال تعرى عما يناقض صفة الجود والافضال وأنت اذا تأملت ما قاله بعض العلماء فى قوله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا ان سلام للعهد اى الكثرة فى الاقتراح عن قاص الى تعالى ان أدنى الظلم لو فرض صدوره من البارى تعالى لكان عظيما بالاضافة الى جنابه كما يقال لمن له الدنيا كبيرة وشىء التى تحسب ذلك وأنت قول الذى يخاطب بعض الكرام * ما على اذا وهب الف دينار تحلا * يريد ان مثل وجوده تعالى فى الكرم بحيث لو وهب جميع ما حوته الدنيا لكان بالاضافة الى ما يقتضيه مقامه تحلا اجل عندك لا اشكال فى اطلاق هذه الفضلة

* (فصل) * ومن المتأخرين الامام العارف المحقق الناقد الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى قدس سره أورده فى الفتوحات المكية وفى الفصوص وفى كثير من تصانيفه فى معرض على ما نقله الشعرانى فى الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية ان كلام العراقى فى غاية التحقيق ولا يمكن انكار عليه لانه ما ثم الا مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث فالمرتبة الاولى للحق تعالى وحده ما جميع جميع حال والمرتبة الثانية للخلق ولو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يقال هو يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما يساويه فى القدم لانه سؤال مدخول فى غاية المحال اه ووجدت بخط شيخنا المرحوم أبى المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفنى رحمه الله تعالى ما نصه قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الجواهر والدرر سألت شيخنا رضى الله عنه عن قول العراقى ليس فى الامكان أبدع مما كان فقال لى بعض أذنى كفر فقال ذلك فقلت رضى الله عنه لعلنا عن الشيخ محيى الدين انه كان يقول من كفر العراقى بذلك فهو غير مصيب والجواب عن ذلك سهل وانه ما ثم فى الوجود الا مرتبتان فالحق تعالى فى مرتبة القدم والخلق كلهم فى مرتبة الحدوث فالحق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فمراد العراقى بنى الابداعية لتحاق الحادث رتبة القديم وهذا غير ممكن اه وقد نقضه الشيخ سيدى أحمد بن مبارك فقال وهذا ليس من الجواب فى شىء ولا نسبة بينه وبين مسألتنا بوجه ولا يحال ولعل ما يصح أن تكون جوابا لو كان مدعى العراقى ان ليس فى الامكان ابدع مما تقدم ومدعى المنكرين عليه ان فى الامكان

ماهو أبدع من القديم فيكون الجواب عليه ان الحديث لايبلغ القدم أبدا لان حيث كان دعواه في مرتب
الحدوث وان ماوجد من الحوادث لايمكن أن يوجد حادث أبدع منه ودعوى المذكور انه يمكن أن يوجد ماهو
أبدع منه والازم تناهي المقدور وذلك يستلزم القصور في قدرة المنعمي للعجز فاني بالاقتصار ذلك الجواب اه
قلت جواب الشيخ الاكبر متوجه على عبارة المصنف في جوابه في الاملاء وهو قوله شيأ كل من حدث
لاقدمية فلابد عنه للقدم وليس في ممكن أن تتعلق به قدرة لان تعلق القدرة به لاتعلق الا بممكن ولو كان
ممكنا وخلق لانحققت المرتبة الاولى ولزم منه صيرورة الحادث قديما هذا الذي فهمته من عبارته والمفهوم
مختلف وقد ذكر شيخ في المتوحي في اصول التسعين عبارة أخرى تشبه عبارة المصنف قال المحيوي معرف كلامه
ولا مايقتضيه لانه يحاول لغيره لانفسه فاني حققه فعساه الا مايصح أن يكون لله تعالى والمعتبر ان يكون
لنفسه لالغيره فدعوى انه مخلوق لربه مع ان الله خلق الخلق على كل صورة تصح لربه وهذه المسألة مما أعملها
أحد سابق معرفة كما رأيتم ه وهي مما يحتاج البها في معرفة المذكور والمتوسط فيس في الامكان
أبدع من هذا العالم ولا كمل فيه في الامكان الا مثله لما لاجله ه وفيه أيضا في السؤال السادس
وان ثبت ما أراده الجواب بعد تكامل صلوح على الصورة جامع للحقائق لامكان ولا لما هو والمشهور الا كمل
لدى لا أكمل منه الذي قال فيه أوصد ما في الامكان أبدع من هذا العالم كمال وجود الحقائق كما هو وهو
أعلم لدى ينبغي أن يعني عليه ويتأوله الا نرى الكامل في جميع الممكنات به المشبه بتامه وهو أكمل المظاهر
ه وفي حكمة الاشراق للشهرزوري ماتقول ولا تصور الوجود الا كما هو عليه ادلو تصور الوجود ممكن أن
يكون أحسن مما هو عليه لوجد من الموجد لانه ه م عمل قال الشارح وهو فعلت شيء وهذا
ماذكره هو الى في بعض كتبه ونقله عنه شيخ الكامل سيد الدين في التوحيد واستحسنه ه وقد عمق
المتوصون بهذا ان كلام المصنف مبني على كلام الفلاسفة وهو عما فاض مبني كلام المصنف عن مبنى كلامهم
ولاشتباه المقالتين عن شارح المذكور اعرض في نفسه من كلامهم ولا يتصور ذلك ولا يحكم عليه فتأمل
وقال الشيخ الاكبر في نصوص في الفص الهودي ليس في الامكان أبدع من هذا العالم لانه على صورة الرحمن
اه وقد اعترض عليه وبه منع بعض كلام الملاحقة وليس كذلك بل هو موافق لما في الكتاب والسنة والمراد
بالعالم الانسان فان الله تعالى قد حاء بالانسان في أحسن تقويم وفي خير قديم وكرم الله حال آدم على
صورته والآثار نص قاطع في ان الصورة التي خلق عليها الانسان لا أبدع منها ولا أبهى من المحاسن والحكم
(فصل) ومن المتصرين ان الغرياني قال ببدر الدين محمد الزركشي في تذكرته رأيت له جزءا أفرده في الكلام
على هذه العقدة وقال معناه تناهت القدرة في حق هذا البشر الذي ان هذا البشر الذي هو بدعة مخلوقة عالمة
في اظهار كمال القدرة والتعبير عنه وأردف بشر محمد اصلى الله عليه وسلم وهو الخاتم الذي روحه فان أول
ماخلق الله روح محمد وسمه تسمى الارواح
(فصل) ومن المتصرين العلامة بدر الدين محمد الزركشي من كبار أئمة الشافعية قال السيوطي يعني انه
تكلم على هذه الكلمة في تذكرته فصلته حتى وقفت عليه نقل فائدة قال تعالى ليس في الامكان أبدع من
هذا العالم لانه لو كان ممكنا وهو بعضه كان تحت الاحوال وغير به فيض القدرة وهذا من الكلمات
المعظم التي لايتسع اطلاق منلها في حق الصانع بكل النبي به انما أراد بهم بعظيم صنعة الصانع لا يصنع أحد
صنعه ولا تتكرر في نواحي الابداع حكمته فقد وجد مالا يكتنف فيض مقدوره ليس في الامكان ممكن أبدع من
الانسان لاشتماله على أحكام نوع لوجود فهو في غاية الحكمة بالنسبة الى ادراك العقول قاصرة لا تنسبه
الى عالم السر والحقيقة الكامل المطلق لدى لا تتهى أحكامه ولا تتعد عجائب مقدوره ليس في الامكان باعتبار
ماتقتضيه العقول لانه سار على عين ته تعالى ولهذا قال تعالى وخلق مالا تعلمون فحكم لعارف على سر
ادراكه لانه في قدر أحكام ربه فان لرب تعالى محيط بكل شيء وليس لاحد احاطة بنوع من أنواعه من كل

وجه قال الكل نوع حكما متعددة منها أصنع به على خواص خلقه ومنها ما هو راجع له
قال معنى قوله ليس في الامكان أبدع من هذا العالم اذ كان ابداعه عين وجوده فليس غير ذلك هي به ليس
في الامكان أبدع من وجوده فانه ممكن في نفسه ومستفاد الا الوجود فلا أبدع في الامكان من لوجود وقد
حصل فيه ما تحصل للممكن من الحق سوى الوجود اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك لحواله
الاول الذي يقول فيه والعلم عن أراد تعظيم صنعه لصانعه ما نصه وذلك لان الاله الحق سبحانه ثبت له الاختيار
لخلق واشتمل في حقه العالم والعلم وهو مقوله في دليله السابق اذ لو كان أبدع من هذا العالم اذ هو مع
قدرته عليه يكون مخالفا وضد مخالف بذلك على هذا اذا كان هذا أبدع من هذا العالم ولم يفعله فذلك لنقص
اختياره وذلك منه في عصمته وعلمه لان ذلك هو بعينه ان ذلك نحن ونحن وهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
قال وفي قوله ما يسمح لي ادراك معقول سيرة جوهر من العقول البيرة تدل في بداية نظرها حوار وجود
ممكن ابدع ولا تصح في ذلك في فكر ورد به لان ذلك راجع الى علم جواز الحوالة التي قبل فهي من العقل
وقوله فحكم العارف على قدر ادراكه فيبين ان ذلك بيدي وعلى عالم العقول وأما الصغير لمدول الضروري
فلا فرق فيه بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا فلا

(فصل) ومن المصريين الشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب الانسان الكامل فانه أجاب بان كل واقع في
الوجود قد سبق به العلم القديم فلا يصح أن يرى في غير ما هي عليه ولا يدل عليها صح قول الامام ليس في
الامكان أبدع مما كان هكذا ذكره الشعراوي في كتاب الاجوبة المرضية وحدث عنه شيخنا المرحوم الشمس
الحفني رحمه الله تعالى على هذا الجواب أنه مما يشهد لذلك انه قال سئل عن هذا القول هل هو صحيح لا مما
كان متعلق به علم الله تعالى وما علم الله تعالى به فيه قديم لا يقبل زيادة أبدا ولو شاء لزيادة بقضاء العلم بقدم
ولا قائل به فصح به ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم انتهى وهذا هو نص الشعراني في الجواهر والدرر
قال وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات نحو ذلك فقال في حديث ان
الله خلق آدم على صورته ما نصه اعلم ان العالم كله في عامة الحال ما فيه شيء من صفة الله تعالى فان صفة الله
كلها حال ليس في الامكان أحكم منها لان العالم كله ما ظهر الا بوجود الحق تعالى فهو الوجود المطلق الذي
لا يتقيد بشيء من الاشياء ولا يتقيد به شيء من العالم وهو وجود الحق تعالى فهو الذي يعطي كل شيء خلقه وهو حاله اذ
لو نقص شيء منه لدل على نقص في كمال خلقه فكان فيه جهل والجهل نقص وهو سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه وهو حاله اذ
الحيلي وهو النص لا يرى بدا من زيادة ولا نقص في هذا العالم وهذا أيضا من نحو الاسم ان كل واقع في الوجود لا يرى
عن رتبته في العلم ولا يزال بها ودلك لا يستلزم به لا يمكن وجود شيء آخر وانما يصح أن يكون نحو ما لو كان
كلام العز الحيلي هكذا ليس في الامكان أبدع مما يرى لحادث عن مرتبته في العلم ولا يزال عنها ما قلت والذي فهمت
من سياق عبارة الحيلي رضي الله عنه مراده انه لا يمكن في هذا العالم بحسب تعلق العلم الالهي به بدي لا يتعلق
لا بالاحل ولا بأبدع وهو لا يصح لزيادة ولا نقص فصح بذلك هذا الاعتبار فتامل

(فصل) ومن المصريين الشريف العلامة نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني السمهودي الشافعي
مدرس المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وولد سنة ٨١٤ هـ صنف رسالة سماها بصباح الظلام
في رد ما ادعاه علي باش في الامكان أبدع مما كان فقرر بها رسالة ابن المبرد لا سكندري السابق ذكره ولم يطلع
عليها لان الشيخ سيدي أحمد بن مبارك قد حرر ما قاله فيها وكتب نحو ثلاثة وثلاثين ورقة
بخط مفهوم وقد نصفحتها غاية وأعطيتها ما تستحقه من الانصاف وتأملت فوجدتها دائرة على ثلاثة أمور أحدها
المصادرة عن المطلوب والثاني ما وقع له من الغلط في فهم الحسن المعلولين وهو أشد ما في رسالته شهرة وثالث
عدم فهمه لكثير من كلام ابن المبرد على وجهه الذي ينبغي ثم ساق ما يصح هذه الامور الثلاثة ثم كتب عليها
وكثيرا من كلام عليها وقد وقفت في آخر كلامه وأما كونه لم يفهم مقصد ابن المبرد فلا أتعرض له لطول الكلام

فيه لاالى قول ولا مقتصرا وهو ان عالم ما ذكره ان امير صحح حق لا شك فيه ورد دابه على عمارة الاحياء مستقيمة لا اعوجاج فيها وأجوبة سديدة عما عترضه الاخر واحد فلا أعرف فيه شيئا غير وهو مقتصر من مقام أبي حامد وعصمه وتبعه فلا لا اوافق على ذلك فان أبا حامد امام الدين والذي يزعم الاسلام والمسلمين والعمارة المشهورة به في الاحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فان كلامه في كتبه يرد ها من كل وجه

(فصل) ومن المتصرين الشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برزال مصر وهو شيخ كل من الحافظ جلال الدين السيوطي وأبي الحسن خلف الفقوي وعبد القادر من حسين الشاذلي في التصوف وبه قال حين سئل عن هذه المقالة ان معناها ليس في الامكان أبدع مما هو كائن هذا عالم يحكم ما اعطاه بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه ودراكه وأبدعه خاصة به تعالى فان ذلك أكمل وأبدع حسنا من هذا العالم بدى ظهوره لنا ولو كان هذا العالم مدخله نقص لتعدى ذلك الى خالقه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد أجمع أهل الله كلهم على انه لا يصدر عن الكامل الا كامل قال تعالى واسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومعلوم ان الامتداد والامتداح لا يكون الا فيما هو كامل الاوصاف والا يكيف عن الحق تعالى ويتدرع عن لحاقه بمعقول هذا نص الحوان في كتاب الاجوبة المرضية للشعراني وذكره في الجواهر والدرر الا انه قال فان ذلك أكمل وأبدع حسنا من هذا العالم ما نسبة اليه تعالى وحده ولو كان هذا العالم مدخله نقص ما قال تعالى والسماء بنيناها بايد لانه في مقام الامتداح واعلم ان الامتداح لا يكون الا فيما هو عليه ونهايه لا في المعقول اه وقد وقفت على شيخ سيدي أحمد بن مبرول كما سيأتي ولا حرفا بحرف واعترضه فقال وهذا الذي من التحريف وليس بحوان بل ما أولاه متداح اذ أوله يقتضي في امكانه مصاقاد لو ثبت امكان ابدع لكان هذا الموجود ناقصا نسبة اليه ويسري النقص الى خالقه تعالى وحينئذ يحتمل ما قصده أول الحوان وع ما قصده آخره ولا نسلم لزوم النقص في الخالق سبحانه فلا يلزم من ثبوت النقص في المعمول ثبوته في الفاعل لا يحق ولا في الحادث كيف ونقص لاحتياجه وافتقاره الى صانعه فلو كان نقص المعمول يسري الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع لأنه ناقص بالحدوث وما يلزم الاجماع الذي عول عليه لا فرق في هذا بين عدم امكان المثل والاحق والقدرة التامة على الاحدى مع عدم الفعل لا يمكن انتفاؤها بالاجماع كما لا يخفى وأما الاجماع الذي هو عدم وقوع هذه الامة الشريفة بالخصوص ولا عبرة باجماع غيرها من الملل وهذه الامة أثبت لها الاختيار وأن تفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد اه قلت وان تأملت هذه الردود وجدتها في معرض السقوط اما أولا فلان المحب أشار بأول حواله الى مقام المعرفة لمعاني صنعه الذي هو من حلية الاسماء لرصد وهو مشاهدة الصانع في جميع الصنعة والنظر الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة فلا يتعرض لنفي النقص والاحتقار فيه بعبرة الاعين لصانعه لانه صنعه ومتاع حكمته وعباده على وحكم تدبيره في كل شيء حكمة بالغة لان ناظر صنعه أحد أو دمنها يرى ذلك الى صانع لانه كذلك صنعه وعن حكمة ظهره اذ كانت الصنعة بحوله لم تصنع نفسها ولا صنع لها في حاقه فهذا معنى قوله لتعدي الى خالقه وهو كلام صحيح وقد مر تحريره فلا عن في طالب الباكي وعبرة قوله مقام المحب الراضي عن الله مشاهد بين يديه يحسن ان يعارضه أو يعترض عليه بنسبة النقص الى صانعه وبعد أين هذا المقام من قول المعترض اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المعمول ثبوت النقص في الفاعل فالمحب في واد والمعترض في وادين الواديين كما بين السماء والارض وأهل مشاهده هذا المقام انما يعبرون لي ما أعطاهم ليكشف لصحح الطابق بمعيار عين اليقين وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة وحينئذ ظهر لك أن لا اندفاع في كلام المحب وقوله وأبدع الحادث كله ناقص اه هذا موضوع بل كله كامل والكمال والنقصان من المتضايفات فقد يكون شيء كاملا من وجه ناقصا من وجه آخر وهو بالنظر الى أنه صنعة الحكيم القدير فيه في غاية الاتقان والكمال ليس فيه نقص أبدا ويكفي في ثبوت كماله هذا القدر وهذا الوجه فصل قوله

ولو كان نقص الفعل يسري الى الفاعل لزم امتناع وجود الابداع لنقصه بالحدوث وما يقول بعرض لان المسئلة راجعة الى القدرة الخ قلت ان لمسئلة راجعة الى أول معلوم من المحدث الذي هو من مقامات الرضا وأوسط حال في التوكل والتسليم والتفويض وكل منهما من مقامات اليقين والولاية لا يصاب بالذكر فيها القدرة فيا ولتما ما قد ادعيت لهم وتوهم تحرق القدرة الالهية وقد صدر كلام المصنف فيما ذكرناه لك انهما من موحدته تعالى معترف بربوبيته شاهد لوحدانيته الا وهو معترف بكماله تعالى في ذاته وفي صفته موقن انه قد سبق له فهذا هو الذي أراده المحيب بقوله وقد أجمع أهل الحق على ان هذه الحوادث فعله تعالى في سبيل الجواهر والاعراض قديمها وأما ما نقله وعضده لامه أثبت لزم الاحتياج لكنه فهم ان قول المحيب لا يصدر من الكامل الا كامل مما توهم سبب الاحتياج على الفاعل المختار لا يكون بالاكتساب بل بنفس قوله بلا اسمه وبس كذلك ومن ثم يؤخذ ذلك من قوله على مختار تأمل في ذاته وصفته بقوله الاخير وفعل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل والكامل في ذاته وصفته فاعل مختار ومن تعلق ما يشاء ومختار وصفته الذي مهرد على وصف بكمال وأتم لا نقص فيه من حيث انه صفته وهو قادر اطلق اصنع المديع لا قص لا له لا هو سبحانه وتعالى

(فصل) ومن المتصرين الامام المشهور حجة الاسلام ركن الانصاري وهو من جمع الله له بين معقله والتصوف قال لا عجب أن ينسب الى أبي حامد أنه قول بانه تعالى عاجز عن ايجاد ما هو أبدع من هذا العالم فان هذا الفهم مشؤوم توهم ان المراد بالامكان في عبارته هنا هي القدرة أي ليس في القدرة أبدع مما كان وليس كذلك بل هو تعلق المشهور القائل بالامتناع والايجاب لكن بحذف مضاف أو بحمله على الممكن من باب اطلاق المصدر على اسم الفاعل بعد عبارة حجة الاسلام انه ليس في حسب الامكان أو الممكن أبدع مما تعلقت به القدرة وهو حق ذو وجود خير من العدم وبعد عبارة بعد له ما صرح به من أنه تعالى لا يقدر على ايجاد أبدع مما فعله بكل أحد وهو باطل بعد حجة الاسلام كما أثر أهل السنة بسنانه على وجوب الاصلح عليه تعالى وهو أصل باطل الى أن قال نعم ان حجة الاسلام مردود الامكان في كلامه بقدرة لانه لو أراده لرجع كلامه حينئذ الى كلام المعتزلة الى أن قال وبذلك تعلم ان الامر المذكور لا يحتاج الى حمل وانه لا يحتاج أن يعدل عنه بأوله بنفسه أو بغيره ذلك من الكلمات التي لا تليق بمقامه الجليل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه الذي قرره عليه فقد ذلك في هذا المقام وبه من مرائل الاعلام اهـ وقد اعترضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال ولا يخفى ما فيه وما عوّل عليه في دفع المحال عن حجة الاسلام بحمل الامكان على مقابل الوجوب والامتناع لا يدفعه فان المحذور بحاله لان ما هي حينئذ ليس في حسب الامكان أو في ممكن أبدع مما كان فيلزم أن يكون الابدع المفروض في حسب الامتناع أو في ممتنع وكونه في حسب الامتناع باطل لانه ممكن والممكن لا يكون ممتنعا وأيضا فاذا كان في حسب الامتناع لم تتعلق به القدرة فيسأل عن قال لا يقدر على ايجاد الابدع المفروض لان الابدع اذا كان في حسب الامتناع وليس في القدرة ايجاده فهو محال لازم على حمل الامكان على معنى القدرة أو على معناه المشهور القابل للايجاب والامتناع وهو ظاهر وقوله بعد عبارة حجة الاسلام انه ليس في حسب الامكان أبدع مما تعلقت به القدرة وهو حق ذو وجود خير من العدم لا يدل على المدعى المذكور لانه ليس المدعى ان في العدم أبدع من الوجود حيث يكون هو المدعى هو كلام حجة الاسلام غير حق البتة وقوله وبعد عبارة المعتزلة ما صرح به من انه تعالى لا يقدر على ايجاد الابدع قول هو لازم كلام حجة الاسلام على ما أوّلته أيها المحيب فان الابدع اذا لم يكن في حسب الامكان ولزم انه في حسب الامتناع لزم قطعا ان القدرة لا تتعلق بالممتنع فهذا هو المحذور اللازم وقوله وبذلك علم الخ أقول اياك أن تفسر بهذا كلام قائله ما يجب ان الامكان لا يحمل على القدرة ولا على معناه المشهور وقد علمت ان المحذور لازم عليهما وقوله بل هو حق يجب اعتقاده على الوجه الذي قرره أقول حاش لله أن يعتقد أحد أن الابدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعله كان بخيلا فان هذا غير رعاية الاصلح والاصلح الذي هو عين مذهب المعتزلة وبما لدى يجب اعتقاده انه تعالى فاعل

بالاختيار لا سئل عما يسعى ورس يحق ما يشاء ويختار ويحكى ما لا يعلمون وذكر بعض [illegible] هذه
كلام المجيب منتزع من الجواب الثانى الذى قرره الزركشى وسبق بيانه وتوضيحه ان المراد بما تعلقت به القدرة
هو العالم المشهود الموجود جميع أجزائه وأجزائه الجسمانية والجوهرية والعرضية الدائمة والمتغيرة ظهرت آثار
صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه ولذلك سموه صورة الحق وصورة الرحمن [illegible] فكان بهذا المعنى
ممكنا ثم قال وهو حق اذ هو حق بتحقيق من العدم أى ظهور المرجح وهو حق المعلوم والمقدور به وبقدرته وخلاف
المعلوم وقوعه محال كهو هو عند عدمهم وارتفاع علم مرجحهما وان كان ممكنا لذاته فيس ممكنا بالنسبة الى
علم الله تعالى لوقوع أحد الامكانين واحدية المشيئة فيه وما تعلقت مشيئته لا بد وأن يكون فلا بد من كونه وما
لا بد من وقوعه لا يتصف بالامكان بالنظر الى هذه الحقيقة الخ وهو كلام صاحب [illegible] فى أن المرجح
لا بد وأن يكون من الوجود بعد العدم حيث قال فى الشرح والا لزم ترجيح أحد المتساويين لا لمرجح وذلك
لا يجوز كذا من الوجود بعد العدم حيث قال فى الشرح والا لزم ترجيح أحد المتساويين لا لمرجح وذلك لا يجوز كذا

السنة اما اكتفاء بذلك وعدم الالتفات الى مذهب المبتدعة واما لاشتغالهم بالرد على الملاحدة ومن لا يؤمن بوجوده
عبارة الاحياء اه وقد تعرض له الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال نوعه بعض الاسلام كذلك اقترب
الحال ولكنه قال لواجد ره مع قدرة سكان تحلايه ض الجود وأهل السنة يقولون هو موجود لا عن وصفه بالجود
وقد بان ان العبارة الاولى لا تأتي على مذهب أهل السنة قال ابن المنلي في شرح بعالم عند ذكره مذاهب
البعد ديين من المعتزلة في وجود ربنا ه لصنع وهؤلاء احد مذاهبهم من نفي الصفة وهو ان الله تعالى
جواد واب الواقع في الوجود هو أقصى الامكان ولو لم يقع لم يكن جواد وقال من لم يسلم في مذهب المعتزلة
يقولون ان ترك مراعاة الاصلح يخل بحب تعريه لدى عنه فكان الشق الثاني مفروغ على أصول المعتزلة
كذلك الشق الاول اه قلت جواب السيوطي رحمه الله تعالى في غاية التحرير والاتقان وليس فيه
الا الذي أشار اليه المعترض من ذكر قط عن وهو قد أجاب عنه في كتابه المذكور ولو اطلع عليه المعترض
لهدرت شقشقته وذلك فيما أورده سائلا وهو قوله وأما اطلاق عدم الواقعة في خبر الامتناع فانما أراد منه
العراقي المبالغة في تقريب الدليل الى الافهام وكأنه قال لانك ترى الباري تعالى جوادا فعل ذلك هو معنى
الفعل والجود لا تخصيص بعطائه أحدا دون أحد الا لحكمة وقد فتح على الناس كلهم وسع على آخرين فلو لم يكن
تقتيره على أولئك لحكمة وليه هو لاطلع في حقهم كان بخيلا فعله تعالى حال بخيره عن
بقائي صفة الجود والافضال وبقية هذا الكلام سبق هناك بما تقدم فتأمل والعجب كل العجب من اتهامه
عقيدة الاسلام بانه في هذه المسألة نازع الى مذاهب اعتزاله وهو قد صرح في كلامه بما يناقض مذهبهم حيث قال
في صدر كلامه وما حقق الله من خير وكفر وطاعة ومعصية فانه بتركيب سبب يحقق الكفر ولا مشيئة لله
تعالى كما هو مذهب أهل السنة والمعتزلة لا يقولون بذلك بل يزعمون انهم يحققون العبد كما هو معروف عنهم
(فصل) ومن المتصرين ولي الله العارف به سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قد اقتدى به في
سلوك طريق الله تعالى في الدين والشيخ عبد الكريم الجيلي وتجده يعتمد قوله في كل من كتابه الجواهر
والدرر والاجوبة المرضية وقال في الكبريت الاحمر بعد قول الاجوبة ما نصه وقد أجاب شيخ وهبة الدين
بتقدمي في هذه المسألة مؤيدا وناصرا له معتمدا على مراد الامام العارف بالله رحمه الله تعالى في رسالته المسماة
بالاجوبة عن أهل شعلع وفي كلام سيدي عبد الكريم الجيلي في المجلد الخامس من كتابه الانسان الكامل
مجلدين ضخمين اه ولم أطلع على الكتابين المذكورين حتى أتكلم عليهما شيأ
(فصل) ومن المتصرين برهان الدين ابراهيم الشريف بقدمي وهو أخو الكمال وأصغر منه سنا وعاش
بعده زمانا طويلا فان ما نصه وليس في مقالة فحة الاسلام بحمد شيء ولا تخصيص على بقدرة ولا في قدرته على
غير هذا العالم بل هو قادر على اكثر مما لا نهاية له ولكن العلم القديم وقوع خلافه وان ذلك لا يحيله
ما اتصف بالابداع لكونه لا على ما اقتضته صفته وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي ليس في متعلقات
القدرة ما سبق به العلم والارادة من الممكنات أبدع مما وجد في هذا الزمان اه قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك وقوله
نظر من وجهين أحدهما انه جعل سبق العلم والارادة دليلا على ان ما وجد هو لا يبدع وهو لا يدل على ذلك وانما
يدل على ان ما وجد وجد عن علم وارادة وهل هو أبدع أو لا يبقى ما هو أعم منه فلم قلت ان لا ابداع لانتهائه
لافراده لكونه مقدورا والمقدور لا نهاية له واذا كان الابداع لانتهائه لافراده لكونه مقدورا والمقدور لا نهاية له
واذا كان الابداع لانتهائه له على تقدير أن تتعلق لا وصف بقدرة توجد فرد بيقى في دائرة الامكان ما لا يتناهى
من افراده والجواب على ان الابداع حيث تخصص لا تعدد فيه على تقدير فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده استحال غيره ولا
كان العلم جهلا وحيث كان لا ابداع كلا لانتهائه لافراده لم يلزم من وجود فرد منه انتفاء غيره عن دائرة الامكان
(فصل) ومن المتصرين الشيخ أبو المواهب التونسي اذ قال قوله ليس في الامكان أبدع مما كان
قلنا امكان الحكمة الالهية لا امكان القدرة ربنا به وهذا هو اللائق بكلام فحة الاسلام اه قال الشيخ سيدي

أحدث ما لم يسبق له لا يمكن ذلك في الحكمة الإلهية فإذا كانت متعلقات القدرة لا نهاية لها كانت الحكمة الإلهية لا نهاية لها لأن متعلقات العلم والحكمة لا نهاية لها فكل ما يعلم أو يحكم به فهو لا نهاية له فمن أين لمن يعترض على حكمة الله تعالى ويقول إنها محصورة ومقصورة

(فصل) ومن المتصرين الإمام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي فإنه سئل عن هذه المقالة فأجاب بقوله إن أحدث العالم آخر أبدع من هذا العالم مستحيل لأنه لم يرد به الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ولو كان جائزا لورد به الكتاب والسنة لأن الله تعالى ما ترك شيئا مما يحتاج إليه العباد إلا وقد بينه في كتابه أو على لسان رسوله وكذلك ورد في كثير من الأحاديث أنه ليس في الكتاب والسنة ما يدل على الأمور التي لا تدخل تحت العقل فيها وأما أحكام العقل الصرفة التي قيل إنها من العقل التي هي العلم الضروري وحوادث الأكوان والمستحيلات فهي من الأمور الضرورية التي لا يحتاج فيها إلى الدليل فإنه إذا تصور كل عالم بديهي كعلمنا بأن الاثنين نصف الأربعة وأن الواحد نصف الاثنين فإنه لو قدر أن هذا العلم لم يرد به الكتاب ولا السنة فكيف يكون مستحيلا لأن كل ما ليس في الكتاب ولا في السنة مستحيل على هذا فحوله

(فصل) ومن المتصرين من عرف بالله أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى المعروف بزروق في شرح قواعد الإمام حجة الإسلام عند قوله فيما يجوز في حقه سبحانه وتعالى وما يستحيل عليه وما يمكن من عدمه على أحسن الوجوه وأكملها وأعدها فإنه قال في كل ما يرجع إلى القدرة وتخصيص الإرادة فإن عدم الأولى لا يصح أن يكون بالنسبة إلى وجوده الكامل الأوصاف منسوبا إليه فقد هو نقص والحسن عقلي في محله والعادي في محله وشرعي في محله لأن مدرك الحكمة وهو العقل يدرك ما ليس بحسن وهو ما ذكرته فيتضح ما قلته من قولنا إن الله في الإمكان أبدع مما كان فيريد ما كان فيكون إلى الأبد متى حصل في خير لأبدع منه لأن عدم تقديمه ولا نقص في تعلقه والإرادة حينئذ نقص في حق صاحب القدرة أو ربه ولا نقص في إبرازها بل وروده على أبدع لوجود كماله وعلى هذا تفهم هذه الحكمة والأولى عدم القصور القدرة وما معها من الأوصاف وذلك ما لا يقوله أحد فضلا عن عاقل اهـ قال الشيخ سيدي أحمد زروق ولا يخفى ما فيه لو كان نقص الأولى يستلزم نقص المؤثر وصفته لكان وجود غير الأبدع مستحيلا والإمكان وجود الأبدع واجبا وذلك يحيل التعلق وهو لا يقول به وقوله لأن عدم تقديمه الخ ممنوع لزوم ممنوع لزوم وجود الأبدع وغير مؤثر ولا نقص بل هو من شامل والقدرة وقوله ولا نقص به الخ عدم إن أراد اللزوم في نفس الأمر وإن أراد بحسب عقولنا وما اقتضته الحكمة في نظرنا وإن أفاد فمنع ما فيه من كلام الزركشي

(فصل) ومن المتصرين عبد الغني بن سعيد الحصوري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨١ كتب إلى الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي من مدينة نابلس سنة ١٠٧٩ قال أخبرني المحدث المعمر عبد الرحمن بن محيي الدين بن سليمان الدمشقي أخبرنا الإمام المؤرخ أمين الدين محمد بن فضل الله بن محب الله بن القاضي محب الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر العلوي المحمدي الدمشقي قال قال العلامة عبد القادر بن مصطفى الحصوري علم أن المحال على قسمين محال لذاته ومحال لغيره فالممكن قد يصير محالا لغيره وواجب لغيره مثاله بعض الموتى من دورهم تمكن في حد ذاته لأنه إذا شاء الله وجوده حكم بجوازه لكن لما أخبر سبحانه بعدم وجوبه صار واجب الوقوع بالنظر إلى خبر الله لا يختلف وعدمه صار محالا لغيره فهذا لا عتب فيه إذا تقرر ذلك علمت أن ما قاله عبد الله حق وبيانه أن ما هو محال لعدم تعلق علم الله القديم به وإن كان في الأزل بالإمكان الذاتي وجد أو وجد في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي صفة وحينئذ وقوعه على خلاف ما تعلق به العلم محال لغيره لأنه لو وقع على خلاف ذلك لزم انقلاب العلم جهلا وانقلاب العلم جهلا محال في حق الحكيم الخبير العليم القدير والإرادة والقدرة

تعلقهما بما يمكن أن يكون على وفق تعلق علمه القديم به وحينئذ تعلم بعدم امكان وقوع ما كان ليس فيه نسبة الكون ولا نسبة الحصول الى الزمان الحاضر وكيف ذلك تجد الاسلام يدعى ملأ معلوماته لذلك بل عدم امكانه انما هو عدم تعلق ارادته وقدرته عليه من محل صدر ذلك عنه وعلم خيال وهام من لم يعلموا مواقع الكلام ولم يذوقوا دقائق العلم فكل مطمح انظارهم اغراض أكثر العلماء والمنتمين الى وراثة الانبياء كأنهم مصروفهم قصرت بهم أفهامهم عن الوصول الى غوامض العلوم وتعكفوا على ظواهر هي دون ذلك بما موصولة لم يبق بعد الاان نقول عن العدم انه كان ليس في الامكان خ ويمس هو اذا ليس اه فهذا ما عثرت عليه من كلام الامام في تحقيق هذه المقالة ولم أر لمجتهدي في جمعها وحسن ترتيبها مع كلام في بعض المواضع منها وكلام وان كان كثيرا مما يعني أكثر مما حصر لدي ولكن طابل يوفي خير من كثير يسبي وقد عن لي أن أحوم حمى الكرم وأذه ينوي مع هؤلاء الاعلام وان كنت حرى لصناعة سكنت عاما عند آرائهم هذه الصناعة فأقول وعن لي سياق من أوله منتهى سراءه في خصوص هذا المقام اعلم أنه ذهب طائفة من المتكلمين كالقاضي الى ان الله تعالى قادر على ما علم أنه لا يفعله مع تعلق علمه بعدم وقوعه وتركه فليس شيء مما لا يفعله بحيث يستحيل عليه فعله كما ذهب اليه الاشعري ومن تابعه من المتكلمين بل كل ما لم يعلم الله تعالى أنه لا يفعله فهو مقدور له وان علم أنه لا يفعله وذهب الفلاسفة ومن تابعهم من المتكلمين الى أن ما علم الله تعالى أنه لا يفعله فهو ممتنع لذاته وهو الذي يعبر عنه بالممتنع بالغير وما علم أنه يفعله فهو واجب لذاته وهو الذي يعبر عنه بالواجب بالغير وما علم أنه يفعله ولم يعلم أنه لا يفعله فهو ممكن لذاته وهو الذي يعبر عنه بالممكن بالغير فالممكن لذاته هو ما لا يكون واجبا ولا ممتنعا لذاته والممكن بالغير هو ما لا يكون واجبا ولا ممتنعا بالغير والممكن بالغير هو المقدور عند القائلين بالمقدور بين القدرية والمعتزلة والممكن بالغير هو المقدور عند القائلين بالمقدور بين الاشعرية والممكن لذاته هو المقدور عند القائلين بالمقدور بين الفريقين الا أن الحكماء ذهبوا الى أن ما علم الله تعالى أنه لا يفعله مع وجود ما يصححه ويقتضيه كما هو مذهب المعتزلة فيستحيل الامكان بهما بمقدم الشرطية الاولى واجب صدقه ومقدم الثانية مع صدقه وكلا الشرطيتين صادقتان في حق الباري سبحانه وتعالى بتقدير الله أمرهم في علمه تعالى ارادة دائمة ربانية على ايجاد واقع الآن والعلم بالعدم الآتي واجب في كل وقت لكن لا يلزم من وجوب كل من الخبرين الخارجين اللذين هو وقوع واقع من أمرين كل منهما ممكن الوقوع عند نظر أحدهما بريد ثبوته وعلم الآخر بريد انتفاءه ارادة مستمرة في حقه سبحانه كما تقدم ان الباري تعالى يريد ما علم من هذا القبيل وقوعه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا من سوء تقدير وحوها فالوجه تقدير من تعلق عرضة الامكان أزلا وأبدا ومن تعلق عرضة الامكان من ذلك في بعض الامور والحق دال على الاكثرين بهذا وان أمرين يتوهم وجود كل منهما عند عدم الآخر لا يتوهم تردد اما في أمر واقع واجب وما عداه مستحيل الوجود وعلى هذا تخرج هذه المقالة فتدبر والله أعلم (تنبيه) قال الشيخ سعدي أحد من سار في آخر كلامه على هذه المقالة ما حاصله ان ما علم الله تعالى أنه لا يكون فهو ممكن لذاته ان كان دليله يعلم لبعض الناس فقط فهو في مواضع من كلام الاحياء وان كان دليله يحصل عند كل أحد في كل الاوقات وان كان دليله يعارضه دليل أقوى منه فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وان كان دليله لا يحصل الا عند من وفقه الله تعالى لصلاح والاصلح فقد أبطله فيهما وفي القسطاس وان كان دليله لا يحصل الا عند من يوحي الله تعالى اليه كالنبي المعصوم فقد أبطله فيهما وفي مشكاة وان كان دليله ما سبق في علم الله تعالى أنه لا يكون فقد أبطله في الاحياء والاقتصاد وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم قابلية المحل أو لعدم شرط من شروط الفعل أو لوجود مانع من موانعه فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار فقد أبطله في الاحياء وفي الاقتصاد وفي مشكاة وان كان دليله ما يعلم الله تعالى أنه لا يكون لعدم الداعي أو لوجود الصارف مع وجود القابلية وشروط الفعل وعدم الموانع وعدم المعارض وعدم الشاغل وعدم الفاتر وعدم الضعف وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختيار وعدم الاضطرار وعدم الاكراه وعدم الاجبار وعدم الاختي

كابرهم بما مر ولهذا قال بعضهم ليست آيسه واعلم أن في فهم أهل الظاهر فالأولى التسليم له اذ ليس أهل الظاهر حجة على أهل الباطن في شيء لأن فهم عليهم محجوب في حقه ولا إيمان ظاهر وباطن وعلم محكم ومتشابه ولان أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة برهة هم في الدنيا واضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم وهذا لا يعطى له ما مر ولا يشهده معلوم وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها معنى آخر دون ما ترى فكل بعض منها دون كلها كشيء واحد من معدود واحد بعين واحدة بينما لم ترى دليلا وسمعت ما لم تسمع وفهمت ما لم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى علما ولا عجبا رأيت العجب وقد أوضحنا بحمد الله تعالى من عرف ما عليه ولي نعمته ورد النعم فيما يحب ويرضى واستعان بالنعم على المنعم فقد حقق توكله به وهو ما يعمل به التوكل ويسر لما يحبه وقد انتهى الكلام على مقالة الامام الحبر ما وعد به آمين سأل الله تعالى أن يصرف عنا كل مكدر ويتم علينا من مفضلات الأمور ما هو أهله في محاري المقدور وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمفاخر وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وسأله الصفح الجميل

*(الشعراني من تمكن) * (في أحوال التوكل وعمله وبيان حاله وكل وبيان ما قاله الشيوخ) أي رؤسائهم السادة الصوفية (في حد التوكل) وحد لابهم فيه (وبيان التوكل في الكسب للمجرد) عن غيره (والعمل) أي المشروح صاحبه بالعيال (وبيان التوكل ترك الأمر) للغير (وبيان التوكل في دفع الضرر) عن غيره (وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره) أورده في ستة فصول

*(الفصل الأول في بيان حد التوكل) وفيه أيضا ذكر الاسباب المانعة منه بعد العلم والمعرفة *

اعلم أنا (قد ذكرنا في مقام التوكل) كغيره من مقامات الدين (أنه لا بد من علم وحال وعمل وذكرنا العلم في أول ما دخل فيه وذكرنا أنه ينبغي عليه حصول التوكل والتسليم فاذا ثبت في النفس ثبوتا اعتقاديا أو كشفيا أو ذوقيا أو غيرها يتابع عنه الحال المشروع في ذكر حصول وهو (صاحب الحال يتوكل بالتحقيق عبارة عنه) وهو وسط بين طرفي العلم والعمل (والعلم أصله) وأساسه (والعمل غرسه) وثمرته (وقد ذكرنا اختلاف القوم في حد التوكل واختلفت عباراتهم فيه (وسنذكر كل واحد من مقام نفسه) الذي قيل فيه (وأخبرنا عن حده) ورسمه (كما جرت عادة أهل التصوف به) وقد يكون ذلك الاخبار عن مقام نفسه بل عن مقام السائل فهذا سبب اختلاف عباراتهم (ولا فائدة في ذكر ما سكتوا عنه العطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة) بفتح الواو وبالكسر لغة فيه (يقال توكل أمره الى فلان) من باب وعد وكالة بالفتح ووكولا بالضم (أي فوضه اليه واعتمد عليه فيه) وأكد فيه (ويسمى المتوكل به وكيلا) فهو فعيل بمعنى مفعول وقد يكون بمعنى فاعل اذا كان بمعنى الحفيظ ومنه قوله تعالى وهو على كل شيء وكيل وجمع الوكيل وكلاء (ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه) كلاهما بمعنى لأن افتعل من باب الافتعال من اسم مصدره اتكالا من الاكل والتوكل من باب الدعي (فهو أسند أمره اليه بنفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا ولا قصورا) فهذه المعاني لازمة للمفوض اليه (فالتوكل) حينئذ (عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده) ووثوقه به (وعدم التفاته الى غيره) فالوكيل في الخصومة مثلا مقبول من ادعى عليه دعوى باطلة (تلبيس) ودور (فوكل للخصومة) عنه (من يكشف ذلك التلبيس) عنه (لم يكن متوكلا عليه ولا واثق بنفس معتمدا على توكيله لاذا اعتقد فيه براعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى النصيحة ومنتهى الشفقة) ثم فصل تلك الامور وقال (أما الهداية فلا يعرف بها مواقع التلبيس) ومحاسن الغرور (حتى لا يخفى عليه من عوامض الحيل شيء) فهذا

أعصاحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فيعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من عوامض الحيل شيء فلا

وأما القدرة والقوة فلم يتحرك على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يحتشم به رعاية لمن يتصنع له وجه التلبيس خصمه [illegible] الحوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي تتمكن بقدرته الأتم بقدرته في اللسان على الافصاح عن كل ما استحكم القلب عليه وشرحه بكل عبارة لائقة به على حسب عقدة التلبيس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فمن قدرته لا تعني دون العناية به إذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به فمن خصمه أو لم يظهر له حقه أو لم يهتم به فمن كان شاكا في هذه الأربعة أو في واحدة

(يستدعي هدايته تامة وبصيرة ناقدة في أمور الدعاوى وكلام الخصوم فان لم يكن كذلك يلبس عليه الخصم ويكون سببا لتلاف حق الموكل (وأما القوة والقدرة فلم يعرأ) أي لا يحل أن يكون جبانا (على التصريح بالحق) عند منتهى (فلا يداهن) أحدا (ولا يخاف) في حركاته (ولا يستحي) من التكلم بالحق (ولا يحتشم) من الخصم (فانه ربما يطلع على وجه) من وجوه (تلبيس خصمه فيه الحوف أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به) فان لم يكن كذلك بعد خصمه خصما (وأما الفصاحة فهي تتمكن بقدرة الأتم بقدرته في اللسان) ولو كان ضعيف القلب أو ألثغ (على الافصاح عن كل ما استحكم القلب عليه وشرحه بكل عبارة لائقة) أي ملائمة (على حسب عقدة التلبيس) فان كان كليل اللسان عيي مفصح عن وجه تلبيس خصمه (وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه) لا يقصر في وجه من الوجوه (فان قدرته لا تعني دون عنايته به إذا كان لا يهمه أمره) أي لا يشغله (ولا يبالي به فمن خصمه أو لم يظهر له حقه أو لم يهتم به) فلا عناية له أصلا من جهته (فان كان شاكا في هذه الاربعة) مجموعها (أو في كل واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تتمحض عنايته الى وكيله) ولم يرض به (بل في مرجع القلب) فلقه (مستعرقا بهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره) أي يخافه (من قصور وكيله وسعاوة خصمه ويكون متصورا درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده بهذه الخصال فيه والاعتقاد تابع للقوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا يحصر فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين) على الله تعالى (في قوة التوكل وضعفه بالقلة والكثرة تفاوتا لا يحصر الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والمؤكل وهو الذي يسعى في جميع الحلال والحرام لاحظه) ويتفق ويتعب لكمله (فيه بحيث لم يبق منتهى الشفقة والعناية فيه تصور خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعيا) وتحرر ذلك (وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع بها ودلائل الصول الله ورسوله والجزم بانه لا يغير سنته ولا يبدل عادته لتواتر اخبار) والشهرة المولدة على ألسنة الناس (به وقصص الناس وأحوالهم بما قدرهم على نصرة الحق الى على تصويره الحق بالباطل) أي على صورته (أو تسلط الباطل) أي على صورته وفيه وردان من سبأ بحر (فقد عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف) من الله تعالى بنور يقذفه في روعه (أو باعتقاد جازم أن لا فاعل) في الحقيقة (الا الله كما سبق) في التوحيد (واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد) بسرهم (ثم تمام العطف والعناية والرحمة) الموسعة (بحملة العباد والآحاد منهم بحيث لا يحتاج الى عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه) من الوجوه (ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة) عبارة عن القدرة (في أحد الاصول الا لانه نفسه وقد جاء تفسيره في حديث من قوع لا حول من

لا يهمه أكمل منه لم تتمحض عنايته الى وكيله
ل في مرجع القلب
مستعرقا بهم بالحيلة
والتدبير ليدفع ما يحذره
من قصور وكيله وسعاوة
خصمه ويكون متصورا
درجة أحواله في شدة
الثقة والطمأنينة
بحسب تفاوت
اعتقاده بهذه
الخصال فيه والاعتقاد تابع
للقوة والضعف تتفاوت تفاوتا
لا يحصر فلا جرم تتفاوت
أحوال المتوكلين
في قوة
التوكل وضعفه بالقلة والكثرة تفاوتا
لا يحصر الى أن ينتهي
الى اليقين الذي لا ضعف
فيه كما لو كان الوكيل
والمؤكل وهو الذي
يسعى في جميع الحلال والحرام
لاحظه
ينتهي
الشفقة والعناية
تصور خصلة واحدة من
الخصال الاربعة قطعية
وكذلك سائر الخصال
يتصور أن يحصل القطع
به ودلائل تطوف الصول الله ورسوله
والجزم بانه لا يغير سنته ولا يبدل عادته لتواتر اخبار والشهرة المولدة على ألسنة الناس به وقصص الناس وأحوالهم بما قدرهم على نصرة الحق الى على تصويره الحق بالباطل أو تسلط الباطل بالحق فقد عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف من الله تعالى بنور يقذفه في روعه أو باعتقاد جازم أن لا فاعل الا الله كما سبق في التوحيد واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة الموسعة بحملة العباد والآحاد بحيث لا يحتاج الى عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة

وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان قلب القدير الذي في يده حبة لؤلؤ يقلب السنور أسدا وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعته في فراش واحد ومعه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك لضعف في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شئ منه وان قل وقد يقوى فيه بمرض صاحبه حتى يخاف أن يبيت في بيته وحده مع اغلاق الباب وحكمه وذلك لا ينافي التوكل الا قوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ هم ما يحصل سكون القلب وطمأنينته سكون في القلب شئ والايقين شئ آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لابراهيم عليه السلام أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس أن يكون مشاهدا احياء الميت عيانا بالبصر في خياله فان الحس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن بالايقين في ابتداء أمرها الى أن تبلغ في الآخرة الى درجة الحس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب المال والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس وقد جاءهم من ربهم الهدى وهو

(وان كنت لا تحسن ذلك فانظر الى أحد عشرين جارية من جواري هذه الجماعة التي قد اجتمعن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد يرتجع عن موجبه وصفته عن غير سبب في الايقان من يتناول عبدا فشبه بين يديه بالقدرة وما تشتهيه طبعه (٤٦٢) وتعذر عليه تناوله ولو كان العقل أن يضع اصبعه في فم أسد أو في فراش أو بيت هو فيه مع ذلك

من تعقله انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم من استعز بالعبيد أذله الله تعالى وبذا ينكشف لك معنى التوكل علمت الحالة التي سميت توكلا وعلمت أن تلك الحالة إما في القوة وإما في الضعف ثلاث درجات

* (الدرجة الأولى) *

ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى وثقته به كحاله في فعل (الرابع) وهو أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها وقد لا يعتمد إلا عليها ولا يثق بغيرها في كل حال بل إذا رآها ولم يحس بها في مكانها أو رأى غيرها معها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فهي ملجأه ومفزعه فثقته بها وثوقه بكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك وتمييز إلا أنه لا يستقل بالطبع من حيث لا يحس لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تفصيلها ولا على حصرها مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الإدراك من كان حاله في الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلا بحق فإن الطفل متوكل على أمه

(٤٦٤) وقد قيل مكتوب في التوراة مكتوب في الإنجيل والزبور والقرآن

(سبب يقين) الأمر (معرفة) أحد الأسباب (الثلاثة التي جمعت هذه الأسباب تحت قوله تعالى) وقد قيل مكتوب في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن

(سبب يقين) الأمر (معرفة) أحد الأسباب (الثلاثة التي جمعت هذه الأسباب تحت قوله تعالى)

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) الآية (وقوله تعالى) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (وقوله تعالى) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه (إن الله بالغ أمره) أي ينفذ ما يريده لا يعجزه شيء (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي لا يجري شيء إلا بقدر (وقوله تعالى) (وكان أمر الله قدرا مقدورا) (وقوله تعالى) (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) (وقوله تعالى) (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (وقوله تعالى) (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (وقوله تعالى) (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) (وقوله تعالى) (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (وقوله تعالى) (وما النصر إلا من عند الله) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله لانتصر منهم) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله ما اقتتلوا) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله لأعنتكم) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله ما أشركنا) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله لهدى الناس جميعا) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله ما فعلوه) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) (وقوله تعالى) (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة

والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا المتوكل وقد مضى في توكله عن توكله ليس بلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا يحس في قلبه لغير المتوكل عليه وهو الاول بمتوكل بالتكاسل والكسل وليس هو عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن المتوكل ما أدناه قال ترك الاماني قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية (١٦٤) وسئل عن علاة فريد كره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه (الثالثة) وهي علاها

أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يرفعه الا الى ما يرى نفسه مبنيا تحركه القدرة لا راية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه به يرى المحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات الا انه غلب وان كان حدث حيرة يكون ناشئا عن الانتظار لما يجري عليه وهو الذي صحي يفرح بما يفعل به ويصح ويتعلق بذيله ويعد وخلفه بل هو الذي صحي علم انه وان لم يرعى بعينه فالعلم تحمله وانه وان لم يتعلق بذيل أمه فالعلم تحمله وان لم يسألها اللبن فالعلم تفاتحه وتسقيه وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء أفضل مما يسئل وكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وقبل الاستحقاق وهو يثمر ذلك لانه مدهوش فرح بوجود الرازق عن الرزق بل هو رزقه وبه حياته (والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته فهي ترك السؤال من غيره فقط) وهذا أمر في كل من المقامين كلام صوفية في حد التوكل (فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال) بل وجودها ممكن (ولكنه غير نادر) الوقوع (والمقام الثاني وان كان أعزها) وأدقها (والاول أقرب الى الامكان ثم احد الاثنين والثاني هو) (أعدمه) أي أكثر فقدا من وجدانه (لا يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه) للسالك (الا كصفة الوجل فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض) والوجل

وهذه أقوى من الاولى (والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد مضى في توكله دليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا يحس في قلبه لغير المتوكل عليه وهو الاول فيتوكل بالتكاسل والكسل وليس هو عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار) أبو محمد (سهل) رحمه الله تعالى (حيث سئل عن المتوكل ما أدناه قال ترك الاماني) على الله أي فلا يتمنى على الله سبحانه الا الى ثقته (قيل وما) أوسطه قال ترك الاختيار) لله تعالى (وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن علاه فريد كره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه) واعط القوت قبل وما علاه قال لا يعرف الا من توسط التوكل وترك الاختيار أعطى فذكر كلاما انتهى ولعل عدم ذكره بصريح الى حال السائل فانه لم يكن ممن يخبر بذلك والا فقد قال سهل بنفسه أول مقام في التوكل كذا وكذا وثانه الى سبعة (الثالثة) وهي سبيل الصفوة (وهي أعلاها) أن (يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يرفعه) في حال (لانه يرى نفسه مبنيا تحركه القدرة لا راية كما تحرك يد الغاسل الميت بين يدي الغاسل) بيد وشمالا (وهو الذي قوي يقينه به يرى المحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كان يحدث حيرة يكون ناشئا عن الانتظار لما يجري عليه وهذا يعبر عنه بقول سهل رحمه الله تعالى قال القشيري قال سهل من عمل به أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير وقال صاحب القوت وقد كان سهل يقول اني مسلم في اللبن وتحت حريان حكمه قال مرة يكون من يديه مثل ميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء وأنشد لبعضهم

ولما رأيت القصد عارا * لاشك فيه ولا مرية
تركت عمدا على حالتي * وألقيت نفسي مع الجرية

(والمقام الثاني الذي هو صحي يفرح بما يفعل به أمه ويصح) بانها (ويتعلق بذيلها ويعد وخلفها) حيث مشت (بل هذا مثل هذا مثل صبي عرفه وعلم برعي به أمه فالعلم تحمله وانه وان لم يتعلق بذيل أمه فالعلم تحمله وان لم يسألها اللبن فالعلم تفاتحه وتسقيه) وجعل سكمال محمد بن اسحق هذه الدرجة الاثنة أن يكون في قوة اعتماده وعدم اضطرابه كرجل عداؤه بين يديه وهو متداول منه فان عنه أغنى من الاول والثاني (وهذا المقام في الاول ثم ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء أفضل مما يسئل وكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وقبل الاستحقاق) وهو يثمر ذلك لانه مدهوش فرح بوجود الرازق عن الرزق بل هو رزقه وبه حياته (والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته فهي ترك السؤال من غيره فقط) وهذا أمر في كل من المقامين كلام صوفية في حد التوكل (فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال) بل وجودها ممكن (ولكنه غير نادر) الوقوع (والمقام الثاني وان كان أعزها) وأدقها (والاول أقرب الى الامكان ثم احد الاثنين والثاني هو) (أعدمه) أي أكثر فقدا من وجدانه (لا يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه) للسالك (الا كصفة الوجل فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض) والوجل

وسؤال منه وعنايته فهي ترك السؤال من غيره فقط فان فلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان (والوجل)

ذلك ليس بمحال ولكنه غير نادر والمقام الثاني وان كان أعز منها والاول أقرب الى الامكان ثم احد الاثنين والثاني هو أعدمه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض

(والوجه) عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنعصى عن ظاهر البشرة حمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم وبانقباضه يرجب الصفرة وذلك لان الدم وكذا انقباض (يشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويوما ويوما والاول يشبه صفرة مريض المحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول) والحاصل أن هذه وقوة ثالث الاحوال صفرة مادة المزيرة والدرجة كما كتبناها أسبابها اعني هجوم النفس على الاسباب المحركة بدو على الحد المعلوم وهو خلق كالمحموم هذا القدر من الواجب من التوكل فصلا عن المستحب فلم يهتم الاحمال وما قتضاه في العادة ولم يرق لدرجة التوكل ولا مكاس ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (قلت دون في مع عبد بر وتعالى بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن القيام بامر التدبير ما دامت حية باقية فيه لا يكون صاحبه كما هو (والا تكال على الله تعالى في كل تدبير لامر من الامور) والالتجاء (الى الله تعالى بالدعاء) وامر شرعي (والاهمال) وهو (ترك التدبير في الامر المتعلق به أو المتعلق به أول لان الاول هو أصل التدبير والاختيار ولكن يبقى بعض التدبير كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه ترك تدبير من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته حضر ما أشار به فانه لا يترك التدبير الذي يعرفه بعادته وسنته فانه يقول له لست أتكلم الا في حضورك فيشتغل لاجله بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه) في ثبات الخصومة (الذي هو فرعه الى حوله وقوته في الحضور واما الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له ولم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الا من السجن فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته وواقفا عندها

(٥٩ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) وهو أن يحمل السجل مع نفسه بعد ما يعلم من عادته عدم الاستغناء عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان قصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه بعد ان حضر وقاله ربه وأحضر السجل وقد سنته وعادته وبعد ما صرا ان محاجته قد تنتهي الى القيام الدائم في حضوره حتى يبقى كالمهوت منتظرا يرجع الى حوله وقوته ادلم يبق له حول ولا قوة وقد كان فرعه الى حوله وقوته في الحضور وحضر السجل باشارة لوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس وثقته بالوكيل والانتظار لما يجري وبذا تملت هذا الدفع عن كل اشكال في التوكل وتهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل لان كل تدبير وعمل لا يجوز أن يصنع التوكل لان هذا من الاقسام الرابع التي فصلناها في الاعمال قبل فروع التوكل

في الخصومة فانه يترك التدبير من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به والتدبير الذي عرفه من عادته وسنته وحضر ما اشار به فانه يعرفه بعادته فانه يقول له لست أتكلم الا في حضورك فيشتغل لاجله بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه في ثبات الخصومة الذي هو فرعه الى حوله وقوته في الحضور واما الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له ولم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الا من السجن فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته وواقفا عندها

الى حوله وقوته في الحصور والاحصر لا يدفض التوكل لانه يعلم انه لولا التوكل بكان حضوره واحضاره باطلا ولعبا محضا بالاحدوى فاذا لا يصير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان التوكيل جعله معتمدا فحاجته عن ذلك بشارته وسنته هذا الاحول ولا قوة الا بالله توكيل الا أن هذه الكلمة لا تكمل (٤٦٦) معنى هذا في حق التوكل لانه ليس حائلا حوله وقوته بل هو جاعل لهما معتمدين في قسمها ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يتبين ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا وصدقا فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كلمة هذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد وسنة هذه الكلمة ونوابها الى كلمة لا اله الا الله ونوابها كسنة معنى أحداهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة وأما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين تعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكذلك ذكر من قبل ان للتوحيد قشرين) الاعلى والاسفل (ولبين) الخارج والداخل (وكذلك هذه الكلمة وسائر الكلمات) قشران ولبان (وأكثر الخلق قد وقفوا على القشرين) تقصورهم في همتهم (وما صار قوم الى اللبين والى اللبين الا سرة قوله) صلى الله عليه وسلم (من قال لا اله الا الله

في حوله وقوته في الحضور والاحضر لا يدفض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل بكان حضوره واحضاره باطلا ولعبا محضا (وفي نسخة أخرى) أي فائدة (فلا يصير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمدا فحاجته عن ذلك بشارته وسنته هذا الاحول ولا قوة الا بالله توكيل الا أن هذه الكلمة لا تكمل معنى هذا في حق الوكيل) في الخصومة (لانه ليس خالقا حوله وقوته بل هو جاعل له معتمدا في أمرهم ولم يكونا مفيدين ولا فعله وانما يتبين ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد) قال المصنف في المقصد الاسنى الوكيل هو الموكول اليه الامور والموكول اليه يقسم الى من يوكل اليه بعض الامور وذلك ناقص والى من يوكل اليه الكل وليس ذلك الا الله والموكول اليه يقسم الى من يستحق أن يكون موكولا اليه لا لاجله ولكن بالتوكيل والتفويض وهو ناقص لانه دفع الى غيره ما هو فرض والى من يستحق أن يكون الامور موكولة اليه ولكن لكونه متوكلا عليه لا لاجل ولايته ولا لتفويض من غيره وذلك هو الوكيل الحق والوكيل الذي ينقسم الى من يتوكل عليه ينقسم الى من يتوكل عليه لاجل ولايته ولاجل ت

صادقا مخلصا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة وحيث أطلق من غير قيد كقوله صادقا ومخلصا أريد به ما قيد به هنا (٢٦٧) وبعض شراح هذا الأبيال الحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث وكذلك حديث عمر إلى الصدق والإخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم الخاصون بمعنى أن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تتناهى الى ثلاث أما ترى أن الله سبحانه وتعالى ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين عرض السرير الذي ذكر بقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولم ينته في أصحاب اليمين مراد على ذكر الماء والنار والفواكه والأشجار والحور بعين وكل ذلك من لذات المشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام وأين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة فترى ان أحوال البهائم وهي مسيبة في مرج متسعة بالماء والكلأ ولا تحجر عليها ولا تضيق ولا تحدد بالأجل ولا تكلف بالعبادة ولا تعذب بالنار ولا تحاسب بالعقاب ولا تمنع من الشهوات ولا تحرم الجنة ولا تحجب عن الله تعالى ولا تسمع كلام الله ولا تنظر الى وجه الله الكريم ولا تتنعم بقربه ولا تستأنس بحضرته ولا تتلذذ بمشاهدته ولا تتبوأ من الجنة حيث تشاء ولا تسكن في قصورها ولا تأكل من ثمارها ولا تشرب من أنهارها ولا تعانق الحور العين ولا تتمتع بهن ولا تلتذ بسماع أصواتهن ولا تتنعم بمجاورة الأنبياء والصديقين ولا تتأنس بهم ولا تتشرف بمعرفتهم ولا تتأهل لمخاطبتهم ولا تتزين بالوقوف بين أيديهم ولا تتحلى بالنظر الى وجوههم ولا تتعزز بكرامتهم ولا تتبسط بالقرب منهم ولا تتهنأ بالرضا عنهم ولا تتعطر بروائح الجنة ولا تتحلى بالحلل ولا تتطيب بالمسك ولا تتختم بالعقيق ولا تتكلل بالتيجان ولا تتوسد الوسائد ولا تتكئ على الأرائك ولا تتفكه بالفواكه ولا تتلذذ بالمآكل ولا تتنعم بالمشارب ولا تتزين بالثياب ولا تتحلى بالذهب ولا تتفضض بالفضة ولا تتطعم بالسلسبيل ولا تتمزج بالكافور ولا تتضمخ بالمسك ولا تتعطر بالعنبر ولا تتبخر بالند ولا تتأدم بالزنجبيل ولا تتلذذ بالسماع ولا تتنعم بالغناء ولا تتأنس بالقرآن ولا تتشرف بالخطاب ولا تتكلم بالحكمة ولا تتأدب بالأدب ولا تتعلم العلم ولا تتعبد بالعمل ولا تتقرب بالطاعة ولا تتزلف بالعبادة ولا تتوسل بالصلاة ولا تتوجه بالقبلة ولا تتوضأ بالماء ولا تتطهر بالتراب ولا تتيمم بالصعيد ولا تتحرم بالإحرام ولا تتلبس بالتلبية ولا تتجرد بالاحرام ولا تتطوف بالبيت ولا تتسعى بين الصفا والمروة ولا تتقف بعرفات ولا تتبيت بمزدلفة ولا تتجمر بمنى ولا ترمي الجمار ولا تتحلق بالمروة ولا تتقصر بالمشاقص ولا تتحلل بالاحرام ولا تتطيب بالحلال ولا تتنعم بالحلال ولا تتلذذ بالحلال ولا تتأنس بالحلال ولا تتزين بالحلال ولا تتحلى بالحلال ولا تتعزز بالحلال ولا تتكرم بالحلال ولا تتبسط بالحلال ولا تتهنأ بالحلال ولا تتعطر بالحلال ولا تتحلى بالحلال ولا تتكلل بالحلال ولا تتوسد الوسائد بالحلال ولا تتكئ على الأرائك بالحلال ولا تتفكه بالفواكه بالحلال ولا تتلذذ بالمآكل بالحلال ولا تتنعم بالمشارب بالحلال ولا تتزين بالثياب بالحلال ولا تتحلى بالذهب بالحلال ولا تتفضض بالفضة بالحلال ولا تتطعم بالسلسبيل بالحلال ولا تتمزج بالكافور بالحلال ولا تتضمخ بالمسك بالحلال ولا تتعطر بالعنبر بالحلال ولا تتبخر بالند بالحلال ولا تتأدم بالزنجبيل بالحلال ولا تتلذذ بالسماع بالحلال ولا تتنعم بالغناء بالحلال ولا تتأنس بالقرآن بالحلال ولا تتشرف بالخطاب بالحلال ولا تتكلم بالحكمة بالحلال ولا تتأدب بالأدب بالحلال ولا تتعلم العلم بالحلال ولا تتعبد بالعمل بالحلال ولا تتقرب بالطاعة بالحلال ولا تتزلف بالعبادة بالحلال ولا تتوسل بالصلاة بالحلال ولا تتوجه بالقبلة بالحلال ولا تتوضأ بالماء بالحلال ولا تتطهر بالتراب بالحلال ولا تتيمم بالصعيد بالحلال ولا تتحرم بالإحرام بالحلال ولا تتلبس بالتلبية بالحلال ولا تتجرد بالاحرام بالحلال ولا تتطوف بالبيت بالحلال ولا تتسعى بين الصفا والمروة بالحلال ولا تتقف بعرفات بالحلال ولا تتبيت بمزدلفة بالحلال ولا تتجمر بمنى بالحلال ولا ترمي الجمار بالحلال ولا تتحلق بالمروة بالحلال ولا تتقصر بالمشاقص بالحلال ولا تتحلل بالاحرام بالحلال

(وليس المعنى الذي يروجه في صفحة الكائنة كثيرون يروجه في صفحة الكائنة فهو ملائكة أشبه في جوهره بالملائكة وكذلك الناس يروج بعضهم في بعض الذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه بالملائكة لاحظ له وهؤلاء هم الذين يقال فيهم أولئك كالأنعام بل هم أضل وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها إدراك أكثر مما تدركه بالحس المشترك وبالوهم وبالحافظة وبالمتصرفة وبالذاكرة ولا تدرك شيئا من الأمور الكلية التي يدرك بها الإنسان ما ينفعه في الآخرة وما يضره فيها وإنما تدرك الأمور الجزئية الحسية التي تدرك بالحواس الخمس الظاهرة والباطنة التي ذكرناها فلذلك كانت الأنعام أقل إدراكا من الإنسان وأضل سبيلا منه وأما الإنسان فإن في قوته أن يدرك الأمور الكلية التي لا تدرك بالحواس الخمس الظاهرة ولا بالحواس الباطنة التي هي الوهم والحافظة والمتصرفة والذاكرة وإنما يدرك هذه الأمور الكلية بالعقل الذي هو نور روحاني أودعه الله تعالى في جوهر النفس الإنسانية وبه تدرك الأمور الكلية وبه تدرك الأمور الإلهية وبه تدرك الأمور الآخروية وبه تدرك الأمور الدنيوية التي تنفع في الآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي تضر في الآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي لا تنفع ولا تضر في الآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي تنفع في الدنيا وتضر في الآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي تضر في الدنيا وتنفع في الآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي تنفع في الدنيا والآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي تضر في الدنيا والآخرة وبه تدرك الأمور الدنيوية التي لا تنفع ولا تضر في الدنيا وال

(اعلم) وفى نسخة يتبين (ان شيأ منها لا يخرج عما ذكرناه واكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال أبو موسى المدينى) هكذا فى النسخ وهو يحتمل أن يكون بفتح الدال وكسر الموحدة نسبة الى ديل ارمله قريبة من أبرقوه وهو بفتح الدال وباهمال السين الساكنة وباء موحدة مضمومة ومنه ابو عبد الله محمد بن على بن ديل المدينى من مشايخ السلفى وقد نسب الى كل منهما جماعة من أهل العلم وهم أجداد لابى موسى المذكور (فقد لاى يزيد) يعنى المدينى وفى سره (ما ذكره التوكل فقد قال ما نقول فيه أنت فقد كان أصحابنا يقولون ليس السماع والاعانى عن يزيد وبسارلة بمحرك الدال الثانى سرد فقد أبو يزيد نهم هذا قريب واكن ليس أهل الجنة فى الجنة بمسموعون وأهل النار فى النار بمعدومين ثم وضع لهذه الترجمة حرجت من حمله (٤٦٩) التوكل فقد ذكره أبو موسى فهو حين عين أجمل أصول التوكل وهو لتمام ما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تغيير فى أهل النار وأهل الجنة بالاضافة الى أصل العدل والحكمة وهذا أبعض أنواع العلم وورائه سر القدر وأبو يزيد فطما به كلام الاعلى على مقتضى مقامه وأقصى الدرجات وليس ترك الاختيار من الحياة شرطا فى المقام الاول من التوكل فقد احتار أبو بكر رضى الله عنه فى الغار اذ قد صاحب الحبيب الاأن يقال فعل ذلك برحمة ومن تعبير سره أو يقال انما فعل ذلك شفقة فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فى حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لان رجوع الامر كله فى هذا المجال) أى لان مقام الصديق يقتضى ان يرى من حركة مسقطا لان يقال انه ذلك كان فى مبادى سلوكه قبل أن تشرف بمقام الصديقية (ولكن سيأتى ان أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فان احتاز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على حول الله وقوته وتدبيره وسئل ذو النون المصرى) عن سره (عن التوكل فقال) هو (جمع الارباب) وهو ما سوى الله تعالى عن القلب فيكون مستحوذا عليه بالكلية (وقطع) الاعتماد على (الاسباب) الظاهرة والباطنة بحيث لا يبقى له معتمد سوى الله تعالى (وخلع الارباب اشارة الى عموم التوحيد) فان من يعتمد غير الله تعالم يوحده (وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال) فقد أشار الى العلم الذى هو أساس التوكل والعمل الذى هو ثمرته (وليس فيه تعرض صريح للحال) الذى من جملة الاعمال (وان كان اللفظ يتضمنه) فتكون دلالته عليه بالالتزام (فيرد عليه زيد) فى بيان عبارة

لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على حول الله وقوته وتدبيره وسئل ذو النون المصرى عن التوكل فقال جمع الارباب وقطع الاسباب فجمع الارباب اشارة الى عموم التوحيد وقطع الاسباب اشارة فى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فيرد عليه زيد

جرى بينهم (وقال القشيري) أحكام (العبودية) بأن يكون بدنه مشغولا بأمره ونهيه (وجوارحه) من دعوى (الربوبية) وسهاعها (وهذا إشارة إلى التبرى من الحول والقوة وقد) فانه عالم بتبرأ منهما ويتصف بالعبودية بحضرة وهو بصير بالأمر نظرا إلى فهم لحاصر وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد ابن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصري وسأله رجل فقال ما التوكل فقال ساقه (وسئل) أبو صالح (حمدون) بن أحمد بن عمارة القصار رحمه الله تعالى (عن التوكل) ما هو (فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دين ألف درهم ولا تعلم أنك تموت وبقي ذلك في عنقك) فتجعل قضاءه ولا تغتر بكثرة مالك (ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك وفاء ولا تيأس من الله تعالى أن يقضيها) وفي نسخة يقضيه (عنك) فاعتمد على الله وحسن ظنك به ولا تيأس أن يقضي عنك وأورده القشيري فقال وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون وسئل عن التوكل فساقه (وهذا إشارة إلى تجرد القدرة وأن في الموجودات أسبابا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة) يعلمها قوم ويجهلها آخرون (سوى هذه الأسباب الظاهرة) يعلمها قوم ويجهلها آخرون والتوكل عبارة عن الاعتماد على الله وحسن الظن به وعدم اليأس عن روحه وهذا من أقرب ما قرأته بالصف (وسئل أبو عبد الله) محمد بن أحمد (القرشي) ترجمته فيما مضى في التوحيد (عن التوكل) ما هو (فقال) هو (أن لا تخاف مع الله تعالى في كل حال) والمراد به الاعتماد عليه (فقال السائل زدني) في البيان (فقال) هو (أن) لا تعتمد على (كل سبب) ولو يسيرا (فإن كل سبب) سوى الله تعالى (يوصل إلى سبب) آخر يباشر المسبوب (حتى يكون الحق) تعالى (هو المتولي لذلك) وحده دون كل سبب بشاهد كذا أورده القشيري (فالأول عام في المقامات الثلاث) الآتي ذكرها (والله تعالى أعلم) (والجواب) الذي أشرة إلى إمام الدنيا (الذي هو على الثلاثة وهذا يدلك على أن مشايخنا رحمهم الله يجيبون فيما يسألون على قدر مقام السائلين فانه في الأول أجاب عاما إذ لا يدري ما قوته وضعفه وأجاب هنا بما هو خاص به أو على ويحتمل أن يقال إنه أجاب أولا بحقيقة التوكل وعبر عنه بما تعلق بنفسه صفة لمراده عبارة له هذا مقامه وأجاب أن ترك الأسباب نقص في ذلك وفي ترك الأسباب كلام في سبب بعد (وهو مثل توكل إبراهيم عليه السلام فقال له جبريل عليه السلام ألك حاجة) وهو مكشوف مربوط في كعبة المحقيق من أسمائه والأرض هوى إلى بر وقد سمعت (فقال أما إليك فلا) فأعرض عنه وعلق بالله (أي كل سؤاله سببا يفضي إلى سبب وهو جعل جبريل له) عن الأمور فوط في الأمور (وعرف ذلك بأن الله تعالى أن أراد نصر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت) مدهوش (غائب عن نفسه بالله تعالى) أي فيه (فلم ير معه غيره لفقه) فقيه عنه وهو حال عزيز في نفسه ودوامه أن يوجد) في السالك (أبعد منه وأعز) وهو منتزع من سياق القشيري قال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن محمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر البرذعي يقول سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول التوكل على كمال الحقيقة موقع لإبراهيم عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام أما إليك فلا لأنه غائب بنفسه بالله فلم ير مع الله غيره اهـ وقد تقدم الكلام على ذلك في الإخلاص وغيره وقال صاحب القوت سئل الإمام أحمد عن التوكل فقال هو قطع الاستشراف والإياس عما في أيدي الناس قيل له فما الحجة فيه قال إبراهيم عليه السلام قال له جبريل ألك حاجة قال أما إليك فلا قال فسل من الذي له حاجتك فقال حسب الأمر بي إلى أعلمه إياها هكذا ذكره أحمد كأنه جعل التوكل التفويض والرضا بحيث إن الأحكام من غير مسألة ولا اعتراض وهذا معنى هذا الحال المتوكلين (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) المتوفى سنة ٢٧٧ (التوكل) هو (اضطراب لا سكون وسكون لا اضطراب) نقله القشيري (ولعله يشير إلى الإمام الذي فسكونه لا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى التوكيل وثقته به) واعتماده

واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بندبه الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها

عليه (واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بندبه الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها) والذي يفهم من قول الدقاق بعد ذلك الخ ان قوله ذلك الخ ليس من التوكل في شيء وانما القصد عدم سكون القلب اليه بحال فهذا هو معنى قوله اضطرابه بلا سكون ثم بعد ما ذكره بهذا التعبير قال اضطرابه ذلك لما لم يدم سكون قلبه اليه ويزيد ما يسهل فهم ما نقله عن شيخه من التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته على ما قلناه فلا يتركن سنتي اه أي يكون السابق لقلبه سكونه الى الله تعالى لا اضطراب في تعلق بالاسباب واشارته الى عدم التوكل الذي هو عدم ركون الى الاسباب وقطع علائق القلب بها فيكون حال قلبه دائما لله تعالى لا بها ولا يقوم عبودية الاسباب الا من حال التوكل ولا عموم حال التوكل الا من قيام عبودية الاسباب وانما يريد باضطراب الاول ما ضرب في الارض للكسب اذ كان مع الاول ذكر بالاضطراب الثاني وهو المعبر عنه بتعلق القلب وان سكنت قلبا الى التوكل هو اضطراب لا اضطراب وهو سكون بلا سكون وربما سكون الاول لا لعلة بالسبب وما ذكر سكون قلب وكلام شيخ سعيد من أبدع ما حسنه وما شرحناه أقعد مما أشار اليه والله أعلم (وقال أبو علي) الحسن بن علي (الدقاق) البسطوري شيخ القشيري (التوكل من حيث هو ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض) وكل من الاخيرين على ما قاله كما أفاده سيده هنا (فالتوكل سكون القلب الى وعد الله تعالى بقوله وما من دابة) في اللوح الاعلى المعبر عنه بقوله تعالى (والله يكتب ما يبيتون) (تعلقا به بعلم ما هو وعده (وضمانه هو) بعلم (رضي بحكمه) تعيينا في كل ما يجري به الله تعالى على عباده في عرصة وجوده ولا تخيرا لهما لما لم يحسن وتوقف الامور اليه في جعل ما هو لا جهما هو لا جهما بقوله الخيرة لكم فيما يختار الله لكم وهذه الاشارة الى تعاون درجات هذه الطريقة الى المعبور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون اعتراض على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك) وهذا هو الذي يفهم من قول الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل سكون القلب الى وعده والتسليم يكتفي علمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تعاون درجات هذه الطريقة بالاضافة الى المعبور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون اعتراض على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك والشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا تطول بها فان الكشف أنفع من الرواية والعقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه

(وقال أبو علي) الحسن بن علي (الدقاق) البسطوري شيخ القشيري (التوكل من حيث هو ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل سكون القلب الى وعده والتسليم يكتفي علمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تعاون درجات هذه الطريقة بالاضافة الى المعبور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون اعتراض على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك) وهذا هو الذي يفهم من قول الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل سكون القلب الى وعده والتسليم يكتفي علمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تعاون درجات هذه الطريقة بالاضافة الى المعبور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون اعتراض على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك والشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا تطول بها فان الكشف أنفع من الرواية والعقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه

واسقاطهم عند وقال غيره التوكل هو الخمود تحت المواردوكان بعض شيوخنا سئل عن التوكل أحاد عنه
بعين الحقيقة فيقول هو أن تكون مع الحق كما تكون مع الحق لا كما يزل وقال الخراز ي التوكل معاينة
الاضطرار أي يكون اضطراره عند مولاه الافلاس وحاله في الاعمال لا يأس وقال سهل التوكل هو التبري من الحول
والقوة وقال غيره هو عدم الاهتمام وقد تكلم في كلا يهتم اصحح بالدواء ودعوى وكان الحسن يقول التوكل هو
الرضا وهو اشارة الى تعميم ثمراته ودليل هو تسليم الاقدار كلها قادر واعتقاد أن جميع فعله وقدره وهو شارة
الى تقدم العلم وقض منه وقال بعض العلماء ليس التوكل ترك الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة القلب الى
الباري وكذلك قال أبو عبد الله القرشي في التوكل انه هو هذا وأشار الى الله سراً وجهراً ورمى به كيلا ونحوه قال
وهو اسم التوكل الا بالله في كل ما تحبس في حال وقال أبو موسى الدبلي التوكل هو أن يستوي عندك سادة
وبابا لخلق وقال غيره التوكل اسم لاعمال الوحدة على اشارة وحذف التصرف الى الاربعين يعني بعلم وجده اشارته
بقوله وهمته وشغله عن التطرع الى غيره وقيل التوكل هو الكف عن الاعتراض السر والعلانية والسكون الى
الخلق بلا واسطة وقال سهل التوكل هو قوى وحقه قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قال هي بعدي عدوه والتوكل
وقال مرة هو تعبد القلب بالتفرد الى معبوده وافقه في ذلك أبو بكر محمد بن موسى الواسطي فقال التوكل هو قصد
القلب والانفراد وقال ابو حمزة التوكل سبيل حصول الفوز وقال الخواص التوكل الا كتفاء بعلم الله
دون من خلق العلم سواه وقال يحيى بن معاذ من حقق التوكل بثلاثة اعتمد صحته بحسب الله واختياره لاختيار الله
وتدبيره لتدبير الله بالله على حسبه وعلى حسبه وعلى حسبه وهذا اشارة الى مقام الاثبات وقال أبو
حفص التوكل على ثلاث درجات ترك الشكاية بقوة الرضا والمحبة فترك الشكاية أن لا يشكو ربه ولرضا بقضاء يرضى بما قسم له
والمحبة أن تكون محبته في قضاء الله تعالى وقيل التوكل على ثلاثة أحوال والتوكل بالله هو استقلال الاعمال وهذه اشارة الى
درجات المريد وأما التوكل الصحيح فهو أن لا يركن القلب الى سبب ولا يعتمد ولا يعتبر الى مادون
الله نظرة وهو معنى عن تمام وقال قال وأخبر بعض الاشياخ عن أبي علي الرودباري انه قال التوكل على ثلاث
درجات الاولى منها اذا أعطي شكر واذا منع صبر والثانية منع والعطاء عنده واحد والثالثة منع مع الشكر أحب
اليه من العطاء مع الشكر وقال غيره التوكل على ثلاث درجات أولاها الصبر عند البلاء وأوسطها الشكر عند شهود البلاء
وآخرها رضا الجاري الاقدار والاحكام هذا ما انتهينا من كلام القوم مع الاختصار وقد ذكر القشيري
في رسالته بعض ما هو في القوت ولم يذكر مما يذكره صاحب القوت قال حدود التوكل هو الاعتصام بالله وقد
أشار بذلك الى عموم التوكل في كل حال وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضي
بالله وكيلا وسئل بعضهم عن حقيقته فقال أن لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقتك اليها ولا
تزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوف عليها وذكر القشيري قول من قال حقيقة التوكل لا تتم الا بعد
بعد قوله بالربوبية وطمأنينة القلب الى الكفاية عند أعني شكر وان منع صبر وقال ذو النون التوكل ترك التدبير
النفس والخلاص عن الحول والقوة وما يقوى لعبد على التوكل اذا علم أن الحق معه بعلم يرى وهو فيه
وقال سهل التوكل الاستراحة مع الله على ما يريد وهذه اشارة الى مقام التسليم وفيه ترك الاختيار وقال غيره
التوكل أن يستوي عندك الاكثار والقلل وهذه اشارة الى مقام من مقامات التوكل وقال ابن مسروق التوكل
الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وهذه اشارة الى مقام التفويض وفيه ترك الاختيار وهو المقام الثالث
وقال أبو عثمان الحيري التوكل الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه وهذه اشارة الى مقام الرضا وسئل الرقاق عن
التوكل فقال هو الاكل للصبع وهذا سره الى حسبي أمارته وقيل التوكل هو السكون والتفويض الى
مالك الاول أراد به السكون قوة ايقين وأطلق التوكل يعني التفويض وهو على منه لانه من ثمراته كما أن
اليقين من أصوله ففيه اشارة الى الاصل والثمرة وقيل التوكل الثقة بما في يدي الله تعالى واليأس مما في أيدي
الناس وهذا اشارة الى سبب التوكل الذي هو الاعتماد على الله لا على سببه وقيل التوكل قراع السر عن التفكر

في مقاصي في علم الرزق وهذه ثمرة من ثمرات التوكل لا نفسه فمن توكل على الله وهم يسعف في غيره من الاسباب استراح قلبه من هم لا كتساب ورزق أمر بالكسب * (تنبيه) * تقدم أن التوكل مع ثمرته محض التسليم والتفويض وهل التفويض نظر أعلى مقاما أو التسليم فمنهم من قال التفويض أعلى ومنهم من قال التسليم أعلى وعلى كل حال فالواجب على كل عبد الدخول أن يختار من نفسه أن يختار ما يختاره الله له وقد قدر به لعبد بعد اجتهاد الا بذل والاذعان وترك الاختيار دون فرضه أن الله تعالى قضى على عباده بلاء عن ما على الصفة لكان يجب على العبد التسليم والانقياد له أحكم الحاكمين وقد قال بعض العقوبات اعلم أن العباد لم يتكلموا عليه لاجل أن يجتنبوا ذنوبهم ولا لاجل أن يعلموا مرضاتهم ومرادهم ولا ليشتغلوا بما هو أحسن بل خاصة لكي يحصلوا ولا يبدلوا بهم حرمان أحكامه عليكم هو ولا يغيرها هم ما في مشيئته الى ما يحصل ولا يحول عنهم ما قضى من حكمته التي قد جرت في عدد من الاعوام ولا لامتحان واختبار الى ما يحصل هو أعلم بذلك منهم من ذلك وهم أعلم به من هذا لو اعتقد عارف بالله تعالى أن حركة العبد مع اتباعه في توكله لكان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وكان من عقوبة التوحيد أن تدرع عليه ما أدرك من توهم التوكل وانما أخذوا توهمهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وظنوا أن معنى ذلك ما معنى حرى الله فان قال قائل ان كانت الارادة قد حصلت الاشياء ووضعت في مراتبها وقدرة توجب ذلك ما ضرورة في الوقت الذي قدر الله من المحال أن تخصص الارادة شيئا ولا توجد القدرة على وفق مخصص فالجواب أن التوكل وحد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فجعل التوكل على الله وجوبا كما جعل الايمان واجبا وكذلك الدعاء عبادة فيه وكذلك التوكل عبادة تعبد الله تعالى بها هو والدعاء من جهة الاسباب التي رتب عليها ما رتبها وبذلك قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعلوم أن الله تعالى مولى المؤمنين والكافرين الا أن للمؤمنين ولاية خاصة ليست للكافرين فكذلك ما علمه سبب توكلهم على مولاهم وكما أن الدعاء اذا وافق مشيئة حصل المدعو به وان لم يوافق أثابه عوض عن المدعو به فكذلك المتوكل توكل على الله في جميع أموره والرضى بما جرى عليه حكمه ثم سبقت به مشيئته فان وافق عرض متوكلا فهو ورد ما شهد وان خالفت ما شهد وان خالفت ما شهد عوضه الله تعالى عن توكله أضعافا مضاعفة ومن هذا يعلم أن تسليم أفضل درجات التوكل لانه تمام التوكل على أحد نوعي معلومه وهو ما يشير اليه بعض المتصوفة في معنى كلامها عليه آخر الله عنهم

* (الفصل الثالث في بيان أعمال المتوكلين) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان علم التوكل احد العلوم التي هي من الاعمال) وهو علم لاصل وعمل ثمرة الحال والحال يتسع علوم والاعتقادات وقد تحرب الناس في ذلك أجزاء من الفضائل تجلع الاسباب وبين الفضائل ما يحول دونها وبين التوسط بطريق لا جنف في طرف وسلك طريق وجه مع قصوره عن احاطته بمقاصد شرع في وسائل العبادات من مقاصدها وقد شرع المصنف في شرح ذلك بذكر صور من مقاصد وافقرها الى الاستيعاب استيعاب بعض المقاصد عن الحوب في الاسباب مع وجه الاصل في ذلك فقال (وقد بينا ان معنى التوكل ترك الكسب وترك تدبير القلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكالطعم على لوصم وهذه من الجهال فان ذلك حرام في الشرع وشرع قد أثنى على المتوكلين) وقد عجهم كل غير وغير حديث (فكيف يبان مقام من مقامات الدين يحمد وان الدين) وفي نسخة تحطه وزره (بل كشف الصواب عنه) بالتحقيق في ذلك (وتقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه وسعي العبد باختياره ما لم يكن الاحل حتم نادم هو مفقود عنده كالكسب والدفع هو موجود عنده كالادخار والدفع صار مأمورا به كدفع السائل والسارق والسبع والنار الله صار قد ربه كالتداوي من المرض فقصود حركات العبد لا تعدو هذه الوجوه الاربعة وهو جلب المنافع أو تكميلها ودفع المضار أو تقليلها وقد ذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقررة بالشواهد الشرع

(الفن الاول) في جلب النفع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النفع على ثلاث درجات مقطوع به ومضنون ظنا يوثق به وموهوم وهذا لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن به* الدرجة الاولى المقطوع به وذلك من الاسباب التي ارتبطت المسببات بها تقديرا لله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كالأكل فان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك ولم تكن جائعا محتاجا وكذلك لست تمد يدك اليه وتقول آمنت بالتوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه ما هدى أبي الخلق على أن له فهذا محسوب محض وليس من التوكل في شيء فان اعتقدت أن الله تعالى

(الفن الاول) في جلب النفع (فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النفع على ثلاث درجات مقطوع به ومضنون ظنا يوثق به وموهوم وهذا لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن به) الدرجة الاولى المقطوع به (وذلك من الاسباب التي ارتبطت المسببات بها تقديرا لله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف) ولا يتخلف (كالأكل اذا كان الطعام موضوعا بين يديك ولم تكن جائعا محتاجا) الى الاكل (ولكنك لست تمد يدك اليه وتقول آمنت بالتوكل وشرط التوكل ترك السعي) والحركة (ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه) بعد الوضع (بعد ما هدى الخلق على أن له) يسمى له الابتلاع (فهذا محسوب محض وليس من التوكل في شيء فان اعتقدت أن الله تعالى خلق الطعام وأقدرك على الحركة ولم يخلق الحركة والمضغ والابتلاع بل يخلقها عند تحريك يديك وأسنانك فلا تقدر أن تقول آمنت بالتوكل وتتناول اياه بل حركة اليد والحركة ناقض التوكل فالمحمود في هذا وجود تركه حرام وهو ترك هذا الاعتماد على الله بأن يخلق له وبالجملة شرب كأس من الماء بالتوكل عاص (وكذلك لو لم تزرع ولم تطحن أن يخلق الله تعالى له من غير بذر) وحرث (أو تمر وحنطة من غير زرع كما خلق لمريم عليها السلام) من غير بشر (فتوكل محمود) وجهل (وأمثال هذه كثيرة ولا يمكن احصاؤها فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بالجهل والعلم بالعلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وآلة التي يطحن بها ويعجن ويطبخ ويخبز وأما الجهل فهو أن يكون سكون قلبك وعدمه على فعل الله تعالى للاكل باليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تخطف في الحال وتقطع وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويعطل قوة حركتك وكيف تعول على حصول الطعام وربما يسد الله تعالى من يبعث حية ترتحل من مكانها وتعرض لك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وإذا احتمل أن ذلك وقع ولم يكن لهذا علاج لا بفضل الله تعالى فذلك داخل في قوله تعالى في فصل الله ورحمته فعلى الله فليتوكل المتوكلون) وعليه فليعتمد (هذا اذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فهذا اليد فانه متوكل) والاحبس من توكل على شيء ومن هذه الدرجة لو بعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت مدار مائل تقارن حصاده فلا يصح توكله على شيء من ذلك ولو مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول سبب هذه مضنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة بل يكون العلم بأن المسبب لا تحصل دونها لكن احتمال حصوله دونها بعيدا كالذي يعتمد على الامطار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب الماء فهذا ليس شرعا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد

وهو من أعلى مقامات التوكل والدليل كان يسعى الخواص في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة فعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصير عنده بلا ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى وثانيهما أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الحسيسة وبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو تنهي إلى محلة أو ير به والى حشيش يحتاج به فصاحبها مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخواص كان لا تعتريه الآبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج إلى وضوئه كل يوم مرات وللعاشة في كل يوم أو يومين مرة فلا

بقوا فلي بغير زاد رجاء تسخير الناس له واحتبس في المسجد تحرزا للعبادة وعلى لا يوثق بما في الأدوية الحريرة للصحة في الغالب فالتمس منهم شيئا مباحا في الشرع غير واجب تركه ولا فعله وأصل التوكل واجب فبقي الدخول في الأسباب المطلوبة على أصل الإباحة وإباحة بعض ذلك بالمقاصد (وهو) أي ترك التعرض للرزق في الأسفار (من أعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله) إبراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى وكان من كبار المتوكلين كما صرح به صاحب القوت (فإن قلت هذا معنى في الهلاك والقاء النفس في التهلكة) أي الدخول في البرية بغير زاد ولا راحلة والهلاك وعدم التعرض له واجب ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وكيف يصح توكله وكيف يكون ذلك مباحا (فاعلم ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه) في الصبر (وجاهدها وسواها) وعودها (على صبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصير عنده بلا ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى) بل لا تفقد قوته في قيامه في صلاته (والثاني) قوة الحال وعلمه الآتي وهو (أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الحسيسة) التي لا تعد قوتا في الحال (بعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع) مرة (عن أن يلقاه آدمي أو تنهي إلى محلة أو ير به والى حشيش يحتاج به فصاحبها مجاهدا نفسه) صبرا على الجوع والعطش (والمجاهدة عماد التوكل) وأساسه (وعلى هذا كان) (يعتمد مجاهدة نفسه) صبرا على الجوع والعطش (والمجاهدة عماد التوكل) وأساسه (وعلى هذا كان) إبراهيم (الخواص ونظراؤه من المتوكلين) كما صرح بذلك الخواص نفسه في كتاب التوكل له وقد اعترض عليه بأن يحيى بن معاذ الرازي وكان يوسع في التوكل بالأسباب ويرخص فيها كثيرا ولا وقوف معها وهو أوسع طريقة وأبسطها من الخواص ولكن يمكن الخواص أن يعتذر عن يحيى بأنه كان يعيش في طريقة وقبض في حاله وتشديد وعزيمة في مقامه من توكله وهم أقوى الحالين في الدين وكان المصري وجماعة الأصم وعلي الصوفي رحمهم الله تعالى وقد ذكر صاحب القوت كل منهم ما يدل على شدة عزائمهم في التوكل (والدليل عليه أن الخواص كان لا تعتريه الآبرة والمقراض والحبل والركوة وقد ذكر هذا الأمر يخرج من حد التوكل ولم يكن تاركه أربعة أشياء كان يقول إذا ما رهم من حد التوكل لأنهم من أكبر المتوكلين ولا آبرة والخيوط والمقراض عدا الخيوط مع الآبرة شيء واحد لأن الآبرة من غير هذا لا تعدى به (وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض) وإنما يكون في الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج إلى وضوئه كل يوم مرات وللعاشة في كل يوم أو يومين مرة فلا

المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وركوة ولا يوجد المقراض والآبرة في البوادي غالبا عند كل صلاة ولا يقوم معه ما في الجيب من نحو قطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضا يلتحق بالدرجة الثالثة لأنه

مضمون حديث مقطوع به لانه يحتمل أن لا يحرق الثوب أو يطبخ الطعام ثوبا أو يحدث على رأس شخص شيئا ويحتمل أن يحرك الطعام
بصوته الى فيه حين المضغ فيحرقه ولكن هذا بعيد في معنى الاول وبعيد ايضا لقوله لو انحدر شيء من شعب الخ لان حيث لا ماء ولا حشيش ولا
بقرة هارق فيه وحيث متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روي أن رجلا من ارهاط بني اسرائيل (فارق الامصار) وأقام في سفح جبل سبع وقال لا أسأل
أحدا شيئا حتى يأتي رزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزقه فقال يا رب إن أحببتني فأتي رزقي إلي في صعب أو سهل والا فاقبضني إليك فأوحى
الله جل ذكره إليه وعزتي لا أرزقك (٤٧٦) حتى تدخل لامه ورقتك فقعد على رأس سبع فدخل مصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوحى
في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي برهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي وقد
لا تعد عن الاسباب كلها من جملة الحكمة وحين بسنة الله تعالى واعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما صرح به مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل وكل الاسباب تنقسم الى ظاهرة وإلى خفية فعني السؤال لا كتنافيه بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البادية لو دام لم يكن مهلكا لنفسه فهذا كيف كان لم يكن مستشرف

مضمون حديث مقطوع به لانه يحتمل أن لا يحرق الثوب أو يطبخ الطعام ثوبا أو يحدث على رأس شخص شيئا ويحتمل أن يحرك الطعام بصوته الى فيه حين المضغ فيحرقه ولكن هذا بعيد في المعنى الاول وبعيد ايضا لقوله لو انحدر شيء من شعب الخ لان حيث لا ماء ولا حشيش ولا بقرة هارق فيه وحيث متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه) ولو ما روي عن بعض من ذكرهم بنا (كما روي أن رهطا من ارهاط) في بني اسرائيل (فارق الامصار) يوما وأقام في سفح جبل سبعة وقال لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتيني رزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزقه فقال يا رب إن أحببتني فأتي رزقي إلي فسمعت إلي والا فاقبضني إليك فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لا أرزقك حتى تدخل لامه ورقتك فقعد على رأس (شخص فدخل مصر وقعد) فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوحى في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي برهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي) فقال صاحب القوت قد حدثت عن رجل ثقة أنه قعد في فلاة من الارض وانقطع عن الخلق وقال ان كان لي رزق أتى فأتى فلست بآكل شيئا حتى أضربه الضعف وقال ورب الكعبة لو كان لي في الارض رزق لأتى به والا فاقبضني إليك قال فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل المصر وتقعد على باب فرن المصر الذي فيه وذكر الحديث قال فقعد على باب الفرن فجاءه الطعام وجاءه الشراب فأكل وشرب فأوحى في نفسه فأوحى الله إليه أردت أن تعطل حكمتي وتسقطها حكمي توكلت على من يرزق الخلق بايدي الخلق أحب إلي (فلا بد له عند عن الاسباب كلها من جملة الحكمة وحين بسنة الله تعالى واعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض) أصل (التوكل كما صرح به مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل) ذلك (وكل الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني السؤال لا كتنافيه بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب الخفي (لا الى سبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البادية لو دام لم يكن مهلكا لنفسه كما تقدم فهذا الذي هو قاعد في البلد كيف يكون مهلكا لنفسه حتى يكون فعله حراما لا يبعد) هذا (إن أتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه ويصير ممكنا الى أن يتفق) وصوله (ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه فعله ذلك حرام) لانه تسبب لاهلاك النفس بالطريق الشرع وكان هذا العموم المتوكلين والاقدمين قال صاحب القوت عن بعضهم قال قلت لبعض السلف لو أن عبدا دخل بيته وطين عليه بابه ولم يعلم به أحدا كان رزقه يأتيه فقال نعم تعلق ومن أين يأتيه فقال من حيث يأتيه ملك الموت (ولو فتح باب البيت وهو بحال لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب لكن قد يتأخر عنه ويصير ممكنا الى أن يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه فعله ذلك حرام ولو فتح باب البيت وهو بحال غير مشغول بعبادة فاكتسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراما الا أن يشرف على الموت فحينئذ يلزمه الخروج والسؤال وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل الى منزله فيأتيه رزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى) مع كمال الحال وعصمة الناس (واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من) حيث (مقامات المتوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى) بذكره وفكره ومراقبته (ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة) حتى يصير له مثل هذا يقطع بتعذر رزق الا بيد ويحمل فى رزق الآخرة البهيمة كالذى أكثر الشيوخ فى معنى توكل فمن كانت همته فى تقسيم العلوم سقط عنه جميع من الهموم واستراح العدد من أدوية عدم تحديده مسوده (وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لعبده كما لو هرب من الموت لأدركه) وقد تقدم ويقال لو هرب العبد من رزقه لأدركه فى وقته كما لو هرب من الموت لأدركه هكذا هو فى موضع آخر كثير ويناسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو هرب أحدكم من رزقه لأدركه رزقه كما يهرب من الموت لأدركه (وان يوشك الله تعالى أن لا يرزقه ما شاء لذلك) فى سؤاله ذلك (وعيبه لقائل له ياجهل كيف أخلق ولا أرزق وقد قال) له (صاحب القوت ويؤيد الاول ما ورد فى الخبر ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله رواه الطبرانى والبيهقى من حديث ابن الدرداء ورواه ثقات وصححه الحاكم من خبر وفى رواية ان عبدا فى بنى اسرائيل عبد ربه خمسمائة عام فأنزل الله عز وجل عليه ان عبدى فلانا عبدنى وانى أنزل عليه رزقه وهو فى مكانه فعبد ربه خمسمائة عام ثم نزل وتفقده هذا المتعبد لترى ما حاله فوجده كما كان لم تنقص له لقمة وهى لا تنقص بعضها وكن يشتغى بها عن غيرها فكذلك الرزق على قدر من رزق بعلمه ولطفه وما قيل بعد تقديمه وفى خبر آخر ان ملكا ينادى كل يوم رزق هو آتيه هو واطئه وحتف هو قاتله وأنا قوت لابن آدم وفى رواية عن سعيد بن المسيب قال لا يرزق العبد الا ما يأكل ولا يلبس الا ما يلبس ولا يركب الا ما يركب ولا يموت الا بأجله ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت (وذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما اختلف الناس فى كل شئ الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا ميت الا الله تعالى) كذا فى القوت (وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) ولزالت بدعائكم الجبال قال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا يزرع ولا يحصد ولا يدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكرم على الله من الطير فانظروا الى الانعام) هى أكبر منكم جسوما (كيف قيض الله لها هذا الخلق للرزق) كذا فى القوت ورواه أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا عن سلام بن أبى مطيع قال قال عيسى عليه السلام اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا الى هذا الطير يغدو ويروح لا يحترث ولا يحصد الله تعالى يرزقها فان قلتم نحن أعلم بطوعنا من الطير فانظروا الى هذه الانعام من الوحش والحمر تغدو وتروح لا تحترث ولا تحصد الله يرزقها الحديث وقال ابن دهقان عند التعريف (وقال أبو يعقوب السوسى) من السوس بلد بالاهواز (من أخذ عن عبد أو حدث عن يزيد عمه أبو يعقوب الهرجورى (المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون) ولفظ القوت المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون (وقال بعضهم العبيد كلهم فى رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بدل كالسؤل لبعضهم تعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان

من مقامات المتوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا صح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لعبده كما لو هرب من الموت لأدركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا وقال له بعضهم كيف أخلق ولا أرزق وقال ابن عباس رضى الله عنهما اختلف الناس فى كل شئ الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا ميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال قال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا يزرع ولا يحصد ولا يدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكرم على الله من الطير فانظروا الى الانعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق وقال أبو يعقوب السوسى من توكل تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم

كالصناع وبعضهم بعد كالصوفية يشهدون العبد يرزق يحدون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة) ويعطى قوت
وقال بعض هذه الطائفة العبد كلهم يأكلون أرزاقهم من مولى ثم يفترقون فى الشهادة فمنهم من يأكل
رزقه بذله ومنهم من يأكل رزقه بالمنة ومنهم من يأكل رزقه بالتعذر ومنهم من يأكل رزقه بالمهنة ولا تعذر
وبعضهم يأكلون أرزاقهم بالدلالة والسؤال يشهدون أيدى الخلق أيدى الله والذين يأكلون أرزاقهم
بالتعذر والتجار يبصر أحدهم على سلعته فهو متعوب الخلق معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بالمهنة
فالصناع يأكل أحدهم رزقه بهمته وكده والذين يأكلون أرزاقهم بغير المهنة ولا التعذر ولا الدلالة فالصوفية
يشهدون العبد يرزق يحدون فمنهم من يده بعيدة وبه نعم الكلام على الدرجة الثانية فان قلت فما المقاصد التى
ترجع للدخول فى الاسباب المكسوبة أو ترجع لترك الدخول فيها قلت الدخول فيها يختلف ذلك باختلاف الاحوال والاشخاص
الدخول فى الاسباب المكسوبة أحوال الحالة الاولى أن لا يرى السبب ولا يعلق التعلق بحاله ومقصده لاشتغاله عن
العبادة بالذكر والتفكر ومقصود الشرع التوكل والتسبب ذريعة للتوكل فيكون الدخول فى السبب فضيلة
فى حقه قال الله تعالى وما جعله الله لا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقد دخل حلاله
ان مدد الاولياء بالملائكة وسببه تطمئن قلوبهم عند انكسارات طبع البشرية الذى لا يدخل تحت اختيار
العبد فيكون سكونا عن القلب مزاحمة لذكر الله تعالى فلو هم عما أمدهم به من جزئية لقلوبهم عن درجات النفس
والعدو وسلب البصر عن الملائكة وقد قال الى بعضهم لا بد للعامل على الحقيقة فهكذا ينبغى ان تفهم مثل هذه
الحالة الحالة الثانية أن يكون الدخول مأمورا به فيدخل فى الاسباب ويحمل فى سفره الدواء
اقتداء به فى ذلك وهو متعلق بالله تعالى فى اسباب لا يلتفت الى الوسائط وهذه طريقة الانبياء والعلماء
والشيخ الحالة الثالثة أن يدخل اضطرارا عند وجود الاسباب وعدمها فعدمها عنده كوجودها ووجودها عنده
كعدمها فلا شىء يشغله عن الله لانه مشغول بالمسبب عن السبب وان شغله كركه عند قيام الحق عليه كصلاة
الخائف عند أسباب حصنه لا يلتفت عنها دون الاسباب المذمومة وبذلك ترجح الدخول فى الاسباب
المكسوبة عكس هذه الاحوال الاربعة التى لا يترجح فيها العبادة الا ترك الاسباب وهو الاعلى فترجح الترك فى
حقهم وهذه الحالة أسلم من الاولى لكم من عبد متعلق بالاسباب على انه متى قطع القلب عنها عادة انقطعت
الاسباب وضعفت اضطرارا فيه وارجعت فيه وظهر نقصه لانه كان يعتقد ان حبه بالله وان كانت هذه
الحالة أيضا لا تخلوا من عيوب وكم من عابد زال الاسباب يعتقد انه زاهد تقى وان عرض عليه شىء من الاسباب
مالت نفسه اليه ورعنت فيه كانت فيه من الزهد والتقوى واعلم انه كما كان ذلك سبب الفقر والضجر فالاضطرار
هى التى تخرج ما فى النفوس من مكامن الخيبة والردية وبذلك يرى العامل كل لحظة مصارع لما دونها من
باطن ما فى نفوسهم من مكامن بعد وحتى يلقى الله قلب سليم عن عيوبه ويقاس على ما قدمناه فى حلب المدافع
وله الصبر وسبق الكلام على ذلك فلا نعيد فى بيان ان ترك التداوى قد يحمد فى بعض الاحوال والله أعلم
(الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التى) مضارها موهومة لا مظنونة ولا مقطوع بها وهى التى (يتوهم
فيها ذهاب المسبب من غير آفة ظاهرة كالذى يستقصى فى تدبيرات الدقيقة فى تحصيل الاكتساب ووجوهه
وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها) أولها وأوسطها وغايتها (وهو الذى الناس فيه) فقد اعتادوه
وألفوه طريقة (أعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا مثل مباح) وكل ذلك ينافض التوكل وتركه
من أعمال المتوكلين (فاما أحد الشبهة أو اكتسب بطريق فيه شبهة) أو معصية الى شبهة (فذلك غاية الحرص
على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل) أصل (التوكل) فان قلت قد زعمت ان التوكل
واجب وقلت ان الاستقصاء فى الاسباب الموهمة مبطل له ولا يبطل الواجب الا فعل حرام أو ترك واجب
لا يتناول لنا كان فعله حراما وما ذهب الى هذا أحد من العلماء قلنا هذه ثلاث درجات طرفان وواسطة الدرجة
الاولى الدخول فى الاسباب المحظورة كالسعاية والشرطية وترويج الزيف والغش بتزيين لعين المعيبة

وهذا مثل الاسباب التي
يستهان الى جلب المنافع
مثل نسبة الرفيق والطيرة
والكي بالاضافة الى
ازالة الضارهان النبي
صلى الله عليه وسلم وصف
المتوكلين بذلك ولم يصفهم
بانهم لا يكتوون ولا
يسترقون ولا
يتطيرون من أحد شيا
بل وصفهم بانهم يتعاطون
هذه الاسباب وتعاطي
هذه الاسباب لا ينافي
التوكل فان كثيرا
ممن يستعمل هذه الاسباب لا يكثر
ولا يكمل حصوله وقال
سهل في التوكل انه ترك
التدبير وقال ان الله
خلق الخلق ولم يحجبهم
عن علمه وانما حجبهم
بتدبيرهم وعلة ارادته
استعمال الاسباب المعتادة
بالتكرر فهي التي تحتاج
الى التدبير دون الاسباب
الخلقية

طمأنينة النفس وانشراح الصدر لا فوات ما تشبهه بالاجماع قائم على ان التوكل يبطل بهذه الاسباب التي درجة الشابة كزيادة العمل وتشقيق حبه وادخار قوت يزيد على سنة فقد روي عن بعض العلماء بطلان التوكل بذلك كما سيأتي قريبا والذي يظهر كما قاله المحاسبي الصوفي انه يختلف باختلاف الاحوال لا أصله وسيأتي الكلام عليه الدرجة الثالثة وهي المتوسطة بين الطرفين واليها أشار المصنف بقوله (وهذه امثل الاسباب التي يستهان بها جلب المنافع مثل نسبة الرفيق والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار) وقد ذهب الحوص في كتاب التوكل الى ذلك وتبعه صاحب القوت وياتي تمام كلام المصنف وتعريض الحوص وتوضيحه قريبا حتى صرح المقالة المنسوبة الى المصنف واحتج الحوص على ذلك بقوله (قال النبي صلى الله عليه وسلم ووصف المتوكلين بذلك) يشير الى حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره آنفا وهو قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون وهم يتوكلون وعلى ربهم يتوكلون (ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يحترفون ولا يتعاطون في الامصار ولا يتاجرون ولا يتعاطون من أحد شيا وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب) وقد فعلهم صلى الله عليه وسلم ومدحهم بما تقدم ثم له عائشة ان يجعلهم بهذا الفعل لانه رأى ذلك طريقهم ورأى معه زاده وشهد فيه قوة والتحقق بحاله ذلك وما قال له لا تدع الله تعالى بهم احتذوه ولم يزل لا تفعله ولا وحده منهم بل هو له ولم يعرهم اذا القتداء لا يقتدى بها ولا يكون فيها كالاتدعي لانها موحد فيجب بالعاد فريضة شاهدت عيوب ما شهد فيجب في حكمها الجاهد فرقة تسوغ لانه يكتفي عنها قبل الوقوع فيتهور لانها تباهد به من حسه وطبعه فيما شهد صلى الله عليه وسلم ذلك مقامه وهم برتبة قوية وعلامة وقعه على حده وحكم عليه بوحده ورده الى صفة وصفهم تصوره وصفه فرده وردا جميلا لانه كان صلى الله عليه وسلم حسنا كريما فقال قد سعلهم ما عائشة والذي ذهب اليه محمد بن سحنون الصوفي ان هذا يدل على بطلان كون التوكل لا أصله لانه ابدى وردفي سعي الذين يدخلون الجنة بغير حساب وذا عرفت التوكل انكشف لك ذلك لان التوكل يرد بالله وغيره أما كونه مراد الله فلان أصل الايمان بالله وأما كونه مرادا لغيره فبوجهين أحدهما واجب والآخر مستحب أما الواجب فالكف عن الاسباب المحظورة والمكروهة فقد يتمتن المحظورة وأما المستحب فالكف على الاجمال في الطلب والتفريغ القلب عن كل شاغل من الاكوان ولو لم يكن فيه الا عزالا نتماء الى الله وتعلق القلب به وهو المقصد الاسنى من بعثة الانبياء لكفى وقد ذهبت هذا ترك على هذين الوجهين تارك للاسباب وتبعه (وقد جعل هذه الاسباب التي يوثق بها في المسببات كما تكثر ولا يمكن احصاؤها وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (في) حقيقة (التوكل انه ترك التدبير) وأصل كل تدبير من رعونة وأصل كل رعونة من طول الامل وطول الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعني انك شاركت الربوبية في حب وصف العبد (وقال) أيضا (ان الله) عز وجل (خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه واحب) جعل (حجبهم تدبيرهم ولعله أراد به استعمال الاسباب البعيدة بالتكرر فهي التي تحتاج الى تدبير دون الاسباب الخلقية) وقال صاحب القوت بعد ان ذكر القولين ما نصه فقد ذكر قوله رحمه الله تعالى في ترك التدبير ويعني ان يعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك التصرف فيما أوجبه عليه وفرضه له كيف وهو يقول من طعن على تشكيك فقد طعن على التوحيد وقد كان له أرض يزرعها فكان يدبرها ثم رآى بعد في آخر أمره وفرق فقها انما يعني بترك التدبير ترك الاماني وقول لم كان هذا اذا وقع الامر وهم لا يكون كذا ولو كان كذا فيما لم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسنن العلم وذهاب عن هذا القدرة وشهادة الحكمة وعجز عن رؤية المشيئة وتوحيد الحكم ويعني بترك التدبير فيما بقي وما مضى بعد أي لان في مثل هذا يقول لا تشتغل بما لم تكن فيه بتدبيرك بعقلك وعلمك وقطعك عن حالك في الوقت الذي هو ألزم لك وأوجب عليك حتى تكون فيما مضى من الاحكام والتصريف في ترك التدبير والتقدير لها بزيادة أو نقصان أو نقلها من وقت الى غيره أو من عبد الى آخر بالتقديم والتاخير تكون في ذلك كما كنت فيما قد مضى فالاولى ان الانسان لا يدبر ما قد مضى فان فيه سعي أن يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير

فقد ظهر أن الأسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل بحد وحده وان التوكل وعلمه هو الاتكال على مسبب الاسباب مع التوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل وتكون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاثة مقامات *(الاول)* مقام الخواص وهو الذي يدور في الوادي (٤٨٠) بعير زاد نفقة فضل الله تعالى عنه في تموينه على الصبر أسوة بأولي العزم وتيسير حنيش له أو

ر كالملا فيه بمعنى ما ذكرنا كثيرا كه اياه فيما مضى فيستوي عنده الحالان لان الله أحكم الحاكمين وان تعدد منهم للاحكام والامر ليس عن مولاه بل الامر مع جهله بعواقب الامور ترك التدبير فيها لعلمه بان الذي هو خير له في يقين وبقين هو شهادة العبد بتحقيقه على الدوام فجعل تعالى قلب المؤمن مكانا لذلك تمكن فيه على قدر امكان ما يليق به فهذا تفسير قوله الذي كان يقوله ومقتضاه بامكنني كان ولم يكن ولا تكون فيه كنت اليوم فمت أمس أو لم تكن فيما أنت لا تكن تكن فيه اليوم كما كان وتقدم في التوحيد وقد كان يقول أيضا رضاه بما يجري هو ترك التدبير وهذا يعني ترك الاسباب التي توجب التدبير أو اخراج السبب الذي يحب تدبيره بأن يكون متعلق القلب بالاسباب وهو ترك تدبير هذا الامر في هذا الوضع كما هو اليوم وقيام الاحكام ووضع الاشياء مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الاشياء وهو عاقل مميز منعم عليه بالاحكام مع ما سبق له وانما يقول ترك الاشياء المدبرة وزهدي في الاسباب ضرورة حتى يسقط عني تدبيرها وسقوط أحكامها عني ولا استراحة لي مع قيامها وانما هو تفصيل جملة قوله رضي الله عنه في ترك التدبير وهذا هو حال الوكالة (فقد ظهر أن الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج والذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون) فالمقطوع به لا يخرج عن التوكل بحد وحده بل التوكل وعلمه هو الاتكال على مسبب الاسباب مع التوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا وتكون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات (الاول مقام) الخواص (منهم من أخذ (حنيش) رحمه الله تعالى (وما زاده) الذي تقدم ذكرهم (وهو الذي يدور في الوادي بعير زاد) فيحمله ويتكل عليه في (نفقته فضل الله تعالى عنه في تموينه على الصبر) على سوء (أسوة بأولي العزم) ومن (يوسف بن (حنيش له) من حيث لم يحتسب (ورزقه) من يد آدمي (و) ينه على الرضا بالمنوع لم تتسرع نفس في ذلك الى ما يحمل زاده) معه (فيما يقدر فيه أو بين يديه ويكون حوعا وذلك ممكن مع الزاد لانه يمكن فقده) وقد ذكر عليه من يقيم وحده في تقريره على هذه الحالة وقدم الحواس عنه في مقدمة كتاب الصبر (المقام الثاني أن يقعد في بيته ويتعبد) من مساجد المسلمين (وانكفى في الامصار وهذا وهو أضعف من الاول وليكنه أيضا متوكل لانه مدبر للمكسب والاسباب ظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب خفية مرزقه منها المقعود في الامصار ومتعرض لاسباب الرزق فان دلائل من الاسباب الخمسة) للرزق (لا يدل لا يخل في توكله اذا كان نظره الى الذي يتحرك سكان البلد لا الى سكان البلد الذين يتصور أن يعمل جميعهم عنه ويتبعوه) فلا يلتفتوا اليه (لولا فضل الله تعالى بتعريفهم) له (وتحريك دواعيهم) في الصدقة (المقام الثالث أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث من كتاب آداب المكسب) ويتعاش (وهذا لسعي لا يخرجه أيضا عن مقامات التوكل اذا لم يكن همة نفسه في كفايته وقوته وجاهه وصناعته فان ذلك رعونة وحماقة بل يكون نظره الى المكون الحق تعالى جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وصناعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى المقيم في ذلك الموضع) على المكاعد (فلا يكون نظره الى المقام لي في ذلك الموضع (انه هو الذي يحركه وانما يميل ويتحكم) فالمسخر في الحقيقة دون ذلك ويتور

فيه لا يخرجه أيضا عن مقامات التوكل اذا لم يكن همة نفسه في كفايته وقوته وجاهه وصناعته فان ذلك رعونة وحماقة بل يكون نظره الى المكون الحق تعالى جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وصناعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى المقيم في ذلك الموضع فلا يكون نظره الى المقام لي في ذلك الموضع انه هو الذي يحركه وانما يميل ويتحكم

وحينئذ (ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله) بان كان معيلا (أو يتصرف على المساكين) ان كان منفردا (فهو بيده مكتسب وقلبه عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته أو في مسجد أشار اليه الحارث المحاسبي في كتاب التوكل وسيأتي قريبا بعد عبارته (والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل ذا رؤيت فيه الشروط واتصاف به الحال والمعرفة كما سيوان) نبي صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر بن سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشاطرك أهلي وما لي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك وما لك دلوني على السوق فما رجع بربح شيئ من سمن واقط فما كان ليتكسب في الاسواق ينقص توكل بعد عبد الرحمن وهو مام لائمة ما ينقص توكله وتكسبه أحب اليه من شفقة على عياله وكره التعرض واختار الايثار فحم

وثبوتها ودوام استقامة أهله وورعهم ومقامات (وقال أبو جعفر) كذا في أصح وفي بعضها أبو حفص عمر بن مسلمة بن عمرو بن مسلم (الحداد) بمهملة فموحدة ثقيل نيسابوري (لا يعرف له أبو حفص لا غير (وهو شيخ الجنيد) في التصوف (رحمة الله عليهما وكان من أول من تكلم في التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم درهما ولا أبيت وعندي منه دانق ولا أستريح منه في ليلة إلى أن أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقف وأمر واحد منهم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال ومن علم كتوكل من اكتسب وأنفق ولم يسأل أو أبقى وادخر وأما بحصر الهم فهو أقوى في توكلهم بكثير بعد انتشار القوم بل الناضد صاروا هم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا لانشروحه كثيرة كما سبق فإن قلت حب الأفضل أن يقعد في بيته ويخرج ويكتسب قلت إن علم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب للفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تشرف نفسه الى الناس في انظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا لئلا يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فهو المقصود له أولى وإن كان اضطرب قلبه في البيت وتشرف الى الناس (فالكسب أولى لان) تشرف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب) وشواهد ما ذكره المصنف في

وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من أول من تكلم في التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم درهما ولا أبيت وعندي منه دانق ولا أستريح منه في ليلة إلى أن أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقف وأمر واحد منهم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال ومن علم كتوكل من اكتسب وأنفق ولم يسأل أو أبقى وادخر وأما بحصر الهم فهو أقوى في توكلهم بكثير بعد انتشار القوم بل الناضد صاروا هم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا لانشروحه كثيرة كما سبق فإن قلت حب الأفضل أن يقعد في بيته ويخرج ويكتسب قلت إن علم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب للفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تشرف نفسه الى الناس في انظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا لئلا يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فهو المقصود له أولى وإن كان اضطرب قلبه في البيت وتشرف الى الناس (فالكسب أولى لان) تشرف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب) وشواهد ما ذكره المصنف في

كلام القوم في القوت فان بعض المتوكلين من فقد الاسباب تضعف قوته وتكل وجوهها تمكن لقلبه من عدم العلم بالمعجله بالمفقود عن المكاسب لان فيه تصورا بعبرانه تعالى وقال بعض العلماء من طرقته فاقة سبعة أيام فتصور قلبه طمعا في خلق وتشوف الى عند فالسوف نقص من التوحيد وقال أبو سليمان لا أرى لاحد في عيال لزم القعود في البيت وقلبه معلق قرع الباب حتى يطرق بسبب وهو بعض عبادات القلوب في عدمه وجوده الاسباب وعدمه وكان فلسفة كلامه ما عندنا عدم يشعر ذلك عن ثقة ولم يتفرغ همه فيما المكاسب والعادة وولده أفضل لشغله بحاله وتزوده لغده وقد صح له مقام في التوكل وقال سهل ومن سأل من غير ضرورة فقد خرج من التوكل وقال اذا دخل عليه ضر في جسده او نقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلا بحاله ونظرا الى قيام الله عليه وقال الخواص في كتاب التوكل لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن المكاسب لأن يكون معلولا وقد اعتاد حمال عن المكاسب فاما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقم له عروف تحمل بعضهم ان الكف عن العمل أولى به والكسب أحل له وهذا القعود لا يصح ان لم يستغن عن الكاف عن أن يكون قد تكون الكفاية قاطعة من قلبه عن الكف الظاهر من جوارحه وأن تكون حاله قوية تحمله بالصبر والرضا لا بضعف الى تطلع وتشوف بقول العلوم هذا من كسبه بيدي أحل به أفضل له من طمعه في غيره الذي كره له بعد كله كلام الخواص وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور ولم يأت المريدون الامن جهتين من قلة تعدد واصابه الحق ومن ركون الاذعان الى الدنيا فدلوهم على علوم تفهمهم وصدق المريد في ايثار حمول ولزوم الباب وقرع القلب وحوف فوت الوصول والتوكل للكسب والتصرف في الامور اذا كان في ذلك كفاية واعين بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا أفضل وأتم من المكتسب اذا صرف بالاذن في المعيشة الا بمعصية الله تعالى من دخول في شبهة أو خدمة لاحوال لصبي ولانه قد تعذر القيام شرط القيام مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول الآفات والمفاسد في الاكتساب فترك مباشرة أهل الامور وعدتهم على هذا الوصف المذكور أقرب الى السلامة لمعده من رؤية الاسباب وفقد مباشرتها الا ان الحكم متعلق بالرؤية ومتى الحرام من المكروه الم ترتبط عمل حكمه وبين الحركة بنية ولا المجاورة كالمباشرة ولا الاستتار كالاظهار ولا المعاش كالمخبر والمكتسب بين فرض وقد يفترض باحد معنيين لوجود العيال مع عدم كفايتهم عن وجه من الوجوه أو بان يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع وقد ما يقوم به الفرض مما لا بد منه ولقد كان أبو معاذ رحمه الله يقول ترك المكاسب مع الحاجة بها كفر والمكتسب مع الاستغناء عنه كفاية وقال في موضع آخر من كتابه وبعض العارفين يعتقدون من لا معلوم له على من له معلوم هؤلاء يرون ترك التكسب أفضل والسكون عن الحركة أعلى لان ذلك معلوم وبعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم عليه والكل دائر على قلب مع غير معلوم واجتمع همه وقطع طمعه في حال المعدوم فهذا هو المقام وبعضهم الحقق ان حركة في طلب المعلوم المخصوص عقوبة فقد سكون القلب لي لرب كان ترك الحركة في تحمل الفرائض عقوبة سكون بعض الى خطوط الشهوات والعدول من القول في تفضيل ترك التكسب وفعله وفقد المعلوم ووجوده بعد لا بد فصل بفقد المعلوم ووجود بفقر ولا يشرف ما تقوم عن الحركة من غير تعد ولا علو ما تحرك الى الاسباب بغير اتحاد واعتوصف في ذلك بالفقر أولا بد لكن يتصل بحاله من معامله من زهد ورضا وصبر وتوكل وقناعة بخدمة أو اقامة تشغل متصل مسدد معامله فيهذه المعاني يقع التفضيل عند العلماء فان كان ذو المعلوم والتصرف أحسن معرفة وأقوى يقينا فضل على من لا معلوم له ممن نقصت معرفته ولا يكون سكون القلب وطمأنينة النفس أبدا مع وجود المعلوم عليه في الحال دائبا القيام وصحة القصد وحسن التصرف والعقد ولكن لا يكون مقاما يرفع به ولا حالا يفضل به عند طائفة من العارفين الآن اطمع في الخلق وتشبث بقلب مع وجود معلوم أو الكفاية بقضاء عند سكون وقطع الطمع في الخلق وقد الشرف الى معاشرتهم وألوفهم وجتماع القلب مع العدم وفقد المعلوم أفضل وأعلى عند الجماعة مما سكون القلب واجتماع انهم

وقد الاستشراف الى الخلق مع اتصال وثبوت الاحكام بهو فصل وشرف وهذا ان لاقوياء وطريق لانبياء اتفقوا على ذلك وأما صوفية فلم يفرقوا لهم مع وجود تعيل فان كان لاحلهم والقيام بحكم الله فيهم فلا بأس به وقد يؤجر عليه وأما شتان بهم وتعرف القلب وحده لاهتمام في حال الوحشة للمجرد فيحتاج من الرعاية موفور وصاحبه فيه غير معذور وقد يكون مأزورا وهذه النصوص كلها شوهد سيء المصنف ثم قال (وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم) لان فيه طمعا في غير مطمع وتعلقا بغير الله تعالى وتبديلا للسنن من غير أن يأمر به وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسألة والاستشراف في الحديث بها للفقراء وردا لهم الله عز وجل والمسلمون منهم جعل لهم هذا العطاء ولو الى وصوله عوضا لهم عنها كما جعل للاشراف حق الحمى من انعام الصدقة تشبيها لهم وتعطيلا وقد (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (قد أمر) صاحبه (أبا بكر المروزي) لما قدم الى مرو المروزي مدينة خراسان والسنة على الاختصار (أن يعطي بعض الفقراء ثوبا أفضل مما كان استأجره عليه) فاعطاه (فرده) ولم يأخذه (فالما ولي) وتغير ظهره ومشى (قال له أحمد الحقه فاعطه فانه يقبل) لانه (فلحقه فاعطاه فأخذه فسأل) أحمد عن ذلك فقال (كنت قد استشرفت نفسه) المروزي (أحمد عن ذلك) أي كيف رد في الاول وأخذ في الثاني (فقال) انه (كان قد استشرفت نفسه لذلك (فرد وكان قد أحسن) فساح وصبره (القطع طمعه وأيس فأخذ) لذلك كذا في القوت والعارفين في ذلك أحوال متفاوتة فقد كان بعضهم من المتوكلين كذلك اذا سمع بسبب تطلع اليه ورده وبعضهم من كان يأخذ فيحرجه ولا يتبذل نفسه عقوبة لها (وكان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى (اذا نظر الى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيأ) هكذا في صاحب القوت قال رحمه الله شم عن رجل دفع اليه دينارا فأبى وهو لا يعرفه فقيل له كان المعطي أي حوله جماعة من الفقراء فسأل عنه فقيل ابراهيم الخواص فلما رآه تبعه لاجر وكان قد بعد العشرة له فلم يقبل وقال صوفي لا يكون تحرير (وقال الخواص) رحمه الله تعالى (بعد ان سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره) وكان كثير الاسفار في البوادي (رأيت الخضر وصحبني وأردت أن أسكن بعسقلان فقال لي توكل) فكان لقيه للخضر امتحانا له من الله تعالى له في دعوى مقام التوكل وذلك والا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال قوته وهذا القول أخرجه القشيري في رسالته قال وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن أحمد يقول سمعت أبا الشيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اختار ابراهيم الخواص فقلت له حدثنا بأعجب ما رأيت في سفرك فقال لقيني الخضر فسألني أن أصحبه فأبيت أن أفعل فقال لي توكل فسكوني اليه طاعة له (واذا اكتسب اذا على آداب الكسب وشروطه كما سبق في كتاب) الكسب (والمعاش (ولم يقصد به الاستكثار) والادخار (ولم يكن عتاده على صنعته وكفايته كان متوكلا) قال الخواص دخول الآفات وسببها كلها القصور عن التوكل وحقيقة هو أن يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلا على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى بهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلا على صحة جسمه ودوام قوته وانه لا يرزق الا من كده أو يكون متوكلا على ماله بأن يثق به أو على عمله من تجارة وصنعة وحسبانه انه ان افتقر فصنعه ورقه أو يكون متوكلا على جاهه ومعرفته عند الناس أو على دنانه وانه معروف بالصلاح أو على انه لا يرزق الا من أجل تقواه ونحوه بأن يتوكل على علمه وما يعرف الناس من حسن عهده الى غير ذلك من كل متوكل وقد يخفى دقائقه وقد يخفى جملتها وهو يقع الوهم من وقت به انه من الوكلين على الوكل والناظرين الى القريب الكفيل وانما يعقل ذلك جهابذة العلماء الراسخون وبصائرة الصادقين الزاهدون المتصفون بالعلم المورثون به يقين القائمون على الدوام بمشاهدة لما يكون عن مألوف النفس والعادة فمن نظر الى هذه المعاني من الاسباب والاشخاص أو سكن اليها سكون نفس فيقوى قلبه بوجودها وبه يضطرب ويستوحش أو يضعف قلبه بعدمها وذلك كله علة في توكله (فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت

وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء ثوبا أفضل مما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له أحمد الحقه وأعطه فانه يقبل فلحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كنت قد استشرفت نفسه فرد فساح وصبر لقطع طمعه وأيس فأخذ وكان الخواص رحمه الله اذا نظر الى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيأ وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الخضر وصحبني وأردت أن أسكن بعسقلان فقال لي توكل فكان سكوني اليه طاعة له واذا اكتسب اذا على آداب الكسب وشروطه كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته أنه ان سرقت

ضاعته أو خسرت تجارته أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به ولم تطل همته بل كان حاله قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شئ لم يضطرب بفقده ومن اضطرب افتقد شيئا فقد سكن

(ولم تعظم مصيبته بل كان حاله قبله وبعده واحدا) على السواء (فان من لم يسكن الى شئ) يسكن (لم يضطرب بفقده ومن اضطرب افتقد شيئا فقد سكن اليه) وأنس به وبه يشير قول شاعر

ومن سره ان لا يحد ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

أى لا يسكن الى شئ هو بفقده مضطرب قلبه بفقده (وكان بشر) بن الحرث الحافى رحمه الله تعالى يتكلم فى الحلال ويشدد فيه فقيل له بأى شئ نستدل على أن الاكل من حيث تأكل وتسكن نفس من يأكل وهو يبكى كيف يأكل وهو يفصل وقال مرة ولكن يدل أقصر من يد وقسمة أقصر من اقدم وكان رحمه الله تعالى (يعمل المغازل) يتكسب بها (ويتركها) أى يعملها وفى نسخة وتركها أى المغازل (وذلك) أى كان سبب تركه (لان الله تعالى) هكذا فى النسخ وفى نسخة ما يعنى المحمدى وفى أخرى بياض ولم تحصل لى وجه الصواب فيه والى أى شئ يشير ولا عرفت هذا الرجل (كان قد قال ما سعت عينى ورقا بالمغزل) أى اصنعها وبيعها (أرأيت ان الله تعالى سهل لى الرزق على من دونى) وفى نسخة وفر (سلك فى قلبه) شاهده قوله (فاخرج آلة المغازل من يده وتركها) وترك بكسر الكاف فى الفوت وفتحها فى الهدى كان قد شرع له طريق ما كله بعد الطريق الاول (وقيل) ان (فعل ذلك لما مات عياله) أى زوجته وأولاده وهم كان اصلح له التكسب الا لاجلهم (كما كان لسفيان) الثورى رحمه الله تعالى (حسون دينار يتحرز فيها فمات عياله فرمى بها) وسمى الفوت وقد كان للثورى حسون دينار يتحرز فيها ثم اتخذها فى آخر عمره فرمى بها على احواله وترك التكسب ويقال انه فعل ذلك لما مات عياله وكان قد تبع بعدهم وحيدا وقال زوجت سليمان كان سليمان عندى أتم ثم درهم اصناعه فكنت أصنع له كل يوم هذا الدرهم فيها هو اصنع (وهو انتهى وقد تقدم عن سهل أن صناعته كان له أرض يزرعها ثم آخر عمره ما عاد وقدر على عيالها على المساكين (فان قلت كيف يتصور أن يكون له صناعة وهو لا يتكسب بها وهو يعلم أن التكسب غير صناعة لا يمكن) والجواب عن ذلك سهل لانا نقول يتكسب على تصحيح يتكسب ما يظهر ويكون بباطن فالذى خرج عن التوكل هو سكون النفس الباطن فلعله مما اعتقد به مفوض له أمره معتقد عليه فلا يخرج به عن التوكل وقد مر به المصنف فقال (فلا تقول بان بعض الذين يزرعهم الله تعالى بغير) وفى نسخة من غير (صناعة منهم كثرة وبان الذين كثرت صناعتهم قصرت وهلكت فيهم كثرة وبان توطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سبب الفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وعنايته ان يموت جوعا ويبقى أن يعتقد ان يموت جوعا خير له فى الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته وهذا

(فى عقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها وبقى الخيران العبد لم يزل من أمور اختيارية فلعله لكان فيه هلاكه فيه عز اسمه تعالى الذى من قوى عزته قصر عباده عن ادراك ما خفى من سعة علمه وما ظهر لادراك رحمه الله تعالى

الاعتماد على الله من غير تقصير من جهته وهذا

هذا من عندي وما أصابك فبنفسك وأنا قضيت له وأدخلته النار فيصح قيل بطلان تحيزه من سقي هكذا رواه من حديث ابن عباس وقد رواه أيضا ابن مسعود موقوفا عليه وروى الطبراني من حديث ابن عباس أن الرجل ليطلب الحاجة فيرد الله عنه أما هو خير له فينهم الناس ظن السوء فيقول من حيقي (ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا وفي لا أدري أيهما خير لي) فهذا إشارة إلى أن العبد على كل حال جاهل لا يدري ما في حوله ولو علم ما قدر له من خير أو شر بعد موته وخيره مقدر للأشياء خبير بخبايا العيوب مطلع على حقائق الأحوال وقد روي نحو هذا القول عن عبد الله بن مسعود رواه الطبراني من طريق علي بن سعيد عن قيس بن سعد عنه قال لأحدهم أكره وهو أن يقول وددت أني بعت هذا الثوب بكذا وكان لي فيه الضعف وإن كان الفقر أحب إليه من الغنى وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (ومن لم يتكامل فيه هذه الأمور لم يتصور منه التوكل) وبه يعرف أن التوكل لا يختص بترك الأسباب وترك الاكتساب بل هو أرباب الإيمان والعلوم والمعارف والأحوال (ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري) رحمه الله عنهما (إني أحبك يا أحمد) (لمي من كل مقام صعب الأمر هذا التوكل تارك في ما شممت منه رائحة) ولعما نقشيري يا أحمد (هو الذي آخره كثيرة وشغلك وقد كان منه الأمر التوكل التارك في ما شممت منه رائحة النفس وبعد القوت وكان سهل يقول لي في السماع أعز من التوكل وقد دعت الأنبياء بحقيقته وبقي منها صبابة استنعها الصديقون وبعض الشهداء من تعلق شيء منه فهو صديق أو شهيد وقال أبو سليمان الداراني في كل المقامات في قدم الأهدا وكل التارك تحاسبه لا شم الريح (هذا مع علو قدره) في مقام التوكل وغيره من المقامات (ومن لم يتكامل فيه من هذه المقامات المكاسب ولكنه قال ما أدركه ولعله أراد بالدراك أقصاه) وفيه دلالة على كمال فهم سهل وإدراكه على عظم ما وصل إليه من المقامات وعلاء مدى هو الحوض والتسليم لم يتكلم فيه عما حققه أو قد يعجز عنه نفسه فتصرها في إلهي عن المقامات وما نادى وتبرأ من حوله وقوته وهو الذي تحاله وكمال معرفته (ومن لم يكمل فيه هذا لا على الله ولا الرزق سواء وإن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يختاره لنفسه بعدم كمال حال التوكل فيما هو التوكل على قوة الأسباب وهذه الأمور كالمساكين) في التوحيد فمن قوى توكله (وكذا سائر مقامات الدين من الأحوال والأعمال تبنى على أصول هي من الإيمان وما لم له التوكل مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى (من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد) ومعه القوت وقد كان أبو حامد يقول من أنكر التكسب فقد طعن في السنة ومن أنكر التوكل فقد طعن في التوحيد وقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث وهم يصفون بهم الحرث والقاعدون من يسأل فعدل الحارث ولم يقل القاعد اكتسب ولا هي السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعلى ولكن بالإيمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في الشدائد يفعل كل واحد بعمله في حاله انتهى وأورده القشيري في رسالته بعبارة أتم قال سهل التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والتكسب سنته والجنة بضعة أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت أبا الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان انتهى والمراد بحاله صلى الله عليه وسلم في القول الأول أن يكون السابق لقلب العبد في تحصيل مقصوده على الله وسنته أن يكون السابق لقلب العبد في جزئي الحال هو الكون في تحصيله مقصوده اعتماده على الكسب والتحصيل حيث إنه سنة الله ورسوله جريا على ما هو العادة في ربط مسببات بالأسباب مع اعتقاده أن الله هو الله تعالى وحده لا هذه الأسباب والمراد بالحركة في القول الثاني الكسب والمراد بالطعن في السنة الإنكار عما جرت بذلك سنة الله في الخلق والحض على النوع والتحسين وحمل الزاد في الأسفار وقد قال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية والمراد بالطعن في التوكل أن يقول إن المقدر تحصيل طعم الله وبعض غيره وكونه طعمه

ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل فيه هذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد ابن أبي الحواري لي من كل مقام صعب الأمن هذا التوكل التارك في ما شممت منه رائحة كالنفس مع جهدها وقوتها ولم ينكر كونه من المقامات المكاسبة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد بالدراك أقصاه ومن لم يكمل فيه الإيمان بأن لا على الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يختاره لنفسه بعدم كمال حال التوكل فيما هو التوكل على قوة الأسباب وهذه الأمور كالمساكين في التوحيد فمن قوى توكله

فان قلت فهل من دواء ينفع به فى صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى فى تيسير الاسباب الخفية فاعلم أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يعنى ان الشيطان يخوفك بالفقر ويأمرك بالبخل والله يعدك بالمغفرة والرزق والفضل والله واسع بفضله عليم بمن يستحق ذلك فقيل لشقيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكاسبين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية قال رويم من رزق شيئا من الاسباب الخفية أبطل توكله وقال بعضهم حكى عن بعضهم أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه فجعل يعيد عليه فلما طال عليه قال له الامام فهذا رجل يهودى فى جوار المسجد قد قضى له كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فهو فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصرخى عيد صلاتى حتى أعيد صلاتى فقال له الامام لا أصلى خلف من شك فى قسمة الله تعالى (ويدفع فى حسن الظن بالله تعالى ما يروى من قصص الله تعالى لموسى عليه السلام (حكمة ن) تشير الى حاله صلى الله عليه وسلم قبل وقوفه بين يدى الله تعالى لتلقى الوحى من تكوثله من ذهب من الجنة واعدت ثم لمن أمثال لى سخيرا الحق لك فى حالة الطلوع على ذلك بعد الوقوع فى ذلك فى أول أمرك فى الكفاية والاستخبار وقد يصدك عن ذلك الاستحياء من تدبيرك وحولك وقوتك وقد كانت قبل ذلك لا تدبر بها ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم تكرر على سمعك مرارا ورد من الاخبار والآثار والآيات (تسمع الحكايات) الموجبة للتوكل والمشعرة الى الله تعالى لله له على كل أحواله (التى فيها عجائب صنع الله تعالى) فهم وسعة قدره وعلمه (فى وصول الرزق الى صاحبه) بواسطة

فى الاسباب والتوحيد حيث أشرك معه تعالى فى بعض عبيده قال صاحب الغوث وأخبرنى أبو موسى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سأل رجل شخصا من عوام أهل متعبدون بالكسب أو يتوكل فقال التوكل حال الرسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الكسب سنته وعوام أهل الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فأباح لهم طلب المعاش بالمكاسب الذى هو سنته ولولا ذلك لهلكوا ومات عيالهم فكان يقول لنفس التوكل لزوم الكسب ولا تركه اذ التوكل حالة شريفة فى القلب لى انتهى وقد أفتى بعضهم بسوء الظن لا تسعوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله سكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال بعض فى التوكل وقد ضعف فى الاسباب لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل وقد أحب الله (قلت قول من دواء ينفع به فى صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله فى تيسير الاسباب الخفية قول عرفوا ان تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (فقيل لشقيق بسوء الظن مولع) أى لما ورد ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم (واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكاسبين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن) بالله (وبطل التوكل بالكلية قال رويم من رزق شيئا من الاسباب الخفية أبطل توكله) أى لان التوكل (وقال بعضهم حكى عن بعضهم أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه فجعل يعيد عليه فلما طال عليه قال له الامام فهذا رجل يهودى فى جوار المسجد قد قضى له كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فهو فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصرخى عيد صلاتى حتى أعيد صلاتى فقال لا أصلى خلف من شك فى قسمة الله تعالى (ويدفع فى حسن الظن بالله تعالى ما يروى من قصص الله تعالى لموسى عليه السلام (حكمة ن) تشير الى حاله صلى الله عليه وسلم قبل وقوفه بين يدى الله تعالى لتلقى الوحى من تكوثله من ذهب من الجنة واعدت ثم لمن أمثال لى سخيرا الحق لك فى حالة الطلوع على ذلك بعد الوقوع فى ذلك فى أول أمرك فى الكفاية والاستخبار وقد يصدك عن ذلك الاستحياء من تدبيرك وحولك وقوتك وقد كانت قبل ذلك لا تدبر بها ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم تكرر على سمعك مرارا ورد من الاخبار والآثار والآيات (تسمع الحكايات) الموجبة للتوكل والمشعرة الى الله تعالى لله له على كل أحواله (التى فيها عجائب صنع الله تعالى) فهم وسعة قدره وعلمه (فى وصول الرزق الى صاحبه) بواسطة

وفيها عجائب قهر الله تعالى في اهلاك أموال عاد وهلاك عاد بريح صرصر عاتية وقد كان خدم ابراهيم بن أدهم فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيت في طريق مكة أياما لم أجد طعاما ثم وجدت كوفية فبعتها

ابراهيم وقال باحذيفة أرى لك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال عسى سورة وفرطاس فحرجت فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بيده في كل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب شعرا

أنا عبد أنت ذاكرنا
أنا جائع أنت ترزقنا
هي سنة وأنا نصومها
فكن الضمين لنصفها
يا باري
مدحي لغيرك لهب نار
خصتها
وخروجك من دخول
النار بيده ثم دفع الى الرقعة
فقال خرج ولا تعلق
قلبك بغير الله تعالى وادفع
الرقعة الى أول من لقيك
فخرجت فاول من لقيني
كان رجلا على بغلة
فناولته الرقعة فاخذها
فقبلها ووقف على بكى
وقال ما نص صاحب هذه
الرقعة فقلت هو في
المسجد الفلاني فدفع
الى صرة فيها ستمائة
دينار ثم غبت رجلا آخر
فسألته عن راكب
البغلة فقال هذا نصراني
فجئت الى ابراهيم
وأخبرته بالقصة فقال لا تبرحها فما كان بعد ساعة حتى جاء النصراني فاكب على رأس ابراهيم يقبله

فقطعه الى الله تعالى (وفيها عجائب قهر الله في اهلاك أموال عاد وهلاكهم جوعا كما روى عن حذيفة) بن قتادة (المرعشي) شيخ هيرة بصري (وقد كان خدم ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فقال له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيت) معه (في طريق مكة أياما لم نجد طعاما) فيه (ثم وجدت كوفية فبعتها) فيه (واشتريت بثمنها سويقا) فيه (ثم رجعت كوفة وأويت الى مسجد خراب فصرت الى ابراهيم وقلت يا حذيفة أرى لك) أثر (الجوع فعلت هو ما رأى الشيخ فقال لي) أي حتى (عسى سورة وفرطاس فخرجت فكتبت) في ظهره من مايحق مقام التوكل مع تعاطي الاسباب وهو (بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود به في كل حال والمشار اليه بكل معنى) كما يأتي

وصوى بدخولهم جوعا * وأنت بمدحهم مرادي

(وكتب شعرا) ما نصه * (أنا عبد أنت ذاكرنا أنا ذاكر) * وهذا ثلاثة مما أمر العبد بها (أنا جائع أنت ترزقنا أنا جائع) أي عطشان (باري) وهذا ثلاثة مما يختص اليه سبحانه وتعالى به (هي سنة وأنا نصومها) وهي الرابعة (فكن الضمين لنصفها) أي فرياضتي وتعبي كن مستمرا على صيامها والا فهو تعالى قد ضمن لهم ذلك أي أنا فعلت ما أمرتني به فتفضل علي بكمال صنعته * (مدحي لغيرك لهب نار) كائنه (في ثوب) وفي نسخة وهج نار (خصتها) أي دخولها (خروجك من دخول النار) أي من مدح غيرك (ثم دفع الى الرقعة) المكتوبة (فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يقبل) فلا يكون لك اختيار في شخص دون آخر (فقال فخرجت فاول من قبلني رجل كان على بغلة فناولته الرقعة فاخذها وقبلها ووقف عليها) وقرأها (ثم وقال ما نص صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع لي) لاجرة (صرة فيها ستمائة دينار) وفي نسخة درهم (ثم غبت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال) لي (هذا) وفي نسخة هو (نصراني فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تبرحها) أي الصرة (فانه يجي والساعة فلما كان بعد ساعة دخل) واقفا لزمانه وفي (النصراني وأكب على رأس ابراهيم) يقبله (وأسلم) على يديه بحركة ووجه على اربعة التي كتبها ابراهيم ورأس هذا العدد الذي هي سبعة تحدث لحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد الباهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدم ابراهيم ابن أدهم وصحبه يقبل له ما أعجب ما رأيت منه وقد ذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بن أدهم في طريق الكوفة فكان يغني ويدرس ويصلي على كل حين وكنت في قلبي بيت نباته فدخلنا الكوفة وأويت الى مسجد خراب فصرت الى ابراهيم بن أدهم فقال يا حذيفة أرى لك الجوع فقلت ما رأى الشيخ فقال عسى سورة وفرطاس فخرجت فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود به في كل حال والمشار اليه بكل معنى

أنا عبد أنا ذاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنت ترزقنا أنا جائع
هي سنة وأنا نصومها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك مع نار خصتها * خروجك من دخول النار

ودفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق سرك بغير الله وادفعها لأول من تلقاه فخرجت فاستقبلني رجل راكب على بغلة فاعطيته الرقعة فقرأها وبكى وقال أين صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني فخرج من ركبه صرة فناولنيها فسألت عنه فقيل هو نصراني فجئت الى ابراهيم وأخبرته فقال لا تبرحها فانه يجي الساعة فما كان بأسرع أن جاء النصراني فاكب على رأس ابراهيم فقبله فسلم وصار صاحبا لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى (وقال أبو يعقوب) يوسف بن دينار (الصوري الاصل) ويعرف بالسوسي (حججت مرة بالحرم عشرة أيام ولم يحصل معي) شيء من الحوائج (فبقيت يومي بالحرم)

وأسلم وقال أبو يعقوب الاصل الصوري حججت مرة بالحرم عشرة أيام ولم يحصل معي شيء من الحوائج

لطلب شئ آكله (فخرجت الى الوادى لعلى أجد شيأ يمكن تناوله) وفى نسخة فعى (فرأيت سلحفاة) هى دابة (مطروحة) على الارض (فأخذتها فوجدت فى بطنها بيضا كثيرا فأكلت) منه (وأقمت) هناك (ثلاثة أيام) وفى نسخة فجعلت (ثم رحل عنى) أى ارتحل (وأقمت) أنا (بعده) أى بعد رحيله (عشرة أيام) وفى نسخة فأقمت بعده عشرة أيام (ثم رحل عنى رجل) (من بنى عجل) قبيلة (فأقمت

من الدراهم وهذه حكاية أيضا أوردها القشيري في الرسالة (وحكى) أيضا (ان بنانا) الماذكور رحمه الله تعالى (احتاج الى جارية تخدمه فبسط الى خوانه) في تحصيلها له (فجعلوا له عليها وقالوا هودا) فيها احضره عندك وحيث (تجيء القمر) الذين يبيعون الجوري (فتشتري) لك (مايوافق) عرضك (فصادر القمر) عليها (اجتمع رأيهم على واحدة) منهن (وقالوا لها اصنعي له كذا وكذا) فقالت لهم اما هو ليست للبيع فاحتالوا عليه) في تحصيلها (فقال لها هذه الجارية احل لك) هذه (فتقدمت) صبيحة ذلك اليوم (الى بنان) فقالت له (هذه) جارية (قد وهبت لك) فقال لها

وانطالب المردود اذا تعلم القرآن افتقر في الحق وازدحم فيهم وطمع في الفقر وتكبره بعزة محمد كشف المرادين والمردودين وهي على الموقنين وفقر للعامين (وقال أبو حرة الحراني) مشهور كنيته يسكن في قرية جبيد مات سنة ٢١٠ (جمعت سنة من السنين) على قدم التجريد والتوكل (فبينما أنا مشى في الطريق ذو جعلت في نفر) عليه (فسرعني مني ان أسمعت) بحد (فقلت لاوالله لا أسمعت) أو بحد للحس (قد استمعت هذا الحاضر حتى مر برأس البئر وحلان فقال أحدهما للآخر) وفي أسمع حد نهما (تعالى فلان حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فوا) كذا في نسخ وكذا هو في الرسالة والأولى وتبا ويحتمل أن يكون معهما غيرهما كالخدم فهما (فقلت) في نفسي (ويرية) أي حفيرة (وطموا) أي سدوا رأس البئر (فهممت ان أصيح) من داخل البئر فيسمعوا صوتي فيحرجوني منها (فقلت في نفسي لئن صيح هو أقرب منهما) وفي نسخة صيح أي من هو أقرب منهما (وسكت) أي حصل لي سكوت والاطمئنان او في نسخة سكت (فلم أتعد ساعة) وقد مر الرجلان (اذا أنا بشيء جاء وكشف رأس البئر وأدلى رجله فيها (وكأنه يقول تعلق بي فتعلقت به) أي صوت خفي (له كيف أعرف ذلك منه) أي فهمت منه بقول تعلق بي (فتعلقت به فاخرجني وذاهو سبع) فحمره تعالى (ثم) أي صار لي (هاتف يهتف) يقال (يا أجرة الحس هذا أحسن) من تخلصت من شر (ان تجعل من التلف) أي من الهلاك (ناعما) أي آمنا (شبيبا وآنوبا)

(ثم اني حياني منك ان أكتم الهوى ✽ وأعميتني بالعهم منك عن الكشف
تلاطفت في أمري فابديت شاهدي ✽ الى غائبي والطف يدرك باللطف)

أي تلطيف منك حضر الي الغائب عني

(تراءيت لي يا عيب حتى كأنما ✽ تبشرني يا عيب اني في الكف
أراءيتني من هيبتي لك وحشة ✽ فتؤنسني يا لطف منك بالعطف
وتحيي محبا أنت في الحب حتفه ✽ وذا عجب كون الحياة مع الحتف)

وهذا لا يعيش مع مولاه حتى يخلو عن أغراض نفسه وهواه وأعراضه من حوله لا بد ان الله تعالى يرى العبد من عجائب قدرته وأسرار صنعه ما يحيره عن فكره وكشفه ومن هذه الحكاية ما سيأتي ذكره وكل ما ورد له تعلق بهذه الحكاية فهو لحرزته والمسكين به وقد كان قادرا على ان يحميه عن الوقوع في البئر بطريق خفي لو كره وانما لم يصح في البئر حتى سد رأسه مع انه كان متمكنا من رفعه عن رأسه بلا كلفة لما فيه من تعريض نفسه للتلف وهذه الحكاية مع ما يأتي أوردها المشتري في رسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قال أبو حرة الحراني جمعت سنة أنفاسي فيها وقد تعرض لمكروه في نفر فدخل في حرة كما ذكرنا عن أصوليه عامة وقالوا ان ما في حرة لا يجوز شرعا وقد أجاب عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الأجوبة المرضية بما قدمناه في مقدمة كتاب العلم شيء من ذلك وحاصله انه لا يبعد ان يكون في الاعتراض على أبي حرة ما يصدر منه ذلك الاعداد معجزة أو كرامة كما لا يخفى على من له أدنى فطانة هذا وحكاية عبد الله بن سعد الذي ورد في سيره تقتضي في حرة كلامه وبوابه كان حصل بهذا المكروه الذي أبي حرة بعضهم نفعه بما لم أكره عليه قال والواجب كل محب ممن يكره ويعترض على من يراه من الأولياء فيما يجريه الحق تعالى من أفعاله لا يرى في ذلك وسكوت لأمر هو أشغل عليه ممن أعمل من حيث وقع في حرة شاهد عصم في الشرع وهو ما وقع لسيدنا ابراهيم عليه السلام من أتى في النار وحفظ جبريل عليه السلام فقال أما إليك فلا وقد قال ولا بد من يحيث فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فهل كان هذا من ابراهيم عليه السلام لأمن كمال يقينه وعلمه بالله عن حسه حتى لم يشهد غير الحق جل جلاله (وأما قوى لا يغلب به واعلم

وتحيي محبا أنت في الحب حتفه ✽ وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وأمثال هذه الوقائع كما يكثر واذا قوى الايمان به وانضم

لأستعيت فيه ستمت
هذا الحاضر حتى مر
برأس البئر وحلان
فقال أحدهما للآخر
تعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه
أحد فوثبا عليه وطاريه
وطموا رأس البئر
فهممت ان أصيح فقلت
في نفسي الى من أصيح
هو أقرب منهما وسكت
فلم أتعد ساعة
أذا بشيء جاء وكشف عن
رأس البئر وأدلى رجله
وكأنه يقول تعلق بي فيما
فهمته فكنت أعرف
ذلك فتعلقت به فأخرجني
وذا هو سبع فرو هتف
بي هاتف يا أجرة الحس
هذا أحسن حيث من
التلف بالتلف فشبت
وأنا أقول
ثم اني حياني منك أن
أكتم الهوى
وأعميتني بالعهم منك
عن الكشف
تلطفت في أمري فابديت
شاهدي
الى غائبي واللطف يدرك
باللطف
تراءيت لي يا عيب حتى
كأنما
تبشرني يا عيب أنت في
الكف
أراءيتني من هيبتي لك
وحشة
فتؤنسني يا لطف منك
بالعطف

قدرته على الجوع بدرهم أو ما يشتريه (من غير تضييق صدر) بل لا مرارة به نفس (وهوى الايمان بانه لم يبق ما يدرء به في الجوع عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه) وصف (المتوكل هذه الاحوال والمشاهدات والافلا يتم أصلا) والله الموفق

(بيان توكل العيال)

اعلم أن صاحب العيال من لزمه حفظ ولد (أعني) هذا الذي تعالى (بمن هو عيال له كمعيد رزق المجرد) المتجرد (لا فرق) الا (ورد (لا يصح توكله لامرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير اشراف) أي تطلع (و) من غير (تضييق صدر) منه (و) الآخر أنه من لا يمكن أن يكون هكذا من جملتها (من يطيب نفسه بموت) ولده (جوعا) منه (لم يتوقع له رزقا) ولا يتوقع الموت بالجوع وهو وان كان قصير الدنيا فهو زيادة في الآخرة (في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين) له (وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيا بقضاء الله تعالى وقدره فهذا لا يكون متوكلا للمجرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أي يقر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق معجل على يد من يسببه ولا يمكن أن يقر عندهم الايمان بالتوحيد وبأن الموت على الجوع يزيل عنهم جميع ما يتقون فقدانه وكذلك سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكن في حقهم التوكل الذي هو المقام الذي ذكر الصديق رضي الله عنه أن المخرج للكسب هو ما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا في حقهم وهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم لان التحقيق

(فصل) وقد قدرنا فيما سبق ان من عنده قوت يوم أو أكثر فهو في سعة من الجوع ما لم يتضيق صدره وهي الحالة التي يعبر عنها في أسبوع أو قوت جبره عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم التوكل هو الاخوة بشواهدها وعلاماتها أصلا * (بيان توكل المعيل) * اعلم أن من له عيال فحكمه حكم المجرد لان المجرد لا يصح توكله لامرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير اشراف وتضييق نفس والآخر أنه من لا يمكن أن يكون هكذا من جملتها من يطيب نفسه بموت ولده جوعا منه لم يتوقع له رزقا ولا يتوقع الموت بالجوع وهو وان كان قصير الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيا بقضاء الله وقدره فهذا لا يكون متوكلا للمجرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أي يقر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق معجل على يد من يسببه ولا يمكن أن يقر عندهم الايمان بالتوحيد وبأن الموت على الجوع يزيل عنهم جميع ما يتقون فقدانه وكذلك سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكن في حقهم التوكل الذي هو المقام الذي ذكر الصديق رضي الله عنه أن المخرج للكسب هو ما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا في حقهم وهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم لان التحقيق

حسنة

له أن يصبر الا أن تسمح نفسه بالصبر على الجوع مدة فان كان لا تطيب نفسه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روى ان ثابتا البناني حلف على صبي ليصومن يوما فصام حتى المساء فقال له لا تصم فان لك أما رحيمة فقال لا أعصي أمرها أي لا تصوف الزم السوق أي لا تصوف الصمع توكل ولا يصح توكل الا من يرى الطعام كالتراب ومن قال أبو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد

خمسة أيام أو أقل أو أكثر ولا يعرفون شيئا من الحرف والصنائع ولا يقدرون على الكسب فتوكله فيما يصبر عليه كتوكله في عياله وأما في شيء واحد وهو أن تكليفه نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله) الا ترى ان حقيقة التوكل ليس إلا الاعتماد على سبب الرزق (وهذا الكشف للمتأمل من هذا الباب أن التوكل ليس بقطع عن الاسباب) كما يليق بتمام (بل الاعتماد على سبب الرزق مع الاصرار على الجوع عمدة والرضا بالموت بالجوع زادا وملازمة البوادي لئلا يطلع على الجوع حتى يجري مجراه فهذه كلها أسباب لقطع الطمع لكن مع نوع من الأذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه (٤٩٣) لا صبر ولا توكل في مصر أقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا أن الناس عدلوا الى أسباب أظهر منه فلم يعدوا ذلك سببا وذلك لضعف صبرهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لاجل الآخرة وسهولة الصبر على الجوع لهم بسبب قصر الامل وطول الامل ومن يسر في ملكوت السموات والارض ولم يكشف له حقيقة ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أقرب الى نفس كان عاجزا عن الاضطراب كيف يوصل سرته بالام حتى تتهيأ له تغذية الام عند الولادة بواسطة السرة ولم يكن ذلك تحيلا على سبب الرزق بل شفقة على الام لتشكفل به شفقة الام على الصبي بل هذا أصل راسخ من الله تعالى بهيأ شغل في قلوبهما من الحب ثم لم يكن له من يقنع به ولا له فرصة من الوقت يتخلى فيها للاكل فيجوع ولا يحتمل العبد ذلك لضعف قدرته فكان هذا تحيلا على الام بحيث يوافقه العبد لا الكشف أنه سبب واطلع وهو أحد الاسباب المضعفة جدا لكن يسر الله تعالى به شغل في قلوبهما من الحب ثم لم يكن له من يقنع به ولا له فرصة من الوقت فكان لا يحتمل العبد ذلك لضعف قدرته فكان هذا تحيلا على الام بحيث يوافقه العبد لا الكشف أنه سبب واطلع وهو أحد الاسباب المضعفة جدا لكن يسر الله تعالى به

بعد البلوغ جهل محض

ها بياض بالاصل

لانه ما نقصت أسباب معيشته عن ذي قبل (لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر) وقد كان المشفق عليه واحدا وهي الام أو الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة أو مرتين وكان اهتمامه بسياسة الله تعالى الحي الذي لا يموت وشفقته على قابيه وكذلك قد بسط الله تعالى يد الجود لعباده وأوجب على ذوي المكنة من المسلمين أن يعطوا كل واحد منهم قدر ما يحتاج إليه ولم يكن كذلك في زماننا فإن الشفقة على الواحد والآن المشفق عليه أصبح واحدا وقد كانوا

لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فلما رأوه محتاجا لو رأوه يموت لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذوه ويكفلوه فيروى في الآن في حق اليتيم قد صار محتاجا عاجزا عن الاكتساب وليس له كافل خاص والله تعالى كافل له بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلداعي ان يشفق قد يزول بعد الوقوع ولم يشتغل في الصباح وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن القائم كانت شفقته الام أقوى وأحلى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان صارت كثيرة تخرج من مجموعها ما يقصد العرض ويكم من يتيم قد يسر الله له خلا هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك الشبع والاقتصار على قدر الضرورة وقد أحسن الشاعر حيث يقول

جرى قلم القضاء على كون * فصار الخير والشر مكنون

وقد قال بعض الحكماء ويروى في بعض الحديث

جنون ملك ان تسعى لرزقك * ويرزق في مخاوته الجنين

فان قلت الناس يكفلون يتيما لانهم يرونه عاجزا فقيرا وأما هذا فلم يبق قادرا على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فأقول ان كان هذا القادر بطالا

لانه ما نقصت أسباب معيشته عن ذي قبل (لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر) وقد كان المشفق عليه واحدا وهي الام أو الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة أو مرتين وكان اهتمامه بسياسة الله تعالى الحي الذي لا يموت وشفقته على قابيه وكذلك قد بسط الله تعالى يد الجود لعباده وأوجب على ذوي المكنة من المسلمين أن يعطوا كل واحد منهم قدر ما يحتاج إليه ولم يكن كذلك في زماننا فإن الشفقة على الواحد والآن المشفق عليه أصبح واحدا وقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فلما رأوه محتاجا لو رأوه يموت لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذوه ويكفلوه فيروى في الآن في حق اليتيم قد صار محتاجا عاجزا عن الاكتساب وليس له كافل خاص والله تعالى كافل له بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلداعي ان يشفق قد يزول بعد الوقوع ولم يشتغل في الصباح وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن القائم كانت شفقته الام أقوى وأحلى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان صارت كثيرة تخرج من مجموعها ما يقصد العرض ويكم من يتيم قد يسر الله له خلا هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك الشبع والاقتصار على قدر الضرورة وقد أحسن الشاعر (ولا تقنع بدون الشبع كالا * فعيش الخير والشر مكنون)

وهو ابن الرومي (حيث يقول)

(جرى قلم القضاء على كون * فصار الخير والشر مكنون)

جنون ملك ان تسعى لرزق * ويرزق في مخاوته الجنين

قوله صار بالكسر وتشديد الخاء المعجمة أي مستور بالمشيمة ثم جاء لذي يكون على الجبن وهي المشيمة وقد وجد في بعض النسخ هكذا الجنين وهي في هذا الكتاب مصرحة بهذا الحديث وقد كتب على ما رأيت الجنين بخطه على قوله صار يكون مصححا على قوله والسكون لم يصح وعلى قوله والجنين مصحح ثم عارض ذلك بأبيات وهي هذه

يقال الرزق في وقت لشيء * وفي وقت لآخر قد يكون * وكسب الرزق نوع من التعرض
فلا تحسب ان كسل يثبني * على شيء كما أمر الرزين * وفي تعسير ما تبغيه خير
جرى قلم القضاء بكل هذا * وفي كل الميسر يتبين * ومن بالله يعتصم يذلل
وفي ايات أبين لمستبين * ومن هو في يقوى على ضعيف * لكي فاض الصديق على بخيل
فسل من ربك التوفيق واحرص * على ما فيه تفعل ما تشين
وكن متوكلا مع فعل ما قد * أمرت به وذا دين يدين

فقد صدق وتعين الكسب ولا معنى للتوكل في حقه (وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يقومون له في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقربهم منه في قلوب الناس حتى يحملون اليه قوت كفايته وعيالهم أن لا يعلق لهم ولا يهرب الى حبس من بين الناس ويمارؤي في الآخر عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الاعصار كالعنقاء لا يرى قط بل لو فرض فلم يجد أحد من الناس بقوله لقدر على إقناع من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن شغل بالله عز وجل أغنى الله وجهه في وجوه

الناس وصرفهم عن كل حاجة

ولب لام لوجدها فقد

دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت من شاء هذا التدبير وفي المدبر واشتغل به وآمن وانظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب فهما ورد به فاض له مشتغل به الحيوان والطير السمك والنبات لرزقه والحيول الضعيف على الدوام لاحتماله ويدفع ذلك أيضا في بعض الاحوال الكل دبر تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش بقدره لاحتمالة والغالب انه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية لاسباب ترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية الطيبة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك

وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي الندرة أيضا قد يحصل بغير اضطراب ولا اضطراب ضعيف عند من تصغر همته فذلك لا يطمئن الى اضطراره بل الى مدبر الملك والملكوت تدبير الايجاد وعند من عاده وزهده يمكن لا نادرا بل دوريا فيتصور مثله في حق الصغير وقد اكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس فرماقاله الحسن البصري رحمه الله تعالى وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة تدبيرا وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء رصاصا والارض نحاسا لم أهتم برزقي ما عشت

فاذا فهمت هذه الامور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه يمكن الوصول اليه ان قهر نفسه وعلمت ان من أنكر أصل التوكل وامكانه أنكره عن جهل فلا بد أن نجمع بين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما وباعانة الله لقلبه بالرضا بقسمته والرضا بالمقسوم فانه أجل المحامد وادل على صدق صاحبه وعلى ان الله راض عنه وعلى ان الله يحبه وعلى ان الله يفتح لذلك العبد من ابواب الرزق ما لا يحتسب ويسهل عليه كل صعب ويذلل له كل عسير وهو معنى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب لانه اذا اتقى الله بالتوكل عليه كفاه كل ما يهمه وأغناه عن كل ما يشغله وأعطاه كل ما يتقوى به على طاعته وهو معنى قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال في قوله تعالى يجعل له مخرجا أي من كل شبهة في أمر الله وأمر الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه وقوله لا يحتسب يقول من حيث لا يدري وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب من طريق ابن مسروق مثله والآية رلت في رجل من أشجع كان قد أسر فشكا عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واصبر فلبث حتى عمه الله واستاق غنمهم اعدو وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم أن اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله (لانه) تعالى (لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة) وغيرها من فضول الاقوات (فاضمن لا لزرق الذي تقوم به حياته) وهو رزق الاقوات (وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضمان) حل جلاله (واطمأن الى ضمانه) وسكن اليه فضمانه قد برأه من الاسباب الخفية التي لا يرى أعظم مما هو للعبد في مداخل الرزق لا تحصى ومخارجه لا تهتدي اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسعته في السماء (وهي من عالم الملكوت) وهي من عالم الملك (قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون) وأسرار السماء لا يطلع عليها) تفاصيلها الا من هو من عالم الملكوت وذكر ابن عطية الله في كتاب التوكل له هذه الآية دون ما بعدها أي هذا معدود لا رزق من مخلوق ضعيف عاجز في الارض بيس رزقه عند الله وعلى الله القدير الجليل هذا لم يهمه بعض الامر بعد الآية بحرف ما فرجع الى الله تعالى وهو يقول سبحان الله رزقي في السماء وأنا طلبه في الارض هيهات ليس كذلك فهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يردهم عباده ويسد أن تكون رغبتهم فيما عند الله كما في الآية الاخرى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فتحاش بهمم ان يطلبوا ما عند الله بحجاب ما هو عليه ولا تكن سيد أرضيا والدليل قول بعضهم

أعد حوري في جنة الخلائق * وبعد بسطي في موهبة الرازق

وكيف تقول لربك يوم لقيته * أريد بسطا كفا الى غير رازق

وكيف تقول لربك يوم لقيته ويرجوه هناك ويخافه هيهات وهيهات لو أنزعليك احسانه وعمرك

فصاب ومتاعه كقليل * في جنب نكم مسرة علياء * لا تسكنها سعدى ولا لبنى

في النوم فتكم فهل يجمل بي * أن أنكركم وطيبتي شيمتكم

فهذه الآية هي التي حملت بعض المؤمنين وأشرفت في وجوههم أنوار اليقين وقد تضمنت ذكر

الرزق ومحله والتشويه بأمر لاحقيقة له وفيه فوائد لا توجد لعلم سحره كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق
كرر ذكره كما تكرر ورود عوارضه على القلوب فكثر تعلق النفس بشبهه من تمكنه في حصن لحصن
ليكون ذلك أوكد في تحقق ذكره في هذه الآية محل رزق وبينه بتشكيك إليه بقوله ليس الصحيح مع بهائم
المحل كالصحيح مع تبيينه فهذا أبلغ في نفقة النفس به وأقوى في دفع شك فيه بتحقيق محل به رزقكم
ورقكم في ثنايا من الألوح المحفوظ فيه علم لهم بالشيء الذي منه رزقكم تشبيه عدمه في كتابه وصيرورته
بمشيئته من قبل وجودكم فلا شيء تضمرونه فيكم إلى تشكون ووعدي لا تشكون ويحتمل أنه أراد
بالرزق الماء وقال ابن عباس هو المطر فيكون الشيء الذي منه رزقكم ولأن السماء هي مصب رزقكم الذي
يمكن أن يكون مراد الحق بهذه الآية تحقيق وعده في تقديره على الأسباب لأن الله تعالى لو أمسك المطر
على الأرض لتعطل كل ذي سبب فكأنه يقول ليست أسبابكم هي رازقة لكم ولكن أنا رازق لكم وبيدي
تيسير أسبابكم لأني أنا تكفلت لكم بأنه كانت أسبابكم ارتفعت في فترات لرزق بالأمر الموعود فائدة تحيله ودلالات
المؤمنين على أن ما وعدهم خلق لا تعدم كونه ولا قدرة لهم على تحيله ولا تحيله ولا تحيله لهم في حكمه وكأنه
تعالى يقول كما لا شك عندكم أن ما وعدتكم به كذلك لا يكن عندكم شك في أن ما وعدتكم به من الرزق
من المحال ما وعدتكم به لي وهذه عاجزون كذلك ثم حرذكم عن أن تتخذوا رزقكم بيدكم ونفوسكم
إلى آخره (ونهدا دخل جماعة على الجنيد) رحمه الله تعالى (فقالوا ما تقول في رجل طلب الرزق فقال ان
علم هو في موضع فاطلبوه) فيه إشارة إلى أن الرزق أسبابه حيث لا يطلع عليه (فإن لم يعلم به فسلوا الله
تعالى أن يعلمكم به) تعالى (فقد ذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل ونضطر ما يكون فقال التوكل على
التجربة) بأن تدخلوا البيت تجربة هل تأتيكم أرزاقكم (حسن) أي في الجملة وهو كذلك (فإن ترك الحيلة قال
الحيلة) واعتمادكم بقلوبكم على الله وسكونكم عما أمرتم به وعدتكم بقشيري دخل جماعة على الجنيد
فقالوا أين نطلب الرزق فقال ان علمتم في أي موضع هو فاطلبوه فإن لم تعلموا بأن الله تعالى فقال ان علمتم به بينا لكم
قد ذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل فقال صبر يسير فقالوا فما ترك الحيلة فقال ترك الحيلة أن لا ترى
فقال * ترك الحيلة في ترك الحيل * هو إشارة إلى مقام التوكل بل ورد ما قد ورد قال بعضهم
لم يدر ما الله وقال بعضهم أول الحسن الشيء قدس سره ان كان ولا بد من الاختيار فاختر أن لا تختار وأي ترك
التدبير هو عين التدبير كما أن ترك الحيلة هو عين الحيلة وتمام المثل

اطرحي الثوب واحملي بسريديب * ودعي حمل مكرو وتعب
أنا ان عشت لست أعدم رزقا * وإذا مت لست أعدم قبرا

(وقال) أبو سعيد أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى وكان من الواجبين (كنت في بادية) على قدم
التوكل (فجاعني جوع شديد) أي بعد مضي عشرة أيام (فعنّ لي أن أسأل الله تعالى طعاما) يرد به جوعي كما
(فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين) فاقتضى هذا المقام تغليب عدم التعلق بحال عند وعدم المبادرة إلى
السؤال فلامه على سوء أدبه (فطالني أن سألت الله تعالى طعاما) على جوع (فجاءني بذلك سبعة أرغفة
ودرهمان) وهذا يهيج ويقول

وبرغم أنه مناقريب * ونحن لا نضيع من أتانا
ويسلنا على الاقتار جهدا * كأنا لا نراه ولا يرانا

أي فلما سمع ذلك سكن قلبه عن الاضطراب والقلق (فقد همت أن أمسك بعضه وقوي عضده ولم
يضعف بالجوع بعضه وقوي بعضه تدبير الله تعالى) إياه في سائر أطواره وشئونه (كان مطمئن النفس آمنا
واثقا بالله عز وجل) في حسن وفائه وصدق صمانه (فإن أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كما
(كان يقول من ليس مطمئنا فإذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب) الذي ضمن رزق
(الثقلين بهذه الأسباب التي ذرها) لتصريف حكمته (في خلقه) في وعده وضمانه (فاصبح) يصبح توكلك

(وحرب تشاهد صدق الوعد بحقيقة عابد عليه من لا يراه بحيث انه لم تكن في صدره حسابات ولا تكن في توكله منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا) قهرا كاتب في القلب بكاتبه فانه أصل حركة القلم واحرك الاول وحده فلا بمعنى أن يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ويتعدى الامصار وهو حامل وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يأوي به الى ركن من الدنيا فهذا يأتيه رزقه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه على الندور فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتغاله بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى من دخول الامصار في حق الحامل مع الاكتساب والاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح بشرطهم فانه والعالم الجامع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا أراد أن يأخذ من يدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وحده لائق بالعلم العامل الذي سلوكه يظهر العلم والعمل ولم يكن له سير في باطن فان الكسب يمنع عن السير في الذكر الباطن فاستعانه بالسلوك مع الاخذ من يد من تقرب الى الله تعالى بعطائه أولى لانه يمنع عن السلوك في الدين (و) ايضا (عنه) أي المعطي عن يد النواب (وله) أي لله ثلاثة أقسام من وجه قسم من وجه ومن ذلك في الخبر أوحى الله الى موسى ان جعل ذرى أو ياتي على أيدي العاصين فوجدهم فعلم هذا للسوكلين ومعرفته الحكمة لان وصل اليهم قسمهم من الوصلين مقام الجمع في معرفته وبقي بهوسان المعطي الوصل ضروري للآخذ المتوكل كما في الخبر ما المعطي من صنعة باعظم أجرا من الآخذ ولو كان محتاجا فسبحان معطي الطوائف ومسبب الوصول الى الآخرة تراقف القرآن (ومن ثم) عبر المتأمل (الواو الجارية منه تعالى) التي تحت في عباده (عموم الرزق ليس على قدر الاسباب) فكم من ذكي محروم وكم من غبي محدود (وكذا سائر نعمه الا كاثره) أي مسؤلك الفرس (حكيما من حكمائهم عن الاحق المرزوق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع) جل جلاله

(أن
انواب ومن نصراني تجري سنته الله تعالى ان رزق ليس على قدر الاسباب وسئل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع

(ان يدل) بذلك (على ضعف) به لواحد الاحمر وزاد (ادلو زرق كل عاقل وحرم كل جاهل ان الحق تعالى انما خص بالرزق صاحبه فمن رزق حلاله علم أن الله لا يرزق حرامه ولا تقف بالاسباب ظاهرة بهم) قال الشاعر

ولو كانت الارزاق تجرى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

قلت صاحب القوت الا انه قال علم أن اصل هذا الرزق والخاص بالمرزوق من كل وجه معلوم من حرف المعتاد من الذي علم يصح لو كان مع سكونه اليه وضعف بنيته لان ذلك عدو في صحة وجوده وكونه وقد صح وقال مع ذلك ثلاث معان أن لا يعوض من شيء عوضا يقوم مقام الواصل اليه وان يقنع همه عنه وعن جميع الخلق وأن يكون منقطعا الى الله تعالى مشغولا بخدمته ذاهلا لامر وحسبه وبالله الموفق

(بيان أحوال متوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال)

(اعلم) هداك الله تعالى (أن مثال الخلق مع الله تعالى في هذه الطريقة من) قال (جمع سائل) (وقصدوا الى ميدان) موسع واسع مشرف (على بساتين) يتفرجون اليهم (وهم جائعون) اشد الجوع (ما يأكلونه وشوقهم الى ما عليهم) (فأخرج اليهم طعاما كثيرا) من جملته (ومعهم أرغفة كثيرة من البر) ترغيبهم (وأمرهم أن يقعدوا معهم رغيفين رغيفين ويتعهدوا الى أن لا يقعد عن واحد منهم وأمر منادا حتى ينادي فيهم أن اقعدوا) ولا تقوموا (ولا تتفرقوا عن الذي أخرجوا لكم حتى يعم الجميع كلهم بالطعام فيكم في موضعه فان الطعام مسخر وهم مأمورون بما يوصلونه اليكم فعلمكم في تعجيل الطعام وآذاهم وأخذ رغيفين رغيفين وقد قعد بين يديه رغيف واحد) منه (أنه يعلم يكون موكلا به أن يقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني أخفيه ومن لم يؤد تعجيل وقع رغيف واحد الذي أتاه من يد الغلام وهو ساكن في موضعه فان الطعام مسخر وهم مأمورون بما يوصلونه اليكم فعلمكم في تعجيل الطعام وآذاهم وأخذ رغيفين رغيفين وقد قعد بين يديه رغيف واحد) منه (أنه يعلم يكون موكلا به أن يقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني أخفيه) عنكم (ومن يؤد تعجيل وقع رغيف واحد)

(ولما انحط فضل رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك عنهم) فهؤلاء طلبوا ما هو الأجل (فما تبعهم ذلك اذا تبعهم) وفي نسخة اذ تبعتهم (العلمان في طلبه) من روايا البداد (وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك ثلاثة أيام حتى تفرق على المذكورين) واقعة (ان حتى ثلاثة) منهم (فلم يبق ولم يقع عليهم أبصار العلمان فشعيهم فعل صرف عن طول التعيش) وتحقق الجميع (فتوانى جوع شديد بالفقراء منهم ليتنا تعرضنا العلمان وأخذنا طعامنا) فأكلناه (فلما تحقق صبر) على جوع شديد (وسكت ثالث الى صباح فنال درجة القرب والوزارة) أدوى شرط ذلك (فهذا مثال الخلق) على تباينهم (فالبداد هو الحياة الدنيا) لسعتها (وبياض البداد الموت) كما قال الشاعر

أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا يا سعد تورد الابل

(والبداد المجهول يوم القيامة) فيه تعلق لمن يقول بعدم دوام الجنة ولا مستند فيه (والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا شهد لما قدمناه) من تحريكه له (من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان شهداء الدنيا عند ربهم يرزقون والتحقق بالعلمان هو المعتدى في الاسباب والعلمان المسخرون هم الاسباب والخالص في ظهر البيداء هو رأي العلمان هم المغلوبون في الانصار في الرياض والمتحدون على هيئة سكون ومختفون في الروايا هم المتحصنون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الندور فان مات واحد منهم حائرا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى ووعد بقسم الحق في هذه الاقسام الاربعة والعمل من كل مائة تتعلق بالاسباب تسعون وثمانية وسبعة من العشرة الباقية في الانصار متعرضون للاسباب تحرد حضورهم وشتاتهم وسباع في البوادي ثلاثة وتحقق منهم اثنان وصار بالقرب واحد وهلك كذلك كان في الانصار سالفة وأما الآن فاتركك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف والله يستعان) * (فمن الذي في المعترض للاسباب بالاختيار) اعلم ان للمتوكل أدلة وهم علامات تدل على صحة توكلهم وذلك لاضطرار ولا حيلة في تعطيلها لا يدخل في الاسباب المظنونة لا للصحة المقرونة بالتوكل عن الاسباب التي تتضمن ابطالها بشبه كل حال وأن لا يدخر وقد أشار الصنف الى حكم الادخار وقال (فمن حصل له مال بارث) من مورثه شرعا (أو كسب) اشتروه (أو سؤال) بعد الاضطرار ولا بد له فيه (أو سبب من الاسباب) غير مذكور (فله في الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يدخر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا يحتصر ان كان محتاجا ويعمر له في الحال ولا يدخره الا بقدر الذي يبرئه من يستفقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الذي يوجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا

يحتوي
الى واحد من عشرة آلاف * (فمن الذي في المعترض لاسباب الادخار) فمن حصل له مال بارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يدخر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا يحتصر ان كان محتاجا ويعمر له في الحال ولا يدخره الا بقدر الذي يبرئه من يستفقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الذي يوجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا

* الحالة الثانية المقابلة لهذه الحالة التي حكاها عن الحكيم الترمذي أن المتوكل أن يدخر شيئا لقوته فهذا ليس من التوكل أصلا وهذا قبيح لا يدخل

بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها عمقا (الحالة الثانية) هي (الحالة التي حكاها هذا المحرر عنه من حد التوكل أن يدخر سنة لقوته فهذا ليس من التوكل أصلا) وظاهره أن الادخار فوق سنة ينافي التوكل وقال الكمال محمد بن الحق والذي أراه أنه يدل كما له لأصله (وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفأرة والنملة وابن آدم) نقله صاحب القوت (الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوما فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود) في الآخرة (للمتوكلين أم لا فيه وجهان) أبو محمد (سهل) بن عبد الله (التستري) رحمه الله تعالى (أنه يخرج عن حد التوكل) وعد القوت ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد (وذهب) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (أنه لا يخرج) ما لم يدخر (لاربعين يوما ويخرج بما زاد على الاربعين) حكاه هكذا في كتاب التوكل (وقال أبو طالب المكي) رحمه الله تعالى في القوت (لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين أيضا) وهذا فقيه في القوت وقد يصح التوكل مع تأميل البعض فان كان أمله للعبادة الطاعة ولقاء ربه وخدمته والجهاد في سبيله وبث العلم ونقله ويصح بالطاعة والعلم ما قدمنا هو والجهل فيصل بذلك وهذا طريق طائفة من الزهاد والمؤمنين والمحسنين وحسبي الفضل وان كان أمله للعبد لاجل متعه نفسه وأخذ حظوظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا بقدر نقص ذلك في توكله ونقص من زهده نقص من توكل وعلى هذا مدار التوكل تأمله فقه شهر (وشهرين) وثلاثة الادخار ذلك الامر طول الامل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل (أكثر من أربعين يوما يخرج من حد التوكل عند الخواص ولا يخرج من حده عندي وأكره له وكل لادخر (أكثر من أربعين يوما كما أكره تأميل البقاء لا كثر من أربعين يوما ومن ادخر لصلاح قلبه ونسكين نفسه وقطع تشوفه الى الناس ان كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له أفضل وترك الادخار من حقيقة التوكل وكل عند أبي محمد والخواص ولا عندي من حال فيه ومن قوي يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخار له أفضل اه (وهذا خلاف لا معنى له بعد تحرير أن أصل الادخار لم يحرم بل ظهر ان أصل الادخار لا ينافي التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له) وربما يفهم من كلام عبارة القوت ان سهلا رحمه الله تعالى يقول ان أصل الادخار ينافي التوكل فقد روى عنه أنه قال علامة المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر وروى عنه التشديد في أن عين الرود ناري قال قلت لعمرو بن عثمان الحلبي عن سهل بن عبد الله حكايته فقال له قال ذكره الا انه قال ولا يحبس بدل قوله لا يحتكر (و) أيضا (كل ثواب موعود) في الآخرة (على رتبة) من رتب الايمان (فانه يتنوع) أي يتقسم (على تلك الرتبة وتلك رتبة نهايات وهي رتبة ويسمى أصحاب النهايات منهم السابقين لانهم سبقوا في تلك الرتبة فوصلوا منتهى الدرجات وبهم الاشارة بقوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات (وأصحاب البدايات) الذين لم يبلغوا بعد أقصى الدرجات يسمون (أصحاب اليمين) وهم المقتصدون (ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعالي درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين) فبينهم بدايات السابقين (فلا معنى للتقدير في مثل هذا التحقيق) الجامع لكلامهم (ان التوكل يترك الادخار لا يتم لا يقصر الامل) واليه الاشارة بقول صاحب القوت وترك الادخار انما هو حال من مقامه قصر الامل (وأما عدم آمال لبقاء بعيد استراحه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده) الا مارو صاحب الحلية بسنده الى أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري وهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب عظنا فقال أحب أن تموت فقال وهيب فمات قال وروى هذه البسملة تلا ودت في من هذه الساعة (اما الناس فمختلفون في طول الامل وقصره) في القلة والكثرة (وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقصاها يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب الى المقصود ممن

امال البعض وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب الى المقصود ممن امال البعض وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب الى المقصود ممن

وأول سنة وقد مر أن هذا موعد موسى عليه السلام فعلم أن ثبوت الواو يقتضي أن هذا موعد آخر لا أول وهو ممكن لأن استحقاق موسى أول الموعد كان لإتمام الأربعين يوما بأمر الله تعالى في قوله وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة (بعيد) والاستدلال به على مسألة الأدهر غير صحيح (وذلك لو سلم فقد مر أن الأول فيه وإنما كان استحقاق موسى أول الموعد كان لإتمام الأربعين يوما) التي هي ثلث الأشهر من السنة (الحرم) الذي (حرمه الله تعالى في قدر لا الأمور) ومنها (كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله حرم طينة آدم أربعين صباحا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان بإسناد ضعيف جدا وهو باطل اه قلت ورواه من وجه آخر عن ابن الهدى عنهما ولفظه إن الله عز وجل حرم طينة آدم أربعين صباحا ثم أخذها بيده ثم هكذا فقطعها بيده فخرج في كفه كل نفس طيبة وخرج في يده الأخرى كل نفس خبيثة ثم خلطهما بيده حتى خلط ذلك يخرج الحي من الميت وميت من الحي والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ورواه ابن مردويه من حديث سلمان بلفظ إن الله تعالى حرم طينة آدم أربعين صباحا ثم ضرب بيده فجعلها قطعة قطعة ثم خلطها بيده فيخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويؤيد حديث ابن مسعود قوله بيده ويؤيد حديث سلمان قوله ثم خلطها بيده وكلتا يديه يمين وعند مسلم من حديث أبي هريرة خلق الله آدم يوم الجمعة بيده وكتب التوراة بيده ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة خلق الله آدم يوم الجمعة بيده وفي الذهب لابن المبارك لسيدي أحمد بن مبارك وسمعته يعني شيخه السيد عبد العزيز الدباغ قدس سره يقول إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام جمع تربته في عشرة أيام وتركها في الماء عشرين يوما وصورها في أربعين يوما وتركه عشرين يوما هذا الصواب وحتى نقل من الطينية إلى الحمئية فمجموع ذلك ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان ثم رفعه الله إلى الجنة ونفخ فيه من روحه اه (لأن استحقاق ثبت الطلبة لخضر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر) قال سيدي عبد العزيز لما ذكر خلق الله هذه الأشياء ورتب خلقها في أيام وأجراه شيء فشيأ لأنه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملأ الأعلى لأن في تعاقب ذلك الحادث من صور في دور ومن حالة إلى حالة وظهور أمره شيأ فشيأ ما لا يكيف من جميع هممهم الملأ الأعلى إلى الالتفات له فيتعجب في أمر الله من ذلك الحادث ويتفكر في شأنه وكيف خلق وما يكون منه وإلى أي شيء يصير فهم يرتقبون الحالة التي يخرجون عليها فإذا حصل لهم من التوحيد ما لا يكيف ولا يحصى وفي زمن الارتقاب يحصل لكم من علم الله والاطلاع على باهر قدرته وسر بارئه في المقدورات شيء عظيم فلا يفوتهم شيء من أسرارها في ذلك فلهذا وقع حصل لهم هذا التفهيم لتمام القدرة له هذه الحكمة ولحكمة أخرى وهي به هذا التدريج وتعدد روح الحادث وتشوفه إليه لو حدث دفعة واحدة من هذا الحادث أو أعظم فتنه تعالى في كل شيء أسرار وحكم (فقد مر أن السنة لا يدخله الإحكم ضعف القلب والركون إلى الظاهر من الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل عبر وفي مخاطبة تدبير من الوكيل لحق) سبحانه (تعالى الأسباب فإن أسباب الحسن في الارتفاعات والركوات تتكرر وتتكرر بالسنين عادة من السنة الأول فما دونه من سنة فله درجة تحسب قصر أمله ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة خمس أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يتسع من الأدهر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلا فإن ضعف قلبه) وصغرت نفسه (فكل ما قل عمره كان فضله أكثر) ومن قوي يقينه وحسن ضمه وصبره وصح زهده فترك الادخار له أفضل (وقد روي في الخبر الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم عباد الله) رضي الله عنهم (أن يصلاة الضحى أو كما قاله وتركها قبل ذلك فقال لا تحبه إنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا تحصله كانت فيه بضعة ووجهه كالشمس أصحبه فلما وما هي يا رسول الله قال إن كان لقوي ما صوامين أكثر الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر

حلة الصيف لصيفه واداء حق الصيف ادخر له الشتاء ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم يبقى وعن عمه اصبر حديث ومن لكوز والشعر وما يحتاج اليه على الدوام فى معنى ذلك فاخبار لا يقبض الدرهم وثوب الشتاء لا يحتاج اليه فى الصيف وهذا فى حق من لا يزعج قلبه ترك الادخار ولا تشرف نفسه الى يدى الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى (٥٠٣) لو كس الحق فان كان يشعر قلبه

اصطرابا يشغل قلبه عن

بعد ذكر والذكر

فالادخار له أولى بل لو

أمسك صنعة كون

بحيث واجب قدر كفايته

وكان لا يتفرغ فيه الا

به فهذا له أولى لان

المقصود اصلاح القلب

بالذكر ذلك ذكر الله وقد

يخص بشغله وجود

مال وقد يخص

بشغله عدمه وجود

يشغل من الله عز وجل

الا فى الدنيا فى عينها غير

محذور وجوده ولا

عدمه ولذلك عير رسول

الله صلى الله عليه وسلم

فى كسب الحلق وهم

الحجامون بحذورون وأهل

الحرف والصناعات فلم

أمر بادخار قوت سنة

ولا عرف ترك حرفته

ولا أمر لتارك لهما

بالاشتغال بهما بل دعا

التوكل الى الله تعالى

وأرشدهم الى أن قوتهم

وكفايتهم فى صرف

قلوبهم عن الدنيا الى الله

تعالى وعمدة الاشتغال

بالله عز وجل القلب

فصواب الضعيف ادخار

حلة الصيف لصيفه واداء حق الصيف ادخر له الشتاء ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم يبقى وعن عمه اصبر حديث ومن أعمى حديث ومن أعمى حديث مهما لم يدل عليه من صيام النهار قال العراقى لم أجد له أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا اه قلت رواه صاحب القوت بسنده الى شهر حوشب عن أبى أمامة وقد تقدم فى آخر كتاب الزهد والمقصود منه ان من كان يؤمل سنة حيث كان يدخر كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء فلذلك تأخر عن درجة السابقين وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ترك الادخار مقتضى ان يبقى وحل أولى العزم من الصابرين (وليس الكور) الذى يشرب منه (والسفرة) التى يأكل عليها (ومما يحتاج اليه على الدوام) من القوم والصرد ونحوه (فى معنى ذلك) وهذا ترديد (وثوب الشتاء لا يحتاج اليه فى الصيف وهذا فى حق من لا يزعج قلبه ترك الادخار ولا تشرف نفسه الى يدى الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق وهذا كان يشعر قلبه اصطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر) التى هى المقصود من التوكل (فالادخار له أولى) لدفع الاصطراب من القوم (بل لو أمسك صنعة يكون دخلها وفيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك) أى امساك صنعته (له) وفى حقه (أولى لان المقصود اصلاح القلب بالذكر ذلك ذكر الله) وهذا طريقة جماعة من العارفين من المتوكلين وذلك لان هذه الحالة حتى قوى على الدخول فى الاسباب مع ملاحظتها وهو توكل فى الولاية (وربما يخص بشغله وجود المال) فهذا لا يأتى له التوكل الا بترك ذلك وهو شرط فى حقه ومنهم من ذاك بشغله ويرتقى عنه الى غيره وهو توكل أعلى لا حاجة فيه الى شرط فى حقه بترك فى الاموال والاسباب (وربما يخص بشغله عدمه) فيضطر بعدمه (وهذا لا يشترط فى حقه

وسلم لعياله قوت سنة وفي أم أيمن وغيرها أن تدخره شيئا بعد
وفي بلال لا تدخر شيئا فعاش بعد كسرة شهرا وقال صلى
الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا
وقال صلى الله عليه وسلم إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن
بالله وقد كان بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد كان
قصر أمله بحيث كان إذا
نال تيمم مخافة أن يموت قبل أن يصلي وكان يقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وقد كان صلى الله
عليه وسلم لو ادخر لم يقصر ذلك من توكله وكان
لا ينافي ادخاره وأكل
عامة السلام ترك ذلك
تعليما للأمة فإن قوما
بالإضافة إلى قوته ومن
عليه السلام عياله سنة
لا ضعف فإن قوما في عصره
ولكن ليس ذلك لضعف
من منعهم أخبرني الله
تعالى يجب أن تؤتى
رخصه كما يجب أن تؤتى
عزائمه تعليما لقوم يجب
الضعفاء حتى لا ينتهي
بهم الضعف إلى اليأس
والقنوط فيتركون
المقصور من الخير عليهم
بقصرهم عن منتهى
الدرجات فما أرسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا
رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم

وسلم لعياله قوت سنة) رواه الشيخان وقد سبق في كتاب الزكاة (د) وقد (نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا بعد) وقد سبق ذلك أيضا هناك وأم أيمن مهاجرة وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول بعد أمه وكانت تتولى خدمته رضي الله عنها (ونهى بلالا) رضي الله عنه (عن الادخار في كسرة تحز) كان (ادخره لضيفها) قال العراقي هذا لم أره قلت المعروف نهيه عن ادخار كما ادخره (فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا) قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ورواه أبو يعلى والطبراني وكلها ضعيفة اهـ قلت بعض الطرق الطبراني من حديث ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال يا رسول الله ادخرته لك وللضيفان فقال أما تخشى أن يفور لها بخار في جهنم أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا ذكره ورواه العسكري في الأمثال من حديث عائشة وبعضه متفق لا إقلالا ورواه الطبراني عن بلال مثله ورواه الطبراني من هذا الوجه إلا أنه قال يا بلال ورواه أبو يعلى بالفظه ولا تخش بلالا وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بأتم مما هنا (وقال له إذا سألت فلا تلح وإذا عطيت فلا تحذ) قال العراقي رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو قطعة حديث أتى به بغير ولا تلفه عليه وقد تقدم اهـ (فداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم) وفعل القوت ونهى بلالا عن الادخار لعياله سنة يقتدى به أهل المقامات وقوله وإذا سألت فلا تلح وإذا أعطيت فلا تحذ هو إمام لفقير يود كرى المتوكل (وقد كان قصر أمله بحيث كان إذا نال تيمم مخافة أن يموت قبل أن يصلي وكان يقول ما يدريني لعلي لا أبلغه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ وفعل القوت ورد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وله رداء في الخلف بسنحان وقد كان صلى الله عليه وسلم قصر أمله لما نال من الدنيا فقيل له إن عيسى لما نال تيمم مخافة أن يموت قبل أن يصلي فقال ما يدريني لعلي لا أبلغه ولكن فعله ثلاثة أيام لئلا يهلك من مال أمله من أمته فعدل عن فعله تحياة ورحمة فهذا يدل على أن الادخار متسع ويبقى على قدر من هذا فعرف من قال إن الشريعة جاءت بالرخصة وأن عزائمها من الذين لا قوة لهم كالشيخ والرخص من لدن للضعفاء المحمودين اهـ (وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله وكان لا ينافي ادخاره وكنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك تعليما للأقوياء من أمته فإن قوما أضعفهم ذلك بالإضافة إلى قوته وكنه صلى الله عليه وسلم لو ادخر) وفعل (سنة لا ضعف فيه وفي عياله) حاشاهم من ذلك (ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرني الله تعالى بأنه يجب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه) رواه أحمد والطبراني ولبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم (تعليما لقوم يجب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس) مرتبة (والقنوط) من روح الله (والقنوط) من رحمة الله (فيتركون المقصور من الخير عليهم لتقصرهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم) وفي نسخ وكان سهل رحمه الله تعالى يقول في تأويل الخبر إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه قال ما كان من مرخص فلا بأس به وما كان من نهي فخذ بالشدة فيه قال وكان يضرب المثل في قصر الأمل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج إلى الأبلة فيقال له جدد عيسى قال أريد أن أخرج إلى العسكر فيقال له خذ أربعة أرغفة قال وكذلك ترك الادخار ينقص من فضائل زاهدين يعتقدان ما يمنع من حقيقة فقر الأفراد عن الأفراد هذا العارفين لأنهم على عين اليقين قد فنيت نفوسهم في عين التوحيد فيطرون سوء الأولاد والآخرة فلو جاءهم عندهم ما كانت أيديهم بيده وقلوبهم قبضته فهو وكيلهم وهم خلفاؤه يتصرفون بأحكامه مستخلفين فيه فهو مريدهم لا هم فهو المقام فوق رهد الزاهد وكسب المتعبد وهؤلاء لا يوصفون بكدر الخلق والمرآة فكيف يؤمرون بالتصفية والإخلاص فلا يدخل عليهم الشرك بقبوله شهادة التوحيد منهم فهم مغفورون وأما ترك الكاسب وقاطع النسب ممن لا علم له من الأولياء فهم تركوا الادخار لأنه مقتضى حالهم وفيه استقامة مقامهم وصفاء

فقوم لخصومهم ولا ترى غيرهم (وقد جهمت هذا عيث أن الادمر قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أنه مات) حسدى بن عمارة (لعلى) رضى الله عنه (أن بعض أصحابك عندنا توفى وحدثه كمن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوه أنوبه) فتشوه (فوجدوا تحته دينارين فى دخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان) قال العراقى رواه أحمد من رواية شعيب بن حوشب عنه (وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك فى حقه وهذا يحتمل وجهين لان ماله يحتمل

قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان ماله حلالا طهر لزهده وفقره (وصف (التوكل) وترك الادمر (مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس) ولذلك شدد عليه وعده كيا ماروى هذا لوجه اقتصر صاحب القوت (والثانى أن لا يكون ذلك عن تلبيس ويكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما نقص من جمال لوجه أثر كيتين فى الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فى كل ما يحتمله الرجل فهو نقصان عن درجته فى الآخرة لا يؤتى أحد شيأ من الدنيا الا نقص بقدره من الآخرة) وهذا الوجه هو الذى يقتضيه كلام صاحب القوت (وأما بيان ان الادمر مع فراغ القلب عن التدبر من ضرورة التوكل فيشهد له مروى عن) أبى بصير (بشر) بن الحرث رضى الله عنه قدس سره (قال الحسين المزنى من أصحابه) أسند الى عمر بن لهيعة (قال كنت عنده مجموعة من الهر ودخل عليه رجل كحل أعمر خفيف العارض فقام اليه بشر قال) الحسين (وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الى كفا من دراهم وقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من طعام الموسر) قال (وما قال لى فعلمت من ذلك قال فقلت ما الطعام وصفته) بين له (فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قط كما حتى بقى من الطعام شئ كثير فحمله الرجل وجعله فى بوريه) وحمله بحذائه (وحمله معه وانصرف) قال (فعجبت من) فعله (ذلك وكرهته له) ثم أمرت له بالدراهم فأبى فيه (فقلت لبشر) بعد وقت (ما كان فعلك) ذلك (فقال نعم أحدثك ما هذا الطعام من عمر دت فقال) تعرفه قلت لا قال (دخلت بعض) تحرف (الموصل زائرا يوم من الموصل وعلمت أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادمر) فكذا صاحب القوت وعليه دل كلام الادمر تسع وبضيق على ومر مشاهدات العارفين ما قاله صاحب القوت قال وحدثنى بعض الموصليين أن بعض الاشياخ لم يكن به شئ بعد وكان مهما فصار له شئ من الدهر فحمل الناس اليه وقت خروجه وقال اصبح ثم قلت هى بيده وما أصبحت فخرجت فحملت فى وعلى وعلى فرأيت فى الطعام كان فى وعلى الا تقدر بقال فاغتممت وجعلت أتحسر من ذلك فقال لى قائل هذه دراهم الزاد وخذها قال فانتبهت فزعا فقمت فدققت فى لوقت الى بعض اصحابه القديمة وحدثنى بعض الاشياخ عن بعض الصوفيين انه كذلك كان يخرج كل ما فضل له الى اخوانه القديمة وحدثنى بعض اصحابه قال دخل على مرة دينار وكان على دينار فجعلت أتمثل بين أن أحدثه بقصتى وبين أن أخرجه فما عدت من ضيقتى قال فقوى على شاهد نعم فقلت اسمعا كه للدين أولى لانه قد استحق على قال فلم أقعد على حولى وكان بينى وبين صاحب الدينار نصف قال فضرب على ضرس من أضراسى ثلث الليل فورمت على لحيتى فقلعته ثم قال خطر بقلبى خراج الدينار ثم قال ائتنى بأحد فسقته قال فضرب على فى الليلة الثانية ضرس آخر أسفل منه قال فقلعته ثم قال ذكرت شأن الدينار فقلت لعلى عوضت بحسبه قال فأخرجته قبل الليل قال فجعلت أقول فى نفسى هانت يوم تخرجه لقد سألت ضرسا واحدا حتى لا يبقى فى فمى ضرس واحد فوقع مطلب الخصوص لعمومة ما تهم بخصوصه به

فى فعلت من ذلك قال فقلت بعض طعام فوصفته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فبقى من الطعام شئ كثير فحمله الرجل وجعله فى بوريه وحمله معه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لى بشر لعلك انكرت فعلى قلت نعم أحدثك الطعام من عمر دت فقال دخلت بعض الموصل زائرا اليوم من الموصل فعلمت أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادمر

(الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر العارض للخوف) اعلم أن الضرر قد يعرض في عمر الزمان وليس من شروط التوكل ترك الاسباب بالكلية بل قد

والسقف بالكسر وكل ذلك معنى عمه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ثم تنقسم هذه الاسباب الى معلوم مباحه ومعفو عنه والى موهوم وهو قسمان الموهوم مهما من شرط التوكل وهي التي تسبق الى دفع الضرر نحو السكة والرقية فان السكة والرقية قد يتقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يتعمل بعد نزول المحذور للازالة وقد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصف المتوكلين الا بترك السكة والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة واجبة تلبس دفعا لما يرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار بأكل التوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء لقوة الحرارة من اسباب ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكة بخلاف الجبة فان ترك الاسباب

[illegible] وقد دفع به [illegible] بعض الاشياخ عن مرض [illegible] من أين قدره هذه الليلة ثم يترك [illegible] ثم أتى قبة [illegible] وقال ثم أتى قبة [illegible] على ذلك من [illegible] هؤلاء سيكون [illegible] الموم كأن القيامة قد قامت وكان الناس [illegible] الناس هيئة وأعلاهم طريقة [illegible] ثم أتى [illegible] وأنت لا تعلم [illegible]

(فصل اثنان في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر العارض للخوف)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن الضرر قد يعرض للخوف في عمر الزمان وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة) للضرر (بل قد تعمل لبعض ذلك وهو في أرض مسبعة) أي كثيرة السباع (وفي طريقه إلى الوادي أو تحت الجدار المائل الى السقوط أو) تحت (السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة) ولا يصح توكله في شيء من ذلك ولو مات مات عاصيا (نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومعفو عنه والى موهوم فترك الموهوم فيها من شرط التوكل) ومن أعمال المتوكلين (وهي التي يسبق الى دفع الضرر نحو السكة والرقية والطيرة) والطيرة هي أن يحمله ما يراه أو يسمعه على الاقدام على شيء أو الاحجام عنه (فان السكة والرقية قد يتقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع) أي يتوهم من وقوعه (وقد يتعمل بعد نزول المحذور للازالة) والدفع (ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين) في قصة عكاشة (بترك السكة والرقية والطيرة) لقائلهم بأن لا يكتوون ولا يرقون ولا يتطيرون (ولم يصفهم بأنهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة واحدة دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب) فالسكة والرقية والطيرة من الامور المتوسطة بين الامرين المتوسطين هي مشتركة في كل واحد منهما بين الامرين فلا يصح الاستدلال بعدم الوصف على ترك التوكل بذلك نعم صاحب القوت يقول ذلك لكن تحقيق الحق في هذا المعنى عندي ما قدمناه لان الحديث ورد في اسقف كل الذي يدخل الجنة بغير حساب (نعم الاستظهار بأكل التوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء قد يقوي قوة الخوف ونقص الرجاء فيكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكة بخلاف الجبة فان ترك الاسباب

[illegible] من الاسباب كانت مقطوعا بعدم [illegible] بل قد تعمل [illegible] من الاسباب كانت مقطوعا بعدم تضرره من الاسباب كانت

الله وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى معرضا لعاصمين لدين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في أدنى الناس وأما الصبر على أذى الجناب والسعي والفقر فترك دونها أنس من التوكل في شيء ولا فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لأنه على الدين وترتيب الأسباب هذا كله تنهاني الكسب وجلب المنافع فلا أطول بالاعادة تؤكد ذلك في الأسباب الدافعة ولا ينقص التوكل بعد الخروج ولا أن يقل التعبير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى أما قطعوا بها ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله عقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتخصص بالليل لاختفاء عن أعين الاعداء وتوقع تسببه

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاعداد عند الصرر وأخذ

تنه) بقوله عز وجل ما قال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والأذى (وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقال بعض العارفين لا يثبت لأحد قدم في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من حيث يقف قلبه وحتى يؤدي به الصبر على الأذى إلى أن يخرج منه رفع أسكون إلى الخلق والاضطرار إلى علم الخلق بدي صبي ثم إن التوكل في الصبر على حسن ما يقوله وترك التعلق للعلم وصحة الحياء من الله تعالى والجلال الله وخوفه وحمايته (و) قد وصفهم الله تعالى بذلك فقال صابروا وصابروا (قال) الله (تعالى ثم أخر عاصين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فجعل الصبر والتوكل جامعين لهم ثم وصفهم بالتوكل في صبرهم فقال وعلى ربهم يتوكلون فجعل عدة وأعم خيرهم وأتم فضلهم فقال فنعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فسيعلمون من هو في ضلال مبين (وهذا في أدنى الصبر وأعلى التوكل) فإن الصبر على أذى الجناب والسعي والفقر يترك دونها أنس من التوكل في شيء ولا فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لأنه على الدين وترتيب الأسباب هذا كله تنهاني الكسب وجلب المنافع فلا أطول بالاعادة تؤكد ذلك في الأسباب الدافعة ولا ينقص التوكل بعد الخروج ولا أن يقل التعبير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى أما قطعوا بها ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله عقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتخصص بالليل لاختفاء عن أعين الاعداء وتوقع تسببه

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاعداد عند الصرر وأخذ

السلاح في الصلاة اشتد ذلك عليه كل الجهد وعجز عن دفع قطاع الطريق ولكن أحد السلاح سلاح مصنوع وقد سبق أن المصنوع كالمقطوع به وهو الذي يقتضي التوكل تركه فإن قلت فقد حكي عن جماعة منهم من وضع لاسد يده على كتفه ولم يتحرك فقول وقد حكي عن جماعة منهم من وضع لاسد يده على كتفه ولم يتحرك (فقول)

محفظة مثلك (فلا تدخرها أو عبر به ووديعة فسترد هو لا أدري به وربي أو سقت مثل ذلك في كل رزقه غيري وكيف ما قضيت فاما اعبد به) على كل حال (وما أعقت سبب تحصيل من ضائع وتسخط لا من حرمان على مقتضى سنتك في ترتيب الأسباب) على مسبباتها (فلا تقطعني عن الأسباب فإذا كان هذا حاله ودلالة الذي ذكرناه عليه لم يخرج عن حد التوكل بعض بعير وأحد سلاح وأعلان ثم اعتقد بقلبه وحسبه بعقله أنه يجب ويبغي أن يكون دلالة عبده بعد حدثه من الله تعالى وأن لم يحدثه لي وحده مسيرة فاقتصر له فإن وحده راضيا (٥٠٩) أو فرحه لذلك عما به ما أحدثه الله تعالى دلالة منه الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد دل به انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا من لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي ليكون على عكس منه وكيف يصح له وكل من قعد عن مقام لضعف عن خطره ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في طلب والحرص ولم يقدر على ذلك حتى تأدى بقلبه وظهرت شكوى بدنه وتقاضى السنة فقد كانت السرقة مريدة له في بدنه من حيث به ظهر له قصوره عن جميع المقامات) الصبر والشكر والخوف والزهد والتوحد والتوكل والرضا (و) ظهر أيضا (كذبه في جميع الدعاوى) فليتق الله ويستأنف التوبة والرجوع في العارين (وبعد هذا فلا بد أن يجتهد حتى لا يعتمد في قلبه على دلالة ولا يعول عليها ولا يحتمل غرورها فهي خداعة غرارة (أمارة بالسوء مدعية للغير) فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار عندهم (فان قلت فكيف يكون له توكل مال حتى يوحد) وله توكل لا أدري على مال ولا متاع (فاقول له لا يخلو بيته من متاع كثير منه يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وحراب يحفر به وعتبة يدفع بها عنه وغير ذلك من ضروريات المعيشة من أثاث البيت) كالحصير ونحوه فيها وفي معناها ضروري وعادة يصعب تحصيله (وقد يدخل في يده مال) من ارث أو كسب أو هبة أو غير ذلك (وهو يمسكه) عنه عند من يعمل من توبة (عند محتاج ويصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله) بل هو مدخر لحق الله تعالى وحبسه عليه والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علوا (فليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والحراب الذي) يحفر (به وانما دللنا في التوكل وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان منه الله تعالى حرمه بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا البيوت من حيث لا يحتسبون (وما حرم لنفسه فتفرقة الحرام والامتناع في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل بين شرط في التوكل ودلالة كان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى مع جلالة مقدمه في الاقتدار (يعتقد

ما السوء عبيه للغير فان قلت فكيف يكون له توكل مال حتى يوحد قول التوكل ويحصل له منه متاع كثير منه كوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وحراب يحفر به وعتبة يدفع بها عنه وغير ذلك من ضروريات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا ويصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله ويبس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والحراب الذي يحفر به زاد دللنا في التوكل وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان منه الله تعالى حرمه بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا البيوت من حيث لا يحتسبون وما حرم لنفسه تفرقة الحرام والامتناع في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ودلالة كان الخواص يأخذ

في أمر الحج وتركوه وقرض ولا نفوذ له إلا بكل ما يحرم به ويحرم على الحلال ويكره للمحرم ويجب بالإفساد ويمضي فيه ويقضيه ويجب بالجماع في الفرج دم وبقبلة أو لمس بشهوة بقرة وبالمباشرة دون الفرج شاة وبالجماع في الفرج قبل الوقوف بعرفة بدنة وبعد الوقوف بقر

(الثاني) أن لا يترك في بيت ما يحرض على السرقة فيكون هو سبب معصيتهم وإنما سبب هيجان رغبتهم ولذلك أمر بدفن الميت إذا رآه سقط من بعيره أو ماله لئلا يكون سببا لتحريك الرغبة في أخذه (الثالث) أن لا يترك في بيت متاعا يحرض على السرقة فيكون هو سبب معصيتهم وإنما سبب هيجان رغبتهم ولذلك أمر بدفن الميت إذا رآه سقط من بعيره أو ماله لئلا يكون سببا لتحريك الرغبة في أخذه (ثم بعد) أيام (قال له) (أخذه الأعجمي الذي ذهب قال فما فعل بوسوس له بتعريف أخذها) فتقدم عند أيام في الحالة أخرجه من طريق أخرى عن سهيل بن أبي صالح قال دخلت مع أبي مكة فجيء إلى مالك بن دينار بركوة فيها ثمانمائة درهم فقال مكثت بها سنة فجاء صاحبها فدللته عليها فأخذها فذهب فقلت له لم لا تعرفها فقال إنما دللته على الوعاء والعفاص (وكانه حذر من أن يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لقيط يجده أحدنا أحب إلي من درهم) فقصد (بهذا من صعب قلبه بوسواس الشيطان) (في أخذها) قال صاحب القوت وهذا كما قال أبو سليمان لأن الورع حق على كل واحد وكل ما هو حق على كل واحد فهو مقام التوكل والرضا (أحب أن ما سقط إلي تركه في بيت ينبغي أن يتوى عند خروجه) منه (ويقضي الله به من تسلط سارق عليه) فأما إذا علم أن سارقا يتسلط عليه (ويقول) اللهم لا جميع (ما) في بيتي (أن تسلط عليه سارق فهو) (ماخذه السارق فهو منه في حل أو هو) صدقة (في سبيل الله تعالى فإن كان) الآخذ (فقيرا فهو) (فقير فهو عليه صدقة) حتى وفي القوت إن كان الآخذ فقيرا حله على السرقة الحاجة أمضى صدقته عليه وإن كان غير ذلك صرفه إلى فقير فهو محسوب له على صدقة وعلى السارق وزر ما حملهما على ذلك الحاجة (وإن لم يشترط الفقر فهو أولى) وإنما قيد بالفقر لأن بعض السلف أخذ له الشيخ بشرط وقال إن كان فقيرا فهو صدقة عليه وإن كان غنيا فهو له وهذا في حق المتهيئ ووجه أولويته عدم الاسترداد لأن الله تعالى حكم بحقية في الغيب والعفاف والصلاح وحسن التوفيق لأهل ولاية يعلوون ومن حيث لا يحتسبون كما يخرج لهم الرزق من الحرام والحلال وكما يشهدهم الحق والعدل من الباطل والظلم ويعرفهم بنور الفراسة علام من الجاهل بحسن عنايته بهم وحسن توليهم (فيكون له بذلك أولى أحدهما أن يكون ماله ما نعا له من المعصية فله أن يستغني به فيتوانى عن سرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام بما جعله في حل والثانية أن لا يعلم مسلم آخر فيكون ماله داعيا لمسلم آخر مهما يتوى حراسة مال غيره عمل عسى أو يتوى دفع المعصية عن السارق وتحصيلها عليه وقد تصح للمسلمين وامتثال قوله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما ومظلوما ونصره إذا كان ظالما أن يمنعه من الظلم وعونه عليه عدم الدفع ومنعه له) فإذا عد عونا منعه عن الظلم يعقوبة لا يورثه منعه من أخذه أو وجه له فحوم عونه عليه مقام رؤيته وهذا يبحث في تحقق الخلاص من حمل مطالبة مالك (وليتحقق أن هذه النية لا تضره لو جحد لو جوده أن يس فيها ما يسلط السارق ويعسر القضاء الآلي ولكن يتحقق بالزهد بنية أن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه لو وقصده ولم يأخذ حصل له الأجر أيضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك المعاصي فرارا) توكلا على تمكنه (أن الله

الحديث من طريق يوسف بن عطية الصفار عن ثابت بن عبد الرحمن الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا من أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه يوم القيامة ومن أخذ شيئا يريد إتلافه أتلفه الله تعالى إلا أن يتوب وأداؤها أن يعطيها من هو أهل لها من أولاد من أخذ منه أو ورثتهم أو قرابتهم أو أهل ولائهم أو أهل دينهم أو أهل قريته أو أهل محلته أو أهل سوقه أو أهل صناعته أو أهل بلده أو أهل ناحيته أو أهل مذهبه أو أهل ملته أو أهل مودته أو أهل معرفته أو أهل مجلسه أو أهل مسجده أو أهل طريقه أو أهل جواره أو أهل حيه أو أهل عشيرته أو أهل مدينته أو أهل قبيلته أو أهل مسكنه أو أهل مشربه أو أهل مطعمه أو أهل ملبسه أو أهل مركبه أو أهل مرتعه أو أهل مرعاه أو أهل مشاته أو أهل مراحه أو أهل مسرحه أو أهل مبيته أو أهل مقيله أو أهل مقامه

أحر غلامه وولده من ذلك المال وعاش وقتل فى سبيل الله تعالى وان لم يولده لانه ليس أمر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان تولده على وفق علمه ووقوعهم بعده كذلك أمر اسرقة (الرابع) انه اذا وجد المال مسروقا فانبغى أن لا يحزن بل يفرح ان أمكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيما سلبنى الله تعالى ثم لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز وجل فلا يبقى فى ملكه وفى سلعة من سلعه وان كان قد جعله فى سبيل الله ولم يرجع عليه فقد قدمه خيرة لنفسه الى الآخرة فان أعيد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل وان قبله فهو فى ملكه فى ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد ذلك الى هو ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روى ان ابن عمر سرقت بغلته فدعا عليه ثم قال فى نفسه اللهم انى قد كنت تصدقت بها فلما سرقت ندمت على ذلك فدخل المسجد

فصلى فيه ركعتين فجاء رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول في مكان كذا فجلس عليه وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقال له الأنبهبذي فأخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض المشيوخ رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فقلت أتنهاقال وهو معي وذلك لكثرة حزني وتنفس الصعداء ثم

قال ما زال حزننا الى يوم القيامة قلت ولم قال لما رأيت صبارا لي الجنة رجعت الى مقامات لم أر عليين مارأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى منادي فوقها اصرفوه عنها فلست هذه لك انما هي لمن أمضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقال لي كنت تقول للشيخ انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لامضيت لك وحكى عن بعض العبادكم أنه كان بالبصرة رجل معه هميان فاتبعه الرجل فقال له كم كان في هميانك فذكر له كم كان في هميانه فحمله الى البيت وزوده من عنده ثم بعد ذلك أتى أصحابه انهم كانوا أخذوا الهميان من صاحبه فقاله هو وأصحابه معه وردوا الذهب عليه وقال خذه حلالا طيبا فانا كنت لا أعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل ثم لم يقبل فالحر عليه دين

(٦٥ - (حلية سادة المتقين) - سابع)

وهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ غيظه وعطيه خير افقه فجاء كان يكره رده الى بيت بعد خراجه فيه عطيه وغير آخر وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات (الخامس) وهو أول المراتب أن لا يدعو على من ظلمه بما أخذ فان فعل طن توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وان زهد ولو بالغ فيه فان أجره يضعف بما صبر

ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذه ولا أنظر الا الى كنت قد أحللته له وقيل لا تزال الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه لا كله المسكين ولم يحقق أن يزيده شرا وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى انتهك حرمته وهتك عرضه فكان ظلمه وبغيه عليه أشد من ظلمه وبغيه على غيره وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال الله يشغل المظلوم بظلمه حتى يكون بقدر ظلامته ثم يقتص للمظلوم من الظالم عند ذلك وقد عفى عنه فيدخل الجنة بعفو الله تعالى

(السادس) ان يدعو على السارق لاجل السرقة وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله متاعا له ولم يجعله ظلما وجعل ذلك في يده لا في قلبه وقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال ان لم يكن لك غنم انه قد صار في أعناق غيرك من يسأل عن ذلك يوم القيامة ولا تكون له حجة قيل لبعضهم

ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذه ولا أنظر الا الى كنت قد أحللته له وقيل لا تزال الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه لا كله المسكين ولم يحقق أن يزيده شرا وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى انتهك حرمته وهتك عرضه فكان ظلمه وبغيه عليه أشد من ظلمه وبغيه على غيره وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال الله يشغل المظلوم بظلمه حتى يكون بقدر ظلامته ثم يقتص للمظلوم من الظالم عند ذلك وقد عفى عنه فيدخل الجنة بعفو الله تعالى

(السادس) ان يدعو على السارق لاجل السرقة وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله متاعا له ولم يجعله ظلما وجعل ذلك في يده لا في قلبه وقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال ان لم يكن لك غنم انه قد صار في أعناق غيرك من يسأل عن ذلك يوم القيامة ولا تكون له حجة قيل لبعضهم

دعا بر وهو يطوف بالبيت فرآه لوه وهو يبكي ويضرع فقال أعلى هذا تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسأل يوم القيامة ولا تكون

رضي الله عنهم أجمعين) وقد كان أبو حنيفة لا يرى بقول من يعتقد لاهل معاصي عند الضرر بهم عند فاذا تفكرت فيما يصيرون اليه من العقوبة دخلت الرحمة لهم القلب

(في الترغيب في السعي في ازالة الضرر كالداء والمرض ونحوه) أرشد الله تعالى (ان الاسباب الزيلة للمرض تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أنواع الطب في معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة وأنواعا أخر وبه أمر الطبيبة والتداوي غير مناف للتوكل بل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتماد عليها والاتكال عليها يخل بالتوحيد) والتداوي (بالاسباب الموهومة) من المقطوع والموهوم (وهي الاطعمة كالدواء بالاسباب الموهومة عند أهل الطب) فانه ليس بمقطوع به بل يكون (فعله في بعض الاحوال وتركه في بعض الاحوال سيان) ولا يخل بالتوكل (بل فعله في بعض الاحوال وفي بعض الاشخاص فضيلة) ودرجة (والتداوي) بالاسباب الموهومة (عند خوف الموت) من المقطوع والموهوم (وهي الاطعمة كالدواء بالاسباب الموهومة عند خوف الموت) فانه ليس من التوكل تركه بل فعله في بعض الاحوال وفي بعض الاشخاص فضيلة

الترمذي وابن ماجه من حديث ابن جريج وقيل عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح شيء قلت حديثه عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت رقى نسترقيها وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئا قال الحديث قال ابن عبد البر ذكره مالك في الموطأ فوهم فيه حيث قال عن ابن أبي خزامة عن الزهري وهو وهم قال ابن معين أخرج حديثه البخاري في تاريخه والطبراني في الصغير من طريق عبد الرحمن بن إسحق عن الزهري وقيل عن الزهري وعن ابن أبي خزامة عن أبيه وروى عنه ابن عيينة (وفي الخبر المشهور مررت ليلة أسري بي (بملأ من الملائكة الا قالوا) يا محمد (مر أمتك بالحجامة) لانهم من لا علم كعلمه هل يقيد واد تمن نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر بالقلب وهو ضعيف وقال النور شيء وجد هذا المعنى في نفسه وهي ما عرف منها من نفسه بالعادة على الابد أن الدم مركب من قوى متضادة الحاملة بين العبد وبين الترقي الى عالم الملكوت الاعلى والوصول الى الملكوت وقال ترويه وعلله بما يدخل تحت الحس وصدق الاخبار عما عرف الدم أو رآه ذلك خصوصا وجودا وليس وقتوبه لك بمقنع لاحد منه بمعنى عن معرفة ما ذكر وتحسسه ما ذكر فتزداد البصيرة نورا على نور ه قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وله في سنن ماجه من حديث ابن عباس نحوه بسند ضعيف جدا وقال حسن غريب وله ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف نهى فيه عن الحجامة للصائم وفي سنده الترمذي أحد من يروي أن الكوفي قال في الكامل ابنه بن عدي والدارقطني ورميه بالكذب وعبد الرحمن بن اسحق بصنعوه وفي سند ابن ماجه كثير بن سليم الراوي عن أبي البلدان وعدوه من مناكيره هذا الحديث وبذلك قال الصدر المناوي في تخريج أحاديث مصابيح البغوي بسكوت وروى ابن السني وأبو نعيم في الطب عن عبد الله بن مسعود رفعه عن أبيه عن جده رفعه عليكم بهذه المحاجم فانها تخرج الغديرة الدواء من الجسد وتضع عنه وتشد البصر وتذهب العرق وتطيب الجسد والعرق وتجلو الأصرين (وفي حديث أنه مر برجل) أي بمحاجمة (وقال احتجموا) رشدا لا ريما (لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) من شهر العرب (يبتيع كم الدم) أي يثور ويغلب (وعليكم) أي وكيف تورثه منكم وتكلم وهذا وهو مثل شعفته على شعفته قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفعه الترمذي للطبراني بسند ضعيف جدا بلفظ عليكم بيوم سبع عشرة الحديث وروى الترمذي وقال حسن غريب وقال ابن حبان بطريق المتقدمة أحسن من هذا الطريق ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامة فليحتجم لسبع عشرة الحديث انتهى قلت هذا اذا احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة أو احدى وعشرين الحديث ورواه كذلك البيهقي والديلمي وأبو نعيم في الطب كلهم رفعوه من حديث ابن عباس وبسند الترمذي من حديث ابن عباس ما يخصص فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم احدى وعشرين وليس فيه ذكر التسع وبسند ابن ماجه من حديث أنس من أراد الحجامة فليحتجم سبعة عشر وتسعة عشر واحدى وعشرين لا تبتيع بأحدكم الدم فيقتله وروى أبو داود والحاكم وابن السني من حديث أبي هريرة من احتجم سبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحدى وعشرين كان دواء من كل داء وقوله لا يبتيع أي لئلا يبتيع فحذف حرف الجر مع ان قال ابن العراقي تبتيع الدم وتنوع ما روحاج (قد كان تبتيع الدم من الموت وانه قال بذلك الله تعالى وبين ان خروج الدم خلاص منه دلالة بين خروج الدم المهيج وبين خروج بعض الدم وخروج ما فيه من البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلا) قال ابن قيم هذا موافق لاجتماع الاصلاء ان الحجامة نصف شهر وما بعد سبع الرابع الثالث من أرباع الشهر تبتيع من أوله وآخره بعضه الدم حينئذ الذي حمل عليه للامر بها مع محل حتى يرشده وقال اذا أريت الحجامة فان كانت رخص فعلت وقت احتجامه نهى وقال ابن حزم يرشد اختياره صلى الله عليه وسلم للوتر من أيام الشهر على الشفع بعض الوتر عليه والله خص من مرة بحالة انقاص الهلال من تمامه لان نور كل

وفي الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة

وفي الحديث أنه أمر به

وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يبتيع بكم الدم فيقتلكم

قد كان تبتيع الدم من الموت وانه قال بذلك الله تعالى وبين أن خروج الدم خلاص منه

اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراجه من البيت وليس من شرط التوكل ترك الفعل هو كصب الماء على الدار لامتصاصها ودفع ضررها عنه ووضعه في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا

تأثير وتحرك كل علة انما يكون مع اتصال من حين الاستهلال الى الكمال وقد تنافى ذلك هنا بتقدم سكرة الموت بالاصحاح في الوقت الذي اذعت فيه السلامة الا بتوراتهم وتدعو ضرورة لبعضهم في الوقت المكروه بحيث تكون عبثية السلامة في عدم التأخير فيعمل حينئذ ما شاء وقال صاحب القوت وفي ذكر تتبع يوم دال على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة لانه أراد به هذه الايام من الشهر وذلك بوصف الاسباب التي جعلت حقوقا وأسبابا للموت وحسب هذا القدر من العدد لاهل الحجاز صحة لشدة حر البلد كقول عمر رضي الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك في أرض حجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان يحتجموا في كل شهر مرتين أن يحتجز الرجل لاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر (و) قد روى (في خبر مقطوع عن الحجم يوم الثلاثاء سبع عشرة من الشهر) هو ري (كان له دواء من داء سبعة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس واسنادهما واهيان وخالف في روايته في الصغير وكلاهما ابراهيم بن زيد العمي وهو ضعيف انتهى وقد سبق معقل بن يسار رواه أيضا ابن سعد وابن عدي والبيهقي واعطاه من سبأ الضعف وحديث أنس رواه أيضا في أفراده بسند فيه عشرة تحلت من شهر أخرج الله منه داء سبعة وذكر صاحب القوت الحديث المتقدم ثم قال وفي خبر له عن الاعمش من احتجم يوم سبت لطعن الاعمش في ترجمته قلت وقد روى في الرفع عن ابن عباس دلك روى ابن مردويه في الامالي والحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس في رفعه من احتجم يوم الاربعاء لسبع عشرة يوما فلا يلومن الا نفسه وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي (وأما مره) صلى الله عليه وسلم (فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي وباحبة) أما الامر بالتداوي فقد تقدم في حديث أسامة بن شريك من رواية أصحاب السنن وفيه تداووا عباد الله وفي حديث ابن مسعود تداووا فان الله لم ينزل داء الا وقد أنزل معه شفاء وفي حديث بريدة بن أرحم تداووا رواه أحمد والطبراني والحاكم وأما أمره بالحبة السوداء فسيأتي قصة على وصهيب بعده قال صاحب القوت وروى أنه ورد في كتب الاحبار يقول الله عز وجل اني أنا الله الشافي وأدوي فتداووا والتداوي رخصة موسعة وتركه صبر وعزم وكلاهما محبوب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وقد قال الله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق وعن عمر كان التداوي فاضلا في دلك للعين أحدهما أن يروى اتباع سنته والاخر رجاء لله تعالى وقبول ما جاء به الحبيب المصطفى والثاني أن يحب سرعة البرء للسنة وخدمة مولاه ويسعى في أمره اذا كانت العلل قاطعة عن التصرف في العمل ومشغلة بالنفس عن شغل الآخرة (وقطع) صلى الله عليه وسلم (سعد بن معاذ) بن سعد بن النعمان الانصاري الاشهلي أبي عمرو سيد الاوس شهد بدرا (عرقا في حلقه) كذا في القوت قال العراقي في رواية مسلم من حديث جابر في ذكر سعد في أكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده ثم نفض الحديث انتهى قلت رمى يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم في بني قريظة وحسمه دعوته في ذلك ثم انتفض جرحه فمات أخرج ذلك البخاري وذلك سنة خمس (وكوى) صلى الله عليه وسلم (سعد بن زراره) بن عدس بن عبيد بن امامة الانصاري الخزرجي البخاري وقيل الاسلام شهد العقبتين مات على رأس ستة وثلاثين شهرا وقيل في آخر سنة وكوى سعد بن زرارة من اللغوة هكذا هو بالام وفي لواشق مارانه لوى أي عالجه وأطلق تضعيفا والصواب كوى وقال العراقي في رواية الطبراني من حديث سهل بن حنيف دون ذكر سهل انتهى وقال الحاكم في ترجمة سعد من الاكليل وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي امامة بن سهل قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم على سعد بن زرارة وكان أحد النقباء ليلة العقبة وقد أحدثه اشوكفة كواه الحديث وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهري هذا هو المحفوظ ورواه عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وهي شاذة ورواه رفعة بن صالح عن الزهري عن أبي امامة بن سهل عن أبي امامة سعد بن زرارة الرواية وانما أراد أن يقول عن قصة سعد بن زراره والله أعلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (لعلي) رضي الله عنه (وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب

وفي خبر مقطوع عن الحجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سبعة ولما أمر صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي وبالحبة السوداء وقطع لسعد بن معاذ عرقا في حلقه وكوى سعد بن زرارة فانفجر رضي الله تعالى عنه وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب

وكل من هذا فانه أوفق لما يعني سلقا قد طبخ مدقق شعير وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو رمد أتأكل التمر وأنت أرمد فقال إني آكل من الجانب الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روي في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يجعل على الرمد ويشربه ويحقنه بعصير الكرفس وشرب الدواء قبل الطعام وروي أنه صلى الله عليه وسلم أمر به من الصفر وغيره وروي أنه نزل إليه الوحي وهو صائم وأسه فكان يتعالجه بالعسل وروي خبر إنه كان إذا وجعت إصبع أحدهم أو جرحت جعل على فرجته تراباً

(وكل من هذا وفق لك) أي سلقا قد طبخ مدقق شعير (رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب) وابن ماجه من حديث ثم المدراني انتهى قلت ورواه كذلك ابن سعد كلهم من طريق فليح بن سليمان عن أبيه سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر سلمى بنت قيس الأنصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننضج سلقا لنا فقال لعلي إن كان فيه ما يعني بناءه حتى كف علي ثم وضعت له شعيرا وسلقا فأكل منه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي من هذا فاصب منه أو دعي لك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فليح وتعقب بأنه جاء من طريق ابن أبي فديك عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن أبيه عن يعقوب نحوه قال الحافظ في الإصابة فليح بن سليمان بن أبي المغيرة وكنيته أبو يحيى وأبوه محمد بن رجال الحذري وثقه ابن معين وغيره من أئمة الحديث ولم يتكلم فيه أحد بحجة وما أراه ترك الشافعي وهو من هو بالنسبة إلى جميع الحفاظ إلا لشيء وضح له كما قال الترمذي (وقال) صلى الله عليه وسلم (لعلي) بن سلمى رضي الله عنه (وقد رآه يأكل تمرا وهو رمد أتأكل تمرا وأنت رمد فقال آكل من الجانب الآخر فتبسم) صلى الله عليه وسلم قدم في كتاب الطب من البخاري (وأما فعله فقد روي في الحديث) الذي (رواه الشيخان من طريق أهل البيت أنه صلى الله عليه وسلم كان يكحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه ابن عدي من حديث عائشة وفيه مسكين بن بكير وهو ضعيف ومن حديث أبي هريرة وفيه أحمد بن الحسن بن معين ذكره ابن حبان وقال يخطئ ويخالف ومن حديث علي عند الرحمن بن عبد الله وفيه الواقدي وهو متروك لا يكتحل إلا يوم الجمعة بعد الظهر يمكث في الكحل في عينيه نصف يوم ويشربه بعد الظهر بأثره ثم يحتجم يوم الأربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من الشهر ويشربه في كل سنة مرة واحدة (وقد روي صلى الله عليه وسلم عبر من الصفر وغيره) وقد روي في عبر حديث من الصفر وغيره رواه ابن ماجه والعقيلي في الضعفاء من حديث جميع بن الأزرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر اتخذ عبرة من صفر فإنه لا يزال يذكر الله ما دام في البيت وفيه عبد الله بن بسيرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشتكي فتصح كفاه سويا وشرب عليه ماء وعسلا ولابن عدي والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ما سلم وفيه عاصم بن علي ضعفه الجمهور انتهى وفي حديث جميع بن الأزرق رواه البخاري في تاريخه وابن السكن والبغوي كلهم من طريق معاوية بن صالح عن عبد الله بن سعيد بن جميع عن جده جميع بن الأزرق وكانت له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى جدار كثير الحجامة فاحتجم أو عصر فاحتجم لثنتي عشرة خلت من الشهر وفيه أنه سئل فقال إن الله شفاني وليس بحكيم لا أعلم له غيره وقال البغوي ابن سكين ليس له غيره (وروي أنه) صلى الله عليه وسلم (كان دائم الوجع في رأسه) من خدش بلغ منه (وكان يضع يده على رأسه) فتخف حرارة رأسه فكان نور يقين يدهش الشعر نور الوجع فيلطف حرارته هذا لفظ العراقي رواه البزار وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأحوص بن حكيم انتهى قلت وكذلك رواه ابن سني وأبو نعيم في الطب (وفي الخبر) صلى الله عليه وسلم (كان إذا وجعت إصبع فرجه جعل عليها حناء) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب ليست هي سلمى أم رافع امرأة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ويقال بل هما واحدة وهي صلى الله عليه وسلم ولفظ الترمذي وقد رواه من طريق مولى أبي رافع عن علي بن عبد الله بن أبي رافع عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا كلمة إلا أمرني أن أضع عليه الحناء (وقد جعل) صلى الله عليه وسلم (على فرجة خرجت به تراب) قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة كان إذا اشتكى الإنسان الذي منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا ووضع سفيان بن عبد الله راوي سنانه بالأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا انتهى وقد القوت وروي أنه جعل على أصبعه السبابة من ريقه ثم وضعه على تراب وقال تربة أرضنا بريقة

ومما روى فى شدة وأمره ذلك كثير يرح عن الحصر وقد صنف فى ذلك كتابا وهى حديث صلى الله عليه وسلم ورد كر بعض بنى اسرائيل بان موسى عليه السلام عمل بعصا فدخل عليه ملك الموت فقالوا له ان دوا هذه العلة معروف مجرب وما تداوى به فقال لا أتداوى وأقامت علته فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتى تداوى عبدى من أودع فيه منافع الاشياء غيرى وروى (٥١٩) فى خبر آخر

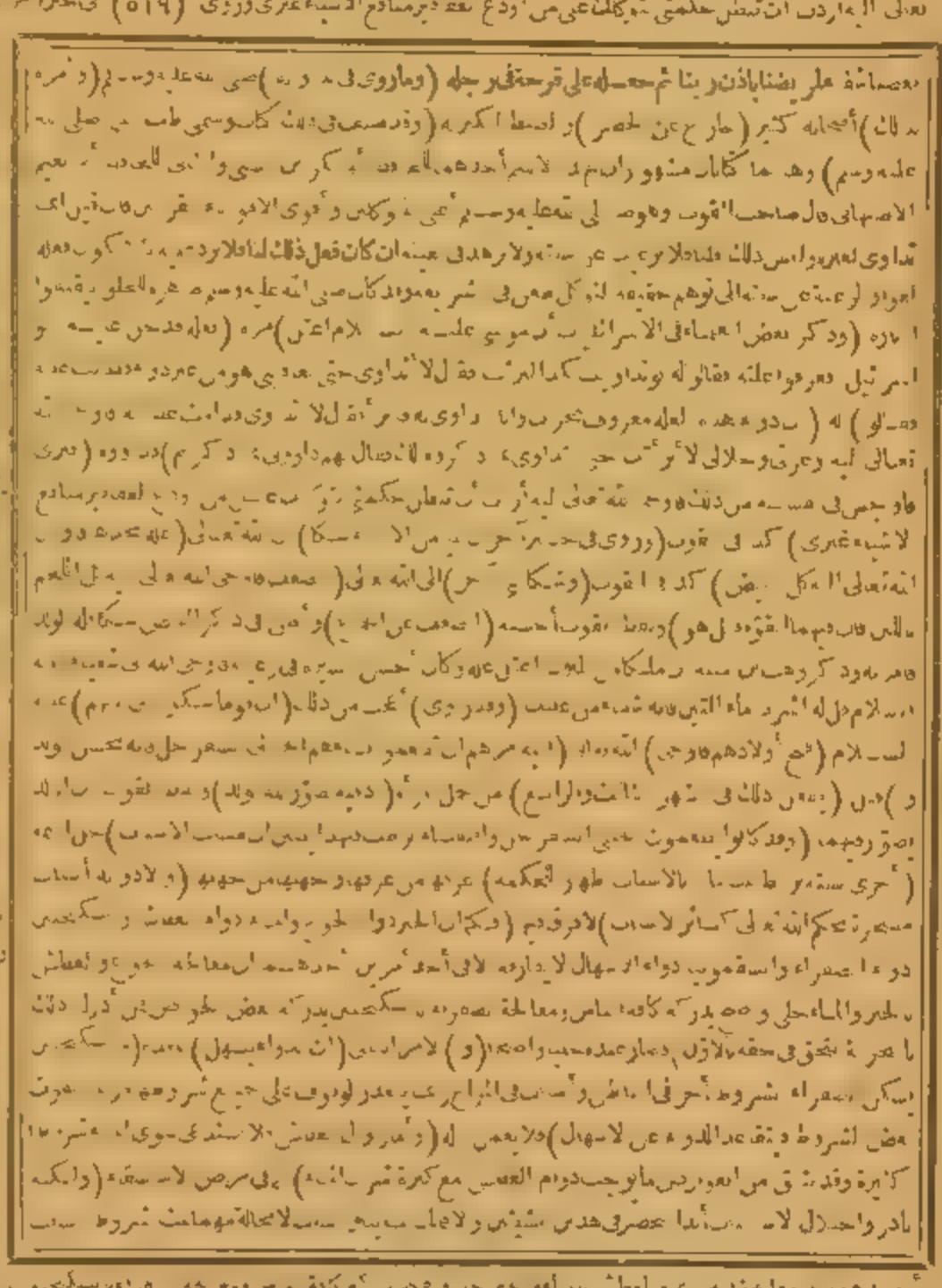

أحد هذين الدواءين الحجامة والحجامة تخرج الدم والدم يخرج الروح والروح يخرج العلة وقد ثبت بالتجربة أن الحجامة تنفع من الصداع الذى يكون من الامتلاء وكذلك من الصداع الذى يكون من الحرارة وكذلك من الصداع الذى يكون من البرد وكذلك من الصداع الذى يكون من الرياح وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط العشرة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنى عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط العشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاحد والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاثنين والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الخمسة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الستة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط السبعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثمانية والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط التسعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والواحد وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والعشرة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنى عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاحد والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاثنين والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثلاثة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والاربعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والخمسة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والستة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والسبعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والثمانية والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائة والتسعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والواحد وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والعشرة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنى عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاحد والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاثنين والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثلاثة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والاربعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والخمسة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والستة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والسبعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والثمانية والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط المائتين والتسعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والواحد وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والعشرة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنى عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والخمسين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والستين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والسبعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والثمانين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاحد والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاثنين والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثلاثة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والاربعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والخمسة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والستة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والسبعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والثمانية والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الثلاثمائة والتسعة والتسعين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والواحد وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاثنين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثلاثة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاربعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والخمسة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والستة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والسبعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثمانية وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والتسعة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والعشرة وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاحد عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاثنى عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثلاثة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاربعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والخمسة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والستة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والسبعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثمانية عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والتسعة عشر وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاحد والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاثنين والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثلاثة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاربعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والخمسة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والستة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والسبعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثمانية والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والتسعة والعشرين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاحد والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاثنين والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثلاثة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاربعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والخمسة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والستة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والسبعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والثمانية والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والتسعة والثلاثين وكذلك من الصداع الذى يكون من الاخلاط الاربعمائة والاربعين وكذلك من الصداع الذى يكون من

وكل ذلك تدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يصير التوكل استعماله مع التطرق الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب ممن الدواء والداء فقال تعالى منى قال فما يصنع الاطباء قال يا كلون أرزاقهم ويطمون بهوس عبادى (٥٢٠) حتى يبلغ منه ما أوقعته فيه دامعنى التوكل مع التداوى ان التوكل بالقلب والجد كما سبق فى

فتوت الاعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فما ترك تداوى رأسا وليس شرطا فى التوكل فان قلت فما تقول فى أخذ الاسباب الظاهرة الصحيح فى الاصول ليس كذلك بل الاسباب الظاهرة تفعل بقدرة الله تعالى وخلقه كالشبع والرى عند الاكل والشرب والسهر عند ترك النوم والشبع عند الاكل والشرب والتبريد عند المبردات والتسخين عند المسخنات والاسقام عند الاطعمة الرديئة والصحة عند الاغذية الجيدة وكذلك سائر الاسباب المعتادة فى الدنيا فكيف يتصور التوكل مع الاخذ بالاسباب الظاهرة قلت قد سبق فى كتاب الصبر والشكر ان الاسباب الظاهرة ليست هى الفاعلة بل الفاعل هو الله تعالى وحده لا شريك له ولكن سبق فى سابق قضائه وقدره ان يخلق الشبع عند الاكل والرى عند الشرب والشفاء عند التداوى وكذلك سائر المسببات عند أسبابها المعتادة فى الدنيا وليس بين السبب والمسبب تلازم بحكم الذات بل بحكم سبق القضاء بخلق المسبب عند السبب وبحكم سبق القضاء بخلق الشبع عند الاكل لا يمتنع ان يخلق الله تعالى الشبع عند شرب السم والموت عند شرب الماء البارد والشفاء عند شرب السكنجبين وسائر الادوية المعروفة بل لا يمتنع ان يخلق الشبع والرى والشفاء عند ما يخلق الموت والهلاك عند الاكل والشرب والتداوى وكما يمكن ان يخلق الحياة فى الحيوان مع قطع الرأس عنه وسائر المقاتل التى لا يعيش الحيوان معها عادة فكذلك يمكن ان يخلق الحياة مع الاكل والشرب والتداوى وكما يمكن ان يخلق الحياة مع الجوع والعطش والتداوى يمكن ان يخلق الحياة مع الاكل والشرب والتداوى وكما يمكن ان يخلق الموت عند الاكل والشرب والتداوى يمكن ان يخلق الموت عند ترك الاكل والشرب والتداوى فان الكل بالاضافة الى قدرة الله تعالى على السواء وانما السابق فى علم الله تعالى ان يخلق الشبع عند الاكل والشفاء عند التداوى والموت عند ترك الاكل والشرب والتداوى فان قلت فما فائدة الاكل والشرب والتداوى اذا كان الشبع والرى والشفاء والموت والهلاك بقضاء الله تعالى وقدره فاعلم ان هذا من أغمض مداخل الشيطان على الخلق فى هذا الموضع وقد ضل بسببه أكثر الخلق حتى ظن طائفة من الجهال ان ترك الاكل والشرب والتداوى لا ينافى التوكل وهذا جهل بالشرع وخروج عن مقتضى العقل والشرع أما الشرع فقد دل على ان الاكل والشرب والتداوى من سنن الدين وان تركها قدح فى الدين وان تاركها مذموم عاص لله تعالى وأما العقل فلان الله تعالى خلق الخلق وخلق لهم الشهوات التى تحركهم الى تعاطى الاغذية وخلق فى الاغذية خواص تقتضى حفظ الصحة وخلق الصحة والقوة عند تعاطى الاغذية على الوجه الذى ينبغى وخلق المرض والموت عند الافراط فى الاغذية وعند تركها بالكلية فمن ترك الاكل والشرب والتداوى فقد ترك ما خلق الله تعالى له الشهوة وهداه اليه وسخره له وجعله سببا لحفظ صحته وحياته وهذا كما ان الله تعالى خلق الشهوة فى الرجل والمرأة وخلق فى الجماع خاصية تقتضى انزعاج الماء من الصلب وخلق فى الرحم خاصية تقتضى استقرار الماء فيه وانعقاده ولدا فمن ترك الجماع مع القدرة عليه فقد ترك ما خلق الله تعالى له الشهوة وهداه اليه وسخره له وجعله سببا لحفظ نسله وبقاء نوعه وكذلك سائر الشهوات فى الاكل والشرب والتداوى وكما ان الجماع لا ينافى التوكل فكذلك الاكل والشرب والتداوى وكما ان الجماع لا يمنع من حصول الولد بقضاء الله تعالى وقدره فكذلك الاكل والشرب والتداوى لا يمنع من حصول الشبع والرى والشفاء بقضاء الله تعالى وقدره وكما ان الجماع لا يمنع من الموت بقضاء الله تعالى وقدره فكذلك الاكل والشرب والتداوى لا يمنع من الموت بقضاء الله تعالى وقدره وكما ان الجماع لا يمنع من الولد بقضاء الله تعالى وقدره فكذلك الاكل والشرب والتداوى لا يمنع من

ولا أعجبها ورواه الحارث بن أبي أسامة من طريق هشام بن الحسن عن عمرو بن دينار بلفظ دخل عليه رجل فذكر نحوه وقال ثم أتيت الى أخيه فذكر له ذلك فقال ان أخي كان يقول قول من لا يسلم عليه فيما أكتوى ولا استرقى وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عرضت علي الأمم الحديث وفيه هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون (ثم أتيت الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يحدث من أمر الملائكة) كان ابن عبد البر كان من قدره الله تعالى (وقد) رضي الله عنه (تعريف بعبد الله) بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الحميري الكوفي البصري (ثم أتيت الملائكة التي) كانت (أكلمه الله تعالى قد رد الله تعالى علي ما كان أخبره) رواه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن حريث بلفظ قال كنت أكلم أخي فلان حتى ذهب أتراه قال صاحبا القوت وقد كان عبد الله بن حريث هذا من أهل الفضل والعلم وكان يسلم عليه وكان يقول عليه أمر من أمر الملائكة (وما أدري ما أمرهم هو الذي لا ينبغي التوكل لأنه يحتاج في استدعاء ذلك إلى تدبير ثم هو موهوم وقد ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها والله أعلم)

(بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال)

(ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا ينافي فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) هو أن الله تعالى (لم يعب على أيوب) عليه السلام (ولا على زكريا) عليه السلام (الاعتصار ولا على قدرة الله) تعالى (من لا كاوي) ولا على غيرهما من الأنبياء (ذلك فضلا لأنه لو كان كذلك لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان يدل عليه في التوكل) كما مر من حديث أبي بكر رضي الله عنه (وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه) أنه مرض (فقيل له ندعو لك طبيبا قال قد رآني) رواه أحمد في الزهد عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال أبو بكر فذكره وروى أبو نعيم في الحلية من طريق آخر قال قال أبو بكر لعائدين عادوه ألا أدعو لكما طبيبا قالا بلى قال قد رآني قالوا فما قال لكما قال قال إني فعال لما أريد وقيل لأبي الدرداء (رضي الله عنه في مرضه ما تشتكي قال) أشتكي (ذنوبي قيل فما تشتهي قال) أشتهي (الجنة قيل أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد بن جدعان أن أبا الدرداء مرض فدخل عليه أصحابه فقالوا ما تشتكي يا أبا الدرداء قال أشتكي ذنوبي قال أفتشتهي طعاما قال أشتهي الجنة قالوا أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني (وقيل لابن الدرداء) رضي الله عنه (وقد رمدت عيناه لو دواهما قال إني عنهما مشغول فقيل له لو أمرت الله تعالى بعافيتهما قال إني) أكلم صاحب القوت (وكان الربيع) بن حيثم (نوري) كوفي عابد (أصابه) وهو مريض مشؤوما بالبرد فمنع لاعتياده من الحركة (فعرض له وجد وشدة فضجر) فذكر ذلك (ثم ذكر ما عوفي وعوفي وأصحاب الرس وعرف ما في ذلك كبر) كانت فيهم الزمانة (وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تعن الرقى)

قال صاحب القوت وفي هذا المعنى ما نسب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه

إن الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع ما هو واقع
بل الطبيب هو المريض بعينه * إن عد أيام الشفاء تتابع
هو المداوي والمداوى والذي * خلق الدواء وداءه والموضع

قال صاحب القوت وقد كان عبد الله بن حريث يقول إذا فعل عن القيام في أول الليل ثقل أو ضعف في أثناء الصلاة ثم يرده إلى حاله بعد ذلك فكان إذا سمع وقت الصلاة كأنه ينشط من عقال وقد مضى صلاته وجميع ما يأتي

وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق تركُ التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب بما به أيضا داسله وغيره سهل متى يصح للعبد التوكل فقال داخل على المريض في جسمه والنقص في ماله فيرى أنت ابتلاه شغلا بحاله ويطرأ في قوم الله تعالى عليه وقد منهم من تركه التداوي وراءه ومنهم من كرهه ولا صح وجه جميع ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الانحصر الصوارف عن التداوي وقول (ص ٥٢٢) ان لترك التداوي أسبابا (السبب الاول) أن يكون المريض من المكاشفين

كما كان قبل ذلك (وكان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق تركُ التداوي من شرب الدواء وغيره) هو صاحب القوت قال (وكان) تقوم (به علل فلا يخبر المتطبب أيضا بما اذا سئله) كذا في القوت (وقيل سهل) التستري رحمه الله تعالى (متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل على المريض في جسمه والنقص في ماله فيرى أنت ابتلاه شغلا بحاله) فلا صاحب القوت (وقد منهم من ترك التداوي وراءه) واعتقده من صديق السلف صح (ومنهم من كرهه) الا أنه مخصوص بالخصوص وطريق الخصوصة لا فوق ولا دون كما ذكره الشيوخ من القوم وما عليه ذلك مذهب ابراهيم الخواص وطريقه كان يرى ترك التداوي وكل التداوي فقص بذلك تحقيقه (ولا تعارض جميع ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بين (فعالهم الانحصر الصوارف عن التداوي) فقد ترك بعض الاولياء التداوي لاسباب أخر تركه لذلك لعلمهم ولا يكون تركا للسنة انما يترك كون الفاضل للافضل (وقول من ترك التداوي سنة (اذ قد يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى أجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده ومرة يرزق الشفاء) في كشف تحقق (ومرة يحدس بحدس ومرة يكاشف بخلاف ذلك فيكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي) فيما سوى من قوله (من هذا القبيل فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هما أختاك وانما كان لها أخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم انه كان قد كوشف بانه حامل بانثى) هذا ما عدد كرها الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في كتابه سماه المقامات العلية في الكرامات الجلية يقول فيها بعد ذكر جملة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

وسرت سرجته الى أصحابه ● فلهم خوارق ما ادعاه مدعي
فعسكر صديق امداد السما ● وهم ع من بعده في مجمع
ومقامه في ذا خارج واقع ● حقا من الصديق أحسن موقع

ثم ذكر في ترجمة عائشة رضي الله عنها قالت لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم قال يا بنية ما أحب أحدا من خلق الله أعز علي منك ولا أجمل عندي منك ولا أعز علي منك وقد كنت نحلتك عشرين وسقا من مال فلو كنت حزتيه وأخذتيه كان لك فانما هو اليوم مال وارث وانما هما أخواك وأختاك فقالت هذا أخواي فمن أختاي قال ذو بطن بنت خارجة فاني أظنها جارية فكان كذلك وقد تقدم ذلك (فلا يبعد أن يكون ذلك كوشف به انتهى أجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوي) كما تقدم ذكره (وأمر به) كما في حديث اسامة بن شريك وتقدم (السبب الثاني أن يكون المريض مشغولا بحاله وخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فيه وذلك ثم المرض ولا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله) أي لاشتغال قلبه بما هو أشرف من التداوي وعليه يدل كلام من قال اني عنها مشغول (وكلام أبي الدرداء) رضي الله عنه (القائل اني لأمقت أن أرى الرجل صحيحا فارغا دائبا ليس في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة) وهو في معنى ما قبله (وكان يقول اني لأستحي من ربي أن يراني فارغا ليس لي شغل في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة) وهو في معنى ما قبله (وكان يقول اني لأمقت الرجل أن أراه سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة) وهو في معنى ما قبله (وكان يقول اني لأستحي من ربي أن أرى فارغا ليس لي شغل في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة) وهو في معنى ما قبله (وكان يقول اني لأمقت الرجل أن أراه سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة) وهو في معنى ما قبله (وكان يقول اني لأستحي من ربي أن يراني

* (باب ما جاء متى تكون العرب مرضة

قشيري رحمه الله تعالى فيما نقله عنه صاحب التوشيح (حيث قيل له ما تقول فيما يقوله كثير من العوام) من قولهم (بقل قوم هو بقل كل شيء) أي يقتل كما يقتل البقل كل شيء (يقتل قوم لا يعقل) (وفي رواية عن عمار قال سألت عن هذا العداء فقال هو الذي قيل فيه بقل قوم لا يعقل) (قال مالك والمجتمع عليه من ولاء أولا ولاء آخرا داخل عليه عدوه فرده إلى صحته) فهو أول مرض ظاهر (أمارأيت الصحيح يمرض) بعد (ردوه إلى صحته حتى صحته) (هو معرف قد يكون من صاحبه وقد يعرف كيف يصحه وهذا هو الذي يؤمر به بالاصالة من سلامته وقد يكون أن تكون العلة مزمنة) مستمرة (والعداء الذي يؤمر به بالاصالة من علامته موهوم المنع) غير متيقن ولا معلوم (حتى يترك الحرث والزرع فيتركه فيتوكل) عليه (ولا يتطير ولا يتشاءم) (وليه يشير قول لا ريح ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) رحمه الله تعالى (أدخل ذكر الهامة والصفر) وكأنه جمعهما الاوصاف (و) كأنه (جمعهما الاوصاف (و) كأنه (جمعهم الاعداء فهذا عدوى وهذا عدوى أي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته فلا يعتمد على صحة كونه دواء ولا شك في ان الطبيب المجرب أشد اعتقادا في الادوية من غيره فتكون الثقة والايمان بحسب الاعتقاد الاعتقاد بحسب التجربة (وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم أمرا موهوما لا أصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي قادحا في التوكل كالكي والرقى وتركه لو كان أو يحرب عنده بالبلاء كيحرب أحدكم عنده بالبلاء كيحرب أحدكم من يخرج كلهب الابريز لا يريد منهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا

* (باب متى تكون العرب مرضة

لي عشيه هو هوم
سمع حر محسري الكي
والرقية فيتركه فيتوكل
و يه يشير قول لا ريح
ن خيثم فقال ذكرت
عد وهو ذو يهم لا عدوى
هيلك عدوى والدواء
أي ان الدواء غير موثوق
به وهذا قد يكون كذلك
في نفسه وقد يكون عند
مريض كذلك لقلة
ممارسته للطب وقلة
تجربته فلا يعتمد على
صحة كونه دواء ولا شك في
ان الطبيب المجرب أشد
اعتقادا في الادوية من
غيره فتكون الثقة
والايمان بحسب الاعتقاد
الاعتقاد بحسب التجربة
وأكثر من ترك التداوي
من العباد والزهاد هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء
عندهم أمرا موهوما لا أصل
له وذلك صحيح في بعض
الادوية عند من عرف
صناعة الطب غير صحيح
في البعض ولكن غير
الطبيب قد ينظر الى
الكل نظرا واحدا فيرى
التداوي قادحة في
التوكل كالكي والرقى
وتركه لو كان * (باب متى تكون العرب مرضة) * أن يعتقد العدوى مرضا من يصح على الله تعالى
أو يحرب عنده بالبلاء كيحرب أحدكم عنده بالبلاء كيحرب أحدكم من يخرج كلهب الابريز لا يريد منهم دون ذلك ومنهم
من يخرج أسود محترقا

قال أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة بلفظ إن الله عز وجل ليحرز أحدكم
كما يحرز أحدكم مريضه أي يحميه عن الطعام والشراب وهو عنها يشتهيه كما يحرز أحدكم
مريضه عن الطعام والشراب وهو عنها يشتهيه ومنهم من يخرج كالذهب الذي لا غش فيه ومنهم من يخرج كالذهب
الذي دخله الغش فذلك الذي دخله الغش قد ذاب بعض الذهب ومنهم من يخرج كالذهب الأسود
وهذا الذي قد افتتن وقد صححه الحاكم وتعقبه الذهبي لأن في سنده عبد الرحمن بن معدان ضعيف (وفي حديث من
طريق أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه) هذا لفظ الموت
قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن عيينة الحولاني بسند ضعيف إذا أراد الله بعبد خيرا ابتلاه واذا ابتلاه اقتناه
لم يدع له مالا ولا ولدا ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي بكرة بلفظ إذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحبه الله
أفاض عليه المال والولد ورواه ابن عساكر من حديث أبي هريرة وحسن إذا أراد بعبد خيرا ابتلاه واقتناه
فان لم يرد له مالا ولا ولدا ورواه ابن عساكر كذلك وروى ابن أبي الدنيا كان كفارة
المرض والسكفارات من حديث أبي سعيد باسناد فيه لين إذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا اصطفاه (وقال
صلى الله عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالحمر الصالحة) كذا في مسند وهو في معجم الدعوي لابن السني من اصلال
(لا تحبون ولا تسقمون) قال العراقي رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو نعيم وابن عساكر في الحلية
والبيهقي في شعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث ان الرجل لتكون له المنزلة عند الله الحديث وقد
تقدم قلت قال الحافظ ابن حجر في أمالي حدثني أبي عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى لزرعيين
الحاسب عن عبد الله بن أبي أوفى عن سمرة الضمري فقال يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدي قال أقبل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب أن يصح فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن تكونوا
كالحمر الصالحة ألا تحبون أن تكونوا أصحاء كالحمر وأنا أعلم سبب ذلك ان الله ليبتلي المؤمن بالبلاء
وما تأثيمه الا كراهة أن يعجل له ثوابه في الدنيا هكذا أورده في ترجمة أبي
عقيل في ميزان عند كونه ذكر حديثه هذا وليس فيه شيء من هذه الزيادة ولا يصح شيء من هذه الترجمة
ولا يعرف شيء من حاله ولا روى حديثه غير ابنه هشام وحديثه هذا لا يعرف الا من حديث مسلم بن عقيل مولى الزرعيين
وليس هو أبا عقيل هشام بن عقيل ولا يعرف حديثه الا من حديث عبد الله بن أبي أوفى وليس مسلم بن عقيل
هذا ممن يحتج بحديثه ولا يعرف حاله ولا روى عنه غير ابنه هشام بن مسلم بن عقيل مولى الزرعيين
وليس هو أبا عقيل هشام بن عبد الله بن عقيل الذي روى عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يحب أن يصح ولا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن
تكونوا كالحمر الصالحة ذكروا أنها كفرت بالله ولم تكن له ذرية فليس له في الجنة ولا يسأله شيئا من عمله
(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (لأن أعود مريضا أحب إلي من أن أشهد جنازة وأن أعود مريضا
أحب إلي من أن أشهد غازيا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هشام بن
عمرو حدثنا أبو الأحوص عن سعد بن مسروق عن عبد الله بن عتبة قال سمعت أبا مسعود يقول لأن
أعود مريضا من عامة المسلمين أحب إلي من أن أشهد جنازة واحدة ثم قال عبد الله بن عتبة لكم تزورون فكان من أصح الناس جسما وأمرضهم
وهو يقول ومن أصح جسما وأمرضهم جسما ثم قال لو مرضت لعودتكم ولو صححت لأحببتكم ولكنكم
تهونون علي الله من خلال (قال علماؤنا عيادة المريض واجبة على الكفاية أحب يوم المرض واعلموا يا أولي الألباب
أن الله تعالى ما شرع لعباده شيئا الا لحكمة ومصلحة) أي من الدين والدنيا (من له تعلق) على الناس (ولا يدركها عقيب) ولوسائله
(وهو ما يرجع الى أعماله وأحواله وبواطنه وظواهره) من حصول الرضا ومقتضى مرضاته ومحبته الفعل
من الأوامر (ويعلم أن الخلق أعداء على قدر ما يشعر المرض عن قلوبهم) ويذهب المرض حزازاته) وقلبه في
كثير من الأحيان ويعرفه وكم في هذا المعنى أحاديث صحيحة رحمة الله تعالى (وعلموا أن صلاتهم قعودا مع
الصبر على البلاء عند الله تعالى أفضل من صلاة قائما مع الجزع والشكوى) قال الله تعالى وبشر الصابرين وقال
ان الله يحب الذين (وفي الحديث يقول الله تعالى اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله) في صحته (فانه
قد وفاني) أي حبسته وقبضته (من طلقته) منه (أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه) قيل لأنه قد طهر

وفي حديث من طريق
أهل البيت ان الله تعالى
اذا أحب عبدا ابتلاه
فان صبر اجتباه فان
رضي اصطفاه وفي
الصحيحين عن أبي
هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحبون أن
تكونوا كالحمر الصالحة
لا تحبون ولا تسقمون
وقال ابن مسعود رضي
الله عنه لأن أعود
مريضا أحب إلي من أن
أشهد جنازة وأن أعود
مريضا أحب إلي من أن
أشهد غازيا وبعد فلما عظم الثناء على
المرض والبلاء أحب
قوم المرض واعتنوا به
وقالوا ثواب الصبر عليه
وكان منهم من له علة
يحتسبها ولا يذكرها
للطبيب ويقضي علته
ويرضى بحكم الله تعالى
ومنهم من أحب أن تعلم
علته ليعلم أن علته
المرض عنه وانما يعلم
المرض جوارحهم علموا
أن صلاتهم قعودا مثلا
مع الصبر على بلاء الله
تعالى أفضل من الصلاة
قائما مع الجزع والشكوى
في الحديث ان الله تعالى
يقول للملائكة اكتبوا
لعبدي صالح ما كان
يعمله فانه في وثاقي ان
أطلقته أبدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه

عن الفرائض أفضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى بالقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يتعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الوجع أفضل من التداوي والصلاة أفضل فكان يسئل عن شرب الدواء فقال ما دخل في شيء من هذا فهو أفضل لانه ان حدث به شيء من الدواء ولو كان هو الدواء لم يرد ان يسئل عنهم أحد ولم يأخذ فالسؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين ان ضعف النفس وخضوع وكسر شهوات من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب الا اذا كان له عذر عليه (مذهب) له (و) لذلك (قال سهل) رحمه الله تعالى (على الاحسام رحمة وعلى القلوب عقوبة) وقال مرة مرض الجسد يقين ومرض القلب للمنافقين (السبب الخامس أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو يخاف منها عاجز عن تكفيرها فيبتليه

من الله عز وجل بالمرض (وان توفيه توفيه رحمة) وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود وثبت عنه أيضا من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه رواه البخاري ومسلم وثبت عنه أيضا أنه قال ما من مسلم يمرض مرضا الا كتب الله له عمله الذي كان يعمله في صحته رواه البخاري وثبت عنه أيضا أنه قال ما من عبد تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم الا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة رواه النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان وثبت عنه أيضا أنه قال ما من مسلم يمرض مرضا الا كتب الله له عمله الذي كان يعمله في صحته رواه البخاري وثبت عنه أيضا أنه قال ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري ومسلم وثبت عنه أيضا أنه قال ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري ومسلم وثبت عنه أيضا أنه قال ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري ومسلم

المرض دا ما قال تكفير اديترك التداوى حوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الأرض كالا بر دنما عليه ذنب ولا حساب وفى لفظ الحمر حمو يوم كفارة سنة قيل لانها تهد قوة سنة وقيل للا سنة ثلاثمائة وستون مفصلا تدخل الحمى فى جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل ربه عز وجل أن لا تزال محمومة فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة

(المرض) (الحمى) (الذنوب) (الجنة)

(المرض) (الحمى) (الذنوب) (الجنة)

(المرض) (الحمى) (الذنوب) (الجنة)

(المرض) (الحمى) (الذنوب) (الجنة)

قال فلقد كان من الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح مدخول مصائب والامراض على جسده وماله
لما رجو في ذلك من كفارة خطاياه وروى أن عيسى عليه السلام مر بقبر فرأى عند عظمه سلاء (٥٢٧) فقال يارب ارحمه فقال له كيف

الحكمي وروى نقصان فارضى له بقدري الجزء ورواه أبو يعلى بلفظ حدثت نفسي عند مرضه بنوبا
دو الحلقوق سبب عن جماعة من الصحابة فيما رواه في كتاب الصبر (قال فقد كان في الانصار من يتمنى العمى)
ولقد عوت وما قد رأيت الانصار يتمنون العمى قال وما سمعت حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ذهبي الى أهل قبا فوجدتهم أحد نوحهي في قوله تعالى يحبون أن يتطهروا أي من الاذى وهو نوب
يجيء والمرض فلم يكن في ذلك الحين قبة وشيء من ذلك فعلوا ان ذلك كان لهم طهورا فيما سقطت
لحي وثم كتهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه كيفها قال ان أحببتم تركها وكانت لكم طهورا
فقالوا ان نتركها فتركها فكان الله صبرهم فأخبر صبرهم وشكرهم فكان من هذا أن الامراض حسنة وانها
وانها تفضل عن الله عليهم بحمدهم (وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح مدخول
المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطيئته) فقال صاحب القوت يقول الله
يقول العلم والمرض والمال والفرح والمساءة ثم المرض أشد ولا في المرض لاحتمام فيها على الآلام والعلم
وفي المرض فضل صبرها على أعمال الآخرة والبقاء (وروى أن عيسى عليه السلام مر بقبر عذب صاحبه
السلام فقال يارب ارحمه) فأوحى الله تعالى (فقال تعالى) وعزتي (كيف ارحمه فيما به ارحمه) فقال صاحب
القوت (أي به أكفر ذنوبه وأزيد في درجته) وفي بقية في قصة ذلك ولو رحمهم وكشف عنهم ما هم من
ضر للعوا الآية فأخبر أن في ترك رحمتهم من الامراض عذابهم ورحمتهم بها قال صاحب القوت وقد روينا
أن عبدا لواحد من الصالحين في دير من الديارات قد عرض له بعض الامراض فرآهم سيدي الى كهف من الجبل
فيه عبد صالح فأخبره بما كان من حسده لصاحبه وقوله لو دخلت الصومعة وصلحت من هذا الداء الذي
بك فرجع عن قوله الى الصومعة وقوله يصحبون عالما ويكرهون ما كان فيه من البلاء الذي
أنت فيه فعرف من ذلك السبب الذي أعقبه أن أعقبهم الله الصحة فهم على أردئهم على حال وكان عبدا كان رؤس
دواء ولا قدرة على حمله حتى رددته عليه الى مصره (قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اعلموا
يا اخواني وفقنا الله وإياكم لمرضاته أن الله تعالى يحب أن يتعرض عباده لما يرفع درجاتهم ويعلي
مقاماتهم ويكفر سيئاتهم ويحط خطاياهم ويمحو ذنوبهم ويطهرهم من أدرانها ويقربهم اليه ويدنيهم
منه ويجعلهم من خاصته وأحبائه وأوليائه وأصفيائه وأهل مودته وقربه ومحبته ومن أجل ذلك
ابتلاهم بالمصائب والبلايا والرزايا والمحن والاسقام والاوجاع والآلام والاحزان والاكدار
والاغتمام وأنواع الهموم والغموم وأصناف الكروب والبلوى وأفانين الشدائد والاسقام
وضروب الاوصاب والاعتلال وأجناس الاوجاع والاهوال والفزع الاكبر وغير ذلك مما
يعلمه الله تعالى ويعلمه خلقه من أنواع البلاء وأصناف المحن والشدائد والمكاره
والمصائب والاوجاع والاسقام والاعتلال

قد عصاه وفي ذلك دواء من معصية ما دوى من عصى الله (وقال علي كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الارض (بالعراق في يوم عيد) وهم (ما هذا الذي تصنعون قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما أراكم ما تحبون ترجعون) وهو (وقد قال الله تعالى (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) وكذلك اذا استغنى بالعافية) يعني ان الانسان يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لانه قد يستغني بالعافية كما يستغني بالمال وكل واحد منهما مذموم وفي الخبر معقل معقول فيها كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لان السقيم معذور وفي الحديث القدسي ان من عبدي من لا يصلحه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك وكان السقم صالحا له ولم يكن ينفعه عبد وبذلك صلحه في خبر آخر ان من عبادي عبادا لا يصلح ايمانهم الا الفقر ولو أغنيتهم لافسدهم ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وكان الفقر صالحا له ولم يكن ينفعه عبد وبذلك صلحه في خبر آخر ان من عبادي عبادا لا يصلح ايمانهم الا الصحة ولو أسقمتهم لافسدهم ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك وكان السقم

وقال تعالى أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان لعبد ا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت يا عدل حط عنى رسول بعد رسول فلم تجب فكان لسلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصب فيه بقص فى نفس أو مال وقالوا لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب بمصيبة حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن ترضى خلقها وان النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل له ما رضيت فما فقال لا صحة لى فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ليلة عى من أراد أن يطرق رجل من أهل النار فليطرق الى هذا وهذا لانه ورد فى الخبر الحى حط كل مؤمن من النار وفى حديث

هذا كله انه حديث مرفوع ولكن المصنف تابع صاحب القوت فى عدم التصريح برفعه وارد (وقال تعالى أو لا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل) فى تفسيره (يفتنون بالأمراض) والاسقام (يختبرون بها) كذا فى القوت (ويقال ان لعبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت) يا عادل حط عنى رسول بعد رسول فلم تجب) الا ان آتيك فى أحد هذين أو فى الثالثة فقطع منك الوتين كذا فى القوت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية عن حذيفة بلفظ ما من مريض يمرضه الله بعد الا رسول منه الموت عند رجع اذا كان آخر مرض يمرضه الله منه يموت فيقال له ان رسولا بعد رسول فلم تجبه وقد أتاك رسول بقطع به من الدنيا (وقد كان لسلف لذلك يستوحشون اذا خرج) منهم (عام لم يصابوا فيه بنقص فى نفس أو مال) كذا فى القوت (وقالوا) وبعد يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما (لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب بمصيبة) والمعنى يكرهون ذلك ويقدرونه فى نفسه هذا بعد أن تصابوا وبعضهم (حتى روى أن عمار بن ياسر) رضى الله عنه (تزوج امرأة فلم تكن ترضى خلقها) كذا فى القوت (وان النبى صلى الله عليه وسلم عرض) فى بعض نسخ عرضت (عليه امرأة فذكر) أى ذكر (من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل له وما رضيت فما فقال لا صحة لى فيها) كذا فى القوت قال العراقى رواه أحمد من حديث أنس بسند ضعيف وابن ماجه بسند جيد (وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع) وفى رواية ذكرت لى فقال ما أصابنى قط (فقال صلى الله عليه وسلم ليلة عى من أراد أن يطرق الى رجل من أهل النار فليطرق الى هذا) كذا فى القوت قال العراقى رواه أبو داود من حديث عمار الا أنه قال الحصر بدله وفى اسناده من لم يسم اهـ قلت رواه هو وأحمد من طريق أبى اسحق عن أبى ميسرة عن عمه عامر الراعى قال أتانا السلاد وقد وقعت الغارات وأتوا بقفت ماهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس تحت شجرة وحوله أصحابه فذكر الحديث وذكر العراقى فى تخريجه أن أبا نعيم رواه عن أبى اسحق فقال عن الحسن بن عمارة عن أبى ميسرة وقد أخرج عن أبى خيثمة وابن السكن وغيرهما الحديث من طريق أبى اسحق فقال حدثنى رجل من أهل الشام يقال له أبو ميسرة وهذا يدل على وهم أبى أويس فى قوله عمارى أبو ميسرة لا يعرف الا هذا (وذلك لانه ورد فى الخبر الحى حط كل مؤمن من النار) وهذا حديث لا يستقيم لامع ذكر راويه الذى ذكرتها وهى موجودة فى القوت وسقطت من بعض نسخ المصنف وبه يعلم ما فى الصباح قال العراقى رواه البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبى أمامة والبيهقى فى الدعوات من حديث أنس والديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وفيها حسان ولابن ماجه من حديث أبى هريرة انه عاد مريضا فقال وعلى كان به فقال ان الله عز وجل يقول هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حطه من النار فى الآخرة وأعله الدارقطنى من حديث ابن عباس انه قال اهـ قلت حديث عائشة عن البزار الحى حط كل مؤمن من النار وقد أعله الدارقطنى بالانقطاع وله طريق آخر عنها ضعيف جدا ولكن حسن المنذرى اسناده وبعض حديث أبى أمامة عند أحمد الحى كبير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حطه من النار قال المنذرى لا بأس باسناده وقد رواه أيضا الضياء وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية وله عن ابن مسعود عند الديلمى الحى حط كل مؤمن من نار وحمى ليلة تكفر حطا سنة محرمة وقد رواه كذلك القضاعى فى مسند الشهاب وهذا قد تقدم الكلام عليه قريبا وأما حديث أنس عند الطبرانى فى الاوسط وروى كما تقدم وروى أيضا الحى حط مئتى من جهنم سنده كذلك ضعيف وفى الباب عن عثمان بن عفان وأبى بحينة الانصارى فحديث عثمان أخرجه ابن عساكر فى تاريخه بلفظ الحى حط المؤمن من النار يوم القيامة وحديث أبى بحينة رواه ابن النجار فى تاريخه بلفظ الحى كبير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار وفى لفظ وهى نصيب المؤمن من النار رواه هكذا الطبرانى وابن قانع وابن مردويه والديلمى وابن عساكر (وفى حديث

عن عمه الدم لدفع الباس والعقرب تدفع الظهر وفي حرق بهما فقال

ودلك بعض شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل الجوع بالخبز ويدفع البرد بالجبة ونحو ذلك فلا يكون ترك شيء من هذه الأشياء قادحا في التوكل وقال بعضهم التوكل ترك الأسباب التي يعلم أنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا وأما ما علم أنه يجلب نفعا أو يدفع ضرا فتركه حرام وقال بعضهم التوكل ترك الأسباب التي لا يعلم أنها

اذا سمعتم الوباء بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع من الجابية (رواه البخاري ومسلم) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ بلغه أن بالشام وبا فأخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع من الجابية (رواه البخاري ومسلم) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع لي المهاجرين الاولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن يرجع عنه وقال بعضهم معك بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الانصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس اني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه فقال أبو عبيدة وهو اذ ذاك أمير الشام فرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان احداهما خصبة والأخرى جدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال ان عندي من هذا العلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف (رواه البخاري في صحيحه بمعناه من ودكر سعيد في سننه عن مشايخه ان الطاعون وقع بالشام في المحرم وصفر وعظم جدا بالناس ثم ارتفع وكتبوا الى عمر بذلك فكتب اليهم عمر اذا كان قريبا من الشام بلغه انه كان أشد ما كان فقال أصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فلا أدري ما هذا من حديث عبد الرحمن بن عوف المتقدم فقد روى أيضا من حديث أسامة بن زيد رواه ابن السني وأحمد وابن شاهين ومن حديث ابن عباس رواه أبو داود ومن حديث زيد بن ثابت رواه الطبراني وغيره ومن حديث سعد بن أبي وقاص رواه ابن السني وابن مردويه وذكر أخبارا كثيرة موقوفة لحديث عبد الرحمن بن عوف وفي بعض حديث أسامة الطاعون قبيل رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني اسرائيل فاذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تهبطوا عليها هكذا رواه الشيخان والترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان في روايته سئل عن الطاعون أن الله كان عذابا يبعثه على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من رجل يقع الطاعون ببلده فيمكث صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد (رواه البخاري بلفظ اذا وقع الطاعون وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تدخلوا عليه ورواه الطبراني بلفظ اذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تدخلوا عليه ورواه أحمد وابن أبي عاصم وابن حبان من حديث عكرمة عن أبيه وعمه عن جده اذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها واذا كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها وأما الآية التي استدل بها بعض الصحابة وهي قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم الآية قال ابن عباس كانوا ثمانية آلاف وقال قتادة وقع الطاعون فخرج منهم ثلثمائة وثلاثة ثم أصابهم فخرجوا كلهم فماتوا فمر بهم نبي فقام وقال اللهم ان شئت فاجعلهم عبرة وان شئت فارحمهم فأحياهم وقيل ان خروجهم كان بغير ذلك قال الزمخشري ومن بديع التفسير ان معنى ألوف أي مؤتلفة وهم خرجوا فرارا وانما جمع آلف على غير شهود وشاهد وقال الفخر الرازي يمكن أن يكون المراد ان كل واحد منهم آلف لصاحبه محبا لهذه الدنيا (فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهي عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وجاء في الطب انه هو أظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر ولم يرخص فيه فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن المضر غير منهي عنه اذا الجامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن

اذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه واذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهي عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وجاء في الطب انه هو أظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر ولم يرخص فيه فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن المضر غير منهي عنه اذا الجامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن

الذي يقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث انه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة واقلبها وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد حصول تأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الامر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان منافيا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه أمر آخر وهو أنه لو رخص لاصحاب في الخروج لسابق في البلد الا المرضى الذين أقعدهم العاجزون فكثرت فيهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يحترزون عن مباشرتهم بأنفسهم فيكون ذلك سببا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظرا كأن خلاص الاصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه) رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير بلفظ المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه تداعى له سائر جسده بالحمى والسهر وفي لفظه المسلمون كرجل واحد ورواه أحمد وأبو نعيم في حلية الاولياء من حديث ابن عمر بلفظ المسلمون كالرجل الواحد ان اشتكى عينه اشتكى كله ورواه الزاهر هري في الامثال بلفظ المسلمون كالجسد الواحد ان اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده وقد روى نحوه من حديث سهل بن سعد المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم المؤمن لاهل الايمان كالرأس من الجسد الى آخره رواه ابن المبارك وأحمد والروياني والطبراني وأبو نعيم في حلية الاصباء (فهذا هو الذي يقدح عندنا في تعليل النهي) مع أن بعض أهل العلم قد كان ينهى عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فرارا منه أمر تعبدي لا يعقل معناه اذ الفرار من الهالك مأمور به وقد صح النهي هنا فكان السر فيه لا تعلم حكمته بالاولى فيه التسليم والامتثال * وذهب كثيرون الى التعليل وذكروا لذلك حكما منها ما سبق ومنها انهم لو توارد دواعي الخروج لبقي من يقع به عاجزا عن الخروج فيصاب بمصاب مرضى الفقد من يتعهدهم وموتى يفقد من يجهزهم والباقي خروج الاقوياء من كثير فلو من لا قدرة لهم على الخروج ومنها ان الطاعون في الاغلب يكون عاما في البلد الذي يقع به فالوديع والشحيح هم في ظاهر الحال سببه فلا يفيده الهرب ومنها ان كان أجله حضر فهو يموت سواء أقام أو رحل وكذا بالعكس والله أعلم ومن رخص في الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون كثيرون لمريض مرض لموت ومنهم الخارج يقول لو خرجت لمت ويقول انهم لو خرجت كما خرج فلان لسلمت

سلت فيقع في الموالنهي عنه وبهذا قال بن عبد البر وروى عن بن مسعود ان الطاعون فتنة للمقيم والخارج ومنهم زعم بعض أهل الطب ان الذي يقع به لو ماء تكيف أرواح أهله بكيفيته ثم ان الاماكن والأبنية أمرجتهم وتصير لها بمجاورة بعضهم بعضا هذا انتقل الى الاماكن الصحيحة فوقع في بواديهم من لم يقع بحواضرهم فانتقل بعضهم معه الى القلب ما يحدثه من الابخرة الردية التي تحصل تكيف بدنه بها فيصل الى قلبه فيقع ذلك المرض الذي قرمنه فمنع من الفرار منه من هذه الحيثية وهذا فيه نظر والتعهد ما تقدم (ويعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق بالبلد الا مطعون وانفرد والمتعهدين وقدم عليهم قوم فرعا كان يقدح استحباب الدخول ههنا) فرارا الى فقدهم (لاجل لاعانة) لهم (ولا يهتى عن الدخول لانه تعرض بصرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ومهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاحيان وارمن الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم) قلت في الحر في رواية أحمد من حديث عائشة باسناد جيد ومن حديث جابر باسناد ضعيف وقد تقدم في حديث عائشة قطعة منه الطاعون عذاب كان الله يبعثه على من شاء فجعله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفي رواية أحمد من حدث عائشة قطعة منه الطاعون شهادة لامتي ووخز أعدائكم من الجن يخرج في آباط الرجل ومراقها الحارصة كالصابرين الزحف ومن مات فيه كان له أجر شهيد وروى هو أيضا وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عائشة الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه كالصابرين الزحف وروى ابن عدي والطبراني في الاوسط نحوه بلفظ الطاعون شهادة لامتي ووخز أعدائكم من الجن يخرج في آباط الرجل مراقها الحارصة كالصابرين الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد وروى هو أيضا وصححه ابن حبان والحاكم عن عائشة الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة واسناده جيد وابن حزم ضعفه بعنده أكثر ما سمعه وغلط بعض الزهاد بكثرة في مثل هذا وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك) ثم على تقدير صحته احتمالات أن النهي عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون هل هو على ظاهره من التحريم وهو للتنزيه على قول من استدل من قال انه نهي تحريم في بعض طرق الحديث السابق ولفظه كالفار من الزحف قال ابن عبد البر الطاعون موت شامل لا يحل لاحد أن يهرب من أرض نزل بها اذا كان من ساكنيها ولا ان يقدم عليه اذا كان بارض ليس نزل بها وقال النووي لا شك في تحريم الذي جعله في الطاعون مذهبا وهو الذي عليه الاكثر انه للتحريم قال وقال بعض العلماء هو للتنزيه والحق في هذا ان الخروج لشعل عرض غير فرار فالدواب ليس محل النزاع فيمن خرج فارا من قضاء الله تعالى فذلك لا سبيل الى القول بانه غير محرم بل الظاهر ان محل النزاع فيمن اذا خرج للتداوي ورد عليه احاديث تجري مجرى تعليل لمنع ذلك وهذا ليس بظاهر لان الخروج للتداوي والخروج للجهاد ليس بحرام من حيث العبارة الصحيحة أن يقول محل النزاع فيما اذا خرج فارا من المرض الواقع مع اعتقاده انه لو قدره الله عليه لا ضره وان قدره الله عليه لا يجيء من فراره سكن بخرج مؤملا أن يحوله الله عنه واحتج من أجاز الفرار بامور * الاول قال البخاري بعدان أورد حديث لا يورد ممرض على مصح وهب قوم لهذا وقالوا انما كره ذلك مخافة الاعداء وأفرط ابن حبان في الدلالة والفرار منه واحتجوا برجوع عمر من سرغ لما بلغه ان بعض خشيته أن يعدله من قدر عليه ثم أجاب المهلب وابن التين بان الامر لم يتقدم عليه لو كان للعرف من أن يعدي كان لاهل الموضع الذي وقع فيه أيضا الخروج لما سبق ان المعنى الذي من اجله لم يقدم عليه عمر وهو خوف أن يضيفه بتقدير الله فيقول ولاني قدمت هذه الارض لما أصابني فامر أن لا يقدم حسما للمادة وكذلك أمر أن لا يخرج من الارض التي نزل بها البلاء ليسلم فيقول لو أقمت في تلك الارض لما اصابني ما أصاب أهلها ولعله لو كان أقدم لما أصابه من الشيء فامر بترك القدوم على الصابرين للمعنى الذي وصفت * ثانيها قال النووي يستدل بقياس على الفرار من الاسد والعدو الذي لا يقدر على دفعه فان الكفار وقطاع الطريق اذا قصدوا من لا طاقة لهم بهم حل التحي من بين أيديهم وقل فيه الكفاية لهم اتفاقا قال ولا يعلم خلافا في الجواز وان كانت الاحوال لا تريد ولا تنقص والخوف ان السلامة من الاسد والعدو

ويعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق بالبلد الا مطعون وانفرد والمتعهدين وقدم عليهم قوم فرعا كان يقدح استحباب الدخول ههنا لاجل لاعانة ولا يهتى عن الدخول لانه تعرض بصرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ومهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاحيان بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم فهذه أمور دقيقة ان لا يلاحظها ويغار الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك

فان قلت في ترك التداوي فصل كما ذكرت ثم لم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لبيان الفضل فنقول فيه فصل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خف على نفسه معصية لغلبة وغلبة الشهوات واحتاج الى ما يذكره الموت بغلبة الغفلة أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين المقصورة عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قشرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالذي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله تمنعه عن الجمع فهذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كما لا يخفى بالاضافة الى بعض الخلق وبعض الاحوال وبعض الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كما لا يخفى أيضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه واستواء الذهب والحجر أكمل من المغرور من الذهب بدون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء الذهب والحجر عنده وكان لا يمسكه لتعلم الخلق مقام الزهد فهذا منتهى قوتهم لا لحوجته على نفسه من حيث انه كان أعلى رتبة من أن تضره الدنيا) وبعد هذه كلمات (وقد عرضت عليه خزائن الارض فلم أن يقبلها) هذا تقدم لعلط عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (وكذلك يستوي عنده عشرة الاسباب وتركها مثل هذه

قدر وجود هلال معهما كان يشق فصار كالقذى في العين لا لنقصان نفسه في نظر من يبلغ الى ما يقع به الصعود الى السماء وهو كثيرة وان لم يكن مانعة * الثالث القياس على الخروج من الارض المستوجبة كقصة العرنيين والجواب عن ذلك من باب التداوي وترك ما لا يوافق المريض من الاغذية والادوية في تأثير المرض فكان الخروج من الارض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوي قال الشافعي وعندي في هذا الجواب نظر فان الاسباب التي يحركان وجهه بقول الله تعالى لا طاعون أصابه شيء من هذا لا هوية الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون ليس من طعن الجن والجواب خروج العرنيين لم يكن بقصد الفرار أصلا وانما كان بعض التداوي كما تقدم عن الشافعي وكان خروجهم من ضرورة وقوع لان الذي كانوا يتوهمونه في البادية انما كان في مرعى ودوابهم كانت بالبادية وأقوا بها وهذا سبب ثالث فكان الخروج عن البلد لعدم الامر بتحقق الوجود بخلاف الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون لي لمن أخرجه خروج اليه بالقصد لامر مطلوب فلا يؤمن من وقوع الطاعون في البلد الآخر * الرابع قال الزركشي احتجوا بالقياس على الفرار من المجذوم فروى البخاري من حديث أبي هريرة فر من المجذوم كما تفر من الاسد والجواب من وجهين أحدهما قال ابن الصلاح تبعا لغيره يحمل ما ظاهره التعارض من حديث أبي هريرة وهو لا يورد ممرض على مصح وحديث فر من المجذوم فر رواه من الامر مع حديث لا عدوى ان هذه الامراض لا تعدي بطبعها ولكن الله تعالى جعل مخالطة المريض للمصح سببا لاعدائه مرضه ثم قد يتخلف ذلك عن مسببه كما تقدم الثاني ما ذهب اليه جماعة كثيرة ابن حبيبة والطحاوي وأصله لابن عبيدة القاسم بن سلام وهو أن المصح قد يصيبه ذلك المرض بعينه الذي أورده لولي ما أورده عليه لم يصبه من هذا المرض شيء والواقع به لو لم يورده لاصابه فتقدير الله عليه هو الذي أورده هذه العلة التي لا يؤمن على الناس عامة من وقوعها في قلوبهم والله أعلم (قال قلت في ترك التداوي فصل كما ذكرت ثم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لبيان الفضل فنقول فيه فصل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خف على نفسه معصية لغلبة وغلبة الشهوات واحتاج الى ما يذكره الموت بغلبة الغفلة أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين المقصورة عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قشرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالذي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله تمنعه عن الجمع) بين الشغلين (فهذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي) وقد مر بيان ذلك تفصيلا (وكل ذلك كما لا يخفى بالاضافة الى بعض الخلق وبعض الاحوال وبعض الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كما لا يخفى أيضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه واستواء الذهب والحجر أكمل من المغرور من الذهب بدون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء الذهب والحجر عنده وكان لا يمسكه لتعلم الخلق مقام الزهد فهذا منتهى قوتهم لا لحوجته على نفسه من حيث انه كان أعلى رتبة من أن تضره الدنيا) وبعد هذه كلمات (وقد عرضت عليه خزائن الارض فلم أن يقبلها) هذا تقدم لعلط عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (وكذلك يستوي عنده عشرة الاسباب وتركها مثل هذه

المشاهدة والعالم يترك استعمال الدواء حرياعلى سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لاضرر فيه بخلاف ادخال الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث ترؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه من حيث انه يقصد به الصحة استعانة بها على المعصية دل ذلك على نهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله تعالى سببا للشفاء كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح له حكمه وقد ظهر بالمعاني التي أوردناها ان ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الاحوال وأن التداوي قد يكون فضيلة في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان وحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل لان الترك الموهوم

الموهوم كما سبق وبقي ما ذلك تعمق في التدبير وهو لا يليق بالتوكل

مشاهدة والعالم يترك استعمال الدواء حرياعلى سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم) مع انه لا ضرر فيه لانه من أمور الآخرة (بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث ترؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه من حيث انه يقصد به الصحة استعانة بها على المعصية دل ذلك على نهي عنه (والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للشفاء كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح له حكمه وقد ظهر بالمعاني التي أوردناها ان ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الاحوال وأن التداوي قد يكون فضيلة في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان وحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل لان الترك الموهوم (كما سبق وبقي ما ذلك تعمق في التدبير وهو لا يليق بالتوكل) والله الموفق

(باب حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن كتمان المرض والخصاصة والفقر وأنواع البلاء من كنوز البر) روى الطبراني والحاكم من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى قلت وفي سنده للطبراني ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة، وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وقد تقدم (وهو مما في المقامات لا ارى تحكم الله) وصبر عليه لانه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات) وبعد الموفق ولا يقصر توكل الا وكل احواله تعلقه على معنى التحدث بما مع فقد الآفات السوء اذا كان ذلك شاكرا بقضاء الله أو يكون بذلك مستهزا للضجر والافتقار بين يدي مولاه أو راعيا في دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيحدث بها شاكرا للشكر (فقد كان) أبو نصر (البشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (يصف بعد الرحمن المخلب أوجاعه) وصفة أشياء (و) قيل (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يحمر) الطبيب (بامراض يجدها ويقول انما يصف قدرة الله تعالى) وتقدم قريبا انه كان ممن كتم الامراض ولم يخبر بها أحدا فلعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحدا غير الطبيب أو هو يختلف على اختلاف الاحوال والاوقات (وانما يصف) يخبر (الطبيب وكان ممن يقتدى به) بان كان امام يستمع اليه وتقتبس منه الآثار (وكان مكتفيا في معرفته) وأراد من ذكره أن يخبر منه حسن البصري (البرجل حسن الشكر بان يظهر انه يرى ان المرض نعمة ويشكر عليها فيتحدث به كما تحدث باسم قال الحسن البصري اذا احمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر وجعه لم يكن ذلك شكوى (الثالث أن يظهر ذلك لغرض واقتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستعد منه الصبر كما روى انه قيل لعلي رضي الله عنه كيف أنت قال بشر فقير يعصمهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك) لقوله (فقال) علي (أحمد الله ما حب أن يظهر) انه (لغيره وثقة به مع علمه بما هم به من الاخوة والنصرة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا يأس من ذلك لان من يقول لغيره اذا سئل كثيرا قال لتوري عن اسم الرجل من نفسه فانه اشد على كل أحد يحسنه (و) كان عمار رضي الله عنه (تأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم) به وهو به (اذ) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم حيث يقول لهم صبرني على البلاء فقال) صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى يعافيه) وقد تقدم ذلك في كلام عمر مع خباب ومن هنا قال معروف رحمه الله تعالى لان اعافى فاشكر أحب الي من أن ابتلى فاصبر لان بلاء طريق لاقوياء وذكره أهل الاشارة لخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي البر يريد ذكر أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضة شديدة بمصر وكان يقول اللهم ان كانت في هذه رضاك فزدني منه فكتب اليه ادريس بن يحيى الحماني يا أبا عبد الله لست من رسل البلاء فسل الله لعافية فرجع عن قوله هذا واستعمر الله منه وبهذا كما حكي عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيرتي فيما أحب (فهذه الجهات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يندفع نقص لحاله وهو داخل في (شكاية) الولي (والشكوى من الله حرام بما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء لانه صبر وتوصير لا اظهر شكاية بقرينة التخطي واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

(باب حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن كتمان المرض والخصاصة والفقر وأنواع البلاء من كنوز البر) روى الطبراني والحاكم من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى قلت وفي سنده للطبراني ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة، وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وقد تقدم (وهو مما في المقامات لا ارى تحكم الله) وصبر عليه لانه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات) وبعد الموفق ولا يقصر توكل الا وكل احواله تعلقه على معنى التحدث بما مع فقد الآفات السوء اذا كان ذلك شاكرا بقضاء الله أو يكون بذلك مستهزا للضجر والافتقار بين يدي مولاه أو راعيا في دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيحدث بها شاكرا للشكر (فقد كان) أبو نصر (البشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (يصف بعد الرحمن المخلب أوجاعه) وصفة أشياء (و) قيل (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يحمر) الطبيب (بامراض يجدها ويقول انما يصف قدرة الله تعالى) وتقدم قريبا انه كان ممن كتم الامراض ولم يخبر بها أحدا فلعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحدا غير الطبيب أو هو يختلف على اختلاف الاحوال والاوقات (وانما يصف) يخبر (الطبيب وكان ممن يقتدى به) بان كان امام يستمع اليه وتقتبس منه الآثار (وكان مكتفيا في معرفته) يخبر بعلته وقلة ربح عن انه فيما قدره (فاراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر فالمرض البرجل حسن الشكر بان يظهر انه يرى ان المرض نعمة ويشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث باسم) أي يكون اخباره بالتحدث (بنعمة الله تعالى (قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (اذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر وجعه لم يكن ذلك شكوى) عليه صاحب القوت (الثالث أن يظهر ذلك لغرض واقتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستعد منه الصبر) والحلم (كما روي أنه قيل لعلي كرم الله وجهه) وهو (في مرضه كيف أنت قال بشر فقير يعصمهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك) لقوله (فقال) علي (أحمد الله ما حب أن يظهر) انه (لغيره وثقة به مع علمه بما هم به من الاخوة والنصرة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا يأس من ذلك لان من يقول لغيره اذا سئل كثيرا قال لتوري عن اسم الرجل من نفسه فانه اشد على كل أحد يحسنه (و) كان عمار رضي الله عنه (تأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم) به وهو به (اذ) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم حيث يقول لهم صبرني على البلاء فقال) صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى يعافيه) وقد تقدم ذلك في كلام عمر مع خباب ومن هنا قال معروف رحمه الله تعالى لان اعافى فاشكر أحب الي من أن ابتلى فاصبر لان بلاء طريق لاقوياء وذكره أهل الاشارة لخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي البر يريد ذكر أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضة شديدة بمصر وكان يقول اللهم ان كانت في هذه رضاك فزدني منه فكتب اليه ادريس بن يحيى الحماني يا أبا عبد الله لست من رسل البلاء فسل الله لعافية فرجع عن قوله هذا واستعمر الله منه وبهذا كما حكي عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيرتي فيما أحب (فهذه الجهات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يندفع نقص لحاله وهو داخل في (شكاية) الولي (والشكوى من الله حرام بما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء لانه صبر وتوصير لا اظهر شكاية بقرينة التخطي واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

الشكاية في معرض الحكاية مما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن مخلب وجاعه وكان أحمد بن حنبل يحمر بامراض يجدها ويقول انما يصف قدرة الله تعالى (الرابع) أن يصف لغير طبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكتفيا في معرفة فاراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر فالمرض البرجل حسن الشكر بان يظهر انه يرى ان المرض نعمة ويشكر عليها فيتحدث به كما تحدث باسم قال الحسن البصري اذا احمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر وجعه لم يكن ذلك شكوى (الثالث أن يظهر ذلك لغرض واقتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستعد منه الصبر كما روي انه قيل لعلي في مرضه رضي الله عنه كيف أنت قال بشر فقير يعصمهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وطوا انه شكاية وقد أجاز على انه مما حاب يظهر فقره واقتقاره مع علمه به من القوة والنصرة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فهذه الجهات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء لانه صبر وتوصير لا اظهر شكاية بقرينة التخطي واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

قال نحسلا عن قرينة السخط وعن سبيان التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من اعله من غير اندواي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء افضل من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بشم صبر وقيل في معنى قوله تصبر جميل لا شكوى وهو قول ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك قال سر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يارب اتوب اليك وروى عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض اثنيه في مرضه وكانوا يكرهون أنين المرض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس لعنه الله من ايوب عليه السلام الا انينه في مرضه فعل الانين حطه منه

قال (لم يصبر) أي لم يكن من صابر بن فاصبر تصبي عدم الث قلت وهذا قد روى مرفوعا وروى عبد الرزاق وابن حميد عن مسلم بن يسار عن سعد بن مسعود وبعده مثله وروى ابن المنذر وابن مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر مثله وروى ابن مردويه من حديث عبد الله بن عمر مثله وروى ابن عدي وابن مردويه في شعب الايمان من حديث ابن عمر من كتم مرضه كان كالصابر وكان كصائم النهار وروى ابن ابي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ عن حبيب بن أبي ثابت ان يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجبه على عينه من كثرة بكائه وكان بينهما مسيرة ثمانين عاما فلما لقي يوسف عليه السلام قال يا بني والله ما زال بصري يضعف حتى ذهب ما بيني وبينك فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى أحد فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي وروى ابن ابي حاتم عن نصر بن عرفجة قال لما ذهب بصر يعقوب عليه السلام قال لجبريل عليه السلام ما الذي أذهب عيني يعقوب عليه السلام قال ذكر ذكره يوسف عليه السلام قال يا بني الله كيف تجدك قال يقول صح بكر فقد ذهب بصري فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى عبادي قال أي رب هذا شيء عجلته لا أعود به ثم لم يزل بعد يقول انا أشكو بثي وحزني الى الله وروى عن ابن ابي مليكة قال سمعت ابن عباس يقول ان أشد ما ابتلي به يعقوب عليه السلام حزنه على يوسف وانه ابتلي بذهاب بصره من الحزن عليه ثمانين حولا وما على وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه ولا من نبي مرسل وروى ابن ابي الدنيا في الصبر والبيهقي في شعب الايمان من حديث انس كان يعقوب عليه السلام اذا ذكر يوسف بكى فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال ما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين وروى ابن جرير عن عبد السلام قال قال يا يعقوب ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك ما تصنع أتشكوني لي بعبدي فقال يعقوب اني أشكو بثي وحزني الى الله فعذل جبريل الله أعلم بما تشكو الحديث (ورد عن عدو وضده) رحمهما الله تعالى وهما من كبار التابعين (انهما قالا لا يكتب على المريض انينه في مرضه) كذا في القوت قلت وقد روى هذا مرفوعا من حديث عن يكتب على المريض قال كان صابرا شاكرا كتب له حسنات وان كان أنينه جزعا كتب هلوعا لا أجر له رواه أبو نعيم (وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى) وعد القوت مدل على الشكوى (حتى قيل ما أصاب ابليس لعنه الله من أيوب عليه السلام الا أنينه في مرضه فعل الانين حطه) أي حط ابليس (منه) كذا في القوت وهذا اذا كان جزعا وتسخطا وكراهية لما قدره الله تعالى عليه كما فهم ذلك من حديث علي السابق لا مطلق الانين فان المريض قد يضعف البدن ومع ذلك راض نفسه محتسبا مسلما لما قدره الله عليه صابرا غير متسخط كيف وقد ورد أن المريض تسبح وصيحته تهليل ونومه صدقة وتوجعه على الفراش عبادة وتقلبه من جنب الى جنب كالمجاهد في سبيل الله يعدو في سبيل الله يقول الله سبحانه لملائكته اكتبوا لعبدي أحسن ما كان يعمل في صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له رواه الخطيب والديلمي من حديث أبي هريرة والازرقي بمعناه

وفى الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين اكتبا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا فالا كذلك تكون واما كره بعض العباد لبعضه خشية الشكاية وخوف الزيادة فى الكلام فكان عصم اذا مرض اغلق بابه ولم يدخل عليه احد حتى يبرأ فحرج اليهم منهم فصيل ووهيب وبشر وكان فصيل يقول انثنى ان امرض لا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد رضى الله عنهم اجمعين كذا فى كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه يتلى ان شاء الله تعالى

كتاب الهيبة والشوق والانس والرضا والله سبحانه وتعالى الموفق

أو كفاية فقال كفاية بس دونهم به ضيق سبعة عشر يوما فأرسلنا ان حسن الخياط قال كنت عند أشعب الخالق فجاءه بعض أصحابه فقال لمن أنتم فقالوا نحن من الشام حجاجا قدمنا عليك ونريد الحج فقال شكر الله سعيكم فقولوا تخرج معنا فقال بثلاث شرائط لا تحمل معنا زادا ولا تأكل من أحد شيئا ولا تعطف أحدا فقالوا أما الأول لا نحمل معنا زادا لأنا لا نقدر على حمله وأما الثاني لا نأكل من أحد شيئا فهذا لا نستطيع فقال أخرجتم متوكلين على رب الفلاح وتبين حسب المحمي لم تركت أخاه فقال واحد منكم ثمانية ودينار من وضع في ميدان التعويض فرقا بين المراد بكثرة المعروض الى أهله والمعروض من التعويض والجمع ان التعويض في حمل هو المحمود والتضييع في حق الله وهو مذموم منهي ما في رسالة وقال صاحب القوت حدثونا عن بعض السلف قال رأيت بعض عبادي من أهل البصرة في سفر وقف واقفين بنا فقال عمرو وأدخلني الجنة فقلت أي الأعمال وجدت هيئة فصل قال وكنا وقصر الأمل وسعة القلب ومن الإيمان بالله التوكل على الله وأن التوكل يحسب العبد الى الله وأن التفويض إنما هو من هدى الله وهو توفيق العبد وصون الله إياه من موقف العيب وصون الله له وحسن كرامة الله وكان بعض يقول العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل والتوكل كله باب من الرضا والرضا كله باب من التفويض والتفويض هو أن تعلم أن الله قد علم ما أنت عامل قبل أن تعمل وقبل أن تكون وقبل أن تعرف وقبل أن تعلم وقبل أن تتوكل وأن تتوكل

وما هو اعلى منه هو الذي عجزوا عنه ومع هذا فهم مشغلتهم وهواجسهم ظالمهم لا تسكن قلوبهم الى غير الله ولا تثق همتهم مع السوى ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا تجتمع مكاسبهم ولا يسكنون الى هوى النفس فيجتمعوا بسكونهم عن سكون القلب فيشتت عقولهم ونفوسهم بضعف قلوبهم لدى هو الاصل فيضر وا رأس المال وتفوتهم حقيقة الربح وهذا دأب محجوبي هذه الدار نعوذ بالله منه

(فصل) وقال بعضهم التوكل هو الفرار من التوكل أي التوكل بالتبرأ الى توكله انه لا يكفي أو بما في فعل غير حال توكله على الله لان توكله يلزمه ان لا يزاحم حتى يدع بطره الى توكيل وحده بالحل وقوله شهوده نفسه بالعمل لا يكون بينه وبين التوكل شيء أو يتوكل عليه أو يدله حتى التوكل أيضا الذي هو طريقه وصاحبه يشير الى هذا المعنى فقال ما قد عرضت على البصرة الى الشام وليس عندي درهم فاري فقال يا هذا أخرج فيما قصدته فان ربك ملك يأتيك بما تأكل وتشرب فاذا كان حين الخروج الى السفينة حملت لي هدية من غير الله تريد وقال الحسن في تفسير قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون أي فليثق الواثقون بما في عهدة التوكل لا بما في عهدة مولاه رزق عبده كلا بما في عهدة مولاه من عبوديته لان هذا مضمون عبده وهو لا يضيع ما في عهدة مولاه ورزق عبده كلا بما في عهدة مولاه من عبوديته لان هذا مضمون عبده وهو لا يضيع ما في عهدة مولاه وقال وردي لصفة اذا اشتد أمرك فانظر ممن تطلب فان كان طلبك من الله فاعلم أن الله لا يطلب منك الا ما هو له وقال أعرف في بصيرتي بقوله يجري على مولاهم من رزقهم من حيث لا يحتسبون من الجميع عليهم من العموم والشكوك ما هو مستتر عن أهل البصيرة فاذا تواصل لهم كان ذلك عندهم وقوعا ما أي شيء تعتمدي وقال مرة لم يكن من التوكل بد فقيل له متى يكون العبد متوكلا فقال اذا صح توكله في ثلاث مواطن في كتاب من يكتب له وفي صدقة من يتصدق عليه وفي مكيال من يكيل له فاذا صح توكله في هذه المواطن كان متوكلا على الله وقال التوكل على الله هو الثقة بالله في كل ما ضمن من الرزق وقال بعضهم التوكل على الله هو أن يعلم أن الله تعالى علم ما العباد عليه من تقدير أرزاقهم وآجالهم وأن ما قدر لهم لا بد أن يأتيهم وأن ما لم يقدر لهم لا يأتيهم فاطمأن قلبه بذلك وقال التوكل على الله هو الرضا بما فعل الله وقال التوكل على الله هو الثقة بالله في كل ما ضمن من الرزق

(فصل) لا يصح التصرف والتكسب من محجور عليه ولا يصح في مقسمه ولا يتقاضى حقه ولا أحكم فيه بمعنى التصرف لي لو كان في أول حركة فكون محجورا عليه وأراد في الحكم بعد التصرف فيكون معاملته له وقد كان صاح بذلك أحب إليهم من أن يحجر عليه فإن كان قد تولى التصرف وعامل وحجر عليه فحكي في الأسباب وهو صحيح من [illegible] في تصريفه معتمد عليه وثق به في حركاته مكتسبا فيما يقابله ولا يعلم له مال فيما يبيعه ويوجبه وكيله وشوهد من [illegible] عند وقوع حقه وحجر عليه حراس حكمته ومفاتيح رزقه مجتمع الخلق بحانبه فيرد [illegible] للمحجور عليه فيما تصرف فيه وقضى عليه الفصل في ذلك عليه فيما كان وسكن أن يكون هذه في حاشيته وغير عياله من [illegible] وجب عليه الاكتساب لنفقتهم والاكتساب فاضل لهم إلا أن يكون في تركه ضرر عليهم ومن تعذر عليه الاكتساب بالمرض ونحوه وله مال فليقتصد عن الاكتساب ومن اعتاد بالتكسب فليس له تركه بمن هو في حاشيته وأوجب الحكم بالاكتساب [illegible] في تصرف في حاله ومن علم منهم واعتاد ذلك له وسكن على ظاهره فهو على [illegible] وله عذر وقبل عذره وتبع عن ربه ناظر في الوكيل [illegible] الورد معه ما قوله فصل [illegible] عليه فهو على [illegible] وكيله

(فصل) قال أبو يعقوب البويطي [illegible] من [illegible] في [illegible] واعمل هو لله وتعالى [illegible] على حقيقته لوجود [illegible] ثم دخل في الأسباب فصرف [illegible] من قال هذا وقد [illegible] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ثم [illegible] الأسباب لغيرهم ردت عليهم أموالهم [illegible] وجعلوا وارثهم [illegible] ٣ هنا بياض بالأصل

[illegible] وقيل مستعمل [illegible] في قيل [illegible] ويقال [illegible] وقيل [illegible] وقيل [illegible] وقيل

نصفه مشوب ووضع صفة لي يفعل ما حصر به لم يبق من شدة الدنيا أمل وفي رواية ليس لي في هذا الحي حاجة وكان شرر حمه الله تعالى قد برأ المل لم يكن يأمل بقاءه من وقت صلاة إلى وقت صلاة أخرى وكان اذا صلى العصر يقول للعصر ما صليت لكم من يصلي لكم العصر وكان يقول في الضعيف في دار مولاي ان أطعمني أكلت عشي أطعمني وان أجاعني صبرت حتى يطعمني

(فصل) قال الخواص الرزق ليس فيه توكل ولو كان لا ينال الرزق الا المتوكل كان الضعيف ومن لا يحسن التوكل يموت جوعا فيقال له وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم فهذا الخطاب من الله خالقه يقتضي من الخلق ترك الرزق وقد رأيت الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهم في مواضع رزقهم ان شاء الله تعالى تحمل ما قد ضمنه لهم وتوكل بحملهم وتحصيله عليهم وإنما هو رزقهم الله وقوته تعالى ما ضمان الا رزق الخلق الله يرزقهم وإياكم يقتضي سكون النفس عند تقدمه لها ضمن وتكفل بإحضاره وتيسيره وعده حتى تخرج به الضمون من أماكنه قال في هذا دليل على حصول الرزق من حيث لا يحتسب للمتوكل وان ذلك لا ينقص توكله لان الله تعالى قد أجرى عادته بذلك في خلقه وقد تقدم قولنا ان الموضع الذي يقدر حركة من الدواب وغيرها يجمع بعض طيرها عشه ويحصل ما ذكره لكن يحتاج المتوكل في ذلك إلى حركة ما وجرى لعيسى عليه السلام ما جرى لموسى عليه السلام وقد أشار الى المتوكل في قوله في الحديث الصحيح تغدو خماصا وتروح بطانا فطار وسلم لكن من وصفهم بأن يحمل ولا يحمل دليل على أن ذلك لا يقدح في التوكل وقد تقدم لنا ذلك وقد رأينا من يحمل ما كان معه شيء وقد صنف الرزق ليس فيه توكل وجمع ما جمعه فقال وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين أي وهو لا يعلم فعمم وما ذاك الا لعلمه بأن الله يرزق في الأرض من لا يعلم

(فصل) قال الخواص الذي قيد أن يسرح في الأرض حيث شاء فقد صدقه بقي الا الرزق أينما كان وضمن علمنا بأن الله معه في كل مكان وأن سعته في كل شيء يضيق حيث يشاء ويوسع حيث يشاء ويؤمن حيث يشاء ويخيف حيث يشاء من كان ناظرا الى الله فيما يعتمد عليه في تحصيل الرزق معتمدا عليه في تحصيله كان السير والبحر والسفر والحضر عليه سواء فان من يقول الله كفيله في الحضر فهو في السفر ومن كان معتمدا على تكفله وحيلته لم يجد له ان يقارن المعصية ولو ان عند مع مولاه في السفر كان قد تكفل أيضا بما معه حيث سافر معه وهكذا من علم ان الله سبحانه معه حيث كان لم تحمله الإدارة ولا تصح دلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم للسائل وقد أعطاه مرة ثم أتاه الثانية دلالة على ترك التحرك بوجه ما في حركة بعد حركة بعض من الرزق ليوم ما ولم يأته عن السعي لما وقع التصديق بتعيينه لوقته فان صاحب القوت وهذا طريق الأدعياء صار بين وبين هذا طريق تعطله المريد بين ادعاء الضعيف الخروج إلى القوي الصبور وكان منهم ان هم الخواص وتوراب النخشبي ودوالنون وغيرهم لا يصح وغيرهم لا يرى فان هؤلاء خصوص المتوكلين وما جرى لهم من توقائع يدل على أحوالهم

(فصل) قال الخواص لا استطعمه على ثلاثة وجوه على استطاعة قوة المعرفة وحقائق التوكل وهذه الطائفة تعتقد انها متوكلة ولم تخرج على سبب ولا استأدت أحدا ولم يقع لاستئذان لما من ضعف المعرفة وقلة الهداية وكل من استأذن فارق به أو تحرك لغير عطيه وتوكل والاستطاعة الأخرى قوة البدن والصبر على المشي والصبر والاستطاعة بسعة المال فان لم يكن عنده أحد هذه الوجوه فيسوغ له الحج وإن سمح للعموم لان الله تعالى قد دل على غير ما أراد بقوله فان خير الزاد التقوى فمن يريد بتقوى يحتاج في طريقه لان الله مع الذين اتقوا ومن أراد قوى ان لا يقول بعد عدائي من أين يقول الحق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وهب يقول الله تعالى ابن آدم اتق وأنا أسد حيث سددت وأرزق ابن آدم توكل على فيما تدبر وبقوتي على قدر معرفتي بك أصبر ومعي الصبر حبس نفسي على الوعد الحق المضمون وسعيها من الحركة وتقطع ان يحيط حتى يسوغ الله له من ثم كيف شئت رجع الصابر الى سبب يتذرع فيه بالحركة من غير خروج من حالة الصبر فيقال من تحمل مؤنة وهذه معهم المؤمن أقوى من المتوكل

(فصل)

(فصل) قال صاحب القوت أحسن أبو بكر بن يعقوب الواسطي رحمه الله كان يقول سمع التوكل حافة تحرك شديدة فتجرد لها فلما خرج من حد هذا التوكل لخصوص انتبت بها أو لم ينتبه وهكذا لو طالت أيامه بالسير في بر به اذا كان ديوانه مستعانا في سيره متكاريا توكلا عليها أو مطاقة يشدها وسطه أو يغير عليه عند قرية قطاع الطريق ولم يكونوا عنده كبائر ناس وهذا وجدي في قلبه ان لحقه دون الحد خرج في جميع هذا من حد التوكل وقال أيضا كثر خلق تعلقوا بالاسباب فاصحب الله قلبه بالقلب سكن عند ما في الغيب أشد من سكونه الى ما في اليد من الاسباب الظاهرة لان ما في يد العبد لا يدري ما يحدث الله فيه وماله عنده هو الذي يثق به على أوقاته فاذا كان القلب قويا عند زوال الدنيا وادبارها متعلقا بالله في اليد مع صحة التوكل واذا ضعف الايمان في القلب ركن القلب الى الاسباب وخاف من زوالها قبل ان تزول فاضطرب لها شيء على القلب الحزين والتغير من خوف الفقر

(فصل) قال السري رحمه الله تعالى في قوله عز وجل الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ما معناه انما كون الرزق من كسب لان الله تعالى يقول ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يقول احملنا اما لله وكلنا الذين يرزقهم لا من كسبهم من حيث لا يحتسبون وهؤلاء هم أهل التوكل وهو أعلى مقام التوكل على الله عند أهل الله في الارزاق ولا في الله لم يدعهم من الاوقات كقال فانهم لديه ولا آخرة ما دنيا ولا زوال مع الله فلا يخاف عليهم الفقر حتى هو خذلان من عمل بسوء أدبه في توكله فتأمل ذلك

(فصل) ويستوي عند الخصوص من يقسم ما عندهم وبين عطائه لهم وبين كسبهم وما عندهم بأيدي غيرهم وبين كسبهم اذ كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا وكان الذي صرف العطاء سواء كان المعطي بدلا أو بغير بدل وسواء كان العبد كسب ذلك بسؤال المخلوقين ومن هنا صار يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة الحق فيه ولا واسطة وما ظهر عند غيرهم من الخلق كذلك لان عرف ان القدرة أيضا بيد الله اظهر ما عندهم كما ذكرنا من الاسباب وبيد غيره لعلمهم ان الاشياء عند الموحدين سواء لا ترجح عندهم على قضاء الله بهم وقدره فهم راضون بما حكم الله عليهم وقدره ما حكم أحد وقدر وحد

(فصل) الاسواق مواطن اذا دخلها العبد فهو مواطن من حيث هو وهرب من حيث هو وهرب من معاملة وحين في متاجره أما سمعت قول بعض العارفين والناس يطلبون ما يريدهم من رزقهم أريد أن يطلبوني فيما يريدون يريدوا الحق ان يتعرفوا اليهم بما هو رزق لهم فيريدوا هو سوم الخدمة وقد ذكر الله في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبد الذي أخذه المولى ثم حاز عليه أحد هذه وهو الخدمة وعليه الكفاية والختم من العبد أحدهما فجعلها عبادة وتبرعا من أحد وتعالى عنه وهو لا سهم من العبيد له وصرف عموم العبيد في الوجه الثاني من الاسهم لا سهم وهو اكتساب وصرف هذا لا سهم وبين خدمته في الارض بالمال لا على السموات والارض حتى العبيد من تلك تحكمين أحدهم مع اختياره لتسخيره من عبادة وهي المعاملة وعليه يدور كيف شاء ومتى شاء وهؤلاء عبيد الرحمن لا عبيد الله بالوجه الثاني ما صرف العبيد من تكسب لا سهم جعل دلالة رقابهم بهم تحت رحمهم ومن رحمهم على هذا الوصف وهؤلاء عموم العبيد لهم عبيد لله بالوجه الثاني وهي الهوى وهي أولى مع العبيد على الاحكام الا التي يحتجبهم وصرف بها من يشاء ويسلمهم الله هم حتى رده كان ذلك بهم

(فصل) التوكل على الله لا يمنع دخول الخصوص ولا يمنع وقوع الاسباب والمدبر ولا اختيار للعبد ولا اختيار للعبد ولا اختيار وقد قال أبو يزيد قدس سره وشرف أعمى ما كسبت ما ضربت في عمري قط الا قطع على طريق وقال آخر من بصر الله ما خرجت في سفر قط وهي سبب الا سلمه الله على يد أحد حتى أتى مع الله به

(كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(كتاب المحبة والشوق والانس والرضا)

وهو السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين للامام الهمام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه ونور ضريحه وجعل الجنة مثواه ومأواه

الحمد لله الذي جعل قلوب أوليائه مهابط أنوار معرفته ومعادن أسرار محبته ومحال نظر عنايته ومواطن مشاهدته ومواضع مناجاته ومواقع رضوانه ومواقف خدمته ومواسم كرامته ومواعيد لقائه ومواصل رؤيته ومشارب مودته ومولاه ومجد عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف محبوب وأخص محب ومحبوب أشرف كتاب أنزله على أجل خطاب على أفضل نبي وأكرم رسول وعلى آله الطاهرين الأحباب وأصحابه المكرمين الأنجاب وعلى كل تابع لهم بإحسان مادام الليل والنهار وتعاقب الشمس والقمر وبعد فهذا شرح

لم يكن له في حساب وقد أرخيت فيه عمه الاصبع مع الاحتضار تم وتر بتحريف وانتقيف فلا تشكل عن مطالعة أفهام الخواص والعوام وتنتفي أشعته فيه أو وهو أشد به هو القدر المحبب لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب قال مصنفه رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بروحب أوليائه) هم بدلوب ولايته المحبوب له الذين مستغرقون في محبته (وبرهبه) أي قدسه وعظمته (عن الانتقاب الى متاع الدنيا) هو ما يستمتع الانسان به من اعراضها (وصيرته) أي بصيرته وهم يجتمعون بغير واجع الى متاع وفي بعض النسخ في حرف بدل وصيرته وبرحرف أربعة كما قال تعالى حتى اذا ضاقت الارض برحبها (وصفى) من الصفية وهو الخليص (أسرارهم) جمع سر بالكسر وهو الصفي من الروح وهو محل المشاهدة كما ان الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة (عن ملاحظة غير حضرته) والملاحظة النظر بالاعتناء وهو مؤخر عن الصفي وبين حضرته وصيرته تجانس (ثم استخلصها) أي اختصها لذاته الاسرار خاصة (للعكوف) أي الاقبال والاقتصار والملازمة (على بساط عزته) أي أصل بساط الارض الواسعة الارجاء والعزة العلية لا تتبغي لكبرياء الظاهر والباطن (ثم تجلى لها) أي اسرارهم وفي بعض النسخ بدل لهم (بأسمائه وصفاته) أي بعضها وغيره عن الذات فقد ما يصور في حقهم وأصل التجلي ما ينكشف للقلوب من نور المحبوب (حتى أشرقت بأنوار معرفته) وهو الدليل الذي روح يعرفون به ويشاهدون مراده (ثم كشف لهم عن سبحات وجهه) أي جلاله وعظمته وبهائه (حتى احترقت سرائرهم) أشار به الى ما ورد في المتقدم ذكره بأنه سبحانه حجابه من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (ثم احتجب عنها بكمال جلاله حتى بهت) أي تحيرت (في سرادقات) أي بحراء (كبريائه وعظمته فكلت) أي تحركت (الملاحظة كنه الجلال عنها من الدهش) والحيرة (ما غير في وجه العقل وبصيرته) يشير بذلك الى السبيل المسدود في المعرفة الا في حق الله تعالى وهو السبيل الحقيقي الذي قال المصنف في المقصد الاسنى في حقيقة لا يتصور أحد من خلق الله ولو اجتمع جميع العقلاء الحاضرة والبشر أن أحدا لا يحيط بالله لا يعني الدهش عنده (وكلت همت بالانصراف) عن تلك الملاحظة كما ذكرنا

ولا قبل المحبة مقام ولا هو مقدم من مقدماتها كالتوبة والصبر ونحوهما وسائر المقامات التي وجودها قبل تحصل بقطع من الاعمال بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عرف الاعمال بامكانها ثم حتى ذكر بعض العلماء بامكان ولا معنى له الا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال الامر الجنس (٥٤٦) والمثال وما ذكر والمحبة أكثر والانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم المحبة وثمراته

ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان ان أعظم الدرجات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في حب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذه جميع بيانات هذا الكتاب

الذكر والفكر والتدبر والحفظ والوجد وغيرها وبها حقيقة وبعضها وسائل اليها كالخمس والفرض والعبادة والذكر والحب والبغض لله ولوجوده جميع والنعيم (ولا قبل المحبة مقام) وحال (ولا هو مقدم من مقدماتها كالتوبة والصبر والرضا وغيرها) فهي ميراث التوحيد والمعرفة وبه يفهر سر بخبر لصف بها بعد التوحيد (وسائر المقامات التي وجودها قبل تحصل بالقطع عن الاعمال بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عرف الاعمال بها حتى ذكر بعض العلماء امكانها وهو لا معنى له الا المواظبة على طاعة الله تعالى) وزيادة من الاعمال بمثال يقال لها الثواب (وأما حقيقة المحبة فمحال الامر الجنس والمثال) وفي سعة الامر الجنس والمثال (ولما ذكروا) حقيقة (محبة ذكروا) ثمراتها من (الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب ولوازمه) وهذا كلام قاصر اقتصر على محسوسات لا معقولات ولا يرجع اليه من الاجماع وثمرة العلم لذيذ في نفسه وليس بينه وبين المحسوسات اشتراك ولا مناسبة حتى يعبر عن المعقول بالمحسوس كما سيأتي بيانه ومتى عدمت مسئلة المحبة عدمت مقامات الايمان والاحسان جميعها وتعطلت منازل السائرين الى الله تعالى وبطل كل مقام ومنزل وحال فان خلاصة جميعها وسائلها الى الاعمال كلها الاخلاص فهي حقيقة الاخلاص (ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع) من الكتاب والسنة واجماع الامة (في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى) وحده (ثم بيان ان أعظم اللذات الدرجات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذه جميع بيانات هذا الكتاب) وهو خمسة عشر

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

(اعلم) عبدك الله تعالى (ان رسوله صلى الله عليه وسلم فرض) ثبت بدليل قطعي للثبوت ودلالة (وكيف يفرض مالا وجود له) هذا انكار على من أنكر المحبة أصلا وسماها انكارهم لها انهم رأوا ان الحدود لا يريده الاحصاء وجمع من تكلم فيها اعتاد في أسمائها وحقيقتها وعلاماتها وشواهده وثمراته وأحكامها حدودهم ورسومهم ودار على هذه سنة ثم رد على من فسرها بالطاعة فقال (وكيف يفسر الحب بالطاعة) والانقياد لسبل الثواب (والطاعة تتبع الحب ثمرته) فكيف تكون الثمرة عين الشجرة وليس هذا بمستنكر جدا فان التنوع (فللانسان ينتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب) فهم من ذلك ان تفسيرها بالطاعة تفسير بالازم وليس بحد تام ولا بحد أو وصف منها حدها وحدودها ولا بحد يوصف ظهور سره (ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم (يحبهم ويحبونه) ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في معنى لان الله تعالى وصف المؤمنين الحبين فصله عليهم وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت محبوبين (وقوله تعالى) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو اشارة الى أن الايمان يحرض على حب الله تعالى ويدعو اليه وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاتباع

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى) (اعلم ان رسوله صلى الله عليه وسلم فرض) وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة مع الطاعة تتبع الحب وثمرته فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يتبع من أحب ويدل على اثبات المحبة قوله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله

أن اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم من موجبات محبة الله عز وجل وقد كان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي وجب أن تكون محبة الله له موجبة لاتباعه (وهو) أيضا (دليل على ثبات الحب واثبات المحبوب اليه) بعد الفوت وكل مؤمن بالله فهو محب لله تعالى ولكن محبته على قدر إيمانه وكشف مشاهدته ومحبوبه له على وصف من أوصافه دليل ذلك احتجابهم له لتوحيدهم وتزيم أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات توحيدهم في التزام الامر وفي تسليم الحكم وليس ذلك يكون الا من محبة وان المحبوب على حسب أقسامهم من محبوب وليس بصغير من المحبة صغير كما لا يصغر عن معرفة من عرف ولا يكبر على التوبة كبير ولو كان على كل العالم قد وقف لان الله تعالى وصف المؤمنين بأشد الحب له فقال والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أشد دليل على تفاوتهم في المحبة لان المعنى أشد حبا لله من غيرهم وقد علم كل فريق أن الله تعالى أكرم على قدر محبتهم له في الاكرام المتفاوت وهم يعلمون أن الكرام المتفاوت فالمؤمنون متفاوتون في الحب لله على تفاوتهم في المعرفة والمشاهدة (وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان) بالله (في أخبار كثيرة منها قول أبو رزين العقيلي) لقيط بن عامر بن صبرة الطائفي العامري (العقيلي) وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله ما الايمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما) قال العراقي أخرجه أحمد بزيادة في أوله وفيه انقطاع انتهى قلت لفظ الحديث أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب الى مما سواهما وأن تحب الناس لا تحبهم الا لله وأن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي حديث أنس ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار رواه كذلك عليه النسائي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي في الشعب كلهم من حديث أنس ورواه أيضا البغوي والطبراني والبزار من حديث أبي امامة دون قوله لا يحب الا لله وفي حديث أنس ثلاث من كن فيه كان ل

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي وروى أن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال إني أحب الله تعالى فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه أطيب ما يكون طعاما وأنعمه فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون

وقاص

وقاص قال كان مصعب بن عمير نعم غلام مكة وأحبوه حبه مع أبويه وأخرج الترمذي بسنده عن مصعب عن علي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير فبكى للذي كان فيه من النعمة ولما صار إليه (وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى اليه هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وشد الاعضاء بعضها ببعض ثم كل (٥٤٩) فسمه داعي الموت حتى لا يعاد

انزع قلبه اليه ولم يكن له حبيب يعجبه حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا شيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من حلاوة محبة الله تعالى سهل عليه كل طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يعقل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله جماعة يشغلون عنه بالله يدرى ويعبرون أو هم وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يعقل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله جماعة يشغلون عنه بالله يدرى ويعبرون أو هم وقد تخلف أبدانهم) أي صعقت (ونعيرت أو هم وقالوا ما يدري بلغ كم ما يدري) من العجول ويعبر (فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف) مما يخاف (ثم صاروا هم الى ثلاثة آخرين وداهم شد تحولا وتعبيرا) من أولئك (فقال ما يدري بلغ كم ما يدري فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

وقد صار إليه (وفي الخبر المشهور أن ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى اليه هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وشد الاعضاء بعضها ببعض ثم كل فسمه داعي الموت حتى لا يعاد

مبعوثون ثم حاورهم في ثلاثة حوارين فقالوا هيهات هيهات لا بعث ولا نشور فكان على وجوههم الرماد وقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا حب الدنيا وحبها كما قال الله تعالى أساطير الأولين ثم قال لهم ويحكم أما تعقلون فقال بلى قد عقلنا ولكن غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ثم قال لهم ويحكم أما تعلمون أن بعد هذا يوما تشخص فيه الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر فقالوا بلى قد علمنا ذلك فقال ما أعددتم لذلك اليوم فقالوا ما أعددنا له شيئا إلا أنا كنا نرجو عفو الله ورحمته فقال لهم ويحكم إن كانت الرجاء لا تكذب أهلها فإن الخوف لا يؤمن أهله ثم قال لهم ويحكم أما تعلمون أن بعد هذا يوما تجزى فيه كل نفس بما كسبت وأن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وأن الحسنة تضاعف عشر أمثالها وأن السيئة تضاعف مثلها فقالوا بلى قد علمنا ذلك فقال ما أعددتم لذلك اليوم فقالوا ما أعددنا له شيئا إلا أنا كنا نرجو عفو الله ورحمته فقال لهم ويحكم إن كانت الرجاء لا تكذب أهلها فإن الخوف لا يؤمن أهله ثم قال لهم ويحكم أما تعلمون أن بعد هذا يوما تشخص فيه الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر

يتحقق انه لا يتصور محبة لا تعقل معرفة ودراكا فلا يحب الانسان الا ما يعرفه والعالم يتصور

خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك و يلائمه و يلذه والى ما يناقضه و ينافره و يؤلمه و ما يؤثره لا لذاته بل لغيره فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه لذة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا الى الطبع هو كونه ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا في الطبع هرة عنه فحب كل شيء ميل الطبع الى الشيء الملائم له فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والمبغض عن الطبع هو المؤلم له فان تأكد ذلك الهرب وقوي سمي مقتا فهذا أصل في حد ما هية الحب لا بد من معرفته

(الاصل الثاني)

ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل جاسة ادراك النوع من المدركات ولكل

ولانسان ومنه حب المعبر وأحمد درك فلم يقم لواسع الناس الخصوص ومنه حسنه بقاب للسه ولا خلوه ومنه الحبة لواحدة الحيوان وهي أصل الشيء ومادته وقوامه خامس الحسة والامساك ومنه حب الماء لذي تحفظه فيه و تمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا ولا ريب ان هذه جملة من لوازم محبة فانها صفة مودة وهي حب زيادة القلب وعلوه وظهوره لهامه تتعلقها بالمحبوب المراد وتم ارادة لعلب للمحبوب ومهر رمانه يريق ولاعطاء فحب محبوبه سمو أشرف ما عنده وهو نفسه ولاجتماع عزمانه وزيده وهمومه على محبوبه فاجتمعت فيه معاني جسه وضعه والمفاسد حرفين مناسبة للشيء به مناسبة الحاء التي هي من أقصى الحلق والباء الشفة التي هي من مبادئ الابتداء والنفاد لانه ثبوت وهذه شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان تداعد منه و تبعض منه واعتدوا حب حركة بصم التي هي أشد الحركات وأقواها فان شدة حركة مسماه وبتهاد عطوا لحب وهو المحبوب حركة الكسر ودلك لحقد كر محبوب على ذوي سموه وألسنتهم مع عدم حكم نظره كهدوء للمحبوب ودو لمدلوح فتأمل هذه المناسبة بحسب بين اللغة والمعنى يعلم على قدر هذه الفطنة شريفة وان هذا الشأن ليس كسائر اللغات ثم سعي بعد معرفة ذلك أن (يتحقق به لا يتصور محبة لا بعد معرفة و دراك ادلا يحب الانسان لا ما يعرفه) وما لا يعرفه كيف يحبه (وبعد لم يتصور أن يصف بالحب جميع ما يدرك بجميع حاسيه الحي المدرك) هذا قول لا كثر من وكان محبوب يقدم لحمه على معرفة كجملة القشيري في كتابه شمل العارف بمعروفه واستغراقه في مناجاته حتى يعني عن نفسه و محبوب تبقى معهم فلا يبقى عندهم سوى محبوبهم وكل من يقول بجميع ما اختار القشيري او ترجح قول محبوب حيث قال ويعلم تحققهم لمحبة استهلاك في لذة والمعرفة شهود في حيرة وهذا هو الحق (ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك و يلائمه و يلذه والى ما يناقضه و ينافره و يؤلمه و ما يؤثره لا لذاته بل لغيره فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه لذة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا الى الطبع هو كونه ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا في الطبع هرة عنه فحب كل شيء ميل الطبع الى الشيء الملائم له فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والمبغض عن الطبع هو المؤلم له فان تأكد ذلك الهرب وقوي سمي مقتا) وهذا هو صريح ما عليه أئمة اللغة قالوا عشق الحب واشتد فان تمادى هو صار مرتبة من مراتب الحب اعلاها عشرة أولها العلاقة ثم الكلف ثم الشغف ثم الهيام وهو حب لازم للانسان ملازمة تعزم عزمه ثم الود وهو صفو المحبة وخالصها والهيام شغف وهو وصول حب الى شغاف قلبه وهو حجابه على القلب ثم العشق وهو حب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه وليس بمحمود ولا محمد ملاحد ذاته ثم التيم وهو استعباد الحب ثم التعبد وهو ذوبان المحب من محبوبه فلم يبق منه شيء من محبوبه ظاهرا وباطنا والمرتبة الاخيرة هي التي أريد بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهي محبة تخللت قلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير محبوبه (فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته) وهو ازل

(الاصل الثاني في ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فكل حاسة ادراك النوع من المدركات (وكل حاسة من الحواس الخمس) الادراك نوع من المدركات وكل واحد منها مختلفة في بعض المدركات) دون بعض (وللطبع اصناف تلك الادراكات) تبعا لمدركات (محبوبات عند الطبع سالم) عن مرض (وهذه) العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة و صور الهيئة الحسنة المستلذة (هي) التي لا تكاد تتعرض معرفة (ولذة الادن في سماعات طيبة الموزونة) والالحان المستعملة فلها تعشق في ذلك ولو كانت تلك النغمات من غير جميل الصورة وقد تكون مع جمال الصورة فيلتذ كل من بعض والبصر ومن ذلك سماع الحسن الوصف من رجل لم يقع عليه البصر وبه الاشارة بقول بعضهم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا * (ولذة الشم في

واحد منها لذة في بعض المدركات والطبع يسيب تلك اللذة فيميل اليها فكل ما كان محبوبا عند الطبع بسبب هذه اللذة في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الهيئة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في

الرائحة طيبة والمذوق في الطعوم والملمس في اللين والخشونة كانت هذه المدركات الحواس معدة أي كان للطبع السليم مل اليه حتى قال رسول الله (oor) صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة وسمى

الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن لا للبصر واللمس دون الشم والذوق وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أرفع المحبوبات ومعلوم انه ليس يتخيل فيها الحواس خمس بل حس سادس مغلقته القلب لا يدركه الامي كان له قلب واذات الحواس الخمس تشارك البهائم الانسان فيها ثم الانسان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى قال من ينكر محبة الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما يتميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب وما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر) فانها هي التي ترى بنور القدس ترى حقائق الاشياء وبواطنها وهي التي تسمى بقوة القدسية وما تبصر الظاهر فهو للبصر ترى به صور الالوان وظواهرها (والحب) المذكور بالنور القدسي (أشد ادراكا من حيث ان المدرك بالعقل أعم من حيث صور الظاهرة فلا جرم يكون دائرة القلب في ما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأوسع فيكون حبه أقوى من حب السليم والعقل صحيح انه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه كمال يتصل به فلا يكاد يحب الله تعالى الا الامي فلهذا قصر في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا) وقد أفصح عن هذا المقام في كلمة مشكاة الانوار فقال اعلم ان نور البصر موسوم بنوع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما عند نفسه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظواهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء مختلفة ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيرا في أبصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا وهذه جميع نقائص تعتري العين الظاهرة وفي قلب الانسان عين هذه صفتها كلها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالحس الباطن ونوع عمى عن هذه العين أكثر وأشد عند الضعيف البصيرة كثير المعنى فعمى به المعنى الذي يتغير به العالم عن الجاهل وبصير وعمى بهيمة وعمى محبوب وتسميته عمى لاستعانة المعهود في الاصطلاح فنقول العقل أولى بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص التي سبع اما الاولى فهو بما عين لا يبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه ويدرك علم نفسه ان علمه علم نفسه في غير نهاية وهذه خصيصة لا تتصور وما يدرك ما آية لا يحسم الا بنية أن لعين لا تبصر ما عندها ولا ما قرب منها

ما يدرك من الامور شريفة لا يهيه التي تجل عن ان تدركها الحواس أتم وأبلغ ويكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح

مقرر

اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه كمال يتصل به فلا يكاد يحب الله تعالى الا الامي فلهذا قصر في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا

ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيان أن المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت لان الموت قتل لا شك فيه ولا يجد الحذق من سكرات الموت ان لو احتمل من غير ألم وأميت من غير توب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت لعدم الخوف من لقاء ما أعد في الاخرة ومهما كان في بلاء فيحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لانه زوال بلائه والهلاك والعدم بمعنى واحد ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لان ناقص الوجود ناقص بالاضافة الى المقدار المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم مكروه في الجملة

معرض والعقل يستوي عنده الامر يسوا العيد ويفرح في طرفه اي أعلى سمو شرفيه ويرى في الحصة في نحوم الارض هو به بل ان العين لا تدرك الا ما يرى وراء حس والعقل يتصرف فيما وراء المحسوسات وفي الا الاعلى كتصرفه في عالم الحس به بل حقائق لا تحصر عن بعض وانما يحجب العقل عن تحجب من نفسه لسبب صفات بين مقاربة له تصاهي بحجاب العين من نفسه عند تعميض الاجفان الرابعة العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها لا على دون باطنها وعمقها ولو [illegible] وصور رهدد وحة تتها و بعض تعمق في بواطن الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط من [illegible] وحكمتها وهو ام حدثت وكيف خلقت ولم خلقت وعن أي مرتبة في الوجود برل وما سبه في سائر محسوسة به خاصة أن العين تصر بعض الموجودات ادا تحصر عن جميع معقولات وعن كثير من المحسوسات لانها ترى الاصوات ولا ترى الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة التي فيه تسمع و تبصر و تشم وتدرك الملاءمة والمنافرة بعضها بسبب كالفرح والسرور والهم والحزن والغم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة وهم اي عدد لك من موجودات لا تحصى فهو سبيل لمحال محصر المحرى لانه متحاوز عم الالوان والاشكال وهما أحس الموجودات من الاجسام في أسفله أحس أقسام الموجودات والالوان والاشكال من أحس أعراضها والموجودات كلها مجال للعقل يتصرف في جميعها ويحكم عليها بحكم قاهر لا سبيل لاحد عليه ظاهره والعين محجوبة عنه حليه بل أعني للعين ظاهره ومباديه [illegible] بعين لا تبصر ما لا يبصر به له فالم تبصر صفات الاجسام والاجسام لا تتصور لا مسبهة والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون مشاهدة بل يدرك عالم شيء وعالم بعض ما شيء فقوته في هذا الوجه لا تقف عندهم به بعض العين تبصر الكبير صغيرا فترى الشمس في مقدار رغص وانكوا كب في صور دنانير مشورة على سماء أزرق والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الارض أضعافا مضاعفة وترى الكواكب ساكنة بل ترى بعض الكواكب بدنه ساكنا وترى الصبي ساكنا ومقداره والعقل يدرك أن الصبي في النمو والبرايد على الدوام والمال متحرك دائم وبالكواكب تتغير في لحظة أمورا كثيرة وأنواعا كثيرة والعقل يدرك هذه عجائب فلت ترى العقلاء يعاملون في تجارهم وعلم أن فيهم حيالا وأوهاما واعتقادات بعيدة أن أحكامها أحكام عقل وهذه عجائب الهية العقل اذا تجرد عن عشاوة أوهامهم والخيال لم تصور أن يعاملوا بل ترى الاشياء على ما هي عليه بخلاف المقصود منه (لاصل الثالث أن الانسان لا يحب الا نفسه) أي كل ما يشبع ويضر ورة (ولا يحب غيره الا لاجل نفسه) لا لذاته (وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على بعض حتى يظنوا انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته تمام يرجع اليه حظا الى الحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيان أن المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت بل الموت قتل لا شك فيه ولا يجد الحذق من سكرات الموت ان لو احتمل من غير ألم وأميت من غير توب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت لعدم الخوف من لقاء ما أعد في الاخرة ومهما كان في بلاء فيحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لانه زوال بلائه والهلاك والعدم بمعنى واحد ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لان ناقص الوجود ناقص بالاضافة الى المقدار المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم مكروه في الجملة

وكمال الوجود كله محمود في أصل الذات ووجوده من الكمال محبوب لكن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى وإن تحدست سنة بتبديل فهذا المحبوب الأول للإنسان أعني سلامة أعضائه ثم سلامة أهله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها معلولة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها ودوام المحبوب لذاته أيضا محبوب لأنه دوام الوجود وكماله وكذلك سائر الأسباب فالإنسان يحب هذه الأشياء (٥٢٤) لا لأعيانها بل لأنها أعضاء في دوام الوجود وكماله ومهما أيقن أنه يحب ولده وإن كان لا بد له من

وكمال الوجود كله محمود في أصل الذات ووجوده من الكمال محبوب لكن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى وإن تحدست سنة بتبديل فهذا المحبوب الأول للإنسان أعني سلامة أعضائه ثم سلامة أهله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها معلولة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها ودوام المحبوب لذاته أيضا محبوب لأنه دوام الوجود وكماله وكذلك سائر الأسباب فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لأنها أعضاء في دوام الوجود وكماله ومهما أيقن أنه يحب ولده وإن كان لا بد له من فقده (لأنه يحصل له بقاؤه في الوجود بعد موته) وفقده أو يعلم أنه يفضي إلى نقص وهو يفضي إلى ما يفوت دوام المحبوب لذاته أعني دوام الوجود وكماله وكذلك سائر الأسباب) فهم أكد ذلك لأن ذكر (فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لأنها أعضاء في دوام الوجود وكماله ومهما أيقن أنه يحب ولده وإن كان لا بد له من فقده) فإنه يحصل (له بقاؤه في الوجود بعد موته) وهذا كما (يكون في بعض الأسباب التي هي أعضاء له فإنه يحب بقاءه من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لأنه يرى بقاءه مع فقد عضو أولى من بقائه وفقد ولده وكان يحب بقاءه مع فقد عضو من أعضائه أكثر من بقاء ولده مع فقد ولده فالولد عضو في الوالد لأنه يبقى بعد موته ببقاء ولده لأن ولده بقاؤه من وجه وإن هو فناؤه الحقيقي وكذلك أخوه فإنه بقاء أبيه وعشيرته يرجع إلى جملة أعضائه لكن بعضه يرى بعضه كأخيه وابن أخيه وابن عمه (كما قال المرء قليل بقلة أخيه كثير بكثرته) فالعشيرة وإن لا يحب لذاته كالجماع الذي هو مكمل للإنسان) في حصول القوة (وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا لعلة فإذا المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكماله ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبعض من أحسن إليها وسيلة إلى الله عليه

وكمال الوجود كله محمود في أصل الذات ووجوده من الكمال محبوب لكن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع) لا تتخلف عنه (بحكم سنة الله تعالى) إن وجدت في عباده (وإن تحدست سنة تبديل فهذا المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم سلامة أهله وولده وعشيرته وأصدقائه والأعضاء محبوبة وسلامتها معلولة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوفان عليها) وفقده أو يعلم تعلقه بفقد يفضي بنقص وهو يفضي إلى ما يفوت دوام المحبوب لذاته أعني دوام الوجود وكماله وكذلك سائر الأسباب) فهم أكد ذلك لأن ذكر (فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لأنها أعضاء في دوام الوجود وكماله ومهما أيقن أنه يحب ولده وإن كان لا بد له من فقده) فإنه يحصل (له بقاؤه في الوجود بعد موته) وهذا كما (يكون في بعض الأسباب التي هي أعضاء له فإنه يحب بقاءه من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لأنه يرى بقاءه مع فقد عضو أولى من بقائه وفقد ولده وكان يحب بقاءه مع فقد عضو من أعضائه أكثر من بقاء ولده مع فقد ولده فالولد عضو في الوالد لأنه يبقى بعد موته ببقاء ولده لأن ولده بقاؤه من وجه وإن هو فناؤه الحقيقي وكذلك أخوه فإنه بقاء أبيه وعشيرته يرجع إلى جملة أعضائه لكن بعضه يرى بعضه كأخيه وابن أخيه وابن عمه كما قال المرء قليل بقلة أخيه كثير بكثرته) فالعشيرة وإن لا يحب لذاته كالجماع الذي هو مكمل للإنسان) في حصول القوة (وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا لعلة فإذا المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكماله ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبعض من أحسن إليها وسيلة إلى الله عليه

(وقال الوجود كله محمود في أصل الذات ووجوده من الكمال محبوب لكن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع) لا تتخلف عنه (بحكم سنة الله تعالى) إن وجدت في عباده (وإن تحدست سنة تبديل فهذا المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم سلامة أهله وولده وعشيرته وأصدقائه والأعضاء محبوبة وسلامتها معلولة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوفان عليها) وفقده أو يعلم تعلقه بفقد يفضي بنقص وهو يفضي إلى ما يفوت دوام المحبوب لذاته أعني دوام الوجود وكماله وكذلك سائر الأسباب) فهم أكد ذلك لأن ذكر (فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لأنها أعضاء في دوام الوجود وكماله ومهما أيقن أنه يحب ولده وإن كان لا بد له من فقده) فإنه يحصل (له بقاؤه في الوجود بعد موته) وهذا كما (يكون في بعض الأسباب التي هي أعضاء له فإنه يحب بقاءه من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لأنه يرى بقاءه مع فقد عضو أولى من بقائه وفقد ولده وكان يحب بقاءه مع فقد عضو من أعضائه أكثر من بقاء ولده مع فقد ولده فالولد عضو في الوالد لأنه يبقى بعد موته ببقاء ولده لأن ولده بقاؤه من وجه وإن هو فناؤه الحقيقي وكذلك أخوه فإنه بقاء أبيه وعشيرته يرجع إلى جملة أعضائه لكن بعضه يرى بعضه كأخيه وابن أخيه وابن عمه كما قال المرء قليل بقلة أخيه كثير بكثرته) فالعشيرة وإن لا يحب لذاته كالجماع الذي هو مكمل للإنسان) في حصول القوة (وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا لعلة فإذا المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكماله ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبعض من أحسن إليها وسيلة إلى الله عليه

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يدا فيحمدني) رواه البيهقي من حديث معاذ بسند ضعيف بلفظ اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فيكافئني بها والآخرة وفي لفظ عنده بزعمه فيحمدني وقد تقدم (شدة إلى ص) حب قلب المحسن اضطرارا لا يستطاع دفعه وهو حمله وقهارة لا سبيل إلى تغييرها وهذا قد يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة (في النسب ولا وصلة بينهما (وهذا الحق) ويؤيد هذا (رجوع إلى السبب الأول فإن المحسن من أمد بالمال والجاه وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي هي مبادئ الوجود الآتي تعريفها) فهذه (من أعظم الأسباب فإن دوام الإنسان وكمال وجوده هي التي تكاد تطابق حب المحسن فإن المحسن هو الذي أكمل المحبوب وإن كان قد يكون وسيلة كالسبب

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يدا فيحمدني) رواه البيهقي من حديث معاذ بسند ضعيف بلفظ اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فيكافئني بها والآخرة وفي لفظ عنده بزعمه فيحمدني وقد تقدم (شدة إلى ص) حب قلب المحسن اضطرارا لا يستطاع دفعه وهو حمله وقهارة لا سبيل إلى تغييرها وهذا قد يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة (في النسب ولا وصلة بينهما (وهذا الحق) ويؤيد هذا (رجوع إلى السبب الأول فإن المحسن من أمد بالمال والجاه وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي هي مبادئ الوجود الآتي تعريفها) فهذه (من أعظم الأسباب فإن دوام الإنسان وكمال وجوده هي التي تكاد تطابق حب المحسن فإن المحسن هو الذي أكمل المحبوب وإن كان قد يكون وسيلة كالسبب

بل يتعمل المشاق لأجله لأنه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقائه نسله نوع بقاء له فالمحسن يحب بقاءه من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما يرى في بقائه نفسه أبدا لهم لو تخيروا بين قتله وقتل ولده وكان طبعه يأبى عن اختياره لقتله آثر بقاءه نفسه على بقاء ولده لأن ولده بقاؤه من وجه وإن هو فناؤه الحقيقي وكذلك أخوه فإنه بقاء أبيه وعشيرته يرجع إلى جملة أعضائه لكن بعضه يرى بعضه كأخيه وابن أخيه وابن عمه كما قال المرء قليل بقلة أخيه كثير بكثرته فالعشيرة وإن لا يحب لذاته كالجماع الذي هو مكمل للإنسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا لعلة فإذا المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكماله ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب الثاني الإحسان فإن الإنسان عبد الإحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبعض من أحسن إليها وسيلة إلى الله عليه

الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء فرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذا الصحة محبوبة لذاتها والطبيب محبوب لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سببا للعلم محبوب وكذلك الطعام والشراب محبوبان لذاتهما ومحبوبية الذاتي غير محبوبية السبب والطعام والشراب محبوبان لذاتهما ومحبوبيتهما لانهما وسيلة الى الطعام فهذا يرجع الفرق الى تعاون القوى المستعملة فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من أحب المحسن لاحسانه فقد أحب ذاته تحقيقا

(٥٥٥)

من أحب احسانه وهو افضل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو ازداد ازداد ويتغاير بمقادير الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه * السبب الثالث أن يحب الشئ لذاته لا لغير بل لمعنى هو وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال ومدرك الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا معنى لان يحب الشئ الا ان ادراكه عين اللذة ومعنى تنغص الحب بتصور الاجل ان ادراك المحبوب يتصور لا لاجل قصر مدة الشهوة فان قصر مدة الشهوة لذة أخرى قد تحب تصورا لغيرها لاجلها وادراك نقص الجمال أيضا الذي يحصل بتصور أن يكون محبوبا لذاته وكيف يتصور ذلك والحضرة والماء الجاري محبوبان للبشر اذ لا يخلو أكثر الناس عن ميل الى الحضرة وتوقع لها عند الجوع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحضرة والماء الجاري واستماع سليمة قاضية شاذ دون مطرب لا يطرب الا لاوتار ولا يطرب الا لاوان لحسنة لنقش اقتضته الشكل حتى ان الانسان ليتفرح عند سماع الصوت الطيب بالغناء ويتأذى بسماع الصوت الخشن ويتنغص به وهذا أمر يعرفه الاطباء وسببه ان لكل جزء من اجزاء البدن مزاجا خاصا يلائمه بعض الاصوات ويؤلمه بعضها وكل ذلك لا يعرف الا بالتجربة والاستقراء ولا يعرف سببه الا الاطباء فان الاصوات تؤثر في الاعصاب تأثيرا يتبعه تأثر الروح والروح يتأثر به تأثرا يتبعه تأثر القلب بالانبساط والانقباض وهذه أمور لا يعرف سببها الا الاطباء فكذلك لا يبعد أن يكون في الاصوات ما يلائم بعض الاجزاء من البدن فيحركه على وجه يحدث فيه لذة ولا يبعد أن يكون في الالوان ما يلائم بعض الاجزاء من البدن فيحركه على وجه يحدث فيه لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا لذاته فصح ان كل جميل فهو محبوب لذاته وجماله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء فرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة محبوبة لذاتها والطبيب محبوب لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سببا للعلم محبوب وكذلك الطعام والشراب محبوبان لذاتهما ومحبوبيتهما لانهما وسيلة الى الطعام فهذا يرجع الفرق الى تعاون القوى المستعملة فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من أحب المحسن لاحسانه فقد أحب ذاته تحقيقا

من أحب احسانه وهو افضل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو ازداد ازداد ويتغاير بمقادير الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه * السبب الثالث أن يحب الشئ لذاته لا لغير بل لمعنى هو وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال ومدرك الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا معنى لان يحب الشئ الا ان ادراكه عين اللذة ومعنى تنغص الحب بتصور الاجل ان ادراك المحبوب يتصور لا لاجل قصر مدة الشهوة فان قصر مدة الشهوة لذة أخرى قد تحب تصورا لغيرها لاجلها وادراك نقص الجمال أيضا الذي يحصل بتصور أن يكون محبوبا لذاته وكيف يتصور ذلك والحضرة والماء الجاري محبوبان للبشر اذ لا يخلو أكثر الناس عن ميل الى الحضرة وتوقع لها عند الجوع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحضرة والماء الجاري واستماع سليمة قاضية شاذ دون مطرب لا يطرب الا لاوتار ولا يطرب الا لاوان لحسنة لنقش اقتضته الشكل حتى ان الانسان ليتفرح عند سماع الصوت الطيب بالغناء ويتأذى بسماع الصوت الخشن ويتنغص به وهذا أمر يعرفه الاطباء وسببه ان لكل جزء من اجزاء البدن مزاجا خاصا يلائمه بعض الاصوات ويؤلمه بعضها وكل ذلك لا يعرف الا بالتجربة والاستقراء ولا يعرف سببه الا الاطباء فان الاصوات تؤثر في الاعصاب تأثيرا يتبعه تأثر الروح والروح يتأثر به تأثرا يتبعه تأثر القلب بالانبساط والانقباض وهذه أمور لا يعرف سببها الا الاطباء فكذلك لا يبعد أن يكون في الالوان ما يلائم بعض الاجزاء من البدن فيحركه على وجه يحدث فيه لذة ولا يبعد أن يكون في الاشكال ما يلائم بعض الاجزاء من البدن فيحركه على وجه يحدث فيه لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا لذاته فصح ان كل جميل فهو محبوب لذاته وجماله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

*(الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال) * اعلم ان المحسوس في مضيق حيث لا يدرك المحسوس ما يدرك به الا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة مع الشكل وحسن اللون وكون البياض مشرباً بالحمرة وكون السواد شعر العين ورقة الاشفار ونحو ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحس الاعلى على الخلق حسن لا يدرك الا بصر ولا كثر التفاتهم الى صور الاشخاص فكل ما ليس منصراً ولا متحيزاً ولا متشكلاً ولا ملوناً ولا مقداراً فلا يتصور حسه ولا جمال يتصور حسه لكن في ادراك الحاسة فلم يكن محسوساً وهذا الخط ليس مقصوراً على مدرك البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فكيف يقول هذا الخط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل يقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء اذا لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان معنى تسابق الطرف الى الخط الحسن ولذات استماع الصوت الحسن (وما من شيء من مدركات الحواس وهي منقسمة الى الحسن وضده بمعنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه) والكلام فيه (وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة فلا نطنب فيه فنصرح بالحق) الصريح (ونقول كل شيء فحسنه وجماله في أن يبلغ كماله اللائق به الممكن به) سواء كان معنى ذاتياً له أو معنى مضافاً اليه في غيره وسواء كان ذلك مما يدرك بالبصر أو بغيره أو بالحس (فان كان جميع كماله ممكناً حاضراً فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي يجمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوريبها واستقامة ترتيبها وحسن اتصالها) بالحدود المذكورة في الخط (وكل شيء كما يليق به وقد يليق غير صنفه حسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان ما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط ما يحسن به الصوت ولا يحسن الاواني ما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء) وكذلك سائر صفاته (فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس فهي محسوسات وليس يذكر حصول اللذة بادراك الحسن فيها وانما يذكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

تستلذه بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ باستماع بعض الاصوات الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وضده بمعنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء ولا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بهذا العلم لاطنابه فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فحسنه وجماله في أن يبلغ كماله اللائق به الممكن به سواء كان جميع كماله ممكناً حاضراً فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي يجمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوريبها واستقامة ترتيبها وحسن اتصالها بالحدود المذكورة في الخط وكل شيء كما يليق به وقد يليق غير صنفه حسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان ما يحسن بالفرس ولا يحسن الخط ما يحسن به الصوت ولا يحسن الاواني ما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء وكذلك سائر صفاته فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس فهي محسوسات وليس يذكر حصول اللذة بادراك الحسن فيها وانما يذكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم أن الحسن

والجمال موجود في غير المحسوسات ويقال هذا الشيء حسن وهذا العلم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه الأخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة براد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والورع وسائر الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة) التي هي أقوى من نور البصر الظاهر (وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب يطلع عبد من عرف صفته وآيته ذلك وقد لا مر كذلك أن يطلع محبوبه على حبه لإياه فصلوات الله عليهم وعلى جميع الصحابة رضي الله عنهم مع ما شاهدوا) من إيثارهم (وأموالهم) وأنفسهم (على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) المتبوعة (مثل الأنصار وبني حنيفة ومالك) وأحد (وغيرهم) رحمهم الله تعالى (حتى الرجل فقيرا وحبه لصاحبه هذه العشق فحمله ذلك على أن يبذل جميع ماله في نصرة مذهبه وبذل نفسه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه وقد تعلم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وأكثر ذلك في دين حرسان فيما سبق من الزمان (وبيت شعري من يحب أبا بكر رضي الله عنه لم يشاهد صورته ولو شاهده لم يعلم إلا حسن صورته وحسن صورته هو الذي حمله على أن أحب أبا بكر هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب والذي يحب عليا رضي الله عنه لحسن صورته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بأسرار الدين وإنما يعرف هذه الأسرار في عالم هذه الحيوان في عالم بعده أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويفضله على غيره أو يحب عليا رضي الله تعالى عنه ويفضله ويحبه فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من

والجمال موجود في غير المحسوسات ويقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه الأخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة براد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والورع وسائر الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة) التي هي أقوى من نور البصر الظاهر (وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب يطلع عبد من عرف صفته وآيته ذلك وقد لا مر كذلك أن يطلع محبوبه على حبه لإياه فصلوات الله عليهم وعلى جميع الصحابة رضي الله عنهم مع ما شاهدوا) من إيثارهم (وأموالهم) وأنفسهم (على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) المتبوعة (مثل الأنصار وبني حنيفة ومالك) وأحد (وغيرهم) رحمهم الله تعالى (حتى الرجل فقيرا وحبه لصاحبه هذه العشق فحمله ذلك على أن يبذل جميع ماله في نصرة مذهبه وبذل نفسه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه وقد تعلم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وأكثر ذلك في دين حرسان فيما سبق من الزمان (وبيت شعري من يحب أبا بكر رضي الله عنه لم يشاهد صورته ولو شاهده لم يعلم إلا حسن صورته وحسن صورته هو الذي حمله على أن أحب أبا بكر هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب والذي يحب عليا رضي الله عنه لحسن صورته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بأسرار الدين وإنما يعرف هذه الأسرار في عالم هذه الحيوان في عالم بعده أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس فقاصرة عنها) أي عن إدراكها (وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (ويحب عليا رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (وإنما فعلوا ذلك لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره) من خصال الخير (فاعلم أن من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا إنما يحب علمه وحلمه وبره وشكره لأن كل ذلك من أجمل الصفات ولكن في ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة) ومصدر جميع ذلك السر الذي كان وقر به صدره (فكان حب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة أعني حقائق الأمور وقدرة على حمل نفسه عليها لقهر شهواته فجميع خلال الخير تنشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يحس فهو المحبوب بالحقيقة وليس الجزء الذي لا يحس صورة وشكل ولون يظهر بالبصر حتى يكون محبوبا لأجله فإذا الجمال موجود في سير ولو صدرت سيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم توجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الأخلاق الجيدة والخصائل الشريفة وترجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو المحبوب

والسمع وغيرهما من الحواس حتى ان الاعمى يحب وطنه وداره وبستانه وحصيره وكوزه لم يكن لاحد ان لا يحب لا بالاسباب
وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجميلة فانهما اعتقدا ذلك لم يمنعهما اعتقادهما ان لم يحبه فهو غلب الحب لصحابة رضي الله
تعالى عنهم وبعض من جهل وبعض ملبس انما حملهم على الاعتقاد في وصف المحاسن وبقاياه التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف لهم من
شجاعته وكرمه اعتقدوا ذلك لما وجدوا في نفوسهم من حبه وهذا امر وراء ادراك الحواس فان ذلك لا يتوقف على صورة محسوسة ولا على حظ
من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وصفه الخبر غلب حبه على القلوب مع اليأس من مشاركة احسانه الى المحبين
لبعد الدار وتراخي الزمان (٥٥٨) حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه بل الاحسان في نفسه محبوب وان كان لا يتوهم

فقط احسانه الى المحب
لان كل جمال وحسن
فهو محبوب والصورة
ظاهرة وباطنة والحسن
والجمال يشملهما وتدرك
الصور الظاهرة بالبصر
الظاهر والصور الباطنة
بالبصيرة الباطنة فمن
حرم البصيرة الباطنة
لا يدركها ولا يلتذ بها ولا
يحبها ولا يميل الا لمن
كانت بصيرته الباطنة
أغلب عليه من الحواس
الظاهرة كان حبه
للمعنى الباطن أكثر
من حبه للمعنى الظاهر
فشتان بين من يحب
لشاهد صورة على الخط
جمال صورته الظاهرة
وبين من يحب نبيا من
الانبياء لجمال صورته
الباطنة (السبب
الخامس) المناسبة
الخفية بين المحب والمحبوب
ادرك بعضهم تأكد
المحبة بها لا لسبب جمال
أو حسن ولكن لمجرد
تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فلتطلب منه لانا نتكلم هنا في أسباب الحب فاذا ارجع
أقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجوده وبقائه وحب من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه
ودفع ما يهلكه وكان عنه وحب من كان محسنا الى غيره وان لم يكن محسنا اليه وحب لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة
أو الباطنة وحب لمن يميل بميله مناسبة خفية في اطن وقد اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد فتضاعف الحب لاجتماعها كما لو كان للانسان
ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم حسن التدبير محسن الى خلقه ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاضافة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال فى نفسه فان كانت هذه الصفات فى اقصى درجات الكمال كان الحب لاجلها فى اعلى الدرجات فبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها وجمعها فى حق الله تعالى ولا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى *(بيان ان المستحق للمحبة هو الله وحده)*

(وان من أحب غير الله لامر رجعت محبته الى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى و) ان (حب الرسول) المرسل من عنده (محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء) بين هم أحباب الله (لان محبوب المحبوب محبوب ورسول محبوب محبوب وحب محبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فالمحبوب بالحقيقة عدد وا ما غير الله تعالى فلا يستحق المحبة سواه وايضاحه بان يرجع الى الاسباب الخمسة التى ذكرناها ونبين بها تجمعه فى حق الله تعالى بحسبه ولا يوجد فى غيره لآحادها وبها جميعا فى حق الله تعالى ووجودها فى حق غيره وهم وتخيل وهو بمعزل عن الحقيقة بل يكشف ذلك كل ذى بصيرة عند تحليله بضعف العقول وانحطاط من استحق المحبة الله تعالى تحقيقا وبان) أى ظهر (بما تقدم ينبغى أن لا يحب أحد غير الله تعالى لذاته بل السبب الاول) من الاسباب الخمسة (وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وعدم هلاكه وعدمه وفواته كله جهل كل من لا يتصور أن يعتقد عنها وهذا يقتضى بحسب الله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجوده وبقاؤه ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى والى الله) تعالى مصيره (والله) تعالى وحده (هو المخترع لوجوده وهو الذى خلقه وهو الذى يبقيه وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والآلات التى بها يتوصل من ذاته الى ما هو كمال له من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو بحت عدم وعدم صرف) وعدم محض (لولا فضل الله تعالى عليه) بالايجاد (وهو الذى بعد الوجود) من العدم (لا وجود له الا بالله) وهو الذى (يعيده بعد الموت) (وهو الذى يعذبه بعد الوجود ويعيده بعد العدم) (ووجوده) ابتداء (لولا فضل الله عليه بالايجاد وهو) ايضا (بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو) ايضا (بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالاكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وهو) ايضا (بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالهداية الى استعمال الاسباب والآلات التى بها يتوصل من ذاته الى ما هو كمال له من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو بحت عدم وعدم صرف لولا فضل الله تعالى

وجود النور تابع للشمس ووجود كل شيء تابع لوجود الله تعالى فهو كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) وقد تقدم قريبا (وكيف تتصور أن يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي هو قوام نفسه ومعلوم ان المحب نحو الشمس لو كان يحب نفس الشمس بالضرورة لاستحالة انتهاء قوام العالم) ومدده (وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجرة) والدليل للخصم لأن الظل لا أول له أول عين ظهر سوره تعالى وفلت صورة الكثرة التي هي شؤم الوحدة ابتداء وقيل للانسان الكامل المتحقق بالحضرة الوحدية ظل الاله وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي بكرة السلطان ظل الله في الارض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله (والنور بالاضافة الى الشمس كالظل من الشجر في تبعيته لقدرته ووجوده لكل ما سوى لو جوده كان وجود النور تابعا للشمس ووجود الظل تابع للشجر) وهذا لسان الحال أما لسانه فرتبته مماثلة الى وحدة الوجود الذي قال به أهل الحقيقة وهي مسئلة مشهورة شديدة الاختلاف بين جهلة الناس وقد أشار المصنف الى ذلك في عدة مواضع من كتبه هذا منها في هذا الموضع ومنها ما مر في كتاب الصبر والشكر وهو قوله انظر يعني التوحيد تجد من يعرف انه ليس في الوجود غير الله تعالى الخ وصرح به الشيخ في كتابه مشكاة الانوار وغيره وقد صرح هو الشيخ الاكبر قدس سره في مواضع من كتبه المفتوحات (على هذا المثال صحيح بالاضافة الى أوهام العوام ان تحيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذا انكشف لارباب البصائر كما أن ما يظهر من شدة الابصار) وأقوى منه (النور وحاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع مقابلة له بين الشمس والاجسام الكثيفة كالارض وغيرها وشكلها وصورتها) فحاصل من قدرة الله تعالى (والنور حس هو نسبة تعالى لذاته وبذاته وصفة تشرق الانوار كلها على ترتيبها وهي مستفادة من النور الالهي الحقيقي نورية فقد وان الكل نوره وكل ما في الوجود مستفاد منه في ظاهر الامر في كسبة النور الى الشمس (ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الدقائق) لانها وضعت لعوام الامة (فاذا كان حب الانسان نفسه ضروريا فيحب ما هو قوامه أولا ودوامه ثانيا في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضا ضروري ومن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلا يعرف نفسه وشهواته ودخل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته ولم يصرف همته على شهوته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي أشركه فيها البهائم في تمتعه والانتفاع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يلحقه الا من يعرف الى نفسه من الملائكة ويطالع فيه قدر ما به في الصفات من الملائكة ويقصر همته بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم) عالم الملكوت عالم الغيب بالاضافة الينا عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد به تقصيره في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن نصيب الانسانية بل أضل من البهيمة لان البهيمة أعذر للطبيعة الى هذا عالم وعالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة بالاضافة الى الروح وكالظل بالاضافة الى النور وكالكل بالاضافة الى العلو والملائكة من حملة عالم الملكوت على ما كشف في حضرة القدس وهي أشرف من الى العالم لا سفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب ليست أفعاله تقتضيها مايل دنية من طلب القرب الى الله تعالى فمن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وصفهما عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان ظلم نفسه على الجود والخيلاء والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبها من الملائكة فان حاصة الحياة الادراك والفعل وانما يتفاوت النقصان والتوسط والكمال ومهما فنى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

وأما

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقام بدفع أعدائه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانهض وسيلة الى جميع خطوظه وأغراضه في عبيده وأولاده وأقاربه فانه محبوب لامحالة عنده وهذا سببه يقتضي أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة علم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط وما أنواع احسانه الى كل عبيده فليست أعدادها تدخل تحت حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منها في كتاب الشكر ونكتفي هنا بالاقتصار الآن على بيان أن لا احسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى وغرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع جزئياته ومكنك منه بل تتصرف فيها كيف تشاء فاعلم أن هذا الاحسان منه وهو غاطه فانه انما نعم حسبه به وتعالى وقدرته على المال وداعيته بباعثه عن صرف ما بين يديه الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقام بدفع أعدائه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانهض وسيلة الى جميع خطوظه وأغراضه في عبيده وأولاده وأقاربه فانه محبوب لامحالة عنده وهذا سببه يقتضي أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة علم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط وما أنواع احسانه الى كل عبيده فليست أعدادها تدخل تحت حصر حاصر كما قال تعالى) في كتاب الشكر (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تقدروا على احصائها (وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر) ولا نعيده (ونكتفي هنا بالاقتصار الآن على بيان أن لا احسان من الناس غير متصور وانما المحسن هو الله تعالى وغرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع جزئياته ومكنك منه بل تتصرف فيها (كيف تشاء فاعلم أن هذا الاحسان منه وهو غاطه فانه انما نعم حسبه به وتعالى وقدرته على المال وداعيته بباعثه عن صرف ما بين يديه الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك وفي نفسه أن صلاح دينه وأودنياه في الاحسان اليك ولولا ذلك لما أعطاك محبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه وأودنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره اليك وقهره وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يتصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجري الماء في حوض الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو نفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الى غيره فمحال من الجهة التي لا يبذل ماله الا لغرض له في البدل اما آجلا وهو الثواب واما عاجلا وهو المدائح والاستجلاب) لحسنه (أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم وحب فعل الخير للطاعة والحسنى كما الانسان لا يبقي ماله في البحر الا لغرض له فيه) ظاهر (فلا يبقيه في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أن تكون قد سلمت مقصودا الى يديه آجلا له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر) الجميل (والثناء) الحسن (أو الشكر أو الثواب) آجلا (فسبب قصد المال وقد استعجل في القبض للتوصل الى غرض هو مقصود لا لحسن في عينه ومعناض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك عنده لما بذل عين ماله لاحد الا على سبيل الهبة فهذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما أنه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على مخالفة فهو مجاز مجري الماء في حوض الماء لا يري محسنا بتسليم حنفية الماء في

الحوض فان الماء لا يبذل ماله الا لغرض له في البدل اما آجلا وهو الثواب واما عاجلا وهو المدائح والاستجلاب أو الشهرة بالسخاء والكرم أو حب فعل الخير للطاعة والحسنى وكما أن الانسان لا يبقي ماله في البحر الا لغرض له فيه فلا يبقيه في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أن تكون قد سلمت مقصودا الى يديه آجلا له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب فسبب قصد المال فقد استعجل في القبض للتوصل الى غرض هو المحسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك عنده لما بذل عين ماله لاحد الا على سبيل الهبة فهذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما أنه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على مخالفة فهو مجاز مجري الماء في حوض الماء لا يري محسنا بتسليم حنفية الماء في

جامع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى اطاعته لاستيلائه عليه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه لامير ونفسه لما سمح بذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى يأخذ الله الواجبة في ماله ويؤدي ما في ذمته من حقوق عباده فيذهب ذلك الى الله فيعتاض عما بذله عوضا هو في عنده وأحب مما بذله فكما لا يعد بائع محسنا لانه بذل لعوض هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينا منقولا بل الحاصل كل ما هو عوض تستحقر الامور الزائلة بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحده يرجع الى الاول وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولاحظهم لاحظ وغرض يرجع اليه فالاحسان في حق غيره كذب أو محال ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع

الجمع بين السواد والبياض فهو مجرد الجود لا احسان والطول لا منة فان

جامع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى اطاعته لاستيلائه عليه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سمح بذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى يأخذ الله الواجبة في ماله ويؤدي ما في ذمته من حقوق عباده فيذهب ذلك الى الله فيعتاض عما بذله عوضا هو في عنده وأحب مما بذله فكما لا يعد بائع محسنا لانه بذل لعوض هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينا منقولا بل الحاصل كل ما هو عوض تستحقر الامور الزائلة بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولاحظهم لاحظ وغرض يرجع اليه فالاحسان في حق غيره كذب أو محال ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض) واعلم ان الكمال في العبد قد يحصل

كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غير محال هو المستحق بهذه المحبة وحده وما عداه فيستحق المحبة على الاحسان شرعا الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وهو السبب الثالث وهو جبلة المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عادل عالم رفيق بالناس متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك ثم بلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر قاس متهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك مال تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب وعبرة عن الثاني وهو البغض مع انك ليس من خبر الاول ولا من شر الثاني لانقطاع جميعه عنك الى الاول الى لا ذا هما فهذا احب محسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا لا من حيث تعلق سببه بالله بل الله هو المحسن الى الكافة والفاضل على جميع أصناف الخلائق أولا بايجادهم واخراجهم من العدم الى الوجود ثم في الدور (وتهيئة أسبابهم الى الاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وتتمة مهماتهم وتتبعهم جميع الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة وزيادة تحببهم بالمزايا والفوائد التي هي في مقدمة مرتبتهم وهي مرحلة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقوام حاجبي وحمرة الشفتين وتلوز العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تتضرر به حاجة ولا ضرورة ومثال

الضروري

الى لا ذا هما فهذا احب محسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا لا من حيث يتعلق سببه بالله بل الله هو المحسن الى الكافة والفاضل على جميع أصناف الخلائق أولا بايجادهم وتهيئة أسبابهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وتتمة مهماتهم وتحببهم بتهيئة الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة وزيادة تحببهم بالمزايا والفوائد التي هي في مقدمة مرتبتهم وهي مرحلة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقوام حاجبي وحمرة الشفتين وتلوز العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تتضرر به حاجة ولا ضرورة ومثال

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان ومن الحاجة الى الطعام والشراب واللباس والمسكن والمناكح والمراوح والمحضرة لاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار والثمار والفواكه ولا شك انى لا نحترم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة في كل حيوان بل لكل حيوان بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فما هو الحسن فكيف يكون غيره حسنا وذلك الحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن والحسن ومن الحسن وخالق أسباب الاحسان فالحسن هذه العلة أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحتج هذه العلة الا الله تعالى وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه ورأيت ان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب وبور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فما هو مدرك بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك انما تصور مع نقوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو امر يدرك بحس الصورة الباطنة وهو حس لا يدركه عموم الناس بحس آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فلا جرم من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضي الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل لدل حسن أفعالهم على حسن صفات نفسانية هي مصدر الافعال فدل آثار صادرة عنها دلالة نباهاني رأي حسن تصنيف وحسن شعر شاعر بل حسن نقش نقاش وبناء البناء المكتشف من هذه الافعال صفاتها التي يرجع حاصلها عند التحقيق الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذلك القدرة كلما كان أعم متعلقا وأجل مرتبة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل من هذا ما لا شيء أحسن من معرفة الله تعالى ولا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ومن هذا لك من ذا خرج أهل الطيب من الطيب ولم يدر وهو طيب شيء فيها قالوا وما هي يا أبا عمرو قال معرفة الله عز وجل (وكذلك غاية ربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به) وكلما كان متعلق العلم أشرف كان العلم أشرف وأجل فلا جرم من يعرف الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه وما أعد الله للصديقين الذين نحتهم لعلوم طاهرة جمع في ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح نفوسهم) تهذيبها وتطهيرها عن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

ضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان ومن الحاجة الى الطعام والشراب واللباس والمسكن والمناكح والمراوح والمحضرة لاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار والثمار والفواكه ولا شك انى لا نحترم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة في كل حيوان بل لكل حيوان بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فما هو الحسن فكيف يكون غيره حسنا وذلك الحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن والحسن ومن الحسن وخالق أسباب الاحسان فالحسن هذه العلة أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحتج هذه العلة الا الله تعالى وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه ورأيت ان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب وبور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فما هو مدرك بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك انما تصور مع نقوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو امر يدرك بحس الصورة الباطنة وهو حس لا يدركه عموم الناس بحس آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فلا جرم من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضي الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل لدل حسن أفعالهم على حسن صفات نفسانية هي مصدر الافعال فدل آثار صادرة عنها دلالة نباهاني رأي حسن تصنيف وحسن شعر شاعر بل حسن نقش نقاش وبناء البناء المكتشف من هذه الافعال صفاتها التي يرجع حاصلها عند التحقيق الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذلك القدرة كلما كان أعم متعلقا وأجل مرتبة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل من هذا ما لا شيء أحسن من معرفة الله تعالى ولا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ومن هذا لك من ذا خرج أهل الطيب من الطيب ولم يدر وهو طيب شيء فيها قالوا وما هي يا أبا عمرو قال معرفة الله عز وجل (وكذلك غاية ربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به) وكلما كان متعلق العلم أشرف كان العلم أشرف وأجل وكذلك القدرة كلما كان أعم متعلقا وأجل مرتبة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل من هذا ما لا شيء أحسن من معرفة الله تعالى ولا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكل معرفة هي أجل وأكمل فالمعرفة بها أشرف (فاذا جاء الصديقين الذين نحتهم لعلوم طاهرة جمع في ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح نفوسهم) تهذيبها وتطهيرها عن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

بالارشاد وتسببوا لصرفهم عن الرشد والحاقهم بالشقاوة البعيدة عن سنن الخير الحادة عن طريق الشر وقد اتجب الاولياء والعلماء والمخصوصون بالدين هم أهل العدل والكرم وقد نسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى (أما العلم) فإن علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة حقيقية لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد ناسب الخلق كلهم فقال عز وجل وما أوتيتم من العلم الا (٥٦٤) قليلا لو اجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا به وبحكمته في تفصيل خلق الله

بالارشاد وتعليمه (وتسببوا لصرفهم عن الرشد) لنفسه (والحاقهم) الباطنة (والشقاوة البعيدة) على ما نعت الحق (عن سنن الخير) والفلاح (الحادة عن طريق الشر وقد يجب الاولياء والعلماء والمخصوصون بالدين هم أهل العدل والكرم وقد نسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى (أما العلم) فإن علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجية عن ما به حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد ناسب الخلق كلهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا) حتى كان من عدم علمهم بذات القليل (لو اجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق الله أو بعوضة لم يطيقوا على عشر عشير ذلك) كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقال تعالى ولا يحيطون به علما (والقدر الذي منه يدري علماء الخلائق كلهم متعلقه علومه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان) وهذا يسبق الى بعض العقول على الفور (فان كان من العلم وشرفه أمر محمود وكان هو في نفسه موجودا كاملا للموصوف به فلا معنى أن يحجب هذا السبب الله تعالى فيكون معلوم معدوما مجهولا بالاضافة الى علمه) هذا (بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحجب نسبة العلم الاجهل وبين الاعلم وان كان الاجهل يجهل عن الاعلم بعض ما يعلمه لكن التفاوت بين علم الله تعالى وبين علم أكثر الخلائق وأجهلهم أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بمعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان يحيط بها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن نسبة معلوم الى معلوم به ومعلوم به الى معلوم به وهي متناهية) وقد خص الله العبد بحظ من وصف العلم لا يكاد يخفى ولكن يفارق علمه علم الله تعالى في خواص ثلاث احداها ما أشار اليه بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا اذ لو كشف له عن كل ما يتوهم أنه معلوم لله تعالى لم يتسع لذلك علمه ولا يمكن أن يكون علمه كعلم الله تعالى وهو محيط بكل المعلومات اذ لا يتصور أن يكون علم المحدث كعلم القديم والثانية ان علمه لا يتعلق بالاشياء الا بعد وجودها وعلم الله تعالى بالاشياء قبل وجودها وبعد وجودها على السواء وهو لا يتغير بتغير المعلومات والثالثة ان علمه حادث يتجدد بتجدد المعلومات وعلم الله تعالى بالاشياء قبل وجودها وبعد وجودها على السواء وهو لا يتغير بتغير المعلومات وسبب هذه الثلاثة ان علمه صفة من صفات ذاته وذاته ليست بمحل للحوادث وعلم الله تعالى ليس بصفة من صفات ذاته بل هو صفة قائمة بذات هي محل للحوادث وسبب الفرق بين الصفتين ان علم الله تعالى بالاشياء سبب لوجودها وعلمنا بخلاف ذلك ولله المثل الاعلى (وأما قدرته فهي أيضا كمال بحر بعض من كل كمال وجمال وعظمة وجلال وتعلم استيلاء قاهرة محيطة بجوانب الامكان بحيث ان الانسان يسمع في الحكاية عن المجاورين (لعمر بن الخطاب) رضي الله عنه (وعلي) بن أبي طالب (وعبد) بن الزبير رضي الله عنهم (وعمرو بن العاص وشجعان المشركين كعنبسة واسلام) وغيرهم واستيلائهم على الاقران) من أهل زمانهم (فيصادف في قلبه اهتزازا وطربا وتأثيرا عظيما وسرورا بالغا لذة السماع فضلا عن المشاهدة وتورث ذلك حبا في القلب وسرورا للمتصف به وهو بكل بحر بالنسبة الى قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعلم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقعدهم لحدة الغضب وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مما هو في

وبعوضة لم يطيقوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر الميسر الذي علمه الخلائق كلهم متعلقه علومه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه أمرا محمودا وكان هو في نفسه موجودا كاملا للموصوف به فلا معنى أن يحجب هذا السبب الله تعالى فيكون معلوم معدوما مجهولا بالاضافة الى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحجب نسبة العلم الاجهل والاعلم وان كان الاجهل يجهل عن الاعلم بعض ما يعلمه لكن التفاوت بين علم الله تعالى وبين علم أكثر الخلائق وأجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بمعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان يحيط بها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن نسبة معلوم الى معلوم به ومعلوم به الى معلوم به وهي متناهية (وأما قدرته فهي أيضا كمال بحر بعض من كل كمال وجمال وعظمة وجلال واستيلاء قاهرة محيطة بجوانب الامكان بحيث ان الانسان يسمع في الحكاية عن المجاورين لعمر وعلي وسائر من رضي الله عنهم وعمرو بن العاص وشجعان المشركين كعنبسة واسلام وغيرهم واستيلائهم على الاقران من أهل زمانهم فيصادف في قلبه اهتزازا وطربا وتأثيرا عظيما وسرورا بالغا لذة السماع فضلا عن المشاهدة وتورث ذلك حبا في القلب وسرورا للمتصف به وهو بكل بحر بالنسبة الى قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعلم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقعدهم لحدة الغضب وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مما هو

قدرته وانما يتناول يقدر على بعض مقدورات نفسه وعلى بعض أشخاص الناس فى بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه ضرا ولا نشورا ولا حياة ولا نشورا ولا نصرا ولا نصرا ولا يقدر على حفظ عينه من العمى وسائره من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يتخلص الى عدم ما يضره على نفسه وغيره مما هو من جملة متعلق قدرته فضلا عن أن يتعلق به قدرته من ملكوت السموات والأرض وكواكبهما وكل الارض وجبالها وبحارها وأنهارها وحيواناتها وجميع خزائن الاقدار فكل ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره ليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا تمكين مولاه كما قال فى أعظم ملوك الارض ذى القرنين (٥٦٥) وهو قال بامكانه فى الارض فمكن

قدرته) ومع هذا (وانما يتناول يقدر على بعض مقدورات نفسه وعلى بعض أشخاص الناس فى بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه ضرا ولا نشورا ولا حياة ولا نشورا ولا نصرا ولا يقدر على حفظ عينه من العمى وسائره من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يتخلص الى عدم ما يضره على نفسه وغيره مما هو من جملة متعلق قدرته فضلا عن أن يتعلق به قدرته من ملكوت السموات والأرض وكواكبهما) من ما كان (الارض وجبالها وبحارها وأنهارها وحيواناتها وجميع خزائن الاقدار فكل ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره ليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك) كالنمرود (وأقوى شخص من الحيوانات) كالفيل (لاهلكه) أما هلاك النمرود فمعروف فى التواريخ وأما هلاك الفيل فقد ذكر غير واحد من المتكلمين على عجائب الحيوانات كالدميرى وغيره أن بعوضة دخل فى أذن فيل كان سبب هلاكه وذلك لانها لم تزل تحرك آذانه حتى طار وقع بسببها يقربه الحوض (فليس للعبد قدرة الا تمكين مولاه) ومع ذلك فهى ناقصة لانها تتناول الاعيان الممكنات ولا تصلح للاختراع بل الله سبحانه هو المختار بقدرته وبعد وجود الاسباب القدرية فهى ناقصة عن ايجاد جميع الممكنات لو وجود الاسباب القدرية (كما قال فى أعظم ملوك الارض ذى القرنين) لاسكندر (انا قد مكناه فى الارض) وآتيناه من كل شئ سببا (فلم يكن جميع ما مكنه وسلطه الا تمكين الله تعالى اياه فى جزء من الارض والارض كلها ذرة بالاضافة الى أجسام العالم وجميع الاملاك التى يتغلب بها الناس من الارض عبرة من تلك الذرة ثم بينا عبرة أيضا من فضل قوته فكيف فضل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر) مالك الاولين والآخر (السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته ماضية فيهم جميع أحكامه فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم ينقص من ملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يبق تحقه ولا عنه لعوب ولا قصور فى اختراعه فلا قدرة ولا ملك ولا قوة الا لله العلى العظيم فهو الجبار القاهر القدير العليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته ماضية فيهم جميع أحكامه فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يبق تحقه ولا عنه

لعوب ولا قصور فى اختراعه فلا قدرة ولا ملك ولا قوة الا لله العلى العظيم فهو الجبار القاهر القدير العليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته ماضية فيهم جميع أحكامه فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يبق تحقه ولا عنه لعوب ولا قصور فى اختراعه فلا قدرة ولا ملك ولا قوة الا لله العلى العظيم فهو الجبار القاهر القدير العليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته ماضية فيهم جميع أحكامه فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يبق تحقه ولا عنه

جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه فى جزء من الارض والارض كلها ذرة بالاضافة الى أجسام العالم وجميع الاملاك التى يتغلب بها الناس من الارض عبرة من تلك الذرة ثم بينا عبرة أيضا من فضل قوته فكيف فضل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو الجبار القاهر القدير العليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته ماضية فيهم جميع أحكامه فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يبق تحقه ولا عنه

عبره) بحيث يصل الى غايته بيس و رعشه مرير من كل وجه (فات منتهى الكمال في درجاته ان لا يكون عبدا محضا لغيره وفقيرا بالغير وذلك محال في حق غيره) اذ غيره لا قوام له بنفسه في وجوده (فهو المتفرد بالكمال المطلق عن النقص المقدس عن العيوب) المنزه عن الاعتلال والاضمحلال (وشرح وجوه التقديس و تنزيهه في حقه عن النقائص طويل) بيانه وتفصيله (وهو من أسرار علوم المكاشفة فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجب ان يكون حقيقته الاله وكل غيره وتنزيهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصانا كما ان الفرس كمالا بالاضافة الى الحمار والانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل للكل وعلى هذا ونرى في درجات النقصان قد الجبل المحسوس والخيل المطلق) هو الجبل المطلق دون الجبل هي و ثبت و تعدين والعلم والقدرة وغيرها فالعلم مع جميعها هو العالم المطلق والموصوف بعضها كالانسان قدر ما مثل في هذه الصفات هو العالم المطلق (هو الواحد الذي لا مثل له الفرد الذي لا نظير له الصمد الذي لا مضاد له الذي لا مشارع له الحي الذي لا يجوز عليه الموت القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض الظاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته عالم الجبروت والملكوت ذو الجلال والبهاء والقدرة والكبرياء الاول الذي لا أول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه القيوم الذي لا يجوز عليه العدم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به خالق السموات والارض وما بينهما من الاجناس والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والاجلال والقدرة والكمال) وهذه كلها صفات الجلال وهي التي نسبت الى البصيرة المدركة لها حيث جلا وسمي المتصف بها جليلا وانما كان الحق هو الجليل المطلق لان كل ما في العالم من جمال وكمال وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا ثنوية فيه سوى الله تعالى لما تقدم (الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى سوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال) مشيرا الى هذا المقام (سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) سبحانك (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد تقدم وعند ابن خزيمة من هذا الوجه وأعوذ بك منك لا أحصي مدحك الثناء عليك وفي آخر عند أبي من وجه آخر وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك أثني عليك لا أبلغ كل ما قلت وفي آخر عند الحلي من وجه ثابت عنها لا أحصي أحصاه ولا ثناء عليك وغيرهما رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث علي رضي الله عنه (وقال سيد الصديقين) أبو بكر (رضي الله عنه عجز عن درك الادراك ادراك سبحانك لا تعلم الا بتعريفك الى معرفتك لا بالعجز عن معرفتك) قال المصنف في مقصد الاسنى نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه ونهم لا يكنهم بمعرفته وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى هذا ان انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا يقينيا عن معرفة عرفية أي سموا المنتهى الذي يكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه الصديق بقوله المذكور وهو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه ولم يرد به انه عرف منه ما لا نهاية وعجز بنهايته في المعرفة عنه بل معناه اني لا أحيط بجملة

وصفات

استحقاق العزة و الجبروت متوحد بالملك و الملكوت ذو الفضل و الجلال و البهاء و الاجلال و القدرة و الكمال الذي

تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى سوة الانبياء الاقرار

بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي

الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانك من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله محالا أيمكنه أن ينكر هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محمودا بالطبع عند من أدركه سبحان من احتجب عن بصائر العميان بغير غاية الحجاب بعيدون وترك الخاسرين في صفات العمى يتيهون وفي مسارح محسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص وذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أردت الاداء الى من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الزبور بنحتها وفي الزبور من أحبني عبدت لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا أن أطاع وسر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد تعبدوا فقالوا لخالف النار ورجوا الجنة فقال لهم خلقتم وخلقوا فرجوتم وسر على قوم آخرين كذلك فقالوا لعبيد جماله وتعظيم لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم اني لاستحي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء ان لم يحب لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وفي الخبر لا يكونن أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يحب لم يعمل وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال عمر رضي الله عنه أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما عسى أن يكون بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وأما السبب الخامس للمحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل وبذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعلم أكثر منه بالمحترف وأنس البحر ما بحارا أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد له التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما سنذكره في باب الاخوة في الله من كتاب آداب

وصفات الجلال وان لم يحط بها وحدك فقد لا يجوز تحجبي من ملاحظة حقيقة به الا الحيرة والدهشة
الخ ثم (فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله محالا) يعني الطاعة والامتثال (أيمكنه
ان هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو
ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محمودا بالطبع عند من أدركه) وهم أهل البصيرة الباطنة (سبحان من
احتجب عن بصائر العميان) وهم الذين فقدوا آلات البصيرة (بغير غاية وحجابا ان يطلع عليه الا من سبقت
له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في صفات العمى يتيهون وفي مسارح
محسوسات وشهوات البهائم (يترددون) وتحكم عليهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) واعلم انه اذا ثبت له جميل وجلال فكل جميل فهو محبوب
ومعشوق عند من يدرك جماله وذلك لان الله محمود ما دام لكن عند المبصرين لا عند العميان (فالحب
بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص وكذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه
السلام ان أردت الاداء الى من عبدني لغير نوال) أي عطاء (لكن ليعطى الزبور بنحتها) أي كتبها (وفي الزبور
من أحبني عبدت لجنة) أي أهلها (أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا أن أطاع) كذا في القوت (وسر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد تعبدوا
وتعبدت لهم نساؤهم فسألهم عن حالهم (فسألوا الخوف فنجوا) من عذاب الآخرة (ثم سر على آخرين فرآهم كذلك وسألهم فقالوا (نرجو
الجنة فقال لهم خلقتم فخفتم وخلقوا فرجوتم وسر على قوم آخرين) فرآهم (كذلك) فسألهم (فقالوا لعبوديته
له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم) وقد مر هذا في سياق ما سبق منا وفيه فقال
لهم أنتم المقربون أنتم المقربون وقد ذكره صاحب القوت بالاسناد (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج
التابعي العابد رحمه الله تعالى (اني لاستحي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء ان لم يحب لم يعمل
وكالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل) نقله صاحب القوت وقال ومن هذا القسم جماعة من العارفين منهم
أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي أن أعبده للثواب فأكون كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل
ولكن عبدته محبة رؤيته فيما يتجلى عن أبي بكر الآجري حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا ابراهيم
ابن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم بن كثير الهيثمي حدثنا سفيان بن عيينة يقول قال أبو حازم اني
لاستحي من ربي عز وجل ان أسأله شيأ فأكون كالاجير السوء ان لم يعط أجرا ولكن أعمل تعظيما له (وفي الخبر
لا يكونن أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يحب لم يعمل) أخرجه القوت
وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل
ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال عمر رضي الله عنه أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما (وأما السبب الخامس للمحب فهو
المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل وبذلك ترى الصبي يألف الصبي
والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعلم أكثر منه بالمحترف وأنس البحر ما بحارا أكثر من أنسه بالفلاح وهذا
أمر تشهد له التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما سنذكره في باب الاخوة في الله من كتاب آداب

الخصوصية فيطلب معهود اذا كانت المناسبة سبب التحقق فقد تكون في معنى ظاهر كما سبق لنا في معنى الصمد وقد تكون خفية حتى لا يطلع عليها كما ترى من الاتحاد الذي يتحقق به شخصان من غير ملاحظة جمال وطمع في مال وغيره كما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا روح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو المناسب والتناكر هو المنافي وهذا المناسب أيضا يقتضي حب الله تعالى لهذه

في الكتب وبعضها لا يحور أن يسطر بل يترك تحت عهدة العبرة حتى يعثر عليها السالك الطريق اذا استكملوا شرط السلوك الذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الحديث الذي مر فيه بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في الكتب مما عدا الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والقدرة والاحسان واللطف وخصوصة الخبر وارجاعه على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما الامور التي يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي لا يحصل بها الآدمي فهي التي يومئ اليها قوله تعالى وينفخ فيه من روحه فان روحه اضافة تشريف كما مر وقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى على القاصرون من الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشوهوا وحسموا وصوروا وتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا والتي لا اشارة قوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته وجدتني عنده) روى مسلم من حديث أبي هريرة ان الله تعالى

الخصوصية فيطلب معهودا اذا كانت المناسبة سبب التحقق فقد تكون في معنى ظاهر كما سبق لنا في معنى الصمد وقد تكون خفية حتى لا يطلع عليها كما ترى من الاتحاد الذي يتحقق به شخصان من غير ملاحظة جمال وطمع في مال وغيره كما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا روح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) تقدم قريبا (فالتعارف هو المناسب والتناكر هو المنافي) أي فما تناسب منها في عالم الارل حصل بينها الائتلاف في عالم الشهادة وما تنافر منها تناكر وحصل الاختلاف ههنا (وهذا المناسب أيضا يقتضي حب الله تعالى له سبق ما مر فيه بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله) أي تخلقوا بما في صفاته وأسمائه (وذلك في الكتب مما عدا الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والقدرة والاحسان واللطف وخصوصة الخبر وارجاعه على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة) وذلك فيما مكنه منها (فكل ذلك تقرب الى الله تعالى) لانه بصير العبد ربانيا أي قريبا من الرب تعالى لانه يصير روحانيا ملكيا الا ترى من الملائكة هائمون على وجوههم في مقام القرب في حيرة لا شغل لهم الا التقرب الى الله تعالى (لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات) ومهما تفاوتت درجات الكمال وتصرمت بين الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق لاله ولم يكن للموجودات الا حركة كل مطلق بل كانت كلها متصورة بالاضافة اليه كلها أقرب لانه تعالى لديه كل الحق أي قريبا بالرتبة والمرتبة لا بالمكان (وأما ما لا يحور أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي لا يحصل بها الآدمي) دون سائر المخلوقات (فهي التي يومئ اليه قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي أي أمر ربوبية أمر روح عن حد عقول الخلق) وهكذا شأن أمور الربوبية ألا له الخلق والامر (وأضيف من ذلك قوله تعالى ونفخت فيه من روحي) فقوله ساجدين (وذلك لمناسبة بالملائكة) أن ذلك للتسوية ومن قوله وأضيف من ذلك الى هنا قد سقط من بعض النسخ وقد أشار الى ذلك المصنف في كتاب التسوية ومنهم من ذكر تسمية هذا الكتاب به كما ذكرناه في مقدمة كتاب العلم (وبشير اليه قوله تعالى لما جعله خليفة في الارض اذلم يستحق آدم خلافة الله تعالى لمناسبة) لانه مجموع من نور الله تعالى ولا يحصل الا بروح من عند الله كما كان لا بد في نشوة المساواة وهذا ظاهر بما ظهر من السر الآية (والتي يومئ قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) تقدم الكلام عليه (حتى على القاصرون) من العمياء (أن الا صورة الا صورة الظاهرة المدركة بالحواس) الظاهرة وأنكروا صورة باطنة مدركة بالبصيرة الباصرة (فشوهوا وحسموا وصوروا وتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا والتي لا اشارة قوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته وجدتني عنده) روى مسلم من حديث أبي هريرة ان الله تعالى

قوله تعالى وينفخ فيه من روحه فان روحه اضافة تشريف كما مر وقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى على القاصرون ان الا صورة الظاهرة المدركة بالحواس فشوهوا وحسموا وصوروا وتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا والتي لا اشارة قوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته وجدتني عنده

يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده الحديث (وهذه مناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على التواظل بعد أحكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم مع شرحه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في المعرفة والحاكم في الزهد وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد استقبلني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بشيء أفضل مما افترضت عليه وما يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد منه وروى في حديث أنس وما تقرب إلي عبدي بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولئن دعاني لأجيبنه وروى في حديث أبي أمامة عند الطبراني في الكبير والحكيم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء وابن عساكر وهل الخلق في مشكاة الانوار منتهى معراج الحقائق ممكنة المعرفة بالبسيطة تلبس وراء ذلك سر في الطارق لا يتصور لاكبره فانه يوجد فيه ما يستدعي به الارتقاء وما به الارتقاء لا يرتقاه وما به الارتقاء يكثرة خلق الوحدة وعلت لاصاده وصاحت لاشارة فهم بين عجز ولا حيل ولا يزال الامر في ارتقاء واستحالة العروج ليس وراء لا على علو وجمع الوحدة كثرة ولا جمع مع الكثرة عروج فان كان من تعبير حال الرسول في السماء الذي يعبر عنه بالاسراء من عجائب أسفل لا على له أعلى وليس له أعلى فهذه غاية عجائب ومنتهى المعرفة من عجز عنه وبكره من تحيله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا ظهروا به لم ينكره الا أهل العزة بالله ولا يجادل في هذا الا من قال بتعدد الرسول أي اسمائه بل هو الرسول ملك فقد توهم بعض الناس أن ما هو أعلى من هذا المستغرب عن درايته أي عن الرسول الى السماء الذي يدل هو ورواته الى استعمال الحواس وتحريك الاعضاء والاشارة الى الحق بصرف سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وإذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق الا لغيره وبيانه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذه الموجدة من سمعه الذي هو الله ولسانه كالسمع والبصر من سمعه فوقه وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سمع العقل في منتهى معراج الحقائق وملائكة المقربة الى سمع صفات ثم هذه يستوي على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر اطلقت سماء الدنيا فيرى بصر البصيرة فاعلى القول ما تنتهي قدم على صورة الرحمن الى أن يعين لطرفيه فيعلم أن ذلك تأويل كقوله انا الحق وحسابك كقوله مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه (وهذا موضع تحب فيه عنان القلم فقد تحير الناس فيه الى ناصر بن مالوا الى التشبيه الظاهر والى عاسس مصرين جاوزوا حدود الله تعالى الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق) ثم يضيق الناس من هذا الامر أكثر من هذا المقدار (فقد تحير الناس فيه الى ناصر بن مالوا الى التشبيه الظاهر) فيتوهمون أن صورة الاصورة الظاهرة المدركة بالحواس وكذا في الرسول الى سمعه الذي هو لسانه وبصره الى (ناصر بن مسرة) تجاوز في الحدود (وصور واحد الناسة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق) وأقول لا تحاد هل لان قول القائل بالعدد صار الرب كلاما متناقضا في نفسه وحيث يتناقض الاتحاد ويقول هو هو لا يكون لاحد يتسع الشيء الفائق بعدة صورة وشعراء فانهم لا حس تحسين موضع كلامهم فيكون سبيل الاستعارة كقول شاعر

* أما من أهوى وس هوى أنا * وذلك من وقر عنده فانه لا يعني به هو تحقيقا بل كأنه هو فانه مستغرق

وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على التواظل بعد أحكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع تحب فيه عنان القلم فقد تحير الناس فيه الى ناصر بن مالوا الى التشبيه الظاهر والى عاسس مصرين جاوزوا حدود الله تعالى الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق

الهم به كما يكون هو مستغرق الهم به فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز ومن لم يحد في القلب الا جلال الله وحبه حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا انه هو بحقيقة وعين بل قد يصير هو هو وكأنه هو وليس هذا بعيد يقوله هو هو عن قول من يقول أنا الحق اشتهر به الحسين بن منصور الحلاج وقد أجاب عنه بعض المنصفين في مقصد الاسنى فقال بعد ما ذكر أن من يرى في عينه ما هو لا يرى غير الله بحق واعتذر بأن كل ما في الوجود هو وجه الله وهو حق بعينه وهو الله سبحانه وتعالى فهو موجود لا محالة فمن يرى هو فما يراه يرى الله لا محالة لولا اتحاد الحال به فقد أخطأ من قال أنا الحق لأنه بحدوجهين أحدهما أنه يرى أنه هو وهذا بعيد لان الاعمى لا يرى عصاه ولان ذلك لا يخصه بل كل شئ سوى الله هو بالحق الثاني أن يكون مستغرق الحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أحد كذلك الا النبي والصديق فقد يقال انه هو فان حارثة قد مر بين يدي النبي فقال له كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها فقال النبي عرفت فالزم ثلاثا فهذا قد يقال انه هو الحق لاستغراقه بالحق وأما الاتحاد الحلولي فهو أن يصير بحيث يقال انه هو بمعنى أنه هو لا بمعنى أنه هو الحق وهذا بعيد لان الاعمى لا يرى عصاه ولان ذلك لا يخصه بل كل شئ سوى الله هو بالحق الثاني أن يكون مستغرق الحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أحد كذلك الا النبي والصديق فقد يقال انه هو فان حارثة قد مر بين يدي النبي فقال له كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها فقال النبي عرفت فالزم ثلاثا فهذا قد يقال انه هو بال

ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في السبب والشركة تنقصان في الحب وبعض من كماله ولا يتفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك ما في ذلك الوصف لو جاز فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا تصور أن يكون ذلك ممكنا فلا جرم لا يكون في حبه شركة ولا يتطرق النقصان الى حبه كما لا تطرق الشركة الى صفاته فهو سبحانه وتعالى هو المحبوب الاصلي لكل محب ولكن الحبة سبحانه لا تساهم

(فيه أصلا) (بيان ان أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن الادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والعرائز وأكمل قوة وغريزة ولذتها هي التي تقتضي طلبها الذي خلقت له فاذا عرفت هذا عرفت ان ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور وهو مقتضاها والطبع غريزة خلقت للاشياء والانتقام ولذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام ولذتها في هذا بعد الذي هو مقتضى طبعها وكذلك السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه العرائز عن لذة

ولا ارادة وموازاة الارواح القدسية وتنزيهها عن الحلول في المواطن والقرب والبعد والكمية فذلك أبعد من خيال الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وهذه العلوم ومعارف هي أشرف ما في الدنيا (ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب) خمسة (يتصور أن يحب غيره مشاركته اياه في السبب والشركة تنقصان في الحب وبعض من كماله ولا يتفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك ما في ذلك الوصف لو جاز فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الاوصاف) نهاية (الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك ممكنا فلا جرم لا يكون في حبه شركة ولا يتطرق النقصان الى حبه كما لا تتطرق الشركة الى صفاته فهو سبحانه وتعالى هو المحبوب الاصلي لكل محب ولكن المحبة سبحانه لا يساهم فيه أصلا) أي لا يشاركه وهذه الحواس الالهية ليست لله تعالى ولا تعرفه لانه تعالى فلا جرم لا تتصور أن يعرفه الا هو ومن هو مثله واذ ليس له مثل فلا يعرفها غيره وهذا يشوش على أكثر عقول الخلق فانهم لا يفهمون من فهم شيء الا ما فهموه بحواسهم وهذا كلام ملفق

(وفيه لا تتصور ان يؤثر عليها لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة) ولم يكن له منها نصيب وافر (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الله تعالى) باسرها (تسعة للادراكات والانسان) بحقيقته (جامع جملة من القوى والعرائز) خلقت فيه لاتمام حقيقته الانسانية (واجل قوة وغريزة) منها (لذة) يدركها الانسان من حيث انه انسان (ولذتها في ايفاء ما تقتضي طبعها الذي خلقت له فاذا عرفت هذا عرفت ان ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور وهو مقتضاها والطبع غريزة خلقت للاشياء والانتقام ولذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام ولذتها في هذا بعد الذي هو مقتضى طبعها وكذلك السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه العرائز عن لذة

بالاصالة في مدركاتها وكذلك في مقلب غريزة تسمى البصيرة وهي عين النفس وقد تسمى النور الذي شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان والعقل وكل ذلك تعبيرات عن معنى في نفس مدركه هو غامض لعين الظاهرة (ولا معنى للاشتغال بالاسامي) فلنعد (فان الاسماء لا تحجر فيها) ولا مشاحة فيها (وانما يحجر) المصير فيه (بعض الاحجار واقع في المعنى) فنقول هم كثيرون كثرة لا تنضبط (لان اسبابه شتى) اذ (يطلب المعالي من الاماكن وهو عكس الواجب) فان دائرة المعالي أوسع من دائرة الاماكن فلا تكاد الاماكن تحيط بها كما ينبغي (فالقلب معارف سائر أجزاء البدن لصفة هي بدنه تعالى ان ليست محله ولا يحيط به كادراكه خلق العالم أو فقاره الى حاوي قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية واسم ثالث غريزة عقلا) متابعة

بشرط أن لا يفهم من العقل ما يدرك به طرق المحدثات والنظر فيها حتى يشترط العقل هنا وهذا فهم بعض الصوفية ولا أعلم صفة الخ
فارق الانسان به البهائم وبه يدرك معرفة الله تعالى والتصديق ولا ينبغي أن نذم وهذه الغيرة في تحقيق العلوم الحقائق الامور كلها فيقتضي
طلبها المعرفة والعلم وهي بعضها كما يقتضي سائر الغرائز هو منه وليس يجوز أن في العلم والمعرفة حتى أن الذي ينسب إلى العلم
والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى أن الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم ويمدح
به في الاشياء الحقيرة فالعلم (٥٧٣) بالملعب يشعر بأن حسنة لا يطابق أن يكون بعض العلم ويطابق بسببه ذكر ما يعلمه وكل ذلك

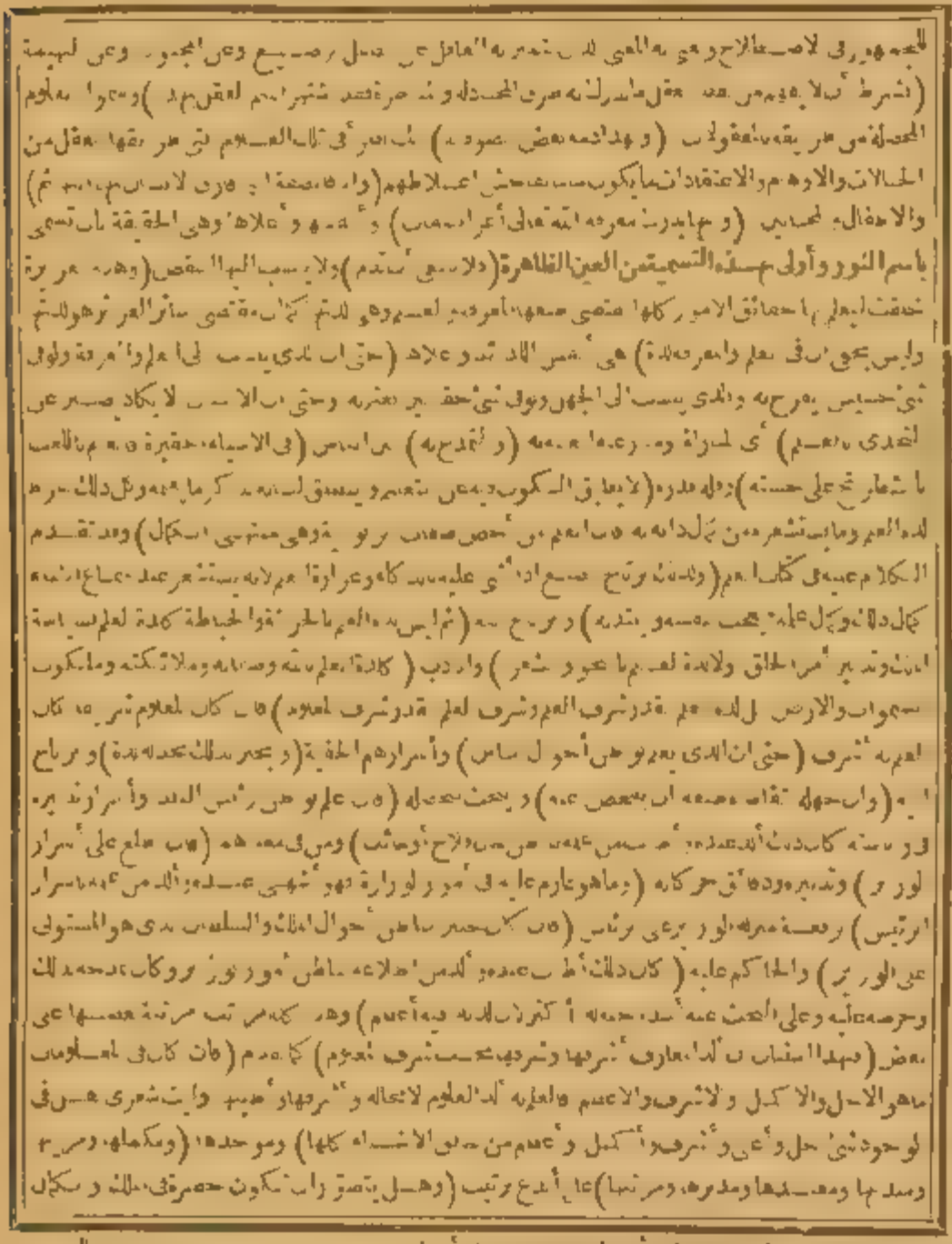

للجمهور في الاصطلاح وهي به المعنى الذي تميز به الفاعل عن فعل وصنيع وعن المجنون وعن البهيمة
(الشرط أن لا يفهم من العقل ما يدرك به طرق المحدثات والنظر فيها حتى يشترط العقل هنا وهذا فهم بعض الصوفية ولا أعلم صفة الذي
فارق الانسان به البهائم وبه يدرك معرفة الله تعالى والتصديق ولا ينبغي أن نذم وهذه الغيرة في تحقيق العلوم الحقائق الامور كلها يقتضي
طلبها المعرفة والعلم وهي بعضها كما يقتضي سائر الغرائز هو منه وليس يجوز أن في العلم والمعرفة حتى أن الذي ينسب إلى العلم
والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى أن الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم
ويمدح به في الاشياء الحقيرة فالعلم بالملعب يشعر بأن حسنة لا يطابق أن يكون بعض العلم ويطابق بسببه ذكر ما يعلمه وكل ذلك
يشعر بأن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع إذا أثني عليه بالذكاء وغزارة العلم
لأنه يستشعر عند سماع ذلك أنه كمال له ويكمل عنه ويحب نفسه ويلذ به
ثم يستدل بالعلم بالحرفة والخياطة كذلك العلم
بسياسة الملك وتدبير
أمر الخلق ولا لذة لعلم
بالحرف واستشعر كذلك العلم
بالله تعالى وصفاته
وملائكته وملكوت
السموات والارض لذة العلم بقدر شرف
العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم حتى
أن الذي يعلم بواطن
أحوال الناس ويخبر
بذلك تحدثه بذلك وأن
سهولة تقاضاه سببه أن
بعض علمه كان علم
بواطن أحوال رؤس
البلد وأسرار تدبيره في

و جمال

أمور الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عند نفسه من علم بأسرار رئيس فإن كان خبيرا بأحوال الملك والسلطان
الذي هو المستولي على الوزير وكان ذلك أطيب عنده وأنفس عنده من علم بأسرار الوزير وكان تحدثه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد
وحبه لأن أكثر لان لذته بالعلم بهذا أستبان أن لذة المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل
والأشرف والأعظم فالعلم به أذ الذ العلوم لاتحاله وأشرفها وأصدق بيت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق
الأشياء كلها وعالمها ومبدعها ومدبرها ومنزلها على أبدع ترتيب (وهل يتصور أن يكون حصر في ملك و بكمال

و الجمال والبهاء والجلال أعظم من الحصر فلا يحيط بها عددي لجلالها وعظمتها (وكيف أحولها وصفي الواصفين) ومن بالغوا (فان كنت لا تشك في ذلك فلا يبقى لك شك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تشعر به النفوس عند الاتصاف به كما هو حال الهداة أحد ما يعظم به الافراح والارتياح والاستبشار وهذا تبين ان العلم لدى الله بعلوم عليه تعالى وتصفه وافعاله وتدبيره في ملكه الممتد متنهى عرشه الى مركز الارض فيما يتعلق بالعلم ان اللذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة وتعضد سائر الحواس الخمس من اللذات مختلفة نوع ولا تحد لذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة باضعف وأقوى بحالة لذة الشيء العظيم (٥٧٣) من لذة الشهوة ولذة

و الجمال والبهاء والجلال أعظم من الحصر فلا يحيط بها عددي لجلالها وعظمتها (وكيف أحولها وصفي الواصفين) ومن بالغوا (فان كنت لا تشك في ذلك فلا يبقى لك شك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تشعر به النفوس عند الاتصاف به كما هو حال الهداة أحد ما يعظم به الافراح والارتياح والاستبشار وهذا تبين ان العلم لدى الله بعلوم عليه تعالى وتصفه وافعاله وتدبيره في ملكه الممتد من متنهى عرشه الى مركز الارض فيما يتعلق بالعلم ان اللذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والعضد وسائر الحواس الخمس الظاهرة وتعضده (فان اللذات مختلفة نوع ولا تحد لذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة باضعف وأقوى بحالة لذة الشيء العظيم) أي لذة الشهوة (من الجماع للذة لعاشر للشهوة وتعضد لذة النظر الى الوجه) الحسن (الجميل لتناسق جمال المدينة النظر الى مادونه في الجمال واما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها من اللذات الخبر من النظر الى صورة جميلة والجمع بين مشاهدتها وبين استشاق رائحة طيبة اذا اختبر النظر الى الصورة الجميلة على تنها ألف عدد من رؤية الصورة الجميلة وكذلك اذا حضر الطعام ووقت الاكل واشتهى الانسان الشعير على اللحم وترك الاكل فيعلم به ان لذة العلم) على قرينه (في الشعير أقوى عنده من لذة الاكل) ولولا ان ترك اللحم تشعر بالاكل (فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجح اللذات وتفاوت اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس من الابصار والاستماع والشم ودون ذلك (والى باطنة كلذة الرياسة والعلم وتكرامهم وغيرها فنسبة هذه اللذة للعين ولا للاذن ولا للانف ولا للفم ولا للدون والمعدن الباطنة) أقوى (وأعلى على كمال من اللذات الظاهرة والخبير الرحيل بين لذة الاستماع واللوز ح) وهو الحلوى المعقودة من السكر واللوز (وبين لذة الرياسة وظهور الاعداء ويل درجة الاستيلاء كان المخبر حسيس البهيمة) ذليلة (مبتلى شديد البهيمية باختيار اللحم والحلاوة وان كان على البهيمة) وبهيميتها اغلب (كامل العقل) موثر الصبر (على اختيار الرياسة) والعلم والاستيلاء (وهان عليه الجوع والصبر عن ضروره الشهوات أيما كثيرة فاختباره للرياسة يدل على تنها ألف عدد من المطعومات الطيبة تم له النقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي وكالذي ماتت قوته الباطنة كالمعتوه لا يعد ما يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة) بمقتضى طبعهما (وكان لذة الرياسة واكرام العلماء أعلى اللذات عي من حاور نقصان الصبا والعته عند من عرفه الله ومن لم يحسن حصره لربوبيته واحاطته بأسرار الامور الالهية) نعم الصبيه (لذة هي أعلى اللذات بالنسبة الى الحق) والعبارة عن هذه اللذة عسر (وبه العبارة عنها ان يقال) كما أخبر عنه الله تعالى (ولا تعلم نفس ما أخفي

لذة لنظر الى الوجه الجميل لتناسق جمال لذة النظر الى مادونه في الجمال واما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها من اللذات الخبر من النظر الى صورة جميلة والجمع بين مشاهدتها وبين استشاق رائحة طيبة اذا اختبر النظر الى الصورة الجميلة على تنها ألف عدد من رؤية الصورة الجميلة وكذلك اذا حضر الطعام ووقت الاكل واشتهى الانسان الشعير على اللحم وترك الاكل فيعلم به ان لذة العلم على الشعير أقوى عنده من لذة الاكل وهذا معيار صادق في الكشف عن ترجح اللذات وتفاوت اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والعلم وتكرامهم وغيرها فنسبة هذه

اللذة للعين ولا للاذن ولا للانف ولا للفم ولا للدون والمعدن الباطنة) أقوى (وأعلى على كمال من اللذات الظاهرة والخبير الرحيل بين لذة الاستماع واللوز ح) وهو الحلوى المعقودة من السكر واللوز (وبين لذة الرياسة وظهور الاعداء ويل درجة الاستيلاء كان المخبر حسيس البهيمة) ذليلة (مبتلى شديد البهيمية باختيار اللحم والحلاوة وان كان على البهيمة) وبهيميتها اغلب (كامل العقل) موثر الصبر (على اختيار الرياسة) والعلم والاستيلاء (وهان عليه الجوع والصبر عن ضروره الشهوات أيما كثيرة فاختباره للرياسة يدل على تنها ألف عدد من المطعومات الطيبة تم له النقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي وكالذي ماتت قوته الباطنة كالمعتوه لا يعد ما يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة) بمقتضى طبعهما (وكان لذة الرياسة واكرام العلماء أعلى اللذات عي من حاور نقصان الصبا والعته عند من عرفه الله ومن لم يحسن حصره لربوبيته واحاطته بأسرار الامور الالهية) نعم الصبيه (لذة هي أعلى اللذات بالنسبة الى الحق) والعبارة عن هذه اللذة عسر (وبه العبارة عنها ان يقال) كما أخبر عنه الله تعالى (ولا تعلم نفس ما أخفي

لهم من قرة أعين وإنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا لا يعرفه الا من له أذن واعية للوحي جيدة وهذا لا يحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر ويعلم من تجارب الأمم في تجارة المعرفة وربحها وخسرانها أن الله سبحانه خلق الدين رأسها وهو أعظم رأس مال يستفاد وكونه متضمنا لما ذكر من الأمور التي لا يتصور الخسران مع تحققها وكونه مقطوعا به لا يتسرب إليه ما يوجب الشك فيه وكونه مأمونا من آفات الدنيا والآخرة وكونه مشتملا على أعلى علوم الخلق وأشرفها وهم يقدرون على تحصيله بأيسر الأشياء وهو الاستعلام من الله تعالى بالطرق التي نصبها لعباده موصلة إلى معرفته وهي آياته المشهودة والمسموعة وهذا أيسر شيء على من يسره الله عليه وهو متمكن منه في كل وقت وفي كل مكان وفي كل حال وكونه مقرونا بالعمل الذي هو أشرف الأعمال وأجلها وأنفعها وأدومها وأبقاها وأحمدها عاقبة وأطيبها ثمرة وأزكاها نماء وأعلاها درجة عند الله وعند الناس وهو العمل بمقتضى العلم وكونه مقرونا بالصبر الذي به تنال الإمامة في الدين وكونه مقرونا بالزهد في الدنيا الذي هو رأس كل خير وكونه مقرونا بالخوف الذي هو لجام كل عاصم وكونه مقرونا بالرجاء الذي هو حادي كل سائر وكونه مقرونا بالمحبة التي هي روح كل عمل وقائده وإمامه وكونه مقرونا بالشكر الذي هو غاية كل مخلوق وكونه مقرونا بالتوكل الذي هو أعلى مقامات العبودية وكونه مقرونا بالإنابة التي هي من أجل منازل السائرين وكونه مقرونا بالإخلاص الذي هو روح الأعمال وكونه مقرونا بالتوبة التي هي أشرف مقامات العبودية وكونه مقرونا بالاستغفار الذي هو من أعظم أسباب المغفرة وكونه مقرونا بالتواضع الذي هو أحد أركان الدين وكونه مقرونا بالحياء الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالصدق الذي هو أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالإحسان الذي هو أحد أركان الدين وكونه مقرونا بالعدل الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالصلاة التي هي أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالزكاة التي هي أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالصيام الذي هو أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالحج الذي هو أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالجهاد الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالأمر بالمعروف الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالنهي عن المنكر الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالهجرة التي هي أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالوفاء بالعهد الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالصبر الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالرضا الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالتسليم الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالإيمان الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالإسلام الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالإحسان الذي هو أحد أركان الدين وكونه مقرونا بالعدل الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالصلاة التي هي أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالزكاة التي هي أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالصيام الذي هو أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالحج الذي هو أحد أركان الإسلام وكونه مقرونا بالجهاد الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالأمر بالمعروف الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالنهي عن المنكر الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالهجرة التي هي أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالوفاء بالعهد الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالصبر الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالرضا الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالتسليم الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالإيمان الذي هو أحد أركان الإيمان وكونه مقرونا بالإسلام الذي هو أحد أركان الإيمان

النقدير السموات والأرض وإذا خرج النقد عن المقدر لم يلزم من تعريفه تعريف المقدر ولا يزال العارف يعرف الله تعالى في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإنما الموت يهدم ما يحولها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جسمها فما أسعد هذا العارف بعلمه ولا يحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية ولا تحسبن أن هذا المخصوص بالقتل في المعركة فإن للعارف كل نفس درجة شهيد) في المعركة (وفي الخبر من شهد يتمني في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يعلم ما له من ثواب الشهادة) رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم (و) في الخبر (إن الشهداء يقعدون على كراسي على باب الجنة فأول من يدخل عليه فاتحة سورة البقرة وخاتمتها) رواه الحاكم من حديث أبي هريرة (وهذا لا يعرفه إلا من له أذن واعية للوحي جيدة وهذا لا يحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر) على الخلق (والتفكر والتذكر) ويرتاض عليه على الدوام (ويتعجل في تجارة المعرفة ويتزايد الرياسة) والاستعلاء (ويحتقر الخلق الذين هم رؤوسهم) ويعلو عليهم (فإنه فاز برياسته وتعالى من عليه برياسته وكونه مشورا بالكنوز وما لا تصور الخلق عنها) ولا من مقدورة (وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أحدث الأرض (أي نرس الوجود) (زرعها) أي غرسها (وأزيرت) أي تهيأت لأن تكمل ثمارها (وهم أهلها وهم قادرون عليها) وتعلم لأنه أشد تعريفا وأوكد إيجابا لأمر هو الموت (فاستعلام ما لا بد منه للعبد معرفة الله تعالى ومطالعة عظمته) الغاية (وذلك) ومعلوم أن ملكه مع عبيده (وعظم ملكه من أين عرف إلى أسهل السبل وأخصرها) وأدانها (و) إذا قدرت منفعة المتواردين عليه لا تضيق عنهم لكثرتهم وإذا تزاحموا عليه من حيث تقدير السموات والأرض وإخراج المقادير لا تقدر ولا تزاحم له لعرضه ولا يزال العارف يعرف الله تعالى في جنة عرضها السموات والأرض) وإنما خص العرض دون الطول لأن الطول تابع للعرض أولا من أول عرض أو أول من الطول فكذلك يقال في طوله (يرتع في رياضها ويقطف من ثمرها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة) فإن ثمرة يقطفها الأولياء في مكان لا يراه ولا يحس به ولا يخرج على قدرها (ثم هذه أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإنما الموت يهدم ما يحولها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جسمها فما أسعد هذا العارف بعلمه) قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الآية) وقد أخبر عن أنهم فرحون بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم (ولا تحسبن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف كل نفس درجة شهيد) في المعركة (وفي الخبر من شهد يتمنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يعلم ما له من ثواب الشهادة) رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم (و) في الخبر (إن الشهداء يقعدون على كراسي على باب الجنة فأول من يدخل عليه فاتحة سورة البقرة وخاتمتها) رواه الحاكم من حديث أبي هريرة (وهذا لا يعرفه إلا من له أذن واعية للوحي جيدة وهذا لا يحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر) على الخلق (والتفكر والتذكر) ويرتاض عليه على الدوام (ويتعجل في تجارة المعرفة ويتزايد الرياسة) والاستعلاء (ويحتقر الخلق الذين هم رؤوسهم) ويعلو عليهم (فإنه فاز برياسته وتعالى من عليه برياسته وكونه مشورا بالكنوز وما لا تصور الخلق عنها) ولا من مقدورة (وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أحدث الأرض (أي نرس الوجود) (زرعها) أي غرسها (وأزيرت) أي تهيأت لأن تكمل ثمارها (وهم أهلها وهم قادرون عليها) وتعلم لأنه أشد تعريفا وأوكد إيجابا لأمر هو الموت (فاستعلام ما لا بد منه للعبد معرفة الله تعالى ومطالعة عظمته) الغاية (وذلك) ومعلوم أن ملكه مع عبيده (وعظم ملكه من أين عرف إلى أسهل السبل وأخصرها) وأدانها (و) إذا قدرت منفعة المتواردين عليه لا تضيق عنهم لكثرتهم وإذا تزاحموا عليه من حيث تقدير السموات والأرض وإخراج المقادير لا تقدر ولا تزاحم له لعرضه ولا يزال العارف يعرف الله تعالى في جنة عرضها السموات والأرض) وإنما خص العرض دون الطول لأن الطول تابع للعرض أولا من أول عرض أو أول من الطول فكذلك يقال في طوله (يرتع في رياضها ويقطف من ثمرها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة) فإن ثمرة يقطفها الأولياء في مكان لا يراه ولا يحس به ولا يخرج على قدرها (ثم هذه أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإنما الموت يهدم ما يحولها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جسمها فما أسعد هذا العارف بعلمه ولا يحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين

لدوى امكان مع لدة الرياضة لكن يؤخرون الرياضة على عشرة من السنين (فما كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسراره ملكه أعظم لذة من الرياضة فهذا لا يخص تعرفة من لذة المعرفة ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان ذلك معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات حد لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا يحد به على ثم لسمع عند الصبي لانه وقد نصف ثم يهتدي هذه المدة ويمكن من سلم من آفات العقوبة حاسة ثم أدرك ستة وثلاثين سنة وعند هذا لا يبقى الا (٥٧٥) نقص من ذاق عرف ولعمري طلاب

العلوم ولم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد شقوا رائحة هذه المدة عند

انكشاف المشكلات وحلال الشبهات التي قوى حرصهم على علمها فهما أيضا معرف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فما من طالب ذكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في نفسه عند حصول انكشاف من الفرح (ما لا كفاية به ويتعجب من نفسه في نهاية واحتمله قوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق) العرفي الذي هو أعلى مراتب الوجد (والحكاية فيه طويلة الحدوي) أي السائلة (فهذا القدر يدل على أن معرفة الله سبحانه لذة الاشياء وأتمها ولذتها) وقد دل على ذلك كلام المشايخ (قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ما فتح عباد بين شعلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله) عز وجل (وكذلك قال بعض الحواريين معروف) الكرخي قدس سره (له خبرني) عبد (بأي شيء وصلت) وفي نسخة معروف (أي شيء حملك على العبودية والانقطاع عن الخلق فسكت فقال) أي داود (ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبور فقال وأي شيء القبور فقال حوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا كله فقال أجمعت) أي السائل جميع ذلك (وان كانت بلى وأنت معرفة كفاك جميع هذا) فقد صح الحواريين وزاد قال وحدثت عن عبد الوهاب الخفي قال رأيت أحمد بن نصر الخزاعي في نوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني على باب داره سبعا وعشرين حجابا من نور وقعد عن يمينه وقال يا أحمد قلبك في وسترني في دقات عروقه لذكري ما زال ليلك حتى تنظر الى وجهي جل جلالي وجهي (وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيتني أعني مشغولا) وليط القوت مسعره (بطلب الرب تعالى فقد أشهدك ذلك عما سواه) وفي القوت والمحب لله يحب النصب لله تعالى (ورأى بعض الشيوخ) أي نصر (بشر بن الحرث) الحافي قدس سره (في النوم) وهذا القوت وحدثني بعض الاشياخ عن منصور الخزاعي وعنه رأى بشر بن الحارث في النوم (فقال) فقلت له (ما فعل أبو نصر التمار) هو عمد بن عبد بن عبد العزيز البغدادي التمار سمع غندر وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وتسعين ستروى له مسلم والنسائي (وعبد الوهاب) بن عبد الحكم بن ماجع أبو الحسن (الوراق) البغدادي تقتل سنة حمس وماتين روى له أبو داود والترمذي والنسائي (قال تركهما ساعة

بعض الحواريين معروف (سكر حوله أخبرني بأي شيء وجدت لي بعد تقوى الانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبور فقال وأي شيء القبور فقال حوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا كله فقال أجمعت السائل جميع ذلك وان كانت بلى وأنت معرفة كفاك جميع هذا وفي أخبار عيسى عليه السلام ويا رب اني أعني مشغولا بطلب الرب تعالى فقد أشهدك ذلك عما سواه ورأى بعض شيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركهما ساعة

من يدي الله تعالى كالك و بشر بن منصور قال رحمه الله ورضي عنه في الاكل والشرب قاعطاني المطرابيه) كذا في القوت (وعن) ابي الحسن (علي بن الموفق) تقدم ذكره في كتاب الحج (قال رأيت في سوم كاني دخلت الجنة فرأيت رحلا قاعدا على مائدة وهو كان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رحلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم مر ثم الى حظيرة القدس وهو موضع في اعلى الجنة عن يمين العرش (فرأيت في سرادق العرش) اي في الحجبة المحيطة به (رجلا قد اختص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فعلمت ان ذلك من خصوص من هذا فقال) هذا (معروف الكرخي عبد الله لا يخوفه من نار ولا يشوقه الى جنته بل حبه اياه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال ابو سليمان الدارابي رحمه الله تعالى (من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه) كذا في القوت (وقال) سعيد (الثوري) رحمه الله تعالى (الراحة) عندنا جميعا (عند رؤية البصر به) تعالى وتقدس (رحمه الله تعالى وكان احد ثبت سنة ١٣٥ وكان الثوري يقعد بين يديه ويقول يا معلم أدلك الله من طرائف الحكمة وكان تقول له نعم ترحل أنت ولا تدعنا نحب الدنيا وقد كان الثوري رحمه الله تعالى كما لا يخفى على الناس من أبواب الدنيا وقف عليها الثوري يوما كل عقد شريفة والكل منه حقيرة (ما حقيقة ما قال فان كانت ما عبده سوى الله من داره ولا من جنته فكون كالاجير السوء ان ساء عمل) أو اذا أعطى عمل (لم يعبده حبا له وشوقا اليه) وروى عن حماد بن زيد انها قالت لي لا تحبني أن أسأل الله ان يملكك فكيف أسأله ان لا يملكك فكان عند حماد بن زيد انها قال لي حاجتي ان

فلا الجدى دا ولا الدلى * ولكن لك الجدى وذا وذا كا)

وقد تكلم صاحب القوت على هذه الابيات بكلام ساطع الانوار يعرفه من رزقه ويسكره من حرمه وانصفه رحمه الله تعالى أشار الى ورود كلامه ولا تم كلام صاحب القوت قال اعلم (وفقك الله) ان المحب هو ذى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لحاله وجلاله الذى انكشف لها وهو اعلى الحبين وأقواهما ولادة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وعلى هذا المعنى قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين أى ما أعظم شأنهم وما أكثر خيرهم وما أجزل قسمهم وما أعلى درجاتهم وما أرفع منازلهم وما أقرب مكانهم من الله تعالى وما أعظم كرامته لهم وما أسنى عطاياه لهم من تفضلات قاربنى وجهل عبدا آخر كما قربته يوم عبدى أو رفيت عنى ما تفضلت به فى ذلك عبدى فى الآخرة ولا عدلى فى داهية ولا جار لى فى ذلك هذا ان كنت قد أحببت فهذا هو المحمود فيهما لا انك وصلتنى بما هذا سبيل مصيره هو وحده بل لحقيق وقد كنت تذكر لاس فى وحدها وترفع لى وصفه فى من الحب فى قولها سائر

بى جاذلك فى فؤاد محدثى * وأحب جسمى من أراد حلولى

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ومن قولها الدائر فى مقام حاله وتخلت مسلك الروح منى * وبه سمى الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثى * واذا ما سكت كنت العليلا

وقد أهل ذلك بها كل من نقله عنها من تعبيره وصفوه به فوصفا من نعت المحبين بعض ما يقضى من معنى كلامها لا ما صدقوا لها ذلك ان كان بها فى المحبة قدم ولا يسعنا ان نشرح فى كل حقيقة كشف ما أجمله ونفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدل محبته ولا يقتضى الحق عليها من محبوبه ولا يوجب على حبه شيئا لاجل محبته فهو محدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام نور عالى الذى صدر الخوف ليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة لاحد الا بعد الخوف وقال بعض العارفين ما عرفه من طن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه هذا كله كلام صاحب القوت (وقد مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين) أى حضرتى من خزائن (مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث

وقد تجعل بعض هذه الدار في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه في العبادة ولذلك قال بعضهم اني أقول يارب بأنك وجدتك على قلبي أثقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت حبيبا ينادي حبيبه وقال ذو النون لو علم الراحلون في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم ويرون (٥٧٨) ما يقوله حمقا وكفرا مقصد العارفين كلهم وصله وثقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها واذا حصلت انحسمت الهموم والشهوات كلها وصار ثقيلا مستغرقا بمعبوده ولو ألقي في النار لم يحس بالاحتراق ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال تعلقه بالله وبلوغه النهاية التي ليس فوقها غاية وبيت شعري من لا يهمه الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان الملذات المفرقة بالشهوات لمخالفته كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده * ومن يسرك مولى الورى مذ صرت مولاني

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا دينى ودنياني

وذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنة

وما أراد بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس وما طابت لذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما ذكره وهو ان صبيا في أول حركته وتمييزه تظهر فيه عبرة تم يستد الصبا واللهو حتى يكون ذلك عنده أكبر من سائر الاشياء

في هريرة رواه ابن حبان من حديث أبي سعيد وعن قتادة مرسلا ورواه ابن جرير عن الحسن بلاغا لم يذكر فيه أحد لعبدي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقد تحير بعض هذه الطوائف في الجنة حتى ذهبت طائفة الى العبادة وذلك قال بعضهم) لا لحظ الحور (فقولي يارب أو به الله فاحد ذلك أثقل علي من الجبال) قيل له ولم قال (لان النداء يكون من وراء الحجاب وهل رأيت حبيبا ينادي حبيبه) وهي أشارت وملاحظات ومعاني وملاطفات فصاحب هذا المقام ممن عجزت له هذه المدة وقد صدق فيما قال فان النداء لا يكون الا للغائب ومن كان الذي يناديه جليسه وأنيسه فمستغني عن نداء كيف وهو مستغرق لهيبته وليس له ما يعبر به الخبر قال الله تعالى يا موسى أما تحبس من ذكري بشيء يكون هذا مقام رابعة قدس الله سرها اذ قالت وحبيب قلبي في الفؤاد فمن أين يخرج فقيب بكلام الصديق لانه مستعد ان يقول وما أحوجه عليه ان يكون فقيها بما يقول ولا يخرج من موضع القرب بل وقع عليه الحكم بالقول والاسم وكل مقام مع الله تعالى بعد خفي وكل عالم بالله اللطيف علم لطائف غريب (وقال بعضهم لو علم رجل في هذا العلم انه يرمى رماه الخلق بالحجارة) كما في القوت وبعضه وقد قال رجل من أهل معرفة لو بلغ أحدهم من هذا العلم بعد ما يرمى رماه الخلق بالحجارة (أي تخرج كلامه عن حد عقولهم فيردون ما يقوله حمقا وكفرا) وأصل الرجم الطرد قال تعالى حكاية عن أصحاب الكهف لئن ظهروا عليكم يرجموكم أي يطردوكم وقال آخر وانتهت به رجوم الى حيرة وهشة تهمي ومن ذلك قول ابن عباس لو عمر كما كذبوا عمر ما اعتمروا بيتموني بالحجارة أي بقلتم كفر ما به لا يرجم بالحجارة لامن أوتد عن دينه (بعضهم لو علم رجل في هذا العلم أنه يرمى رماه الخلق بالحجارة) من أنواع الاذى (لانصرف) (واذا حصلت انحسمت الهموم والشهوات كلها وصار ثقيلا مستغرقا بمعبوده ولو ألقي في النار لم يحس بالاحتراق (لاستغراقه) بمكابدته (ولو عرض عليه نعيم الدنيا لم يلتفت اليه) لصغره (لكمال تعلقه بمعبوده بلوغه نهايته التي ليس فوقها غاية) ولذلك قال بعضهم (وبيت شعري من لا يهمه الا حب المحسوسات كيف يؤمن لذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل) تعالى الله عن ذلك (وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان الملذات المفرقة لمخالفته كلها تنطوي تحت هذه اللذة) وهذا هو معنى قلب الاول الذي أشرب اليه رابعة قدس الله سرها (كما قال بعضهم) أي من المحبين مشيرا الى هذا المقام

(كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي)

أي كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلي بالقصد وحده المحمد وأنشدني ماسوالك والي يشير قول القائل

وأنت حسنت من قلبي * هوى قد كان مشتركا

(فصار يحسدني من كنت أحسده * ومن يسرك مولى الورى مذ صرت مولاني

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنياني)

(ولذلك قال بعضهم) أي من المحبين مشيرا الى هذا المقام

(وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته)

وما أراد بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس وما طابت لذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما ذكره وهو ان صبيا في أول حركته وتمييزه تظهر فيه عبرة ثم يستد الصبا واللهو حتى يكون ذلك عنده أكبر من سائر

الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب ويستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء ويترتب عليها جميع ما ذكرناه في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة وحب العلو والتكاثر الآية ثم بعد هذا تظهر عن بعد أخرى يدركها بمعرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ويستحقر معها جميع ما ذكرناه فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير الذي يحرك حب اللعب في سن التمييز وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم قرب الاربعين وهي غاية لعلياء وكمال الصبي يصير محصل على سن بترك اللعب ويشتغل (٥٧٩) بملاعبة النساء وطلب الرياسة وكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى ويقولون تسحروا فانما تسحرون كما تسحرون فسوف تعلمون

(بيان السبب في زيادة بعض القوى على بعض في الآخرة على المعرفة في الدنيا)

علم أن المدرك تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المحسوسة والاجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته مصورة في خياله كأنه ينظر اليها ولكن ارتفع بعض البصر ادراك تفرقته بينهما ولا ترجح تفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمحسوسة وانما الافتراق في مزيد الوضوح والكشف

الاشياء) فاذا ذهبت وضعفت مال الى ما يحصل عنده (ثم تظهر) فيه (لذة) عن بعد أخرى ثم يدركها (لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب) فيشتغل بها ويستحقر معها لذة اللعب الذي كان يميل اليه ويحبه ثم تظهر فيه (لذة) أخرى يدركها (لذة الوقاع وشهوة النساء فيترتب عليها جميع ما ذكرناه) من اللعب والزينة (في الوصول اليها ثم تظهر) فيه بعد عن بعد (لذة أخرى يدركها (لذة الرياسة والعلو والتكاثر) بالاموال والاولاد (وهي آخر لذة الدنيا وأعلاها وأنورها) ولذا كانت آخر ما يخرج من دماغ الانسان من لذات الدنيا هي كما قال بعضهم آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة ولهذا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وقال تعالى (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) الآية ثم بعد هذا تظهر عن بعد أخرى يدركها بمعرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله) ومعاملاته (فتستحقر معها جميع ما مر ذكرها) من اللذات (فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير الذي يحرك حب اللعب في سن التمييز وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم قرب الاربعين وهي غاية العلياء وكمال الصبي يصير محصل على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك رؤساء العلماء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون تسحروا فانما تسحرون كما تسحرون فسوف تعلمون) *(بيان السبب في زيادة بعض القوى على بعض في الآخرة على المعرفة في الدنيا)* (علم) هداك الله تعالى (ان المدرك تنقسم الى ما يدخل في الخيال) وهي قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك (كالصور المحسوسة والاجسام المتلونة المتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها) من صفات المعاني (ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته مصورة في خياله) بعد تغيبوبة مادته بغض البصر (كأنه ينظر اليها) قوة الحس المشترك (ولكن ارتفع بعض البصر ادراك تفرقته بينهما ولا ترجح تفرقته الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمحسوسة وانما الافتراق في مزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا وضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى) وقت الصبوة (عند تمام الضوء فانه لا تفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف) وتمام الوضوح (فالخيال أول الادراك) وهو حرفة الحس المشترك (والرؤية هو استكمال لادراك الخيال) أي ما تحيل في تلك القوة (وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف في الحس الذي هو أحق بهذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلا استحق أن يسمى رؤية واذا فهمت هذه المقدمات علمت ان المعلومات التي لا تتشكل أي في الخيال لمعرفتها ادراكها دون احدى الحالتين الاخريين الاولى والثانية فيتفاوتون في مزيد الكشف والايضاح مثل (ما بين المتخيل والمرئي

فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا وضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا تفارق احدى الحالتين الاخريين الا في مزيد الانكشاف والوضوح فالخيال أول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف في الحس الذي هو أحق بهذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلا استحق أن يسمى رؤية واذا فهمت هذه المقدمات علمت ان المعلومات التي لا تتشكل أي في الخيال لمعرفتها ادراكها دون احدى الحالتين الاخريين الاولى والثانية فيتفاوتون في مزيد الكشف والايضاح مثل المتخيل والمرئي

فسمي الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة وهذه رؤية وهذه تسمية مجاز لان الرؤية سميت رؤية لانها آية الكشف وكمال سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل وكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية تقوم لا تنتهي الى المشاهدة والقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول وقد سبق مثله اجمالا وبالله تعالى التوفيق (ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام) اي طلب الرؤية (لن تراني) اي ما دمت محجوبا بالحجاب الجبلي وقال سيدي عبد العزيز الدباغ قدس سره حين سئل عن هذه الآية ما حاصله ان سيدنا موسى عليه السلام من اكابر أهل المشاهدة ومشاهدة الذات المقدسة لا تخص لانها من مشاهدة أفعالها ولا تصور عنها الا لو كانت أفعال الذات عليه متقاطعة ولو تقطعت طرفة عين لانعدم الوجود واختل نظام العالم فما من وجود الا وفيه فعل لله وهو مادته واسمائي به وهو اعني به وليه ولولا انه تعالى يحب ذواتنا بما فعاله فيها لاحترقت الذات وذوات كل حدث في العالم فلما لم تكن المشاهدة هكذا وصرف الافعال الله تعالى قدس في البصر سأل موسى ربه سلاما ربه ان يقطع عنه المعين حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العلية على الصفاة فقال له ربه عز وجل ذلك فتجلى الجبل وتدكدك بسبب ذلك التجلي وهذا الجبل أقوى منك وأصلب منك جرما فاذا رأيت ما يستقر به عند وقوع تجلي عليه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل وقطع عنه الفعل الحاصل له من صفاوة الذات العلية تدكدك الجبل وتقرب لاجزاء حتى صعق موسى عليه السلام اه (وقال تعالى لا تدركه الابصار في الدنيا) لوجود الحجاب المانع من الرؤية (وا صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج) قال العارف هذا الذي نحققه ونصححه هو قول عائشة في الصحيحين اما قالت من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب وانا سألت أبي ذر عن ذلك فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال نورا اني أراه وروى ابن عباس وأكثر العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم تروا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت منكرا له حتى وقر ذلك في قلبي من صحة اسناده ثبتي وفي رواية لا حدث حديث أبي ذر رأيته نورا اني أراه وروى رجال اسناده رجال الصحيح اه قلت وروايته التي ذكرها في الاولى وروها كذلك الطبراني والترمذي وابن حبان وابن مردويه هل رأيت ربك قال قد ذكره وروى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي ذر قال قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال نوره انى أراه وروى عبد الرزاق عن أبي العالية قال قد رآه وروى النسائي مثله الا أنه قال ولم يره بصره وقد روى عن أبي العالية ما ينافي ذلك كما رواه ابن جرير وروى عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال قلت لابن عباس يعرفة الله عن شيء فكر حتى حدثه اجمالا فقال ابن عباس اتابني هاشم تزعم وتقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فكلم موسى مرتين وكلم محمد مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت قد تكلمت شيء فقلته شعري قلت وما هو قلت أن لقد رأى من آيات ربه الكبرى قالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه وكثر شيخنا أمر به أو لم تسمع الى قول الله تعالى ان الله سبحانه هذه الآية فقد أعظم الفرية على الله من زعم ان محمدا رأى جبريل لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة عند جياد له ستمائة جناح قد سد الافق وما قول ابن عباس فروى عنه من طرق بالفاظ مختلفة وعند الطبراني وابن مردويه عنه قال رأى محمد ربه مرتين بصره ومرة بفؤاده وعند ابن مردويه عنه قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه بعينه وروى الترمذي وحسنه والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الاسماء والصفات عنه قال قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وروى النسائي والحاكم وصححه

وابن مردويه عنه قال المحبوبون تكون الجلة لا وهيب والكلام لموسى والرؤية محمد عليهم السلام والكلام في المسألة طويل الذيل أورده شراح الجامع (فإذا ارتفع الحجاب بالنور بقيت نفوس مؤمنة تكدورت الدنيا وغيرت مكانة فيها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي قد تطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم عز وجل لا آيسين معذبين بالنار كما دل عليه ما مر من ذلك) وإنما هم بشير قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (ومنها ما لم ينته إلى حد الزين والطمرح عن قبول التركية والتصقيل فيعرض على النار عرضا (٥٨١) يقلع منه الخبث الذي هو مندس

به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى تزكية وتنقيها الخطة حقيقة وتقضيها في حق المؤمنين كما ورد به الاخبار سبعة آلاف سنة وزين تركن نفس عن هذا العالم لا وتخلصها عبرة وكدورة فإذا قلت ورد به الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي حاثين على ركبهم (وكل نفس مستبشرة للورود على النار وغبرة مستبشرة للصدور عنها فإذا أكمل الله تعالى تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ من جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيرهما وفي استحقاق الجنة وذلك وقت تبسمهم) عبر معلوم (لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه) بل استأثر بعلمه (فإنه يوم لا يعلمه ملك ولا نبي ولا بشر وقت المقدار معلوم) الساعة معلوم له المقدار واضربها (فعند ذلك يشتغل أصحاب الجنة وأهل النار عما هم فيه من النعيم والعذاب وتضحك الأرض سرورا بما حملت من أجساد المؤمنين وأرواحهم وتستبشر بما أكرمهم الله به من فضله وإحسانه وتتزين السماء بما تحمله من الملائكة المقربين وتتباشر الجنان بما أعد الله فيها لأهلها من الكرامة والرضوان وتتزين الحور العين لأزواجهن وتتباشر الغرف بما أعد الله فيها لأهلها من النعيم المقيم وتتباشر الأشجار بما أعد الله فيها لأهلها من الثمار وتتباشر الأنهار بما أعد الله فيها لأهلها من الخيرات الحسان وتتباشر الأرض بما أعد الله فيها لأهلها من الكرامة والرضوان وتتباشر الجنة بما أعد الله فيها لأهلها من الخلود والأمان وتتباشر النار بما أعد الله فيها لأهلها من الخزي والهوان وتتباشر الدنيا بما أعد الله فيها لأهلها من الخير والإحسان وتتباشر الآخرة بما أعد الله فيها لأهلها من الفضل والامتنان وتتباشر الجنة بما أعد الله فيها لأهلها من الخلود والأمان وتتباشر النار بما أعد الله فيها لأهلها من الخزي والهوان وتتباشر الدنيا بما أعد الله فيها لأهلها من الخير والإحسان وتتباشر الآخرة بما أعد الله فيها لأهلها من الفضل والامتنان

تحلية يكون الانكشاف تحلية وصفة لما مكث في مرآة الملك فيما يتحلى به وهذا ما هو معنى التي تسمى رؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية ما يستكمل الخيال في متصور مخصوص تحيزه ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة تنزه من غير تخيل وتصور وتقدير بشكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول لمعرفة حاصلة في الدنيا بها هي التي تستكمل فتباع كمال الكشف والوضوح وتتقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث

زيادة الكشف والوضوح كما مر بيانه في استكمال الدليل بالرؤية فلو لم يكن في معرفة الله تعالى بالعقل صورة وجهة ولا يكون في استكمال تلك المعرفة بالرؤية صورة وجهة ولا يكون في زيادة الكشف كمال الصورة مرتبة هي المتحيلة بعينها في زيادة الكشف وليست هذه الزيادة الا كزيادة نور الشمس على نور الكواكب وليست هذه الزيادة الا في الكشف ولهذا لا يجوز بدرجة النظر والرؤية أن يعارض في الدنيا الا المعرفة هي الدرك الذي يبقى في الآخرة مشاهدة كما تبقى صورة الشجرة والحب والزرع في أرضه فكيف يتحيل له محل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يحصل له المعرفة في الدنيا فلا يحصل له النظر

زيادة الكشف والوضوح كما مر بيانه في الاستدلال (في استكمال الدليل بالرؤية فلو لم يكن في معرفة الله تعالى بالعقل صورة وجهة) وتقدير الاستكمال (ولا يكون في استكمال تلك المعرفة بالرؤية صورة وجهة) وتقدير الاستكمال (فلا يكون في زيادة الكشف كمال الصورة مرتبة هي المتحيلة بعينها في زيادة الكشف) فصورة وجهة هي بعينها (وليست هذه الزيادة الا في زيادة الكشف) كما ترشد إليه الاستثناء المنقطع الذي هو نفي بتوجيه (ولهذا لا يجوز بدرجة النظر والرؤية أن يعارض في الدنيا الا المعرفة هي الدرك الذي يبقى في الآخرة مشاهدة كما تبقى صورة الشجرة والحب والزرع في أرضه فكيف يتحيل له محل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يحصل له المعرفة في الدنيا فلا يحصل له النظر

يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يحصل له المعرفة في الدنيا فلا يحصل له النظر

وإذا كان المعرفة على درجات متفاوتة كان تجلي أنوار الله على درجات متفاوتة وتجلي أنوار الله على درجات متفاوتة هو المراد بالاضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة إلى اختلاف الدرجات تختلف باختلاف أنواعها وأصنافها وطعومها وروائحها وكثرتها وقلتها وذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام ان الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة فلا معنى لقول من يقول ان أبا بكر هو الذي يتجلى له دون سائر الخلق بل الصحيح ان أبا بكر هو الذي يتجلى له دون سائر الخلق من الصديقين وان تجلي الله تعالى لأبي بكر هو من جملة تجلي الله تعالى لسائر الصديقين وانما خص أبو بكر من بين الصديقين بالذكر لان معرفته في الدنيا كانت أقوى من معرفة سائر الصديقين وكانت معرفته في الدنيا أقرب إلى المشاهدة في الآخرة من معرفة سائر الصديقين وكانت معرفته في الدنيا أقرب إلى المشاهدة في الآخرة من معرفة سائر الصديقين لان الشيء ما لم يتصور في صدره فصل لا يحصل له العلم به وكما لا يتصور في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح ويرى من يؤثر لذة العلم والانكشاف على الرياسة والمطعوم والمنكوح

كما لا يتصور في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح ويرى من يؤثر لذة العلم والانكشاف على الرياسة والمطعوم والمنكوح جميعا وكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة وجميع نعيمها (وهؤلاء نعيمهم هم الذين حالهم في الدنيا وصفتهم أن لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به وذلك دليل رابعة العدوية في الجنة فقالت الجار ثم الدار يعني لا لبس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يحصل له المعرفة في الدنيا فلا يحصل له النظر

فى الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد فى الآخرة علم لم يحصله أحد الا مازرع ولا يحصد أحد الا مازرع ولا يحشر أحد الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما يحصله من المعرفة هو الذى يتمتع به نعيمه فقط لأنه يقلب مشاهدة كشف الغطاء تضاعف لذة كما تتضاعف لذة العاشق اذا استدل بخيال صورة المعشوق على رؤية يقصوره فان ذلك متهى لذته وانما طيبة حسنات بكل أحد فيها ما يشتهى فى لا يشتهى فى الا نعمة الله تعالى فلا لذة له فى غيره بل رعايا أذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فمن لم تسبق له معرفة فى الدنيا كيف يدرك المعرفة عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فقد ترى بعض الناس كان يعرف الله تعالى ويحبه ويواظب على الطاعات ويجتنب المعاصى ثم تضاعفت معرفته فى حد صريح لا يتهى فى القوة الى أن يستغرق جميع أوقات الجنة فيها فما الذى يحصل لهذا من المعرفة زائدا على ما حصل لذلك الذى لم يحصل له الا أصل المعرفة فاعلم أن الناس فى المعرفة متفاوتون تفاوتا عظيما لا يعلمه الا الله تعالى وانما نطلع نحن من أحوالنا على معرفة يسيرة ونعلم أن ما وراءها أكثر منها بكثير ولكن لا نعرف كنهه ولا حقيقته فكيف يدرك الشهوات من هو مستغرق الهم بها وكيف يدرك اللذات من هو مستغرق الوقت بها وكيف يدرك الجاه والمال من هو مستغرق القلب بهما وكيف يدرك العلم من هو مستغرق الفكر به وكيف يدرك الصحة من هو مريض وكيف يدرك الشباب من هو هرم وكيف يدرك الحياة من هو ميت فكذلك من لم يذق حلاوة المعرفة لم يدر ما هى ولم يعلم أن وراءها لذة أعظم منها وأجل وأشرف وأبقى وأدوم وأصفى وأكمل وأتم وأعلى وأجل وأعظم وأكثر وأوفر وأزيد وأفضل وأحسن وأجمل وأطيب وأحلى وأهنأ وأمرأ وأسر وأسنى وأبهى وأبهج وأنور وأضوأ وأشرف وأعز وأقوى وأقدر وأعلى وأرفع وأعظم وأكبر وأجل

من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على هذه الحالة لهتك منها الستر وأشرق بها النور ودفع عنه المؤذيات وبقي سليما قارعا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى يقع أقصى العباد فاعتبر كيف تتضاعف المدة حتى لا يبقى للأولى إليه نسبة بعد مضيها فكذلك فافهم نسبة هذه المدة المعرفة فاستغرق في مثال الشهوات والعقارب والأفاعي مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والحر والبرد وضعف الشهوة الحب (٥٨٤) مثال قصور نفس في بدايات قطعها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور

من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على هذه الحالة لهتك منها الستر وأشرق بها النور ودفع عنه المؤذيات وبقي سليما قارعا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى يقع أقصى العباد فاعتبر كيف تتضاعف المدة حتى لا يبقى للأولى إليه نسبة بعد مضيها فكذلك فافهم نسبة هذه المدة المعرفة فاستغرق في مثال الشهوات والعقارب والأفاعي مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والحر والبرد وضعف الشهوة الحب) أعني المشوشة من داخل (المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والحر والبرد) وأشباه ذلك (فلو تخيل قصور نفس في الدنيا بمعرفته فلا يحبو عن هذه المشوشات ولا تتصور أن تحبو عنها فإنها تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا حرم يلوح من جمال معرفتها ما يهب العقل ويعلم أن له بحيث يكاد القلب يطير بعشقه ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم فيعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه ويعكره) ويكدره عليه (وهذه صورة القلب) لا تنفك (في هذه الحياة الطيبة ولا تزال هذه المدة منغصة إلى الموت وإنما الحياة الطيبة بعد الموت) فعند ذلك تحصل الحرية والراحة (وإنما العيش عيش الآخرة) كما ورد به الخبر (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) كما في الكتاب العزيز (وكل من التفت إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه) وفي الخبر الراحة للمؤمن في الدنيا دون لقاء الله عز وجل وفي قولهم الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب (لأن حيث يتصور زيادة استكمال في المعرفة فإن معرفة كالبحر لا ساحل له ولا يحصره إلا جلال الله تعالى) لما كان من طريق الاستكمال والاتصال (فكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسراره كملته وحويت كثرا نعيم في الآخرة وتنعم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا) إذ هي مزرعة للآخرة (ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله وقد روى العراقي رواه أبو إبراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن بهيعة عن ابن هبيرة عن الصنابحي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله وقد روى الطبراني عبد الله بن حنطب تكلم في بعضه ولا حد من حديث جابر أن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة وللترمذي من حديث أبي بكرة خير الناس من طال عمره وحسن عمله قال هذا حسن صحيح وذكره ابن حبان في الصحابة وقال ابن عبد البر في تمهيده حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا عبد العزيز بن المطلب بن حنطب عن أبيه عن جده في فضائل مريش هذا من سأل الله عمرا طويلا ومن حنطب هذا يروي ابن أبي صلى الله عليه وسلم فهذا اختلافهم فيه وحديثه المذكور رواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمرو أما حديث جابر فقد رواه أيضا الحاكم وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب بسنده إلى أما حديث أبي بكرة فرواه كذلك أحمد وابن حبان بتحويره والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله ورواه بهذه الأولى فقط أحمد وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي أيضا من حديث عبد الله بن بسر (لأن المعرفة إنما تكمل وتتسع في العمر الطويل بمداومة التفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى

لا ساحل له فإنه كلما كثرت معرفته بالله وصفاته وأفعاله وأسراره كملته وحويت كثرا نعيم في الآخرة وتنعم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله لأن المعرفة إنما تكمل وتتسع في العمر الطويل بمداومة التفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى

نفسه وتعالى معرفة به تعالى منتهى ما يسره ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورؤى نفسه مقصرا فيما تحتمله قوته لو تمم فهذا سبب كراهة الموت وحبه عدد أهل المعرفة وأما سائر الخلق فمعارفهم مقصورة على شهوات الدنيا (اذا تبين هذا فالموت صافى محبوب الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل ومحله الجهل والجهل مصدر كل شقاوة ونقيض العلم والمعرفة أساس كل سعادة وقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق وانه صحة المعرفة به وقوته ومعنى لذة المعرفة ومعنى رؤيته كوم الله من سائر المدركات عند ذوى العقول والكمال وانه لم تكن كذلك عند ذوى بصائر تكن (٥٨٥) ارواحهم للعلوم عند انصبان

قال فمن فهذه الرؤية محبوبة اطلب أو لعينى فى الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا فى ذلك وأرباب البصائر لا يشكون فى هذا خلاف ولا يتصورون فيه بل يعقل ذلك كل عاقل ولا يسأل عن السبب فى ذلك كما لا يسأل عن السبب فى أن العسل حلو وأن الثلج بارد وأن النار حارة وأن العافية محبوبة وأن الألم مكروه فان هذه أمور لا يعقل فيها سبب وراء نفس المحبوبية والمكروهية وكذلك لا يسأل عن السبب فى أن رؤية المعشوق محبوبة لعاشقه بل العاشق يعشق أن يتوجه الى المعشوق ليراه فيتلذذ برؤيته وتحقيق ذلك أن كل ما يدرك بالحواس فانما يدرك لأن المدرك يتوجه نحو المدرك ويقابله ويواجهه ثم يرتسم صورة المدرك فى الحاسة فيدركه فالعين لا تدرك الا ما يقابلها ويحاذيها ويتوجه نحوها ويرتسم فيها صورته ثم ينتقل ذلك الارتسام الى الدماغ فيدرك حينئذ وكذلك سائر الحواس فالمدرك بالحاسة هو الذى يتوجه نحو الحاسة ويقابل

وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا بأصل الحب لا يستفاد عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل معرفة وأما قوة الحب وشدته حتى يشتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فقد لا يحصل ذلك لكثيرين وقد يحصل ذلك لبعض الناس (وأحد هذين القطع علائق الدنيا وجراح حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للحق مثلان يخرج ما فيه وما حصل بتدلي رجل من قلبين في جوفه ويكفي لحسم أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام يلتفت (٥٨٦) الى غيره فهو اما لقلة معرفته بالله وبقدر ما يفوته من

وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل معرفته (وأما قوة الحب واشتداده) عليه بحيث (حتى يسمى عشقا) حد (الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون) وقد تقدم ان العشق هو شدة الحب (وانما يحصل ذلك لشيئين أحدهما قطع علائق الدنيا وجراح حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للحق مثلان يخرج ما فيه) أي وانما هو اناء واحد لا يتسع لشيئين (وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام يلتفت الى غيره فهو اما لقلة معرفته بالله تعالى فبقدر ما بقي من العشق لاجله ينقص من الحب المحبوب فيه والى هذا التقسيم والتحديد اشارة قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم) يلعبون (وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هو معنى قولنا لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه) وكل محبوب فانه معبود فان اتخذ الهه هواه فهو معبود هواه (وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد اله عبد في الارض أعظم عند الله من هوى متبع) أي حمل هواه وما تحبه ما وهنه ومعبود هو تقيده (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى) رواه الطبراني من حديث أبي امامة باسناد ضعيف (بعض الهة عبدت في الارض هواه) رواه ابو يعلى من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خلصت له الجنة) رواه ابن عدي في الكامل من حديث أبي سعيد دون قوله ولا اله الا الله خلصت له الجنة ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة فيه (فلا أشرار الناس من قال لا اله الا الله) (ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه من كل ما سوى الله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبه ومعبوده ومقصوده) وذلك الحب ومشاهدته هو غاية ما يطلب (فلا ينبغي أن يقولوا اعدد كرهم ثلاث مرات اني أنت مقدوري ورصيد معطلون ودعاء لا شيء له اذا ذكره ناصب فيه في معنى الاخلاص في الخبر الذي رويتموه أراكم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن يحجزه عن محارم الله) رواه الحكيم والطبراني وصححه (ومن هذا حاله فالدنيا سجنه) أي لكثرة الحجب عن الله (لانهم بعد عن مشاهدته ومونقه خلاص من السجن وقدوم على المحبوب) فهذا لا محالة تحب الموت (فما هل من ليس له الا محبوب واحد وقد حال بينه وبين شوقه وعاقه عن مشاهدته) أي حال عاقه (خلي من السجن وتكن من المحبوب وروح بلا من آفات أحدها ضعف حب الله في القلب فقوة حب الدنيا بتمكن حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والمساكن والمتجر هات حتى ان الفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى تعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه) فبقدر ما أنس بالدنيا ينقص أنسه بالله ولا يؤثر أحد من الدنيا شيئا الا وينقص قدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كما لا يغرب لا حد من الشرق الا وينقص قدره من الغرب بقدره) كما (لا يطيب قلب امرأة الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان) فأرضاء أحدهما أسخط الاخرى وروي ذلك من كلام عيسى عليه السلام مذكورا في سيرته (وهما كالمشرق والمغرب) وروي ذلك من كلام

حال من ليس له الا محبوب واحد وقد حال بينه وبين شوقه وعاقه عن مشاهدته فخلاص السجن ممكن من المحبوب وروح بلا من آفات الآخر أحدها ضعف حب الله في القلب وقوة حب الدنيا بتمكن حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والمساكن والمتجر هات حتى ان الفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى تعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا ينقص أنسه بالله ولا يؤثر أحد من الدنيا شيئا الا وينقص قدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يغرب لانسان من المشرق لا وهو يقرب من المغرب قدره ولا يطيب قلب امرأة الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب

وقد انكشف ذلك بدوي القلوب بكشفه وصح من الابصار ما عن وصول صح حب به من طريق زهد وملازمة ذكر
والاقبال عليها برسم الخوف والرجاء فقد ذكرنا من مقامات كتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات يكتسب بها أحمد كي
المحمدة وهو تجلية القلب عن غير الله وقوله الا بذكر الله وبيوم الآخرة واحدة واحدة ثم يتشعب منه الخوف والرجاء
ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم يجر ذلك الى الزهد في المال والجاه وكل حضوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع
بعده لقبول معرفة الله وحده فهذه كل ذلك مقدمات تمهيد القلب وهو أحمد كي المحمدة الثانية (٥٨٧) الاشارة بقوله عليه السلام الطهور

كعب الاحبار كما في الحلية وقد سبق كل ذلك في كلام الدنيا (وقد انكشف ذلك بدوي القلوب) وصح من الابصار (ما عن وصول صح حب به من طريق زهد) الخ (وملازمة الذكر) أي المذكور في محله (والاقبال عليها) أي على طريق الزهد والخوف (برسم الخوف والرجاء) فقد ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات لاكتساب أحمد كي المحمدة وهو تجلية القلب عن غير الله وقوله الا بذكر الله وبيوم الآخرة واحدة واحدة ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم يجر ذلك الى الزهد في المال والجاه وكل حضوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لقبول معرفة الله وحده فهذه كل ذلك مقدمات تمهيد القلب وهو أحمد كي المحمدة الثانية وهو تطهير القلب (والاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) رواه أحمد في مسنده والترمذي من حديث أبي مالك الاشعري وصححه ابن ماجة من حديث أبي هريرة والحديث قد تقدم قريبا (والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة (والاشارة بقوله) (الثانية الى قوة المحمدة وقوة معرفة الله تعالى وقوة اتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها بحري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها) وتمهيدها بحفرها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثاني ثم يولد من هذه الشجرة المحمدة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وقد أشار الى هذا بقوله تعالى) ثم تركيب (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) وهو قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فالكلم الطيب هو المعرفة والعمل الصالح كالخادم لها والعمل الصالح كالخادم لها والعمل الصالح كالخادم لها

لاقو با نحو يكون أول معرفتهم بالله تعالى ثم بما يعرفون به وهو ما يرى بالبصر ضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل) فالاقو با نحو ما يرون به الآثار أولا بالله معه ويستدلون على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء المصنوعة ويرى الاشياء ويريد بالشيء (والى الاول الاشارة بقوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو) وصاحب هذا المقام صاحب مشاهدة ودرجته درجة الصديقين وعما نسب الى الشيخ الاكبر قدس سره

سألتني عن عقيدتي * أحسن الله ظنه * علم القلب انها * شهد الله انه

أشير بذلك الى مقام الشهود (وهو نحو ما يروى عن الحسن البصري رحمه الله تعالى (حيث قيل له بم عرفت ربك قال ما عرفت ربي برؤية ولا رأيته حتى عرفته) وروى الشيرازي في رسالته قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول قلت لذي النون بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي) وروى القشيري

بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس هى ما ترى من صغر جرمها على مثل الارض مائة وبضعة وستين مرة فنسبتها الى صغر الارض بالاضافة فيها نسبة الارض الى صغر الشمس بالاضافة الى ملكوتها الذى هى مركوزة فيه فهى بالاضافة اليها كالارض بالاضافة الى الشمس فهى فى السماء الرابعة وهى صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة والكرسى فى العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الانحصاص من حيث المقادير وما أحقر الارض كلها بالاضافة الى السماء فما صغر الارض بالاضافة الى البحار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمى المحمول من التراب الذى هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك وانظر الى صغر ما تعرفه من الحيوانات كالبعوض والنحل وما يجرى مجراه فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر

بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس هى ما ترى من صغر جرمها على مثل الارض مائة وبضعة وستين مرة (فهى بالاضافة الى ما فوقها من السموات السبع فى الكرسى كحلقة) أى سبع رابعة (صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من سموات السبع ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة) حلقة (فى فلاة) من الارض (والكرسى فى العرش كذلك) وروى ابن أبى حاتم وابن المنذر من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ما السموات السبع والارضون السبع ثم وصل بعضهن ببعض ما كن فى سعة الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وروى ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ فى العظمة عن أبى ذر انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى فقال ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزأ من نور العرش وروى ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى قال ما السموات السبع والارضون السبع فى جوف الكرسى والكرسى جوف العرش وروى عثمان بن سعيد الدارمى فى رد على الجهمية وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسى مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء (فهذا نظر الى ما هو الانحصاص من حيث المقادير وما أحقر الارض كلها بالاضافة اليها وما أصغر الارض بالاضافة الى البحار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض) قال العراقى لم أجد له أصلا (ومصداق هذا قد عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض) ومساحة سطح الماء ثلثمائة مليون ألف ألف وثلاثة ملايين ألف ألف وثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألفا ومساحة سطح اليابسة مائة مليون ألف ألف وثلاثة وستون ألف ألف وستمائة ألف وثلاثة وثلاثون ألفا وسطح اليابسة هو ما يحيط به الماء من جميع جهاته وهو ما يسمى بالقارة وهى كلمة برتغالية ومعناها الجزيرة الكبيرة وتسمى أيضا بالبر وتسمى بالعالم القديم وتسمى بالدنيا القديمة وتسمى بالجزيرة العالمية وتسمى بالجزيرة الكونية وتسمى بالجزيرة الكبرى وتسمى بالجزيرة الطويلة وتسمى بالجزيرة الشرقية وتسمى بالجزيرة الغربية وتسمى بالجزيرة الشمالية وتسمى بالجزيرة الجنوبية وتسمى بالجزيرة الوسطى وتسمى بالجزيرة الساحلية وتسمى بالجزيرة الداخلية وتسمى بالجزيرة الخارجية وتسمى بالجزيرة الجبلية وتسمى بالجزيرة السهلية وتسمى بالجزيرة الصحراوية وتسمى بالجزيرة الغابية وتسمى بالجزيرة الزراعية وتسمى بالجزيرة الصناعية وتسمى بالجزيرة التجارية وتسمى بالجزيرة السياحية وتسمى بالجزيرة العلمية وتسمى بالجزيرة الثقافية وتسمى بالجزيرة الدينية وتسمى بالجزيرة السياسية وتسمى بالجزيرة العسكرية وتسمى بالجزيرة الاقتصادية وتسمى بالجزيرة الاجتماعية وتسمى بالجزيرة البيئية وتسمى بالجزيرة السكانية وتسمى بالجزيرة الحضرية وتسمى بالجزيرة الريفية وتسمى بالجزيرة الصناعية وتسمى بالجزيرة التجارية وتسمى بالجزيرة السياحية وتسمى بالجزيرة العلمية وتسمى بالجزيرة الثقافية وتسمى بالجزيرة الدينية وتسمى بالجزيرة السياسية وتسمى بالجزيرة العسكرية وتسمى بالجزيرة الاقتصادية وتسمى بالجزيرة الاجتماعية وتسمى بالجزيرة البيئية وتسمى بالجزيرة السكانية وتسمى بالجزيرة الحضرية وتسمى بالجزيرة الريفية

ونكر صانع التركيب خلقه الله تعالى على شكل عجيل الذى هو أعظم الحيوانات فخلق له جرموه مثل جرمه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين) فى كل ناحية ورجلين للفيل أربعة أرجل وخرطوم وذنب وللبعوض مع هذه الاعضاء خلقان وسنان وأربعة أجنحة (وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فشق جناحه وأخرج يده ورجله وشق جمعه وبصره) وأودع فى مقدم دماغه قوة الحفظ وفى وسطه قوة التفكر وفى مؤخره قوة التذكر وخلق له حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم (ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبر فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى العديدة والحدية

ونكر صانع التركيب خلقه الله تعالى على شكل عجيل الذى هو أعظم الحيوانات فخلق له جرموه مثل جرمه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فشق جناحه وأخرج يده ورجله وشق جمعه وبصره ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبر فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى العديدة والحدية

والله فعقوا الى سكنوا واصل مبارك فى سائر الحيوان ثم بعد فى شكله وصفاته ثم اشار الى هذا بقوله تعالى فى غاشية الموعرفه ثم عند عدم الانسان ثم نظر كيف أنشأه آلة يطير ان الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يمتص خرطومه فى واحد منها ثم كيف قواه حتى يعرر به الخرطوم وكيف عرفه أن الانسان اذا تحرع الدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى تجرى فيه الدم الرقيق (٥٩٠) ويتهيى الى ما هو منتشر فى سائر أجزائه عرفه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده

بيده فعلمه تجنب الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعيدة عنه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد عود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع عدوه فيقصده مع صغر جسمه وجهه ونظر الى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقة الانسان صغره وكانت الانسان يحتاج اليه لرعاية الحدقة من القذى والغبار خلق له الحواجب والاشفار يذب بها القذى والغبار عن حدقتيه بيديه وهما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقته الاجفان حتى يطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما محددة تجمع الغبار الذى يلحق الحدقة ويرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وحسن صورة العين وشكلها عند شجاب الغبار وبقدر من ذراعه لئلا يهجم دخول الغبار ولا يجمع الغبار على الابصار وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصطفتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصفى باليدين ولحسن ضعف أبصارها نراها انتهاءت على السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوءه بقدر رأى المكين ضوء السراج بالليل ظن انه فى بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم الى الوضع الذى هو فيه ولا يزال يطلب الضوء ويرى نفسه اليه قد جاوره ورأى الظلام على انه لم يجب لكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق ولعل من هذا نقص ان هذا النقصان وجهلها علم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمى فى الاكباب

والله فعقوا الى سكنوا واصل مبارك فى سائر الحيوان) وخلق له حدقتين للاداء وخص بالعقل وخلق له حواجب ومعى وعظاما أشد الزمخشرى فى الكشاف

ويرى بباطن عروقها من حولها * واضع فى ثبت العظام النحل

(هدى فى شكله وصفاته ثم نظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى عدوه وعرفه ان عدوه الانسان ثم انظر كيف أنشأه آلة يطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان) التى تخرج منها العرق فيتوصلها (حتى يضع خرطومه فى واحدة منها ثم قواه حتى يعرر به الخرطوم) و يشتد عصبه و يقوى على جر الجلود الغلاظ كالبعير

مثل السقاة دائما طينها * وكيف فى خرطومها سكينها

(وكيف علمه المص والتحرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى تجرى فيه الدم الرقيق و ينتهى الى باطنه و ينتشر فى سائر أجزائه و بعد) ذهبه كما ذهبوا اليه (ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فعلمه تجنب الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعيدة عنه فيترك المص و يهرب ثم اذا سكنت يعود) الى عمله وهذا من اشارته بقص الدم الى أن يموت و يخبر عن الطيران (ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه و يقصده مع صغر جسمه وجهه وانظر الى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقة الانسان صغره وكانت الانسان يحتاج اليه لرعاية الحدقة من القذى والغبار خلق له الحواجب والاشفار يذب) وهما يدل على الذى تقدم ذكرهما (فيطير بالذباب فيراه على الدوام يمص حدقتيه بيديه) وكلاهما من ذوى الخراطيم (وأما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقته الاجفان) لكل حدقة جفنان أعلى وأسفل (حتى يطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما محددة تجمع الغبار الذى يلحق الحدقة و يرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين) وقد خصت الحكمة الالهية لون السواد بذلك والبياض يغير صورة العين و يضعف نورها حتى ان ادامة النظر الى البياض المحض يبهر نور العين و يحقه بل يسجى ضعيفا فى حب القوى (وشكلها عند شجاب الغبار وبقدر من ذراعه لئلا يهجم دخول الغبار ولا يجمع الغبار على الابصار وأما البعوض فخلق له حدقتين مصطفتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصفى باليدين) ولكنه يمس ظاهر يديه الغبار كما يمس الانسان (ولحسن ضعف أبصارها نراها انتهاءت) وتشوقها (على السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوءه بقدر رأى المكين ضوء السراج بالليل ظن انه فى بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع الذى هو فيه ولا يزال يطلب الضوء ويرى نفسه اليه قد جاوره ورأى الظلام على انه لم يجب لكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق ولعل من هذا نقص ان هذا النقصان وجهلها علم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمى فى الاكباب

على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ما تحتها سبب الوقع القاتل ولا يزال يرى نفسه على أن يتغمس فيها ويتقحمها ويهلك هلاكا مؤبدا ولهذا كان جهل الآدمي كجهل الفراش بما تخبئه وراء ظاهر الضوء التي احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي تحمسن تحجركم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش فهذه لمعة من بديع صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور حليقة من ظاهر صورته فما ظنك بما وراء ذلك فلا يطلع عليه إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون

على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ما تحتها سبب الوقع القاتل ولا يزال يرى نفسه على أن يتغمس فيها ويتقحمها ويهلك هلاكا مؤبدا ولهذا كان جهل الآدمي كجهل الفراش بما تخبئه وراء ظاهر الضوء التي احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي تحمسن تحجركم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش فهذه لمعة من بديع صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور حليقة من ظاهر صورته فما ظنك بما وراء ذلك فلا يطلع عليه إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى

على شهوات الدنيا صورة الفراش) وهي دويبة تشبه البعوض واحدته فراشة (في التهافت على النار اذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ما تحتها سبب الوقع القاتل ولا يزال يرى نفسه على أن يتغمس فيها ويتقحمها ويهلك هلاكا مؤبدا ولهذا كان جهل الآدمي كجهل الفراش بما تخبئه وراء ظاهر الضوء التي احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة) وقال الواصف في موضع آخر من الحيوان ما دام شاهدا حفظه وإذا تسمت صورته في ذهنه فإذا رآه مرة أخرى عرفه كالذي يرى الشعير ويعاصره ما دام شاهدا ثم يحفظه ولم يرتسم عند صورته كالفراش فإنه يجد الصباح فيرمي بنفسه فيه ويحترق ثم يعود ويرمي بنفسه إليه وإذا تسمت عند صورته عند رؤيته اهـ (ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول إني ممسك بحجركم عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بمثل ما قال إلا أن كل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجركم وأنتم تقحمون فيه بفتح الميم وتشديد الحاء المهملة وضم الميم جمع مقحم بكسر الحاء المشددة وهي معقد الإزار والسراويل وأراد أن الرجل أمسك من يحاول سقوطه أخذا من ذلك موضع منه قال النووي في شرح مسلم مقصود الحديث به صلى الله عليه وسلم منعه الجاهلين ومحاولتهم اقتحامهم وشهواتهم في النار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع نهيه ومنعه إياهم وتحذيره لهم من مواضع سقوطهم وتساقط الفراش في النار الذي شبههم به وصف نبيه به وكلاهما حريص على هلاك نفسه مع تحذير من دلك عليه وقال أبو العباس القرطبي في شرحه هو من الاحتباك يا صلى الله عليه وسلم في تحاذبهم وحرصه على تخليصهم من المهالك التي بين يديه ولهيبها قد رد ذلك وعبة تهوي تعالى وقال القاضي أبو بكر بن العربي هذا مثل عربي كثير الاستعمال في مقصود معين لله صرب مثلا لجهلهم وما ركب من شهوات المدعية له ما منحه للدخول فيها ونهاهم عنه وتوعد عليها وأنذرهم ودل ذلك على أن شهوات تعد شهوات على قسمين ما لم تنهاهم عنه وهي كثيرة لا تحصى ومنها ما نهى عنه وتوعد عليه وهي التي ضرب بها المثل وقال غيره إنما شبههم بالفراش لأنها تقع في النار وهي لا تشعر بذلك وهذا تشبيه بليغ وقال الخطابي إنما شبههم بالفراش لأنها تقع في النار لا لقصد منها إليها وإنما تقصد الضوء فتقع فيها

وكيف استخرج من العلم بالشمع والعسل وحسن تدبيره فيه وسعى الآخر فيما ثم لو تأملت عجائب أمره في تناولها الازهار والانوار واختيارها من الجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جنسها هو أكبرها شخصا وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل وعدم الجور بها حتى ان الفقير عيب بان العسل كل ما وضع منه على تجربة آخر العجب ان كنت تصيرا في عسل ورجل وهو نفسك في معاداة أقرانك وموالاة الخوانك

ودلك هو به تعالى وحي ربك اى انحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون قال في عجائب المخلوقات يقال ليوم عيدا مطر يوم ارتحاد أوحى الله به الى النحل صنعة عسل بن سحبه وتعالى اما في النحل أعظم اعتبار تأمل كيف هدى عقولها حسن تثمارها للامر وهو كيف اختص بيوتا في هذه الامكنة بثلاثة من الجبال والشجر وحيث يعرش الناس أي يسوب العروش ولا يرى للنحل بيتا في غيرهذه الثلاثة ثم تأمل كيف كان أكثر يومها في الجبال هو المقدم في لانه ثم لا تجد وهو دون ذلك ثم العروش وهي أقل بيوتها ثم تأمل كيف أذهاها حسن الادخال الى ان تجعل لبيت قبل المرعى وهي تتعهده أولا فاذا اختبرتها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمرات ثم أوت الى بيوتها لانه تعالى أمرها أولا باتخاذ البيوت ثم بالاكل هذا دلالة (و) اعتبار (كيف تخرج من أعلامها الشمع والعسل وجعل أحدهما صبابا والآخر شفاء) من وشر مرتب وفي قوله من أعلامها اشارة الى ان العسل يخرج من أفواهها وهو قول الجمهور وعن ابن عباس في تفسيره عن علي رضي الله عنه انه قال في تخييراته يا أشرف الناس ان دم الجوف دودة وأشرف شرابه وخير عمله وهو هذا انه من غير اسم ميت ولا يعرف من كلامه أشرف المطعوم العسل وهو مدفقة دبت وقد تقدم ذكره في كتاب دم الدبا واعلم ان العسل يخرج من بطونها ولا مدرى من فيها أو غيره وقد صح ارسطاطاليس متناس رجاع ايطاليا كيفية ما تصنع فانه تعمر حتى تعمر من بعض ما ذكرته وفي تفسيرها كوا شي الاوسط ان العسل يرشح من سمع دست في ما كن دقيق العين فتشربه ثم تأتي خلية فتلقيه في الخلية الاخرى وهمه بعض الناس ان العسل من فضلات العذاء وليس كذلك في العدة عسلا هذه عبارته (ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الازهار والانوار) وتختبر في حوفها عسلا وشمعا من أفواهها مع ما تقاطير القطر وهذا هو الذي دل عليه القرآن واختلاف لونه وطعمه بحسب اختلاف المرعى وفي هذا معنى قول عائشة حرمت عليها أمرها حتى شبعت واشتهت وتحنت طاهر (واحترازها عن الاعفان والاقذار) فلا تقع لاعلى طاهر من ثمار والازهار وتخرج ريحها الحسن لانه من الروح (وطاعتها لواحد من جنسها) يسمى اليعسوب (هو أكبرها شخصا وهو أميرها) ومن خصائصه انه ليس له حمة يسمع بها وأفضل ملوكها أكثرها وأوسطها ارتباطا سود ولا يسمى أميرها لانه ورد ذكره في حديث أبي امامة ان أحدكم اذا أراد ان يخرج من بلد عند عث محمودا الى واجتمعت كجمع النحل الى يعسوبها رواه ابن سني في يوم والليلة وروى ابن عدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي أنت يعسوب المؤمنين (ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بها حتى انه يدل على بان العدل كل ما وضع منها على تجربة) أي انها ادا رأت فسادا من بعض نحله أو أمان تقاتلوا كثيرا ما تقتل في خروج الخلية (فتبيت منهزما) وفي نسخة العجب (ان كنت تصير في عسل وقار عن هم طائفة ورجل وشهوات عسل في معاداة أقرانك وموالاة خوانك) قال القزويني هو حيوان دونهم وكيس وشجاعة وتعرف الموافق ومعرفة بأصول الصنعة ووقاف المعروف تدبير المرتع والصناعة لأميره ولا سيما كثيره وقلة مدبع لسعه وقال غيره ومن شأنه في تدبير معاشه انه اذا أصاب موضعا فيه ما يرضيه من الشمع أو اللبن البيوت التي يؤوي فيها الموتى ثم يوب الذكور التي لا تعمل شيأ والذكر أصغر جرما من الانثى وهي تكبر اذا دخل الخلية واذا طارت خرجت ما معه وترتع في الهواء ثم تعود الى خليتها والنحل يعمل الشمع أولا ثم يبقى يدرزه بعمله من الطاير وقته فعدن عليه وتحصنه كما يحصن الطاير فيكون الدور دون البيض ثم تبيض الدور وتعدى عليه ثم طاير وهو لا يعدو على زهار مختلفة بل على زهر واحد ولا تعض الا بوب عسلا ولا عسلها قراما ولا لا تخرج الامع حيل النحل فاذا خرج عن الصير خلية واحدة تجتمع فيقسم الاعمال فمنها يعمل العسل ومنها يعمل الشمع ومنها يسقي الماء ومنها يبني البيوت ومن جبعه يهرب بعضهم بعض ويقاتل بعضه بعضا في الخلايا ويلسع من دنا من الخلية واذا هلك منها شيء ادخل الخلية أخرجته الاحياء الى خارج وهو يعمل زمان الربيع والخريف والذي يعمله في الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير

ثم دع عنك جمع المثلث بطرفيه وانظر من جمع وجه من جمع كل شكل المسدس والمثمن والمربع والمخمس
المسدس الخاص في شكل المسدس يقصر فهم المهندس عن دركها وهو أوسع الاشكال وأحوجها مستديرة وما قرب منها فان
المربع تخرج صنعته وما شاكله من كل المخمل مستديرة مستطيلة فترك المربع حتى

و يشرب من الماء ما كان عذبا صافيا يطيب حيث كان وهو يأكل من العسل لا قدر شمعه واما ذل العسل في
الخلية فقد وقع بالماء ليكبر حجمها على نحله من عاده لانه اذا وجد عسل النحل بيوت النوم و بيوت الذكور ورؤس
فتحت منها ما كان هناك قال حكيم وبان تلامذته كونوا كالنحل في خلاء ولوا كيف قال نها لا تترك عندها
طعاما لا تفقه وأنصته عن الخلية لانه يضيق الاشكال و يفسد العسل و نعم بشيطا الكسل و نعم يسلح جسمه
كالحباب وتوقفه وصوان الديدة الطاريه و عصره اسوس ودوده أن يطرح في كل خليه كف مع وان تفعل
في كل شهر مرة وتمتحن بحذاقه بقرون صنعه انه داما من الخلية ابرعي وعد وتعود كل نحله الى مكانها
لا تخطئه وأهل مصر يحتوون الخلايا في السرو يبنون لها موضع لزهرو يحفرون حفرا حتى تجتمع الى الذرعي فتحت
أبواب الخلايا فتخرج منها ذرعي يومه أجمع فاذا أمسى عاد الى الخلية وأحدث كل واحدة مكانها لا تتغير عنه
وروى البيهقي في شعب عن مجاهد قال صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا حديثا واحدا الحديث سئل النوس ما لنحله فقال ان الابر وحده لها سنة من وثمن و لنحلة حدث
فعلك وكل شيء مسامع وكذلك نحله كل شيء مسامع قال ابن الابر وحده لها سنة من وثمن و لنحلة حدث
النحل وعمارته وله أداء وحفاظه وعمله وصنعه وسعيه في لبل وتبرعه عن الاقذار وحبسه كله وله
لا كل من كسب غيره وتحوله وصناعته لامره وان للنحل آفات تقعده عن عمله منها سعد وا وهو نوع
والدحان وهو الدر وكذلك النا ومن له آفات تعتريه عن عمله طامة العسلة وقيم الشلنزي يح الشتو وسان الحرام
وداء سعة وبار يهوى (ثم دع عنك جمع ذلك وانظر الى نظم بيوتها من الجمع واختيارها من حلة الاشكال
المشكل المسدس) الذي لا يخرج (ولا أي بنائه مستديرة ولا مضلعة ولا تحتمل مسدسا خاصا بل في الاشكال
المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها) واحكمه (وهو أوسع الاشكال واحواها) أي أحقها
(مستديرة) أي لمستديرة الاشكال (وما قرب منها كالمربع تخرج صنعته وما شاكله وهو كل المحل مستديرة
مستطيلة فترك المربع حتى لا تصيع لزوايا فتبقى فارغة ثم لو بنيت مستديرة لبقيت خارج لبيوت فروج صنعته
فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال المستديرة أوسع من المسدس ثم تتراص الخلية منه بحيث لا يبقى بعد احتمالها مسدسا وهو صنعة هذا الشكل)
وبذلك أضاف حتى صورت كل صنعة لواحدة وهو ان الاشكال من ثلاثة الى العشرة اذا جمع كل واحد منها
الى أمثالها يتصل و جاء بينهما فرج لا أشكل المسدس فانه اذا جمع الى أمثاله تصير به كأنه قطعة واحدة كل
هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بكار وذلك من أتقن صنع اللطيف الخبير و بهامه الله (فانظر كيف ألهم الله نحل
صغر جرمه لطافة وعنه فيه لوجوده وما هو محتاج اليه لبقاء حياته فسبحانه ما أعظم شانه وأوسع لطفه وامتنانه
فاعتبر) أيها السائل (بهذه الصنعة اليسيرة من نحو ان الحيوانات وبديع عجائب ما كوت الارض والسموات
فان القدر الذي بلغه فهمك القاصر منه تقصى الاعمار دون ادراكه ولا نسبة لك أيها المخلوق عما
ان ما أحاط به علمك
و لا نسبة لك أيضا
به علم الخلائق كلهم الى
ما لا نهاية له بالنسبة الى علم الله تعالى كل ما عرفه الخلق لا
يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فما عرفه هذا أو أمثاله تزداد المعرفة الخاصة بأصول الطريقين و يزداد المحبة فان كنت طالبا لسعادة الله تعالى فعليك بعبادة الدنيا وراء ظهرك) كما قال القائل

مني ما تلق من تهوى ● ندع الدار وأهلها

(واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر الملازم) الباعث على مراقبة الحق تعالى (بقدر ما تتخلص منها بقدر

يسير ولكن نال بذلك يسيرا منكا عجيبا لا آخر له * (بيان سبب تفاوت الناس في الحب) * اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة لكنهم متفاوتون بسببها وتفاوتهم في محبوب الحب لا شيء مما يتفاوت به الناس أيضا أكثر الناس ليس لهم من الله تعالى لا معرفة ولا محبة

يسير ولكن نال بذلك يسيرا منكا عجيبا لا آخر له * (بيان سبب تفاوت الناس في الحب) *

(اعلم) سعدك الله تعالى (أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل الايمان ولكنهم متفاوتون تفاوتهم في المعرفة وفي حب الله يتفاوت بتفاوت أسبابها) وهو كالقدرة الحاصلة لهم بالقوى في المال من وجدت الدانق والدرهم ومن وجد بيدا له فكذا العلوم إذ تتفاوت في نفوسهم أعلم لا تعلم به إلا الله وأعيان الأموال أجسام والأجسام متناهية لا يتصور أن في النهاية عجائب قد عرفت كيف يتفاوت الخلق في تحصيل معرفة الله تعالى وذلك لأنهم إما أن (أكثر من ليس لهم من الله تعالى إلا صفات ولا يعرفون من قرعت سمعهم وهو وجوده) فهو الجهل الذي فضله بهيمية تفاوت مراتبهم (وربما يجاوز بهم إلى تعالى عن الأوهام) جل جلاله (وربما لم يقنعوا على حد عجزهم ولا يحيطوا معنى فاسد بل آمنوا بما يليق بالله تعالى وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث) فيها (وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمقتصدون) ومنهاج السلامة (هم المقربون والعارفون بالحقائق هم المقربون) فهؤلاء ثلاثة أصناف (وقد ذكرنا الله تعالى) هذه (الأصناف الثلاثة في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أحب الشافعي رحمه الله والفقهاء منهم والعوام لأنهم مشتركون في حب الشافعي رحمه الله تعالى الفقهاء منهم والعوام لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف عنه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه له أشد) أو نقول إن الشافعي رحمه الله تعالى يعرفه بواب داره ويعرفه المزني تلميذه ويتوسط يعرف به علم الشرع ومصنفيه ومن يسترشد خلق الله إلى الله على الجملة والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل معرفة محيطة بتفاصيل صفاته ومعلوماته بل العلم الذي يحيط بعشرة أنواع من العلم لا يعرفه بالحقيقة مثله الذي لم يحصل إلا نوعا واحدا فضلا عن صفاته الذي لم يحصل شيئا من علومه بل الذي حصل علما واحدا قد عرف على التحقيق عشر معشار ما سواه في ذلك العلم حتى يقصر عنه فإن حصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه إلا بالاسم والاسم إجمال وهو أنه يعرف أنه يعلم شيئا سوى ما علمه وكذلك في سائر العلوم فالخلق في معرفة الله تعالى أيضا (فمن رأى تصنيفا مصنفا فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومثاله أن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب لا محالة أحبه لأنه قد عرفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد رجل في أشعار أنها حسنة الشعر فيجمعها ويسمع من غرائب شعره وفصيحه ما يعلم به حذقه فازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك سائر الصناعات والعلوم قد يسمع أن فلانا مصنف وله حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل

ورحمه بطلوا على حقيقتها ولا يحيطوا بها معنى فاسد بل آمنوا بما يليق بالله تعالى وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمقتصدون هم المقربون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى الأصناف الثلاثة في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أحب الشافعي رحمه الله والفقهاء منهم والعوام لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف عنه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه له أشد فإن من رأى تصنيفا مصنفا فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومثاله إن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب لا محالة أحبه لأنه قد عرفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد رجل في أشعار أنها حسنة الشعر فيجمعها ويسمع من غرائب شعره وفصيحه ما يعلم به حذقه فازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك سائر الصناعات والعلوم قد يسمع أن فلانا مصنف وله حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل

تجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب ضاعف حبه لاحالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات المصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والذي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير به بطابع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما يتحير به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد

تفصيلا ﴿بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه﴾ اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى لامر ما عدم من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها لان

تجمل والبصير) الماهر (اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب ضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات المصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والذي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير به بطابع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما يتحير به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد) حبا وكذا يزداد دليل على عجائب صنع الله تعالى فتدل ذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازدادته معرفة وله حبا (اطلاعا) وكشفا (استدل ذلك على عظمة الله تعالى وجلاله وازدادته معرفة وله حبا وتحرهذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحرا لا ساحل له) ثم نبه عليه (ولا حرم تتفاوت أهل المعرفة في الحب لا محصرله) ثم بين ان المعرفة التي حصلها من نظره في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفته بالله حقيقية لانه لم يعلم دلالة هذه العالم على الله تعالى بل هو كمن يرى لله صنعة ولم يعرف صانعها فيعلم أنه صنعة ولكن لا يعرف حقيقته لكن من عرف كانت صفة العلم معلومة بحقيقته كان عالما بانه عالم أما من لم يعرف حقيقة هذه الصفة ودلالتها لا يعرف حقيقة العالم ولا يعرف حقيقة الله تعالى لانه لا يعلم دلالة هذه العالم على الله تعالى فلا يعرف الله بل يعرف صفة من صفاته وفعلا من أفعاله ولا يدري حقيقته (كمن يدري ان له صنعة ولم يع

لا تفهمه الاجمال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط علمنا بالاضطرار كونه حيا عندنا من ظهور الموجودات فيه وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة كسهوه وعسر خطائه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها لا نعرفه كمقدار طوله واختلاف لون شعره وعرفنا ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيا وانما نعلمه على عندنا من غير أن نتعلق حس ببصر تحياته وقدرته وارادته فان هذه صفات لا تحس لانها ليست من المحسوسات ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وارادته الا بحياطته وحركته وسائر ما نعلم من صفاته فما علمنا الا بدين واحد وهو مع ذلك حي عالم قادر مريد موجود لله تعالى وتقدس (٥٩٦) وعلمه وسائر صفاته بشهادة الضرورة كل عاقل بشاهده وتدركه الحواس الظاهرة والباطنة من بحر وبر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب ودر ونحر ودر وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحواله وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته ووجود المدركة لا حصر لها فان كانت حية كانت ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركته فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور لوجود شئ داخل جوف وجار حجرها لا وهو شاهد عليه وعلى علمه وقدرته وحياته وحكمته (وكل ذرة قائمة تنادي بلسان حالها بما ليس بوجودها بنفسها ولا حركتها بد لها وانها تحتاج الى موجد وموجد لها يشهد لذلك تأليف أجسامها وتركيب أعضائها واختلاف عظامها ولحومها وعصاباتها وعروقها وشكل ظواهرها وسائر أحوالها ظاهرها والباطنة فنعلم أنها لم تتألف بأنفسها كما نعلم أن البناء لم يبن بنفسه ولكن لما بني في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عالم مقهور قاهر مقول ردهشت عن ادراكه فان ما قصرت عن فهمه عقولنا وقلوبنا من أحدهما حفاوته في عينه ونموه وذلك لا يحتمل مثاله هو ولا آخر مما نشاهده وصوره وهذا كالأنسان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لانطفاء انوار ه وانتشاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف

اما الله تعالى فوجوده أوضح عندهم من النهار ادهم عن وجوده وانتفى ظهوره وجود الله تعالى لان نفسه وبعض العالم أدل من آثار قدرة الله تعالى وهذا معنى (لا تفهمه الاجمال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط علمنا بالاضطرار كونه حيا عندنا من ظهور الموجودات فيه وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة كسهوه وعسر خطائه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها لا نعرفه كمقدار طوله واختلاف لون شعره) أي ظاهر جلده (وعرفنا ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وعلمه وارادته وكونه حيا وانما علمنا على عندنا من غير أن يتعلق حس ببصر تحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس) أي لا تدرك (بشئ من الحواس الخمس الظاهرة (ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وارادته الا بحياطته وحركته) أي حركة يده (وبسائر ما نعلم من كل عاقل نعلم سواء لم نعرف به صفته فما علمنا الا بدليل واحد وهو مع ذلك حي عالم قادر مريد موجود لله تعالى وتقدس وعلمه وسائر صفاته تشهد له بالضرورة كل عاقل بشاهده وتدركه بالحواس الظاهرة والباطنة من بحر وبر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب ودر ونحر ودر وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحواله وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته ووجود المدركة لا حصر لها فان كانت حية الكائنات ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركته فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور لوجود شئ داخل جوف وجار حجرها لا وهو شاهد عليه وعلى علمه وقدرته وحياته وحكمته (وكل ذرة قائمة تنادي بلسان حالها بما ليس بوجودها بنفسها ولا حركتها بد لها وانها تحتاج الى موجد وموجد لها يشهد لذلك تأليف أجسامها وتركيب أعضائها واختلاف عظامها ولحومها وعصاباتها وعروقها وشكل ظواهرها وسائر أحوالها ظاهرها والباطنة فنعلم أنها لم تتألف بأنفسها كما نعلم أن البناء لم يبن بنفسه ولكن لما بني في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عالم مقهور قاهر مقول ردهشت عن ادراكه فان ما قصرت عن فهمه عقولنا وقلوبنا من أحدهما حفاوته في عينه ونموه وذلك لا يحتمل مثاله هو ولا آخر مما نشاهده وصوره وهذا كالأنسان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لانطفاء انوار ه وانتشاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف

بهره نور شمس اذا أشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع بصره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج ضوءه بظلام وضعف ظهوره وكذلك عقولنا ضعيفة بنور جلال الحضرة الالهية فى غاية الاشراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سببا لحجابه فسبحان من حجب ما أشرق بظهوره ولا يتعجب من احتجاب ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما ثم وجود حتى أنه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختفت الاشياء بعضها دون بعض أدركت بعضها دون بعض أدركت بعضها دون بعض فلما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الامر وانما نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث فى الارض ويزول عند غروب الشمس ولو كانت ذلك لاشراق لا غروب لها لكن نعلم أنه لا هيئة فى الاجسام الا ألوانها وهى السواد والبياض وغيرهما فالاشياء فى السواد الا السواد وفى البياض الا البياض وأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الاجسام كانت قد اتصفت بضوء واتصفت بضده فاذا عند الغروب فعرفنا وجود نور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه لا بعسر شديد ودل ذلك على أن الاجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور وهذا مع أن نور أظهر المحسوسات بل هو ظاهر فى نفسه وهو يظهر لغيره فانظر كيف تصور استتار أمره بسبب ظهوره لولا اطراد ضد فالله تعالى هو أظهر الامور به ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

بهره نور شمس اذا أشرق) وكذا ضوء النهار وفيه يقول الشاعر
مثل ابهار يريد ضوء نهار لورى * نورا وعمى أعين الخفاش
(فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع بصره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج ضوءه بظلام وضعف ظهوره) وهو قريب العروب وفى هذا الوقت ينتشر اللصوص بطلب المعاش وهو وهو ماء الاسنان ويشرا لخفاش بطلب اللصوص (وكذلك عقولنا ضعيفة) لاشعاع نور (جلال الحضرة الالهية فى نهاية الاشراق والاستنارة وفى غاية الاستعراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سببا لحجابه فسبحانه وهذا الذى أنشدنى شيخنا المرحوم العارف وحيد الدين عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسى الحسينى قدس الله سره فى يوم عشرين رجب سنة ١١٣٣ بالقاهرة بمنزلهم
ذكرا لالاه الزم هديت ذكره * ذى ظهور فاستنر لانوره * واجعل حلالك قاعدان أنت تقى
يصلح من كانت خلاله تقاه * وستعمل الافكار فى مكوره * مستعرقا فى الكشف عن معموره
والتجلع بعد الى خلع تحقق * خلى عن الكون الى فى مسره * وبقى حتى عن فنائك به
عن بقاء وعد ذا تراه * واذا ما عم ما ثم ليس هو * كلا ولا أبعد تكون ضوره
شيأ آن ما انجد او كان هنا * سر تصرى فى طباعا عم هو * ساطعا ما قد أشرت له أما
فيه يفكر ما وعى أدناه * أول فى غاب عن الكشف * لك سره فى غاب عن عمله
ان لالاه أجل ما عرف * من لا يراه فقد اساء ان عمه
أبى يغيب وليس يوجد غيره * لكن شديد ظهوره أخفاه
(فسبحان من احتجب باشراق نوره وخفى عن البصائر والابصار بظهوره) وفى حقائق الاسماء للشيخ الاكبر قدس سره وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله احتجب عن عقول خلقه احتجابه عن الابصار وان الملا الاعلى يطلبونه كما تطلبونه قال وما شرا لنوع الانسانى مع الملا الاعلى فى ما طلبوا اختلفوا فى الكيفية لانهم يطلبونه بالانوار المقدسة لكونهم عقولا مجردة وهو حجبته عن العقول فى لهيم سبل الوصول فى أسرار الذات وحجبة نور الصفات انتهى (ولا يتعجب من احتجابه بذلك السبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما ثم وجود حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت بعضها دون بعض أدركت بعضها دون بعض فلما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الامر) واشتبه الحال (ومثله نور الشمس المشرق) انسيا (على الارض فانا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث فى الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكن نعلم أنه لا هيئة فى الاجسام الا ألوانها وهى السواد والبياض وغيرهما فالاشياء فى السواد الا السواد وفى البياض الا البياض وأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الاجسام كانت قد اتصفت بضوء واتصفت بضده فاذا عند الغروب فعرفنا وجود نور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه لا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور وهذا مع أن نور أظهر المحسوسات بل هو ظاهر فى نفسه وهو يظهر لغيره فانظر كيف تصور استتار أمره بسبب ظهوره لولا اطراد ضده فالله تعالى هو أظهر الامور به ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره بعلم به ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهو به بعلمه به والوجود لها بالحق قائمة به وهو الوجود للوجود الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله لا ينظر في شيء من الافعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر ومن حيث ما هو مصرف به من حيث ما هو صنع الواحد الحق ولا يكون ناظرا في غيره بوجه ولا يعلم عن غيره كما لا يعلم عن نفسه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى الناظر من حيث أنه لا من حيث أنه حجر وعض وزاج مرقوم على بياض ولا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا الى الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا الله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله ولا ينظر الى نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد) الذي تقدم الاشارة اليه عبر عنه أيضا والى الاشارة بقوله من قال كنت سمعه الخ) وفي سمعه فسمع عما (يثقب بالحق) وذكر السعد التفتازاني في المباحث شرح ما صدر عن بعض المحققين من الحلول والاتحاد وهما مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وبينه في شيء الاول

بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني عن نفسه وانه الاشارة بقول من قال كنت سمعه الخ

فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر تشكك ضعف الافهام عن درك وقوفهم على بعضها فهي موصلة للعرض الى الافهام واستعدادهم واعدادهم لأن يتعرفوا بها معرفة الله تعالى والتضم اليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في حال عدم عقله ثم تعود عليه بصيرته فيعقل ثم تعود عليه بصيرته فيعقل ثم تعود عليه بصيرته فيعقل الا انه لا يعقل الا وهو يعرف الهم شهود الله وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها حتى فقدها وفقد عن ذلك طول الانس وادلال دار أي على سبيل الاستعارة حيوانا عربيا وبيتا عربيا وعلامة فعال لله تعالى خارقا للعادة عجيبا الطلق لسانه بالمعرفة طيبا فقال سبحان الله وهو يرى طول انبهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المدلولة كلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها الطول الانس بها ولو فرض أنه تعالى لم تقم عليه شاهدة عند بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاءة لخيف على عقله أن يطير لعظم التعجب من شهادة هذه العجائب بخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بنور معرفة الله تعالى كما هو وش الذي يضرب به المثل اذا كان أكثر الحماره وهو يطلب حماره واحليلها اذا صار مطلوبا صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فتحقق ذلك وتأمل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا

هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بنور معرفة الله تعالى كما هو وش الذي يضرب به المثل اذا كان أكثر الحماره وهو يطلب حماره واحليلها اذا صار مطلوبا صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فتحقق ذلك وتأمل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا

اسد لك ذا انتهى سواء كان الى الله وفي الله اسعرف في تحرير وتحبير ما يعرف به تحت تصحيح ذلك في صفاته وتنزيهه عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود الا الله وحده انتهى يسمع به وبصره الذي يبصر به وجميع ذرات صدره عبارات تشهد بالتحقيق لا تحتاج فيه الى كثير عناء في بيان ذلك الخفاء وتعذر الكشف منه بالكلية ونحن في هذا المحل انما نعرف من سحر التوحيد مقدار الامكان ونعرف به ما يجب ويستحيل ويجوز في حق الله تعالى فنقول الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه بوجه ما لا وجود الكثرة في الاجسام والتعلقات التي هي كثيرة جدا ولكن ذلك كله في الحقيقة واحد وتكثره انما هو في الظاهر لا في الحقيقة وقد تقدم ان من لم يعرف هذا لم يعرف التوحيد ولا يتحقق به ولا يعرف الله تعالى ولا يعرف نفسه ولا يعرف شيئا من الاشياء وقد تقدم ان من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه ومن لم يعرف ربه لم

ويروى ولا يبصر بصيرا (لكن ظهرت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد سترا)

وراد صاحب القوت فصرت أعجب ما عاينت مجتهدا * لأني صاحب اصطلح الخبرا

قال وأنشد بعضهم في وصف التوحيد والتعريف بمعناه

لقد ظهرت فما تخفى على بشر * وكيف يدرك من بالعرف مستترا

لكن عرفت بما عرفت من شرف * وكيف يعرف من بالخبر يختبر

نصرت شيئا لآثار لمسن صنعت * وعنت للعين لا رسما ولا أثرا

ثم قال والكلام في الحي والاختلاف والجمع والائتلاف لا أرى فيه كلاما يؤدي بمعقول فتصرفه فطرته وتضيق عنه الهوية فتنقبض عنها همته وأعلى همته من قلب أو عينه من عين وقال بعضهم في المقصد الأسنى الظاهر والباطن وصف من الموجودات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجه وباطنا من وجه ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا في كون ظاهرا من وجه بالاضافة الى ادراك وباطنا من وجه آخر وبالاضافة الى ادراك آخر فالظهور والبطون انما يكون بالاضافة الى الادراك كان وتتحقيقه ان طلب من ادراك الحواس وجد الجبل ظاهرا طلب من حيث العقل فارق الاستدلال فان طلب ما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فهو ظاهر وانما كونه ظاهرا بالاضافة الى ادراك العقل فعارض ادراك الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف اثنان في ادراكه وهذا تناقض مع الريب فكيف يتمارى فيكيف يكون ظاهرا على أنه انما يتحقق مع ظهوره شدة ظهوره فظهوره سبب بطونه وبطونه هو عين ظهوره فيعكس على عقبه ويعالج نفسه من هذا الكلام ونستعيده ولا نفهمه الا بالقول بوحدة الكل وكأنه يكتفي بالاستدلال على كون الكل واحدا بما يجده في نفسه من عجز الكثير عن الاحاطة بالواحد ولو كان الكثير واحدا لكان عالما بالواحد بعلم واحد وهو العلم بذلك الكثير فلو وجد كلمة مكتوبة بخط فصيح فانه يعلم لوجود كاتب لها عالما قادرا بجميع الخط حي ولم يدل عليه الا صورة واحدة فكيف بهذه الكلمة شهدت بصفاته الكاتب لها من ذرة في سموات والأرض من دابة وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف لا ترى شاهدة على نفسها بالحاجة الى مدبر دبرها وصانع خلقها وقدرها وخصها بخصوص من صفته التي لا يتطرق الانسان الى عشر من أعشار عشر جزء من أجزائه ظاهرا ولا باطنا بل الى صفة من صفاته وسمة من سماته التي تجري عليه فهو أعجز من أن يختبره الاختبار طبقا بالشهادة على خلقها وظاهرها ومدبرها وكذلك كل مدرك يحوي ما في دائرة حسه ولو كانت الأشياء كلها في شهادتها على نفسها ولا شهادة لبعضها كان يبقى حاصلا للجميع ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت جميعها على الشهادة لصانعها ولوحدانيته ولعلمه وقدرته ولم يمنعها لشدة ظهورها لأن أظهر الأشياء ما يدركه الحواس فظهورها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بنور البصر وهو الشمس فنور على الأجسام الذي به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الأشياء المتلونة ليس فيها الا ألوانها فقط فما من سواد وجرة ما لم يكن فيها مع اللون ضوء ونور مقارن للون ولا سبيل الى هؤلاء الا بما هو على قرابة من هذا الموضع وبالتنبيه بالمعرفة التي يدركها بين العدل وموضع النور من الليل والنهار فان الشمس هي التي عرف الخلق بين التأثر المستفيض منها وبين العلم المحسوب عنها فعرف وجود النور بعدم النور وعرف حقيقة الوجود الى جانبه بعدم فادركت المفرقة مع قرابة اللون في الجنسين ولو فقد نور الشمس كل الاجسام الصقيلة والشخص ولم تعد الشمس عنه حتى تدرك التفرقة لتعذر علينا معرفة كون النور شيئا موجودا ثابتا على الانفراد مع أنه أظهر الأشياء من هو الذي يظهر جميع الأشياء ولو تصور أن تغيب عينا عن بعض الأمور لاعدمت السموات والأرض وكما قطع نوره عنه ولا درك الفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الأشياء كلها متفقة في الشهادات والأحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخفائه فسبحات من الحجب عن خلق نوره وخفي عليهم شدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه انتهى وقال الشيخ الأكبر قدس سره في أول حقائق الأسماء الحسنى اعلم أن الله

لكن ظهرت بما أظهرت محتجبا
فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

الاعلى يطلبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملأ الاعلى في المطلب واختلفوا في الكيفية فانهم يطلبونه بالانوار العقلية لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمته محتجب عن العقول فهي جهلت ذلك قال ومن هذا النوع من يطلبه بالكون الحق سمعه وبصره ومنهم من يطلبه بنظره العقلي وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كطالب الدليل على حلاوة العسل ولذة الجماع من العنة وهذا شيء لا يقوم عليه دليل سوى الذوق وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لاولي الابصار فلو وصل الى معرفة الله تعالى لا يمكن للعقل من حيث النظر لا يزيد الناظر الا حيرة وانما يعلم بالاعلام الحق على وجه يدري يبقى تحاله لمن اختصه من عباده حتى قال اب الحق جلت عظمته يعرف بدليل فانه اضرب في حديد بارد ومن هذا قال من قال اعلم يحجب ذلك يريد بهذا القائل المتصف كما صرح به في كتاب الشريعة انتهى قال يريد العلم بسمع ويصر هل تلبسوا الحق بعلامة تعالى الكون الحق عليهم لما كان سمعهم وبصرهم ومثل هؤلاء وتصورهم بغير فكري لكان الحق عين فكرهم لكن لا تصور ان يكون مشهودة هذا ان يكون له فكر بل هو مع انهم من صروب انهم الحق من غير تفكر لا استهلاك صفاته في صفات الحق ومن كان فهمه عن تفكره هو من أهل النوع ثم من عدد ذكره الظاهر الباطن الظاهر بنفسه لزوال ظهوره لو ان عن خلقه ثم زال ما ظهر فهو الظاهر بالكثرة والباطن بالعدم لا هل الكثرة من رتبتي احداهما أعلى من الثانية فكما من يكون له به وهو السابق ويعرف بكونه بنفسه وهو القصد الحق في حقائق العبودية المتصف بجميع الاحوال والمقامات في اطوار المقامات وهو بروح بين الكمال والنقصان فهو اذا تجلى له الحق من اسم الظاهر لم يثبت لظهوره لانه قائم للحق وبه ولم يثبت لظهور الحق الا من الحق بصره وأما الكامل فهو له به لا بنفسه فلها كان في كل موطن بالقوة الالهية السارية في ذاته فلا يبقى حال ولا مقام يظهر به ويتصرف فيه فهو مالك الاحوال والمقامات يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد في الخبر الصحيح به وله وهو نقطة الدائرة الوجودية واضعة في الدائرة معي بها وما انقسمت دائرة الوجود الا بالخط الموهوم ولا وجود لها وهو عين ما يوجد اذا كان الحق سمع العبد وبصره ارتفع التقييد والحد وهو يعني سوى الدائرة فهو الظاهر بنفسه لنفسه ويظهر لغيره ولكن ظهوره وحلاوته بروزه وورثت شدة ظهوره خفاء فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن العقول والابصار لشدة ظهوره وانما يطلب الحق من اسم الباطن فهو لم يعلم أن رؤيته الشيء تقتضي العلم به وهو عالم لرأي انه رأى شيئا فاعتقد عليه ما رآه وعند أهل السنة لا تتصور رؤية الحق وما لا يتصور لا يقع به رؤية أو يعلم فما رآه الا من رأى انه ما رآه ولا يعلم الا من علم انه ما علم والحب الالهية أبدية سرمدية لا يتصور له بين خلقه ولو رفعت لاحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه والحب ان كانت محدودة فكيف لا تحرقه اسبحات وان كانت غير محدودة فلا حجاب ولا احتجاب فالحق فيها هو سر أنجاها الله تعالى عن خلقه سمي ذلك الانجاء حجابا فهو من المعارف سترية والظلمانية ما حجبت به الامور طبيعية وجسمية وليس الا ارواح النور الادنى في الاعلى كأرواح أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس ولما كانت الاشياء تتحفظ بالحدود وما حاز شيئا حده انعكس ضده كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد القبول والادراك بطن وستر عن العقول فلم يظهر لهم الامر على ما هو عليه وحد العارفين في معرفته ان يعرفوا أنه لا يعرف اذ لو عرفوا لم يكن باطنا وهو بباطن والمعرفون يختص بالمكنات كما أن الظهور يختص بالوجود والمطلوب الذي وصف به نفسه انما هو في حق الممكن فانه كان باطن الحق والحق ظاهره لانه من يطلب الحق ظهر بكونه وبما ظهر اشتهر وبما بطن ظهر فالظهور عين البطون من الآخر عين الاول انتهى وقد انتهى الكلام على المحبة وما يتعلق بها ثم شرع المصنف في ذكر ما يتم المحبة من الشوق والانس والرضا وغير ذلك مما سيأتي بيانه لان صاحب القوت جعل الرضا مقاما مستقلا من مقامات التقرب كمقام المحبة والشوق أبو اسمعيل بهروي جعله مقام التوكل كالتسليم والتفويض قال لانهما من آداب ذكر جلة أحوال الحق بالمحبة وعدها مقامات على طريق مقامات العبد الى الله تعالى وفي نية تعالى حالا لعبد حال وهذا سمع العرب

٣ هكذا هو بالاصل

(بيان معنى الشوق الى الله تعالى) اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى ونكون العارف مصدرا اليه بطريق الاعتبار وسائر ما ورد به الشرع وتطرق اليه الاخبار والآثار فما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه في عينه لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الحاصل احضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى أمر والموجود لا يطلب (٦٠٢) ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شئ أدرك من وجه وفاته ما لا يدرك أصلا

والوجد والذوق واللحظ والوقت والصفا والطمس والحرق والعيب والسكون والبقاء والوجود والجمع والتعطل والانس والقرب والسكينة والطمأنينة والاستواء والدلال والغيرة والشوق ولوجده أحوال ثلاثة بعضها ولبعض وأتم تكميل كمال لكمال محمد صلى الله عليه وسلم فانه الترتيب أولى من ترتيب غيره لانه يحصل الجمع بين معرفتهم من علم تعريفه في السلوك والدلالة ولله سبحانه فضل على كل عبد من عباده من تقدم وتأخير وقد يعطي الله بعض عباده وجدا مفهوما ويعطيه كشفا ويعطي أضعافها الى ما لا نهاية له مما لا تعرف له وجودا ولا رأيناه ولا سمعناه ذكرا قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

(بيان معنى الشوق الى الله تعالى)

وهو ثمار المحبة وسئل ابن عطاء الشوق أعلى مقام المحبة فقال المحبة لا شوق منها يتولد وهو أفضل من الانس وذلك قدمه لان الانس قصر همته على ما ركشف له من جمال المحبوب وهم عند نظره الى ستكشاف ما غاب عنه والمشتاق كما عاش الذي لا تزوله الغير لغيره فانه يسعى لكشف له من الامور الالهية ما لا نهاية له مما غاب عنه كالغيرة بالنسبة الى سعة الوجود وبالله التوفيق (اعلم) وفقك الله (أنه من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق) الى الله تعالى (اذ لا تصور الشوق الا الى المحبوب) فاذا ثبتت المحبة الذي هو ثمارها اذ لا محالة ان الثمرة تتبع المثمر (ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى) بايجاب أصل المحبة (ونكون العارف مصدرا اليه بطريق الاعتبار ونكون في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه في عينه لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى غائب أمر) وزوال الحاصل اليه (والموجود لا يطلب) ولا تتشوف اليه النفس (ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شئ أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك أصلا فلا يشتاق اليه) لانقطاع الاطماع عنه (فان من لم يرخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق اليه وما أدرك كماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية) بحاسة البصر (فمن كان في مشاهدة محبوبه مدارا وما للبصر اليه لا يتصور أن يكون له شوق) روى القشيري عن بعضهم أن الشوق لهيب يشتعل في القلب عند سماع صفات المحبوب وقيل الشوق هو دوام التفكر في المحبوب وقيل الشوق هو كمال الانس بالمحبوب مع طرقه شوق وقيل هو صفة تشتاق وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري الشوق هو تألم القلب لفقد المحبوب وقيل الشوق هو استيلاء الهيبة على القلب عند غيبة المحبوب (وكل الشوق الى ما يتعلق به ادراك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في خياله وهيئته يشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلولا أنه تحكي عن تأمله ذكره وخياله ومعرفته حتى تسمع لم يتصور أن يشتاق اليه ولو لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية يعني شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد يرى في خيلة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه (والثاني) أن يرى وجه محبوبه وذي شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق الى

لا

خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فانما أنعم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح وكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون منعما غاية الانصاح بل يكون منعما بشوائب التخيلات فان الخيلات

لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل ولم تكن كذلك لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات كذلك يضاف بها شوق على الدوام فاعلم كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام شرف المحبي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك ما نصر وره بوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال لوضوح فيما تصح اتصافها لثاني ان الامور لا نهاية لها بها ولا يمكن في كل عدد من العباد معها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة لا تعرف بعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ولا يعلم أن ما نال من علمه من المعلومات أكثر مما حضر ولا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق

لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل ولم تكن كذلك لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات) فيضاف بها شوق على الدوام فاعلم كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام شرف المحبي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك ما نصر وره بوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال لوضوح فيما تصح اتصافها لثاني ان الامور لا نهاية لها بها ولا يمكن في كل عدد من العباد معها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة لا تعرف بعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ولا يعلم أن ما نال من علمه من المعلومات أكثر مما حضر ولا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة) كما هو مقتضى شرفه ولذته (والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن) هذا الشوق (في الدنيا وقد كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من المشتاقين) وكان له أنس من الهيبة رفيعة ومكاشفات في القرب عليه (فقال قائل يوم بارز ان أعطيت أحدا من الخلق ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد أضر بي الشوق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم ما استطبت مني ان تسألني ان أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في محبتك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يمكن في

الآخرة وأما شوق الثاني فينبغي أن لا يكون له نهاية ولا في الدنيا ولا في الآخرة فنهايته أن يمكن للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بما بقي من الجمال والجلال تام يتضح له فلا يمكن فطوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة لأنه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو بحمد الله شوق لذيذ لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون أنواع الكشف والنظر متواليه أي متتابعة (الى غير نهاية فلا يزال نعيم واللذة متزايدا أبد الآباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى عالم يحصل وهذا الشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه

كشف في الدنيا أصلا فان كان ذلك غير مقبول فيكون النعيم واقعا على حد لا ينقطع ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا يحتمل هذا المعنى وهو أن يتم عليه بإتمام النور مهما ورد من الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة تحتاج إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على أن الانوار لا بد وان يتزود أصحابها في الدنيا تزودا في الآخرة اشراقا فامان يتجدد نورهم أو لا والحكم في هذا يرجع الظنون بخطر ولم ينكشف لنا منه بعد ما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا ويهدينا لاتباعه ويرينا الباطل باطلا ويجنبنا اجتنابه بمنه وكرمه

الكشف في الدنيا أصلا فان كان ذلك غير مقبول فيكون النعيم واقعا على حد لا ينقطع ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا يحتمل هذا المعنى وهو أن يتم عليه بإتمام النور مهما ورد من الدنيا أصل النور (ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة تحتاج إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه) والاول أوفق بقوله تعالى (وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على أن الانوار لا بد وان يتزود أصحابها في الدنيا تزودا في الآخرة اشراقا فامان يتجدد نورهم أو لا) لم يكن أصله في الدنيا (فلا) ومن هذا قبيل الدنيا مزرعة الآخرة المرء مع من أحب وله ما اكتسب (والحكم في هذا يرجع الظنون بخطر) لانه من الامور الغيبية والذي للعقل فيه مجال (ولم ينكشف لنا منه بعد ما يوثق به) ويعتمد عليه وانما نحن على بحر لتمني (فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا) الى الصواب (ويرينا الحق حقا) ويرزقنا اتباعه (وهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه وأما شواهد الاخبار والآثار فاكثر من أن تحصى وهذا شهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك) رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد بلفظ اللهم اني أسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوري أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا علي بن عباس حدثنا جعيل بن مرة حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقلت له فقال ما عليّ من ذلك فقد دعوت الله بدعوات جمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوري أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا علي بن عباس حدثنا جعيل بن مرة حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقلت له فقال ما عليّ من ذلك فقد دعوت الله بدعوات جمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوري أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا علي بن عباس حدثنا جعيل بن مرة حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقلت له فقال ما عليّ من ذلك فقد دعوت الله بدعوات جمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك

وقال أبو الدرداء لكعب أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم لاشد شوقا) وأعظم القوت طال شوق وليتني الى وأنا اللهم أشوق (قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا) فقيه صاحب القوت وأعظم العراقي والذي رواه أبو الدرداء مرفوعا هو قوله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني (وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي اني حبيب من أحبني وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس بذكري) وأعظم القوت هو من أنس بذكري وأنس لمن أنس بي (وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني

بانها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني لسمعت ومطلع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي اني حبيب من أحبني وجليس لمن
جالسني وأنيس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني

ومطبع على طاعتي ما أحبني عبد أعلم ذلك بقيام عنه لا قبله بقلبي وأحببته محبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلبني بغير حق أو (طلب غيري يجدني فارضوا بأهل الارض ما أنتم عليه من عزوزها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وتسوا أو تسكم واسرع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحمد مني من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفي (٦٠٥) وخلقت قلوب المشتاقين من نوري

وبعثتهم لجلالي ورؤي عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي تحنو قلوبهم وأشتاق اليهم وبشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم فان حدق طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال راعون الطلال بالنهار كراعي الرفيق غنمه يحبون ان يروا الشمس كما تحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم واعتمدوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وبالك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يعملون من أجلي واسمعني ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم وانا بنية لو كانت السموات والارض وما فيهن في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أنظر بوجهي عليهم فترى من أجلت بوجهي عليه يعلم أحدا ما أريد أن أعطيه) قال صاحب القوت بعد ان ذكره بقوله فهؤلاء الذين أجل الله تعالى بوجهه عليهم هم الذين أحبوه كل على قدر حبه فكان كما قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكان كما قال جزاء وفاقا نظروا الى وجهه بنور وجهه فجعل بوصف محبوبه احبوه كما روينا عنه في خبر موسى عليه السلام اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فانه تعالى لا ينظر الى الاجسام ولا الى صور الناس في الدنيا وهو لا ينظر اليها كما ينظر الى الاعمال والقلوب لانها عالم الآخرة وهو ينظر اليها فيزين ما شاء وحسنها عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الى قلوب الموقنين وأعمالهم فيزينها ويحسنها بنوره كما يصنع بقلوبهم كما يحسنهم وأعمالهم شبه قلوبهم فانه تعالى ينظر اليهم كنظره الى الدنيا من اسدبر وبتقدير ما ذكرنا من ظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات ولا يصح عندهم عرفوه بالله والحكم شهدوه بالعدم والازلية على معنى ما نظر اليهم فسحاب من نوره وحسنه وبهجته وصفاته من نظر الى من يحب بالوصف الذي يحب احبوه على نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع عن مقام لمحة وليس يبقى الشوق للعبد احبه ولا يعيش في غير مشوقه والمشتاقون مقربون مما شهدوه من الشوق وهم الامور عليهم الموجود الحبيب عندهم مشوقه منه لهم بما شوقهم اليه في قوله موسى عليه السلام (طلبني عبد المكسرة قلوبهم من أجلي المشتاقين من أجلي لمحة ثم قال بقام الشوق في لمحة يجل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصفه لا بما ذكر من ذلك ما سمعناه لا فلا تشكرن لاحد انه وأوبيانه فصلا ولا تعرض فيه بتقدير وانقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما تشاغل عالمهم وحدهم محبوهم كل شغل (و) قدر وينا (في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكرني ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفيتهم من كل كدر وجهتهم بالخير وحرقت من قلوبهم الى حرقا يعطرون

وبعثتهم لجلالي ورؤي عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي تحنو قلوبهم وأشتاق اليهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم فان حدق طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال راعون الطلال بالنهار كراعي الرفيق غنمه يحبون ان يروا الشمس كما تحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم واعتمدوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وبالك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يعملون من أجلي واسمعني ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم وانا بنية لو كانت السموات والارض وما فيهن في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أنظر بوجهي عليهم فترى من أجلت بوجهي عليه يعلم أحدا ما أريد أن أعطيه وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكرني ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفيتهم من كل كدر وجهتهم بالخير وحرقت من قلوبهم الى حرقا يعطرون

لى) وهى عن سيرة (واى لاحس قلوبهم سدى فاصغوا على حمتى ثم أدعو بحماعة ملائكتى فاذا جمعوا
بحمدونى فاقول اى ثم أدعكم بمحمدونى وبكبى دعوتكم
لاعرض عليكم فلوب لمثل اوبى وأباهى بكم أهل الشوى الى فاقلوبهم تصغى بحمائل الملائكتى كما تصغى الشمس لاهل الارض باد ودای
خلقت قلوب الشتاقين من رسولى وبعثته سورو وحبهى فاخذتهم بمحبتى وجعلت أمانتهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من
قلوبهم طريقا يعطرونه الى برادون فى كل يوم سوه قال يادا ود وبشر أرى أهل محبتك فقال يادا ود اثنى حسن سباك فان فيه أربعة
عشر نفسا فيهم سباك وفيهم شوق وفيهم كهول فيهم أتيتهم فاترهم منى سلامى ورضى عليهم بقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فاكم
أحبائى واصفيائى وأوليائى (٦٠٦) أفرح سرحكم وأسارع الى محبتكم فاهدد ودعا به سلام فوحدهم عددا من العيون

يتفكرون فى عظمة
الله عز وجل فاوحى
الى داود عليه السلام
ان صوموا وتقربوا الى
فصام داود ثم قال يا رسول الله
كيف حشركم لا لعلكم
رسالة ربكم فاصنع نحو
وأمر العيون نحو
قوله وألقوا أبصارهم
الى الارض فقال داود
يا رسول الله اليكم
يقرئكم السلام ويقول
لكم ألا تسألون حاجة
الا تنادونى أسمع صوتكم
وكلامكم فانكم أحبائى
واصفيائى وأوليائى
أفرح سرحكم وأسارع
الى محبتكم وسرايركم
فى كل ساعة سر والده
الشفقة الرقيقة فقال
ان ضرب الدموع على
خدودهم فقال سبحانك
سبحانك نحن
عبيدك وهو عبيدك
وعمرنا ما وقع هو
من ذكرا فيما مضى
من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وهو عبيده فاعطر علينا نحس العطر فيحب يسدو بيل من
وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وهو عبيده فاعترنى على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا وقد دم سالزم الطريق
ليلنا وأنعم بذلك لليه عبيد وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فاعنا عليه بحودك وقال الآخر من بطعة خلقته ومنت علينا بالتفكر
فى عظمتك افحترنى على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وعظمتك الدوام نورك وقال الآخر كنت أستحى
من دعائك بعظيم شأنك ومن بذل من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت فلو ما
لذكرك وفرغت لاشتغال بك فاعمرنا بتقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انك هى انظر الى
وجهك وقال الآخر كيف يحترئ العبد على سيده فأمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات

من أطباق السموات وقال لآخر تمنعوك أن تقبل على ونعمتي عندك وقال لآخر سأنعم بعملك فيما وهبت ما وتفضلت به علي وقال الآخر لا حاجة لي فيما في شيء من خلقك فاصرف عليه ما تصرف إلى حبيب وقال الآخر ذلك من بهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تبارك وتعاليت الملك تحب أن يبقى لك من علينا ما يشتغل القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وانفذ لبصيرته سرا ما في كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (١٠٧) فقال داود يا رب هم بالواحد ما قال

من أطباق السموات وقال لآخر تمنعوك أن تقبل على ونعمتي عندك) وفقا لما قال (عندنا وقال الآخر لا حاجة لي فيما في شيء من خلقك فاصرف عليه ما تصرف إلى حبيب وقال الآخر ذلك من بهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تبارك وتعاليت الملك تحب أن يبقى لك من علينا ما يشتغل القلب بك عن كل شيء دونك) فأوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام (قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وانفذ لبصيرته سرا ما في كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي فقال داود) عليه السلام (يا رب هم بالواحد ما قال لا تحسن الظن وا يكف عن الدنيا وأهلها واحبوني ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا ينبغي الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء مما ذكره وفرغ قلبه لي واقبل علي دون جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نوري وأراه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ان مرض مرضه كمرض أيوب عليه السلام وولده وان عضه ذر دوده حتى يرضى ودوى رضا) قال صاحب القوت فهذا ما وقع لي في معاملاتهم (وان هذا منزل لا ينبغي الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء مما ذكره وفرغ قلبه لي واقبل علي دون جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نوري وأراه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ان مرض مرضه كمرض أيوب

في قلب داود خالص حبي لخاصتي وحالط أهل الدنيا بخلطتهم ودينك فقلدنيه ولا تقلدنيك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما اشكل عليك فقلدنيه حتى أشرح لك صدرك وأكون أنا المتقول دونك وذلك أعطيك من غير أن تسألني واعمل على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أنيب لأحد قد عرفت من طلبته وإرادته بقاءه كفعلي بي يدي وإليه لا على به على فإذا كنت كذلك رعت الدلة والوحشة عنك وأسكن لهيبتي قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد إلى نفسه يعطر إلى دعائها إلا وكلته إليها أضعف الأشياء إلي لأنه دعا لك فتكون (٦٠٨) متعبا ولا ينتفع بالمس يتعب ولا تحد لغيري حدا فإني حد الطمس لهذه العاقبة ومني علمت مني الزيادة

في قلب (داود خالص حبي لخاصتي وحالط أهل الدنيا بخلطتهم ودينك فقلدنيه ولا تقلدنيك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما اشكل عليك فقلدنيه حتى أشرح لك صدرك وأكون أنا المتقول دونك وذلك أعطيك من غير أن تسألني واعمل على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أنيب لأحد قد عرفت من طلبته وإرادته بقاءه كفعلي بي يدي وإليه لا على به على فإذا كنت كذلك رعت الدلة والوحشة عنك وأسكن لهيبتي قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد إلى نفسه يعطر إلى دعائها إلا وكلته إليها أضعف الأشياء إلي لأنه دعا لك فتكون متعبا ولا ينتفع بالمس يتعب ولا تحد لغيري حدا فإني حد الطمس لهذه العاقبة ومني علمت مني الزيادة) اعمل ولا تحد الزيادة مني حدا ثم اعلم يا إسرائيل إنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي لأجلهم فما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فإني أنظر بعيني وأسمع بسمعي ولا تنظر بعين غيري ولا تسمع بسمع غيري فما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وقد أنفوت على قلب أمرئ (صغي بن عبيد ولا تطر إلى بصر) وقد أنفوت بصري (فلن تطر بعيني شيئا في أرضي إلى الذين تحت عقولهم عني فأمرحوه وتحت سمعت قطاع قوائي عنهم فإني حلفت بعزتي وجلالي لأقطعن قوائي عن كل من تحمل في طاعتي للحربة والتسويف توضع لمن تعمل ولا تطول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرصادا يتوقون عليها يا داود فلا تخرج مريدا من سكرة هو فيها تنقده فاكشف عندي جهدا ومن كشفته عندي جهدا لا تكون عليه وحشة ولا دلة إلى المحبوبين يا داود فلا تحد كلامي وحدي من نفسك فلا تؤنسن منها عيب عليك بحبتي لا تؤنسن عبدي من رحمتي أقطع شهوات قلبه عن محبتي شهوات الدنيا فإني ما نال الأولياء أن نالوا الشهوات فيها تنقص حلاوة مناجاتي وإني أعقوبه لأولياء عندي في موضع التذلل فإني ما أصل إليهم إن أحب عقوبتهم عني فإني لم أرض لذبائحي ورهنه عهادي ولا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك سكرة عن محبتي أو يقطع طريق على عبادي لمريدي استغن عن ترك الشهوات يا دمان الصوم وبيني وبينك في الإفطار فإن محبتي للصوم إدامة يا داود تحب إلى عبادي نفسك امنعهم شهواتها أنظر إليهم وترى الحجب بيني وبينهم مرفوعة عنهم إذا رأيتني أقوى على نوالي إذا منعت عليك نوالي فتمسك بطاعتي وأوحى الله تعالى إلى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري

لهم
من رحمتي أقطع شهوات قلبه عن محبتي شهوات الدنيا فإني ما نال الأولياء أن نالوا الشهوات فيها تنقص حلاوة مناجاتي وإني أعقوبه الأولياء عندي في موضع التذلل فإني ما أصل إليهم إن أحب عقوبتهم عني فإني لم أرض لذبائحي ورهنه عهادي يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك سكرة عن محبتي أو يقطع طريق على عبادي لمريدي استغن عن ترك الشهوات يا دمان الصوم بيني وبينك في الإفطار فإن محبتي للصوم إدامة يا داود تحب إلى عبادي نفسك امنعهم شهواتها أنظر إليهم وترى الحجب بيني وبينهم مرفوعة عنهم إذا رأيتني أقوى على نوالي إذا منعت عليك نوالي فتمسك بطاعتي وأوحى الله تعالى إلى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله تعالى للمحبة عمر الله

لهم ورفق بهم وشوقهم الى تركه معاصيهم لما توسوقاء وتضعفت أوصافهم من محبتي بد ودهشده رادتي في المدبرين عني وكيف رادتي في المقبلين علي يا داود اخرج ما يكون العبد الى دا استعى عني وارحم ما يكون عبدي دا ادرعي وجل ما يكون عبدي دا رجع الى

فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس وانما تحقيق معناها بان كشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلابد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على تحته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ورد الله سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب ولتأس من الذنب كل الياس ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يا رسول الله ما علامة التوبة قال ندم وتقدم في التوبة (ومعناه اذا أحبه عاب عليه قبل الموت ثم تصره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام) فقد ورد الاسلام يجب ما كان قبله وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب ولتأس من الذنب كل الياس ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه اذا احبه عاب عليه قبل الموت ثم تصره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة عمر الله

لهم ورفق بهم وشوقهم الى تركه معاصيهم لما توسوقاء وتضعفت أوصافهم من محبتي بد ودهشده رادتي في المدبرين عني وكيف رادتي في المقبلين علي يا داود اخرج ما يكون العبد الى دا استعى عني وارحم ما يكون عبدي دا ادرعي وجل ما يكون عبدي دا رجع الى فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس وانما تحقيق معناها بان كشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلابد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على تحته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ورد الله سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب ولتأس من الذنب كل الياس ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه اذا احبه عاب عليه قبل الموت ثم تصره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة عمر الله

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد حسن دون قوله ومن أكثر الخ فرواه أحمد وأبو يعلى بهذه الزيادة وهو عند البيهقي انتهى قلت ورواه ابن لال من حديث أبي هريرة بلفظ من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أحبه الله ورواه الشعراني في الأول والآخر في مبحث مصنف ابن منده وأبو نعيم من حديث أبي وابن شاهين من حديث عائشة (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث) أوله من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته رواه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال الذهبي هو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك عن عطاء وتفرد به خالد عن سليمان ورواه أبو نعيم في أول الحلية من طريق ابن وهب والسراج كلاهما عن ابن كرامة وقد تقدم قريبا (وقال ابن سمعون) لعدوي مولاهم البغدادي الثقة وكان كثير الارسال (إن الله ليحب العبد حتى يسمع من حمده له يقول اجعل ما شئت فقد عرفت الخ) كذا في القوت (وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر) من مشهور ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة إذا أحب الله عز وجل عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وفي حليته من حديث أنس إذا أحب الله عبدا قذف حبه في قلوب ملائكته الحديث (وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمعنى إرادة المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق) ملائم (والعشق) الذي هو أحد مراتبها (عبارة عن الميل الغالب المفرط) المتجاوز عن الحد وقد اختلف في ملائمه وقد ذكر وجه من العلماء في الرسالة القشيرية سمعت أبا علي الدقاق يقول العشق مجاوزة الحد في محمود خلق لا يوصف به محمود الحد فلا يوصف بالعشق ولو جاز وصف الخلق كلهم بالعشق وجدنا لم يبلغ ذلك الصفة قدر الحق فلا يقال في عبد أحمد الحدين عبد الله ولا يوصف الحق به عشق ولا عبد فيه عشق ولا سبيل له إلى وصف الحق لأن الحق للعبد ولا من العبد للحق انتهى والذي نقف عليه بيان المصنف هذا وفي بعض مواضع أخر سبق من كتاب حوائج الإخوان في وصف المدمع لله تعالى وقد صاحب القوت وقد كان أبو يزيد وأبو شعيب المدمع وسري السقطي وأبو عبد الله بن الجلاء والجنيد وغيرهم رحمهم الله تعالى يذكرون العشق في مقامات الخليل ومحب وزاد أبو يزيد ذكر العشق في صفة الله وجعله معشوقا وقد كان يشير إلى ظاهره عن نفسه لنفسه كأنهم يريدون وصف من الحب محبوبا لا غير فعل ولا سبيل لوصف يحلى به ثم قال الأستاذ هذا ليس من معارف العامة ولا يهتدي إليه فهومهم ولا قدح في جوهر عقولهم لقصر صفوهم مكانها ولا انحطاطهم خلقة عنها ولا علومهم بادية فيه فذكره مذكورا لأن العقول تذكره والقلوب تفهمه وهم لا يسري فيه فبذلك كان عليه أحس من شرره وإنما يتسع من ضاق به وقد روينا عن بعض من هذا المقام في الحديث ورد عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه ترغم أنك مقصح أن تدعي عشقي وتحبني عن وقد تقدم بأتم من هذا (وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وتارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة وأحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فما أحب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غيره لم تتعلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والسجر في اسم الجسم دمعنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لان يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله والخلقه) قال السيد الشريف في الرسالة الوجودية التي عربها بعض المعربين بالصرسية ما نصه اعلم ان الوجود له مراتب الاولى وجود مستفاد من الغير وهو المشهور عند العقلاء في ماهيات ممكنات هذا الاندس ثلاثة أشياء أحدها ذات ماهية الممكن والثاني وجوده مستفاد من الغير والثالث هو نفس مفهوم الوجود على الماهية ولا شك ان ممكنات الوجود في هذه الوجودات متصورة اتم تصور ويدرك ان ثلاثة اشياء وجود من حيث ان الممكن كذلك كوجود واجب الوجود عند جمهور المتكلمين فيهما الاندس الاتنية أحدهما ذات الواجب والثاني وجوده والمستفاد منهما ممكنات الوجود من هذه الوجودات تحت لكن باعتبار معاير ثم للذات في تصور يمكن بمكانة الثلاثة موجود بوجوده وذاته غير ذاته لا بغيره فحقيقة الوجود في هذه المرتبة لا يكون الا مرادا حدا وهو موجود وجود الاشياء موجود منه فلا تحد الوجود ولذا ان ممكنا تصور محال وفي الوجودية فوق هذه المرتبة لا يمكن تصور وهذا كمال الواجب الوجود عند المتكلمين وعند الطائفة الصوفية واجب الوجود وجود تحت رمي في واجب الوجود لا يكون شيئا آخر ذات وجود هو عارض لها بل واجب الوجود هو ذات محض قائم بذاته وهم مع الطائفة الاولى متفقون عليه بعد هذا ويقولوا الوجود عين موجود هذا يفهم من بديهيات العقل لا يمكن الوجود أعلى وأقوى من هذه المرتبة وان كان ممكنا كما تصور هذه المرتبة وفيه الوجود لا يدهو واجب الوجود لا هذا وأرباب النظر يقولون ان العقل يحكم ان حقيقة واجب الوجود يعني ان يكون وجود ووجب وجوده لا ينفي ان يكون كليا يعني لا يكون كليا بالعموم عارض له لانه ان كان كليا لامكان يكون في الخارج له صورة فيلزم ان يكون واجب الوجود من كامن كلي وتعين التركيب على واجب الوجود محال بل يعني واجب الوجود لا يكون في حد ذاته متعينا وتعينه غير ذاته حتى لا يتصور بوجه من الوجوه التركيب وتعدد فيه فلا يمكن ان يكون واجب فاعلم انه وان كان فانما ما يعلم فيكون محتاجا اليه وواجب لا يحتاج الى الواجب محال بل تصور لا يحتاج اليه كفر فيلزم ان تكون حقيقة الوجود عين الواجب حقيقة الوجود به يكون متعينا حقيقيا وقد علمت انه غير متعين فحقيقة الوجود بحسب الافراد وعروض حقيقة الوجود ماهيات الممكنات من المحالات وتوهم من هذا ان واجب الوجود وجود مطلق والمراد بالمطلق ان لا يكون عرض ماهية بل قائم بذاته ومقيد تعينه بذاته متعين ومقيد وان اطلاق الوجود على غير واجب الوجود محال لان الوجود عارضه ولا حرزه ولا عينه من موجوديه لاشياء نهاتعين به وله ترتيب ولا يكون الوجود لها عارضا ولا متعينا هذا كلام أرباب البحث والنظر العقل واصوليه يقولون عندنا طريق عن طريق العقل وهو الممكنات تقوا العقل فيها عاجز وقد تقرر عندنا ان حقيقة الوجود عين واجب الوجود وهو لا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام بل مطلق من جميع القيود حتى من قيد الاطلاق أيضا وهذه الحقيقة في جميع الاشياء تتصف بوجود اتجلي والظهور يعني لا تكون الاشياء منسوبة عنه وان كانت منالية من حقيقة الوجود فان لوحظت باعتبار الاطلاق المذكور سميت أحدية الجامعة وباعتبار عدم القيود وتعينات سميت أحدية الصرف اه (وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان لحاق سبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتصور والنقل) قال المصنف في المقصد الاسنى وكما لا يعرف ان الله تعالى حي قادر عالم ثم يعرف أولا الا نفسه ولا يعرف الا نفسه لا يتصور ان يفهم معنى قولنا ان الله سميع والا كيف لا يعرف معنى قوله انه بصير وكذلك في سائر الصفات كيف يكون الله عالما لا شيء فيقول له كيف تعلم أن أشياء قادر فيقول كيف يكون قادرا من لا يعلم أنه لا يمكنه ان يفهم شيئا لا قدر فيه

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والسجر في اسم الجسم دمعنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لان يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله والخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان لحاق سبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتصور والنقل

والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا مما يتصور في حق من يتصف بما يوافقها فتستفيد به كمالا فتعتقد ميله اليها وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال (٦١٢) وجمال وبهاء وجلال يمكن في حق الالهية فهو حاصر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله وبذلك قال الشيخ أبو سعيد المهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال تحق يحبهم فانه ليس يجب الا لنفسه على معنى الكل وان ليس في الوجود غيره فلا يحب الا نفسه وأفعاله لنفسه وصفاته لنفسه فلا يحب رحمته لذاته وتواضع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك له في الازل فحينئذ أحبه أزلي مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم كلامه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سببا في صفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله وخلقه به فهو معنى حبه) فحب العبد لله لاجل حب الله له وحب الله لعبده من أجل حبه له فاسعداه من يعد محبوبا من الله وتابه محمود منهم ونحمد الله واحدة كما لو أحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه قال القشيري في رسالته المحبة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد فالله سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لا تتعلق بالقديم اللهم الا أن يحمل على ارادة القرب اي على التعظيم له ثم قال فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته له لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام والرحمة خص من الارادة ومحبة خص من الرحمة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته به تخصيصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة تختلف تعلقاتها باختلاف أحكامها واذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا المحبة الحق للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل وبعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقى العبد به حالة مخصوصة ترفيه اليها كما قال بعضهم سر رحمته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا المحبة من الصفات لا يجري به ما حاولوا اللفظ ووقفوا على التعبير بما ورد به خبر فهو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشيء والاستئناس بالشيء وكلاهما يحدث المحب مع محبوبه من المحاذين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اه المقصود منه وقوله فان الارادة لا تتعلق بالقديم أي لارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها تخصيص فلا

ما يناسبه فيعلم أولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بما هو كذلك به وصف وخاصية ليس فيما ما يناسبه ويشاركه ولو في الاسم لم يتصور فهمه فلتتعرف أحد الامرين ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتعالى صفات الله تعالى وتقدس عن أن تشبه صفات (والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا مما يتصور في نفس ناقصة فتستفيد به كمالا فتعتقد ميله اليها وهذا محال على الله تعالى فان كل جمال وكمال وبهاء وجلال يمكن في حق الالهية فهو حاصر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله) وهذا أيضا صريح في قول وحدة الوجود وقد صرح بذلك الشيخ الاكبر في مواضع من الفتوحات (وبذلك قال الشيخ أبو سعيد) بضم الباء (محمد بن أحمد) بن محمد (المهني) بكسر الميم وسكون الهاء بعدها نون ثم ياء النسبة الى مهنة قرية بخارات بنى سرخس وأبو ورد وأبو سعيد المذكور يعرف بابن أبي الخير صاحب كرامات وجمع الحديث وغيره توفي سنة ٤٤ (رحمه الله تعالى قرئ عليه قوله تعالى) فسوف يأتي الله بقوم (يحبهم ويحبونه فقال تحق يحبهم فانه ليس يجب الا نفسه على معنى الكل وان ليس في الوجود غيره) اذ وحدته ذاتية وكثرته اعتبارية فهو عين كل في تجلياته من حيث الظهور فقط (فلا يحب الا نفسه وأفعاله لنفسه وصفاته لنفسه فلا يحب رحمته لذاته وتواضع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه) هذا من حيث الحقيقة (وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه) اما (الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه) أي يعني تصيره له ظاهرة (و) اما (الى تمكينه اياه من القرب منه و) اما (الى ارادته ذلك في الازل فحينئذ لمن أحب أزلي مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى) في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم كلامه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سببا في صفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله وخلقه به فهو معنى حبه) فحب العبد لله لاجل حب الله له وحب الله لعبده من أجل حبه له فاسعداه من يعد محبوبا من الله وتابه محمود منهم ونحمد الله واحدة كما لو أحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه قال القشيري في رسالته المحبة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد فالله سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لا تتعلق بالقديم اللهم الا أن يحمل على ارادة القرب اي على التعظيم له ثم قال فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته له لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام والرحمة خص من الارادة ومحبة خص من الرحمة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته به تخصيصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة تختلف تعلقاتها باختلاف أحكامها واذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا المحبة الحق للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل يعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقى العبد به حالة مخصوصة ترفيه اليها كما قال بعضهم سر رحمته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا المحبة من الصفات لا يجري به ما حاولوا اللفظ ووقفوا على التعبير بما ورد به خبر فهو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشيء والاستئناس بالشيء وكلاهما يحدث المحب مع محبوبه من المحاذين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اه المقصود منه وقوله فان الارادة لا تتعلق بالقديم أي لارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها تخصيص فلا

بعبده وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى وخلقه به فهو معنى حبه

ولا يفهم هذا الامثال وهو الملك فقد يقرب عبده من نفسه ويدنيه في كل وقت في حضور ساطه لميل امته اليه اما لبصيرة بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب معاده وشراره فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للائم له وقد يقرب عبدا ولا يحبه من الدخول عليه لالا نتفاع به ولا لالا ستحاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة مما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وقد يحط من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل (٦١٣) وحب نفسه الى الملك حب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في حقه منزه عن صفات البهائم والسباع والشياطين وانحطاط مكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فرب عابس يفهم ان القرب له تجدد فقد تغير وصف العبد وقرب حبيبا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ لا تغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا الامثال في القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا ويتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل يقرب في الصفات أيضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجلاله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وأتم علما وأحاط بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر براءة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاورته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية في كماله وصول العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة) فضلا

تتعلق بما قديم كما لا تتعلق بالمستحيل وحاصل ما ذكره من الاقوال أربعة وهي ترجع الى قولين الارادة والكلام لرجوع نفي الى الارادة والخبر يرجع الى الكلام (ولا يفهم هذا الامثال وهو الملك فقد يقرب عبده من نفسه ويدنيه في كل وقت في حضور ساطه لميل امته اليه اما لبصيرة بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب معاده وشراره فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لالا نتفاع به ولا لالا ستحاد) في خدمته (ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية والخصال الحميدة مما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وقد يحط من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل) الى الملك (وحب نفسه الى الملك حب الله) تعالى (للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في حقه منزه عن صفات البهائم والسباع والشياطين) من الحرص والشبع والكبر والغضب والشهوة وغيرها من الرذائل (وانحطاط مكارم الاخلاق) ومحاسنها (التي هي الاخلاق الالهية) وقد تقدم ذكرها (فهو قرب بالصفة لا بالمكان) فان ذلك ظاهر (غير أني مشاهد من عبدي بن الله تعالى لانه ما تخلق باخلاقه كان شبيها به ومعلوم شرعا وعقلا انه تعالى ليس كمثله شيء وانه لا يشبهه شيء قلت لا ينبغي أن يظن ان مشاركة كل وصف توجب المماثلة بل المماثلة عبارة عن المشاركة في النوع والمماثلة بنوا خاصة الالهية لا يتصور فيها مشاركة البتة (ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فرب عابس يفهم ان القرب له تجدد فقد تغير وصف العبد وقرب حبيبا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ لا تغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا الامثال في القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا ويتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل يقرب في الصفات أيضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجلاله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وأتم علما وأحاط بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر براءة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاورته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية في كماله وصول العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة) فضلا

عن المجاورة (ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له أيضا لاحتمال ارتفاع الهية عن ذلك الكمال) وسبب ذلك تفاوت درجات القرب فيه ونهم في درجات المعرفة وعما كان هذا التفاوت لا نهاية له لان ما لا يقدر الآدمي على معرفته من معلومات الله تعالى لا نهاية له وما يقدر عليه أصلا لا نهاية له وان كان ما يدخل في الوجود منه متناهيا ولكن مقدور الآدمي من العلوم لا نهاية له وان كان ما يدخل في الوجود متناهيا بالخارج الى الوجود متفاوتا في القلة والكثرة وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة والكمال والقرب (فاذا أحب الله تعالى للعبد تقربه من نفسه بدفع الشواغل والعوائق عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه فيحبه ومحبة العبد لله هو وسيلته الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه) وعرى عنه (فانه لا بد أن يشتاق الى ما فاته وادا أدرك منه شيأ يلتذ به و يشوق و لمحبة هذا المعنى يحال على الله تعالى فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فيعرف العبد انه حبيب الله تعالى بدليل يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا) هكذا هو في القوت ورواه الطبراني من حديث ابي عتبة الحولاني وقد تقدم قريبا (فعلامة محبة الله للعبد انه يوحشه من غيره و يحول بينه و بين غيره) فلا يستأنس بسواه (قيل لعيسى عليه السلام لا تشتري حمارا فتركبه) فانه كان كثير السياحة على رجليه و يقتدي به بعض الحواريين (فقال انا أغار على الله تعالى من أن يشتغل عني بغيره) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن ثابت البناني قال قال لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا تركبه فقال انا أكرم على الله من أن يجعل بيني وبينه شيأ يشغلني به (وفي الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه) هكذا في القوت وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده (وقال بعض العلماء اذا رأيت يحب الله ورأيته يتبتل فاعلم انه يريد ان يصطفيك) كذا في القوت و يشهد له ما رواه البيهقي في الشعب من مرسل سعيد بن المسيب اذا أحب الله عبدا ألحقه بالابتلاء فان الله يريد ان يصافيه (وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت اشيأ من المحبة فقال يا بني هل اتلذذت بمحبوب سواه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه) أي يختبره كذا في القوت (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ اذا أراد الله بعبد خيرا اه قلت وليس عند الديلمي قوله زاجرا من قلبه (وقد قال) صلى الله عليه وسلم (اذا أراد الله بعبد خيرا صيره يعيب نفسه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه باسناد ضعيف وقد تقدم (فتخص علاماته تعالى فانه يدل على حبه) له (وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه بسره وجهره فيكون هو المشير عليه و بدر لامره والمرتب لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجامع لهمومه فهو واحد و لبعض الدنيا في قلبه والموحش له من غيره و لمؤنس له بلذة المناجاة في خلوته و بكاشفه له عن الحجب بينه و بين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة محبوب الله) تعالى (للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضا علامات

حب

يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه بسره وجهره فيكون هو المشير عليه و بدر لامره والمرتب لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجامع لهمومه فهو واحد و لبعض الدنيا في قلبه والموحش له من غيره و لمؤنس له بلذة المناجاة في خلوته و بكاشفه له عن الحجب بينه و بين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة محبوب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضا علامات

حب الله) تعالى (للعبد والله الموفق) * (القول فى علامات محبة العبد لله تعالى) *
(اعلم) وفقك الله تعالى (ان المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى)

فكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

(فلا ينبغى أن يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع بعض) المكارة (مهما ادعت محبة الله تعالى) والشوق اليه والانس به (ما لم تجدها بالعلامات) الدالة على دعواها (و) ما (لم يظهر له براهين) الكشفية (والادلة) العقلية (والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت) فى أرض القلوب (وفرعها فى السماء) أى فى عالم الارواح (وثمرها تظهر على القلب) فتولد المعرفة (و) على (اللسان) فتورث الذكر (و) على (الجوارح) فتثمر الاعمال (وتدل ثلاث الآثار الفائضة منها على القلب) واللسان (والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهى) أى ثلاث العلامات (كثيرة) ولكن ذكر منها نحو عشرة قال (منها حب لقاء الحبيب الطريق اليه) ولكشف والمشاهدة فى دار السلام) ومحل القرب (فلا يتصور أن يحب لقاءه ولا يحب مشاهدته ولقاءه وداعى له) وصول (الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها الموت وهو أن يكون محبا للموت غير فار منه فان الحب لا يقف على الصبر على مستقر محبوبه ليتم مشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول فى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب وروى البيهقى من حديث عائشة الموت تحفة وروى الديلمى من حديث جابر الموت تحفة (قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاءه كره الله لقاءه قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة وعائشة اه قلت رواه البيهقى كما سبق وأحمد والدارمى والشيخان والترمذى والنسائى وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبى موسى ورواه مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة ورواه النسائى والطبرانى من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريقين الاولى حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا أبو هشام يعنى الرفاعى حدثنا محمد بن يزيد الادمى حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد مولى ابن عياش قال حدثنى من دخل على حذيفة فى مرضه الذى مات فيه فقال لولا أنى أرى ان هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم انى كنت أحب لقاءك على العمى وأحب الفاقة على الغنى وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله الثانية بالاسناد الى ابراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الجريرى عن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحديث الذى سبق فى الصبر وعلقها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله أن تكون فى العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) قال صاحب القوت وقال (تقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الاعمال كما ورد به الاخبار (وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق فى الحب القتل فى سبيل الله حيث قالوا ما أحب الله فجعل القتل فى سبيل الله وطلب شهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وقال يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) وجعل القوت وقد شرط سبحانه لحقيقة الصدق القتل فى سبيله وأخبر به يحب قتل محبوبه فى قوله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا بعد قوله معبرا لهم بما تقولون مالا تفعلون حيث قالوا ما أحب الله فجعل القتل محبة محبته وعلامة تحققه قال محبوبه ونصه الذى يقول يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت خرج أحمد والدارمى والترمذى وابن أبى حاتم والبزار والبيهقى من حديث عبد الله بن سلام قال تعدنا ما عراس

شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وثمرها تظهر على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهى كثيرة منها حب لقاء الحبيب طريق اليه والكشف والمشاهدة فى دار السلام فلا يتصور أن يحب لقاءه ولا يحب مشاهدته ولقاءه وداعى له وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت وهو أن يكون محبا للموت غير فار منه فان الحب لا يقف على الصبر على مستقر محبوبه ليتم مشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله أن تكون فى العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود وقد قدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق فى الحب القتل فى سبيل الله حيث قالوا ما أحب الله فجعل القتل فى سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وقال عز وجل يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون

أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذاكر بعضنا بعضا أي الاعمال أفرب الى الله تعالى لنعملنا به فنزل الله تعالى قوله سبح لله الآيات وفي حديث ابن عباس كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله دلنا على أحب الاعمال فنعمل به الحديث أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وقتادة تراه في نفر من الانصار منهم عبد الله بن رواحة فاوا في مجلس أيهم لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملناه حتى نموت فنزل الله فيهم أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر وقد تقدم في كتاب الصبر مفصلا (وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء عفا حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركه وان مكثت عاش بعض أهلك لك من الموت وان تحجره) هكذا هو في القوت ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسين حدثنا نصر بن موسى حدثنا حلاد بن يحيى حدثنا فطر بن خليفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما احتضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال اتق الله يا عمر واعلم ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا وان الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم فقل اني لاخاف أن لا أحق بهم وان الله تعالى لم يذكر أهل النار فذكرهم بسوء أعمالهم ورد عليهم أحسن ما كانوا يعملون فاذا ذكرتهم فقل اني لارجو أن لا أكون مع هؤلاء لكون اسمي غير اسمائهم لا يمني على الله ولا قدم من رحمته فان ثقلت موازين عملك بالليل عن أن تقبله بالنهار فحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يثقل وحق لعمل لا يقبل بالليل أن يثقل وان خفت موازينك بالليل فحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يخف وحق لعمل لا يقبل بالليل أن يقبل بالنهار وان تحجره من الموت وهو آتيك وان أنت ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت وهو آتيك وان أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وروى أبو نعيم في ترجمة ابن مسعود قال الحق ثقيل مرىء والباطل خفيف وبيء وشهوة ثورث حزنا طويلا (وروى أبو نعيم في ترجمة ابن سعود عن أبي وقاص) مالك روى عن أبيه (قال حدثني أبي) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ان عبد الله بن جحش) بن رئاب بن يعمر الاسدي رضي الله عنه حليف بني عبد شمس أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد السابقين هاجر الى الحبشة وشهد بدرا وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجحش بن رئاب (قال لما كان يوم أحد قال ألا تدعو الله فخلونا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني أقسمت عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده) بحركة أي غضبه (أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني) أي يقطعهما (ويبقر بطني) أي يشقه (فاذا لقيتك غدا قلت) أنت (يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك يا رب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط) قال الهروي في رواه الطبراني من طريقه أبو نعيم في الحلية واسناده جيد اه قلت بقاء أبي نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا طاهر بن عيسى المصري حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ذكر الحديث ورواه البغوي من هذه الطريق وفيه أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد الا نأتي فندعو قال فخلونا في ناحية فدعا سعد فقال اللهم رب اذا لقينا القوم غدا فلقني رجلا شديدا حرده أقاتله فيك ثم ارزقني عليه حتى أقتله وآخذ سلبه قال فأمن عبد الله بن جحش ثم قال عبد الله اللهم ارزقني رجلا شديدا حرده أقاتله فيك حتى يأخذني فيجدع أنفي وأذني فاذا لقيتك قلت هذا فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فكانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي لقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقة في خيط (قال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين حدثنا محمد بن حمص الاقني قال حدثنا ابن الصباح حدثنا سفيان بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال قال عبد الله بن جحش اللهم ارزقني عليك أن ألقى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني جميعا ثم تسألني فيم ذلك فأقول فيك قال سعيد بن المسيب فاني أرجو أن يبر الله آخر

وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء عفا حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركه وان مكثت عاش بعض أهلك لك من الموت وان تحجره وروى أبو نعيم عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني أقسمت عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فاذا لقيتك قلت فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط قال سعيد بن المسيب أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله

قسمه كما ذكر أوله وأخرجه بن ساشين من وجه آخر عن سعيد بن مسلم أحد الزهاد مع عبد الله بن بحش قد ذكر نحوه قال الحافظ وهذا أخرجه عبد الله بن مبارك في الجهاد مرسلا (وقد كان) حبيب (الثوري وبشر) بن الحرث (الحافي) رحمهما الله تعالى (يقولان لا يكره الموت لامرئ) أي شخص (من الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه) فقال له صاحب له قوت (فقال) أبو يعقوب يوسف بن يحيى البصري (البويطي) بضم الموحدة وفتح الواو وسكون التحتية نسبة الى بويط قرية بمصر بالصعيد الادنى وهو صاحب الشافعي رضي الله عنه عنه وقد كان زاهدا معدا قال له ذلك امام فقوس في أحد بيديه وقيدا معدا سنة ١٣١ في محنة القرآن (لبعض الزهاد أتحب الموت فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا ما أحببت الموت لقوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه) قاله صاحب القوت وقال هذا كما قال أبو يعلى لان الانسان اذا صدمت نوازله طلب الموت خشية الحول عن حاله فكان كذلك كان هو الذي هو حب الله لان مقام الرضا أعلى من مقام تمني الموت فبذلك قال لا يتمنى الموت للضر ينزل به أي ويرضى به فيقبض على مقام الرضا اهـ والحديث المذكور رواه المصنف ورواه الشيخان والحاكم من حديث طلحة بن عمر والبغوي ورواه أحمد من حديث عباس العماري ورواه الطبراني وصاحب الحلية من حديث خباب وزاد في رواية له أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو يبني حائطا له وفي رواية له أنه مر بقبر فقال يا ليتني مكانك وزاد في رواية أحمد وأبي يعلى من حديث أبي هريرة ورواه أحمد وابن شيبة نحوه ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة وزاد في رواية له ولا يدع به من قبل أن يأتيه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وزاد في رواية له أن الميت ينقطع عمله الا أنه لن يزال في عمله خير ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بزيادة فانه لا يدري ما قدم لاهله وما يؤول اليه بعده انما قاله اضر نزل به فقد رواه البيهقي وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان من حديث أنس ان الله لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي (فاستحب أن لا يحب الموت لهول يتعذر أن يكون محبته تقتضي كراهة الموت فتكون محبة الدنيا) (فكأنه توقف) في قوله لو كنت صادقا لاحببت الموت وقال لا يلزم من عدم محبة الموت عدم محبة الله تعالى لان المحب الكامل هو الذي يستغرق كل أوقاته في حب الله تعالى فلا يتعذر أن يكون لا يحب الموت لهول يتعذر أن يكون محبته تقتضي كراهة الموت فتكون محبة الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان المحب الكامل هو الذي يستغرق كل أوقاته في حب الله تعالى فلا يتعذر أن يكون لا يحب الموت لهول يتعذر أن يكون محبته تقتضي كراهة الموت فتكون محبة الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد شائبة من حب الله تعالى (فقد كان الناس متفاوتون في الحب) ويدل على التفاوت ما روى ان أبا حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج حبيبة فاطمة من سالم مولاه عائشة قريش في ذلك وقالوا أتكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى وقال وهو بقد أتكحته اياه وهو يعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله

فقالوا وكيف وهي أحب وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى هذا (هكذا هو في بعض نسخ الترمذي لم أره من حديث عمر في حديث وروى أبو نعيم في الحلية مرفوعا عن حديث عمران من أحب الله يحب الله حتى من قلبه وفي رواية له ان من أشد الحب لله عز وجل ما عشقت فيه امرأة قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حازم بن سعيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثني أبو أسامة وكانت له صحبة قال حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر رجلا فقال يحب الله حتى من قلبه وحبيب بن يحيى عن عبد الرحمن بن عمر عن ابن عمر حدثنا عبد الله بن سليمان قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن خارجة بن عبد الله عن حبيب بن يحيى عن عبد الرحمن بن عمر عن ابن عمر قال قدمت المدينة في زمن فتنة فأتيت عبد الله بن الارقم فقلت حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس وابن عمر وابن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان حالا شديد الحب لله لو كان لا يحب الله ما عصاه فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال صدق فالحالق تعالى اسوره حتى حدث الله له ذلك اسوره وقال عبد الله بن الارقم حدثني بهذا الحديث فلان لا أشك عن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن الارقم حدثنا أبو محمد بن أبي قحافة حدثنا محمد بن عثمان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب الرجل يقاتل غضبا ويقاتل حمية وهذا يدل على ان من أحب الله لا يحب الله منه شيئا ويحب معصيته فلازم يكون بغيضا الى الله عند الله مبغضا له وهو كالمحب الذي وصله الحب المقدوم عليه على قدر حبه وعذابه يفراق الدنيا عند أبوب على قدر حبها (وأما السبب الثاني للكراهة) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره المحبوب ولكن يكره عدم وصوله اليه لعلمه بأنه لا وصول الا بعد الموت وذلك يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الحبر بقدوم محبوبه عليه وحب أن تتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره وبعده أسبابه وبقيته كهيئة وقارع القلب عن الشواغل خفيف انظهر عن العوائق فانكر هذا لسبب لا لذاته فكان الحب أصلا وعلامته الذوب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

فقالوا وكيف وهي أحب وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى هذا (هكذا هو في بعض نسخ الترمذي لم أره من حديث عمر في حديث وروى أبو نعيم في الحلية مرفوعا عن حديث عمران من أحب الله يحب الله حتى من قلبه وفي رواية له ان من أشد الحب لله عز وجل ما عشقت فيه امرأة قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حازم بن سعيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثني أبو أسامة وكانت له صحبة قال حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر رجلا فقال يحب الله حتى من قلبه وحبيب بن يحيى عن عبد الرحمن بن عمر عن ابن عمر حدثنا عبد الله بن سليمان قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن خارجة بن عبد الله عن حبيب بن يحيى عن عبد الرحمن بن عمر عن ابن عمر قال قدمت المدينة في زمن فتنة فأتيت عبد الله بن الارقم فقلت حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس وابن عمر وابن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان حالا شديد الحب لله لو كان لا يحب الله ما عصاه فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال صدق فالحالق تعالى اسوره حتى حدث الله له ذلك اسوره وقال عبد الله بن الارقم حدثني بهذا الحديث فلان لا أشك عن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن الارقم حدثنا أبو محمد بن أبي قحافة حدثنا محمد بن عثمان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب الرجل يقاتل غضبا ويقاتل حمية وهذا يدل على ان من أحب الله لا يحب الله منه شيئا ويحب معصيته فلازم يكون بغيضا الى الله عند الله مبغضا له وهو كالمحب الذي وصله الحبر بقدوم محبوبه عليه وحب أن تتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره وبعده أسبابه وبقيته كهيئة وقارع القلب عن الشواغل خفيف انظهر عن العوائق فانكر هذا لسبب لا لذاته فكان الحب أصلا وعلامته الذوب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في جميع أحواله) لأن محبة الإنسان غير محبوبه وصفاته تغلب عليه لا يراه ويعرض عن الأمر بالعقل والنصح للمحب فهو في الحقيقة ليس بمحب لأنه لم يؤثر محبوبه ولا يعرف لا يؤثره وقد أشار إلى هذه الآية بقوله (فيؤثر مشتهى نفسه على محبوبه ويعرض عن دعوة العقل) أي نصيحته (ولا يراعي الحق في جميع أحواله مع قيام الدليل) الذي يوجب الحق (لا يراعيه ولا يعمل به وهو أحد الأسباب المبعدة عن المحبوب (و) قال (ذو النون) أي المصري (رحمه الله تعالى) (كل يطلب محبة ولا يقدر في نفسه محبة ولا يؤثر محبوبه على هواه فهو مدع) أي كذاب وفقره الله تعالى (وقد أنزل الله عليه آية (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) أي كما يحب المؤمنون الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) أي من حب هؤلاء لأندادهم (أي أكثر حبا لله من حب هؤلاء لأندادهم) أي آلهتهم (فأول علامات المحبة الإيثار للمحبوب على النفس وأول علامات المحبة الإيثار للمحبوب على النفس وصف الله تعالى المحبين بالإيثار ووصف الكفار بضد ذلك في قوله تعالى يحبون من هاجر إليهم ولا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي جعل هواه إلهه يعبده من دون الله (وأضله الله على علم) أي على علم منه بأنه ضال (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أي غطاء (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد إضلاله إياه (أفلا تذكرون) أي تتعظون (وقال تعالى أف

هكذا أنشده صاحب القوت بعضهم (وقال سهل) التستري (رحمه الله تعالى علامة الحب ايثاره على نفسك) ورحمه القوت لا يزيد يشهد لتحب تعلامة حبه ايثاره على نفسك (و) قال (ليس كل من عمل لطاعة الله عز وجل صار محبا ولكن المحب من احب ما هي) والمعنى القوت وكل من يحب ما هو عليه صار حبيبا (وهو كما قال لان محبة الله تعالى لا تستحق الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا أحب الله عبدا تولاه ونصره على أعدائه واعاد عدوه نفسه وشهوته ولا يحبه ولا يكله الى هواه وشهوته وذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) وبعضا القوت عن هذا أورد كلام سهل وهذا كما قال لان محبة تستدعي ترك المخالفة ولا تتأتى مع ارتكاب المعاصي فمن عمل لطاعة ليس بمحب وانما هي لازمة لمن أحب الله فمن أحب الله لا يعصيه ثم المحب قد يصر على المعاصي لغلبة شهواته ويصر على الطاعة لغلبة محبته فتصاعف الى سبعين ضعفا ويصر على المعصية بضاعف لا نهاية لها كأنه أقيم مقام محبة الله لان محبة الله عبودية لله وعبودية الله هو الهوى هو حقيقة الحب الذي يشرف صاحبه ويرفعه الى أعلى عليين وقد ترك هواه لقدر ما بقي من محبته في ذلك لوجه الله والجهاد في سبيل الله ومن أجل ذلك صوعفت حسناته ومن أجله أنفق ماله في ذلك لوجه الله لا لغرض آخر فهو شديد لانه لله يحب ابدين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فمن أحب الله وهو مقيم على معصية لغير ما ذكرنا فهو محال قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم قال بعض العلماء أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فمن أحب الله لا يوادي من حاد الله ولو كان أقرب قريب ومن لم يحب الله فهو يوادي من حاد الله ولو كان أبعد بعيد (قال بعضهم من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدودها لا تصدق دعواه) وإلى هذا ذهب أبو عثمان المغربي وغيره (فقال بعضهم من ادعى محبة الله وهو مصر على ذنب يحبه أو ترك شيء يحبه الله وهو مقيم مع العلم بأنه يبصره فهو دليل على عدم محبته لله ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيقع في المعصية ثم تحجبه عن مقام المحبة) ويدل عليه ما روي أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فجلده في مدة يرتكبها الى أن أتي به يوما فجلده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة ثم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان لا يعاب في ظاهر الشرع يحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب أحب الله حبا تابعا وترك المعاصي) وبعضهم قال اذا كان لا يعاب في ظاهر الشرع يعني على ظاهر كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن القلب وكان في سويدائه أحب الله حبا تابعا ومحبته دلك ان يطرد كل ما يكون حجابا بينه وبين الله على جميع هواه ويحب محبته على هوى نفسه حتى تصير محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو محبة حق كما يراه المؤمن به حقا في مشاهدة الغيب الذي يغيب رؤيته عن رؤيته الحق فيشهده في كل شيء ويكون واحدا لا دون كل شيء فقد تجلى من أبغض كل شيء فاذا رأيت قلبك دون ذلك فاعلم أن من دون محبة سوء بقدر ما لك من شرب اليقين ومن شهادة الحق ولو جعلتهم دون الخلائق وذلك يضاعف حتى شهادة التوحيد ومن المحبة عدم ذلك في مقام الخالصين أو شوبا بالشرك الخفي بالاعتراض والواسطة وفي الخلق من عموم مخلص وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب محل الايمان وباطنه محل الايمان فمن ههنا تفاوت المحبة في محبة المسلم الايمان على الاسلام وتفاضل الباطن على الظاهر وقرن

بعض علماء شيوخنا لعلك والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة في القلب تحويفات فالتحويف الذي هو مكان العقل والتحويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فجعله لاسلامه مقترنا على خلق وهي متصلة بأداء الفرائض واجتناب المحرم طاعة وتحبة له وما تحبة المقترن في مشاهده معاني صفاته ومعرفة أحكام الذات وعبادة اوثان بأعيان والتحبات وعبادة الحسن للاحسان والاحسان عليه وهي مخصوصة لخصوصيين والاصل في هذا ان المحبة عن المعرفة وبها المعرفة عموم وخصوص فخصوص المعرفة وهي حقيقة المحبة والعموم منهم عموم محبة انتهى وقال الكمال محمد بن أحمد الصوفي ويدل ترجمة جدي ان العاصي يكون محبا حكما لا حقيقة لا يطلق اسم الايمان على مرتكبه مؤمن حكما لا حقيقة وهو مذهب قاعدة به كشف سره وله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لان ذهاب الشهوة يحبط ثمره عن الوعد والوعيد فصار كالعدل عن الايمان كالنوم فالعدل يسمى مؤمنا حكما لا حقيقة لان حقيقة الايمان حضور معه مع الله أو شهوده لآيات الله على وجوده فالعدل العاصي عن هذا تعزل والانسان خلق في الاصل محمولا على العدالة وعلى الرجوع الى الاحوال التي به وانما رجعه الشرع عن حالة شريفة بعصيان وترامى في أوقات متقاربة يرجع الى حقيقة ذلك الله تعالى قاسم الناس في رجوعهم الى الله تعالى والى الدار الآخرة الا قسمان (وما جاء في دعوى المحبة خطر) عظيم وقد قال بعض علمائنا ان علم التوحيد انتهت اليه ودائع المحبة وودائع المحبة هم التوكل فمن ايمانه وخالص فرضه وسببي ذلك بقيه (وذلك قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى في فرض المحبة (فاذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت فان مت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصدق وصف المحبين فاحذر المقت) نقله صاحب القوت (وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يحقق شيئا من ذلك) وقد صحب بعضهم رجلا ادعى المحبة فقال له عالم خوفه على أهل الله ما يرجى انه يعفى عنهم ويسامح بهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يعذبون بكل شعرة مما لابسته وكل حركة وسكون وكل فكرة وخطرة لله تعالى وفي الله تعالى ومع الله تعالى (ومن) أي من علامات حب العبد لله تعالى (أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى) أي مولعا به (لا يفتر عنه لسانه ولا يحلو عنه قلبه) بل يكون القلب موادا لله تعالى في حال الذكر (فان أحب شيئا أكثر ذكره بالضرورة من ذكره) كما ورد في الخبر من أحب شيئا أكثر من ذكره وروي صاحب الحلية من حديث عائشة وقد تقدم وكثرة الذكر دليل محبة المذكور والذكر وهو من أفضل منته على خلقه وفي الخبر لله تعالى في كل يوم صدقة يمن بها على خلقه وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره وروى سفيان عن مالك بن مغول قيل يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال حتاب المحاربة ولا يزال لسانك رطبا من ذكر الله وروى أكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وفي حديث أبي سلمة عن أبيه عن جده ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (و) كذلك من أحب شيئا أكثر من (ذكر ما يتعلق به علامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه) وتكثر ره على الاستماع والنظر (وحب رسوله صلى الله عليه وسلم) الذي هو حبيبه وصفيه وكذا حب سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام لان الفضائل المتواترة عنهم موجبة للمحبة وحب الملائكة لتشرفهم في ذواتهم ولما أضفى الله عليهم من الاستغراق مع العبادة ويستحب حب بقاعه التي هي خدمة ويتأكد الاستحباب للاولياء لما لهم خصوصية وكذا للمؤمنين على حسب درجاتهم قال تعالى تحبونهم من هاجر اليهم (و) كذا (حب كل من ينسب اليه) أي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لادة وكذا اتباعهم لنسب الصاهر ونحو (فان من يحب شيئا يحب) كل ما يتعلق به حتى يحب (كلب محلته) وقصة مجنون بني عامر مع كلب وقع صره عليه فاحمه وهو يبكي لمن سأله عن ذلك ما به آه مرة في حي يلي وليه * أحب هذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وما أحب في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصدق لمحبين فاحذر المقت وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يحقق شيئا من ذلك ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يحلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته

(قوله اذ هو يحب تعلق بمحبوب وكل ما كان بسبب محبوب وتعلق به وتعلق بسببه وذلك يبين شركة في المحبة) وكل محبة يقتضي دفع الاشتراك (فمن أحب رسول الله وآله ورسوله) أحب (كلامه لانه كلامه فهو يحبه ويحب كل من يحبه) وغيره تكليفه (أحب جميع خلق الله لانهم خلقه) وتصنيفه وابداعه (فكيف لا يحب القرآن وكلام رسوله) وملائكته (والله تعالى يحب) الا ان يحبه في بعض الامور كما ورد في كلام رسوله (والله تعالى يحبكم) فاحبوه (لو خلت المصاحف عن الكتابة لاستحال على الخلق حفظ القرآن) وكذا لو خلت قلوب المؤمنين عن حفظه (وورد) ما يحقق هذا في كتاب الله تعالى (والله تعالى يحبكم فاحبوه) فاحب قوم الله تعالى (لو كان محبوب الله تعالى) أصل (لا يحب لا على كمال الا يحب ولا قوى محبته حتى تتعدى الى ما هو محبوب لا كمال لا يحب وذلك لو وجب اعادته عند خوف الحوف أو لزحامه لاجتماع على ختم وجوبه وقد ذكر بعض العلماء ان سبب ما وقع من أن عائشة رضي الله عنها وعنه وعنى الله أن يكشف عن الحق في ذلك فان قلت هذا يدل على أن بعض المؤمنين يجوز له قول على بعض المكروه وبعضهم ذكر هذا من بعض حسنات درجة أول لكن البعض الذي ورد في حقه ما ورد صار مغفورا له بسبب حسناته حرم عليه ذلك ولو تكلم بما يبغضه الله يدخل في عموم حرمة عليه ذنب وبعض هذا لها لكان أقبح من بعض (وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بعده وأحبوا بيته لحبي أهل بيتي وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لله تعالى وأبغض لله تعالى وأعطى لله تعالى ومنع لله تعالى فقد استكمل الايمان) فقد صاحب القوت لانه قال وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لله تعالى وأبغض لله تعالى فقد أحب الله تعالى (وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة العبادة في سر الارادة فاقمت فريضة القرآن) أي في أول السلوك وابتداءه (فقطعت عن التلاوة) أي سكوت (فدامت) أي داومت على (فريضة القرآن لاوجدت لذتي فيه) أي سكوت (فقطعت عن التلاوة قال فسمعت هاتفا يقول لي امام كنت ترعم انك تحب ثم تحبوب كنا ما ذرت) وعطا قوت أما ترى (ما فيه من عدم عن) فقد صاحب القوت وقد تقدم في بدء محبة القرآن تعبدوا يا أولي الاذهان على التلاوة قال صاحب القوت فتوهم بعض الصالحين لا يكون العبد مريدا حتى يتعبد في القرآن كل ما يريد (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (لا ينبغي أن يدل أحدكم عن نفسه لا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة) قال صاحب القوت (ومنها) أي ومن علامات المحبة (أن يكون أنس بالله ومناجاته تعالى وتلاوة كتابه وهو أنس عن التهجد) وهو نام الليل (ويغتنم هذا الليل) أي سكونه (وصفاء الوقت بقضاء الاوطار) أي الاوتار (وفل دوحات الحلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته في كل الدوم ولا تشتغل بحديث الدنيا بعد وطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته) وفي الحديث القدسي

كذب

أحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة العبادة في سر الارادة فاقمت فريضة القرآن فقطعت عن التلاوة قال فسمعت هاتفا يقول لي امام كنت ترعم انك تحب ثم تحبوب كنا ما ذرت وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يدل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها أن يكون أنس بالله ومناجاته تعالى وتلاوة كتابه وهو أنس عن التهجد وهو نام الليل ويغتنم هذا الليل أي سكونه وصفاء الوقت بقضاء الاوطار أي الاوتار وفل دوحات الحلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته في كل الدوم ولا تشتغل بحديث الدنيا بعد وطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني ألا يعلمهم جعل سهر الليل في مقام تعبيه فذكر الله تعالى ذلك اذا قامه مقام الشوق فاما اذا نزل عليه السكينة وآواه الانس في القرب استوى نومه وسهره ثم قال رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وأما المحبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينام مثل ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم تكن أحوالهم على ما يدعيه (قيل لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (وقد نزل من الحمل من أين قنعت قلة النوم الانس بالله) يشير الى ما يجده من حلاوة مع الله تعالى ومناجاته وقال أحمد بن أبي الحواري ذكرت عن أبي سليمان الداراني قريبا مما حكيناه عنه ما لفظه جل الله تعالى وتعالى أحداث الليل والنهار أهل المحبة أنهم وحبيبهم ومحبوبهم على حبهم أشرف الجليل الخاطر جل جلاله عليهم فقال يحيى بن معاذ الرازي والله لو خيروا بين مشاهدته وبين الجنة لاختاروا مشاهدته ولو خيروا بين مشاهدته وبين الجنة مع مشاهدته لاختاروا مشاهدته ولو خيروا بين مشاهدته وبين النار مع مشاهدته لاختاروا مشاهدته وقال الواسطي ما ظن من ظن أن المحبين يسكنون الى الجنة وقال أبو سليمان الداراني لو خيروا بين الجنة والنار لاختاروا النار لئلا يحجبوا عن النظر اليه وقال أبو يزيد البسطامي رأيت ربي في المنام فقلت كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال وقال الواسطي ورد في الخبر ان الله تعالى يقول لداود عليه السلام كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني ألا يعلم أحبائه أين مواطن خلوتهم بي أيطلع غيري على ما يكابدون من لطيف مناجاتي أم كيف يحتجب عني من هو في قبضتي وبعيني أقلبه في تصاريف مشيتي أم كيف يسكن غيري من لا يسكن الا بي أم كيف يأنس بغيري من لا يأنس الا بقربي أم كيف يتنعم بغيري من لا يتنعم الا بحبي أم كيف يتلذذ بغيري من لا يتلذذ الا بذكري أم كيف يطلب الراحة في غيري من نصب نفسه لخدمتي أم كيف يطلب الراحة لغيري من جعل نفسه لي نصبا وقال الواسطي أيضا ورد في الخبر ان الله تعالى يقول لداود عليه السلام كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني ألا يعلم أحبائه أين مواطن خلوتهم بي أيطلع غيري على ما يكابدون من لطيف مناجاتي أم كيف يحتجب عني من هو في قبضتي وبعيني أقلبه في تصاريف مشيتي أم كيف يسكن غيري من لا يسكن الا بي أم كيف يأنس بغيري من لا يأنس الا بقربي أم كيف يتنعم بغيري من لا يتنعم الا بحبي أم كيف يتلذذ بغيري من لا يتلذذ الا بذكري أم كيف يطلب الراحة في غيري من نصب نفسه لخدمتي أم كيف يطلب الراحة لغيري من جعل نفسه لي نصبا وقال سهل رحمه الله تعالى حد المحب عبد الله من معصيته بعد معرفته وهو أن يكون الله غير الله وأنس بالله وقال ذو النون (وروي في قصة برخ) عبدا أسود يقال له برخ (وهو العبد الاسود الذي استفتى به موسى) عليه السلام (وهو سيد العابدين) (هو الذي الانس به عز وجل) موسى (يوم ناجاه ربه عز وجل) عليه السلام (بطرح نعليه) (هو الذي الانس به عز وجل) موسى (يوم ناجاه ربه عز وجل) عليه السلام (بطرح نعليه) (ومن أحبني لم يسكن الى شيء) هذا صاحب قوت القلوب وقال السكون في هذا الموضع الاستراحة الى الخلق والانس بهم والسكون في معرفة الله الى شيء دون الله تعالى والاطمئنان اليه وقد ذكر بعض العلماء الحكماء المعتبرين أهل المعرفة قد لم يزل مراح أمانيه موسى لانه أقامه مقام المحبة فاستحيا أن يواجهه بذلك أي وهو قد سمع برح بذلك اذ لم يوقفه عليه وهو يعلم أي لانه علم وكان هذا جوابه ثم أنه لم يخبر موسى بما هو عليه دون أن يخبره هو بما هو عليه فجاوبهم بذا قال فالمقربون من المحبين انما أنعمهم بالله وروحهم ورحتهم اليه من حيث كان لؤمهم به وحده وذلك في سماع كلامه دنوا منه على قدر أحوالهم بالله عز وجل (ويروى ان عابدا عبد الله تعالى ثمانين سنة فلم يعرفه) أي زمانا وهيئة (فكان المتعبد شعره (فصعد الى طائر وقد عشش في شجرة) أي اعتدعا عشا (فرأى فيها) أي ذلك الشجر (وبيضا عنده) أي بيوضا بالصغير (فقال لو صوت مستجدي الى ذلك الشجر وكنت أنس بصوته لدائر قال فعل) أي حول مستجدي اليها (فأوحى الله تعالى الى ذلك الطائر قل لفلان ان عبادتك ستة أشهر لا تعدل شيئا من عملك أبدا) هذا صاحب عمرو رواه البيهقي في الشعب عن أحمد بن أبي الحواري وقد سمعت أبي يقول تعمد رجل من بني اسرائيل في عبادته في جزيرة في البحر أربعين سنة فلم يعرفه حتى اذا كان في العبيضة تعلق ناصح ما بعض شعره فصار فوق رأسه فطار بشجرة فجاء فكره فوقع موضع مصلاه فلما رأى ذلك قال سيدي أنت عرفتني وعزتك ولا أعطف مما كنت فيه من حسن عبادتك (وقد علامة المحبة) الصادقة الخالصة (كمال الانس بمحبوبه وكمال الانس به) وهو أن لا يشغله عنه شيء ولا يقطعه عنه قاطع ولا يحول بينه وبينه حائل ولا يحجبه عنه حاجب ولا يصرفه عنه صارف ولا يشوش عليه شاغل ولا يعوقه عن الله عائق

وعلامة الانس مصير القلب و لهمه كله مستغرقا لمدة المباشرة كالذي يخاطب معشوقه و يباحثه وقد انتهت هذه اللذة بمعصمهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوة والمباشرة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم لا يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يهمه أمور الدنيا بل يستغرق همه مرارا مثل العاشق لو بعد فانه يكتم (١٢٤) الناس نفسه وأنسه في الخلوة بذكر حبيبه فمحب من لا تطمئن القلوب بذكره ولهذا قال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق عرف ومن عرف أحب ومن أحب عكف عليه ذل على ذلك قوله تعالى وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا (وعلامة الانس مصير القلب والفهم كله مستغرقا لمدة المباشرة كالذي يخاطب معشوقه و يباحثه) وبناغيه (وقد انتهت هذه اللذة بمعصمهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به) تقدم في كتاب الصلاة (وقطعت رحل بعضهم يده وهو في الصلاة فلم يشعر به) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضا (ومهما غلب عليه الحب صار الانس والخلوة والمباشرة قرة عين) له (تدفع جميع الهموم) فلا يشعر شيء يرد عليه (فلا يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يهمه أمور الدنيا بل يستغرق همه مرارا) مثل العاشق الولهان فانه لو بعد فانه يكتم الناس نفسه وأنسه في مباطن (ذكر حبيبه) وما يتعلق به (فالمحب) الصادق (من لا تطمئن القلوب بذكره) ولا تأنس الا بذكره (وقال) ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري التابعي (في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وقال محمد ألا بذكر الله تطمئن القلوب تعلمون فعلمتم رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وفي حديث أنس هل تدرون ما معنى لا إله إلا الله تطمئن القلوب قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب الله تعالى رواه أبو الشيخ وفي حديث علي قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيت صادقا غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدا وغائبا لا إله إلا الله تطمئن القلوب (وقال) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه من دام على ذكر الله سبحانه وتعالى طلب القرب وحشه عن جميع البشر) هكذا في سائر نسخ الكتاب والصواب معارف أبو بكر وهو معارف بن عربي الحرش كنيته أبو بكر من أهل الكوفة قال أحمد وأبو حاتم ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة (فالمحب لا يتم من حديث حبيبه وأنسه في داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبني) وكذا قال ذو النون وكعب الاحبار من التوراة و يروى عن أبي الدرداء رفعه يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقد تقدم (وقال موسى عليه السلام يا رب أين أطلبك) ولفظ القوت قال يا رب أين أجدك (قال) وفي لفظ القوت قال (اذا قصدت قلبي وجدتني معك) أي راعيا وحفظا تعالى (من أحب الله تعالى لم يسأم عن خدمته وقال أيضا لم تكن فيه ثلاث خصال لم يحب من الدنيا ثلاثا لم يحب شيئا كحب تلاوة كلام الله تعالى والتفكر في كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها) أي ومن علامات المحب (أن لا يتأسف على ما فوته مما سوى الله عز وجل) أي يترك الأسف على كل فائت سوى الله عز وجل (و يعظم تأسفه على فوت كل ساعة غفلت عن ذكر الله تعالى وهانت وكثر وجوعه عند العلات) أي الله تعالى (بالاستغفار والاستعتاب والتوبة) وسيأتي مضبوط النفس عند ذكر الخوف الرجاء تعالى (وقال) أبو الفضل بشر الحافي وغيره حكاية عن (بعض العارفين) انه وصف المحبين فقال (ان لله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت ثم ينشأ عن محبتهم اذا كان ملك ما يكرهون شيء كان فيما كان بهم فهو واصل اليهم) لا محالة (وما فاتهم فحسن تدبيره لهم) وهذه الفقرة فيما كان لهم فهو موصله اليهم من جميع الأشياء وما فاتهم من ادراك غيرهم فحسن تدبيره لهم (وحق المحب اذا رجع من غفلته أن يقبل على محبوبه و يشتغل بالعتاب و يسأله و يقول رب ما ذنبي

الى الرقيب من عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه دل على ذلك قوله تعالى وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا (وعلامة الانس مصير القلب والفهم كله مستغرقا لمدة المباشرة كالذي يخاطب معشوقه و يباحثه) وبناغيه (وقد انتهت هذه اللذة بمعصمهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به) تقدم في كتاب الصلاة (وقطعت رحل بعضهم يده وهو في الصلاة فلم يشعر به) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضا (ومهما غلب عليه الحب صار الانس والخلوة والمباشرة قرة عين) له (تدفع جميع الهموم) فلا يشعر شيء يرد عليه (فلا يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يهمه أمور الدنيا بل يستغرق همه مرارا) مثل العاشق الولهان فانه لو بعد فانه يكتم الناس نفسه وأنسه في مباطن (ذكر حبيبه) وما يتعلق به (فالمحب) الصادق (من لا تطمئن القلوب بذكره) ولا تأنس الا بذكره (وقال) ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري التابعي (في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وقال محمد ألا بذكر الله تطمئن القلوب تعلمون فعلمتم رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وفي حديث أنس هل تدرون ما معنى لا إله إلا الله تطمئن القلوب قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب الله تعالى رواه أبو الشيخ وفي حديث علي قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيت صادقا غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدا وغائبا لا إله إلا الله تطمئن القلوب (وقال) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه من دام على ذكر الله سبحانه وتعالى طلب القرب وحشه عن جميع البشر) هكذا في سائر نسخ الكتاب والصواب معارف أبو بكر وهو معارف بن عربي الحرش كنيته أبو بكر من أهل الكوفة قال أحمد وأبو حاتم ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة (فالمحب لا يتم من حديث حبيبه وأنسه في داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبني) وكذا قال ذو النون وكعب الاحبار من التوراة و يروى عن أبي الدرداء رفعه يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقد تقدم (وقال موسى عليه السلام يا رب أين أطلبك) ولفظ القوت قال يا رب أين أجدك (قال) وفي لفظ القوت قال (اذا قصدت قلبي وجدتني معك) أي راعيا وحفظا تعالى (من أحب الله تعالى لم يسأم عن خدمته وقال أيضا لم تكن فيه ثلاث خصال لم يحب من الدنيا ثلاثا لم يحب شيئا كحب تلاوة كلام الله تعالى والتفكر في كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها) أي ومن علامات المحب (أن لا يتأسف على ما فوته مما سوى الله عز وجل) أي يترك الأسف على كل فائت سوى الله عز وجل (و يعظم تأسفه على فوت كل ساعة غفلت عن ذكر الله تعالى وهانت وكثر وجوعه عند العلات) أي الله تعالى (بالاستغفار والاستعتاب والتوبة) وسيأتي مضبوط النفس عند ذكر الخوف الرجاء تعالى (وقال) أبو الفضل بشر الحافي وغيره حكاية عن (بعض العارفين) انه وصف المحبين فقال (ان لله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت ثم ينشأ عن محبتهم اذا كان ملك ما يكرهون شيء كان فيما كان بهم فهو واصل اليهم) لا محالة (وما فاتهم فحسن تدبيره لهم) وهذه الفقرة فيما كان لهم فهو موصله اليهم من جميع الأشياء وما فاتهم من ادراك غيرهم فحسن تدبيره لهم (وحق المحب اذا رجع من غفلته أن يقبل على محبوبه و يشتغل بالعتاب و يسأله و يقول رب ما ذنبي

قطعت برك عنى وأبعدتنى عن حضرتك وشغلنى بنفسى وعمانعة شيطان يخرج ذلك منه صفة ذكره وربقة قلب يكفر عنه ما سبق من أعماله وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيأ الا منه لم يتأسف ولم يشكل واستقبل الكل بالرضا وعلم أن محبوبه يقدر له الا ما هو خيرله ويدبر قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) ولفظة عسى توجب الحسن بالنسبة المتحبب أن يكون يأسف على فوت ساعة وطرفة ذهبت عنه ليلا فى غير ذكر مولاه فما ظنك بمحبوب فقد لا حتمله لاعلام فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملاطفته فاوجب عليه أن يرجع الى وارده ويسأله م قطعت برك عنى ولم لم تدمنى ولم تشوقنى اليك ولم تحل بينى وبين الحلى فان كان صادقا فى محبته يستعمله محبوبه فى الخير فيكون مكان الاستغفار من الغفلة معانقة يستخرج بها أكثر مما لدى فانه من الذكر فتكون تلك الهفوة عليه بركة ان كان عاقبتها الاتصال والزيادة فى القرب وبعد المحبة عن حل مأمور معان هنا لا يدرى ما حقيقته التوحيد غير انه أسف على فقد وحدانية التوحيد فرع من ذلك فرجع فوجد فقده الواحد فوجد به وانفراده فى الصمدية فيسى نفسه وذهب علمه كل ذكر كان يسمه ولم يزل دون كل شئ وذهب استغراقه فى هذا الموضع حتى يستغرقه المحب من مكان آخر فيرده الى علم التوحيد والتوحيد وحب ملاءكة كثير واحد فوجدوا بعد فقد ألفوا بعد فقد ذكر اسم الحبيب يعقوب به وذل التوحيد عند المحبين أن يعدوا الله تعالى لوجهه حسابه لا خوفا من ناره ولا رغبة فى جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم حتى يرجع لهم على تعظيم والاجلال والاكرام وهو سهم تصيح للعامة فتقص القلوب فترجع بالهيبة لوجهه عند الله تعالى وجل ويبقى الشوق ولا يأس فما انعدى والصبر والاخلاص والزهد بهذه الاخلاق الشريفة كانت معهم فى سرهم ووصفهم لانه رفهم ولا يحليهم منه محبوبهم ولو خلاهم مولاهم ما دانوا طعم شئ من هذه الحصال والصفات لعباد الله وانقطعت الطرق وكانوا مكتفين به وتكميد برهم بسره وردهم الى هذه الاحوال ليدوقوا طعمها كما ردهم الى مصالح الجسم ومرافق العقل فذلك اجتهم لموحدون مشتاقون المحبوب لانهم عبدوه وحده وأحبوه دون غيره واشتاقوا اليه لاسواه ولم يريدوا منه شيأ دون الله تعالى هو الغالب على همهم فظهر لقلوبهم لو جود فى سرهم المالك لعقولهم فلو وضع من نعيمهم ذرة على كل مخلوق وعبد لاحترقوا من نورهم وهم على حقيقة وليس فوقهم أحد هذه نقلته من كلام شكلى وغيره من العارفين انتهى سبأ صاحب القوت والشكلى بكسر الشين المعجمة وسكون الكاف هو أبو الفضل العباس بن يوسف بن اسمعيل البغدادى روى عن السرى وغيره ومحمد بن اسمعيل الشكلى وعنه أبو بكر الفطيعى وأبو حفص بن شاهين منسوب الى شكلة اسم امرأة والمعروف بها براهيم بن شكلة الامير الذى استدعاه أبو تمام وقد تقدم له ذكر فى هذا الكتاب (ومنها) أى ومن علامات المحبة (ان يتمم بالطاعة ولا يستثقلها ويستغرق جميعها) لان عمل المحبة لا يداخلها آفة ولا ملالة وهذا احد الاسباب المشروطة للمحبين (كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة) وهو قول ثابت البنانى وقال مرة كابدت القرآن وقد سبق فى كلام الرودبارى (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (علامة المحبة دوام النشاط والهرب بشهوة تختار بدنه ولا يفتر قلبه) كذا فى القوت (وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء ما اشتقى محب الله من طاعته ولو حمل بعظيم الوسائل) كذا فى القوت (فكل هذا وأمثاله موجود فى مشاهدات هذا العاشق لا يستثقل السعى فى هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقها بحر حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قاهرا لا محالة ما هو دونه من كان محبوبه أحب اليه من النكس ترك النكس فى خدمته وان كان أحب النعم المال ترك المال فى حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان

بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سأله هذه المسألة قط سمعت يوما يحلف ولا يحلف إلا بالله أحيانا فبينما هو كذلك إذ جاءه معرض عن يوجهان كله فقال له المحبوب ما كنت تحسن فيش تمشي على قال بين يدي أملك ما أملك ثم تمشي على بطنك وحي حتى تهلك فقلت هذا خلق حسن وعبد لله (٦٢٦) وكيف بعبده ولا يكون هذا نعته ومن هذا الذي يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيأ مما يكرهه ثم قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه إذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون إلى ذكري كما يأوي النمر إلى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر إذا جرد فإنه لا يبالي من الناس إذا كثروا فانظر إلى هذا الذي كلف بحبي كيف لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى برد إليه فلما لم أجده معه في بيته عاد إليه وتمثل به ومهما فارقته بكى ومهما وجدته ضحك ومن بر عنده أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه بهذه علامات المحبة فمن تحت فيه هذه العلامات فقد تحت محبته وخلص حبه فيصدق في الآخرة شراءه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تمتع في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شراب المقربين كما قال تعالى في الأبرار إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها المقربون فالكأس هو الصرف الذي هو للمقربين ومزاجه من تسنيم عين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لأصحاب اليمين فالكأس شراب الأبرار والشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين

شراب الابرار لانه اجل شراب المقربين (وشراب عبارة عن حله نعيم الجنان كما ان اكثاب عبارة عن جميع الاعمال) ولفظ القوت معبرا عن حل نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن النعيم والاعمال بالاكثاب (فقال) في نعت الابرار مما له (ان كثاب الابرار لفي عليين ثم فسر عليين بقوله (شهده المقربون فكان امارة على كونهم بحيث يرتفع في حقهم ومعرفتهم مقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأ أول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفاقا أي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق الشوب في حبه وأعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا لله ومعه الحسنة والحور العين وتقصور مكن من الجنة يتبوأ منها حيث يشاء ويلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهنالك تنتهي لذته في الآخرة لانه كما يعطى كل انسان في الجنة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حب الاخلاص والصدق أثر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بقلوبهم عليها يستغرقون بنعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون والمحبة لله قوم آخرون والدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعدو بسدى لا يبالي) قال العراقي في ذيل الاحياء من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الاول وقد تقدم والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الحواري واله أدرج فيه انتهى قلت قد تقدم الكلام فيه وان سهلا تستتري فسره فقال هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل (ولم تصرفهم الافهام عن درك معنى عليين علم) الله تعالى (أمره فقال وما أدراك ما عليون) كتاب مرقوم يشهده المقربون (كما قال تعالى في شرعة ما بقارعة) وأصله ما هي أي أي شيء هي على التعظيم شأنها والتهويل هذا موضع تظاهر موضع المضمر لانه أهول لها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شيء هي أعلمك ما هي لانك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن يبلغ دركها أحد ومن هذا قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (ومنها) أي من علامات محبته (ان يكون في جميعها) وجلا (مضمرا) أي مضطمرا (تحت الهيبة والتعظيم) فشرف العباد كلهم وقربهم منه بمعرفتهم على قدر تعظيمهم له ومعرفتهم به تحقه بمقدار الواجب ويتصاغر واعنده له وجلا لا عن مهابة وصغار بل عن تكبر بره (وقد يظن ان الخوف ينافي الحب وليس كذلك) وقال صاحب القوت بعد ان فسر آيات وأحاديث قدسي الله سره حتى ذكر في المحبة لزوم خوف

التقصير وخوف الحجاب من الله وفناء والخوف لما تعرض به من حبه ما نصه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدرك بمحبته ولا يقتضي الحرمة عليها من نحو به ولا يوجب على حبيبه شيأ الا لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحبوب بالحقيقة وانما ذلك مقام لرعاة الذي صدقه الخوف ليس من المحبة في شيء ولا تصح المحبة لا بخوف الفقد في المحبة وقال بعض أهل الله رجل ما عرفه من ظن به عرفه ولا أحسنه من توهم انه أحسنه (بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب) وتحقيق ذلك يفهم من معنى التعظيم فقد كرره * اعلم ان التعظيم المعهود هو ما فات البصر ادراكه والله تعالى منزه عن ادراك حس تعالى وتقدس عن الاجسام والاعراض ومشابهة المحدثات والتعظيم بطريق الاستعارة والمجاز ما فات البصائر ادراكه أما المانع في البصيرة أو في الدنيا فالبصيرة والله تعالى قد فات الابصار والبصائر ادراكه على ما هو عليه لانا لم نضع وضعه الله ادعكن رفع ذلك المانع ونكمل لمعرفته التي هي حقه وهي قبو منه نفسه واستعداده عن يوجب والوجود والكمال والتطهير لا عدم سبق ولا لحكم قدر بل لاجل ان عظمته اذاره وكبرياءه وردوه ولما كان عظيما في ذاته وكان ناظرا لذاته لعظمته وكبرياءه وكان مقتضا بهذين الوصفين من عبده ودع الاخبار عنهما بالاذار وارداده الحاجبين للناس أن تظهر ذاته اذ صفاته احتجبت ذاته عن أن تدرك لانا بينه وبين العقول بعلائق تعلقت الحب المحبوب ما نصه معنى الاكمة في وجوب الجهل وأما الجهل فما يكتسب منهم لا بوار صفاته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (والخصوص محبس بخوف في مقام المحبة) من جملة أحوالهم (بيست لغيرهم و بعض بخاوفهم أشد من بعض) والفقد الفوت وللمحب سبع مخاوف بيست شيئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض (فاولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد) من حضرة القرب (وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين) صلى الله عليه وسلم (ادسمع قوله تعالى) في سورة هود (لا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) وقال شيبتني هود وأخواتها وقد تقدم الكلام عليه (وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به لحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من ذاق البعد) بل ولا يعرف البعد من لم يقرب (ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من بساط القرب) ولم يعهده (ثم) أشد منه (خوف الوقوف) عن التقديم (وسلب المزيد) وهذا يكون للخصوص في الاظهار والاخبار منهم مسلوبون المزيد من يوعد ان كان من الاثبات وحقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون العموم عبادة بشهوات على أوساط الحالات (فانا قد مناان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يرد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يومه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له ومن اشتاق الى الجنة سارع في الخيرات قلت وشطر الاخير هو أول حديث رواه البيهقي وتمام وابن عساكر وابن ماجه ومن حديث عمر بزيادة ولفظه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن توقع الموت سارع عن اللذات وهذه الاربعة ما ثبت عليها صاحب وقد تقدم (وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة) روى ذلك من حديث الاغر بن يسار المزني بلفظ انه ليغان على قلبي وربي لاستغفر الله في اليوم مائة مرة رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان وابو عوانة والبغوي وابن قانع والدوردي والطبراني وأما حديث الاستغفار سبعين مرة فروي من حديث أبي هريرة وأنس وابن عمر وهذا فقد حديث أبي هريرة انا لاستغفر الله

بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة بيست لغيرهم و بعض مخاوفهم أشد من بعض فاولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين ادسمع قوله تعالى ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وقال شيبتني هود وأخواتها وقد تقدم الكلام عليه وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به لحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من ذاق البعد بل ولا يعرف البعد من لم يقرب ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قد منا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يرد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة

وانما كان استغفاره من المقدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى المقدم الثانى ويكون ذلك عقوبة لهم على بعثورهم فى الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روى ان الله تعالى يقول ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى ان أسلبه لذيذ مناجاتى فسلب المريد لذيذ الشهوات عقوبة للعموم وما الخصوص فصحوهم عن المريد مجرد الدعوى والتعب والركون الى ما ظهر من منادى اللطف وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر عن الاحتراز منه الا دوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك فوته سمع ابراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو فى سياحته وكان على جبل

كل شئ مما ملك مفقود ... وسوى الاعراض عما قد وهبنا لك ماما

ت فهب ما فات منا ... فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى لاطلاق حديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوعه أو سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية عما وراءها ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله تكريمه واسترواحه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو ضعف مع الرجاء

فى اليوم سبعين مرة رواه الترمذى وقال حسن صحيح وابن السنى وروى عنه أيضا بلفظ انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة وروى ابن أبى شيبة وابن ماجه وابن السنى وروى عنه أيضا بلفظ انى لاستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة وأتوب اليه رواه أحمد ولفظ حديث أنس انى لأتوب الى الله سبعين مرة رواه النسائى وأبو يعلى وابن حبان والضياء ورواه هو به وبالضياء أيضا بلفظ انى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة ولفظ حديث أبى موسى انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة رواه ابن ماجه ورواه الطبرانى بلفظ مائة مرة (وانما كان استغفاره) صلى الله عليه وسلم (من المقدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى المقدم الثانى) وهذا أحد المعانى المذكورة فى تفسير الحديث المتقدم (ويكون ذلك) الوقوف وسلب المريد (عقوبة لهم على التعثر فى الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روى) فى الاخبار القدسية (ان الله تعالى يقول ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى ان أسلبه لذيذ مناجاتى) يقله صاحب القوت وهو فى الشعب عن شمر قال أوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام يا داود انما حلقت الشهوات والاذان لسمعه عبادى ما الاطال فيهم والشهوات والذات يا داود فلا تعلق قلبك بشئ منهن شيئا فادنى ما أعاقبك به ان أسلب حلاوة حبى من قلبك (فسلب المريد لذيذ الشهوات عقوبة للعموم وما الخصوص فصحوهم عن المريد مجرد الدعوى والتعب والركون الى ما ظهر من منادى اللطف) ولفظ القوت وقد يكون عند الدعوى للصحة ووصف النفس بحقيقتها وانعدامها عند مشاهدة الوجد بها ودون الوجد بها وقصور همهم ولا يغلبون الدلال (وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز منه الا دوو الاقدام الراسخة ثم) أشد منه (خوف فوت ما لا يدرك فوته سمع) وأعد القوت ثم خوف فوت الذى لا يدرك له (سمع ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى وهو أحد المحسنين (قائلا يقول وهو فى سياحته وكان على جبل

كل شئ مما ملك مفقود ... وسوى الاعراض عما قد وهبنا لك ماما

ت فهب ما فات منا ... فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى لاطلاق حديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوعه أو سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية عما وراءها ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله تكريمه واسترواحه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو ضعف مع الرجاء

(ويغتر بحسن الظن) بمن كان يعهده منه (أو غفلة بغفلته) أو لهوى (أو نسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تعب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكل ما من أوصاف الله تعالى) مما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة من أوصافه مما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبروت والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستدراج به قال القائل من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والغياب مقدمة السلو وصدق صدر بابه وانقباضه عن دوام الذكر وملازمة لوظائف الاوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها اصفاء المراقبة دليل على صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لاجالة فقده ولا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فقده وقد قال بعض العارفين من عد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة يقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه) بقربه صاحب القوت الآية قال من عرف الله تعالى بدل من عبدني وسع الملاء ثم قال وليس العجب من خوف المحبين مع ما عرفوا من اخلاقه وحسبه وشهدوا من لطفه والطافه ما لم يعرف الخوف ثم هم مع حبهم إياه وعلى سوء به يحبونه وفي فزعهم منه يشتاقون اليه وفي بسطه لهم يقبضون بين يديه وفي عزازه بهم يذلونه لان من قبض فانبسط فليس المحب ولكن من بسط فانقبض فهو المحب ومن امتهن فذل فليس المحب ولكن من أعز ومن تواضع فذل فهو المحب فصاحب المحبة لا تقبض في بسطه ولا تهن الانقباض في قبضه والمحبين الذل مع العز والكرامة والوحشة مع الهيبة والمهابة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف واكمل وأتم أحوالهم المحمود (فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير قليل هو في مقام المحبة وبعد من المحبين) فكل محب لله خائف منه وليس كل خائف محبا بمعنى محبة مقربين لانه لم يذق طعم الحب لان محبة المسلمين المقتصدة لا يقع بها اعتبار في هذا المقام الخصوص لانهم الا توحيد عندهم الا توحيد الاحوال ولا يعلمون مشاهدات الانفاس لانها فوق الايمان منوعة محبته وهو حوده توحيده شهدت محبتهم معرفتهم بالله تعالى التي عنها توحيدهم انهم عرفوه بوصف

الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير قليل هو في مقام المحبة بعد من المحبين

دلائل و تقدم واسرمدية ولا بداية وهذا مندرج في اسمين من أسمائه أول وآخر والعارفون عرفوه بصفات الجبر و القهر والقدرة والمكر وهذا قد أحكمه في اسمين ظاهر وباطن وليس هذا من معارف محبين في شيء و محبوب عرفوه بصفات التجلي ومعاني المعاني و نعوت الاخلاق وفي هذا سر آخر للمحبوب وهذا هذا للمحبوب (وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت تلك طاقة البشرية فالخوف يعمله و يخفف وقعه على القلب) قال صاحب القوت والمحب لا ترفع الهيبة عنه لان كل محب خائف لان المحبوب مهيب والخوف قد يعرض من المحبة بشغل الخواطر وصله السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقربين الا أن المحبين بهم من الخوف فوت ومن المحبة اتساع والحب نعيم لهم من الخوف تساع ومن المحبة قوت وهذا كما قيل في الرجاء والخوف لانهما وصفان لا يفارقان لان الخائف يندرج رجاؤه في حاله و يرجو يعاوي الخوف في رجائه كذلك المحب يستر الخوف في عقده و يظهر الحب في وجده والخائف يغيب الحب في عقده و يظهر الخوف في وجده ان رئي يطيب لبشريته حضور بطرفات ومعاني لذوي حب اذ كان لا يدوم تحريمها وان لا يهما من شرط الامن وحقيقته فتالف صحابه لحكمته بقدرته وفي سبق ترتيب اقتضاه من الله تعالى حكم غريب وحكمه عجيبة لا يعرفها الا من أعلى يقين شهادته سبق لي بعيد تقدم المحبة كان محبا صحبة أصحاب اليمين ولم تكن لهم مقامات المحبين الاسنى ولا المنازل في مقام المقربين وكل هؤلاء موفوون صاحبوا ان سبق الى العبد مقام الخوف كان صاحب المقربين و ربما هم درجات عند الله وبه نصيرهم يعملون و ربما كانت المحبة نوالا للخوف ومزيدة له وهذا في مقام تعاملي فمن كانت المحبة مزيدة هذا الخوف كان من المقربين المحبوبين ومن كان الخوف مزيدا محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين (فقد) قيل من وصف من أدبق منه ولم يصح بذكر وصفه له (روى في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته فعل ذلك فهام في الجبال وطار عقله وولهه قلبه وبقي شاخصا بصره الى السماء (سبعة أيام لا يطعم شيئا ولا يتطعم به شيئا فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب نقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه ما أعطيناه جزء من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك بمائة ألف عبد لو شئت من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فاجرت الحاتهم الى أن شفعت أنت لهذا في أجنان فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين نقصه مما أعطيته فاذهب الله عنه جله الجزء وبقي معه عشر معشار وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه ومحبته ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف

قريب الوجد ذو مرعى بعيد
عن الابصار من هم واعيد

غريب الوصف ذو علم غريب * كان فؤاده زبر الحديد لقد عزت معانيه وجلت * عن الابصار الا الشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري * له في كل يوم ألف عيد وللاحباب افراح بعيد * ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله يشد أبياتا يشير بها الى أسرار أحوال العارفين وان كان ذلك لا يجوز اظهاره وهي هذه الابيات

سرت أناس في عيوب قلوبهم * غير اقرب المجد المتفضل عراصا قرب الله في حل قدسه * تحول بها أرواحهم وتنقل
موارد هم فيها على نعم وبهجة * ومصدرهم عنها بماهو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
وما كتمه أولى لديه وأعدل * سأكتم من علمي به ما يصونه
وأبذل منه ما أرى الحق يبذل * وأعطي عباد الله منه حقوقهم
وأمنع منه ما أرى المنع يفضل * على أن للرحمن سرا يصونه
الى أهله في السر والصون أجمل

هكذا أنشد هذه الابيات الجنيد صاحب القوت (وأمثال هذه المعارف التي ليها الاشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من لم يكشف له شئ منها لان لم يكشف له شئ منها بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا) واحتل نظامها (فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا بالرهد هم فيها وانطالت الاسواق والمعايش) ولعظم القوت ومثل هذا المقام في الاحوال مثل أكل الحلال في الاكل لا يريد الله تعالى أن يطعمه الكل لعمارة الدنيا ولان الامة كلها لو أكلوا الحلال أربعين يوما لخربت الاسواق لزهدهم فليس ذلك من الحكمة (بل لو أكل العلماء الحلال اشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما تنشر من العلوم) وبعد القوت ولو ان العلماء كلهم أكلوا حلالا لم تسمع من هذه العلوم التي تسمعها شيأ لشغلهم بعيوبهم واعراضهم عن أعمالهم وفي ترك ذلك حكمة حسنة ورحمة واسعة (ولكن لله تعالى فيمن هو شر في الدهر) حسما يبدو منه (أسرار وحكم كما لله تعالى في خيرا أسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كلا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب وتجنب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا

موارد هم فيها على نعم وبهجة * ومصدرهم عنها بما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
وما كتمه أولى لديه وأعدل * سأكتم من علمي به ما يصونه
وأبذل منه ما أرى الحق يبذل * وأعطي عباد الله منه حقوقهم
وأمنع منه ما أرى المنع يفضل * على أن للرحمن سرا يصونه
الى أهله في السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التي ليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من لم يكشف له شئ من ذلك لان لم يكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال

أربعين يوما لخربت الدنيا بالزهد هم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم

ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما تنشر من العلوم ولكن لله تعالى فيمن هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما لله في خير أسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كلا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب وتجنب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا

له وهيبته منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يحاور حد المعنى و يزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى عقبى وتحمل عليه البلوى فى الدنيا ثم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

له وهيبته منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يحاور حد المعنى و يزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى عقبى وتحمل عليه البلوى فى الدنيا) وقد قرن الله الدعوى هربة الكذب لانها كذب نقلت عن محله كذب للحب فى قوله ومن أصدق من الله قيلا كذبا وقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ونهى عنها كنهيه عن التولى عنه فى قوله ولا تولوا عنه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (ثم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه بعض ما قال وقع ذلك منه من غير تحمل) أى تكلف (أو كتساب فانه معذور لانه مقهور) فان بعض المحبين ورد على حال من التعظيم أخرسه عن الكلام و تلجمهم عن لا أصعه صعقات اجلال والعظمة فحكم على قلب المحب وملكه فلم تكن ولم تتكلم فلو تكلم فلو تكلم من حق الله تعالى كان لى وقدرت عليه ثم آدب لاحد من أهل السموات والارض من مقرب ولا نبى مرسل أن يقول شهادة كل قائل فيما يقول وكل قريب من حيث قرب وكل عارف فيما عرف وكل لكل محجوب عن كنه قرب وعن حقيقة التوحيد ومن عظمة التعظيم فلم يستطيع أحد أن يقول شيئا ولكنت سنة لا أتكلم و سمعت رجحان نبى فى صدرى ورؤيته عن معاينة لى حال فى مقام بعينه عشاهده من عظمته مقرد للمفردون عن وصف قريب محجوب بتوحيد والتمريد وراء هذا والاتحاد والاتحادية والافراد لوجود يعوق ذلك و لا أحد والافراد للمفردون عن أفردوا وما وحدوا ولا وحد الا الذاكرون لذكره بنى به ذكر و والمحبوب لمحبته انتهى بها سعوه هم عند هذا المقام وحزن هذا بعنى كشفهم هذا سر وهو مهم كسر وانه لب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقهوا مع لامع عظمة القهر وسكنوا الاجل احد فرجعوا له احد وانيه أشار المصنف بقوله (ورؤيته تشتعل من الحب بزايه فلا يطاق سلطانه وقد يهيض القلب به ولا يتدفع فيضه فلا يقدر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أصنع ✽ قرب شعاع الشمس لو كان فى عمرى
فمالى منه غير ذكر بخاطر ✽ يهيج نارا الحب والشوق فى صدرى
والعاجز عنه يقول بحبى ويدى لدمع أسراره ✽ ويظهر لوجد عليا من نفسى)

وذلك ان بعيد ما قهرته الاحوال وعلت على قلبه وأخرس من عبارة تعجز عن جنة تنفس اما صعقة او ما تعجز عنه فهو فيه بكلام أو شارة لانه ما دام حيا لابد أن يروح له حول ما يجد وجده وما هيجت هذه الحالة منه حالة أهل الجنة ادعاء فى الحبر الذاكر بحرى منهم مجرى النفس (ويقول أيضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ✽ ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين) من المحبين (أكثر الناس من الله عز وجل بعدا أكثرهم اشارة كأنه أراد (من يكثر التعريض به فى كل شئ و يكثر التصنع بذكره عند كل أحد فهو مقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل) ينقص مقامه فى محبة (ودخل ذو النون المصرى) رحمه الله تعالى (على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة) و يشير اليها و يتعرض له بالاشارة والعبارة (فرآه متغير اللون) ذو النون (لا يحسن من وجد أم صيره) كأنه رآه مصفرا فسأله عن ذلك لحاله (فقال يا رجل يحكى قول لا يحسن لم يسمع صيره) كأنه أشار الى انه غير مصطبر فيما طلب (فقال ذو النون ويحكى قول لا يحسن من شهر سيفه يحسن فقال يا رجل) لم تسمع ذلك منه (استغفر الله و أتوب اليه) فقد رشده الى كتمان الحب وعدم افشائه (فان قلت يحسن تهيج المقامات) وهى تكمل المقامات (واظهارها اظهار للغير فما وجه ذكرها) و نؤمر بالكتمان (قلت اعلم ان المحبة

(٨٠ — (الكواكب السائرة بمناقب) — تاسع) من وجد أم صيره فقال يا رجل يحكى قول لا يحسن لم يسمع صيره فقال ذو النون ويحكى قول لا يحسن من شهر سيفه يحسن فقال الرجل استغفر الله و أتوب اليه فان المحبة تهيج المقامات واظهارها هو للغير فما وجه ذكرها قلت اعلم ان المحبة

ويظهر عليه بعض ما قال وقع ذلك منه من غير تحمل أو اكتساب فانه معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب بزايه فلا يطاق سلطانه وقد يهيض القلب به ولا يتدفع فيضه فلا يقدر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أصنع ✽ قرب شعاع الشمس لو كان فى عمرى
فمالى منه غير ذكر بخاطر ✽ يهيج نارا الحب والشوق فى صدرى
والعاجز عنه يقول بحبى ويدى لدمع أسراره ✽ ويظهر لوجد عليا من نفسى

ومن قلبه مع غيره كيف حاله
ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم اشارة كأنه أراد من يكثر التعريض به فى كل شئ و يظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو مقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه متغير اللون فقال يا رجل يحكى قول لا يحسن لم يسمع صيره فقال ذو النون ويحكى قول لا يحسن من شهر سيفه يحسن فقال الرجل استغفر الله و أتوب اليه فان المحبة تهيج المقامات واظهارها هو للغير فما وجه ذكرها قلت اعلم ان المحبة

محمودة وظهورها محمود أيضا وما المذموم لنفاهر بها ما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب أن يتم على حبه لحق ادعائه وأحواله دون أقواله وافعاله ويعني أن يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا أن يظهر ليعلم الناس أنه يكون صادق المحب اطلاع الحبيب فقط فانما أراد أن اطلاع غيره مشترك في الحب وقد ورد في الاخبار ما تصدقت فتصدق محبتك لا تعلم ثمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الحبيب يحرك يمينه على ما يريد أصحب فاعمل وجد ولا تكن عبر الناس فاظهر القول وافعل كله مذموم الا ذاعت سكر الحب فاطلق اللسان

واضطرت الاعضاء ولا يلام فيه صاحبه حكى أن رجلا رأى من بعض من ما يخاله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فقال ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما يكرهه الله ظاهر بالحب لسببه أن المحب ان كان يريد وتعرف أحوال الملائكة في صمتهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا استكبار في نفسه ومن اظهار حبه وهم فقط انه من أخص المحبين في مملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المحبين عدد الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيأ فذكر شيء من مكاشفات آيات اسمواب في قصة طويلة قال في آخرها فاجابت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أنتم فقالوا نحن لمحبوب الله عز وجل بعدد ذهابهما سنة ألف سنة مخطر على قلوبهم سوى ولا ذكر غيره فقلت ما حسبيت من أعمالي واستحقرتها بحب أنفسهم (فوهبتها لهم وحق بعدد ذهابهما سنة ألف سنة مخطر على قلوبهم سوى ولا ذكر غيره فقال ما حسبيت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تحقيقا عنه في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه وسبح بحمده حق لحياء حرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ثم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد) قدس سره (انه قال مرض استاذنا السري) السقطي (رحمه الله تعالى فلم نعرف لما يداوه ولا عرفنا لها سببا) حتى جهنا سدي به الى الدواء

(فوصف لها طيب حديثه) أي ما شرق صفحه (وأخذها) أيه (فارورة مائه فعطر أسه الطيب وجعل يعطر عليه ثم قال لي أراه يموت عاشقا) فدهشت كلمته (فقال الجنيد فصعقت وغشي علي) من سماع ذلك منه قال (ووقعت الفارورة من يدي ثم رجعت الى السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أنصفه قلت يا أستاذ وتنبي المحبة في الأصول قال نعم) لأن الشوق والعشق وتر في الكبد فيحدث له غيرة فيميل ماء أبيض صافيا وغيره ومن هنا قال الجنيد فالرجل للسري كيف أنشدك فقال

من لم يمت والحب حشو فؤاده * لم يدر كيف تقلب الأكباد

قال وودع الى السري مرة فوثب وقال احفظ هذه رقعة قاد بها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يشغل الجسم والحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا
وتجعل حسن لا بقاء لذاك في هوى * سوى مقلة تبكي بها وتناديا

(وقد قال السري مرة لو شئت أن أموت ما أيبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه) وهذه البيوق في اشعث عن الجنيد قال سمعت سريا يقول وقد كلمه يوما شيء من المحبة فضرب بيده الى جلد ذراعه فمزقه ثم قال والله لو علمت أن هذا الجلد على عظامي تحدث الله صدقت ثم غمي عليه ثم تردد وجهه حتى صار مثل القمر (وتدل العشية على أنه أفصح في علته لوجد ومقدمات العشية) وان كان مقهورا (فهذه أربع مجامع علامات الحب وثمراته ومنها الانس والرضا كما سيأتي) فريما وجد من يكون أحب منه لله فاستأثر أحبابه فقاسه الله وكلما كان أحب كان أرضى قال ذو النون الرضا الداخل تحت الشكر ان يكون بمنزلة بعد وصول نعمته والثاني أن يرضى قلبه وعقله من غير سرور والثالث أن يمر وره بما تجري موافقة محبة الله فيما أبدع وحكم والرابعة أن لا تحس بما تجري عليه بعد معرفته في صفحات تحبوبه وهذه عشرتها وثمرها وهو عاقبة عشر علامات أوردها الصفي وهي على عدد معنى محبة عشرة التي ذكرها الخليمي في شعب الايمان حيث قال محبة الله تبارك وتعالى اسم يعبر به عن كثرة أحدها اعتقاد الله بمعنى تحمود من كل وجه لا لشيء من صفاته لا وهو مدحه له والثاني اعتقاده بحسن عهده مع تقصير عبده وزلته عن قدر الاحسان الواجب منه أجل وأكثر من أن يحصيه قول بعده وعمله وان كثر شكره وذراع لا تفيئه بستقل العبد فضلا ولا يستكثر تكاليفه والخامس أن يكون في عامة أوقات منشطا وخلاص عزائمه عنه وشكر معرفته التي أكرمهم بها وتوحيده الذي خلاهم وربيه والسادس أن تكون آماله معقودة به لا به في حال من الاحوال الا به على عدله ولسابع أن يحمله تلك هذه المعاني في علمه على أن يدع ذكره باحسن ما يقدر عليه والثامن أنه يحرص على أن يقرب تصنعه ويتقرب اليه في نوافل خيره وما يعلمه والتاسع أنه ان جمع من أحدثناه علم وعرف منه تقربا اليه وجهدا في سبيله سرا وعلانية ملاه وواله وأثره ان سمع من أحد ذكره تماثله عنه أو عرف منه شيء من سبله سرا وعلانية بادا وهذا اجتمعت هذه المعاني في قلب أحد خلقه هزا شار ليه باسم محبة الله تعالى وهي ان لم تذكر مجتمعة في موضع فقد جاءت متفرقة من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دونه انتهى وقد بقيت للمحبة دلائل وعلامات لم يذكرها الصفي صراحة وان كان بعض منها مذكورا ضمنا في ذلك تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب من حبيبه على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس ومن المقدرة بالوهم المحسوب وتواتر بعض عاجل حظوظ النفس ومنها التعرض على فقد الدنيا المؤثرين لها كما يبين لان السالك ما توضع قال المذكور علي المذكور رضي الله عنه فتح الموصلي في سر مرآة ما أحسن توضع الاعباء للافتقار عند وقوف الله وأحسن من ذلك تيه الافتقار على الاعباء تقمه الله ومنها المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس لا يقرب منه ويمنع مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه مسارعة الى حبه كما قال تعالى مخبرا عن محبه وعجلت اليك رب لترضى وكما أمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا أي انقطع به

دوصف لها طيب حديثه فاخذها فارورة مائه فعطر لها الطيب وجعل يعطر عليه ثم قال لي أراه يموت عاشقا قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت الفارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أنصفه قلت يا أستاذ وتنبي المحبة في الاصول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت أن أموت ما أيبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل العشية على أنه أفصح في علة الوجد ومقدمات العشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته * ومنها الانس والرضا كما سيأتي

اعطاء محبوبه بالاخلاص له وادمع كل دامع حتى تصل اليه فهذا من أدل الدليل على المحبة ومنها لا يخاف في محبته لومة لائم لحقوله على محبته على اسخوط اليه نفس النفس وهجر الدار وفوض المال ولا يرجو في محبته مدح مادح ولا يرهب في ذلك العباد بايثاره له على الاهل والمال والدار ومنها ذوبة البلاء منه صبة كما قال قائلهم

فلو قطعاني في الحب ارما * حنين اعوادا الى سوقي

ومنها موافقة الحبيب فيما أحب حتى قال عمر لصهيب رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أي ان محبته له تمنعه من معصيته عن حقيقة فهو بطبيعته كذلك وكل صهيب يقول به لا يستحق غيره يعني من معاني الصفات والافعال المرضية ومنها وجود روح الشكوى اليه والاستراحة الى عنه بوحده واخلاص العمل لوجهه وحب الاقتداء به وهو الاحياء بتركهم ما يحكم به من تحقيق الشدائد وهو ما يتعبه من الالطاف والفوائد وكثرة الذكر في نعمه وتحري أفعاله وعوارف صفاته وحسن الثناء عليه في كل حال ونشر لا لاء منه والاتصال بالصبر على الانه لانه قد صبر من أجله وأوجبه وقد يعف عما دونه ومنها حبه ما حبه الله ممكنه منهم ومكانتهم عنده ولعلمهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليس بهم حيلة في سواه ولا لهم همة الا هواه وقال بعضهم في هذا المقام

يا لائمي ويدي بلائمه * أنت الذي فكيف أكره ذائي

وقال آخر في معناه

لا تطلبن بي عند غيرهم * ولا تجيبن الامر من يرمني

وقال المحب في معناه

ان شئت حودي وان شئت فامنع * كلاهما من منسوب الى الكرم
ما بين عبدي وان أورثني سقما * أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها المسارعة الى ما تحب النفس أو نوع الراحة والتروح اليه ودوام التشكي والحنين اليه وسبق الدمع في الخلوة في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ومهما أنت فصبا حتى وانواصي به والاصبر على ذلك ومنها ان لا يحب تعدد مولاه ويحتمع في محبته وهو ما لا يهوى لما يتبعه من الولي ولا يقضي على مولاه الا بهوى قال بعضهم ادار أيه يوحشك من حاقه فاعلم به يريد أن يؤنسك به وفي أخبار موسى عليه السلام ان رأيت شيئا مشغولا في طلب الرب فقد شاركه في ذلك الشيء وكان الحبيب رحمه الله تعالى يقول من علامة المحب في المكاره لا يستغم محبة ولا تكرهه عند ورود بلاء هو لها من مولاه وقيل القربة الى محبوبه وحمله الاذى كل لاه يصيبه لعلمه الحب في قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أصبو ما أكون كرادا كنت محموما (وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع للهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يبحرجون عن هذين القسمين) وانقسام الى أصل وما يتعلقها بالحب والصفات من كلا طرفيها وهو اسباب والاثمار وما قبلهما وهو القسم الاول متعلقه بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان فهو شغل عن الله والمحبة بشتغل الجمال والجلال بس أشرف نعم الله على العباد لانها تعريفه هو به وتقريب منه الاان المقصود بصير كالمحبة أصلا اذا مثلا يقيب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للغالب (وبذلك قال المجيد) قدس سره (الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام لما دلت عمرهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتكلفوا أن يصوه الا لهم نقل محبتهم وتكثر على قدر نعم والاحسان) لان الاحسان يريد ويقص (وأما الخاصة فالوا محبة تعظم لقدر والقدرة والنعم والحكمة وانفرد بذلك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى) وتحققوا بما قدرته منهم (لم يتمنعوا أن يحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها وقد أدل عليهم جميع نعم) والبشر مولى لما فطرهما الله تعالى عليه وحب لا يتكلف له (نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله يلبس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وقراء السوء) ممن يأكلون الدنيا بالدين (أولئك علماء

وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يبحرجون عن هذين القسمين وبذلك قال حميد رياض الله تعالى عنه وخاص العوام بالو لما عرفوا دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتكلفوا أن يحبوه لانهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان وأما الخاصة فالوا محبة تعظم لقدرة والنعم والحكمة وانفرد بذلك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يتمنعوا أن يحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو زال عنهم جميع النعم من الناس من يحب هواه وعدو الله يلبس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وقراء السوء ولشيخ نعمة

الله فى أرضه) فهم من محبة الله تعالى (وكان سهل) التسترى رحمه الله تعالى (اذا تكلم مع انسان قال يادوست) بضم الدال المهملة وسكون الواو وبالسين المهملة وتاء فوقية (أى حبيب) من دلك اذا عوّد مرة فى الفعلة التى كانت به وكان يداوى الناس منها ولا يداوى نفسه فقيل له فى ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع كما قاله صاحب القوت (فقيل له فلا يكون حبيبا فكيف تقول لهذا) أى كيف تقول لكل من تخاطبه هذا القول وقد لا يكون بعضهم ممن يتصف بمحبته (فقال فى أذن القائل سرا) هذا الذى أقوله له يادوست (لا يحبوا اما أن يكون مؤمنا أو منافقا) كما رواه عنه (فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس) فهو على كل حال يصح ان يطلق عليه هذا اللفظ وهذا نظير ما كان يقول شيخنا المرحوم القطب السيد عبد الله بن ابراهيم العيدروس رضى الله عنه قدس سره فى معنى قوله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين أى الأولياء والعقلاء كل منهم صالح مالا ولى له سمعا لا عين رأت ولا أذن سمعت وما للعقلاء فله سمعا لا عين رأت ولا أذن سمعت (وقال أبو تراب) عسكر بن حصين (النخشبى) رحمه الله تعالى (فى علامات المحبة) ودلالتها الخاصة (أن يأتى هذه) من مشهور رجز

(لا تخدعن فى الحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل
وسر وروى كل ما هو فاعل * فالصنع منه عطية مقبولة
ومن الدلائل ان يرى فى عرمه * طوع الحبيب وان الح العاذل
وان قلبه فيه من الحبيب بلابل * ومن الدلائل أن يرى متنهما
وكلام من يحكى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى منشقها * مختصا من كل ما هو فاعل)

(وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى فى هذا المعنى لما به يخص المحبة

(ومن الدلائل ان تراه مشمرا * فى حزنه على شطوط ساحل * ومن الدلائل حزنه وبحسه
خوف العلام ماله من عادل * ومن الدلائل أن تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار دل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكيا
ان قدرا على قبيح فاعل * ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل)

وقد ذيلت على هذه الأبيات عند تلاوتها بديهة ما ردت فيها ذكر بعض العلامات التى أشرت اليها آنفا فقلت

ومن الدلائل خوفه من بحسه * وعاده وعن اسلوء الحاصل * ومن الدلائل أن تراه عابدا
حاله من غير خوف حائل * ومن الدلائل ان تراه آسفا * لو يسه المولى وبئس المعادل
ومن الدلائل ان تراه مبادرا * لاوامر الصوب فعل عاجل * ومن الدلائل ان تراه صامتا
كل الهموم هم يوم آجل * ومن الدلائل ان تراه موقفا * لحساب مولاه بغير تعاقل
ومن الدلائل دلة بين الورى * لذوى الولاء لبعض المتخاذل * ومن الدلائل أن تراه والقا
فى تيهه فى الله فوق الحامل * ومن الدلائل أن تراه محدقا * بالنفس واثل بنفيس الخاصل
ومن الدلائل انه فى حسبه * لم يحف لومة لائم أو عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسارعا
للحق ثم تحب ما الله طل * ومن الدلائل ان تراه مثمرا * اتصال المولاه بحمد واصل
ومن الدلائل ان تراه صابرا * لبلائه فى كل أمر نازل * ومن الدلائل ان تراه ناصحا
لعباده بالحق غير محابل * ومن الدلائل أن تراه هاجرا * ما لوفه فى حب مولى كامل

ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار دل والنعيم الزائل ومن الدلائل ان تراه باكيا * أن قدرا على قبيح فاعل
ومن الدلائل أن تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل

الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازم التوحش من غير الله بل كل ما يحول عن الحق ويكون من أشغل الاشياء على القلب كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس الا أحدهما يتشيب لان الحب يوجب عدوية كلام محبوبه وعدوية كلام محبوبه ذكره فيخرج من الالف عدوية ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه من تسبى بذكره (١٣٩) وتوحشى من جاه

الانس بالله) يشير الى مقام لا مزيد فوقه ولا نعيم في الجنة من طريق عبد الصمد عن أبيه والرؤى ابراهيم ابن أدهم خارجا من الجبل فذكره (وذلك لان الانس بالله يلازم التوحش من غير الله بل كل ما يحول عن الحق ويكون من أشغل الاشياء على القلب كما روى (أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه) عز وجل (مكث دهرا) أي زمانا طويلا (لا يسمع كلام أحد من الناس الا أحدهما يتشيب) وهو أحد النفسين من باطن وهو من مدد بقي (لان الحب يوجب عدوية كلام محبوب عدوية ذكره فيخرج من فعلت عدوية ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء) من المحبين (في) جملة (دعائه من تسبى بذكره وتوحشى من خلقه) وما توحشه من خلقه لاوجد أنسه به (و) في الخبر (قال الله عز وجل يا داود) عليه السلام (كن لي مستأنسا ومن سواي مستوحشا وفيل ربعة) اعلم يا رضي الله عنك (ان هذه الجملة) يعني في الجملة (قالت تركي ما لا يعنيني) أي لا يهمني (وأنسي بمن لم يزل) جل شأنه (وهو معنى واحد) البصري رحمه الله تعالى (مروي) في سياق (راهب قلت لراهب قد عشت لوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت انهاس نفسك لوحدة رأس العبادة قلت يا راهب ما أقل ما تحدثه في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب ما تقول في عبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة) أي عن شوب المشاركة (قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم) أي صار الهم (صارهما واحدا في الطاعة) قال الخطابي في كتاب العزلة ولم يكن في اعمال الاسلام من اقامة رباط ولا ضرب في الناس وما يدفع اليه الانسان اذا كان فيهم من استعمال المداهنة معهم وخوف رياء وغير ذلك في رضاهم بكان في ذلك ما رغب في العزلة وتحول الهما الشيء وقد تقدم شيء من هذا في كتاب العزلة (وقال بعض الحكماء) من المحبين في مناجاته (عجبا للعلائق كيف أرادوا ان يدخلوا على المحبوب ما استأنست نفسه على مفارقة علائق الانس) وشواهده (فاعلم أن علامة المحبة صفاء السر من مكاشرة الخلق) ان لم يكن الهروب منهم (والتبرم بهم) أي التضجر من مخالطتهم (واستثقال مجالستهم) حتى يفر بقلبه ودينه حيث لو طرقته صاعقة وهو لم يكن يعرف حاله ولا أصحابه (وقلة صبره) هو هكذا (فهو مفرد في جماعة) حتى في ثوب (وجميع في خلوة وعزلة من حضر وحضر في حضوره وغائب في حضوره وغائبا ما دمت معه في قلب مستغرق بعذوبة الذكر) وهو حرارة ما ان نفسه في علم مبني طريقه سنده المتقدمة ويعبرون عنها بقولهم خلوة وراء تجمر يعني الخلوة في الجلوة ظاهرا مع الحق واستدل بشعر وانشد بالحق وأنشدوا

ومن داخل كن صاحبا غير عادل ✽ ومن خارج صاحب الناس

والى هذا أشارت رابعة رضي الله عنها حيث قالت

الى جعلت في الفؤاد محدثي ✽ وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس ✽ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وحكى البيهقي في شعب عن علي بن سهل الانس به أن يستوحش من كل الانس دون ولايته عز وجل قال الانس بالله ولاية الله هو الانس بالله تعالى (كما في كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم) وذلك فيما رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عن كميل بن زياد قال أخذ علي بن أبي طالب بيدي فخرج بي الى ناحية الجبان فلما أصحر جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول الناس ثلاثة فعالم رباني وعالم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق (هم لمعرفة العلم على حقيقته الامر فباشر روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون

الخلق وتبرمهم بهم وقلة صبره بهم كما في كلام عائشة فهو كمفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وغائب في حضور ومحافظ بالبدن مفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم فهموا العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون

وأسواء الاستوحش منه الجاهلون بحسن الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى (وفي رواية بالمدر الاعلى) (وثلث نحلة الله في أرضه والدعاة الى دينه فهذا) معنى الانس بالله وهذه علامته وهذه شواهده (وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب بظنهم ان ذلك يدل على التشبيه وحمله بان جميع المدركات بالبصر تكون من جنس المبصرات ولذته معرفتها أعجب من دوى القلوب ومنهم أحمد بن عرف تلميذ الحليل أنكر على أحمد وعلى ذي النون والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر على ما الرضا فيه متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور وظن أنه لا وجود الا للقشريات المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الحس فشر محجور ووراءه اللب الصافي الذي لم يصل من الحور الى قشره ظن أن الحور حشب كاسر ويستحيل عنده خروج الدهن منه لاستحالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة الله عمال

وأسواء الاستوحش منه الجاهلون بحسن الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى (وثلث نحلة الله في أرضه والدعاة الى دينه) هذه شواهد تدل على رؤيتهم وسمعه الله لي وبكم اذا شئت فقم وقد ذكر الحديث بطوله مع ذكر أسانيده وشرح ألفاظه واختلاف رواياته في أول كتاب العلم فراجعه ان شئت (فهذا معنى الانس بالله وهذه علاماته وهذه شواهده) وقد ذكر هنا جملة تجمع ما أشرنا اليه الصنف في هذا الفصل فنقول اعلم أن معرفة العارفين بقرب الله تعالى منهم سبب لقربهم من الله وانسهم به وعبته تشتاق النفوس لمحبوبهم لان الاحوال شجعة الصفة المشهودة مع القرب أصل لا يفارقه العارفون فان قربه شهود الجمال ثمرة المحبة والانس وان افترقا فقرب شهود الجلال أثمر الهيبة وان افترقا فشهود الكبرياء أثمر الصغار والاضمحلال وان افترقا فترك المبالاة وشهود الاتصال ثمرة المحادة وان كان معه العلم ثمرة الامان وان افترقا فشهود الغيوب ثمرة الحياء عن الاكوان وان افترقا فشهود منزل الالطاف ثمرة على عقله من فرحه بالمزيد والاتصال وأما الانوار وحواتهم تشتاق الى العلم بوجود الرب مطالعة وتراه أعلم ما تشتاق اليه على الجمع وعطاياه السعادة والانشقاء ويدل على ذلك ما حثهم على خوفه ورجائه وان كان القرب بهذه المنزلة لعظيمة فلا بد من ذكر لمعة منه يستعين بها على دامة الاحوال قال القشيري عن أبي سعيد الخراز انه قال بحقيقة القرب فقد حس الاشياء من نفسك وهذا صحيح ان الله تعالى قال سأكمل مجدس اسحق وهذا الذي ذكره هو الوسيلة لنيل القرب لان نفس القرب لا يتعلق به طهور وشطر الايمان والذي ذكره طهور للقلب عما سوى الله تعالى وقد تظهر عما سوى الله تعالى كان الله حاضرا مع عبده لا يخلو به ليس بين العبد وبين الايمان حجاب وحواسها داعي عن نفسه وعن حواسها عرف قرب الله وجل ذلك ان كل ذرة من ذرات العالم وبنات الانسان متعلق علمه كشف الارادة تخصيصه والقدرة تحداوله والصفات لا تفارق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته فاذا تحقق بمعرفة لا يتعلق بنفسه وان سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا ورد الحديث الصحيح كما تقدم فهذا اظهار معرفة القرب وبذلك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ما بين الآيتين ثم ذكر نفس القرب للنفس فقال في تقرب الى الخير وودنه ثم بين ذلك والمدلول عليه وجود ربوبيته بمعرفتهم في الدنيا بعين الايمان والبصائر وبرؤيته في الاخرى بالابصار رأى العين فهو قريب منهم في الدارين وليس قربه في الاخرى خاصا بقربه في الدنيا لان قربه للمطيع والعاصي والكافر وتقدست هذه الحالة قرب المعرفة ولم يكن هو بين محجوبين اصلا في الدنيا ولا في الآخرة وهذه المعرفة مثمرة الانس بشرط الصفاء والاخلاص (وقد ذهب بعض الناس الى انكار الانس والشوق والرضا لما ظنه ان ذلك يدل على التشبيه وحمله بان جميع المدركات بالبصائر تكون من جنس المبصرات) بالحواس (ولذة معرفته أعلى على ذوي العقول) كما تقدمت الاشارة اليه في أول هذا الكتاب (ومنهم أحمد بن عاصم) وكان من أئمة النحو وارد كلام (يعرف بغلام الخليل) هو الخليل بن أحمد النحوي شيخ الصنعة وبما عرف بالغلام لانه لزم الخليل فكثر انتقرعة عليه ولزم تخدمه (أنكر على) أبي القاسم (حبيب وعلي بن الحسين النوري وجماعة) ممن تحاوهم (حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر على ما الرضا فيه متصور) كما سيأتي في باب الرضا (وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور وظن أنه لا وجود الا للقشريات المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الحس فشر محجور ووراءه اللب الصافي الذي لم يصل من الحور الا الى قشره ظن أن الحور حشب كاسر ويستحيل عنده خروج الدهن منه لاستحالة وهو معذور) لعدم اطلاعه ولوقوفه على حكمه (ولكن عذره غير مقبول) عند ذوي التحقيق (وقد قيل في ذلك)

(الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة الله عمال)

(بيان معنى الانبساط والادلال الذى تثمره علة الانس)

(اعلم) أرشدك الله (ان الانس) بفتح السكينة والطمأنينة والانبساط والادلال وذلك لان علة الانس تغلب لباب العارفين وتوحشهم انعدام الانس بمعنى عند جميعهم الله تعالى وقد يقع بمرأى عليهم سكينة تبهرهم وتروعهم على حد الاعتدال فى آداب الحضرة قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه حالة لا يعتريها كل أحد لان لا يزيل الفرق من المحبوب قال الله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا وورد السكينة وردت فى كتاب الله تعالى على أحوال مختلفة لا تتغير كلها فى نفس السكون والطمأنينة فوق السكينة لان السكينة صولة تعدل طغيان القلب وثورته والطمأنينة وجود من غير اعتدال بفرح واستبشار لمعرفة انقلب بالمزيد وهذه الثلاثة مختصة مع الانس لان المقصود فى هذه السكينة وسيلة تحفه على الادب لا عتدال وأما الانبساط والادلال فى الانس (دام وغلبه واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق) لقصور نظره على طيب حاله (ولم يعتره خوف الغير وانحجاب به تمر به من الانبساط فى الاقوال والافعال والمباحاة مع الله تعالى وقد يكون مسكر الصورة) لا يبقى تحت تقسيم ولا حلال الموجبين للهيبة (لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة وسكينة مختلفة من قيم فى مقام الانس) وقد يلبس بانبساط من المنبسط ما لا يليق بالعبد المتأنس وذلك مثل قول عائشة رضى الله عنها لما سمعت قوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قلت ارى ربك يسارع فى رضاك وهو نقص (ومن لم يقم فى ذلك انقطع وتشوشه هم فى تعلل هذا به وتأثر على الكمر) عبد الله تعالى به (ومثاله مسحة روح الاسود الذى أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يسأله يستسقى بنى اسرائيل بعد ما عطشوا سبع سنين) وسبع عجاف (وخرج موسى) عليه السلام (يستسقى لهم فى سبعين الفا) وحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أطلت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فليخرج حتى أستجيب له (فسأل عنه موسى) عليه السلام (فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق اذ بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى جبهته فعرفها على علته فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمى برخ قال فما علتك) التى ظهرت (فقال) حملة (كلامه ماعهدا من فعالك ولا هذا من حسن ما أبدى بدا لك أنقصت عليه عيونك أم عادت لرياح عن طاعتك أم اشتد عصف على المذنبين أم كنت عمارا فيخلق خلقا أم ترى بالك ممتنع ثم تخشى العيون فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى أنحصلت بنو اسرائيل بالعطش وذلت لله تعالى العنت فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاطبت ربى كيف تصغى لهم موسى عليه السلام به فأوحى الله اليه) بشره (انه يصغى كل يوم ثلاث مرات) يشير الى ما من صفاته وبيانه (و) روى (عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى

موسى عليه السلام يستسقى بهم فى سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أطلت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقال له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق اذ بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى جبهته فعرفها على علته فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمى برخ قال فما علتك التى ظهرت فقال حملة كلامه ما عهدا من فعالك ولا هذا من حسن ما أبدى بدا لك أنقصت عليه عيونك أم عادت لرياح عن طاعتك أم اشتد عصف على

المذنبين أم كنت عمارا فتخلق الخطائين خلقا أم ترى بالك ممتنع ثم تخشى العيون فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى أنحصلت بنو اسرائيل بالعطش وذلت لله تعالى العنت فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاطبت ربى كيف تصغى لهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى به انه يصغى كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن

قال احترقت الخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فحدث الى صاحب الخص قال فأتاه

شعث فقال له شعث ما بال خصك لم يحترق فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه اني سمعت

(قال احترقت أخصاص) جمع خص بالضم اسم لبيت من قصب (بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى) الاشعري رضي الله عنه (يومئذ أمير البصرة) كان ولاه عمر رضي الله عنه بعد عزل المغيرة بن شعبة وأقره عثمان على عمله قبل أن يعزله بعد الله بن عامر وكان أبو موسى الكوفة وولاه عثمان إياها بعد عزل سعيد بن العاص (فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فأتى شعث فقال) له (يا شعث ما بال خصك لم يحترق فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى) رضي الله عنه صدق الشعث (اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا كذلك لا وباسناد فيه انقطاع اهـ طب ورواه أيضا البغوي وابن قانع بلفظ يكون في أمتي رجال طمس رؤسهم دنس ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم وأشار بالانقطاع الى الحسن وأبي موسى الذي ذكر بأنه حسين وفي أمير البصرة لم يكن الحسن قد عبد والمشهور في اسناد حديث أنس ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ورواه الجماعة الا الترمذي (فبينا هو واقف بالبصرة اذ وقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة) عبد بن عباد (الخواص) ترجمه أبو عبيدة في الحلية وهكذا سماه وكناه في رسالته الى أبي داود حرفا كذا نبه عليه حمد بن عبد وكنيته أبو عثمة وقيل هو هو وقد روى صاحب الحلية في ترجمة طرسوس طريق رباح حدث عباد بن عباد أبو عثمة عن لاوراعي فساق حديثا وروى من طريق عبد الله بن أبي مسهر قال حدثني أبو عبد الخواص حدثني أبو بكر بن أبي مريم فساق حديثا وروى من طريق حمدون واحد قال سمعت أبا عبيدة يقول فساق وقاله ومن طريق أبي مسلم الكجي قال كتب عباد بن عبد الخواص الى أخ له فساق كلاما له وكل هذا الاختلاف في ترجمة واحدة فلعله كان يكنى بكل منها وترأت لي رواية سمعه عبد الظاهر بخطه عن عبد بن عبد أبو عثمة الارسوفي الخواص وقد بين معنى وقال ابن حبان كان ممن بالمدائن كثيرا فاستوطن الثغر وقال الخليلي ابن حبان ثقة حدث عنه عباد بن عباد بالارسوفي أبو عثمة الخواص صدوق يهم (فقيل له أبو حفص ما أصابك فقال ضل حماري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لا أحط رحلي ولا أنزل حتى يرد عليه حماره فما برحا حتى ورد عليه حماره في الوقت ومر أبو حفص رحمه الله تعالى) في شأنه (وهذا ومثله مما تجري به الركبان) من الانبساط والادلال (وليس بغريب عليهم أن ينشئوه هم قال الجنيد) قدس سره (أهل الناس يقولون في كلامهم وما جاءتهم وحلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المريد في أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم) قال صاحب القوت فلو رأيت بها لمستمع ما يكون منه وبينهم في سرهم وما يجدونه بينهم وبين ربهم في هذه الاوطان لكنت أعذرهم في كل قول وفعل يبدو لا يحكم عليهم في أمورهم فرق جيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المقبول ان من وجد منهم موجود يعلم المجهول عند ذوي العقول فتر دعاؤه وعزمه مصروح ومحنته في الامور منقوضة والحقيقة منه في حيرة (وإليه أشار القائل

قوم نحاجبهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه
ناهوا برؤيته عما سواله * يا حسن رؤيتهم في عزما ناهوا

ولا تستبعد رضاه عن العبد بما يعصيه به على غيره مهما اختلف مقامهما وفي القرآن تنبيهات على هذه المعاني

لو
وقوم نحاجبهم زهو بسيدهم
والعبد يزهو على مقدار مولاه
ناهوا برؤيته عما سواله * يا حسن رؤيتهم في عزما ناهوا
ولا تستبعد رضاه عن العبد بما يعصيه به
على غيره مهما اختلف مقامهما وفي القرآن تنبيهات على هذه المعاني

لوصت وهمت بجميع قصص القرآن تنبيهات الاولى انه ثبت ولا بد ان يطرأ بينها بعض الاعتبار فما هي عند دري لاعتبار من الاسماء فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس ما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية ثم افترقا في ان لا جتبيه والعصمة أما ابليس فأبلس عن رحمة وقيل انه من المعدين وأما آدم عليه السلام فقيل وهو عصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في معنى واحد ولكن (١٤٣) في احوال مختلفات فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى وقال في الآخر أما من استغنى فأنت له تصدى وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ربهم ذنب وقوله اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وقوله ان يخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان من يدري أنهم مع ما لا يعلم ولا يحتمل دون هذا لما أقيم مقام القرب والهيبة فعوتب ما حبس في نطق الحوت في ثلاث ونودي عليه الى يوم القيامة فلولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات

لوصت وهمت بجميع قصص القرآن تنبيهات الاولى انه ثبت ولا بد ان يطرأ بينها بعض الاعتبار فما هي عند دري لاعتبار من الاسماء فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس ما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية ثم افترقا في ان لا جتبيه والعصمة أما ابليس فأبلس عن رحمة وقيل انه من المعدين وأما آدم عليه السلام فقيل وهو عصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في معنى واحد ولكن (١٤٣) في احوال مختلفات فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى وقال في الآخر أما من استغنى فأنت له تصدى وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ربهم ذنب وقوله اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وقوله ان يخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان من يدري أنهم مع ما لا يعلم ولا يحتمل دون هذا لما أقيم مقام القرب والهيبة فعوتب ما حبس في نطق الحوت في ثلاث ونودي عليه الى يوم القيامة فلولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات

و بعضهم الماسق فى الازل من تفاضل و تفاوت فى القسمة بين العباد وقد قال تعالى وقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من افضلهم ولا دلالة فيه على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس وأما يحيى من ذكر باعلى منه السلام وبه أقيم مقام الهيبة والحياء فم ينطق حتى أثنى عليه ثم قفاه السلام عليه والبركة (احتمل لاخوة يوسف) وقد قال بعض العلماء قد عد تسعين أول قوله تعالى

اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا الى رأس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه بما وأثر بعض خطيئة بعضها أكثر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة ثلاث و لا ارتباع فغفرانهم وعصمتهم ولم يحتمل الغفران فى مسألة واحدة سأل عنها فى الاقدر حتى قال لحى من دوان السوة وكذلك كان يعلم من باعوراء من أكابر علماء بنى اسرائيل الذين لم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين و يا ابن محبوبه ارهدين الى كم يعصينى ان حالتى آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة وعزتى وجلالى لئن أخذته عصمة من عصمانى عليه لاتركنه مثلا لمن معه وكالامن بعده فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه و يديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب اليك وكيف أستعصمك ان لم تعصمنى لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا أستقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى عند ذكره بعد ان كان أثنى عليه بهذه الكلمة كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك وقد أهلكت فى دونه أمة من الامم بهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتقديم والتأخير على ما سبقت به

و بعضهم الماسق فى الازل من تفاضل و تفاوت فى القسمة بين العباد وقد قال تعالى وقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من افضلهم ولا دلالة فيه على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا كما أخبر الله تعالى عنه (وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس وأما يحيى من ذكر باعلى منه السلام (وبه أقيم مقام الهيبة والحياء فم ينطق حتى أثنى عليه فقال والسلام عليه) يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا (و البركة احتمل لاخوة يوسف) عليهم السلام (ما فعلوه بيوسف) عليه السلام وهم يهود وروبيل و شمعون ونكشل ودان وعدد وأشاجر واشخر وحادر ولاوى (وقد قال بعض العلماء قد عد تسعين من أول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا الى رأس العشرين) آية (من اخباره تعالى عن زهدهم فيه بما وأثر بعض خطيئة بعضها أكثر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة ثلاث و لا ارتباع فغفرانهم وعصمتهم ولم يحتمل الغفران فى مسألة واحدة سأل عنها فى الاقدر) منهم (و لا ارتباع فغفرانهم وعصمتهم ولم يحتمل الغفران فى مسألة واحدة سأل عنها فى الاقدر) فضل سعته بينهم واستعبده فيهم وسومهم شر ما السوة (ولم يحتمل الغفران فى مسألة واحدة سأل عنها فى الاقدر) فضل سعته بينهم واستعبده فيهم وسومهم شر ما السوة (حتى قال لحى من دوان السوة) فضل ذلك (وكذلك كان يعلم من باعوراء) فى بنى اسرائيل (من أكابر العلماء) وممن كان يعرف الاسم الظاهر (فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك) فعصمه الله عنه (وكان آصف) بن برخيا بن نمويل بن سبط سيدنا سليمان عليه السلام ووزيره ومعينه فهو المراد بقوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب قيل كان يعرف الاسم الاعظم لكنه كان (من المسرفين) على نفسه (وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين و يا ابن محبوبه ارهدين الى كم يعصينى ان حالتى آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة وعزتى وجلالى لئن أخذته عصمة من عصمانى عليه لاتركنه مثلا لمن معه وكالامن بعده) أى يعتبر به المعتبرون (فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج) آصف (حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه و يديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب اليك) أى فى كل حال دلى وعبوديتى (وكيف أستعصمك ان لم تعصمنى لاعودن) أى الى المعصية (فاوحى الله تعالى اليه) بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام (صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم) وفى على رتبته التى كان علم وقدر ربت عنه العلوم الغريبة من عند الملك والاسم والبه ينتهى سنادها (وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى عند ذكره (بعد ان كان أثنى) أى أشرف (على الهلكة) وقال (كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك) ما (قد أهلكت فى دونه أمة من الامم بهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة

المشيئة لازلية وهذه القصص وردت فى القرآن لتعرف بها سنة الله فى عباده الذين خلوا) أى مضوا (من قبل ف فى القرآن شئ الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه وتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله) وكلاهما يتلى فى كتاب الله تعالى من سلب نقص وانبات كمال (فيقول) فى الاثبات أى من مخلق كيف لا يخلق (فلا تذكرون ويقول الله لا اله الا هو الحى القيوم ويقول هو الله الذى لا اله الا هو (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) وأما السلب فكقول الله تعالى قل هو الله أحد الى آخرها وقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أى مثيلا ونظيرا فهذه هى المعرفة الخاصة (وتارة يتعرف اليهم فى أفعاله المخوفة والمرجوة فيقول عليهم سنتى فى أعدائه وفى أنبيائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعد والقرآن هذه الاقسام الثلاثة وهى الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنتى مع عباده) ولذلك انقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال (ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس) أعنى به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها (وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن) قال العراقى فى رواية أحمد من حديث أبى بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخارى من حديث أبى سعيد ومسلم من حديث أبى الدرداء نحوه اه قلت لفظ أحمد من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وهكذا رواه أبو عبيد والنسائى وابن منيع ومحمد بن نصر والدارقطنى فى الافراد وابن مردويه والبيهقى ولفظ البخارى قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه أيضا أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان ورواه البخارى أيضا من رواية أبى سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان ورواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبى الدرداء وقد روى كذلك بهذا اللفظ من حديث أبى رواه ابن ماجه والطبرانى فى الاوسط والكبير والبيهقى فى الشعب ومن حديث أبى هريرة رواه الترمذى وصححه وابن ماجه ومن حديث ابن مسعود رواه الطبرانى فى الكبير ومن حديث أبى مسعود الانصارى رواه أحمد وابن ماجه ومن حديث معقل رواه الطبرانى فى الكبير ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رواه أحمد والطبرانى والبيهقى وقد روى أيضا من حديث ابن عمر بزيادة وهل يأتى الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الطبرانى والحاكم وروى من حديث على رضى الله عنه لفظ من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثى القرآن ومن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كله رواه الرافعى فى تاريخه وروى العقيلى من حديث رجل العنبرى من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع وروى البيهقى من حديث سعد من قرأ منكم الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن ورواه ابن السنى من حديث أبى هريرة لفظه كانت له كعدل ثلث القرآن وروى أبو نعيم من حديث ابن عباس من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلثى القرآن (الا ان منتهى التقديس فى أن يكون واحدا فى ثلاثة أمور) أحدها (لا يكون حاصلا منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد) وقوله لم يلد أى لانه لم يحس ولم يشعر بل ما يقبله أو يحلق عنه لامتناع الحق والصاق عليه (و) الثانى (لا يكون هو حاصلا من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد) وذلك لانه لا يتغير فى شئ ولا بسببه عدم (و) الثالث (لا يكون فى درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد) أى ولم يكن أحد يكافئه ويعادله من صاحبة وغيرها (ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد) فاحد يدل على مجامع صفات الجلال والله يدل على جميع صفات الكمال والاحد الحقيقى ما يكون منزها لذاته عن احتمال تركيب وتعدد مما يستلزم أحدهما كالجسمية والجوهر والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كالوجود والقدرة الذاتيه

وتعرف من الله تعالى الى خلقه تارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم فى أفعاله المخوفة والمرجوة فيقول عليهم سنتى فى أعدائه وفى أنبيائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعد والقرآن هذه الاقسام الثلاثة وهى الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنتى مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان منتهى التقديس أن يكون واحدا فى ثلاثة أمور لا يكون حاصلا من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون فى درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد

والحكمة لا بهيما لمنافاة المقتضيه للالوهية (وجلته) أى معرفته اجمالا (تفصيل قول لا اله الا الله) وقولهم معرفة الشئ على الاجمال يقتضى العلم على التفصيل على معنى ان الاجمال هو عدم الاطلاع على دقائقه لا بمعنى معرفة الاشياء فرادى ثم جمعها عددا فهذا لا ينفع منه ذاك على الدلالة الجامعة لصفات الالهية كلها جلالا وجمالا وكالاحتى لا يشذ منها شئ وسائر الاسماء لا يس آحاد له لا على معنى من علم وقدرة وغيرهما وهم منه به الوجود الحقيقى الحى وكل ما سواه هالك وباطل الا له (فهذه أسرار القرآن) وجواهره (ولا تتناهى أمثال هذه الاسرار فى القرآن فلا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه نوروا القرآن وتمسوا غرائبه فيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد كل كلمة منه بانه كلام جبار فعند ما يستفرغ وسعه فى حد ما تطاعه البشر وأكثر أسرار القرآن معان فى طى القصص والاخبار) وهى المرادة من قول ابن مسعود وانموا غرائبه (ولكن حيث يصاب استنباطها) من معادنها (ويكشف لك فيه عن العجائب ما تستحقر معه العلوم لم نحرجها خارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذى هو ثمرته وبيان تباين عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

* (القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد فى فضيلته) *

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين

وجلته تفصيل قول لا اله الا الله فهذه أسرار القرآن ولا تتناهى أمثال هذه الاسرار فى القرآن ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه نوروا القرآن وتمسوا غرائبه فيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد كل كلمة منه بانه كلام جبار فعند ما يستفرغ وسعه فى حد ما تطاعه البشر وأكثر أسرار القرآن معان فى طى القصص والاخبار وهى المرادة من قول ابن مسعود وانموا غرائبه ولكن حيث يصاب استنباطها من معادنها يكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم لم نحرجها خارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذى هو ثمرته وبيان تباين عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

* (القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد فى فضيلته) *

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين

لغيره فلا يذهب عن القلب الهم والغم والحزن والسخط وتحل محل ذلك من الفرح والسرور والاستبشار ويستفيد بذلك عدا الاخلاص مع الله والسلامة من اضاعة الاوقات وقال الشعيري قد اختلف العرفيون والحراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال أو من المقامات وهو الراجح عندنا لانه دائم كالتوكل ومعنى قولنا ان الرضا يتوصل اليه بعد ما تكتسبه وأما العارفون منهم فالرضا عندهم من جملة الاحوال وليس ذلك كسبيا للعبد بل هو موهبة تحل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع بين القولين بما ذكرناه من ان الرضا مكتسب للعبد وهي من المقامات ومن جملة الاحوال التي ليست بمكتسبة (و) اما (حقيقته) فهو (عبارة عن انشراح الصدر وامتلائه من الفرح والابتهاج بحيث يتكشف الانسان على الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بالكفر والمعاصي واخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالمقدور والمقسوم فرضا لا عتراض وذلك بكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو تكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لمنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

وحقيقته عبارة عن انشراح الصدر وامتلائه من الفرح والابتهاج بحيث يتكشف الانسان على الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بالكفر والمعاصي واخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالمقدور والمقسوم فرضا لا عتراض وذلك بكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو تكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لمنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

و لا يثار و لرضا فيما في يديه و لاخراج رضاه سبحانه وتعالى عن اعتراضه على تحريمه فيه و ليس هذا من مقام الرضا بل خاص به عند نفسه وهذا قول لاعدى هوى وهو من خدع النفوس و آفاتها ومن غرور النعدو ومكايده لان الرضا لا يمنع من تحتيم النفور لصحة معرفة الراضي فعل الرضا وصفة كيف تكون وحب مولاه للمعصية والمعاصي لكثرة وقوعها لا يأمر بالاستكثار والاتباع لما كره من النعمة والاستكثار لان الرضا من تمام الايمان به اذ كان من جملة ما يجب به فهو لا يوقف تمامه لما يحب ليه بعد ولا يدخل فيما كره له من فضول الدنيا فيوقف من ذلك على علة الهوى ويدخل فيه محبة الدنيا وهي مذمومات في نعم وعند الله تأمره نفس الامارة بالسوء ويوسوس به بعد ذما بهم والحطم وهذه مذمومات وآفاتها تحمله على الرضا وهذا عثرات من استفس لها وتمويه على الخلق ليسلم منه ولا عذر له فهذا عند الله ولا سلامة له فيه من حيث ولا مقام له في الرضا عند بعض من أهل الرضا اه (وسنذكر بيان فضيلة الرضا ثم نذكر بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي والمآكير

(بيان فضيلة الرضا)

(أما من الآيات) فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان و منتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب الرضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكان مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة ورضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك

(بيان فضيلة الرضا)

(أما من الآيات) فقوله تعالى رضي الله عنهم و رضوا عنه وقال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان و منتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب الرضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكان مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة ورضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك

يفوت ثم ساق الحديث وفيه حتى تنتهي بهم الى حيث عدن فال فيكشف عنهم حجاب فينظرون الله عز وجل الحديث بطوله ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة وابن مردويه أيضا فاحفظ يا أهل الجنة ما سمع بهم نور وجوهكم وابصارهم فاذا ارى الله تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم وقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قوله الله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه حتى يحتجب عليهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (وسؤالهم ربهم بعد النظر) اليه (مما يتعلق بالمنصبين) ومن ذلك ما روى في حديث أبي سعيد الخدري ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن حبان (وأما رضوان الله) بالعبد عن الله وفي الله (فسيذكر حقيقته) فيما بعد (وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو يعني آخر بقرب مما ذكر) في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته لتقصر افهام الخلق عن دركه) وعده ما قال ان العصمة هذه الرحمة وأجل قول لرضا من الله والعصمة من الله تعالى للعبد دليل رحمته ثم تحمله رحمته في مقام المحبة وهذه رحمة المحبوبين ثم ترفعه المحبة الى مقام الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصاريف أسبابه والمطلوب (ومن يقوى عليه ويستقل بادراكه من بعده وعلى الجملة فالارتقاء نحو النظر اليه فلما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوا غاية الغايات وأقصى الامانى فما اطمأنوا وابتغوا النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولديّ مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي هل الجنة في وقت المزيد ثلاث تخف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من رب رحيم فيريد بذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من هديته والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد وأما من الاخبار فقد روي أن

وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فلما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوا غاية الغايات وأقصى الامانى فما اطمأنوا وابتغوا النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولديّ مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي هل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من رب رحيم فيريد بذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من هديته والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد وأما من الاخبار فقد روي أن

نبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم قالوا مؤمنون قال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء قال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال لحكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء

رضي الله تعالى عنه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال ايضا اذا كان يوم القيامة نادت الله تعالى اطائفة من امتي الجنة فيطير ون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا وتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما حسابا فتقول لهم هل رأيتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ وتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدنا كم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا استحيى أن نعصيه ورضي بما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا) نقله صاحب القوت قال وروينا حديثا حسنا من حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادت الصعفاء في رواية لحماد في الضعفاء أبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع خلاف وزيادة وقد جود بن علي القيسي ما وقع له ذلك والحديث منكر ليس في القرآن ولا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا رواه أحد جيد بن علي فيما علم أحد ذكره في ديوان الضعفاء للذهبي ولا في ميزانه فليس بأبو نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا عبيد بن عباد حدثنا جعفر بن محمد الحسن الحواري حدثنا عبد الله ابن عبد الله بن الحسن بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثني أبي عن الحسين بن حليمة عن أبيه عن أبي صالح عن أبيه شعيب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يهاجر من السابقون الذين يعطون على رغم وبلى على مسي عند موتهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب الجنة فيقال لهم الجنة من أنتم فيقولون نحن المهاجرون فيقال لهم الجنة هل حوسبتم فيجاوبون على ركبهم ويبترون ما في حقويهم ويرعون أيديهم ويقولون لا يارب ثم هذه تحسب بقدر حماوتركنا المال والاهل والولد فحمل منهم أحدهم ثمانمائة ذنب وسعة فترجد الباقون فيصيرون حتى يدخلوا الجنة فذلك قوله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الآية قوله لغوب قال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم منازلهم في الجنة أعرف منكم منازلكم في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بالثواب فقركم ولا لا) تقدم في كتاب الفقر والزهد بلفظ يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث وانه رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف فيه أحمد بن الحسن بن أيوب متهم بالكذب (وفي أخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا ندخل فعله يرضى به عنا فقال لموسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم) نقله صاحب القوت قال (ويشهد لهذا

الخبر

خبر (ما روى عن سيد صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ماالله عز وجل عنده قال الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه) قال وجدنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك القطيعي بهذا الحديث فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال العراقي رواه الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله اه قلت ورواه الدارقطني في الافراد دون النجار من حديث أنس بلفظ من أراد أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ماالله عز وجل عنده ورواه كذلك أبو نعيم من حديث أبي هريرة (وفي الجامع ود عليه السلام) أوحى الله تعالى الى داود يا داود (مالاوليائي وهم بالدنيا) يلعبون (يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي في الشعب عن بشر الحافي بزيادة وذلك حقت الشهوات والذات بصفوة عبادي مالاذات لهم بالشهوات واللذات يا داود فلا تعشق قلبا شغل بي ما غاص بهواي حتى يذهب حلاوة حبي من قلبك وقد تقدم في حديث آخر (يا داود حببني الى أوليائي ليكونوا روحانيين لا يعتمون) أبدا ولا يهمون بالخير وأنت تريدني كذا في القوت وقال في موضع آخر وقد روينا في أخبار داود عليه السلام ان الله عز وجل أوحى اليه تزعم انك صادق وفي عشقي وفي حبي ويحك كيف يجتمع في قلبك أن أخذ ذلك قلب محبني من عبادي أن يكونوا روحانيين لا يعتمون مع اشتغالك بي واحدا تنيا م العباد الى هنالك أرفع النور لك ساعد المحبوبين عندي وفتحت كذلك فتحت ما عندي وبقيت ما على في كلام نحوه قال في آخره ولا تهتم بالخير وأنت تريد آخر هواي على هواك واعمل أشد مما تعمل لنفسك وقد تقدم بعضه قريبا (وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضائك نفسك وفي مخالفة هواك نقله صاحب القوت وقال بعضهم وفيما قال موسى عليه السلام الهي دلني على عمل ذا عمله رضيت عني فقال لك لا طاقة لك بذلك فخر موسى ساجدا منصرعا وروى الله تعالى اليه ما بال عمران ابن عمران ان رضائي في رضائك فنفسك اه وقال صاحب القوت وروي بهذا المعنى وجه آخر في أمر نبيل سأل موسى عليه السلام فقالوا علمنا أي شئ رضا ربنا عز وجل لعله قد وجب علينا فقال الله تعالى اليه قل لهم رضائي ان ترضوا بقضائي (وفي مناجاة موسى عليه السلام يا رب أي خلقك أحب اليك قال من ذا أحدث منه محبوبا سماني قال فهل خلقت أنت على ظهر الارض أشد تواضعا منك قال من يستجيرني في الامر وأنا صنيعته فأجيره) نقله صاحب القوت قال (وروي ما هو أشد من ذلك كله (وهو ان الله تعالى قال ما آمنه لا لا أمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي ولم يحمدني) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة وابن عدي مقتصرا على قوله من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي واسناده ضعيف اه قلت وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر كلهم من طريق سعيد بن زياد بن أبي زياد عن أبي هريرة الدارمي عن أبيه زياد كشداد عن أبيه زياد بابا عن أبيه زيد عن أبي هند قال سمعت رجلا من بني سليم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعني عن ربه عز وجل قال الحافظ في الاصابة قلت وولده صحابيان وروى الشيرازي في الالقاب من حديث علي قال لي جبريل قال الله عز وجل يا محمد من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليلتمس ربا غيري وفيه محمد بن علاثة الكرماني وروى البيهقي وابن النجار من حديث أنس قال الله عز وجل من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس ربا غيري ورواه الخطيب بلفظ من لم يرض بقضائي وقدري ولم يؤمن بقدرته فليلتمس ربا غيري (ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم به قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وحكمت الصنع من رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني) نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجد هذا اللفظ والطبراني في الاوسط من حديث أبي امامة خلق الله خلقا وقضى قضيته وأخذ ميثاق الناس بيمينه وأخذ أهل الشمال بيده الاخرى وكلتا يدي الرحمن يمين فقال أصحاب اليمين سمعنا وأطعنا ربنا وسعديك

وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير وشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار سبعة أشياء لا ينبغي لاحد أن يفعلها الشكاية إلى الله عز وجل الجوع والفقر والعمل عشرين بما أحب إلى أن أوحى الله تعالى إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا مضت عليك قبل أن أخلق الدنيا فتريد أن أعيدها بما أحببت أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب دون ما أحب ويكون ما تريد دون ما أريد وعزتي وجلالي لئن تخطر هذه في صدرك مرة أخرى لأمحوك من ديوان النبوة وروي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيسبيني ما لا أعلم (قال أنس بن مالك رضي الله عنه (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ولا قال في شيء كان بيته لم يكن ولا في شيء لم يكن بيته كان وكان إذا عصى أحد من أهله يقول دعوه لو قضي شيء كان) ولفظ بقوت خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أمرني بأمر يريد صاحبه ما فعلت لي شيء فعلته لم فعلته ثم ساقه وفي آخره وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو قضي شيء لكان وفي بعض أخباره وإن عصاني بخادم قال دعوه لو قضي شيء كان هذا لفظ ثلاثة أحاديث وهذا وصف الراوي بتوفي نشهد به ونعرفه بعلة تحمله في شيئين متضادين ما يعني النبي صلى الله عليه وسلم في صحة قضيت أو لم تقض الأول لو قضي شيء كان فهذا كان للفظ راجعا على الوصفين فالذي قضى أيضا أي لو قضي أن لا يقضي فاستوى عنده في القضاء ما قضي لأنه قد قضى أن يقضي وما لم يقض لأنه لم يسبق فيما لم يقض وقد يصح في هذا الوجه أن يكون لكل حاجة تقدم إلى أوهم فكأنهم أراد أن قضيت الا جابة غير ما تصور في وهمه قال لو قضي ذلك لكان قد كان الملك عاد على ما لم يقض وحدثان ما قضى فقد صغير وبان بالاستقراء فيكون هذا معنى قوله في قصة ذي اليدين كل ذلك لم يكن وقد كان أحدهما وهو

قال ألست بركم فوالي قال أصحابه اللهم نعم بوالله فقالوا البلاء بنا وبعد بلاء فأين أنت بربكم فقولي لها فطفق بعضهم يقول لبعض منهم وسلم خلقات بسبابهم عمال من دون ذلك هم له عاملون أن يقولوا يوم القيامة ما كنا عن هذا غافلين ثم رشهم في صلب آدم وأخذ منهم الجنة أهلها وأهل النار أهلها قالوا بلى يا رسول الله فالاعمال في بعمل كل قوم لهم وهكذا رواه عبد بن حميد والحكيم والعقيلي وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه وقال صاحب بقوت وفي الخبر أول ما كلم الله تعالى به موسى عليه السلام بني أنه لا إله إلا أنا من رضي بحكمي واستسلم لقضائي وصبر على بلائي كتبته صديقا وحشرته مع الصديقين يوم القيامة قلت رواه الديلمي من حديث ابن عباس لفظ أول شيء كلمه الله في الروح عفوه نسلم الله يرحم الرحيم به من استسلم لقضائي ورضي بحكمي وصبر على بلائي بعثته يوم القيامة مع الصديقين (وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال ولم وكيف) كذا نقله صاحب القوت قال العراقي رواه ابن شاهين في شرح السنة من حديث أبي أمامة بسند ضعيف اهـ قلت وروى الطبراني من حديث ابن عباس أن الله تعالى قال أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يديه الخير وويل لمن قدرت على يديه الشر (وفي الاخبار سبعة أشياء لا ينبغي لاحد شكاية الله عز وجل الجوع والفقر والعمل عشرين بما أحب إلى أن أوحى الله إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا مضت عليك قبل أن أخلق الدنيا فتريد أن أعيدها بما أحببت أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب دون ما أحب ويكون ما تريد دون ما أريد وعزتي وجلالي لئن تخطر هذه في صدرك مرة أخرى لأمحوك من ديوان النبوة) نقله صاحب القوت (وروى) في بعض الاخبار (أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيسبيني ما لا أعلم (قال أنس بن مالك رضي الله عنه (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ولا قال في شيء كان بيته لم يكن ولا في شيء لم يكن بيته كان وكان إذا عصى أحد من أهله يقول دعوه لو قضي شيء كان

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود إنك تريد وأريد ولن يكون ما تريد إلا ما أريد فإن سلمت لي أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد (وأما الآثار) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواضع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون ابن مهران من لم يرض بالقضاء فليس بعبد وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير الله وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في أكل خبز الشعير والحل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لأن أحلف حرة أحرفت ما أحرفت وأثمت ما أثمت أحب إلي من أن أقول لشيء كان بيته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان وقال رجل لأبي قرصافة في رجل مجدور واسع فقال أي لا رحلن من هذه القرحة فقال إني لأشكرها منذ خرجت أفلم تخرج في عيني وروى في الإسرائيليات أن عابدا عبد الله دهرا طويلا قاعدا في المقام وثلاثة راعية ويقتتل في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستصحبها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان يبيت قائما ويبيت ثلاثة ويظل صائما ويصل معطرة فقال أما الذي عمل الأمار أيت فقلت ما هو والله لا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول لي ذكرى حتى قلت خصلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة وإن كنت في النعيم لم أتمن أن أكون في غيره

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود إنك تريد وأريد ولن يكون ما تريد إلا ما أريد فإن سلمت لي أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد (وأما الآثار) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواضع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون ابن مهران من لم يرض بالقضاء فليس بعبد وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير الله وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في أكل خبز الشعير والحل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لأن أحلف حرة أحرفت ما أحرفت وأثمت ما أثمت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان وقال رجل لأبي قرصافة في رجل مجدور واسع فقال أي لا رحلن من هذه القرحة فقال إني لأشكرها منذ خرجت أفلم تخرج في عيني وروى في الإسرائيليات أن عابدا عبد الله دهرا طويلا قاعدا في المقام وثلاثة راعية ويقتتل في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستصحبها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان يبيت قائما ويبيت ثلاثة ويظل صائما ويصل معطرة فقال أما الذي عمل الأمار أيت فقلت ما هو والله لا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول لي ذكرى حتى قلت خصلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة وإن كنت في النعيم لم أتمن أن أكون في غيره

فوضع يده على رأسه وقال هذه حصيلة هذه والله خصاصة عيشه يخبر عنها عند ربه عن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى فى السماء قضاء
أحب من أهل الارض أن يرضوا (٦٥٤) فقضائه وقال أبو الدرداء درجة الاعمال الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى

على أى حال أصبحت
وأمسيت من شدة ورخاء
وقال الأوزاعى وما عند
والعطاء اللهم ارض عنا
فقالت أما تستحيى من
الله أن تسأله الرضا
وأنت عنه غير راض فقال
أستغفر الله فقال حدثنا
ابن جعفر بن سليمان
الضبعى قال كنت عند
رضيا عن الله تعالى
فاذا كان سروره
بمصيبة مثل سروره
بالنعمة وكان الفضيل
يقول الرضا عند
المنع والعطاء كالرضا
عن الله تعالى وقال أحمد
ابن أبى الحوارى قال أبو
سليمان الدارانى ان الله
عز وجل اذا كرم عبدا
رضى من عبيده ما رضى
العبد من مواليهم قلت
وكيف ذلك قال ليس
مراد العبد من الخلق
أن يرضى عنهم مولاه قلت
نعم فان محبة الله من
عبيده ان يرضوا عنه
وقال سهل حظ العبد
من اليقين على قدر حظهم
من الرضا وحظهم من
الرضا على قدر عيشهم مع
الله عز وجل وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل اذا أحب
قوما ابتلاهم فمن رضى
فله الرضا ومن سخط
فله السخط رواه ابن
ماجه من حديث أنس
باسناد حسن وقال
الفضيل الرضا أن لا
تكره البلاء والسخط
أن لا تحمد العافية
وقال أبو سليمان
الرضا باب الله الأعظم
وجنة الدنيا ومستراح
العابدين وقال ذو النون
ثلاث من لم يكن فيه
فليس من الرضا في شيء
من كان في ضيق لم
أعلم انى كنت في ضيق
ومن كان في مرض لم
أعلم انى كنت في مرض
ومن كان في فقر لم
أعلم انى كنت في فقر
وقال أبو سليمان
الرضا باب الله الأعظم
وجنة الدنيا ومستراح
العابدين وقال ذو النون
ثلاث من لم يكن فيه
فليس من الرضا في شيء
من كان في ضيق لم
أعلم انى كنت في ضيق
ومن كان في مرض لم
أعلم انى كنت في مرض
ومن كان في فقر لم
أعلم انى كنت في فقر

(وضع يده على رأسه وقال هذه حصيلة هذه والله خصاصة عيشه يخبر عنها عند ربه عز وجل) كذا لفظ القوت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا عبد الله بن محمود عن عبد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس حدثنى أبى عن عبد العزيز بن أبى روّاد قال لعبى بن السرى يا عبد الله بلغنى فى مسيرك ثلاثة أيام مع ليالى ثلاث وخلت فى الحادية قال فلا يزال يعلمنى حتى قال لى أحب أن أصيب ثلاثة أيام مع ليالى ثلاث فأنت بالرحب والسعة قال فكان عندى ثلاث ليال وثلاثة أيام فأتيت منزله وهو يصلح مسحاة وتصوم معطرة فلما صلت قال ما لك تعمل غير هذا أما وثق عملك عندك قلت يا أبى ما هو الا ما رأيت لا خصلة واحدة قال وما تلك الخصلة قلت ان كنت فى نعمة شكرت وان كنت فى بلية صبرت وان كنت صائما لم أتهم انى كنت شبعانا وان كنت فى شمس لم أتهم انى كنت فى ظل وان كنت فى مرض لم أتهم انى كنت فى صحة فقال وأى خصلة هذه والله خصلة يخبر عنها العبد (وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا قضاءه) كذا فى القوت (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (درجة الاعمال الصبر للحكم والرضا بالقدر) وقد تقدم قول أبى الدرداء وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا موسى بن هرون حدثنا أبو الربيع وابن وشيد قالا حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان حدثنى يزيد بن مرثد الهمدانى أن عثمان بن أبى العاتكة سمع أبا الدرداء يقول درجة الاعمال الصبر للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام لرب العالمين (وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة ورخاء) روى ابن عيينة عن أبى اسحاق عن شيخ قال سمعت عمر ما أبالى على ما أصبحت على ما أحب أو ما أكره أى لا أدرى الخير فى أيهما أحب أو فيما أكره وقد تقدم (وقال) جعفر بن سليمان الضبعى قال سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (كنت وما عندى رابعة) العدوية المتوفية سنة ١٣٥ (فقلت اللهم ارض عنا فقالت أما تستحيى من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال) الثورى (استغفر الله) فهى ذكرته بما رضا الله عنه وقد مر عن قريب عن أبى سليمان الدارانى ان الله تعالى قد يذكر الثورى ويجمع الى اسمه وابن عيينة (فقال) أبو سليمان (جعفر بن سليمان الضبعى) البصرى صدوق زاهد خشن مسلم روى له الجماعة مات سنة ١٧٨ (انى يكون العبد راضيا عن الله تعالى وقد كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) كذا فى القوت ولفظه بعشرى وسئل رابعة متى يكون العبد راضيا فقالت اذا سرته المصيبة كما سرته النعمة (وكان الفضيل) بن عياض (يقول الرضا عند المنع والعطاء كالرضا عن الله تعالى) روه أبو نعيم فى الحلية (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبى الحوارى) عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبى الدمشقى أخو الراهد روى له أبو داود والنسائى مات سنة ٢٤٦ (قال) قال (أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبد من مواليهم قلت وكيف ذا قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنهم مولاه قلت نعم قال فمن محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه) نقله صاحب القوت (وقال سهل) التسترى رحمه الله تعالى (حظ العبد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط) قال صاحب القوت رواه عطاء عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا وقد تقدم فى رواية الطبرانى من حديث ابن مسعود وقد تقدم

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

(اعلم) نصرك الله تعالى (أن من قال) من العقلاء (ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فما لم يرتفع الاسم وهو ما ذكر) فيما توهمه (من ناحية انكار المحبة) وقد تقدم بيان مذهبه والاحتجاج عليه (فما لا

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فما لم يرتفع الاسم وهو ما ذكر فيما توهمه من ناحية انكار المحبة

ثبت تصور الحب منه تعالى واستحرق بهمه ولا يخلى ان الحب يورث الرعشة وقعود الانسان وحبس * أحدهما أن يعطل الاحساس بالالم حتى يجرى عليه اللوم ولا يحس وتصيبه جراحة وسراية فيها وموت الرجل المحارب فانه في حال عشقه او في حال جراحته قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها ولا أرى لهم استدلوا به على الجراحة التي بعد في فعل (٦٥٥) من يصيبه شوكة في قدمه ولا

ثبت) بمعنى ذكر ماه (تصور الحب منه تعالى واستحرق بهمه ولا يخلى ان الحب يورث الرعشة وقعود الانسان وحبس) وهو غاية الحب (وتكون) تصوير (دلالتهن وجهين أحدهما) أعني من الاثنين وهو الذي لا يتصور وقوعه لاعدم كمال المحبة (ان تعطل الاحساس بالالم حتى يجرى عليه اللوم ولا يحس وتصيبه جراحة وسراية فيها) وهذا عزيز الوقوع وصل بهم وهذا موجود في الاحوال المعتدة من اصحاب بشريته لان حكمه انما في الاصل اشتريه أي قوته على بشريته حكمته على سائر القوى (ومثاله الرجل المحارب فانه في حال حربه) وقد يقوى القوة عليه (أو في حال خوفه) وقد تقوت امارته (قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها) ولا يدري لها سبب (حتى اذا رأى الدم) بارزا من موضع الجراحة (استدل بها على الجراحة بل ابدى بعد وفي فعل من يصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالم دلك شيء منه) فهو فيه (بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به) لا محالة (فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ اسرين) من حلاقته (وحجامه) عن حجامته (وهو لا يشعر به) ولهذا مثلة كثيرة وعليها ذكره المصنف كفاية (وكذلك) لان (قلب المحب صار مستغرقا بامر من الامور مستولى به) أحدا كينه (لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يألمه أو يغتمه لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لغلبة استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل قلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل فيحس ورد تصور هذا في تسبب حب خلق في تصور في لام العشيق بالحب بعظم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم ويكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور والجمال الباطنة المدركة بصور البصيرة

وجمال حضرة الربوبية وجلالها يفنى به جمال وجلال من يكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس به وقد روى ان امرأة فحج الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها ما تجدين الوجع فقالت سبحان الله وانه لوجع من قلبي مرارة وجعه وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال دوست صرب الحبيب دوجع

* وأما توجه الثاني فهو أن يحص به و يدرك المحبوب لكن يكون ر ضاه ل راغب فيه مريد له اعني معقله وان كان كارها لطلبه كالذي يلتمس من الفصاد إ لفصد و يحتمله ألم ذلك لانه ر ض به و ر غب فيه ومتقلد من استعداده به بعقله فهذا حال الراضي عما يجري عليه من الالام وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة سفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة سفره وجعله راضيا بها وهما صابه

ذلك بعد معرفة العبد (وأما توجه الثاني فهو أن يحس به و يدرك المحبوب لكن يكون رضاه) ل (راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها) له (لطلبه) وهذا (كالذي يلتمس من الفصاد فصد) و (الحجام (ان يحجمه فيدرك بالحس ألم ذلك لانه ر ض به و رغب فيه ومتقلد من استعداده به بعقله فهذا حال الراضي عما يجري عليه من الالام وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر) لانحاله (ولكن حبه لثمرة سفره) يتخيل الربح (طيب عنده مشقة السفر) وسهلها عليه (وجعله راضيا بها) وهذه الدرجة واضحة وهي لا تخلو منها محبة كسبية ما ورد فيها من الفضائل وما سلم موهبة من الله تعالى لا يوجد الا الكسب لكن مقدماتها مكسوبة وهي تحلي بالاخلاق المحمودة فالتخلي من سفاسف الامور حتى انه قيل من احب الله التي تحاشت من الهموم والمحبة والخوف أفاض الله عليك من نوره ومعرفته ما لا يمكن وصفه ولا يمكن العبارة عنه وكلما ازددت معرفة ازددت حرصا الى ما لا يتناهى (ومهما أصابه بلية من الله عز وجل وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخره فوق ما نابه رضي به ورغب فيه وشكر الله عليه هذا اذا كان يلاحظ الثواب والاحسن الذي يجري عليه ويجوز ان يحب الحب بحيث يكون حب المحب في مراد محبوبه وهو رضاه لا شيء آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في اشتهاء في حب الخلق وقد تواصفها الواصفون) من المحبين والعشاق (في تعلمهم ونثرهم) وتتوالى ذلك مؤلفات (ولا معنى له لاستلاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فيما هو الا جلد ولحم ودم مشحون بالاقذار والانتان بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال وهي العين الحسيسة التي تعاف فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور ابتلاء هذا المحب من أين يستحيل ذلك في حب الجمال الاول الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك لبصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا نقص (ولا يدوم ولا يبقى بعد الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله) فانها محل معرفته الواضحة (مستعبدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار) اذ توصل فيه (و يشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم) على اختلاف درجاتهم في الحب (فقد قال ذو النون المصري) رحمه الله تعالى (سألت سريا السقطي) رحمه الله تعالى (عن المحب) استادي (سريا السقطي) رحمه الله تعالى (هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت ولو ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة) وهذا مقام الراضي المحب كما قال ابن خفيف الرضا أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار)

المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها غلط ولا يدوم ولا يبقى بعد الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستعبدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار و يشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال ذو النون المصري من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب نارا أحببت دخول نار

وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط فى شرقية بعداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته وقلت له مع ما رأيت منك دلانى عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقى كان يعذابى بنظره الى فقلت دلنى عليه فنظرت الى

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى اذا نظر أهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم فى قلوبهم مثل لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم ثم صلة بعد ذلك ثم تعود فى وجوههم

سكون بقلب الى أحكامه وموافقة بقلب مرضى وحذر وتأنى صاحب مصارع العشاق والسموءل

ولو قيل لى أفى النار أعلم أنه ✽ رضاك أومدن لنا من وصالك
لقدمت رجلى نحوها فوطئتها ✽ سرورا الى قد خطرت ببالك

(وقال بشر بن الحارث) الحافى رحمه الله تعالى (مررت برجل) من العبادين (وقد ضرب ألف سوط فى شرقية بعداد) فى حماية جندها (ولم يتكلم) أى لم يتأوه من الضرب (ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لما ضربت فقال لى يا بشر فقلت له ولم سكت قال لان معشوقى كان يعذابى بنظره) ثم أحد نسبه ثم ضرب (فقلت) له هذا فى المحلوق (ولو نظر الى المعشوق الاكبر) كيف كان حاله (قال مرعى زعفرانا) يعنى يشبرى نحوه وهذا كان محبا محبوبا جليلا كشف له الحجاب فلم يحمل وكان سروره فى وجهه (وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى اذا نظر أهل الجنة الى الله تعالى) نظر على علم منهم عين عليهم (ذهبت عيونهم فى قلوبهم) من هذا النظار الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم ثم صلة بعد ذلك ثم تعود فى وجوههم (فى الدنيا) الاحبات جلاله هانت واذا الاحبات جماله باهت (وقال بشر) الحافى رحمه الله تعالى (ضربت عبدا فى) بلدة (بردان) وهى على شرقية فى جزيرة قرب البصرة (فى مدائنى) أى أول ملكى (فلما أثر حمل أعمى محدوم قد صرع) على الارض (والعبد يأكل لحم فخذ شاة) من الارض فتقدمت اليه (فوضعته فى حجرى وأنا أردد الكلام) ودعوته (فلما أفاق من غشيته (قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى) ثم رجع الى ربه وقال (لو قطعنى ارباربا) أى قطعة قطعة (ما ازددت له الا حبا فقال بشر فما رأيت بعد ذلك لقمة من عبد وبه ما به فذكرتها) والبقية معروفة من شرح الحافى رضى الله عنه (قال ورأيت بعبدان رجلا قد ضرب ألف سوط فلم يتأوه فقلت له لما ضربت فقال لى يا بشر فقلت له ولم سكت قال لان معشوقى كان يعذابى بنظره

قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل

ثم قر بالمدينة سنة وحوله ست مائة وعن أمره فقيل لي انه كان يهودي في بعض الملوك تجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على أعدى أهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب بصره وسمعه وهو يقول الهي منعتني جميع ما شئت أن تمنعني ما شئت وسلبتني ما شئت وأبقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله

تعالى عنهما أنه شتكى له اس وشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد

حتى يدل على هذا الشيخ ان حديث هذا الاعلام شرح ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ان عمر انما كان حزين رحيله فيما وقع أمر الله ورضيانه وقال مسروق كان رحيل سيدنا له كان رحيل ذليل فالذين يوقظهم للصلاة والحمار يقالون عليه الماء ويحمل لهم حشائشهم والكلب يحرسهم قال هذا هو الذي رواه وكان الرجل صالحا فقال عيسى أن يكون خيرا ثم مر بقرية أخرى فقالوا فيها مثل ما قالوا في الاولى فقال الرجل عيسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عيسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم فقال واعجبا أخذوا وتركنا كان عددهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت خيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كافة رحمه الله تعالى قد من عرف حتى نعته لي رضي نعله على كل حال ويروى ان

بارزوح

عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مصروب الجسم بعاهة وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أي شيء من البلاء أشد من بلائك أما ترى مصروعا عند

مار وح الله أما خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته قال له صدقت هنيئا له (وما رآه بدء هو أحسن الناس وجها وأصلهم هيئة وقد أذهب الله ضعفا كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رحله من ركنه من الكعبة حيث حرجت بها ثم قال الحمد لله الذي أحدث لي واحدة وأبقى سنة وكم أربعة أحدث واحدة وأبقى ثلاثا ولئن كنت أحدثت لقد عاقبت ولئن كنت تبليت لقد عافيت) وقال قد قيل ما سمعنا بهذا بعد هلاك داود هذا عروة ومن عروة ومن عروة أصاب رحله وما به نحمد قال اللهم كانوا سبعة أحدث واحدا وأبقيت ستة وكم أربعة أحدث واحدة وأبقيت ثلاثا ولئن كنت أحدثت لقد أبقيت ولئن كنت تبليت لقد عافيت ولئن كنت أحدثت لقد أبقيت ولئن كنت تبليت لقد عافيت (ثم لم يدع ورده) من قراءة (ثلاث الليلة) وكان ورده سبع قرآن كل يوم أطر من المصحف ويقوم به الليل وذكر بريد بن كاسان عيسى بن طهمان عن العوام بن حوشب قدم من عند الوليد بن عبد الملك وفد فطفق رجل منهم يحدث بعض أهل المجلس عن رحلي يعني البعير فقال عيسى يا عبد الله ما أعدد ذلك للصراع ولا للسفر ولقد أتى الله عز وجل لبنا كما تحتاج إليه من رأيك وعلمك فقال عروة ما يسرني أحد على رحلي مني (وكان ابن مسعود) رضي الله عنه (يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل) رواه العسكري ومن طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا عمر بن حفص حدثنا عاصم بن علي حدثنا مسعودي حدثنا علي بن بذيمة عن قيس بن حبتر عن عبد الله قال لا أحسد الأكرم فإن الله يوفقه وأما اللئام فهو لا يعبأ بهم والفقر وما أبالي بأيهما ابتليت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (قد نبئت من كل مقام حالا إلا الرضا فسألت عنه لأنال الريح وعلى ذلك لو أدخلني الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا) هكذا صحب بكون الألف قال وقال بعض العارفين وسأله عن الرضا هل بلغت غاية فيه فقال أما الغاية فلا ولكن مقام (الرضا قد نبئت لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي إلى الجنة ثم ملائي جهنم تحله نقسمه ولا ملائي جهنم تحله نقسمه ولا ملائي جهنم تحله نقسمه ولا

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويقنص أنه ما دعا عنه إلا عجزه عنه الأولياء وقال ابن دنار ما رأيت أقنت لأبي عبد الله من الخلاء الدمشقي قول فلان وددت أن حسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ما عصوه فقال ما هذا كان هذا من طريق التعظيم لا الحلال ولا أعرف وان (٦٦٠) كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف قال ثم عشي عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سريره من جريد كان يقضي عليه موضع لقضاء حاجته فيدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فيبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان محبوبي الله تعالى أحبه إلي ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكتم علي حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأدع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة أدهو بسبب هذه النعمة الجسيمة حتى يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد ابن منجبة نعوده فرأينا ثوبا ملبوسا فناظرنا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي هداؤك ما تطعمك ما تسقيك فقال طالت الصحفة ودبرت الحراقيف وأصبحت تضو الأطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا وذكر أياما وما يسري في نفسي من هذا دون نفسه وذكر

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويقنص أنه ما دعا عنه إلا عجزه عنه الأولياء أبو علي أحمد بن محمد (الرودباري) تقدم في ٢٢٢ صحب الجنيد والنوري وابن خلاء وطبقته (الملقب بخلاء عبد الله) أحمد بن يحيى (بن الخلاء) البغدادي الأصل (الدمشقي) الأقامة صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وأبا عبد الله بن يسري وأبا يحيى الجلاء (قول فلان وددت أن حسدي قرض بالمقاريض ودان هذا الخلق أطاعوه ما عصوه فقال ما هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق ونصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم عشي عليه) قاله صاحب القوت (وقد كان عمران بن الحصين) رضي الله عنهما (قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة) سطحا (لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع اقضاء حاجته) فيدخل عليه مطرف (فدخل عليه مطرف) ابن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي البصري تابعي ثقة من الثالثة وعندهم روى له الجماعة مات سنة خمس وتسعين (وأخوه العلاء) كذا في النسخ وفي القوت وأخوه أبو العلاء والصواب أبو العلاء وهو يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري البصري مات سنة حدى عشرة وزمانه ومولده في خلافة عمر روى له الجماعة (فدخل) أي مطرف وأخوه (يبكي لما يرى من حاله فقال) عمران (ما تبكي قال لاني أراك على هذه الحال العظيمة فقال لا تبك فان محبوبي الله تعالى أحبه إلي ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكتم علي حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأدع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة أدهو بسبب هذه النعمة الجسيمة حتى يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منجبة نعوده فرأينا ثوبا ملبوسا فناظرنا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي هداؤك ما تطعمك ما تسقيك فقال طالت الصحفة ودبرت الحراقيف وأصبحت تضو الأطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا وذكر أياما وما يسري في نفسي من هذا دون نفسه

عن أبي هريرة وأنشدوا
ياحبيبا بذكره يشتوري * وصفوه لكل داء يجيب
من أراد الطبيب سري اداه * نقل اقدامه الى اقصاء طبيب
من أراد الحبيب صار اليه * وجفا الاهل دونه والقريب
ليس داء المحب داء يداوى * انما برده بقرب الحبيب

(وأما قدوم سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه (الى مكة وكان قد كف بصره حاجة الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب اذا دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صيفي بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب مات بمكة وقيل أبو عبد الرحمن المكي القارئ له ولأبيه صحبة وهو ابن أخت عبد الله

منذ كذا وذكر أياما وما يسري في نفسي من هذا دون نفسه

سعد بن أبي وقاص الى مكة وقد كان كف بصره حاجة الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب

وكان قارئ أهل مكة وعابدهم وروى له الجماعة الا البخاري (فأتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم قد كرهت قصة قالي آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلا دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قصة عبدي أحسن من بصري وصاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعترضني عليه فيما قضى الله علي

من ذهاب ولدي * ومن بعض عباد الله قال اني أدين بدينها عليها ما أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال مرة شيء كان بيني وبين امرأة لم يكن) قاله صاحب القوت (وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب الي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه) قاله صاحب القوت (وقيل لعبد الواحد بن زيد البصري العابد رحمه الله تعالى (هو مار حل بعد الحسين سنة فقال له يا حبيبي أخبرني على ماذا قدمت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فما مر بك قال الصوم والصلاة قال نعم قال لولا أني أستحي منك لأخبرتك بأن معاملتك حسين ستندخوله) قاله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو بن أحمد بن أبي طوري يقول حدث أبو عبد الله الرحبي قال قيل لعبد الواحد بن زيد بأي شيء بلغت ما بلغت من حسن الحال فقال ان الله سبحانه وتعالى اطلع على قلوب العباد فلم يجد فيها أحقر من قلبي فأذلني بذلك فبلغت ما ترى قال فقيل له فهل كان لك عمل تعتمد عليه قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فهل أنست به بعد قال لا قال فما مر بك قال الصوم والصلاة قال نعم قال لولا أني أستحي منك لأخبرتك بأن معاملتك حسين ستدخولة ومعناه بيننا لم يفصل الباب انقلب فسيري الى درجات المقربين بالاعمال القلب وانما أنت أعلى طبقات أصحاب اليمين لان مريدك منه في أعمال الجوارح التي هي مريد أهل العموم * ودخل جماعة من الصوفية على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان فحبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا المحبوك فاقبل عليهم برميهم بالحجارة فانهزموا فقال ما لكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي والشبلي رحمه الله تعالى

وأنشد الشبلي فقال

يا أيها السيد الكريم * حملتني لحاك منهم
يا رافع اليوم عن جفوني * أنت بما ترى عليم

وقد روى صاحب مصارع العشاق نحو هذه القصة (والشبلي رحمه الله تعالى

يا محبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران)

(وقال بعض عباد أهل الشام) وعدهم وهو نحير بن رحمه الله تعالى كلمة عربية المعنى دقيقة في معنى المحبة لله عز وجل فان كان قد فسرها فانه لم يكشف معناها لهم الا بعض من عاصرين عنده فيحتاج تفسيرها الى تفسير حكى عنه به قال (كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا وربما قد كذبه ودلك ان أحدكم لو كان له ضيع من ذهب ظل يشير بهم اذا لو كان بهم اشال ظل يوارجهم أي يعني بذلك ان

الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء مزينة أهل الآخرة وهم يستكفون منه * وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله (٦٦٢) الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان رضاها بخلاف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل

الذهب) زينة الدنيا وهو (مذموم عند الله تعالى والناس يتفاخرون به والبلاء زينة الآخرة وهم يستكفون منه) أي يطلبون أعظم البلاء زينة لأنها التي تمهد عندك عيوبها وتحرقها وادا أعطاك زينة الآخرة التي مدحها عندك وهو المصائب والبلاء والفقر كشفها وأخفيها تلاتعيب ذلك فحسب عليك حب الدنيا وتعمى وابصر به وكراهة البلاء وتفقر تكذيبا لله تعالى ورد اعليه ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وقيل يدخل على من أحب الفقر والبلاء حتى من ناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه قوة شاهد حب الخلق ويدخل فيه من أظهر بعض من عربه ولا تحدث نعمة الله تعالى بذلك فيه من قوة شاهد حب الدنيا كذا في القوت (وقيل انه وقع الحريق في السوق) بغداد (فقيل للسري) سقطي رحمه الله تعالى وكان له دكان في ذلك السوق (بحريق وقع في قطع من الليل ما شعر به قوم فقالوا بأجمعهم (احترق السوق) واحترقت دكاكين الناس (وما احترق دكانك) وسلم (فقال الحمد لله ثم) تفكر و (قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي) أي سلامة مالي (دون المسلمين) لانها كلمة رضا طهرت منه في مكان الاسترجاع للمصيبة (فتاب من التجارة) وقصد بجميع ما في دكانه من السمط والآلة (وترك الحانوت بقية عمره توبة) الى الله وكفارة (واستغفارا من قوله الحمد لله) فشكر الله فعله فزهده في الدنيا ورفعه الى مقام المحبة وسماه بذلك رضا لان الرضا صاحب القوت ويلغني انه كان يقول قلت كلمة ما أستغفر الله تعالى منها منذ ثلاثين سنة يعني قوله الحمد لله وفي خبر من لم يهتم بامر المسلمين فليس من المسلمين (فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان رضاها بخلاف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخالق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لخطر وراءه بل لكونه مرادا لمحبوب ورضاه فقد غلب الحب بحيث يعمر مراد المحبوب في مراد المحبوب ويكون ألم الاشياء عنده سرورا وقلب محبوبه ورضاه وفؤاده ولولى هذا روحه كما قيل

ما خرج اذا أرضاكم ألم * وهذا يمكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف غلبته

بابديع

ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف غلبته * وقد روي عن عمرو بن الحرث الراقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معافى يتعشق جارية معينة وكانت معنا في المجلس فضربت بالعود وغنت علامة دل الهوى * على المشتهين الكتم ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها اتقي الله أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقامت من وقتها فوضع رأسه على الوسادة وأطبق عينيه وتمطى برجليه فحركاه فاذا هو ميت) وأخرج أبو محمد السراج في مصارع العشاق من طريق أبي الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الصوفي قال رأيت ببغداد صوفيا حضر عند جارية بالكرخ تقول بالقضيب

يا بديع الدل والعجب * لك سلطان على الصبح
غير محتاج الى سرج * وحولك عشوق محتشد * نوم بغير ناس ومتجع

فتواجد وصاح ودق صدره كما كان عليه وسقط فلما قضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا وذلك فى سنة ٣٩٠ وحدث العتبى عن أبيه عن رجل من هشام بن عروة وعن أبيه عن النعمان بن بشير بن سعد الانصارى رضى الله عنه قال وليت صدقات بنى عذرة فانتهيت الى فتى تحت ثوب فكشفت عنه فاذا رجل لم يبق منه الا رأسه وقد قامت ماتن فقال

كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان

حملت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفياني

ثم تمثل حتى ملأ عينه الثوب الذى كان فيه ثم سجى ثوبا فوجدناه قد صار ماء وصلينا عليه فقيل فى تفسير هذا من هذا الوجه ما رواه (وقال الخبيد) قدس سره (رأيت رجلا متعلقا بكم صبى وهو) أى الرجل (يتصرع اليه) ويتذلل له (ويظهر له محبة وشغفا به والصبى يقول لى مشيا ذا الشيخ يتبهرنى) أى الرجل (فدعم الله انى صدق فيما أورده حتى لو قلت لى مت لمت فقال له كنت قد قلت له (ما تقول فى كنت صادقا فيما تقول (فقال فتحى الرجل وغمض عينيه فوجدته ميتا رحمه الله تعالى (كان فى جيرتنا رجل وله جارية تحبها وتعشقها الحب وتعشقت الجارية أى مرضت فمر الرجل يصلح بها حبيبها) وهو تمر يابس يؤكل مع الماء ويحملها بيده حتى تمضغه لها ثم يمضغه حتى يفتت كالثريد ويطعمها معه بيده (فبينما هو يحركها اذ قدر ادخلت الجارية آهة فقال لها فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما فى قدر يده حتى تساقط صنعه) ولم يحس بها (فقلب الجارية فاذا هى ميتة فوضع ثوبا آه وحكى عن) أبى جعفر (محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى (سعدى) قدم علينا مارستان صنعا وحدثنى به له سعادى وثوابه ودرسنا (قال رأيت بالبصرة شابا فى صنع من تبع وقد أشرف على الناس وهو يقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

ثم رمى بطرفه الى الارض فمات) وهذا الشيخ فى الرسالة وقيل ان سببا أشرف على الناس فى يوم عيد وقال من مات عشقا فليمت هكذا ورمى بنفسه من سطح فمات فروى (فهذا وأمثاله قد يصدق به فى حب المخلوق ويصدق به فى حب الخالق أولى لان البصيرة الباطنة أصدق من البصر ساهر وجمال الحضرة لزاهية أوفى من كل جمال فى كل جمال فى العالم وهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور والذى فقد السمع ينكر بدائع الالحان والنغمات الموزونة والذى فقد العقل لا يدرى ينكر هذه الذات التى لا مطمئنة بها سوى القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للقدر) * ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصى ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعى فى ازالتها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط فى ذلك بعض الطالبين المغترين وزعم ان المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع

وقال الخبيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبى وهو يتضرع اليه ويظهر له محبة وتقول له الصبى وهو يمشى ذا الشيخ يتبهرنى وقال قد دعم الله انى صدق فيما أورده حتى لو قلت لى مت لمت فقال له كنت قد قلت فتحى الرجل وغمض عينيه فوجدته ميتا

اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما فى قدر يده حتى سقطت اصابعه وقالت الجارية آه هذا قال هذا مكان وقال آه * وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادى قال رأيت بالبصرة شابا على سطح من تبع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت ثم رمى بنفسه الى الارض فمات وقال الخبيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبى وهو يتضرع اليه ويظهر له محبة وتقول له الصبى وهو يمشى ذا الشيخ يتبهرنى وقال قد دعم الله انى صدق فيما أورده حتى لو قلت لى مت لمت فقال له كنت قد قلت فتحى الرجل وغمض عينيه فوجدته ميتا رحمه الله تعالى (كان فى جيرتنا رجل وله جارية تحبها وتعشقها الحب وتعشقت الجارية أى مرضت فمر الرجل يصلح بها حبيبها) وهو تمر يابس يؤكل مع الماء ويحملها بيده حتى تمضغه لها ثم يمضغه حتى يفتت كالثريد ويطعمها معه بيده (فبينما هو يحركها اذ قدر ادخلت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما فى قدر يده حتى تساقط صنعه) ولم يحس بها (فقلب الجارية فاذا هى ميتة فوضع ثوبا آه وحكى عن) أبى جعفر (محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى (سعدى) قدم علينا مارستان صنعا وحدثنى به له سعادى وثوابه ودرسنا (قال رأيت بالبصرة شابا فى صنع من تبع وقد أشرف على الناس وهو يقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

ثم رمى بطرفه الى الارض فمات) وهذا الشيخ فى الرسالة وقيل ان سببا أشرف على الناس فى يوم عيد وقال من مات عشقا فليمت هكذا ورمى بنفسه من سطح فمات فروى (فهذا وأمثاله قد يصدق به فى حب المخلوق ويصدق به فى حب الخالق أولى لان البصيرة الباطنة أصدق من البصر ساهر وجمال الحضرة لزاهية أوفى من كل جمال فى كل جمال فى العالم وهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور والذى فقد السمع ينكر بدائع الالحان والنغمات الموزونة والذى فقد العقل لا يدرى ينكر هذه الذات التى لا مطمئنة بها سوى القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للقدر) * ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصى ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعى فى ازالتها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط فى ذلك بعض الطالبين المغترين وزعم ان المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع

وسلم في أعلى المقامات من الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا) وقال صاحب القوت ولا يتخلص الراضي من مقام الرضا عن مسألة مولاه مزيد الآخرة وصلاح دنياه تعبدا لله بذلك افتقارا اليه في كل شيء لان في ذلك رضاه ومقتضى تعبده مسألته الخلائق فان صرف مسألته الى طلب نصيب من الدنيا واتساع عرض حاله وتوفر على ما سواه كان ذلك لانه قد رد ما عبده به وجمع همه بذلك وهذا مقام حقير بين وهو على قدر مشاهدته الراضي عن معرفته ومقتضى حاله لانه يسأل عن كل ما يعلمه في وقته من أحواله كما يسأل عن جميع أعماله ملازمة عمره وهذا أصل ما عرفه العارفون وعليه يعملون وهو طريق العارفين من السلف فيما بلغنا عنهم خلاف من صنف وان كان ذلك وقوة تعبد السيد وتعبده عليه فعلا لا ذكره وتسببه غيره ولها عنده لانه يتوجب ذلك بوصفه ولانه واجب عليه وقد أمر بتعرفه وجوب عليه بعمله فهذا أفضل وهو مقام المحسنين وهو من أقوام شهادته وقد تحصل فيما ذكرناه في مقتضى حاله ما هو من فعله في وقته (وأما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) فذمهم على رضاهم بالمعاصي وما تخلف عن ذلك وقال وتسعى لها سعيها وهم مؤمن) يعني مع أن السعي المذموم هو السعي في المعاصي والمكاره ومن غيره وجب لاجله والى ونصرها أو ادعى بذلك يدخل في مقام الرضا الذي تجاري عليه ما ورد به النص لان الله تعالى وصفهم انه ذمهم وهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت (وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكان كمن غاب عنه) كذا في القوت وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف وروى أبو علي من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما من شهد منكرا فكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده (وفي الحديث الذال على الخير كفاعله) رواه الامام أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعا ومن طريقه رواه العسكري في الامثال ورواه البزار من حديث أنس ورواه ابن مسعود من حديث ابن عباس بزيادة في أوله وآخره وقد تقدم في كتاب العلم ويوجد في بعض نسخ الكتاب الدال على الشر كفاعله وهكذا هو في القوت أيضا وقال البغوي في مسند الفردوس من حديث أنس باسناد ضعيف جدا (وعن ابن مسعود) رضي الله عنه (ان العبد ليعيب على المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به) قاله صاحب القوت (وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي قتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله) كذا في القوت قال العراقي لم أجد له أصلا نعم ولابن عدي من حديث أبي هريرة من حضر معصية وكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها وأحبها كان كمن حضرها وتقدم في كتاب الامر بالمعروف انتهى قلت ورد كذلك ان أبا داود قال لامر بالمعروف وابيه في وصيته (وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوفي الشر وقال تعالى) سابقوا الى مغفرة من ربكم (قال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وقال سارعوا الى الخير تدركهم فاستبقوا الخير لي السارعة والسبق ودم البخل عنهما حسن وعلى هذا الطريق المؤمنين وبها تفاوت المؤمنين وروى من طريق مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم من نظر الى من فوقه في الدين والى من دونه في الدنيا كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه في الدين ومن فوقه في الدنيا لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا قال صاحب القوت فيه أربعة معان حسان تدبرها بعقل وتفكر فيها بعلم فمن رأى أهل الدنيا لا يحل أن يرى بعينه ولا عقله عن معرفة سيرة المتقدمين فيرى من فوقه في مال الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع بما رزقه فيكون صابرا شاكرا بمعرفته ما فضل به ورضي وباختياره صرف عنه من فضول وزوى عنه من الحساب طويل ولا يحل أن يرى من فوقه في أمر الدين من العاملين والعالمين والزاهدين فيسرع الى ذلك ويسابق ويبادر فيه اذ وجب لي ذلك فيكون حسابه وحسابه على افتعال الخير وعمل الصالحات وقل ما يعتبد ذلك لاوراء على نفسه وانعت لها في تقصيره ثم نظر في الامرين

الخير من وجه آخر ولا يحل أن يرى من هو دونه في أمر الدين من ذوي الفاقة والحاجات فيحمد الله تعالى على تفضيله عليه وحسن صنيعه به ويشكر نعمته بفعل حسناته وكفايته له ويجد أيضا لمعنى لا تحرص هو دونه في أمر الدين من نخوة والتطاول وأهل البدع ولرائعين ويفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن سلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون بصيرا شاكرا فيكون الحاسد في هذه الطبقات من الناس أربع بمعدلات بعدد مذاهب الله له من البصيرة والاعتبار (و) ينبغي للحاسد أن يذكر أنه ما الحسد في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها بين الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق) رواه البخاري من طريق يحيى بن سعيد القطان ومسلم من طريق ابن عيينة ومحمد بن بشر ثلاثتهم عن إسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود رفعه ورواه البخاري عن موسى بن نصر عن ابن المبارك عن إسمعيل بن أبي خالد وبهم جميعا الا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقد تقدم في كتاب العلم (وفي لفظ آخر) لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار (ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل و) آناء (النهار) رواه كذلك الشيخان والترمذي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا لكن تقديم الشطر الثاني على الأول رد صاحب القوت (فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لعملت مثل ما يفعل) فقد صلى الله عليه وسلم على الحسد في خصال الخير وفضل الحسد على ذلك لان الله تعالى ندب إلى التنافس في خصال الخير التي يحسد في هذه الثلاث ونحوها للعلماء بها والعاملين بها وحرجه ذلك من الرضا وكان له مزيد الحمد أن لا يحتقر ما فيها ولا يتقاصر بهم مهما رأى أن لابد كر وابهم اولا يحب هو أن يصير كذلك كما ذكر وا ويمدح كما مدحوا فهذه معاني فان هذه تتضاءل دلكل شيء آتقن وفيه خصلة الحسنة ومن وقع فيها فقد هاجمه خيره لانه أسلم وأفضل لا محظور للسلامة (و) في بعض الكفار و تصيروا الانكار عليهم ومقتهم فيما وردفيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) قال تعالى وان تتولى بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (وقال تعالى) في حقه (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وبعض المتبدع و الفاجر و لهم المعتدي ورأس مولاهم ونصرتهم واجبة على المؤمنين (وفي خبر ان الله تعالى أشد غضبا على على كل مؤمن أن يبغض كل منافق على كل منافق أن يبغض كل مؤمن) وهذا ثبوت وقدر و بقي خبر ان الله أشد غضبا على كل مؤمن من ابليس و من جنوده العراق لم أجد له أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب) وله ما اختصر رواه الترمذي من طريق شعبة عن الحسن عن أنس وقد تقدم و بقية الأول متفق عليه من حديث سفينة عن قتادة عن أنس ومن حديث الاعمش عن شقيق عن أبي موسى وابن مسعود وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أحب قوما وردوا الاهم حشر معهم يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما وردوا الاهم حشر في زمرتهم وفي لفظ له زيادة يوم القيامة وفي طريقه اسمعيل بن يحيى وهو ضعيف انتهى قلت وفي بعض نسخ الحكام لابن عدي على أحب قوما بدل وردوا الاهم وقال البيهقي في البدر المنير إسمعيل بن يحيى بن عبيد الله أبو يحيى التيمي كذاب عدم وأبوه شيخ ابن المبارك متروك هالك (وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله) رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي من حديث البراء بلفظ أوثق عرى الاسلام أن تحب في الله وتبغض في الله وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله (وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده)

على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لعملت مثل ما يفعل وأما بعض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم لما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أشد غضبا على كل مؤمن أن يبغض كل منافق على كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من أحب وقال من أحب قوما وردوا الاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده

صاحب القوت بعد ذكر حديث "وثق بعرى الايمان" فالعقد فعل ذلك من "وثق بعرى لا انفصام لها" موقن بالايمان لا يستطيع الشيطان حله ولا سبيل له عليه كما لا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله تعالى تولى بينه وبينه وقد تولى تأييد الايمان بروح منه بعد كتبه في قلوب برحمته وفي الحب في الله والموالاة والبصيرة بالنفس والمال والفعل والقول وفي البغض في الله ترد ذلك كله ورسخ في المتولاة لاولياء الله والمعاداة لاعداء الله من "وثق بعرى الايمان لا انفصام لها" فقد تعصى وتخالف مولاك بتسليط العدو وعلة هو لك لا أن تبغض العاصين ولا تواليهم على المعصية ولا تحبهم من أجلها من فعل ما نهى عنه ولم يسخط على ذلك من عمل كما سلط على فعله من عمله كما انه لم يسلط على حل عقد الايمان لك كما سلط على المرتد عنه وعلى مفارقة مسلم ولم يسلط أيضا عين في استحلال المحارم واستحسانها ولا التقرب بها ولا في ترك التوبة منها ولا الاصرار عليها كما سلط عدوك وغيرها من سلط على مثل هذا من العدو وحتى تحب العاصين وتواليهم وتنصرهم على معصيتهم أو تستحل ما ارتكبوا من الحرام أو ترضى به أو تدين به فقد سلخ عقد الايمان كما تسلخ الحية من جلدها فخلعت منه في كثير ولا قليل لان هذه المعصية من تحله "بعرى الايمان" وهي وهي وهي فرد واحد مفرد من جملة ما تهدم من كبائر الكبائر التي تحل عقد الايمان معها وتنقض عراه بها من ان الموالاة والمصاحبة لاعداء الله تعمل في أصل الدين وتحبوه بنقض ولا تبقي منه نورا ولا تبيس من عصى بمعصية أمره الله أن لا يتوب منها ولا يخرج عليه بسيف ويبيس من وافق هوى نفسه بمعاصي الله ممن وافق الله بطاعته كما كتب وأرسل محمد كتبه ورسله في قوله لرسل مسكاف ليكن مقامك هؤلاء الطاعين والعاصين فوجب عليهم نصرك بأموالهم أو ان كثر عليهم فرصوا وشكروهم أيضا بصبروا وتوا على ما شكروا عليه وصبروا عليه فيصير المقام بهم في الشكر والرضا عند القتل بهم ووجب عليه أيضا أن تحكم عليهم بولايتهم فقد وجد عليه دلائل منه أن يحكم عليهم بما في هذا الكتاب كله ورد الرسل كلهم عودا بالله من رسالا يسمع ومن حب لا يسمع كما يعود به من عمل لا ينفع ومن علم لا ينتفع ثم ذكر الاحاديث المتقدمة وقال وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما دخل احدهما في الآخر لوان عبدا صفن بين مقامه عند الركن وزمزم يعبد الله عز وجل عمره صوم نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله عز وجل وليس في قلبه محبة ولا ولاية لله ولا بغض ولا معاداة لاعدائه لما نفعه ذلك شيئا وقد نحوه ونحوه عن عمر وغيره ان أحدهم ابتلي في الاسلام ولم يوت في الله فقد لي ولم يعاد فيه عدوا وذلك نقص كبير وفي معنى قوله "وثق بعرى الايمان" الخ وجه حتى هو ان تحب المؤمنين وتبغض المنافقين وتحب في الله وتبغض في الله فيصح ان تحب أنت وتصح ان تحب المؤمنين حتى يحبوك وتبغض المنافقين حتى يبغضوك بالتباعد عنهم وترك الموالاة لهم وتبغضهم فيدل ذلك على وجود الايمان لانك لم تأخذ لله لومة لائم منهم كما وصف ذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك من اعداء الله والنفاق وأقرب الى الصدق والاخلاص ولو رجع هذا فعل ذلك منهم "بعصون ومقتون" فيعبر عما تريد وتدرك ما تقصد خلافا على من وصفهم فهذا معنى قوله عز وجل "أشداء على الكفار رحماء بينهم" أي على المؤمنين "عزة على الكافرين" (فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى) وبه مطلوب (فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكرهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاما من مقامات الرضا وهو جهل محض بل مقام الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

فتكره

فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكرهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاما من مقامات الرضا وهو جهل محض بل مقام الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

فتكره معونه من حيث انه مات عدو وعدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك معصيته بها وجهات وجه الله تعالى من حيث انه فعله
واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما لمن له الملك الملك ورضاه بفعله فيه وجه الى العبد من حيث به كسبه ووصفه
وعلامة كونه مقوتا عند الله ومبغضا عنده حيث سلط عليه أسباب النعم واحقت فهو من هذا الوجه مسكر ومذموم ولا يكشف هذا لك
الا مثل قلبه فرض محبوبا من احمق قال بين يدي محبته اني أريد أن أضرب بين يدي من يحبني ويعصيني وأنصب فيه معيارا صادقا ومعيارا باطلا وهو
أني أقصد الى دابته وأضربه ضربا يضره ودلك لي اشتم لي حتى ادعي أنه عصاني وتحدى عدوي فكل من أحبه علم يقينا أنه عدوي
وكل من أبغضه علم أنه صديقي ومحبي ثم فعل دلك وحصل مرادي من اشتم الذي هو سبب لبغض وحصل لبغض الذي هو سبب لعداوة فهي
على كل من هو صادق في محبته وهم بشروط المحبة يقول ما تدبيرك في بعد شخص وضربه وبغضه وتعريضه لاشتم ما لا بغض وامعداوة
ما أحبه له ورضي به فإنه رأيك وتدبيرك وجه "نوادر" من أمثاله فإنه عدواني (٦٦٧) من جهته ان كان حقه ان يضرب ولا

فتكره معونه من حيث انه مات عدو وعدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك معصيته بها وجهات وجه الى
الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما لمن له الملك الملك ورضاه
بفعله فيه وجه الى العبد من حيث به كسبه ووصفه وعلامة كونه مقوتا عند الله ومبغضا عنده حيث سلط عليه
أسباب النعم واحقت فهو من هذا الوجه مسكر ومذموم ولا يكشف هذا لك الا مثل قلبه فرض محبوبا من احمق
قال بين يدي محبته اني أريد أن أضرب بين يدي من يحبني ويعصيني وأنصب فيه معيارا صادقا ومعيارا باطلا وهو
أني أقصد الى دابته وأضربه ضربا يضره ودلك لي اشتم لي حتى ادعي أنه عصاني وتحدى عدوي فكل من
أحبه علم يقينا أنه عدوي وكل من أبغضه علم أنه صديقي ومحبي ثم فعل دلك وحصل مرادي من اشتم الذي هو
سبب البغض وحصل بغض الذي هو سبب العداوة فهي على كل من هو صادق في محبته وهم بشروط المحبة يقول ما تدبيرك في بعد شخص وضربه وبغضه وتعريضه لاشتم ما لا بغض وامعداوة
ما أحبه له ورضي به فإنه رأيك وتدبيرك وجه "نوادر" من أمثاله فإنه عدواني من جهته ان كان حقه ان يضرب ولا

اشتم ولكنه كان مرادي
منه فانه قصدت ضربه
بقصده وهو اشتم المحبوب
للمحبة فهو من حيث به
حصل على وفق مرادك
وتدبيرك الذي دبرته
فانا راض به ولو لم يحصل
لكان ذلك بغضا في
تدبيرك وتعويقا في
مرادك وأما كراهة العوان
مرادك ولكنه من حيث
به وصف لهذا الشخص
وكسبه وهو عدوان
وتوجيهه منه عليك على
خلاف ما يقتضيه حبك
اذ كان ذلك يقتضي أن
يحصل منك الضرب ولا
يقابل باشتم فكراهته
من حيث نسبته اليه
ومن حيث هو وصفه
لا من حيث هو مرادك
ومقتضى تدبيرك وأما
بغضك له بسبب شتمه
فانا راض به ومحبك له لانه

مرادك وأما على موجب بغضك له فانه يقتضي أن تكون محبوب حبيب ومحبوبه عدوا وأما بغضك فانما
أردت أن يبغضك اذ أبغضه عن علم وبغضت عليه وهو في البعض ولكنه بغضه من حيث انه وصف ذلك البعض وكسبه وفعله وامقته لذلك
فهو ممقوت عندي لمقته اياه وهو ومقتك له أيضا عندي مكروه من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض
أن يقول هو من حيث انه مراد لي مرضي ومن حيث انه مراد لي مكروه وأما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراد لي من حيث انه وصف
غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه وهو شاهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية يبغضه لجره حب المعصية (المعصية) يجره (المعصية الى اشتم

ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره بشيء بعض المشئوم لمن شئمه وان كان شئمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من حبيبه أعني تسليط داعي المعصية عليه يدل على ان ما سبقت مشيئته بايعاده ومقته فواجب على كل عبد يحب الله أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبعده الله عن حضرته وان اضطره قهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعبد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بايعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقتا بغيضا الى جميع الحيين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بايعاده وهذا يتقرر جميع ما ورد به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به من قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا من غير ديان في الرضا بالكراهة فهو قاصر مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر نحوه ورواه الطبراني عن ابن عباس من قول عيسى عليه السلام بسط وعرضه وقد تقدم (وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وعرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبدنا به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعصية مع علمنا بان قضاء الله تعالى وقدره غير خارج عن الرضا فضلا عن المعصية وقال لكن يجدر بالمحق في مقاصد المحبين أن يعمل عمدته على ثلاثة أقسام ظاهر وباطن ومقاصد فالظاهر ما يرضى به الله تعالى والمعصية لا يرضى بها على الاطلاق والباطن منها ما تعلق علم المكاشفة وفرع علم المعاملة كرفع الطاعات ومنها ما يتعلق بذكر الله وبحث على طاعة فهي بالمعصية في عدم الرضا بها سواء في ذلك ولكن أراد بها لا يرضى ولا يأمر الا أن يرضى والعبد مطلوب بما يصدر من الامر والنهي لا بما يصدر من الله تعالى وتدبيره فالرب تعالى لا يأمر العباد الا بما فيه مصلحة لهم عاجلة أو آجلة وقد يعلم بالكراهة معاصي لمصلحتين احداهما مقصودة في نفسها والثانية وسيلة لغيرها فالمصيبة المقصودة في نفسها هي ان الله تعالى تسمى بالخافض الرافع ولهما آثار في الوجود من الخفض والرفع فقد يقدر الله عباده الى أن يكون محبوبا عند محبوبه عند عدوهم ورفيعا عند عدوهم ولا يزال كذلك هذا عبادة الاعداء الا بعد أن تقرب الى الله تعالى بكل ما يتقرب به محبوب حتى يحب حبيبه وبعض بعضه وليه الاشارة بقوله تعالى فلعنا بعضهم على بعض الى آثارهم ولم يرد بهذا الحديث اعداء الله أي قتل عدو الله وقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر والمصلحة المقصودة لغيرها هي ان الله جعل داعي العباد على الكفر عجب بكرهه وبكراهة المعاصي على عباده وسيلة الى تركها وبعدها لا من حيث انها من فعل الله فان الله أراد وأحب أمورا ذاتية وقد علمت ان الله أراد مالا يرضى ومعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر هو قبول الرضا والسخط مردد بين الارادة وعدمها ومعنى الآية محمول على الصفة المعينة لا على الصفة الثابتة فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي اذا كفروا لا يرضى لهم ذلك منهم وقد يعلم الله تعالى ان عبدا يموت على الكفر فيريد بما لا يرضى أي يخصهم بفعل يعلم هو منهم عليه لا ان حقيقة الفعلي

لرض واسخط تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى (وهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى وان الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى قال الله تعالى واعلم ان الدعاء ليس بخارج الدعاء منهم بقضاء الله تعالى وقدره ذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسبب لنزول مزايا اللطف كما أن حسن الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء مباشرة سبب دافعا لالم العطش مباشرة سبب وتعاطي الاسباب كذلك الدعاء بمشيئة الله تعالى وأمره وقد ذكرنا أن التمسك بالاسباب حق على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل وقد استقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به) وهذا عذر من حمل الرضا على التوكل وملاصق احواله ولم يعده حاصلا كما تقدم الكلام عليه (نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا) ولذلك قال أبو علي الدقاق بين الرضا لا تحس بالبلاء اذ الرضا لا تعترض على الحكم والقضاء (واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض) وقد يقوت واتحدث بالاوجاع والاخبار عن المصائب لا ينقص حال الراضي اذ رآها نعمة من الله عليه موشكر لله عليها وكان القلب مسلما غير منخط ولا متسخم بمر القضاء (وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف وما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا وهم لا محمدة وعيبها مناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصانع مذمة المصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء وصحة والعيال هم وتعب والاحتراف كدومشقة كل ذلك قادح في الرضا لكل واحد مهما قرارا من قضاء الله تعالى) وقد قال الفضيل بن عياض الرضا أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ من النار (وقال أبو سليمان الداراني ليس الراضي من لا تسوء سيئته ولكن من لا تسوء حسنته) وقال أبو عثمان الحيري من اختار على الرضا فهو مدع (وقال أبو حفص الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين) وقال ذو النون ثلاثة من علامات الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقد السرور والكآبة بعد القضاء وهيجان المحبة في مجاري البلاء (وقال الجنيد الرضا رفع الاختيار) وقال أيضا الرضا سكون القلب تحت مجاري الاقضية (وقال أبو تراب الرضا ما لا يبالي العبد على أي حال أصبح من شدة أو رخاء) وقال الكتاني الصوفي في المقاصد وهي عبارة عن الصور وهي أعلى الاحوال لا محمدة أوغم محرم ومكروه وأنكر بقلبه أو اسخط ما نصب الله على عبده من المحن والبلايا وأنواع ما اختبر الله به العباد من الامر والنهي وما نفع في الآخرة من المثوبات والعقوبات فطن رضاه وحسن عليه ثوابه والله الموفق

(باب أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومدنسها لا يقدح في الرضا)

(اعلم) أسعدك الله تعالى (أن الصحيح) القاصر النظر (قد يظن أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون) كما تقدم دلك في الاخبار الواردة فيه (يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي) وفشت (لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله) وهو مذموم منهي عنه (وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون) فيه (انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا) فلا يوجد من يحفر لهم بعد موتهم

يعني ان يسلم الشديد بلدوره وهمكذا سائر الكهار يقول لما قال عمر رضي الله عنه لا بأس صحت عيب وقفيرا وفي لا أدري أيهما خير لي

(باب أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومدنسها لا يقدح في الرضا)

اعلم أن الصحيح قد يظن أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون به لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا

ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن فارب البلدة في الاصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وذاعرف المعصي ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار منه لا بد منه والفرار ممنوع كذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو بها الاحمق التسيير عن المعصية ليست مذمومة فقد قال السلف الصالح يعتقدون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك ما ذممت شيئا ذم بغداد قيل من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم حماد بن سلمة قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا عاصيا أو تاجرا لهوانا أو قارئا حريرا ولا ينبغي أن يقال ان ذلك من المعصية لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستصغر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه بغداد رقب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق في كل يوم بدينار

ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف) تشديدا في أمره وورد حواله في ذلك وتستدل به من ذهب الى ان النهي فيه نهي تحريم كما هو مذهب الشافعي وقد تقدم ذلك في كتاب التوكل وذكرنا هناك ان تلك لعله التي تداواها الضعف وقد سقه فيها الامام أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار (ولو كان ذلك للفرار من القضاء) كما يفهم بظاهره (لما أذن لمن قارب البلد في الاصراف) والرجوع (وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل) فارجع اليه (وذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار منه لا بد منه والفرار ممنوع) ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه لما أمر الناس بالانصراف عن الشام وقد قيل له تفر من قضاء الله فقال نعم نفر من قضاء الله الى قضاء الله (وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو بها الاحمق التسيير عن المعصية ليست مذمومة) وقال السلف الصالح يعتقدون ذلك حتى اتفق جماعة منهم على ذم بغداد وظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك ما ذممت شيئا ذم بغداد قيل من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم حماد بن سلمة قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا عاصيا أو تاجرا لهوانا أو قارئا حريرا ولا ينبغي أن يقال ان ذلك من المعصية لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستصغر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه بغداد رقب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق في كل يوم بدينار كفارة لمقامه) ولفظ القوت ويقال انه كان يتصدق في كل يوم بدينار

وقدم العراق جماعة كعمر بن العزيز وكعب الاحبار وقال عمر رضي الله عنه سمعت نبيكم يقول إنه ما من أحد يسكن العراق الا بيض الله قلبه فقريبا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كما يوما عند الفضيل بن عياض فجاء صوفي متدرع فجلس إلى جانبه وقيل عنه ثم قال أين تسكن فقال بعداد فاعرض عنه وقال يا أحمد هم في رأي لرهبان وددت أنه أين تسكن قال في عش الحمل وكان بشر بن الحرث يقول مثل المتعبد ببعداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول ولا تعلق هؤلاء الصبيان بما كان الخروج من هذا البلد آثر عندي قيل وأين تختار أن تسكن يا أبا عبد الله قال الثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على أن من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر وفيها كان سعيد بن عبد العزيز رضي الله عنه يتعبد بدمشق وكان يقوم مع الحجاج سنة عشر يوما فكان يتعبد في تسعة عشر يوما كفارة لمقامه ثم قال وقد وصفه بشر الحافي رضي الله عنه أنه هي للدنيا وهي للدين كلها بادية وبعداد حاضرتها وحدثوني يونس بن عبد الأعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بعداد قلت لا قال ما رأيت الدين ولا رأيت بها أحدا وقال الخطيب في تاريخه أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد الله بن موسى السلمي يقول سمعت أحمد بن العباس يقول خرجت من بعداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت فقلت من بعداد فقال ما رأيت فيها من الصالحين فخسف بها فقال رجع ولا تخف بها فقلت ورأيت فيها من الأولياء هشيم وحصين من جميع الدنيا فقال لا أعلم أحدا من حفاظ الحديث ومعروف الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار اهـ (وقدم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار) رحمهما الله تعالى (وقال ابن عمر رضي الله عنهما) كذا في سائر النسخ وهو غلط والصواب الثوري وهو ياسين عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال (لو علمت أن أحدا يسكن العراق قبل أن يبيض الله قلبه قريبا من البلاء) كذا في نسخ بالقاف (وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال) قال صاحب القوت وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الخروج إلى العراق فمنعه وكذلك أورده أبو طالب المكي في ترجمة كعب (وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالعراق وعشره بالشام) قاله صاحب القوت قلت وهذا قد روي مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر والخير عشرة أعشار تسعة بالشام وواحد في سائر البلدان والشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان رواه الخطيب في تاريخه وبقي وفيه أبو خليل الدمشقي عن الوضين بن عطاء قال ما كان بها أي بدمشق عبيد ولا روى بن عساكر من حديث أسد بن وداعة قال إن الله خلق أرضا بيضاء وأرقها أديمها وأرقها ثمارها وخلق الخلق وأردده الزهر وأسكنه الأبرار وخلق بعلبك وأردفها بالبقاع وأسكنها الجن وخلق لبنان وأردده بالماء وأسكنه الملائكة وخلق الغوطة وأردفها بالجنة وأسكنها الحور وأردده بالورد وأسكنه الروم وخلق العراق وأردفها بالبحر وأسكنه العراق (وقال بعض أصحاب الحديث كما يوما عند الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى) فجاء صوفي متدرع فجلس إلى جانبه وقيل عنه (ثم قال أين تسكن) يوما (فقال بعداد فاعرض عنه) فقيل (وقال يا أحمد هم في رأي لرهبان وددت أنه أين تسكن قال في عش الحمل) قاله صاحب القوت (و) قد (كان بشر بن الحرث) رحمه الله تعالى (يقول مثل المتعبد ببعداد مثل المتعبد في الحش) قاله صاحب القوت (وكان) رحمه الله تعالى (يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج) قاله صاحب القوت (وكان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول ولا تعلق هؤلاء الصبيان بما كان الخروج من هذا البلد آثر عندي قيل وأين تختار أن تسكن يا أبا عبد الله) قاله صاحب القوت قال وأما معروف الكرخي رحمه الله تعالى وكان يفصح بها فيقول أما ترى أمر أن أموت بعداد وهؤلاء من خيار أهل البلد وهم من الدال المشدد بغير (وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بعداد فقال زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا) أي ما ذكر (يدل على أن من بلي ببلدة) أي سكنها (تكثر فيها المعاصي) ويقل (ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر) منها (قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) فدل على أن من لم يسكن أرض الله واسعة فتهاجر فيها فإن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون مزعجا مقلقا منها قلقا على الدوام وسأذكر حماس هذه الغريبة بعد هذا فهذا أعلم أهلها ودليل على أن البلاد لا تعلم الرجال

لا حمل متاعه ببعداد إلى أن يخرج إلى مكة فصلى به كان يقيم مع الحاج ستة عشر يوما فكان يتعبد في تسعة عشر يوما كفارة لمقامه ثم قال وقد وصفه بشر الحافي رضي الله عنه أنه هي للدنيا وهي للدين كلها بادية وبعداد حاضرتها وحدثوني يونس بن عبد الأعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بعداد قلت لا قال ما رأيت الدين ولا رأيت بها أحدا وقال الخطيب في تاريخه أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد الله بن موسى السلمي يقول سمعت أحمد بن العباس يقول خرجت من بعداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت فقلت من بعداد فقال ما رأيت فيها من الصالحين فخسف بها فقال رجع ولا تخف بها فقلت ورأيت فيها من الأولياء هشيم وحصين من جميع الدنيا فقال لا أعلم أحدا من حفاظ الحديث ومعروف الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار اهـ

فيه الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر فقد قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا فدل على أن من لم يسكن أرض الله واسعة فتهاجر فيها فإن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون مزعجا مقلقا منها قلقا على الدوام وسأذكر حماس هذه الغريبة بعد هذا فهذا أعلم أهلها ودليل على أن البلاد لا تعلم الرجال

اسلاء ودمر) على (جميع وشمل مطيعين ولله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقد
القوت ومن سكن بلدا كثير المنكر ظاهر المعاصي وكان فيه مضطرا عاجزا عن نهيه يرغب الى الله في اخراجه منه
بحسن اختياره له أو كان مضطرا في المقام فيه بعلة أو له دين لا يستطيع حمله في الخروج ولا يهتدي طريقا
عصمة الصادق أكثر لا مضرة له معدودة وعد الله بحسن بيته وهو قرب الى العفو والسلامة من غلط مقامه
واضمحلال ورضى تعالى له وكان مقامه على هوى ولاجتلاب أسباب العافية ولذيذ قال تعالى ثم تكون أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها في التفسير اذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحول منه الى غيره وقيل اذا كان الغالب
على البلد من يعمل فيه بالمنكر أضعف وأقل من أهل المعروف ثم لم ينكر وادا ذلك فقد وجب الخروج منه ثم قال
تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا
من هذه القرية الظالم أهلها الآية ألا ترى كيف أخبر ترك ديارهم بالظلم وبالعجز عنهم وعليهم الخروج
فذلك عذرهم ولا يصلح لهم الا بالخروج من جميع الوجوه اهـ وقال الكيال الصوفي ولا رخصة في الاقامة في بلد
كثر فيه الفساد خوفا من تعرض سخط الله تعالى قال أيضا اذا قدر بقضاء الله تعالى قال الله تعالى ثم تكون
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان عجز عن ذلك وجب عليه كما هو ذلك بسخطه تعد الله عز وجل (قد ليس
في شيء من أسباب نقص الدين الله رضا مطلق الامن حيث صادفها في فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا
بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل
يحب بقاءه لخدمة المولى ورجل قال لا أختار شيئا بل أرضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض
العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لانه أقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري
ويوسف بن أسباط فقال الثوري كنت أكره موت الفجأة فقل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم قال لما
أتخوف من فتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا
فقيل لوهيب ايش تقول أنت فقال أنا لا أختار شيئا أحب ذلك الى أحبه الى الله سبحانه فقال الثوري بل عبيده وقال روحانية ورب الكعبة

(باب حكايات الصالحين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

(قيل لبعض العارفين ألك محب فقال ما أحب محبا لأنه يحجب ولا محب متعوب) فقيل له أيضا الناس يقولون ألك واحد من السبعة فقال أنا أكل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقدرأيتم أربعين بدلا فقيل وكيف وأنت شخص واحد فقال لانى رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بعد ذلك ترى

كرسز بحانا مه نظرت الحب فقال عدم وقال قصير وكان بعض هذه الطائفة يقول سر يعرف فى لا سبيه واقف على الماء فى بحر لا يجتزأ بالقيام وان أخرج خرج أى من لسان الميزان فى وجوده واعتداله بين حكمين أيهما أعدمه مال به وقال آخر قلبى مثل المرآة يتحير ثم يرد أى لا يقف على وصف الهوى وقد حدث فى الخليلى ابراهيم فى نوجة وهيب بن الورد ما يخالف هذا ذكر صاحب الحلية وتبعه المصنف قال حدثنى أبى حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن محمد البيرونى حدثنا ابن أبى داود قال سمعت عبد الرحمن يقول جمع سفيان الثورى ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب يا أبا أمية أتحب أن تموت فقال وهيب ما أحب أن أعيش على أن أتوب فقال وهيب فأنت قال ورب هذه البنية ثلاثا وقد مضى الى منذ الساعة

(باب حكايات الصالحين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

(قيل لبعض العارفين ألك محب فقال ما أحب محبا لأنه يحجب ومحب متعوب) أشار بذلك الى ان المحب لا يفرغه قرار دون لقاء محبوبه فهو أبدا فى تعب بخلاف المحبوب فانه متعوب فهو أبدا فى سكون وراحة وقرار (وقيل له أيضا الناس يقولون) قيل (انك واحد من سبعة) هى لا بد (فقال أنا أكل سبعة) أى من رآنى كأنما رأى السبعة (وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا فقيل وكيف ذلك وأنت شخص واحد فقال لانى رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه) فاجتمعت فى أخلاق أربعين رجلا (وقيل له بعد ذلك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ما أحب من يرى الخضر كما لا أحب من يريد الخضر ليراه فيحجب عنه) وهذا كما قاله بشر بن الحارث لما أراد الخضر لصحبته فقال له بشر حدثت ان يعقوب على نبينا وعليه السلام قال ما حدثت عيسى بن مريم عليه السلام انه قال ما أحب من يرى الخضر كما لا أحب من يريد الخضر ليراه فيحجب عنه وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت عيسى بن مريم عليه السلام انه لم يبق ولى لله تعالى الا عرفته الا ورأيت فى ذلك اليوم وليالم أعرفه (قيل لابى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى ما حدثت عن مشاهداتك فى الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل له فدلنا على رياضة نسلك فى الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه قيل له فحدثنا عن رياضتك فى بدايتك فقال نعم دعوت نفسى الى الله فجعلت على نفسى ان لا أشرب الماء سنة ولا أدوى الا بسنة فوفت لى بذلك

*وحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى أبا يزيد فى بعض مشاهداته انه من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفرا على صدور قدميه رافعا رأسه ووجهه مع عقبيه عن الارض صار باطن قدميه على صدره شاخصا ببصره لا يطرف قال ثم تحدث عند السحر فى مناجاته ثم قعد فقال اللهم انى قوما عصوك فعصيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وانى أعود بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم الأرض

فرضوا بذلك وانى أعود بك من ذل السؤال فوما ملوك وعطيتهم كنور الارض فرضوا بذلك ونى أعوذ بك من ذلك حتى عد بضعا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت مرآى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى فقال مد عينيك حدثنى شيء فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلنى فى لغيب لاسطل فدورنى فى الملكوت السفلى ورأى الارض وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى السماوات العلى فصوف بى فى السموات ورأى ما فيهن من الحجاب الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شيء تريد حتى أهبه لك فقلت يا سيدى ما رأيت شيئا أستحسنه فاسألك إياه فقال أنت

عندى حقا تعدنى لاحسن صدقا لافعلن ولا تعالن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك وامتلأت به وتحيرت منه فقلت يا سيدى لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت ويلك عرت جاريه منى حتى لا أحب أن أعرفه سوه وحكى أن بعض المريدين فكان يديمه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال إنى عنه مشغول قال فأكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فاعفانى عن أبى يزيد قال أبو تراب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع للناس أن ترى الله سبعين مرة قال فبهت بقولى من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عند ما يتجلى للعرش قدر شعرة ونرى أبا يزيد عبد الله قد ظهر له على مقداره يعرف

(فرضوا بذلك) وفى نسخة (وانى أعود بك من ذل السؤال فوما ملوك وعطيتهم كنور الارض) وفى نسخة (فرضوا بذلك) وفى أخرى (وانى أعود بك من ذلك قال) ولم يزل يذكر من ذلك (حتى عد بضعا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء) مما يكرم الله تعالى به إياهم قال (ثم التفت مرآى فقال يحيى فقلت نعم يا سيدى فقال مد عينيك هل رأيت شيئا حدثنى بشىء) أى من نحو ذلك (فقال أحدثك بما يصلح لك) أعم أنه تعالى (أدخلنى فى الملك الأسفل فدورنى فى الملكوت السفلى ورأى الارض وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الملك العلوى فصوف بى فى السموات ورأى ما فيهن من الحجاب الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شيء تريد) ثم يحمل (حتى أهبه لك فقلت يا سيدى ما رأيت شيئا أستحسنه فأسألك إياه) وفى لا ستحسن هنا بمعنى استعرافه فى حسن مولاه (فقال أنت عندى حقا تعدنى لاحسن صدقا لافعلن ولا تعالن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك وامتلأت به وتحيرت منه فقلت يا سيدى لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت ويلك عرت جاريه منى حتى لا أحب أن أعرفه سوه) ومقام المعرفة من يا أخى محبة فكل محب يحب محبوبه ولا يبدى من أسرار محبوبه شيئا لا لاعساله والا يكون فى عجم ويفتح على نفس من أعماله أن يصرفه لغير محبوبه (وحكى أن تاتراب) عسكر بن الحصين (النخشبى) رحمه الله تعالى (كان يخدمه بعض المريدين فكان يديمه) أى يقربه (ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده) التى كان يجدها فى مراعاته (فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد) البسطامى (قال) المريد (انى عنه مشغول) أى فلا أتفرغ ولا أتعرض لمراعاته تعالى (فما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فاعفانى عن أبى يزيد) عن سؤه ولم يلتفت فى زعمه لغيره (قال أبو تراب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل) فى تقريبه لعبد (لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع للناس أن ترى الله عز وجل سبعين مرة) قال (فبهت انا من قوله وأنكره) عليه (فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عند ما يتجلى للعرش قدر شعرة ونرى أبا يزيد عبد الله قد ظهر له على مقداره يعرف) يريد (ما قلت) فوطن نفسه على رؤية أبى يزيد (فقال اجلنى اليه فلما ذكر قصة قال فى آخرها وقفها على تل) أى محل مرتفع مشرف على غيره (فتطاول فخرج بياض العينة وكان) أبو يزيد (يرعى الى عينة فيها) وحوش (قال فنظر وقلب قرونا وقد قلب قرونا على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد يا سيدى نصرك الله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا) فى حبه (ولكن كان فى قلبه سر لم يكشف له وصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه) فاستعرفه (فصاح صيحة فمات فلما رأيته فى مقام الصعقاء المريدين فقلت ذلك) فاذا كان شرط المريد أن يكون بالتدريج ولا يصل الى مقام هو فوق مما كان فيه الا وقد أنس فى مقامه حتى يكون مطيقا حمله والا مات ورد عليه مرة واحدة ما يحمل أن يرتفع عنه فكيف يكشف للمريد فى صحبة واحدة ما يحير عقولهم فى لحظة واحدة مما لا يكشف لهم الا باجتهاد فى مدة متطاولة وذلك مثل مشايخ

المصرية

يريد عبد الله قد ظهر له على مقداره يعرف ما قلت فقال حتى انى بعد ذكر قصة قال فى آخرها ووقفه على تل بتطاول البحر ببياض العينة وكان) راعى (فى عينة فيها سباع قال فقربنا وقد قلب قرونا على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد يا سيدى نصرك الله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا فى حبه ولكن كان فى قلبه سر لم يكشف له وصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فصاح صيحة فمات فلما رأيته فى مقام الصعقاء المريدين فقلت ذلك

طريقة العلية القادرية قدس الله أسرارهم لما سمع شيخ الكامل من جملة أركان الطريق (وما دخل لرجل) وهم اسودان الاحابيش من الاحابش (العمرة فقير لا يلبس وهو الاموال) وحرفوا الدور ورتحص مهنس قسر وطاق (اجتمع بن) أي محمد (سهن) بن عبد الله يستري رحمه الله تعالى وكان اقام لنا بمصرة في دار له بمحلة محمد بن سور (اخوانه) وأصحابه (فقير لو سألت الله تعالى دعوهم) عن اسلبي (فسكت ثم قال الله عبد في هذه بشارة لو دعو على الصابين لم تسع على وجه الارض صالم لابس في ليلة واحدة وانكن لا يعلمون) أي لا يدعون عليهم (فيل لم قال لا سم لا يحبون مالا يحب ثم ذكر من اسمه الله تعالى) أشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة يقيمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها لم يحط شيئ منها ولا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها مع القدرة الالهية (واسعة) لاحدلها (وبه نصل عليم وعلى آله الكرام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان ذلك آخر ما سمعته منه قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقير له أصحابه الاندعو الله أن يدفعهم عنا فقال وسلم لامر الله تعالى وكان من المشهود مع أصحابه ذلك (وهذه أمور ممكنة في أنفسها لم يحط شيئ منها ولا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها مع القدرة الالهية (واسعة) لاحدلها (وبه نصل عليم وعلى آله الكرام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان آخر ما سمعته منه قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقير له أصحابه الاندعو الله أن يدفعهم عنا فقال وسلم لامر الله تعالى وكان من المشهود مع أصحابه ذلك (وهذه أمور ممكنة في أنفسها لم يحط شيئ منها ولا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها مع القدرة الالهية (واسعة) لاحدلها (وبه نصل عليم وعلى آله الكرام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان آخر ما سمعته منه قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقير له أصحابه الاندعو الله أن يدفعهم عنا فقال وسلم لامر الله تعالى وكان من المشهود مع أصحابه ذلك (وهذه أمور ممكنة في أنفسها لم يحط شيئ منها ولا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها مع القدرة الالهية (واسعة) لاحدلها (وبه نصل عليم وعلى آله الكرام وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان آخر ما سمعته منه قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقير له أصحابه الاندعو الله أن يدفعهم عنا فقال وسلم لامر الله تعالى وكان من المشهود مع أصحابه ذلك (وهذه

(وصلى الله على عبده الذي اصطفى لاعلامه وبذلك كان أمر يريد يقول ب أعطا لنا

مسئلة موسى وخضر وجارية عيسى ورحلة ابراهيم فطلب ماوراء ذلك فان عنده فرق ذلك أضعاف مضاعفة فان تسكت لي ذلك عدلت به وهذا الاعتناء ومن هو في مثل سبيلهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت بارعين حورا لا يتنافسون في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجواهر يتخشخش ويتثنى معهن فسئلت لمن هذه فقيل لي لرجل من أمتك فرجعت اليه فاخبرته فقال نعم يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي لمن هذه فقيل لي لرجل من أمتك فرجعت اليه فقال صدقت ونمت عني في سجودي تلك الليلة فرجعت اليه وقلت اعود لك مسئولا لا حجبتني بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لاعلامه عن مثلها فلوم المؤمن كل الحسد لا يجاب شاهده من نفسه بعضه وهذه المعاني بعض ما يجب الايمان عليه من هذه أحوال شهيرة بعضها وسبيل معظمها كثيرة ادناها الاخلاص واجراح خطوط النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرها وباطنها ثم مكاشفة ذلك عن الحق تستر الحال حتى في مخصصا تحصن الحول تهذه أو ثل سلوكهم وادل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس) فضلا عن بقاعة (وبعد تصفية القلب عن كدورة الاسقام في الخلق يفيض عليه نور ربه فيشهد به ويستحضره الانس ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة (ويكشف له معاني الحق والمكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق) على يد شيخ كامل (تجري مجرى انكار من أنكر امكان مكاشفة الصور في الحديدة اذا شكات) شكلا

من نفسه بعضه وهذه المعاني بعض ما يجب الايمان عليه من هذه أحوال شهيرة بعضها وسبيل معظمها كثيرة ادناها الاخلاص واجراح خطوط النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرها وباطنها ثم مكاشفة ذلك عن الحق تستر الحال حتى في مخصصا تحصن الحول تهذه أو ثل سلوكهم وادل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس) فضلا عن بقاعة (وبعد تصفية القلب عن كدورة الاسقام في الخلق يفيض عليه نور ربه فيشهد به ويستحضره الانس ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة (ويكشف له معاني الحق والمكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق) على يد شيخ كامل (تجري مجرى انكار من أنكر امكان مكاشفة الصور في الحديدة اذا شكات) شكلا

وقيت وصفت وصورت صورة المرآة فصار المنكر لما في يده من ذلك وجحده معهم قد سلموا عليه بالصدأ والحدث وهو لا يحكي صورة من الصور فالمنكر مكابر لكشف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وهذا كالمنكر لما يقطع به العقول والنقل فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء فإنه لا صورة له عن ذلك وصورة من رآه ونفس المستند لذلك في إنكاره صورة الله تعالى فإنما ينكر وإنما ينكر كاشفة من مثل هذا أولوس منادي الطريق كما قيل لبشر الحافي بأي شيء نلت هذه المرتبة فقال كنت أكاتم الله تعالى حالي معه فكيف أكتمه حالي عليه وبحضرتي وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته فلك ردي فإن ردي ستر هذا عن الخلق وقيل معناه ستر هذا عن الخلق حتى لا تلتفت أنت

(١٧٦) البهي وعن بعضهم أنه قال أفاني شوقي إلى الخضر عليه السلام وسألت الله تعالى مرة أن

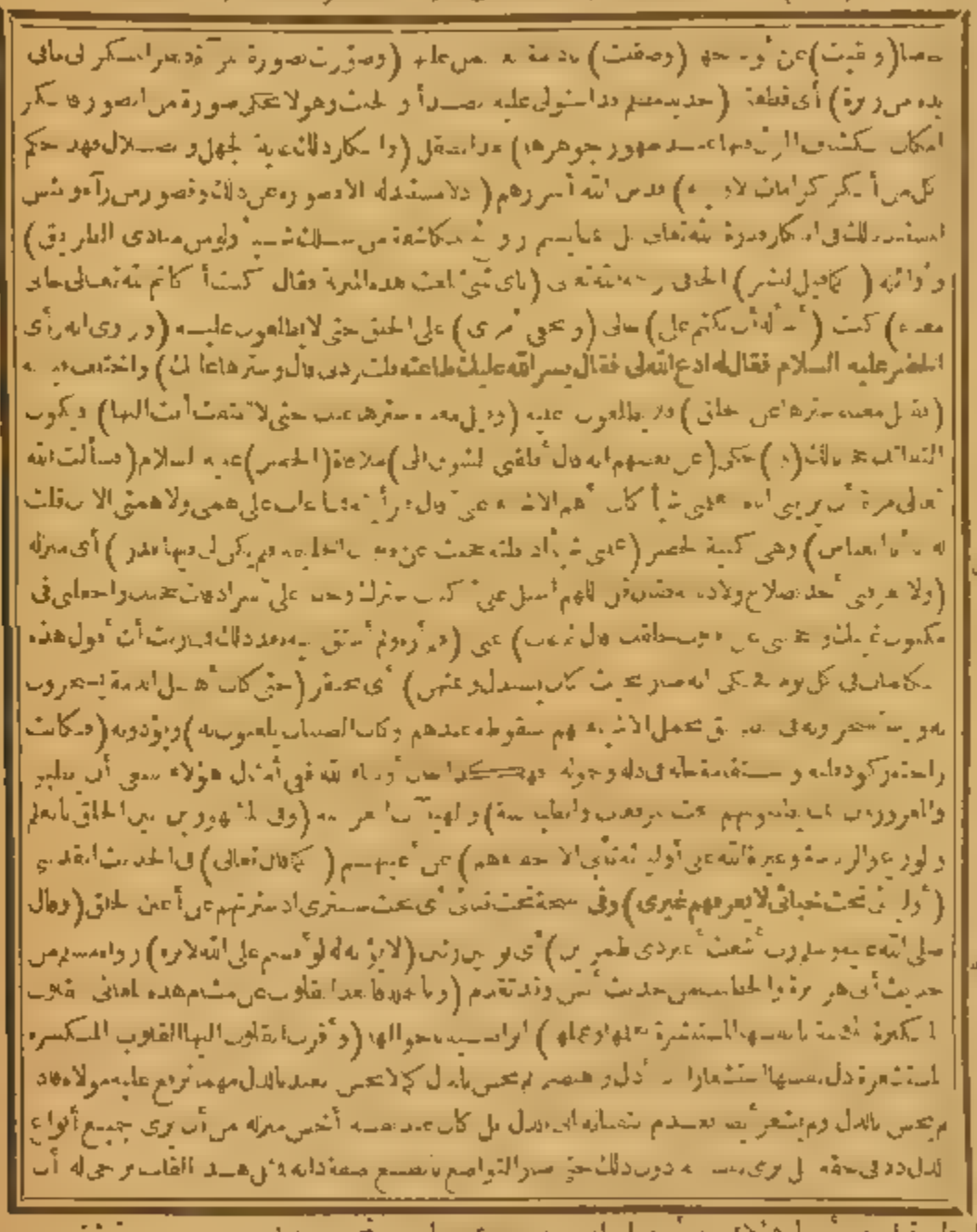

حصا (وقيت) عن قوله (وصفت) بدعة قبيحة من علماء (وصورت صورة المرآة فصار المنكر لما في يده من ذلك) أي قطعة (حديد معهم فدا سئل عليه بصدأ وحدث وهو لا يحكي صورة من الصور فالمنكر مكابر لكشف المرئي فيها عند ظهور جوهرها) وهذا مثال (وهذا كالمنكر لما يقطع به العقول والنقل فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء) فدس الله أسرارهم (فإنه لا صورة له عن ذلك وصورة من رآه ونفس المستند لذلك في إنكاره صورة الله تعالى فإنما ينكر وإنما ينكر كاشفة من مثل هذا أولوس منادي الطريق) وأنا به (كما قيل لبشر) الحافي رحمه الله تعالى (بأي شيء نلت هذه المرتبة فقال كنت أكاتم الله تعالى حالي معه) كيف (أكتمه حالي عليه) حالي (وبحضرتي) أي على الحق حتى لا يطلعوا عليه (وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى فقال يسر الله عليك طاعته فلك ردي فإن ردي ستر هذا عن الخلق) واختلف في قوله (وقيل معناه ستر هذا عن الخلق) ولا يطلعوا عليه (وقيل معناه ستر هذا عني حتى لا تلتفت أنت إليها) ويكون التفاته بحالك (ه) حكي (عن بعضهم أنه قال أفاني شوقي إلى لقاء الخضر) عليه السلام (فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه فعلي شيء كان أهم الأشياء عندي قال فرأيته على علي همي ولا همتي إلا سألته فقلت له يا أبا العباس) وهي كنية الخضر (علي شيء أدلك عليه حتى عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها مقدر) أي منزلة (ولا أعرف أحد صلاح ولا دعة فقال قل اللهم أسئل علي كل شيء سرك وحط عني سر إرادتك في كل شيء وحط عني عن كل شيء) في (فلم أزل وأنا أتفقد ذلك فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم) حتى (كان يستحقر ويستهزأ بي حتى كان أهل الدعة يستحقرونه ويستهزؤون به في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحتي كودته وإستقامة حاله في دله وحوله فهكذا حال أولياء الله تعالى في أمة نبيهم أن يستهزأ بهم المغرورون بالشهوات ويستحقرهم المحجوبون بالطبيعة) والهيئات الرديئة (وفي الخبر المشهور بين الخلق بالعلم لولوع العامة بالرسمية وغيرة الله على أوليائه تأبى الاحتجاب بهم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياني تحت قبابي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت ستري أستترهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والحاصل من حديث أنس وقد تقدم (وما جعلها القلوب عن مشامها هذه الأمة الكثيرة المنتشرة بعطرها وعبيرها) أي أسبابها (وأقرب القلوب إليها القلوب المكسرة المستشعرة بذلها استشعارا دائما وهضما لم يحس بالذل كما لا يحس بعد ما ذل مهما ترفع عليه مولاه وإن لم يحس بالذل ولم يشعر به لعدم إحساسه أحس منزله من أن يرى جميع أنواع الذل دونه في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاتية في هذا القلب وحتى له أن

يستحقر
واستقامة حاله في
دله وحوله فهكذا حال أولياء الله تعالى في أمة نبيهم أن يستهزأ بهم المغرورون بالشهوات
والطبيعة وفي المشهور بين الخلق بالعلم لولوع العامة بالرسمية وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى الاحتجاب بهم كما قال تعالى أولياني تحت قبابي
لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وما جعلها القلوب عن مشامها هذه
الأمة الكثيرة المنتشرة بعطرها وعبيرها وأقرب القلوب إليها القلوب المكسرة المستشعرة بذلها استشعارا دائما
وهضما لم يحس بالذل كما لا يحس بعد ما ذل مهما ترفع عليه مولاه وإن لم يحس بالذل ولم يشعر به لعدم إحساسه أحس منزله من أن يرى جميع أنواع الذل دونه في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاتية في هذا القلب وحتى له أن

يستحق سيدي هذه الروح فما عقد له على هذا القلب وحرمه مثل هذا الروح ولا ينبغي أن يطرح لانسان بمكان ذلك لأهله فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله وصالحيهم يعني أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال لبني سرائيل أيكم يقنت لروح فاسوني في الجواب فقال بعض الحكمة لا أنت الحكمة لا في قسمتي أمر سوء هذا تهيئ أن يريدوا ولا يريد الله تعالى في ملك شيء وهو بادلال المعس الى منتهى الضعة والحسة حتى روي أن ابن السكري وهو أسند حيدة دعا رجلا الى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى دخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فيطرد ثم يدعى فيرجع له عام ويعود ولو ردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال رأيت في محلة دعرت فيها بصلاح فتشت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فلبستها واستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي في الأسواق لا ألتفت الى من يعرفني وأحدوا ثيابا وأحسوي وأوحسوي صرت أقصرت بعد ذلك أعرف بنفس الحمام فسكنت نفسي وهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من أسر الخلق ثم من أسر النفس قال المتقشف نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين العبد وبين الله حجاب بعد الله تعالى حائل وما بعد القلوب شغلها بغيره وعدم الحب شغل النفس ولذلك حكي أن شاهدا عليه اقدر من أعيان أهل بغداد كان لا يريد أن يجلس أن يريد (لسيدي رحمه الله تعالى (فقال له يوما يا سيدي لا أريد منك إلا ثلاث سنة صوم الدهر لا أفطر وقوم الليل لا أنام ولا أحدث في أمر هذا العلم الذي تذكر شيئا) يعني علم المعرفة (وأنا أصدق به وأعمل به فقال أو تريد) رحمه الله تعالى (ولو صمت ثلاث مائة سنة وقمت الليل ما وجدت من هذه الدرة قال ولم قال لأنك محجوب بنفسك قال فهو ذا واعلم قال ثم قال لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى سوق كذا وكذا فاحلق رأسك والبس مرقعة وقف على باب المسجد (الذي عند (واترك عمامة وعلى في عنقك حملا من الأوساخ وصح بأعلى صوتك وقل كل من سمعني صفعني صفعة فعلت جوزة وادخن الحشيش وصف الأسواق كلها عند اليهود وعند من يعرفك) وهم لرفقائه في صنعته (وعند من يعرف) ويعتمد (وأثر على ذلك الحال (فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (فوالله سبحان

يستحق سيدي هذه الروح فما عقد له على هذا القلب وحرمه مثل هذا الروح ولا ينبغي أن يطرح لانسان بمكان ذلك لأهله فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله وصالحيهم (يعني أن يحشر مع من أحب) فإن أحب قوما حشر معهم كما في الخبر وتقدم قريبا (ويشهد لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل أيكم يقنت الروح فاسوني في جوابه فقال بعض الحكمة لا أنت الحكمة لا في قسمتي أمر سوء ولا لله تعالى في ملكه شيء يريدون ولا يريد الله تعالى بادلال المعس الى منتهى الضعة والحسة حتى روي أن ابن السكري) بضم الكاف وراء مكسورة وكسر وحدة أو خفيفة الصوفي (وهو مناد حيد) خرج ابن عدي وترجمه الخطيب في التاريخ وذكر أحمد بن عمران وقد وقع هذا في سوق الكتاب تصحيف فاعتمد (دعا رجلا الى طعامه ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى دخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فيطرد ثم يدعى فيرجع له عام ويعود ولو ردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال رأيت في محلة دعرت فيها بصلاح فتشت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فلبستها واستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي في الأسواق لا ألتفت الى من يعرفني وأحدوا ثيابا وأحسوي وأوحسوي صرت أقصرت بعد ذلك أعرف بنفس الحمام فسكنت نفسي وهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من أسر الخلق ثم من أسر النفس قال المتقشف نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين العبد وبين الله حجاب بعد الله تعالى حائل وما بعد القلوب شغلها بغيره وعدم الحب شغل النفس ولذلك حكي أن شاهدا عليه اقدر من أعيان أهل بغداد كان لا يريد أن يجلس أن يريد (لسيدي رحمه الله تعالى (فقال له يوما يا سيدي لا أريد منك إلا ثلاث سنة صوم الدهر لا أفطر وقوم الليل لا أنام ولا أحدث في أمر هذا العلم الذي تذكر شيئا) يعني علم المعرفة (وأنا أصدق به وأعمل به فقال أو تريد) رحمه الله تعالى (ولو صمت ثلاث مائة سنة وقمت الليل ما وجدت من هذه الدرة قال ولم قال لأنك محجوب بنفسك قال فهو ذا واعلم قال ثم قال لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى سوق كذا وكذا فاحلق رأسك والبس مرقعة وقف على باب المسجد (الذي عند (واترك عمامة وعلى في عنقك حملا من الأوساخ وصح بأعلى صوتك وقل كل من سمعني صفعني صفعة فعلت جوزة وادخن الحشيش وصف الأسواق كلها عند اليهود وعند من يعرفك) وهم لرفقائه في صنعته (وعند من يعرفك) ويعتمد (وأثر على ذلك الحال (فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (فوالله سبحان

الله شيء قال وكيف قال لا أستطيع هذا فسحقها وما سحقت شيئا قط قال هذا لا أعطيه ولكن ذبي على عبده فذبحها ثم ذهب فلم يأت شيئا ثم قال لشيء لا أطيقه قال فقلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكرته لو يريده ودواء من اعتل سقره الى نفسه ومرض سقم الناس اليه ولا يحمى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فلا ينبغي أن يذكر امكان اشتهاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو يمرض من هذا المرض أصلا قال درست الحكمة لاتساع امكان الدواء قليل أيضا وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من بعد عهده (١٧٨) علماء الشرع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون فيه ثلاث

أحب اليه من كفره وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وقال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولي الايمان والحب أن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون بعيدا من عليه وعلى ما لا يكون لا بعد مجهورة مقامات عالية عظيمة وراء الايمان وفي الاخبار الاسرائيلية (ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اتخذ خلقي من لا يعتز عن ذكري ولا يكون لهم غيري ولا يؤثر على شيء غيري من خلقي وان خرق لهم بحر لطرق البار وجعلوا ان قطع لهم بحار الحديد أتاها) فقوله صاحب القوت (ان لم يبلغ الى أن يعده حب الى هذا الحد فمن لم يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من أمتي وأعطاني مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحرث

الله شيء قال وكيف قال لا أستطيع هذا فسحقها وما سحقت شيئا قط قال هذا لا أعطيه) أي لا أقدر على فعله (ولكن ذبي على عبده فذبحها ثم ذهب) الذي فتنه (فجمع كل شيء فقال لا أطيقه فقال فقد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكرته لو يريده) رجعه الله تعالى (هو دواء من اعتل سقمه الى نفسه ومرض سقم الناس اليه ولا يحمى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فلا ينبغي أن يذكر امكان اشتهاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو يمرض من هذا المرض أصلا قال درست الحكمة لاتساع امكان الدواء قليل أيضا وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من بعد عهده من علماء الشرع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ذبه الشيء أحب اليه من كفره وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وهو منقطع وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه مسلم المزني ضعفه ابن معين والنسائي وتقدم من حديث أنس وابن عباس وابن عمر في الترغيب وسيأتي ما يعارضه (وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى تكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له) قال العراقي رواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس باسناد ضعيف اهـ قلت وله طرق من حديث عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وأبي الدرداء وواثلة بن الاسقع وغيرهم وفي بعضها ثلاث من كن فيه استكمل الايمان واسناده ضعيف اهـ قلت وله طرق من حديث أنس

الاعور وعن علي مع تقديم وتأخير والحارث ضعيف (وفي حديث آخر لله تعالى ثلاثمائة تحلق من بقيه تحلق منهم مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في تحلق منهم فقال كلهم يا أبا بكر وأحمد إلى الله السماء) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس مرفوعا إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والارض مائة أمة وثلاثة خلق من جاء تحلق منهم مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلاثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة وفيه وفي الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه دون الايمان والمراد من حديث عثمان بن عفان أن الله مائة وسبعة عشر شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض السؤال أبي بكر وكأنها ماضية بعد ما فات وتمام حديث عثمان عند الديلمي من رواه تحلق منهم دخل الجنة ورواه الطبراني والحاكم وأبو يعلى بلفظ إن الله مائة تحلق وسبعة عشر خلقت لي أمتي تحلق واحد منها دخل الجنة وأما حديث أنس الذي رواه الطبراني في الاوسط فأخرجه عبد الله بن عمر بن أبي عاصم في الجهاد من كتاب السنة وفي إسناده عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده وكان له صحبة وبقية رجاله ثقات وأخرجه الطبراني في الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه دون الايمان ولا ثلاث وثلاثون شريعة فمن دخل الجنة من كل شريعة منها دخل الجنة وأخرجه الطبراني هكذا أيضا وفيه أيضا وكان الاثنان روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيه نظر وعداده في أهل الشام وقال ابن عساكر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الايمان حديثا عند جابر بن سلمة انتهى وأخرج ابن السكن وابن شاهين وابن مردويه وأبو نعيم كلهم من طريق المهال بن بحر عن خلاس بن عمرو عن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده وكانت له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للايمان ثلاث وسبعون وثلاثة وثلاثون شريعة الحديث وسمى ابن السكن جده في روايته عبيدا فقال وكانت لعبيد صحبة وكان في بيت المقدس انتهى وأما حديث السجاة خلق لله الاعظم فقد رواه أبو الشيخ وابن عساكر من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجحت بهم) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف انتهى قلت ورواه الطبراني نحوه وفيه رأيت ليلة في المنام كأن ثلاثة من أصحابي وزنوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فرجح صاحبنا وهو صحيح وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر وفي رواية أمامة وزنت بأمتي فوضعت في كفة وأمتي في كفة فرجحت بأمتي ثم وضع أبو بكر مكاني فرجحت بأمتي ثم وضع عمر مكانه فرجح ثم وضع عثمان مكانه فرجح بهم ثم رفع الميزان وروى ابن عدي من حديث ابن عباس وقال غير محفوظ وزنت بالخلق كلهم فرجحت بهم ثم وزن أبو بكر فرجح بهم ثم وزن عمر فرجح بهم ثم وزن عثمان فرجح بهم ثم رفع الميزان وروى الشيرازي في الالقاب وابن مسدة وقال غريب وابن عساكر من حديث عريجة الأشجعي وزن شخصا فلما وزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فخف وهو من صالح قلت عريجة بن شريح الأشجعي مجهول لم أر من ذكره وروى أيضا عن أبي بكر الصديق وعنه زياد بن علاقة وأبوه زهم الأشجعي وأبو يعقوب العبدي وغيرهم وروى

وفي حديث آخر إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من بقيه تحلق منهم مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في تحلق منهم فقال كلهم يا أبا بكر وأحمد إلى الله السماء وقال عليه السلام رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت أمتي في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجحت بهم

ومع هذا كله فقد كان يستغرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للعلم مع غيره فقال لو كنت متخذا من خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه *(تتمة الكتاب كلها متعلقة بما تتعلق بالمحبة)*

(تتمة ما)

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة وما نفس بعضهم فلم يفسروها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فما زال العوض زالت المحبة وقال دواسون قل لمن أظهر حب الله الحديث تدل لغير الله وذل

ذكر في الكبير من حديث أسماء بن شريك دون أصحاب الثلاثة دون أبي بكر ثم دون عمر ثم دون عثمان ورواه ابن مندة من طريق رجاء بن مصعب عن شريك عن لاشعث بن سالم عن الاسود بن هلال قال كان رجل اعرابي يؤدب بالحيرة فقال له معلمه قل لا وعثمان ان شاء الله حتى يبلغ هذه الامة فقيل له لم أمرت أن تعلم فقال لي صحبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما سلم استقبل بوجهه فقال اي ناس من أصبح منكم اليوم فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فوزن قال ابن مندة هذا حديث غريب من حديث الاسود قال أبو موسى ذكره ابن مندة في آخر ترجمة حجر بن عنبس وصوب ذكره غيره قال الحافظ وكذلك أفرده أبو عمر وقال فيه حجر الاخير هو الحجري (ومع هذا كله فقد كان اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للعلم مع غيره فقال لو كنت متخذا من خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه) قال العراقي متفق عليه دون قوله ولكن صاحبكم الخ وهو من حديث ابن مسعود لفظه لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أبي وافد كذلك وفي لفظ لمسلم لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقالوا اتخذ الله خليلا ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن الزبير لو كنت متخذا من أمتي خليلا دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي في الدين وصحبتي في الغار ورواه البخاري كذلك من حديث ابن عباس والشيرازي في الالقاب من حديث سعد ورواه ابن عساكر من حديث جابر لو كنت متخذ خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن قولوا كما قال الله صاحبي وروى مسدد لو رأيت من حديث أبي هريرة لو كنت متخذا خليلا إلخ وفي لفظ لو شاء الله لاتخذ أبا بكر خليلا ولاخذه خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا *(تتمة الكتاب كلها متعلقة بما تتعلق بالمحبة)* وعبارة غيره (تتمة ما قال سفيان) وروى رجاء الله تعالى (اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم) فيما أمر به ونهى وهو دليل محبة الله تعالى فقد قال من أحب الله فقد أحب رسوله ومن أحب رسوله اتبع سنته وطريقته (وقال غيره) المحبة (دوام الذكر) روى البيهقي في شعب عن أبي علي الرباطي قال سئل سمنون عن المحبة فقال صفاء الود مع دوام الذكر وعن مالك بن دينار قال علامة حب الله دوام ذكره لان من أحب شيئا أكثر ذكره وقال الحليمي وقال بعضهم المحبة الدوام وكل من أحب شيئا دام ذكره لمحبة الله بدوام ذكره وهذا الذي فسر هذا القائل به المحبة من أنها الدوام وهو في قول أهل اللسان لانهم يقولون أحب الجمل اذا ادرك فدام مكانه وعن السري بن المغلس قال قرأت في بعض كلام الحكماء أشد الناس من المال وشهوة من لم يعرف قلبه ذكر الله عز وجل وحسبك من صدق بعبد دوام ذكر الله عز وجل عبده (وقال غيره) المحبة (ايثار المحبوب) وقال القشيري عن الكتاني قال المحبة الايثار للمحبوب وقال عن غيره قال هي ايثار المحبوب على جميع المحبوب وقال صاحب القوت عن بعض العلماء قال الايثار يشهد للحب بعلامة حبه ايثاره على عبده (وقال بعضهم المحبة (كراهية البقاء في الدنيا) أي محبة المحبوب الذي هو موصل الى لقاء الله تعالى وهو علامة محبة الله تعالى فان من أحبه أحب لقاءه ولا يتم له ذلك مع التقاعد في الدنيا (وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة) أي ما تثمره (فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تحير القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد) قدس سره (حرم الله تعالى محبة على صاحب العلاقة) أي سوى الله تعالى من أهل وصل (وقال) ايضا (كل محبة تكون بعوض فما زال العوض زالت المحبة) نقله القشيري في رسالته يشير بذلك الى أعلى مقام في محبة وهو تحققه الذات بالصفات من كل وجه لانها أزلية أبدية لا تتغير ولا تتعدى بل هي في الازدياد كما تقدم (وقال دواسون) المصري رحمه الله تعالى (قل لمن أظهر حب الله الحديث تدل لغير الله) يشير به الى أعلى مراتب المحبة وهو أن يعمر الحب قلبه فلا يحس بغيره ولا يلتفت الى سواه (وقيل

للشبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك فقال الشبلي رحمه الله يا أيها السيد الكريم حبل بين الحاء مقيم ارفع اللوم عن جفوني أنت عامر بي عليم وغيره

للشبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك فقال الشبلي رحمه الله يا أيها السيد الكريم حبل بين الحاء مقيم ارفع اللوم عن جفوني أنت عامر بي عليم وغيره

للشبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك فقال الشبلي رحمه الله يا أيها السيد الكريم حبل بين الحاء مقيم ارفع اللوم عن جفوني أنت عامر بي عليم وغيره

(قوله) القشيري في الرسالة (صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك) يشير به الى ان المحب لما كشف له من قرب الله وجماله وكماله وقوي لديه وزيد فيه انرد لك صولا في اللسان وابهره العظمة وحيرته عن صفة حاله فلو سكت حيث يخلاف العارف الذي لا يتطلع ولا يتعلق عنه وما سيأتي فيكون غائب حاله السكوت والفرض فلو تكلم كاد أن يهلك ومن هنا قولهم من عرف الله كل لسانه (وقال الشبلي رحمه الله تعالى) حين كان بالشام رسالة ودخل عليه جماعة من أصحابه من أهل العراق فرماهم بالحجارة فهربوا وقال كذبتم لو كنتم تحبون الله لما رجمتموني

(يا أيها السيد الكريم * حبل بين الحاء مقيم ارفع اللوم عن جفوني * أنت عامر بي عليم)

هكذا أنشده القشيري في الرسالة وقد تقدمت الاشارة اليه (وغيره) في هذا المقام قيل هو للشبلي ما سيأتي

(تحملت لمن يقول ذكرتني * وهل أنسى فأذكر ما نسيت)

أي لان الذكر انما يكون بعد النسيان والغفلة فمتى ذكر فلا يقول ذكرت فلا أصل لا صف نحمله ومن هنا قال بشر بن الحارث كان يقال لي الشيء عند الذكر لم الحضرني وقال ما ذكرت لا اله الا الله فقال ما هذا الذكر هذا عادة جعلت له أما ذكر ان تغفر فلا تذكر على الحقيقة

(أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ما تحيي ما أحيت
وكم أحياء ليلى من أموت * شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت
قديت بخياله صب لعيني * فان قصرت في نظري عميت)

ورأيت في آخر الرسالة لأبي سعد الاصبهاني أنشدني أحمد بن علي الحافظ قال أنشدني عبد الله بن يحيى الرمي أنشدني محمد بن علي الصوفي عن أبي بكر الشبلي

أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا ما تؤمل ما حييت * وفي موت حييت فما لكم لي
وكم أحيا عليك ولا أموت * شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

نسبي وقال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت بن عبد يقول كتب يحيى بن معاذ الى أبي يزيد يكثر من كثرة شربه من كأس محبته وكتب اليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات والارض وما روى بعد ولك الله سارع يقول هل من مزيد أنشدوا

عجبت لمن يقول ذكرتني * وهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

وقال القشيري في باب الذكر كان الشبلي ينشد في مجلسه

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة * وأيسر ما في الذكر ذكر لساني * وكيف ولا وجدي أموت من الهوى
وهام على القلب بالخفقان * فما أرى أوجدا لما صنعوا * شهدت موجودا كمثل مكان
فما طبت منه وجودا بغير تكلم * ولا حظت معلوما بغير عيان

(وقالت) أم الخير (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية قدس سرها المتوفاة سنة ١٣٥ (يوما من بدا على خدمتنا فقالت خادمة لها حبيبة معنا ولكن الذي قسمها بيننا) اعلم ان رابعة قدس سرها كانت رأس المحبة وتوأمها كما هو مشهور من حالها ولها يحق عليها مقام لم يحق عليه مقام لاستغراق الاولى هو من بقايا المحبة وعلى عليها الشوق وانما هذه واحب في مقام يقرب فديقتك من يد أحد بيده ويتعلق بالاذيال وهو منها الخدمة على أن الوصول لي مقام اشهد له لا يكون لاحد الا وهو من هذا العالم فتمتنع عنه القواطع وما أدق نظرها رحمها الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (بن الجلاء) المدني رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام) يا عيسى (اني اذا اطلعت على سر عبد) وهو حال غالب (فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوبته تحضني) يشير به الى أن المحبة تقتضي عدم المشاركة وان لا يكون في القلب

محل اسواء واعطا القشيري في الرسالة وحي أوحى الله الى عيسى عليه السلام اي دا اطاعت عبي قلب عبد قم أحد حبه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي (وقيل تكلم معنون يوما في المحبة فاذا نزل بين يديه فم يزل يضرب بمقاره الارض حتى سال الدم منه فبات وقال ابراهيم ان أدهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من معرفتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك) رواه ابو نعيم في الحلية قال حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم حدثنا محمد بن عبد الله بن حبيب الحافظ قال سمعت المصوري يقول سمعت الشبلي يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة اذا أنت آنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك قال وحدثنا أبو أحمد الحسين بن علي الفقيه البيساوري حدثنا محمد بن المنيب الارميني حدثنا عبد الله بن حبيب حدثنا محمد بن حمير قال قال ابراهيم بن أدهم اللهم انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة اذا أنت وهبت لي حبك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك (وقال السري السقطي) رحمه الله تعالى (من أحب الله عاش) عيشة هنية (ومن مال الى الدنيا عاش) عيشة وتحير فكره (والعاقل من عيوبه فتاش والاحمق) الذي غلبت عليه شهوته (يعدو ويروح في لاش) أي في لا شيء تقدم ذلك في كتاب ذم الدنيا (وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله اني لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحبه) وقال أبو يزيد (الحب لا يحب الا بادوا الآخرة) أي لا يقبل قلبه اليهما (انما يحب من مولاه مولاه) أي ذاته ويقصر نظره عليه (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى (الحب دهش في الذات وحيرة في التعظيم) أشار بالحب الاول الى أوائل الحب فان صاحبه أول امره اذا لاحظ جمال المحبوب يدهش ويحصل عن عقله وهذا حقيقة المحبة أعني ما دهشه ولذهب قلبه من الحال وأشار بالحب الثاني الى كمال مقام الحب وذلك عند تصاغر ذاته بالعبودية المحضة اجلالا لعظمته ومهابة لكبريائه وقد مر هذا المقام الحيرة وقد ذكر القشيري في رسالته سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول المحبة المحبة ومواضع الحقيقة دهش انتهى ومعنى ان المحب في أول أمره هائمة يلتذ بها المحب فاذا غلب على قلبه شعاعها تحير ودهش (وقيل المحبة أن تحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك) ويقرب منه قول ذي النون حقيقة المحبة ان تهب كلك للمحبوب فلا يبقى لك منك شيء وقول الشبلي حسب المحبة ان تحو من القلب ما سوى المحبوب قالهما القشيري (وقيل ان المحب قرب طلب من المحبوب بالاستبشار والفرح) ولفظ القوت قال الجنيد المحبة ان تقبل بجميع نفسك قرب القلب من الله بالاستبشار والفرح انتهى والمراد بالقرب قرب مكانة لا قرب مكان وأشار بالاستبشار والفرح الى الانس الذي تجده المحبون المستأنسون بالقرب يستبشر ويفرح لانه غير منقطع الى منتهى وقد يكون اشارة الى مقام الصفاء الذي هو احدى منازلات العبد في سلوكه وهو ان يكون القلب صافيا عن سائر الكدورات حينئذ يحدث الله تعالى في قلبه لا محالة القرب وحلاوته من أنواره ومعرفته وتحقيقه وتحدد ذلك يحل القلب الى القرب من المحبوب بكمال معرفته ويخص عليه الخواص اعلم ان الجذب الكلي من عدم الماء داراه في السماء وهو نهاية الفرح والاستبشار وعلى هذا يعلم بقينا ان محبة عبد لله تعالى هي ميل اليه بالفرح والابتهاج كما قال الجنيد المحبة هي ميل بالاستبشار وأي ميل أشرف

من الميل البهو نفر رسمه (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخوص) رحمه الله تعالى (المحبة محو الارادة واحراق) وفي نسخة واحتراق (جميع الصفات وخاصة) وقريب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقول الحلاج حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بمحو أوصافك وقول من يقول السوسي حقيقة المحبة ان يحبوا عبيده من الله ويحبوا حرمانه كما في الرسالة (وسئل) ابو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن المحبة فقال) هي (عطف الله تعالى بقلوب عبيده بعد لطفهم للمراد منهم) والمشاهدة تكون بالقلب كما ان الرؤية تكون بالبصر وقد عطفه كذلك لانه قيل عبر بأبداء هذا وهذا بمعنى قوله تعالى يحبهم (وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأصلها التعظيم والمحبة لان هاتين تجتمع أهل الجنة في الجنة ويرجع بعضهم عن بعض) وذلك لان أول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله تعالى لوجهه خالصا لا حرجة من ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم ووصولهم اليه مناهم ثم يرجع لهم على التعظيم والاجلال فلا يروون رؤوسهم تصح لانه قد سبق بقلوبهم وترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى شوقهم والانس (وسئل قيل لحب أفضل أم الحياء فقال الحب الذي يورثه الخوف الحياء منه فضل والحب الذي يورثه الحياء افضل من الحياء وهو الشوق) (وقال هرم بن حيان) العبدي رضي الله عنه (لا يجد عبد من حلاوة الايمان شيئا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ويحب المرء لا يحبه الا لله) (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه) فان المحبة ثمرة المعرفة (واذا أحبه أقبل اليه) بالعطف والرحمة (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة) أي لم ينظر الى الآخرة بعين الفترة (ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة) أي الكسل عن القيام بالخدمة (وهي تحسره في الآخرة) وقد تقدم هذا القول (وقال عبد الله بن محمد) المصري (سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد استحييت من الحياء حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها يعني تفقه أنت من عندك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به أفترى يعذبني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني وكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود أحوج ما يكون العبد الى ادا استغنى عني وارحم ما أكون بعبدي اذا أدبر عني وأحوج ما يكون عندي اذا رجع الي وأوحد الصفة ربي من الانبياء عليهم السلام الله تعالى يا معاشر العباد تعملون على أمر يسير معاشر الانبياء تعمل عليه ثم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين ومخاصمتي للمحبين وأوحى الله تعالى

(وقال) ابراهيم بن أحمد (الخوص) رحمه الله تعالى (المحبة محو الارادة واحراق) وفي نسخة واحتراق (جميع الصفات وخاصة) وقريب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقول الحلاج حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بمحو أوصافك وقول من يقول السوسي حقيقة المحبة ان يحبوا عبيده من الله ويحبوا حرمانه كما في الرسالة (وسئل) ابو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن المحبة فقال) هي (عطف الله تعالى بقلوب عبيده بعد لطفهم للمراد منهم) والمشاهدة تكون بالقلب كما ان الرؤية تكون بالبصر وقد عطفه كذلك لانه قيل عبر بأبداء هذا وهذا بمعنى قوله تعالى يحبهم (وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأصلها التعظيم والمحبة لان هاتين تجتمع أهل الجنة في الجنة ويرجع بعضهم عن بعض) وذلك لان أول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله تعالى لوجهه خالصا لا حرجة من ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم ووصولهم اليه مناهم ثم يرجع لهم على التعظيم والاجلال فلا يروون رؤوسهم تصح لانه قد سبق بقلوبهم وترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى شوقهم والانس (وسئل قيل لحب أفضل أم الحياء فقال الحب الذي يورثه الخوف الحياء منه فضل والحب الذي يورثه الحياء افضل من الحياء وهو الشوق) (وقال هرم بن حيان) العبدي رضي الله عنه (لا يجد عبد من حلاوة الايمان شيئا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ويحب المرء لا يحبه الا لله) (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه) فان المحبة ثمرة المعرفة (واذا أحبه أقبل اليه) بالعطف والرحمة (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة) أي لم ينظر الى الآخرة بعين الفترة (ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة) أي الكسل عن القيام بالخدمة (وهي تحسره في الآخرة) وقد تقدم هذا القول (وقال عبد الله بن محمد) المصري (سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد استحييت من الحياء حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها يعني تفقه أنت من عندك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به أفترى يعذبني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني وكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود أحوج ما يكون العبد الى ادا استغنى عني وارحم ما أكون بعبدي اذا أدبر عني وأحوج ما يكون عندي اذا رجع الي وأوحد الصفة ربي من الانبياء عليهم السلام الله تعالى يا معاشر العباد تعملون على أمر يسير معاشر الانبياء تعمل عليه ثم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين ومخاصمتي للمحبين وأوحى الله تعالى

الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب خلقي صدق قوله ومن أبغض خلقي دعا عليه ومن استغنى الله عنه في مصيره وكان الحزين رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله لما قال الله تعالى ليوسف عليه السلام حتى متى تحبني وقام حتى تحبي وصلى حتى تتعبد وقال وعزتي وجلالي لو كان بيني وبينك تحرس مار حصته ابيلي شوقا مني اليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى (حنين من جعل الارواح جنودا مجندة فأرواح العارفين جبلت بقدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح العاملين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت في جبل الكام رجلا أعمر الملوس ضعيف البدن وهو يقفر من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى * صبراني كما ترى وقال شوقي بالله تعالى أشعلها في قلوب أحبائه حتى تحرق بنارها أماني قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والخاطر) فلا تكون لهما معهم أبدا (وهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا وقد اقتصر عليه وبالله التوفيق للصواب) وقد ذكر بعض العلماء في الشوق وقوله تعالى يوم يأتي بعض الآيات قد يأتي بعض الآيات عن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعا قال جبل الشوق يعني وصفه قال الحافظ أبو نعيم من هذا الوجه من أحب الله تعالى لم يقعد عليه اسم قعد ولم يستقل وظائف عبادته وتكاليفه لمكتوبة عليه كما ان من أحب أحدا من جنسه لم تكد نفسه تسأمه ولا ما يصدر عنه ولا تمله ولا تصدق من خبر المخبر عنه الا ما يتخذه سببا للوقوع به والبعد في محبته وعن عبد الله بن براهيم القرشي عن أبيه قال سأل رجل العباس بن عبد المطلب قال يا عم عبد الله بن موصل يحب الله عز وجل ويحب طاعته ويخاف الله ويخوف معصيته فان أنا كنت كذلك يكره الموت متى يأتي وأنى يستوصل الله يا بني ثم استقبل القبلة فقال لا اله الا الله ثم تحص بصره ومات وعن مالك بن دينار قال أوحى الله عز وجل الى بني اسرائيل ما أقلى قلوبكم ولكن أقل همكم وهواكم من كان همه وهواه في محبتي كنت جليسه عندي تقيا وأسكنته جواري وعن محمد بن سعيد الحواري قال سمعت ذا النون وسئل عن المحبة فقال أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله وقال يحيى بن معاذ لو لم يكن في الله لومة لائم مع لعف للمؤمنين والعلطة على الكافرين واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين وعن أبي يزيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل وعلامة

من
الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب خلقي صدق قوله ومن أبغض خلقي دعا عليه ومن استغنى الله عنه في مصيره (وكان) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا أراه وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (لما قال الله تعالى ليوسف عليه السلام حتى متى تحبني وقام حتى تحبي) معه (وصلى حتى تعبد وقال وعزتي وجلالي لو كان بيني وبينك تحرس مار حصته ابيلي شوقا مني اليك) وروى البيهقي في الشعب عن عبد الله بن أبي عيسى قال كان رجل من أهل البصرة يقال له صريم تعبد فاجتهد حتى اعتل ثم تعبد فاجتهد حتى سقم ثم تعبد وهو مستلق حتى أغمي فيما أجهد قال الحلبي فرفع بصره الى السماء فقال سيدي أنا الذي علمت ما كان مني من محبتك أحد سولك (وعن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه (قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة) قال العراقي ذكره القشيري عباس من حديث علي ولم أجد له اسنادا اه قلت وسئل عنه الحافظ بن حجر فكتب به فقال لا أصل له (وقال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى (حنين من جعل الارواح جنودا مجندة فأرواح العارفين جبلت بقدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح العاملين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا) وقال بعض المشايخ رأيت في جبل الكام رجلا أعمر الملوس ضعيف البدن وهو يقفر من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى * صبراني كما ترى ويقال شوقي بالله تعالى أشعلها في قلوب أحبائه حتى تحرق بنارها أماني قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والخاطر) فلا تكون لهما معهم أبدا (وهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا وقد اقتصر عليه وبالله التوفيق للصواب) وقد ذكر بعض العلماء في الشوق وقوله تعالى يوم يأتي بعض الآيات قد يأتي بعض الآيات عن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعا قال جبل الشوق يعني وصفه قال الحافظ أبو نعيم من هذا الوجه من أحب الله تعالى لم يقعد عليه اسم قعد ولم يستقل وظائف عبادته وتكاليفه لمكتوبة عليه كما ان من أحب أحدا من جنسه لم تكد نفسه تسأمه ولا ما يصدر عنه ولا تمله ولا تصدق من خبر المخبر عنه الا ما يتخذه سببا للوقوع به والبعد في محبته وعن عبد الله بن براهيم القرشي عن أبيه قال سأل رجل العباس بن عبد المطلب قال يا عم عبد الله بن موصل يحب الله عز وجل ويحب طاعته ويخاف الله ويخوف معصيته فان أنا كنت كذلك يكره الموت متى يأتي وأنى يستوصل الله يا بني ثم استقبل القبلة فقال لا اله الا الله ثم تحص بصره ومات وعن مالك بن دينار قال أوحى الله عز وجل الى بني اسرائيل ما أقلى قلوبكم ولكن أقل همكم وهواكم من كان همه وهواه في محبتي كنت جليسه عندي تقيا وأسكنته جواري وعن محمد بن سعيد الحواري قال سمعت ذا النون وسئل عن المحبة فقال أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله وقال يحيى بن معاذ لو لم يكن في الله لومة لائم مع لعف للمؤمنين والعلطة على الكافرين واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين وعن أبي يزيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل وعلامة

من يحبه الله عز وجل فقال من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجد أبدا كما لا يجر عن ذلك ستروح الى ذكر الطعام والشراب فان عمر ستروح الى ذكر الرغيف واتفكر فيما من يحبه الله عز وجل أعطاه يحبه كسحاب الصيف وشفقة كشفقة الشمس وتواضعا كتواضع الارض وعن يحيى بن معاذ الرازي قال المحبة لا تصح لامن جهة المحبوب وليس من أحب يحبه وعن ابراهيم بن على الديبلي قال من المحال أن تعرفه ولا تحبه ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك ذكره ومن المحال أن توجدك ذكره ولا يشغلك به غيره سواء وعن سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول من علامة المحب أن لا يبالي على الله متى يكون الشغل كله بالله وحده وقال يحيى بن معاذ المحبة أن لا يرى شيأ سوى محبوبه ولا يرى سواه لنا ناصرا ولا معينا ولا يستحي بعبره عنه وعن ابراهيم بن على الديبلي قال من لم يرها ان اذا استغرب محبته في لقاء ذهل عن الاهل والولد وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت رابعة في مرضه يقول للحسن بن شوذب لا يكون المحب الله محبا حتى يحبه بكل قلبه فصرخ الحسن بن شوذب وعن محمد بن أحمد المهدي قال سمعت على بن الموفق مالا أحصيه وهو يقول اللهم ان كنت تعلم اني أعدك خوفا من نارك فعذبني بها وان كنت تعلم اني أعدك حبا مني لجنتك وشوقا اليها فحرمنيها وان كنت تعلم انما أعدك حبا مني لك وشوقا الى وجهك فاكرمني بحبه مرة واحدة في ما شئت وقال صبيح الخلال ان محبة شغل قلوب مريديه عن التأدب بخدمة غيره فليس لهم في الدنيا مع حبيبهم راحة ولا يملون في الآخرة من كرامته لانهم أكثر عندهم من النظر الى وجهه وعن عبد الرحمن بن عبد ربه عن ذي النون قال من فقد عادته فقد حقيقته ومن فقد الشوق فقد النظر اليه وعن عبد الله بن سهل قال سمعت يحيى بن معاذ يقول كم بين من يريد الوليمة للوليمة وكم بين من يريد حضور الوليمة ليلقى الحبيب في الوليمة ودخل سفيان الثوري على رابعة فقالت له بعد ما تعدون الجوع فيكم قال انما عد أشياء الدنيا والذي يجوده ماله وأما عبيد الله فالآخرة فهو الذي يجود بنفسه فقالت يا سفيان أخطأت ثم قال لها فما عدك أنت يا رابعة قالت الجوع عندك رحمك الله فقالت ان تعبدوه حبا له لا لطلب جزاء ولا مكافأة ثم أنشأت تقول

لولاك ما طاب الحيا ولا ... طاب نعيم بعده الخلد

قوم أرادوك للجنان فما ... لوهد وفي سواك لم يرد

وعن ابراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن عبد الرحمن السكوني وكان من عباد قال لقيني بعض المجانين يوما فقال لي أحبك الله قال قلت بل أبغضك الله قال فما بدا لك في شيء سمعته قلت بدا لي وانعدام قال هذا بغضه الله في الدنيا فما السخاء في الدين قلت اسارعه الى طاعة الله قال فتريد منه الجزاء قلت نعم قال واحدة عشرة قال هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة لي طاعة سيدك أن لا يطالع على قلبك وأنت تريد منه شيأ سواه وعن جامع بن أحمد قال سمعت يحيى بن معاذ يقول العارفون رجلان رجل مسرور بالله عبده ورجل مسرور بربه ربه فالاول يفرح بالله من جهة عبده والآخر يفرح بالله من الله فقط وقال هذا سرور الخوف وذاك سرور الحب وعن علي بن محمد بن سهل قال سمعت الجنيد يقول نبهني عبد الله بن منازل ليلة عند السحر فقلت له كان في بعض الليل قال يا جنيد أنت نائم قلت لا قال ساعة أو قدر ما بين يديه وقال يا سري تدري لم خلقت الخلق قلت لا قال خلقت الخلق فادعوا كلهم في وادي ومحبتي في وادي فخلقت الدنيا فاشتغل بها من عشرة آلاف تسعة آلاف وبقي ألف فخلقت الجنة فاشتغل من الف تسعمائة بالجنة وبقيت مائة فسلطت عليهم شيأ من البلاء فاشتغل بي بالبلاء من المائة تسعون وبقيت عشرة فقلت لهم ما أنتم للدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتم ولا من البلاء هربتم فقالوا لك نعلم ما تريد فقال بي أنزل بكم من البلاء ما لا طاقة به الجبال ارواحي فتشتغلون بذلك قالوا ألست الصانع بنا فقلت فانتم عبيدي حقا وحسن يحيى بن معاذ عن شهي الجالس والدعا قال الخلوس في بيت التوحيد ثم من وراء تحته المعرفة ويسقى من كأس المحبة سبحان الله ما أكده من خمار وأعذبه من شراب قيل فاي الطعام اشهى قال لقمة من ذكر الله عز وجل في قلب المصلي بتوحيد الله ورفعها من بقية الرضا عن الله عند النظر الى كرامة الله تعالى قيل فما عيد المؤمن قال

السرور بالايمان وبمعرفته قرأت قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته وبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال السري السرور بالله هو السرور والسرور بغير الله هو الغرور ومن أريس لا غرور قال رأيت ريحانة المحزونة البيلة تدعو وتقول في دعائها أعود لك من بدن لا ينتصب بين يديك وعين لا يبكان شوقا اليك ولحظت كفان لا يبتهلان بالتضرع اليك ثم أنشأت تقول

يا حبيب القلوب أنت حبيبي * لم تزل أنت منيتي وسروري

وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول كنت في الطواف فرأيت واها المحزون وهو يقول حبك قتلني وشوقك أبلاني ولانصالك بغيتي ومعدن قلوب تحب غيرك وتركت خوفا من أنست بقربك وقال ذو النون الانس بالله نور ساطع والانس بالناس ظلم قاطع وقال صالح المري رأيت بريحانة المحزونة وقد كتبت من وراء حجبها

أنت أنسي ومنيتي وسروري * قد أبى القلب أن يحب سواك
يا عزيزي ومنيتي واشتياقي * طال شوقي متى يكون لقاك
ليس سؤلي من الجنان نعيما * غير اني أريدها لأراك

واذا على صدر جيبها مكتوب

حسب المحب من الحب بعلمه * ان الحبيب بما به مطروح
والقلب منه ان تنفس في الهوى * سقم ولوعات الهوى تجروح

وعن علي بن سهل قال الانس بالله ان يستوحش من الخلق لانس أهل ولاية الله فالانس بهم هو الانس بالله تعالى وقال الفضيل كفى بالله بجهلا بالقرآن وتفسيره بالموت واعلم وكفى بخشية الله علما والاغترار بالله جهلا وعن ابراهيم الخواص قال لا تطمع في لين القلب مع فضول الكلام ولا تطمع في حب الله مع حب المال والشوق ولا تطمع في الانس بالله مع الانس بالخلق وقال منصور بن عبد الله لاصبهاني سئل اسئلي ما علامة صحة المعرفة قال سبعة من كل شيء سوى معروفه قيل ما علامة صحة المحبة قال ما تراعي عن كل شيء سوى محبوبه وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن قتادة يقول سمعت علي بن عبد الرحيم وسئل عن الفرق بين الحب والعشق فقال الحب لذة تعمي عن رؤية عيب المحبوب وقد تناهى سمي عشقا وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول الشوق أعلى المقامات وأعلى المقامات ما يعلمها الا من استبطأ الموت شوقا الى ربه وحبا للقائه والنظر اليه وقال أبو عثمان في قوله تعالى ان أجل الله لآت هذه تعزية للمشتاقين معناه اني أعلم ان اشتياقكم الى عجل واني أجلت اللقاء لكم أحلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون وعن عبد الله بن مسلم قال قال مالك بن دينار خرجت يوما الى المقابر فاذا بشاب جالس يبكي عند قبر فقلت يا هذا اشد بكاءك أما علمت أن الله كاشف ما بك فقال لا فسقط مالك مغشيا عليه ثم أفاق فقال شد بكاءك ما كنت في أسفل سطر مالك بن دينار فصلى يحب الحسن لله فلما كان الليل أتيت في منامي فقال قد كتب فيهم اسمه مع من أحب وقال أبو علي الجوزجاني ثلاثة أشياء من عقد التوحيد الخوف والرجاء والمحبة وزيادة الخوف في ترك الذنوب وزيادة الرجاء في اكتساب الخير وزيادة الوعد وزيادة المحبة في كثرة الذكر لرؤية المنعم فالخائف لا يستريح من الهرب والراجي لا يستريح من الطلب والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب فالخوف نور والرجاء نور والسرور محبة نور والانوار وقال أبو الحسن الوراق المحبة غيبة من الايمان بالله وهو أصل الجميع من مراتب الاولياء وقال تشعب المحبة من دوام ذكر احسان الله فمن ذكر على الدوام احسان الله اليه تسمر بمحبة عن قريب وقال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا الحسن الدرسي يقول سمعت ابن عطاء يقول في معنى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبعض من أساء اليها فقال كيف لا يحب موليا لا يمكنك من نواله نعمة قط ولا تنقطع أبدا ولكن ضعف اليقين وكدورة المعرفة وقص الايمان يحجبك عن محبته والميل اليه وقال أبو سعيد الخراز في هذا الحديث والعجب ممن لم يرى محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته اليه وقال أبو عمرو الزجاجي سألت الجنيد عن المحبة قال تريد الاشارة قلت لا قال

تريد الدعوى قلت لا قال فابش تريد قلت عبد يحبه قال ان يحب ما يحب الله فى عباده وتكره ما كره الله فى عباده وعن بشر بن السرى قال ليس من علامة الحب أن تحب ما يبغض حبيبك وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى يوما أهل الجنة المحبة من الله عز وجل قال بالمعارف وأحمد الكفاف وقال أبو عبد الله الباجى سأل رجل الفضيل متى يستريح الرجل فى محبة الله قال اذا كان عطاؤه ابتلاءه ومنعه عطاءه وقال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيئا من الاعمال يتقدم الصبر لا الرضا ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة وقال بعض العلماء رأيت عتبة الغلام دت بليلة يتمايل يقول حتى متى أصحبك تعذبنى فى محب لك وان ترحمنى فانى محب لك وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة التى لا تريد بها بدلا ولا تبغى بها حولا وقال الجنيد سمعت الحارث المحاسبى وسئل عن المحبة فقال ميلك الى الشئ بكليتك بمحبته ثم ايثارك له على نفسك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه وقيل لابى على الروذبارى من عبد الرحمن السلمى قال وقوم المحبة مواضعه الحبيب فى المشهد والمغيب قال وسئل رويم عن المحبة فقال الموافقة فى جميع الاحوال وانشد

ولو قال لى مت مت سمعا وطاعة * وقلت لداعى الموت أهلا ومرحبا

سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهانى يقول سئل الحسن البوشنجى عن الحب فقال بذل المعهود مع معرفة بالمحبوب والمحبوب يفعل بعبده ما يشاء وقال أبو عبد الله المغربى تفكر ابراهيم عليه السلام ليلة من الليالى فى شأن آدم عليه السلام فقال يارب خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك ثم سلبته ذلك كله فى ساعة واحدة ملأت أحواله بالناس حتى يقولوا وعصى آدم ربه فأوحى الله اليه أن يا ابراهيم أما علمت أن محبة المحبوب على المحبوب شديدة وقال وهيب أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فقال يا رب ليس لك عندى ذلك الذنب الذى كان وقال سعيد بن عثمان بن عباس سمعت سفيان الثورى وقد قيل له متى يا أبا عبد الله يصفو الحب فقال اذا سقط الادب وقال أبو يعقوب النهرجورى سمعت رجلا من أهل الطريق يقول وهو يعاتب محبوبه ما أحسن ما تتحبب الينا وتتودد ونحن نتباعد عنك وتدنو منا وقال أيضا سمعت جعفرا الخلدى يقول سمعت الجنيد وقد سئل عن المحبة فقال أن يهب العبد كله لله فيؤثره على كله وقال أيضا سمعت سيد الطائفة يقول لى من ترجمان هذا وهو كل خاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل سائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غنى وكل محب ذليل فكرت فى هذه فاذا هى أصول الكل ما تعبد الله الخلق به وقال أحمد بن عيسى الكلابى سمعت يحيى بن معاذ الرازى ينشد

ان المحب لصادق فى حبه * متودد بين الموانس كارم
ترى دموعهم تسيح بحارا * تحيون بلهم بقول سلامهم
قوم اذا رقد العيون سهارى * صفوا شدة خوفهم أقدامهم
يتخللهم من طول ركوعهم * يتخشعون من النار الا صراما
شغلوا بحب الله طول حياتهم * فتحسبوا لوداده الاتماما

وقال الجنيد قال رجل للسرى كيف أنت فأنشأ يقول

من لم يمت والحب حشو فؤاده * لم يدر كيف تقلب الاكباد

وقال محمد بن العباس الخزاز سمعت أبا بكر بن أبى عثمان يقول وهو فى مجلس رجل من أهل بغداد فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقا فى حبه فقال اذا حلا عن خلائقه كان صادقا فى حبه قال فوضع الرجل انبرات على رأسه وصاح فقال كيف ادعى حبه ولم أحل طرفة عين من خلائقه قال فبكى أبو عثمان وأهل المجلس فجعل أبو عثمان يبكى وهو يقول صادق فى حبه مقصر فى حقه الخ سبق الشعر وقد تركت منه كثيرا مما أورده فى أثناء كلام المصنف وفى كتاب مصارع العشاق لابى محمد السراج فى مصارع محبى الله عز وجل بدأنا أبو القاسم الازجى سنة ٤٤٠ أنبأنا أبو الحسن على بن جعفر السهروردى بمكة قال حكى عن الجنيد انه قال أعرف من قتلته محبته ولم يعرف المحبة فقلنا ما يقول الشيخ فقال قتله ما نحى فيه أخبرنا أبو القاسم الازجى أخبرنا أبو الحسين على بن الحسن بن جهضم بمكة سنة ٣٩٦ سمعت أحمد بن محمد يقول كان سهل يقول للناس ثلاثة وصوف صنف منهم

مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مصطبح على بابه ينتظر اكرامه وصف منهم مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مصطبح على بابه ينتظر العفو وصف منهم مضروب بسوط العلة مقتول بسيف الشوق مصطبح على بابه ينتظر العفو حدثنا أبو قاسم الازهري حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة حدثنا محمد بن عبد الله الشكلي حدثني محمد بن جعفر بقطري قال دخلت البوادي فأشير علي بساحل البحر فصرت بحارية عليها العصر شعر واداهي ما حملة دله فسدوس مع الاضلع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان بالاشجان وعصفت الرياح واضطربت الامواج وهربت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت تحت ثم قالت سيدي ما تقول المقربون في خلوات ومتعبدون سجت الحيتان في البحر الزاخرات وجلال قدسك تصاغرت لامواج امثلا لعظمتك أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهر وكل شيء بعبدك بقهرك لانك بنيته على القهار

يا مؤنس الابرار في خلواتهم * يا خير من حلت به الاجمال
من ذا الذي حسن لا زال متيما * فسرح الفؤاد متيما بالبال
من ذا خليل لا يرى متنسما * في طول حزن في لحاظ سهال

ضقت بها ذرعا فقلت لها ليتني فرقت طرفها الى السماء وقالت

أحببتك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذي هو حب الوداد * فشغلت به عن سواك
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فاذا هي قد فارقت الدنيا فبقيت أنظر ساعة وإذا بسوداء قد أقبلت على بغلين عليهما مدارع الشعر فاحتملتها وهي بين يدي وغابت عني كأنها لم تكن فقمت لي بقدم فصليت عليها فتقدمت وصليت عليها ودفنتها ثم احتملتها ومضت وأنشد محمد بن عبد الله يحيى بن معاذ

أموت بداء لا أصيب مداويا * ولا بسر حامل أتوسى من بلائيا
اذا كان داء العبد حب مليكه * فمن دونه يرجو طبيبا مداويا
مع الله يعصي دهره متمردا * مطيعا تراه كان أو كان عاصيا
يقولون يحيى حين مس بعدة * وما بي جنون غير حبي خاليا

أخبرنا القاضي أبو الحسن التنوخي أخبرنا بن يحيى حدثنا الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا محمد ابن الحسين حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال نظر رابعة الى رباح القيسي وهو يقتل صبيا من أهله ويصيح اليه فقالت أتحبه يا رباح قال يعز علي ما ترين أحسبك في سبيل موصلة فرأيت غيره قال فصاح رباح وسقط مغشيا عليه ومن طريق أبي القاسم بن مروان سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول دعتني امرأة الى غسل ولدها فكرت له فلما كشفت عنه ثوبه قبض على يدي فقلت سبحان الله حيا وميتا فقال ان المحبين لله تعالى أحياء وان قبروا ومن طريق الحسن بن علي بن يحيى بن سلام قال قيل ليحيى بن معاذ يروى عن رجل من أهل الخير قد كان أدرك الاوزاعي وسفيان انه سئل متى تقع الصرامة على المذنب قال اذا كان محبا لما أحب الله مبغضا لما أبغض وقعت صراسته على ذنبه فقال يحيى

كل محبوب سوى الله سرف * وهموم وغموم وأسف
كل محبوب سوى الله خلف * ما خلا الرحمن ما منه خلف
ان للحب دلالات اذا * ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه * دائم العصة محزون دنف

أشعث الرأس جيش طاه * أصفر الوجه والطرف ذرف
ثم التذكير من حب لدى * حسنه غاية غايات شرف
هذا أمعن في الحب له * وعلا الشوق من داء كتف
باشر المحراب يشكو ويثه * وامام القصر ولاه وقف
فإذا قد امه منتصبا * لهجا يتلو بآيات النصف
راكعا طورا وطورا ساجدا * باكيا والدمع في الارض يكف
أورد القلب على الحب الذي * فيه حب القصة فعرف
ثم مال الكف في شعره * ينبت الحب فسمى واقتطف
ان ذا الحسن لمن يعنى له * لا الشارات لهو وطرف
لا ولا القمر درس لا يالفها * لا ولا الحور العين فوق غرف

أخبرنا أبو الحسن بن البوري حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي حدثني علي بن أحمد بن عمر قال أنشدنا ابن فرس لمجنون الحب

وكان فؤادي حيرانا فمن حكم * وكان يذكر الخلق لهو ويمرح
فعاد عاقبني هم والذ عنه * فليت أرى عمن قد تنبرح
رميت بين مقل ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك تفرح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل * فليت أرى فيك بعيرك اصلح

أخبرنا أبو بكر الخطيب حدثنا الحسن بن أبي بكر قال ذكر أبو بحر الزاهد أن مجنون بحب شعره

سمى فؤادي عيسى فهو موف * وكل همي به مصروف
احسر في حسرة أموت بها * ان لم يكن اليك لمنعروف

أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو نعيم أنشدني عثمان بن محمد العثماني أنشدني أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي لمجنون

ولو قيل طوفي الارض ابغي بها * رضاك أو مت الامر وصدكا
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا الاني قد خطرت ببالكا

أخبرنا أبو بكر الاردستاني أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال قال منصور بن عبد الله دخل قوم على الشبلي في مرضه الذي مات فيه فقالوا كيف تجدك فأنشأ يقول

ان سقمي سقم * قال لا أبغي برئا فيه ديني لم تخني ولا خرشا

أخبرنا عبد العزيز بن علي أخبرنا علي بن عبد الله الهمداني بمكة حدثني محمد بن ابراهيم الاصبهاني بطرسوس سمعت أبا طالب يقول كنت مع مجنون وهو يتكلم في شيء من المحبة وقد مال معه فرأيت القناديل تتشفق بعضها على بعض حتى تكسرت وقال جعفر الخلدي حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله بن الورد بعاد قال قلت لابي جعفر الموصلي وكان بصيرا قد أشرف على ذهاب الموصل وحسن حاله أخبرني ببعض أمرك فبكى ثم قال أخبرك أنه كان وانه كهيئة الروحين معلق القلب هناك بست له في الدنيا راحة فمات على ذلك قال شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما انصرف الناس ورجعت معه فصرنا في الدهليز يقودني بواحي مدينة فكر ثم قال لقد قرب الناس من رمانهم فالتفت شعري ما دمت في دار عدلة أيها المحبوب ثم سقط مغشيا فقلت به وجهه فاذا هو ميت ثم مضى حتى دخل بعض ازقة المدينة فرفع رأسه الى السماء ثم قال قد علمت طول حبي وحرصي وتردد ذي في ازقة المدينة فبحقي عليك أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فقلت به وجهه فاذا هو ميت فما شعر بعد ذلك الا أنا حتى ماتوا رحمه الله تعالى اهـ وروى القشيري في رسالته في باب المحبة فاما قول الشيوخ فيه فقال بعضهم محبته هي الحال التي تم بها قلب المحب بالمحبوب على جميع

المحبوب وقيل هو طلبة القلب لمراد الرب وقيل خوف ولا آخر متبع دائمة خدمه وقال أبو بكر المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل المحب معانقة الطاعة ومباينة المعصية وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار بهذا الى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب الا ذكر صفات المحبوب بدل التقاعل بالكلية عن صفات نفسه والاحساس بها وقال أبو علي الروذباري المحبة هو الحقيقة وقال أبو عبد الله بن خفيف حقيقة المحبة أن تهب كلك للمحبوب فلا يبقى لك شيء وقال الشبلي سميت المحبة محبة لانها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة دائمة بدوام الدوام سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلي يقول المحبة أن تعارض المحبوب بكل ما يملكه المال ونفسك يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال أن تصير تعرض في القلب فتشغل عن كل ما دونه يقول وسمعته يقول سمعت ابن الصريفيني يقول المحبة توجب حقن الدماء والمحبة توجب سفك الدماء وسمعته يقول سمعت محمد بن علي الهاشمي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت سمنون يقول ذهب المحبوب بكله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالوفاء وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد ما صحت لمحبة قط شروط الآداب وفي معناه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشد

اذا صفت المودة بين قوم ✽ ودام ولازمهم سمو الادب

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الاعرابي يقول سمعت محمد بن الحسن يقول رؤي مجنون بني عامر في المنام فقيل له ما فعل بك ربك قال غفر لي وحملني محبتي على محبتي سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قيل للنصر باذي ليس للمحب أن يقال صدق أو كذب لكن لي حسن بهم فهو ما أخبروه به وسمعته يقول قال النصر باذي المحبة في مجانبة السلو على كل حال ثم أنشد

ومن كان في طور الهوى ذاق سلوة ✽ فاني من ليلى لها غير ذائق

وأكثر شيء تلفني من وصالها ✽ أماني لم تصدق كلمعة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل تحفظ من قلب الاحبة طيبوبة قال المحبة شوشبش في القلب يقع من المحبوب ويقال المحبة نشوة تقع في الفؤاد من مرور ذكر المحبوب عليه

عرضت لاهل الحب عند اهل الهوى ✽ ولم يك يدري ما هوى أحد قبلي

وأورى أغصانا وأينع ضوءه ✽ وأعقب لي مرا من الثمر الحلي

وكل جميع العاشقين هواهم ✽ اذا سموه كان من ذلك الاصل

وقيل الحب أوله تحمل وآخره قتل سمعت أبا علي الدقاق يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم فقال يعمي عن العيب غير فيه عن المحبوب بهيبته ثم أنشد

اذا ما بدا لي تعاظمته ✽ فاصدف في حالة من لم يرد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن قاتل يقول سمعت الجنيد يقول سمعت حارث المحاسبي يقول محبة بلك الى انني تكلبتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقته له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وسمعته يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول لا تصح لمحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا وقيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب وقيل المحبة بذل المجهود في الحبيب يفعل ما يشاء وقال أبو يزيد المحبة هتك الاستار وكشف الاسرار وقال أبو يعقوب السوسي لا تصح لمحبة لا بالخروج عن رؤية المحبة لرؤية المحبوب سماه علم المحبة وحد بعضهم الاصدقاء في بعض الكتب المنزلة ان الله يقول عبدي أطعني وحقك للشحق عليك كي لي حما وقال بعض المشايخ من أعطى شيأ من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع

وقيل محبه ما يحقق أثره وقيل لمحبة سكر لا يخصوصا منه لانه شاهد محبوبه ثم لسكر الذى يحصل عند الشهود لا الوصف وأنشدوا

فاسكر بقوم دور كاس * وكان سكرى من الدور

وكان الاستاذ أبو على ينشد كثيرا

لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى

وقال ابن عطاء المحبة اقامة العبد على الدوام وكان للاستاذ فى على جاريه تسمى قمر ورد وكان يحبها وكانت تحبه وكان يحبها كثيرا فسمعته يقول كانت قمر ورد تؤذينى يوما وتستطيل على بسبابها فقال أبو الحسن الغازى لم تؤذين هذا الشيخ فقالت لانى أحبه وقال يحيى بن معاذ ما لعبده أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا محب وحكوا ان بعضهم عشق جاريه فرحلت الجاريه فخرج ابو الحسن فى وداعها فدمعت احدى عينيه دون الاخرى فعرض انى لم أدمع قط فرآه وقف بين يدى سيدها فلما لم تنصرف عنى قرأت حبيبه وفى معناه أنشدوا

كلانا يبدى عند بينى دمعا * وأخرى بالبكا بحت عنا

فعاقبت التى بحثت بدمع * بان أغمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم كان عندى ابون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال كنت أعطى هذه المسئلة لا تسعها القلوس فتدعيها ثم أنشأ يقول

الخوف أولى بالمسئ * اذا بدا والحزن

والحب يحمل بالتقى * وبالتقى من الذنوب

وقال يحيى بن معاذ من بشر المحبة بعد غير فهو فى دعوى فى وقت من الاوقات فى محنة شاب فقال له الشاب كيف هذا وقد أحسن الى وجهه وأتم خلقه وخلقه فلما رفع الرجل رأسه بلغت وكان على سطح فأقامه من سطح وقال هذا جزاء من يدعى هوى بغير الى سواه وقال أبو بكر الكتانى جرت مسئلة فى محبة فكنا أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذهب عن نفسه بما تذكر به قائم بأداء حقوقه مراعى بقلبه أنوار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار عزه فتكلم فأطاله وان نطق فمن الله وبالله يتحرك فى أمر الله وان سكن فمع الله فهو بالله وبالله ومع الله وكل الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد فجرى الله بما يجرى وقال أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى أخبرنا خيرة بن يوسف السهمى أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم حدثنا هشيم بن همام حدثنا ابراهيم بن الحرث حدثنى عبد الرحمن بن عثمان حدثنى نجدة بن أيوب حدثنى أبو العباس خادم الفضيل قال احتاج ابن السماك فرفع يده وقال اللهم يحيى قال الا أطلقته يحيى قال فبرح حتى مات وقيل مات راضيا عن ربه فى مسجها التى تحترق بالنار قد تحمل فهتف بها هاتف ما كنا نعمل هكذا فلا تعنى بما ظن الوجد وقيل الحب حروف معروفة بالاشارة فيها من أحب فليخرج عن روحه بدء وبالاجتماع من خلاف العوام ان المحبة هى الموافقة بالقلب والمحبة توجب اتباع المحبوب قال محمد بن الفضل سمعت الشبلى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أبا حفص يقول أكثر فساد الاحوال من ثلاثة أشياء قسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان قسق العارفين اعلان الطرف واللسان واسمع لى أصيب لك بابا وسد عنها وخيانة المحبين اختيارهم على رضا الله تعالى فيما يستغلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق فى قلوبهم يغلب عليهم على ذكر الله تعالى فى قلوبهم هذا ما أوردته فى باب المحبة وفى باب الشوق سمعت الاستاذ أبا على يقول الشوق والاشتياق يقول الشوق يكون للقاء والرؤية والاشتياق لا يزول بالقاء وفى معناه أنشدوا

ما برجع الطرف عنه عند رؤيته * حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت نصر بادى يقول المحق كلهم مقام الشوق وليس فيهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وقيل سمى أحمد الاسود الى ابن المبارك فقال رأيت

في اسم كأنه شوب وسنة وستعد للمروح قال ابن المذرة قد أحسن علي أبو عبيد أما الى سمعه لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الشيخ يعني أبا علي رحمه الله تعالى

يا من شكا شوقه من طول فرقته ... اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال يحيى بن معاذ علامة شوق المحب الروح من شهوق سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول خرج داود عليه السلام يوما الى بعض صحاري متعبدا فأوحى الله تعالى اليه أرأيت وجدا بي فقال منا أثر الشوق الى لقائك على فقال بلى وعزتك وجلالك فأوحى الله تعالى اليه وضع ليهم فانك ترى عند ذلك أثر الشوق في الروح لصعوده جهدا وقيل كان عجوز قدم بعض أقاربها من السفر وأظهروا السرور والحبور وتبسطي فقيل لها ما يبكيك فانشدت

كري قدوم هذا الذي قدوم ... قدوم على الله عز وجل وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال حيرة الاحشاء وتهيب الاعضاء وتقطع الاكباد وسئل أيضا الشوق أعلى أم المحبة فقال لا الشوق منها تولد وقال بعضهم الشوق نهيب يشتاق الله حتى يسع على القرب وادا وقع اللقاء فقد وجد كان يعذب على الاسرار شدة الصبوب بصرفها الشوق وقال فارس قلوب المشتاقين مستورة بنور الله فاذا تحركت اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والارض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى أشهدكم اني اليهم مشوق وسمعت الاستاذ أبا علي يقول في قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الشوق الى لقائك قال كان الشوق مائة جزء وسبعة وتسعون جزءا منها مقسومة في الناس فاذا كان يكون ذلك جزءا يصاله فاذا كان تطبيق الشوق غيره وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحبوبين ولهذا قيل

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... اذا دنت الخيام من الخيام

وقيل ان المشتاقين يجدون حلاوة شوقهم عند ورود مدد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد سمعت ابن الحسين يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت حميدا يقول سمعت السري يقول الشوق أجل مقام العارف اذا تحقق فيه وأرفع الشوق ما علق كل شيء بشوقه عن شوقه اليه وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام قل لشباب بني اسرائيل لم تشغلون أنفسكم عني وأنا مشتاق اليكم فما هذا الجفاء سمعت الاستاذ أبا علي يقول بكى يعقوب عليه السلام حتى عمي فرد الله بصره عليه ثم بكى حتى عمي فأوحى الله اليه ان كان هذا البكاء لاجل الجنة فقد أعتقتها لك وان كان لاجل النار فقد أمنتك منها فقال لا بل شوقا اليك فأوحى الله اليه لاجل ذلك أحدمك بي وكيمي عشر سنين وقيل من اشتاق الى لقائه تاق الى كل شيء وفي الخبر اشتاقت الثلاثة الى ثلاثة الجنة الى عمار وسلمان وصهيب سمعت الاستاذ أبا علي يقول قال لبعض المشايخ أما ادخل شوقي ولا شيء منك الى قلبي فقال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن فرحان يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل عن أي شيء يكون بكاء المحب داخل الصوت فقال انما يكون ذلك سرورا به ووجدا من شدة الشوق اليه ولقد بعثني أحوجني تعسا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر واحزناه فهذا يعلن بالشوق وقال ابن الرضا ما نصه قد تكلم الناس في الرضا وكل عبر عن حاله وشربه فهم في العبارة عنه فمنهم من يقول كأنهم في الشرب والنصيب من ذلك مستقاوتون فأما شرط العلم والذي هو لا بد منه فالراضي بالله هو الذي لا يتعرض على تقديره سمعت الاستاذ أبا علي يقول ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء انما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا سمعت الاستاذ أبا علي يقول قال قيل للاستاذ هل يعرف الانسان اذا تعرض عنه فعل لا كيف يعرف ذلك ورضاه عنه فقال اذا لم يعلم ذلك فعل كيف فقال اذا وجدت في قلبك راحة عن الله فعلمت به راض عني فقال الاستاذ أحسنت يا علام وقال البصري ما أدري أي الحالين أرفع لرضا لم ما جعل الله رضاه فيه وقال محمد بن خفيف الرضا عن الله تسمى رضا به ورضا عنه الرضا مدرا والرضا عنه فيما قضى وسمعت الاستاذ أبا علي يقول طريق الباكين طول هو طريق الراضية وطريق الخواص أقرب لكنه شاق وهو أن يكون ذلك الرضا رضا الله فقال روح

الرضا سئل الله جل جلاله عن يحبه هل له أن يحوله في غيره قال لو سعى أن يستعمل الرضا جهده ولا يدع الرضا بما فعل فكيف يكون يحول عنه وقد وثق به على حقيقة ما تقدم ذكره لأن السكون عندهم في الأحوال كلها هو عين التحول لأحوال العبد فسلم الرضا وحده فلم يرحه الله تعالى عن شهود حقه وقد قال الواسطي أيضا إنكم وإن تخلوا عن كل شيء فلا تخلوا عن ثلاثة وهي قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام فقال له رجل فكيف لي بقلة الطعام وأنا أحب الطعام فقال له الواسطي لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الرجل فكيف لي بقلة المنام فقال له الواسطي لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الرجل فكيف لي بقلة الكلام فقال له الواسطي لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الرجل فكيف لي بضيق الصدر فقال له الواسطي اترك الرضا بالقضاء وقال أبو سليمان الرضا أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذه من النار وقال ذو النون ثلاثة من أعلام الرضا ترك الاختيار وعدم التصنع وقصر المرارة بعد القضاء وهجوم المحب في حشو البلاء سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن جعفر المعداني يقول سمعت أحمد بن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول قيل للحسين بن علي بن أبي طالب أي الأمور أفضل يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة فقال رحم الله عبدا دعا ربه وهو يقول من أهل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له وقال أبو عمر الدمشقي الرضا ارتفاع الحرج في أي حكم وقال ابن عطاء الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين قدم اختيار الله له على اختياره وهو ترك الاعتراض وهو استقبال الأحكام بالفرح وقال المحاسبي الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام وقال النوري الرضا سرور القلب بمر القضاء وقال الجريري من رضي بدون ما يرجوه فهو قانع به وقال ذو النون الرضا أن يرى البلاء في البلاء نعمة وقال أبو عثمان خبري عبد أربعين سنة ما أمسى لله في حال فكرهه وما تقلب إلى غيره فيما يحبه الله ما ذكره القشيري في الرسالة وما تقدم من كلام ذي النون قال الرضا هو حال يوقن والتيقن هو حقيقة الإيمان والى هذا ذهب النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن وصيته فقال اعمل لله وأنت موقن في الرضا فإن لم يكن فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا فجعل الصبر أعلى المقامات ثم رده إلى وسطها كذلك قال ابن عمر عبد الله كأني أنظر إليه وما لم أكن أراه بلغ بنا إلى المشاهدة وهو الإحسان ثم رده إلى الصبر والمجاهدة وهو الإيمان وهو مكان العوام فالله تعالى يرزقنا وإياكم بعد هذا مكان يوسف وكان سهل يقول أعرف في القرآن مقامة عظيمة يتفاوت الناس فيها على قدر همومهم من أحب في همومهم أكثر وعلى قدر أحزانهم من الله في أحزانهم أكثر وعلى قدر تواضعهم على أهل الصفة في تواضعهم قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مساكين لا مال لهم لم يكن لهم من الدنيا ولا من الرضا نصيب وقال بعضهم في وصفه ومن يفوض أمره إلى الله فقد أقام الإيمان وقرع بابه ورجاه أكسب الخير وأقام الأخلاق الصالحة إن تصلح العبد أمره من الرضا بالله فقد وردى جميع الأمور وطيب النفس وسكونه في كل حال وهو عبادة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا وساعة العسر كل شيء من عند الله فيرضى ربه ويفرح بقيام الله مولاه عليه وتسليم العبد للمولى في كل ورضاه منه بما جرى في كل شيء وتسليمه الأحكام والقضايا بحسن التدبير وكمال التقدير وهو تسليم العبد لمولاه ما في يده رضا بحكمه عليه وأن لا يشكو سيده الكريم إلى العبد اللئيم ولا يذم فعل حبيبه ولا يعترض في كل شيء حسن صنع القريب ودكر عبد الرحيم الله تعالى عبده عند الله تعالى منزله وكان دونه ما يتقدم من منزله بعض ملوكهم فعدل رجل عن هذا فصار هذا وإن كانت له منزلة أن يسأله فيجعل دونه في غير هذا فقال له أيمكن بما قلت أما علمت أن أولياء الله هم أرضى عنه أن يختبروا عليه أن يقاسمهم معيشته حتى يكون هو الذي يختبرهم وقد قال أبو علي الفرغاني رحمه الله تعالى فيما رويناه عنه وقال الأعمش قال لي أبو وائل يا سليمان نعم الزاد سوء أعمالنا وقال الله تعالى في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة وحكى بعض العارفين بعض العارفين سمع رجلا في الطريق وهو يقول شيئا فصاح عن مكان إلى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت أحدثت في ذلك المكان غير صرورة ولا سنة لا تحصى أبدا وأعمال ملائكة الرحمن لا تحصى وقال تعالى مضاعفة على أعمال المجاهدين في سبيل الله لأن أعمال المجاهدين تضاعف إلى سبعمائة ضعف وتضعيف هذا في الرضا لا يحصى قال الله عز وجل يضاعف لمن يشاء وقال تعالى فيضاعفه أضعافا كثيرة قيل الحسنة إلى ألفي حسنة وقد قال الله

تعالى في الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال وهو أصدق القائلين مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل حبة بربوة فكم في هذه الحبة من سنبلة وحبة فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم يضاعف لمن يشاء هم أهل مرضاته وهم الذين ارتضوه لله فرضا حسنا لأجله فضاعف لهم أضعافا كثيرة وهم الذين يعبر لهم لأجله وهو الذي في قوله تعالى يعبر من شاء من عقلي عن الله تعالى حكمته كان مع الله في كل حكم مسلما له ما شهد لأنه تعالى بالاختيار لما لا اختيار له بمشيته وإرادته وعلمه يتصرف المقدور وبه عواقب الأمور ولا يكون مع نفسه فيما يهوى ولا مع معتاده وعرفه فيما يعقل وقال بعض المريدين مت لبعض أهل المعرفة أي الأعمال أقرب إلى مرضاة الله وأخلص شيء عملته أدركت به ما يرضيني من هذا فقال أخي إن استطعت أن تقتصر إلى أوليائه الله وتتقرب إلى قلوبهم فافعل لعلهم به محبوبون فإن الله ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم سبعين نظرة فلعله ينظر إليك في قلوبهم لمحبتهم الله فيحصل لك حينئذ الدنيا والآخرة فما سكن من ينظر إليه كفاه وكذلك يقال إن الله تعالى ينظر إلى قلوب الصديقين وشهداء مواجهة فهؤلاء الذين عرفوه به تقربهم منهم ودوام نظرهم إليه فهو وجهتهم ثم ينظر إلى قلوب قوم من قلوب قوم آخرين فهؤلاء الذين عرفوه بهم وجهوه من محبتهم فهم وجهتهم إليه وأدلتهم عليه وعليهم بعد من عداهم كما هم شهداء وقوامون عليهم وورثة عن بعض خيارهم من الجنة في قرط كريم لله وعلامة حديث أن خيار من الذهب فضة وعينة سبب ذكرنا دلك أنه خرج بهم إلى النصراء فرفع رأسه إلى السماء وقال لهم كيف سمعتم تسبيحة العيث أو سؤدن فقالوا ورزوه كيف وذنه وهو السماء وأنتم في الأرض فقال قل أولياء الله من أهل الأرض فيكون ذلك أدنى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء بكرمه وجوده ومن حسن الأدب مع الله دائما صاحبها قل أنت استعملني وتحولك وقوتك وحسن توفيقك لطاعتك لا حول ولا قوة إلا بك وإذا عملت سيئة وهو في جنب حسناتي وهي سيئاتي ثم تعتقد في ذلك أنه قدره ومشيئته كان ما مضى وتكون بالعين التي قد رأيت مرضاة مولاك وتكون في الحالين عاملا ترضيه بما تقول وتعقد وبنيتي عملك الحسن في أعمال البر ولا يصح ذلك المقت بفضل واعتزل ذلك وقد تعلب هذه المشاهدة على أجل ما عمل حسنا شهد نفسه ونظر إلى حوله وقوته فإذا عمل سيئة عرف بالذنب ولم يقر على نفسه بما سلم لم تصح له توبة ولم يرض له عمل لعود بنته من مثل هذه الضلال هذا ما أورده في باب الرضا وقال في حكام المحبة ووصف أهلها اعلم أن المحبة من الله تعالى ليست كمحبة الخلق تكون عادة لأحد سبب معين يسمع أو لحس أو لمع أو لوصف أو هوى أو لرحم ماسة أو لقرب ذلك لأن الله تعالى منزه عن جميع ذلك لا يوصف شيء منه ليس لله شيء في كل شيء ولا في هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لأسباب عليهم دخلت وقد تتغير بتغير الأوقات وتتقلب لانقلاب الأوصاف ومحبة الله تعالى سابقة للأسباب على كلها الحسي قديمة قبل الحادثات عن عناية لعلية لا تتغير أبدا ولا تنقلب لأجل ما بينا بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني الكلمة الحسنى وقيل المرتبة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سابق منهم بل سبقت كل سابقة بقول كقوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكانه عنى وقال لهم قدم صدق عند ربهم وقال في الآخرى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا يصلح أن يكون قبل قدمه صدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه منهم علم لأن علمه سبق العلوم ومحبته لأوليائه سبقت محبتهم إياه ومعاملتهم له ثم ينتهي مع ذلك إلى صفة حكم من أحكامه من يشاء من فضل اسمه عالم الخلق ومؤثر الموثرين تقدم صدق سابق الخاصين وقال في مقعد صدق عند صادق المسالك ليس لذلك سبب معقول ولا لأحد عمل معمول في تحري تحري سر القدر واطلاع القدر وخفاء سر القدر كفر فلا يعلمه الا نبي أو صديق ولا يطلع عليه من يشعر وما شعرك لا تخبر من الأسباب فما هو طريق الأحباب ومقامات أهل القرب من أولي الألباب وإنما هي تصفيه ودكرى للمتقين وتزود بلاغ للعابدين وإنما تستبين المحبة وتظهر

للعبد بحسن توفيقه وكلاءة عصمته ولطائف تعهده من عوائد علمه وجميل لطفه وفي سرعة ردهم اليه في كل شيء ووقوفهم عند حده وبطرهم ليه دون كل شيء وكثرة استحيائهم بحسن مراعاته وكشف اطلاعهم على معاني صفاته ولطيف تعريفه بهم مكنون أسراره وفتوحه لافكارهم عن بواطن نعمه واستحراجه منهم خالص شكره وحقيقة ذكره من غير يقين فهذه طرق المحبين له عن تنوق اطلاعهم فالمحبة مريدان نار من المحب لاول وهو الله سبحانه بعده وأحكام تنهرهم من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته أو حقيقة علم بهما كما قال اخوة يوسف حين هموا بمحبة الله عليهم بالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فذكروا سالف خطاياهم وايثاره بمالم يؤثرهم وقال الله تعالى في وصفه آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين فذكر ما سلف من احسانه الى آثره وذكر بعض من ينتمي الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له أرأيت هذا الذي تذكر محبته اهتممت بسواه قال مم قال لعلي رأيته في ليلة مرتين وثلاثا قال لاقال لولا اني استحي لاحببتك لحبه من معاملة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في يومك قال لكن أعرف من لا أدعي محبته وعلى ذلك ما أهتم بسوء عند معرفته وزيارتي له مع علمي بتهتم المحب بسواه من فضل ابتلاه لا يشبهه فكيف بذكره من لا يشبهه بل هو مذكور بما ذكر لا ذاكر بل قد ذكر وقد ذكر وهيهات فضح المدعوب وانكشف المستورون ان تهتم بغيره فقد شبهه والحبيب لا يشبه لانه لازم للهم مستشعر بالقلب ملاحظ في العين هو الناظر والمنظور وهو السامع والمسموع وهو الشاهد والمشهود وهو الواجد والموجود كما قال بعض المحبين

ليس في القلب والعيان جميعا ✽ موضع فارغ لغير الحبيب
وهو سقمي وبعثي وشفائي ✽ وبه العيش ما حييت يطيب

فان كان هذا وصفه من الغيب والروح فما لك أن تنسى ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب أم كيف تحول لغيره وهم كيف وقد رويتم في الخبر انه قال لا يذكر حتى يذكر وإذا تركوا نسي ولا تكونوا كاليهود فانهم نسوا التوراة ما داموا بها فاذا رفعت لم يكن وراء ذلك شيء اهـ ما في القوت

﴿فصل﴾ وقد تقدم للمصنف رحمه الله تعالى في أثناء الفصل الرابع من هذا الكتاب ان المحبة ثمرة المعرفة فهم أن الكلام على مقام المعرفة وقد ذكر قائل الشيوخ فيه وقد ذكر صاحب القاموس منه جملة في كتاب البصائر والقشيري في رسالته فلنذكر كلام البصائر أولا لانه مشتمل على أكثر ما أوردوه القشيري مع زيادة توضيح وبيان قال صاحب البصائر المعرفة من العلم والمعرفة عند المحققين اسم للعلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه فلا يتخلفون معرفته على مدلول العلم وحده بل لا يصفون بمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها وهو حال يسمع الله بشهادته للعارف عند هيئتهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله في معاملته ثم أخلص له في قصوده ونيته ثم سمع من أخلاقه الردية وآفاته ثم تطهر من دنسه ودرنه وتعلقاته ثم صبر على أحكامه في نعمه وبلائه ثم دعا الله على بصيرة بدينه وبما به ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشهد بآرائه رجال ولا وجدهم ولا مقاييسهم ومعقولاتهم ولم يرض بها جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة وادعى به غيره فعلى الدعوى والاستعارة وقد تكاموا في معرفة آثارها وشواهدها فقال بعضهم من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من ازدياد معرفته وقال أيضا المعرفة توجب السكينة وقيل علامتها أن يحسن قرب قلبه من الله عز وجل فيجده قريبا منه قال الشبلي ليس العارف علامة ولا المحب شكوى ولا بعبد دعوى ولا لخائف مفر ولا لاحد من الله فرار وهذا كلام جيد فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بمعروفه فلا تبقي فيه علاقة لغيره ولا تترك به العلائق الا وهي مجتازة وقال أحمد بن عاصم من كان بالله أعرف كان من الله أخوف ويدل على هذا قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية وقال آخر من عرف الله صغرت عليه الارض بسعتها وقال غيره

من عرف الله اتسع عليه كل ضيق ولا ضيق في هذين الكلامين فانه يصح عليه كل مكان لانه محيط به ومطلع عليه ويتسع له ما لا يتسع على غيره لانه ليس فيه ولا هو منه. كل له مقدمة غير محسوس فيه والاول في بدايته المعرفة والثاني في غايتها التي يصل بها العبد وقال آخر من عرف الله تعالى سهل عليه العيش وهانت عليه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله وقال غيره من عرف الله قرب عليه الله وقرب منه كل بعيد ومن لم يعرف الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن عرف الله لم تبق له رغبة فيما سواه وعلامة العارف ان يكون قلبه مرآة قد نظر فيها لغيب الذي دعي الى الايمان به فعلى قدر جلاء تلك المرآة يرى ما فيها من سعة الدار الآخرة وحسنها والدار والملائكة والرسل كما قيل

اذا سكن الغدير على صفاه ✽ تشبه ان يحركه النسيم
بدت فيه السماء للامراء ✽ كذلك الشمس والقمر النجوم
كذا قلوب ارباب النهى ✽ يرى في صفوها الله العظيم

ومن علامات المعرفة أن يدوم شاهد وتفنى الشواهد وتتعلق العلائق وتنقطع العوائق ويجلس بين يدي الرب يقوم ويطلع على ما لم يطلع عليه الملائكة كمجلس الذي وقد أجاله وزمع ما عرى يذهب لا يقوم عن ذلك ويطلع عليه ومن علامات العارف ان لا يعارض ولا يخاصم ولا يعاند ولا يرى له على أحد حجة وان لا يأسف على شيء ولا يفرح بما أتى لانه يغرق الاشياء بعين القدرة ويزوالها في الحقيقة كما ان الظل والخيال يزولان لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ علامة العارف ان الدنيا ولم يغص وطره من شيئين بكائه على نفسه وذلته على ربه وهذا من أحسن ما قيل لانه دل على معرفته بنفسه وعلى معرفته بربه وجلاله وجلاله فهو شديد الازراء على نفسه لفرط اشتياقه على ربه وقال أبو يزيد علامات العارف ثلاثة يعرف الله بالله ويعرف ما سوى الله بنور الله ويعرف مع ما يريد الله بعلم الله وقال الجنيد مع الله بلا علاقة ومع الخلق بلا نفاق وقال الآخر لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين وهذا يحتاج الى شرح وما هو وذلك لان نفس الكمال اذا كان شغله غير الله فذلك استدلال بالله وقال من علامة معرفة على ثلاثة أركان الهيبة والحياء والانس وقيل لعارف ان فلانا يدعي أنه يحس الكلام وأحضره فهو مشغول بوظيفته فقال ما مضى من عمري وما بقي من عمري لم يخطر ببالي فكيف يوجد فيه عبارة وهذه الذي هو مادة حياته دائمة ومن علاماته أنه يستوحش ممن يقطعه عنه ويستأنس بمن يدله عليه ويعرف من أنس بالله وحشته من الخلق واقتقاره الى الله واعتماده عليهم وذلته بين يديهم وتواضعه لله فرديه يهم ويستحي من الله ويحوجهم اليه وعين العارف فوق ما يقول وأعلى من ما يقول وعين ما يعلم على ما يعلم وسمع من ماله وصفته والعارف ماله وصفته فوق كلامه وخبره وقال أبو سليمان الداراني ان لله تعالى للعارف على فراشه مالا يجده وهو مع الصلاة والدموع لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله وقال بعضهم ربما يعرض لي وقت من خلاص لم يدر بين وهذا كلام ظاهره منكر محتاج الى شرح فان عارفا لا يرضى لحبوب طالما تعرف الى قلبه وانس به أن يكون ذلك منه صحة وشدة ويعتب فهو يدعو الى الله بعقله كما يدعوا الى الله بقوله واخلاص المرء بمقصوده على قدر الوقت يراد بالوقت الآخرة وهم فقراء العرب وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء لونه وهذه كلمة رمز بها الى حقيقة العبودية وهو أنه يتلون في أقسام العبودية فتراه مصليا ذاكرا وتارة صائما ومعلما ومجاهدا وساعيا ومتعبدا للضعيف ومعينا للمعروف وهو صبر في كل قسمة يسهم فهو مع المفلس مفلس ومع المعين معين ومع المعلم معلم ومع الخير خير ومع المصلين مصل ومع الصادقين متصدق وهكذا ينتقل في منازل العبودية في عبودية وهو مستقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره وقال يحيى بن معاذ من عرف كان مأنوسا ومن عرف الله كان مع الخلق ظاهرا بائنا عن نفسه ومعه به كان مع الله الآخرة مأنوسا عن اسباب الدنيا ومعه الله كان مع الله وحاشاه بائنا عن اسباب

وسم انه دخل فى الاشياء ليخرج عنها ومن اراد ان يدخل فيها ليخرج منها لم يعرف ومن لم يعرف داخل فيها لم يخرج منها ولم يعرف ولا يعرف الا بالله ولا يعرف الله الا بالله فمن عرف الله بالله فهو من الله ومع الله ومن الله وهو الله بلا كيف ولا اين ولا هو ولا انا ولا انت ولا ما ولا من ولا هذا ولا ذاك ولا هذه ولا تلك ولا هذا ولا ذاك ولا هذه ولا تلك ولا هذا ولا ذاك ولا هذه ولا تلك

أبو عثمان المغربي العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب وقال بعضهم المعرفة أنواع تعط وتروح وتحط وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من غير الوجود وبذل المجهود وقال محمد بن فضل المعرفة حياة القلب مع الله انتهى وبه تم كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما قال مؤلفه فرغت من

تسويده في الثالثة من ليلة الاربعاء ثاني محرم الحرام افتتاح

سنة ١٣٠١ أزانا الله خيرها وكلانا غيرها

قال ذلك وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى

الحسيني عفى الله عنه وستر

عيوبه بمنه وكرمه آمين

حمدا لله ومصليا

ومسلما

(تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر وأوله كتاب التوبة والاخلاص والصدق)

(فهرست الجزء التاسع من كتاب إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحياء علوم الدين)

صحيفة	
٢	كتاب الصبر والشكر
٣	الشطر الأول في الصبر
٤	بيان فضيلة الصبر
٨	بيان حقيقة الصبر ومعناه
١٤	بيان كون الصبر نصف الإيمان
١٦	بيان الأسامي التي تتحدد للصبر
١٧	بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
٢٠	بيان مقدار الحاجة إلى الصبر
٢٣	بيان دواء الصبر وما يتعالج به عليه
٤٦	الشطر الثاني من الكتاب في الشكر
	الركن الأول في نفس الشكر
	بيان فضيلة الشكر
٤٩	بيان حد الشكر وحقيقته
٥٥	بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر
٦٣	بيان أن ما حمد الله تعالى عليه كره
٧٨	الركن الثاني من أركان الشكر
٧٨	بيان حقيقة النعمة وأقسامها
٩٩	بيان وجه الاستدراج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها
١٢٩	بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر
١٣٥	الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر
١٣٥	بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
١٤٧	بيان فضل النعمة على البلاء
١٥٠	بيان الأفضل من الصبر والشكر
١٦٣	كتاب الرجاء والخوف
١٦٤	الشطر الأول في الرجاء
١٦٤	بيان حقيقة الرجاء والترغيب فيه
١٦٨	بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
١٧٢	بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء
١٧٤	الفن الثاني استقراء الآيات
١٩٦	الشطر الثاني من الكتاب في الخوف
	بيان حقيقة الخوف

صحيفة	
٢٠١	بيان درجات خوف الخلائق وقوته والضعف
٢٠٤	بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
٢٠٨	طبقة الذين يخافون
٢٠٩	بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
٢١٠	بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما
٢٢٠	بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف
٢٢٤	بيان معنى سوء الخاتمة
٢٤٤	بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والأنبياء عليهم السلام في الخوف
٢٥٠	بيان أحوال الصحابة والتابعين وسلف الصالحين في شدة الخوف رضي الله عنهم
٢٦٢	كتاب الفقر والزهد
٢٦٥	الشطر الأول في الفقر
٢٦٦	بيان حد الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه
٢٧٢	بيان فضيلة الفقر ومعانقته
٢٨٢	بيان فضائل خصوص الفقراء من الصابرين القانعين والصادقين
٢٨٥	بيان فضيلة الفقر على الغنى
٢٩٤	بيان آداب المتفرق فقره
٢٩٦	بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال
٣٠٢	بيان تحريم السؤال من غير ضرورة
٣٠٩	بيان مقدار الغنى المحرم السؤال
٣١١	بيان أحوال السائلين
٣١٧	الشطر الثاني من الكتاب في الزهد
	بيان حقيقة الزهد
٣٢٤	بيان فضيلة الزهد
٣٣٧	بيان درجات الزهد وأقسامه
٣٤٩	بيان فضيلة الزهد فيما هو من ضرورات الحياة
٣٧٢	بيان علامات الزهد
٣٨٤	كتاب التوحيد والتوكل

صحيفة		صحيفة	
٣٨٦	بيان فضيلة التوكل	٥٧١	بيان ما أحال اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم
٣٩٠	بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب	٥٧٩	بيان أن سبب زيادة الحب في الآخرة على المعرفة في الدنيا
٤٦٠	الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل	٥٨٥	بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى
٤٦٠	بيان محال التوكل	٥٩٤	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٤٦٨	بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل	٥٩٥	بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى
٤٧٣	بيان أعمال المتوكلين	٦٠٢	بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٤٧٤	الفن الأول في جلب الأسباب	٦٠٩	بيان محبة الله للعبد ومعناها
٤٩٢	بيان توكل المعيل	٦١٥	القول في علامات محبة العبد لله تعالى
٤٩٩	بيان أحوال المتوكلين في تعلق الأسباب	٦٢٨	بيان معنى الأنس بالله عز وجل
٥٠٠	الفن الثاني	٦٤١	بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الأنس
٥٠٦	الفن الثالث مباشرة الأسباب الدافعة للضرر	٦٤٦	القول في معنى الرضا عن الله تعالى
٥١٠	بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم	٦٤٨	بيان فضيلة الرضا
٥١٥	الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر	٦٥٤	بيان حقيقة الرضا وتصوره مع مخالفة الهوى
٥٢١	بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال	٦٦٣	بيان أن الدعاء غير ناف للرضا
٥٣٠	بيان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال	٦٦٩	بيان أن الفرار من البلاد التي هي مطان المعاصي وأن ذممها لا يقدح في الرضا
٥٣٦	بيان حكم التوكل في إظهار المرض وكتمانه	٨٧٢	بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم
٥٤٤	كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا	٦٨٠	خاتمة الكتاب بكلمات منثورة تتعلق بالمحبة يتتلمح بها
٥٤٦	بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى		
٥٥٠	بيان حقيقة المحبة وسمائها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى		
٥٥٩	بيان أن المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده		

COLUMBIA UNIVERSITY
0026817306

JUN 29 1956